BOBST LIBRARY
3 1142 01500 8330

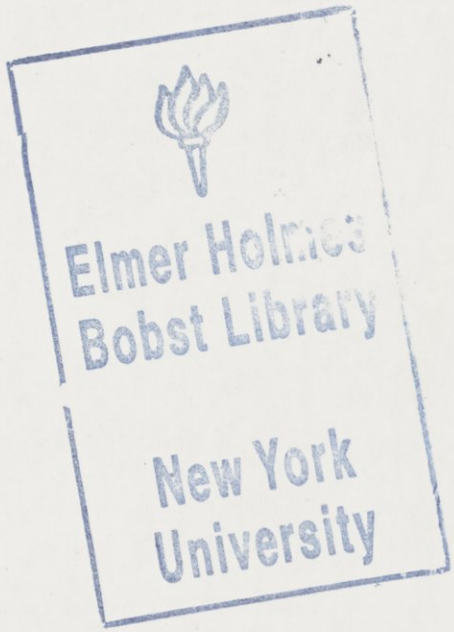

New York University
Bobst Library
70 Washington Square South
New York, NY 10012-1091

DUE DATE	DUE DATE	DUE DATE

* ALL LOAN ITEMS ARE SUBJECT TO RECALL *

Bobst Library
APR 14 1999
CIRCULATION

Bobst Library
DEC 17 1998
JAN 1 1999
CIRCULATION

108385

al-Ṭabarī, 838-923.
/Jāmiᶜ al-bayān/

جامع البيان

عن

تأويل آي القرآن

« كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد » .
قرآن كريم

« ما أعلم على أديم الأرض أعلم من ابن جرير » .
محمد بن إسحاق بن خزيمة

تأليف

أبي جعفر محمد بن جرير الطبري
المتوفى سنة ٣١٠ هـ

الجزء الثاني عشر

الطبعة الثانية
١٣٧٣ هـ = ١٩٥٤ م

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر

OCT 02 1997

BP
130
.4
.T3
1954
v.12-14
c.1

D1500 B330

فهارس الجزء الثانى عشر من جامع البيان ، عن تأويل آى القرآن

١ — فهرس الآيات

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٦	وما من دابة فى الأرض . . .	١
٧	وهو الذى خلق السموات . . .	٣
٨	ولئن أخرنا عنهم العذاب إلى أمة . . .	٦
٩	ولئن أذقنا الإنسان منا رحمة . . .	٧
١٠	ولئن أذقناه نَعْماء بعد ضَرَّاء مسَّته . . .	٨
١١	إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات . . .	٨
١٢	فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك . . .	٨
١٣	أم يقولون افتراه . . .	٩
١٤	فإن لم يستجيبوا لكم فاعلموا . . .	١٠
١٥	من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها . . .	١١
١٦	أولئك الذين ليس لهم فى الآخرة . . .	١٤
١٧	أفمن كان على بينة من ربه . . .	١٤
١٨	ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا . . .	٢٠
١٩	الذين يصدّون عن سبيل الله . . .	٢١
٢٠	أولئك لم يكونوا معجزين . . .	٢٢
٢١	أولئك الذين خسروا أنفسهم . . .	٢٣
٢٢	لاجرم أنهم فى الآخرة هم الأخسرون ...	٢٣
٢٣	إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات . . .	٢٤
٢٤	مثل الفريقين كالأعمى والأصمّ . . .	٢٥
٢٥	ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه . . .	٢٦
٢٦	أن لاتعبدوا إلا الله . . .	٢٦
٢٧	فقال الملأ الذين كفروا من قومه . . .	٢٦
٢٨	قال ياقوم أرأيتم إن كنت على بينة . . .	٢٨

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٢٩	ويا قوم لاأسألكم عليه مالا . . .	٢٩
٣٠	ويا قوم من ينصرنى من الله . . .	٣٠
٣١	ولا أقول لكم عندى خزائن الله . . .	٣٠
٣٢	قالوا يانوح قد جادلتنا . . .	٣١
٣٣	قال إنما يأتيكم به الله . . .	٣١
٣٤	ولا ينفعكم نصحى . . .	٣١
٣٥	أم يقولون افتراه . . .	٣٢
٣٦	وأُوحِىَ إلى نوح أنه . . .	٣٢
٣٧	واصنع الفلك بأعيننا ووحينا . . .	٣٣
٣٨	ويصنع الفلك وكلما مرّ عليه ملأ . . .	٣٤
٣٩	فسوف تعلمون من يأتيه عذاب . . .	٣٤
٤٠	حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور . . .	٣٤
٤١	وقال اركبوا فيها بسم الله مجريها . . .	٤٣
٤٢	وهى تجرى بهم فى موج كالجبال . . .	٤٥
٤٣	قال سآوى إلى جبل يعصمنى . . .	٤٥
٤٤	وقيل يا أرض ابلعى ماءك . . .	٤٦
٤٥	ونادى نوح ربه فقال . . .	٤٩
٤٦	قال يا نوح إنه ليس من أهلك . . .	٤٩
٤٧	قال ربّ إنى أعوذ بك . . .	٥٤
٤٨	قيل يا نوح اهبط بسلام منا . . .	٥٤
٤٩	تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك . . .	٥٦
٥٠	وإلى عاد أخاهم هودا . . .	٥٧
٥١	يا قوم لاأسألكم عليه أجرا . . .	٥٧

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٥٢	ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا . . .	٥٧
٥٣	قالوا يا هود ما جئتنا ببينة . . .	٥٨
٥٤	إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا . . .	٥٩
٥٥	فكيدونى جميعا . . .	٥٩
٥٦	إنى توكلت على الله ربى وربكم . . .	٦٠
٥٧	فإن تولوا فقد أبلغتكم ما أرسلت به . . .	٦١
٥٨	ولما جاء أمرنا نجينا هودا . . .	٦١
٥٩	وتلك عاد جحدوا بآيات ربهم . . .	٦١
٦٠	وأُتبعوا فى هذه الدنيا لعنة . . .	٦٢
٦١	وإلى ثمود أخاهم صالحا . . .	٦٢
٦٢	قالوا ياصالح قد كنت فينا مرجوّا . . .	٦٣
٦٣	قال يا قوم أرأيتم إن كنت . . .	٦٣
٦٤	ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية . . .	٦٤
٦٥	فعقروها فقال تمتعوا فى داركم . . .	٦٤
٦٦	فلما جاء أمرنا نجينا صالحا . . .	٦٥
٦٧	وأخذ الذين ظلموا الصيحة . . .	٦٨
٦٨	كأن لم يَغْنَوا فيها . . .	٦٨
٦٩	ولقد جاءت رسلنا إبراهيم . . .	٦٨
٧٠	فلما رأى أيديهم لاتصل إليه نَكِرهم . . .	٧٠
٧١	وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها . . .	٧١
٧٢	قالت يا ويلتى ءألد وأنا عجوز . . .	٧٦
٧٣	قالوا أتعجبين من أمر الله . . .	٧٦
٧٤	فلما ذهب عن إبراهيم الروع . . .	٧٧
٧٥	إن إبراهيم لحليم أوّاه منيب . . .	٧٧
٧٦	يا إبراهيم أعرض عن هذا . . .	٨٠
٧٧	ولما جاءت رسلنا لوطا سِىءَ بهم . . .	٨١
٧٨	وجاءه قومه يُهْرَعون إليه . . .	٨٣
٧٩	قالوا لقد علمت مالنا فى بناتك . . .	٨٦

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٨٠	قال لو أن لى بكم قوّة . . .	٨٦
٨١	قالوا يا لوط إنا رسل ربك . . .	٨٨
٨٢	فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها . . .	٩٣
٨٣	مسوّمة عند ربك . . .	٩٣
٨٤	وإلى مدين أخاهم شعيبا . . .	٩٨
٨٥	ويا قوم أوفوا المكيال والميزان . . .	٩٩
٨٦	بَقِيَّتُ الله خير لكم . . .	١٠٠
٨٧	قالوا يا شعيب أصلاتك تأمرك . . .	١٠١
٨٨	قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة . . .	١٠٣
٨٩	ويا قوم لايجرمنكم شقاقى . . .	١٠٤
٩٠	واستغفروا ربكم ثم توبوا إليه . . .	١٠٥
٩١	قالوا يا شعيب مانفقه كثيرا . . .	١٠٥
٩٢	قال يا قوم أرهطى أعزّ عليكم . . .	١٠٦
٩٣	ويا قوم اعملوا على مكانتكم . . .	١٠٨
٩٤	ولما جاء أمرنا نجينا شعيبا . . .	١٠٨
٩٥	كأن لم يَغْنَوا فيها ، ألا بعدا . . .	١٠٩
٩٦	ولقد أرسلنا موسى بآياتنا . . .	١٠٩
٩٧	إلى فرعون وملئه فاتبعوا . . .	١٠٩
٩٨	يَقْدُم قومه يوم القيامة . . .	١٠٩
٩٩	وأُتبعوا فى هذه لعنة . . .	١١٠
١٠٠	ذلك من أنباء القرى نقصه عليك . . .	١١١
١٠١	وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم . . .	١١٢
١٠٢	وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى . . .	١١٤
١٠٣	إن فى ذلك لآية لمن خاف . . .	١١٤
١٠٤	وما نؤخره إلا لأجل معدود . . .	١١٥
١٠٥	يوم يأتِ لاتكلّم نفس إلا بإذنه . . .	١١٥
١٠٦	فأما الذين شَقُوا فى النار . . .	١١٥
١٠٧	خالدين فيها مادامت السموات . . .	١١٥

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
١٠٨	وأما الذين سُعدوا ففى الجنة . . .	١١٥
١٠٩	فلا تك فى مرية مما يعبد هؤلاء . . .	١٢٢
١١٠	ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف . .	١٢٣
١١١	وإن كلا لمّا ليوفينهم ربك . . .	١٢٣
١١٢	فاستقم كما أمرت ومن تاب . . .	١٢٦
١١٣	ولا تركنوا إلى الذين ظلموا . . .	٩٢٦
١١٤	وأقم الصلاة طرَفى النهار . . .	١٢٧
١١٥	واصبر فإن الله لايضيع أجر . . .	١٣٨
١١٦	فلو كان من القرون من قبلكم . . .	١٣٨
١١٧	وما كان ربك ليهلك القرى . . .	١٤٠
١١٨	ولو شاء ربك لجعل الناس . . .	١٤٠
١١٩	إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم . . .	١٤٠
١٢٠	وكلا نقصّ عليك من أنباء الرسل . . .	١٤٥
١٢١	وقل للذين لايؤمنون اعملوا . . .	١٤٧
١٢٢	وانتظروا إنا منتظرون . . .	١٤٧
١٢٣	ولله غيب السموات والأرض . . .	١٤٨

سورة يوسف عليه السلام

١	الرّ تلك آيات الكتاب المبين . . .	١٤٩
٢	إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون . . .	١٤٩
٣	نحن نقصّ عليك أحسن القصص . . .	١٥٠
٤	إذ قال يوسف لأبيه ياأبت . . .	١٥١
٥	قال يابنىّ لاتقصص رؤياك . . .	١٥٢
٦	وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك . . .	١٥٣
٧	لقد كان فى يوسف وإخوته . . .	١٥٤
٨	إذ قالوا ليوسف وأخوه أحبّ . . .	١٥٤
٩	اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضا . . .	١٥٥
١٠	قال قائل منهم لاتقتلوا يوسف . . .	١٥٥
١١	قالوا يا أبانا مالك لاتأمنا . . .	١٥٧

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
١٢	أرسله معنا غدا يرتع ويلعب . . .	١٥٨
١٣	قال إنى ليحزننى أن تذهبوا به . . .	١٦٠
١٤	قالوا لئن أكله الذئب . . .	١٦٠
١٥	فلما ذهبوا به وأجمعوا . . .	١٦٠
١٦	وجاءوا أباهم عشاء يبكون . . .	١٦٢
١٧	قالوا يا أبانا إنا ذهبنا نستبق . . .	١٦٢
١٨	وجاءوا على قميصه بدم كذب . . .	١٦٣
١٩	وجاءت سيارة فأرسلوا واردهم . . .	١٦٦
٢٠	وشَرَوه بثمن بخس دراهم معدودة . . .	١٧٠
٢١	وقال الذى اشتراه من مصر لامرأته . . .	١٧٤
٢٢	ولما بلغ أشدّه آتيناه حكما وعلما . . .	١٧٦
٢٣	وراودته التى هو فى بيتها عن نفسه . . .	١٧٨
٢٤	ولقد همّت به وهمّ بها . . .	١٨٣
٢٥	واستبقا الباب وقدّت قميصه . . .	١٩١
٢٦	قال هى راودتنى عن نفسى . . .	١٩٣
٢٧	وإن كان قميصه قُدّ من دبر . . .	١٩٣
٢٨	فلما رأى قميصه قُدّ من دبر . . .	١٩٣
٢٩	يوسف أعرض عن هذا . . .	١٩٧
٣٠	وقال نسوة فى المدينة امرأة العزيز . . .	١٩٧
٣١	فلما سمعت بمكرهنّ أرسلت إليهن . . .	٢٠١
٣٢	قالت فذلكنّ الذى لُمتننى فيه . . .	٢٠٩
٣٣	قال ربّ السجنُ أحبّ إلىّ . . .	٢١٠
٣٤	فاستجاب له ربه فصرف عنه . . .	٢١١
٣٥	ثم بدا لهم من بعد ما رأَوُا الآيات . . .	٢١٢
٣٦	ودخل معه السجن فتيان . . .	٢١٣
٣٧	قال لايأتيكما طعام تُرزقانه . . .	٢١٧
٣٨	واتبعت ملة آبائى إبراهيم . . .	٢١٨
٣٩	يا صاحبَىِ السجن أ أرباب . . .	٢١٩

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٤٠	ما تعبدون من دونه إلا أسماء . .	٢١٩
٤١	يا صاحبى السجن أما أحدكما . . .	٢٢٠
٤٢	وقال للذى ظنّ أنه ناج منهما . . .	٢٢١
٤٣	وقال الملك إنى أرى سبع بقرات . .	٢٢٥
٤٤	قالوا أضغاث أحلام . . .	٢٢٦
٤٥	وقال الذى نجا منهما . . .	٢٢٧
٤٦	يوسف أيها الصدّيق أفتنا . . .	٢٢٧
٤٧	قال تزرعون سبع سنين دأبا . . .	٢٣٠
٤٨	ثم يأتى من بعد ذلك سبع شداد . . .	٢٣٠
٤٩	ثم يأتى من بعد ذلك عام . . .	٢٣١
٥٠	وقال الملك ائتونى به فلما جاءه . . .	٢٣٤
٥١	قال ماخطبكن إذ راودتنّ يوسف ...	٢٣٦
٥٢	ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب . . .	٢٣٧

٢ ـ فهرس الموضوعات

الصفحة

١ تأويل قوله تعالى « وما من دابة » . . . الآية . والصواب فى معنى الدابة والمستقرّ والمستودَع .

٣ تأويل قوله « وهو الذي خلق السموات » ... الآية . وبيان بدء هذا العالم ، وخلق السموات فى أيام الأسبوع .

١١ إذا عمل الإنسان الطيبات لأجل الدنيا يستوفى أجر ذلك فيها ، وليس له فى الآخرة إلا ما عمل لها .

١٤ تأويل قوله « أفمن كان على بينة » . . . الآية . والخلاف فى المراد من البينة .

١٧ بيان الصواب فيها .

١٨ نهى الله رسوله عن الشكّ فى أن النار موعد من كفر .

٢٠ تأويل قوله « ومن أظلم » . . . الآية ، ومعنى الأشهاد .

٢١ ما يُفْعل بالمرء يوم القيامة .

٢٦ تأويل قوله « ولقد أرسلنا نوحا » وما تمّ لنوح مع قومه .

٣٢ تأويل قوله « أم يقولون افتراه » وبيان أنه من كلام الله لمحمد صلى الله عليه وسلم .

٣٥ مقدار الزمن الذى مكثه نوح فى قومه يدعوهم إلى التوحيد ، وما صنع قومه به .

٣٩ من أىّ موضع كان انفجار الماء أوّلا .

الصفحة

٤٧ الموضع واليوم اللذين رست فيهما السفينة ، وما فعله نوح ومن معه فى ذلك اليوم .

٤٩ ابن نوح الذى غرق ، أهو ابنه ، أم ابن امرأته ؟

٥٧ تأويل قوله « وإلى عاد » ، وسياق خبر هود معهم .

٦٢ تأويل قوله « وإلى ثمود » ، وخبر صالح معهم .

٦٨ تأويل قوله « ولما جاءت رسلنا إبراهيم » ، وخبره مع الملائكة .

٨١ تأويل قوله « ولما جاءت رسلنا لوطا » ، وتمام قصته مع الملائكة وقومه .

٩٨ تأويل قوله « وإلى مدين أخاهم شعيبا » ، ونصائحه لأهل مدين ، وما تمّ له معهم .

١١٥ تأويل قوله « يوم يأت » . . الآية .

١٢١ المراد بالاستثناء المذكور فى شأن أهل النار وأهل الجنة .

١٢٧ تأويل قوله « وأقم الصلاة » . . . الآية ، وما أشير بالآية إليه من الصلوات .

١٤٠ تأويل قوله « ولو شاء ربك لجعل الناس » . . . الآية ، وأن الاختلاف بالشقاء والسعادة من مقتضيات علمه .

الصفحة

١٤٩ تفسير سورة يوسف

١٥١ أسماء الكواكب التى رآها يوسف عليه السلام فى منامه .

١٥٥ مافعل إخوة يوسف به حين أرادوا إلقاءه فى الجبّ .

١٦٢ ما فعله نبىّ الله يعقوب حين أتى بنوه بالقميص ملطخا بالدم .

١٦٨ ما فعله الذين أخرجوا يوسف من الجبّ ، وإخفاؤهم أمره عمن معهم من التجار .

١٧٠ بيان أن إخوة يوسف باعوه للذى أخرجه بثمن زهيد .

الصفحة

١٧٤ بيان من اشترى يوسف من مصر .

١٧٦ السنّ الذى بلغ فيه يوسف أشدّه .

١٧٨ مافعلته امرأة العزيز حين راودت يوسف .

١٨٥ البرهان الذى رآه يوسف .

١٩٣ الخلاف فى الشاهد الذى شهد ليوسف .

٢٠١ المكر الذى سمعته امرأة العزيز ، والمتكأ الذى أعدّته .

٢١٣ خبر الغلامين اللذين دخلا معه السجن .

٢٢٤ الخلاف فى قدر المدة التى لبثها يوسف فى السجن .

٢٢٥ المنام الذى رآه الملك وطلب تعبيره .

٢٣٥ ما ورد فى صبره عليه السلام .

٣ - فهرس القوافى

القافية	الصفحة
ب	
الكَرَبْ	٩٤
وتُصيبُ	٤١
عَصِيبِ	٨٢
مُشَرَّبِ	٤١
الحُباحِبِ	١٢١
عَصِيبُ	٨٢
ثوبِى	٦٣
يُصْبِى	٢١١
تَبابَا	١١٣
ت	
هَيْتُ	١٨١
أبيتَا	١٧٩
هَيْتَا	١٧٩
ج	
يَهْرَجا	٦٩
ح	
اللوائحُ	٦٩
د	
المُمْتادْ	١٤٠
بَدِىْ	٢٧
ويَدِىْ	٢٧
وتودُّدِ	١٠٩
المنجودِ	٢٣٣
العُنُدَا	٦٢
فاعْبُدَا	٢١٠
ر	
مَصَادِرُهْ	١٢٣
سيارِ	٧٥
يا حارِ	٧٥
الظَّهْرِ	١٠٦
مُعَصَّرِ	٢٣٤
إكبارَا	٢٠٥
س	
العِيسُ	٤٥
الكاسِى	٤٦
والكنائِس	١٥٧
ع	
تَطَلَّعُ	٤٤
جُرْشُعُ	٧١
مَصْرَعُ	١٦٨
الأصابعُ	١٩٨
مَهارِعِ	٨٣
مَعَا	٤١
والصَّلَعَا	٧١
مَدْفَعَا	١٨
مَصْرَعَا	١٢٥
الرِّتاعَا	١٥٨
ف	
الأُنُوفِ	٨٣
فَزُلَفَا	١٢٩
ق	
نَهَقْ	١١٦
اللِّقَا	٧٣
ل	
طَلّ	١٩٨
مالُ	١٩٧
كواملُ	١٧٧
النحلِ	٧٣
أقتالِ	١١١
شَمالِ	٢٢٦
الطَّالِى	٢٠٠
الهلالِ	١٥٧
الأموالِ	١٧٧
بمأسَلِ	٢٣٠
عَقَنْقَلِ	١٦١

القافية	الصفحة
الطِّوالا	٨٢
مَعْقُولا	١٦٥
م	
والحتومُ	١٩٧
لازمُ	٢٣١
ومأثَمُ	٦٠
والشَّتْمِ	٢٠٨
الخِمْخِمِ	٧٨
المَخارِمِ	١٢٤
الدِّمَا	١١٦
هامَهْ	١٧٠
ن	
مُكْتَمِنُ	٢٢٦
بانِ	٨٨
حُقَّانِ	١٢٥
مُسْتَوِيانِ	٢٠٩
تَلتقيانِ	٢٠٩
لَقِينَا	٣٣ ، ١٢٤
وُدِينا	٧٤
لِسانِي	٣٢

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى تأويل قوله تعالى

﴿ وَمَا مِنْ دَآبَّةٍ فِى الْأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ، كُلٌّ فِى كِتَابٍ مُبِينٍ (٦)

﴿ يعنى تعالى ذكره بقوله (وَما مِنْ دَابَّةٍ فِى الأَرْضِ إلاَّ على اللهِ رِزْقُها) وما تدبّ دابة فى الأرض ، والدابة : الفاعلة من دبّ فهو يدبّ ، وهو دابّ ، وهى دابة (إلا على اللهِ رِزْقُها) يقول : إلا ومن الله رزقها الذى يصل إليها ، هو به متكفل ، وذلك قُوتُها وغذاؤها وما به عيشها .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال بعض أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال مجاهد ، فى قوله (وَما مِنْ دَابَّةٍ فِى الأَرْضِ إلاَّ على اللهِ رِزْقُها) قال : ما جاءها من رزق فمن الله ، وربما لم يرزقها حتى تموت جوعا ، ولكن ما كان من رزق فمن الله .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَما مِنْ دَابَّةٍ فِى الأَرْضِ إلاَّ على اللهِ رِزْقُها) قال : كلّ دابة .

حُدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (وَما مِنْ دابَّةٍ فِى الأَرْضِ إلاَّ على اللهِ رِزْقُها) يعنى : كلّ دابة والناس منهم .

وكان بعض أهل العلم بكلام العرب من أهل البصرة يزعم أن كل ماش فهو دابة ، وأن معنى الكلام : وما دابة فى الأرض ، وإن « من » زائدة .

وقوله (وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّها) حيث تستقرّ فيه ، وذلك مأواها الذى تأوى إليه ليلا أو نهارا ، (وَمُسْتَوْدَعَها) : الموضع الذى يُودِعها ، إما بموتها فيه ، أو دفنها .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال جماعة من أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن التيمىّ ، عن ليث ، عن الحكم ، عن مِقْسم ، عن ابن عباس ، قال (مُسْتَقَرَّها) : حيث تأوى (وَمُسْتَوْدَعَها) حيث تموت .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّها) يقول : حيث تأوى (وَمُسْتَوْدَعَها) يقول : إذا ماتت .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا المحاربىّ ، عن ليث ، عن الحكم ، عن مِقْسم ، عن ابن عباس (يَعْلَمُ مُسْتَقَرَّها وَمُسْتَوْدَعَها) قال : المستقرّ : حيث تأوى ، والمستودع : حيث تموت .

وقال آخرون : (مُسْتَقَرَّها) فى الرحم (وَمُسْتَوْدَعَها) : فى الصلب .

ذكر من قال ذلك

حدثنا المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّها) : فى الرحم (وَمُسْتَوْدَعَها) : فى الصلب ، مثل التى فى الأنعام .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه عن ابن عباس ، قوله (وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّها وَمُسْتَوْدَعَها) فالمستقرّ : ما كان فى الرحم ، والمستودع : ما كان فى الصلب .

حُدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّها) يقول : فى الرحم . (وَمُسْتَوْدَعَها) : فى الصلب .

وقال آخرون : المستقرّ : فى الرحم ، والمستودع : حيث تموت .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ويعلى وابن فضيل ، عن إسماعيل ، عن إبراهيم ، عن عبد الله (وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّها وَمُسْتَوْدَعَها) قال : مستقرّها : الأرحام ، ومستودعها : الأرض التى تموت فيها .

قال : ثنا عبيد الله ، عن إسرائيل ، عن السدى ، عن مرّة ، عن عبد الله (وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّها وَمُسْتَوْدَعَها) المستقرُّ : الرحم ، والمستودع : المكان الذى تموت فيه .

وقال آخرون (مُسْتَقَرَّها) : أيام حياتها (وَمُسْتَوْدَعَها) : حيث تموت فيه .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرحمن بن سعد ، قال : أخبرنا أبو جعفر ، عن الربيع ابن أنس ، قوله (وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّها وَمُسْتَوْدَعَها) قال : مستقرّها : أيام حياتها ، ومستودعها : حيث تموت ، ومن حيث تبعث .

⁂ وإنما اخترنا القول الذى اخترناه فيه ، لأن الله جلّ ثناؤه أخبر أن ما رزقت الدوابّ من رزق فمنه ، فأولى أن يتبع ذلك أن يعلم مثواها ومستقرّها دون الخبر عن علمه بما تضمنته الأصلاب والأرحام .

ويعنى بقوله (كُلٌّ فِى كِتابٍ مُبِينٍ) عدد كل دابة ، ومبلغ أرزاقها وقدر قرارها فى مستقرّها ،

ومدة لبثها فى مستودعها ، كلّ ذلك فى كتاب عند الله مثبت مكتوب مبين ، يبين لمن قرأه أن ذلك مثبت مكتوب قبل أن يخلقها ويوجدها ، وهذا إخبار من الله جلّ ثناؤه الذين كانوا يثنون صدورهم ليستخفوا منه ، أنه قد علم الأشياء كلها ، وأثبتها فى كتاب عنده قبل أن يخلقها ويوجدها ؛ يقول لهم تعالى ذكره : فمن كان قد علم ذلك منهم قبل أن يوجدهم ، فكيف يخفى عليه ما تنطوى عليه نفوسهم إذا ثنَوا به صدورهم ، واستغشوا عليه ثيابهم .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ، وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ (٧)

⁂ يقول تعالى ذكره : الله الذى إليه مرجعكم أيها الناس جميعا ، هو الذى خلق السماوات والأرض فى ستة أيام ، يقول أفيعجز من خلق ذلك من غير شىء ، أن يعيدكم أحياء بعد أن يميتكم؟ وقيل : إن الله تعالى ذكره خلق السموات والأرض وما فيهنّ فى الأيام الستة ، فاجتزى فى هذا الموضع بذكر خلق السماوات والأرض ، من ذكر خلق ما فيهنّ .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : أخبرنى إسماعيل بن أميّة ، عن أيوب بن خالد ، عن عبد الله بن رافع ، مولى أمّ سلمة ، عن أبى هريرة ، قال : أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدى ، فقال « خَلَقَ اللهُ التُّرْبَةَ يَوْمَ السَّبْتِ ، وَخَلَقَ الجِبالَ فِيها يَوْمَ الأحَدِ ، وَخَلَقَ الشَّجَرَ فيها يَوْمَ الاثْنَيْنِ ، وَخَلَقَ المَكْرُوهَ يَوْمَ الثُّلاثاءِ ، وَخَلَقَ النُّورَ يَوْمَ الأرْبِعاءِ ، وَبَثَّ فِيها مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ يَوْمَ الخَمِيسِ ، وَخَلَقَ آدَمَ بَعْدَ العَصْرِ مِنْ يَوْمِ الجُمُعَةِ فِى آخِرِ الخَلْقِ ، فِى آخِرِ ساعاتِ الجُمُعَةِ ، فِيما بينَ العَصْرِ إلى اللَّيْلِ » .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (فِى سِتَّةِ أيَّامٍ) قال : بدأ خلق الأرض فى يومين ، وقدر فيها أقواتها فى يومين .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن الأعمش ، عن أبى صالح ، عن كعب ، قال : بدأ الله خلق السماوات والأرض يوم الأحد والاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس ، وفرغ منها يوم الجمعة ، فخلق آدم فى آخر ساعة من يوم الجمعة ، قال : فجعل مكان كلّ يوم ألف سنة .

وحُدثت عن المسيب بن شريك ، عن أبى رَوْق ، عن الضحاك (وَهُوَ الَّذِى خَلَقَ السَّمواتِ والأرْضَ فِى سِتَّةِ أيَّامٍ) قال : من أيام الآخرة ، كلّ يوم مقداره ألف سنة ، ابتدأ فى الخلق يوم الأحد ، وختم الخلق يوم الجمعة ، فسميت الجمعة ، وسَبَتَ يومَ السبت ، فلم يخلق شيئا .

وقوله (وكانَ عَرْشُهُ على المَاءِ) يقول : وكان عرشه على الماء قبل أن يخلق السموات والأرض وما فيهن .

كما حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (وكانَ عَرْشُهُ على المَاءِ) قبل أن يخلق شيئا .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، نحوه .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وكانَ عَرْشُهُ على المَاءِ) ينبئكم ربكم تبارك وتعالى كيف كان بدء خلقه قبل أن يخلق السموات والأرض .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وكانَ عَرْشُهُ على المَاءِ) قال : هذا بدء خلقه قبل أن يخلق السماء والأرض .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا الحجاج ، قال : ثنا حماد ، عن يعلى بن عطاء ، عن وكيع بن حدس ، عن عمه أبى رزين العقيلى ، قال : « قلت : يا رسول الله ، أين كان ربنا قبل أن يخلق السموات والأرض ؟ قال : فِى عَماءٍ ، ما فَوْقَهُ هَوَاءٌ ، وما تَحْتَهُ هَوَاءٌ ، ثُمَّ خَلَقَ عَرْشَهُ على المَاءِ » .

حدثنا ابن وكيع ومحمد بن هارون القطان الرازقى قالا : ثنا يزيد بن هارون ، عن حماد بن سلمة ، عن يعلى بن عطاء ، عن وكيع بن حدس ، عن عمه أبى رزين ، قال : « قلت يا رسول الله أين كان ربنا قبل أن يخلق خلقه ؟ قال : كانَ فِى عَماءٍ ما فَوْقَهُ هَوَاءٌ ، وَما تَحْتَهُ هَوَاءٌ ، ثُمَّ خَلَقَ عَرْشَهُ على المَاءِ » .

حدثنا خلاد بن أسلم ، قال : أخبرنا النضر بن شميل ، قال : أخبرنا المسعودى ، قال : أخبرنا جامع بن شدّاد ، عن صفوان بن محرز ، عن ابن حصين ، وكان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « أتى قوم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدخلوا عليه ، فجعل يبشرهم ويقولون : أعطنا ، حتى ساء ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم خرجوا من عنده ، وجاء قوم آخرون فدخلوا عليه ، فقالوا : جئنا نسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونتفقه فى الدين ، ونسأله عن بدء هذا الأمر ، قال : فاقْبَلُوا البُشْرَى إذْ لَمْ يَقْبَلْها أُولئِكَ الَّذِينَ خَرَجُوا ، قالوا : قبلنا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كانَ اللهُ وَلا شَيْءَ غيرُهُ ، وكانَ عَرْشُهُ على المَاءِ ، وكَتَبَ فِى الذِّكْرِ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ ، ثُمَّ خَلَقَ سَبْعَ سموات ، ثُمَّ أتانى آت ، فقال : تِلْكَ ناقَتُكَ قَدْ ذَهَبَتْ ، فَخَرَجْتُ يَنْقَطِعُ دُونَها السَّرابُ ، وَلَوَدِدْتُ أنّى تَرَكْتُها » .

حدثنا محمد بن منصور ، قال : ثنا إسحاق بن سليمان ، قال : ثنا عمرو بن أبى قيس ، عن ابن أبى ليلى ، عن المنهال بن عمرو ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، فى قوله (وكانَ عَرْشُهُ على المَاءِ) قال : كان عرش الله على الماء ثم اتخذ لنفسه جنة ، ثم اتخذ دونها أخرى ، ثم أطبقهما بلؤلؤة واحدة ، قال : ومن دونهما جنتان ، قال : وهى التى لاتعلم نفس ، أو قال : وهما التى لاتعلم نفس ما أخفى لهم من قُرّة أعين ،

جزاء بما كانوا يعملون ، قال : وهى التى لاتعلم الخلائق ما فيها أو ما فيهما يأتيهم كلّ يوم منها أو منهما تحفة.

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن المنهال ، عن سعيد بن جبير ، قال سئل ابن عباس ، عن قول الله (وكانَ عَرْشُهُ على المَاءِ) قال : على أىّ شىء كان الماء ؟ قال : على متن الريح .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الأعمش ، عن سعيد بن جبير قال : سئل ابن عباس ، عن قوله تعالى (وكانَ عَرْشُهُ على المَاءِ) على أىّ شىء كان الماء ؟ قال : على متن الريح .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن سعيد ، عن ابن عباس، مثله .

قال : ثنا الحسين ، قال: ثنا ميسر الحلبىّ ، عن أرطاةَ بن المنذر ، قال: سمعت ضَمْرَةَ يقول : إن الله كان عرشه على الماء، وخلق السموات والأرض بالحقّ، وخلق القلم، فكتب به ما هو خالق ، وماهو كائن من خلقه، ثم إن ذلك الكتاب سبح الله ومجده ألف عام ، قبل أن يخلق شيئا من الخلق .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا إسماعيل بن عبد الكريم ، قال : ثنى عبد الصمد بن معقل، قال: سمعت وهب بن منبه يقول : إن العرش كان قبل أن يخلق الله السموات والأرض ، ثم قبض قبضة من صفاء الماء ، ثم فتح القبضة ، فارتفع دخان ، ثم قضاهنّ سبع سموات فى يومين ، ثم أخذ طينة من الماء ، فوضعها مكان البيت ، ثم دحا الأرض منها ، ثم خلق الأقوات فى يومين ، والسماوات فى يومين ، وخلق الأرض فى يومين ، ثم فرغ من آخر الخلق يوم السابع .

وقوله (لِيَبْلُوَكُمْ أيُّكُمْ أحْسَنُ عَمَلا) يقول تعالى ذكره: وهوالذى خلق السموات والأرض أيها الناس، وخلقكم فى ستة أيام . (ليبلوكم) يقول: ليختبركم. (أيُّكم أحسنُ عَملا) يقول: أيكم أحسن له طاعة.

كما حدثنا عن داود بن المحبر ، قال : ثنا عبد الواحد بن زيد ، عن كليب بن وائل ، عن عبد الله بن عمر ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم «أنه تلا هذه الآية (لِيَبْلُوَكُمْ أيُّكُمْ أحْسَنُ عَمَلا) قال : أيُّكُمْ أحْسَنُ عَقْلا ، وأوْرَعُ عَنْ مَحَارِمِ اللهِ ، وأسْرَعُ فِى طاعَةِ اللهِ » .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (لِيَبْلُوَكُمْ أيُّكُمْ أحْسَنُ عَمَلا) يعنى الثقلين .

وقوله (وَلَئِنْ قُلْتَ إنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ المَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إنْ هَذَا إلاَّ سِحْرٌ مُبِينٌ) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ولئن قلت لهؤلاء المشركين من قومك إنكم مبعوثون أحياء من بعد مماتكم ، فتلوت عليهم بذلك تنزيلى ووحيى ، ليقولنّ إن هذا إلا سحر مبين : أى ما هذا الذى تتلوه علينا مما تقول ، إلا سحر لسامعه ، مبين حقيقته أنه سحر . وهذا على تأويل من قرأ ذلك (إنْ هَذَا إلاَّ سِحْرٌ مُبِينٌ) . وأما من قرأ (إنْ هَذَا إلاَّ ساحِرٌ مُبِينٌ) فإنه يوجه الخبر بذلك عنهم

إلى أنهم وصفوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه فيما أتاهم به من ذلك ساحر مبين . وقد بيّنا الصواب من القراءة فى ذلك فى نظائره فيما مضى قبل ، بما أغنى عن إعادته هاهنا .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَىٰ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ ۗ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٨)

يقول تعالى ذكره : ولئن أخرنا عن هؤلاء المشركين من قومك يا محمد العذاب ، فلم نعجله لهم ، وأنسأنا فى آجالهم إلى أمة معدودة ، ووقت محدود ، وسنين معلومة ، وأصل الأمة ، ما قد بيّنا فيما مضى من كتابنا هذا ، أنها الجماعة من الناس ، تجتمع على مذهب ودين ، ثم تستعمل فى معان كثيرة ، ترجع إلى معنى الأصل الذى ذكرت ، وإنما قيل للسنين المعدودة والحين فى هذا الموضع ونحوه أمة ، لأن فيها تكون الأمة . وإنما معنى الكلام : ولئن أخرنا عنهم العذاب إلى مجىء أمة ، وانقراض أخرى قبلها .

وبنحو الذى قلنا من أن معنى الأمة فى هذا الموضع الأجل والحين ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، وحدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو نعيم ، قال : ثنا سفيان الثورىّ ، عن عاصم ، عن أبى رزين ، عن ابن عباس ، وحدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق قال : أخبرنا الثورى ، عن عاصم ، عن أبى رزين ، عن ابن عباس (وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ) قال : إلى أجل محدود .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن عاصم ، عن أبى رزين ، عن ابن عباس ، بمثله .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ) قال : أجل معدود .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا المحاربى ، عن جويبر ، عن الضحاك ، قال : إلى أجل معدود .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ) قال : إلى حين .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج (وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ) يقول : أمسكنا عنهم العذاب إلى أمة معدودة ، قال ابن جريج ، قال مجاهد : إلى حين .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَلَئِنْ أَخَّرْنا عَنْهُمُ العَذَابَ إلى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ) يقول : إلى أجل معلوم .

وقوله (لَيَقُولُنَّ ما يَحْبِسُهُ) يقول : ليقولنّ هؤلاء المشركون ما يحبسه ؟ أىّ شىء يمنعه من تعجيل العذاب الذى يتوعدنا به ، تكذيبا منهم به ، وظنا منهم أن ذلك إنما أخر عنهم لكذب المتوعد .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قوله (لَيَقُولُنَّ ما يَحْبِسُهُ) قال : للتكذيب به ، أو أنه ليس بشىء .

وقوله (ألا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفاً عَنْهُمْ) يقول تعالى ذكره تحقيقا لوعيده ، وتصحيحا لخبره ، ألا يوم يأتيهم العذاب الذى يكذّبون به ليس مصروفا عنهم ، يقول : ليس يصرفه عنهم صارف ، ولا يدفعه عنهم دافع ، ولكنه يحلّ بهم فيهلكهم (وَحاقَ بِهِمْ ما كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ) يقول : ونزل بهم وأصابهم الذى كانوا به يسخرون من عذاب الله ، وكان استهزاؤهم به الذى ذكره الله قبلهم قبل نزوله ما يحبسه نقلا بأنبيائه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، كان بعض أهل التأويل يقول .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَحاقَ بِهِمْ ما كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ) قال : ما جاءت به أنبياؤهم من الحقّ .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ، ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ ، إِنَّهُ لَيَؤُسٌ كَفُورٌ (٩)

يقول تعالى ذكره : ولئن أذقنا الإنسان منا رخاء وسعة فى الرزق والعيش ، فبسطنا عليه من الدنيا ، وهى الرحمة التى ذكرها تعالى ذكره فى هذا الموضع (ثُمَّ نَزَعْناها مِنْهُ) يقول : ثم سلبناه ذلك ، فأصابته مصائب أجاحته ، فذهبت به (إنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ) يقول : يظلّ قنطا من رحمة الله آيسا من الخير . وقوله : يئوس : فعول ، من قول القائل : يئس فلان من كذا فهو يئوس ، إذا كان ذلك صفة له . وقوله كفور ، يقول : هو كفور لمن أنعم عليه ، قليل الشكر لربه المتفضل عليه بما كان وهب له من نعمته .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج (وَلَئِنْ أذَقْنا الإنْسانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْناها مِنْهُ إنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ) قال : يابن آدم إذا كانت بك نعمة من الله من السعة والأمن والعافية ، فكفور لما بك منها ، وإذا نزعت منك يبتغ لك فراغك ، فيئوس من روح الله ، قنوط من رحمته ، كذلك المرء المنافق والكافر .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّئَاتُ عَنِّى، إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ (١٠) إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ، أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ (١١)

يقول تعالى ذكره : ولئن نحن بسطنا للإنسان فى دنياه، ورزقناه رخاء فى عيشه ، ووسعنا عليه فى رزقه ، وذلك هى النعم التى قال الله جلّ ثناؤه (وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ)، وقوله (بَعْدَ ضَرَّاءَ) يقول : بعد ضيق من العيش كان فيه، وعسرة كان يعالجها (لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّى) يقول تعالى ذكره : ليقولنّ عند ذلك : ذهب الضيق والعسرة عنى ، وزالت الشدائد والمكاره (إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ) يقول تعالى ذكره : إن الإنسان لفرح بالنعم التى يُعطاها ، مسرور بها فخور ، يقول : ذو فخر بما نال من السعة فى الدنيا ، وما بسط له فيها من العيش ، وينسى صروفها ، ونكد العوارض فيها، ويدع طلب النعيم الذى يبقى ، والسرور الذى يدوم ، فلا يزول .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال :ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّى) غرّة بالله وجراءة عليه (إِنَّهُ لَفَرِحٌ) والله لايحبّ الفرحين (فَخُورٌ) بعد ما أعطى الله ، وهو لايشكر الله .

ثم استثنى جلّ ثناؤه من الإنسان الذى وصفه بهاتين الصفتين الذين صبروا وعملوا الصالحات ، وإنما جاز استثناؤهم منه ، لأن الإنسان بمعنى الجنس ومعنى الجمع ، وهو كقوله (وَالعَصْرِ إِنَّ الإِنْسَانَ لَفِى خُسْرٍ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) فقال تعالى ذكره : إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات ، فإنهم إن تأتهم شدّة من الدنيا وعسرة فيها ، لم يثنهم ذلك عن طاعة الله ، ولكنهم صبروا لأمره وقضائه ، فإن نالوا فيها رخاء وسعة شكروه ، وأدّوا حقوقه بما آتاهم منها ، يقول الله (أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ) يغفرها لهم ، ولا يفضحهم بها فى معادهم (وأَجْرٌ كَبِيرٌ) يقول : ولهم من الله مع مغفرة ذنوبهم ثواب على أعمالهم الصالحة التى عملوها فى دار الدنيا جزيل ، وجزاء عظيم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج : إلا الذين صبروا عند البلاء ، وعملوا الصالحات عند النعمة ، لهم مغفرة لذنوبهم ، وأجر كبير ، قال : الجنة .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَلَعَلَّكَ تَارِكٌۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَضَآئِقٌۢ بِهِۦ صَدْرُكَ أَن يَقُولُوا۟: لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ، أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌ، إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ، وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ (١٢)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : فلعلك يا محمد تارك بعض ما يوحى إليك ربك

أن تبلغه من أمرك بتبليغه ذلك ، وضائق بما يوحى إليك صدرك ، فلا تبلغه إياهم مخافة (أنْ يَقُولُوا لَوْلا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ ، أوْ جاءَ مَعَهُ مَلَكٌ) له مصدّق بأنه لله رسول ؛ يقول تعالى ذكره : فبلغهم ما أوحيته إليك ، فإنك (إنَّمَا أنْتَ نَذِيرٌ) تنذرهم عقابى ، وتحذّرهم بأسى على كفرهم بى ، وإنما الآيات التى يسألونكها عندى ، وفى سلطانى أنزلها إذا شئت ، وليس عليك إلا البلاغ والإنذار (وَاللهُ على كُلّ شَيْءٍ وَكِيلٌ) يقول : والله القيم بكلّ شىء ، وبيده تدبيره ، فانفذ لما أُمرتك به ، ولا يمنعك مسئلتهم إياك الآيات ، من تبليغهم وحيى ، والنفوذ لأمرى .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال بعض أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قال : قال الله لنبيه : (فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ ما يُوحَى إلَيْكَ) أن تفعل فيه ما أمرت وتدعو إليه كما أرسلت ، قالوا (لَوْلا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ) لانرى معه مالا ، أين المال ؟ (أوْ جاءَ مَعَهُ مَلَكٌ) ينذر معه (إنَّمَا أنْتَ نَذِيرٌ) ، فبلغ ما أمرت .

القول فى تأويل قوله تعالى

أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ، قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ ، وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ (١٣)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : كفاك حجةً على حقيقة ما أتيتهم به ، ودلالةً على صحّة نبوّتك ، هذا القرآن من سائر الآيات غيره ، إذا كانت الآيات إنما تكون لمن أعطيها دلالة على صدقه ، لعجز جميع الخلق عن أن يأتوا بمثلها ، وهذا القرآن جميع الخلق عجزت عن أن يأتوا بمثله ، فإن هم قالوا : افتريته : أى اختلقته وتكذّبته ، ودلّ على أن معنى الكلام ماذكرنا قوله (أمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ) . . . إلى آخر الآية . ويعنى تعالى ذكره بقوله (أمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ) أى أيقولون افتراه . وقد دللنا على سبب إدخال العرب أم فى مثل هذا الموضع ، فقل لهم : يأتوا بعشر سور مثل هذا القرآن مفتريات ، يعنى مفتعلات مختلفات ، إن كان ما أتيتكم به من هذا القرآن مفترى ، وليس بآية معجزة كسائر ماسئلته من الآيات ، كالكنز الذى قلتم : هلا أنزل عليه ، أو الملك الذى قلتم : هلا جاء معه نذيرا له مصدّقا ، فإنكم قومى ، وأنتم من أهل لسانى ، وأنا رجل منكم ، ومحال أن أقدر أخلق وحدى مئة سورة وأربع عشرة سورة ، ولا تقدروا بأجمعكم أن تفتروا وتختلقوا عشر سور مثلها ، ولا سيما إذا استعنتم فى ذلك بمن شئتم من الخلق . يقول جلّ ثناؤه : قل لهم : وادعوا من استطعتم أن تدعوهم من دون الله ، يعنى سوى الله ، لافتراء ذلك واختلاقه من الآلهة ، فإن أنتم لم تقدروا على أن تفتروا عشر سور مثله ، فقد تبين لكم أنكم كَذَبَة فى قولكم

افتراه ، وصحت عندكم حقيقة ما أتيتكم به ، أنه من عند الله ، ولم يكن لكم أن تتخيروا الآيات على ربكم ، وقد جاءكم من الحجة على حقيقة ماتكذّبون به ، أنه من عند الله ، مثل الذى تسألون من الحجة ، وترغبون أنكم تصدقون بمجيئها .

وقوله (إنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) لقوله (فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ) وإنما هو : قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات ، إن كنتم صادقين أن هذا القرآن افتراه محمد ، وادعوا من استطعتم من دون الله على ذلك ، من الآلهة والأنداد .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ) قد قالوه (قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ) قال : يشهدون أنها مثله ، هكذا قال القاسم فى حديثه .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (١٤)

⁂ يقول تعالى ذكره لنبيه : قل يا محمد لهؤلاء المشركين : فإن لم يستجب لكم من تدعون من دون الله ، إلى أن يأتوا بعشر سور مثل هذا القرآن مفتريات ، ولم تطيقوا أنتم وهم أن تأتوا بذلك ، فاعلموا وأيقنوا أنه إنما أُنزل من السماء على محمد صلى الله عليه وسلم بعلم الله وإذنه ، وأن محمدا لم يفتره ، ولا يقدر أن يفتريه ، (وأنْ لا إله إلاّ هُوَ) يقول : وأيقنوا أيضا أن لا معبود يستحقّ الألوهة على الخلق إلا الله الذى له الخلق والأمر ، فاخلعوا الأنداد والآلهة ، وأفردوا له العبادة .

وقد قيل : إن قوله (فإنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ) خطاب من الله لنبيه ، كأنه قال : فإن لم يستجب لك هؤلاء الكفار يا محمد ، فاعلموا أيها المشركون أنما أنزل بعلم الله ، وذلك تأويل بعيد من المفهوم .

وقوله (فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ) يقول : فهل أنتم مذعنون لله بالطاعة ، ومخلصون له العبادة ، بعد ثبوت الحجة عليكم . وكان مجاهد يقول : عُنِى بهذا القول أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم :

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ) قال : لأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قال : و حدثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (وأنْ لا إلَهَ إلاّ هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ) قال لأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

وقيل (فانْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ) والخطاب فى أوّل الكلام قد جرى لواحد ، وذلك قوله (قُلْ

فأتوا) ولم يقل : فإن لم يستجيبوا لك على نحو ما قد بيّنا قبل فى خطاب رئيس القوم وصاحب أمرهم ، أن العرب تخرج خطابه أحيانا مخرج خطاب الجمع ، إذا كان خطابه خطاب الأتباع وجنده ، وأحيانا مخرج خطاب الواحد ، إذا كان فى نفسه واحدا .

القول فى تأويل قوله تعالى

مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيٰوةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ (١٨)

يقول تعالى ذكره (مَنْ كانَ يُرِيدُ) بعمله (الحَياةَ الدُّنْيا) وأثاثها (وَزِينَتَها) يطلب به (نُوَفِّ إلَيْهِمْ) أجور (أعْمالَهُمْ فِيها) وثوابها (وَهُمْ فِيها) يقول : وهم فى الدنيا (لا يُبْخَسُونَ) يقول : لا يُنقصون أجرها ، و لكنهم يُوَفَّونه فيها .

وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله (مَنْ كانَ يُرِيدُ الحَياةَ الدُّنْيا وَزِينَتَها) . . . الآية ، وهى مايعطيهم الله من الدنيا بحسناتهم ، وذلك أنهم لايظلمون نقيرا ؛ يقول : من عمل صالحا التمس الدنيا : صوما أو صلاة أو تهجدا بالليل لايعمله إلاالتماس الدنيا ، يقول الله : أُوَفّيه الذى التمس فى الدنيا من المثابة ، وحبط عمله الذى كان يعمل التماس الدنيا ، وهو فى الآخرة من الخاسرين .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن سعيد بن جبير (مَنْ كانَ يُرِيدُ الحَياةَ الدُّنْيا وزِينَتَها نُوَفِّ إلَيْهِمْ أعْمالَهُمْ فِيها) قال : ثواب ما عملوا فى الدنيا من خير أُعْطُوه فى الدنيا ، وَلَيْسَ لَهُمْ فِى الآخِرَةِ إلاَّ النَّارُ ، وَحَبِطَ ما صَنَعُوا فِيها) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن سعيد بن جبير ، قوله (مَنْ كانَ يُرِيدُ الحَياةَ الدُّنْيا وَزِينَتَها نُوَفِّ إلَيْهِمْ أعْمالَهُمْ فِيها) قال : وربما عملوا من خير أُعْطُوه فى الدنيا ، (وَلَيْسَ لَهُمْ فِى الآخِرَةِ إلاَّ النَّارُ ، وَحَبِطَ ماصَنَعُوا فِيها) قال : هى مثل الآية التى فى الروم (وَما آتَيْتُمْ مِنْ رِباً لِيَرْبُوَ فى أمْوالِ النّاسِ فَلا يَرْبُو عِنْدَ اللهِ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن منصور ، عن سعيد بن جبير (مَنْ كانَ يُرِيدُ الحَياةَ الدُّنْيا وَزِينَتَها) قال : من عمل للدنيا وُفِّيَهُ فى الدنيا .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (مَنْ كانَ يُرِيدُ الحَياةَ الدُّنْيا وَزِينَتَها) قال : من عمل عملا مما أمر الله به من صلاة أو صدقة ، لايريد بها وجه الله ، أعطاه الله فى الدنيا ثواب ذلك مثل ما أنفق ، فذلك قوله (نُوَفِّ إلَيْهِمْ أعْمالَهُمْ فِيها) فى الدنيا (وَهُمْ فِيها لا يُبْخَسُونَ) أجر ما عملوا فيها ، (أولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى الآخِرَةِ إلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ ما صَنَعُوا فِيها) . . . الآية .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثورىّ ، عن عيسى ، يعنى ابن ميمون ، عن مجاهد ، فى قوله (مَنْ كانَ يُرِيدُ الحَياةَ الدُّنْيا وَزِينَتَها) قال : ممن لايقبل منه ، جُوزِى به يُعطى ثوابه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن عيسى الْحَرَشِىّ ، عن مجاهد (مَنْ كانَ يُرِيدُ الحَياةَ الدُّنْيا وَزِينَتَها نُوَفِّ إلَيْهِمْ أعْمالَهُمْ فِيها) قال : ممن لايقبل منه ، يعجل له فى الدنيا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (مَنْ كانَ يُرِيدُ الحَياةَ الدُّنْيا وَزِينَتَها نُوَفِّ إلَيْهِمْ أعْمالَهُمْ فِيها ، وَهُمْ فِيها لايُبْخَسُونَ) أى لايظلمون ، يقول : من كانت الدنيا همه وسدمه ، وطلبته ونيته ، جازاه الله بحسناته فى الدنيا ، ثم يُفْضِى إلى الآخرة ، وليس له حسنة يُعطى بها جزاء . وأما المؤمن فيجازى بحسناته فى الدنيا ، يثاوب عليها فى الآخرة (وَهُمْ فِيها لايُبْخَسُونَ) : أى فى الآخرة لايظلمون .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، وحدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق جميعا ، عن معمر ، عن قتادة (مَنْ كانَ يُرِيدُ الحَياةَ الدُّنْيا وَزِينَتَها نُوَفِّ إلَيْهِمْ أعْمالَهُمْ فيها) . . . الآية ، قال : من كان إنما همته الدنيا ، إياها يطلب ، عطاه الله مالا ، وأعطاه فيها مايعيش ، وكان ذلك قصاصا له بعمله (وَهُمْ فِيها لايُبْخَسُونَ) قال : لايظلمون .

قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن ليث بن أبى سليم ، عن محمد بن كعب الْقُرَظِىّ أن النبىّ صلى الله عليه وسلم قال : « مَنْ أحْسَنَ مِنْ مُحْسِنٍ فَقَدْ وَقَعَ أجْرُهُ على اللهِ فِى عاجِلِ الدُّنْيا ، وآجِلِ الآخِرَةِ » .

حُدِّثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (مَنْ كانَ يُرِيدُ الحَياةَ الدُّنْيا وَزِينَتَها نُوَفِّ إلَيْهِمْ أعْمالَهُمْ فِيها) . . . الآية ، يقول : من عمل عملا صالحا فى غير تقوى ، يعنى من أهل الشرك ، أعطى على ذلك أجرا فى الدنيا ؛ يصل رحما ، يعطى سائلا ، يرحم مضطرّا ، فى نحو هذا من أعمال البرّ ، يعجل الله له ثواب عمله فى الدنيا ، يوسع عليه فى المعيشة والرزق ، ويقرّ عينه فيما خوّله ، ويدفع عنه من مكاره الدنيا فى نحو هذا ، وليس له فى الآخرة من نصيب .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا حفص بن عمر أبو عمر الضرير ، قال : ثنا همام ، عن قتادة ، عن أنس فى قوله (نُوَفِّ إلَيْهِمْ أعْمالَهُمْ فِيها وَهُمْ فِيها لايُبْخَسُونَ) قال : هى فى اليهود والنصارى .

قال : ثنا حفص بن عمر ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، عن أبى رجاء الأزدىّ ، عن الحسن (نُوَفِّ إلَيْهِمْ أعْمالَهُمْ فِيها) قال : طيباتهم .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيَّة ، عن أبى رجاء ، عن الحسن ، مثله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن عُلَيَّة ، عن أبى رجاء ، عن الحسن مثله .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن وهيب أنه بلغه أن مجاهدا كان يقول فى هذه الآية : هم أهل الرياء ، هم أهل الرياء .

قال أخبرنا ابن المبارك ، عن حيوة بن شريح ، قال : ثنى الوليد بن أبى الوليد أبو عثمان ، أن عقبة بن مسلم حدثه ، أن شفى بن ماتع الأصبحى ، حدثه أنه دخل المدينة ، فإذا هو برجل قد اجتمع عليه الناس ، فقال من هذا ؟ فقالوا أبو هريرة ، فدنوت منه ، حتى قعدت بين يديه وهو يحدّث الناس ، فلما سكت وخُلِّى ، قلت : أنشدك بحقّ وبحقّ لمَا حدثتنى حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم عقلته وعلمته ، قال : فقال أبو هريرة : أفعل ، لأحدثنك حديثا حدثنيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم نَشَغَ نَشْغَةً[1] ، ثم أفاق ، فقال : لأحدثنك حديثا حدثنيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذا البيت ، ما فيه أحد غيرى وغيره ، ثم نَشَغَ أبو هريرة نشغة شديدة ، ثم مال خارّا على وجهه ، واشتدّ به طويلا ، ثم أفاق ، فقال : حدثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله تبارك وتعالى إذا كان يوم القيامة نزل إلى أهل القيامة ليقضى بينهم ، وكل أمة جاثية ؛ فأوّل من يدعى به ، رجل جمع القرآن ، ورجل قُتِل فى سبيل الله ، ورجل كثير المال ؛ فيقول الله للقارئ : ألم أعلمك ما أنزلت على رسولى ؟ قال : بلى يا ربّ ، قال : فماذا عملت فيما علمت ؟ قال : كنت أقوم آناء الليل وآناء النهار ، فيقول الله له : كذبت ، وتقول له الملائكة : كذبت ، ويقول الله له : بل أردت أن يقال : فلان قارئ ، فقد قيل ذلك ؛ ويؤتى بصاحب المال فيقول الله له : ألم أوسع عليك حتى لم أدعْك تحتاج إلى أحد ؟ قال : بلى يا ربّ ، قال : فماذا عملت فيما آتيتك ؟ قال : كنت أصل الرحم ، وأتصدّق ، فيقول الله له : كذبت ، وتقول له الملائكة : كذبت ، ويقول الله له : بل أردت أن يقال : فلان جواد ، فقد قيل ذلك ؛ ويؤتى بالذى قُتل فى سبيل الله ، فيقال له : فيماذا قتلت ؟ فيقول : أمرت بالجهاد فى سبيلك ، فقاتلت حتى قتلت ، فيقول الله له : كذبت ، وتقول له الملائكة : كذبت ، ويقول الله له : بل أردت أن يقال : فلان جرىء ، وقد قيل ذلك ، ثم ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم على ركبتى ، فقال : يا أبا هريرة أولئك الثلاثة أوّل خلق الله تسعر لهم النار يوم القيامة » .

قال الوليد أبو عثمان : فأخبرنى عقبة أن شفيا هو الذى دخل على معاوية ، فأخبره بهذا .

قال أبو عثمان : وحدثنى العلاء بن أبى حكيم أنه كان سيافا لمعاوية ، قال : فدخل عليه رجل فحدثه بهذا عن أبى هريرة ، فقال أبو هريرة وقد فعل بهؤلاء هذا ، فكيف بمن بقى من الناس ؟ ثم بكى معاوية بكاء شديدا حتى ظننا أنه هلك ، وقلنا : هذا الرجل شرّ ؛ ثم أفاق معاوية ومسح عن وجهه ، فقال : صدق الله ورسوله (مَنْ كانَ يُرِيدُ الحَياةَ الدُّنْيا وَزِينَتَها نُوَفِّ إلَيْهِمْ أعْمالَهُمْ فِيها) وقرأ إلى (وَباطِلٌ ما كانُوا يَعْمَلُونَ) .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا سفيان ، عن عيسى بن ميمون ، عن مجاهد (مَنْ كانَ يُرِيدُ الحَياةَ الدُّنْيا وَزِينَتَها) . . . الآية ، قال : ممن لا يتقبل منه ، يصوم ويصلى ، يريد به الدنيا ، ويدفع عنه وَهم الآخرة (وَهُمْ فِيها لا يُبْخَسُونَ) : لا ينقصون .

(١) النشغ : الشهيق ، حتى يكاد يبلغ به الغشى ، إنما يفعل الإنسان ذلك تشوقا إلى شى فائت ، وأسفا عليه . ذكر أبو هريرة النبى صلى الله عليه وسلم فنشغ ، أى شهق وغشى عليه (النهاية) .

القول فى تأويل قوله تعالى

أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٦)

يقول تعالى ذكره : هؤلاء الذين ذكرت أنا نوفيهم أجور أعمالهم فى الدنيا (لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النارُ) يصلونها (وَحَبِطَ ماصَنَعُوا فِيها) يقول : وذهب ما عملوا فى الدنيا (وَباطِلٌ ما كانُوا يَعْمَلُونَ) لأنهم كانوا يعملون لغير الله ، فأبطله الله ، وأحبط عامله أجره .

القول فى تأويل قوله تعالى

أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً ، أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ، وَمَن يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ ، فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ ، إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ، وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ (١٧)

يقول تعالى ذكره (أفَمَنْ كانَ على بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ) قد بين له دينه فتبينه (وَيَتْلُوهُ شاهِدٌ مِنْهُ).

وا ختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك ، فقال بعضهم : يعنى بقوله (أفَمَنْ كانَ على بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ) محمدا صلى الله عليه وسلم .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن خلف ، قال : ثنا حسين بن محمد ، قال : ثنا شيبان ، عن قتادة ، عن عروة ، عن محمد بن الحنفية ، قال : قلت لأبى : يا أبت أنت التالى فى (وَيَتْلُوهُ شاهِدٌ مِنْهُ) قال : لا والله يا بنىّ ، وددت أنى كنت أنا هو ، ولكنه لسانه .

حدثنى يعقوب وابن وكيع ، قالا : ثنا ابن عُلَية ، عن أبى رجاء ، عن الحسن (وَيَتْلُوهُ شاهِدٌ مِنْهُ) قال : لسانه .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا ابن أبى عدىّ ، عن عوف ، عن الحسن ، فى قوله (وَيَتْلُوهُ شاهِدٌ مِنْهُ) قال : لسانه .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا الحكم بن عبد الله أبو النعمان العجلىّ ، قال : ثنا شعبة ، عن أبى رجاء ، عن الحسن ، مثله .

حدثنى علىّ بن الحسن الأزدى ، قال : ثنا المعافى بن عمران ، عن قرة بن خالد ، عن الحسن ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (أفَمَنْ كانَ على بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ) وهو محمد كان على بينة من ربه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن ، قوله (وَيَتْلُوهُ شاهِدٌ مِنْهُ) قال : لسانه .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَيَتْلُوهُ شاهِدٌ مِنْهُ) قال : لسانه هو الشاهد .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن شعبة ، عن أبى رجاء ، عن الحسن ، مثله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا غندر ، عن عوف ، عن الحسن ، مثله .

وقال آخرون : يعنى بقوله (وَيَتْلُوهُ شاهِدٌ مِنْهُ) محمد صلى الله عليه وسلم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا ابن أبى عدىّ ، عن عوف ، عن سليمان العلاف ، عن الحسين بن علىّ فى قوله (وَيَتْلُوهُ شاهِدٌ مِنْهُ) قال : الشاهد محمد صلى الله عليه وسلم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا غندر ، عن عوف ، قال : ثنى سليمان العلاف ، قال : بلغنى أن الحسين ابن علىّ قال (وَيَتْلُوهُ شاهِدٌ مِنْهُ) قال : محمد صلى الله عليه وسلم .

قال : ثنا أبو أسامة ، عن عوف ، عن سليمان العلاف ، سمع الحسين بن علىّ (وَيَتْلُوهُ شاهِدٌ مِنْهُ) يقول : محمد هو الشاهد من الله .

حدثنى يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (أفَمَنْ كانَ على بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ ويَتْلُوهُ شاهِدٌ مِنْهُ) قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم كان على بينة من ربه ، والقرآن يتلوه شاهد منه أيضا من الله ، بأنه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن ليث ، عن مجاهد (أفَمَنْ كانَ على بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ) قال النبىّ صلى الله عليه وسلم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن نضر بن عربى ، عن عكرمة ، مثله .

قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم ، مثله .

حدثنا الحارث ، قال : ثنا أبو خالد ، سمعت سفيان يقول (أفَمَنْ كانَ على بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ) قال : محمد صلى الله عليه وسلم .

قال آخرون : هو علىّ بن أبى طالب .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عمارة الأسدى ، قال : ثنا رزيق بن مرزوق ، قال : ثنا صباح الفرائى ، عن جابر عن عبد الله بن يحيى ، قال : قال علىّ رضى الله عنه : ما من رجل من قريش إلا وقد نزلت فيه الآية والآيتان ، فقال له رجل : فأنت فأىّ شىء نزل فيك ، فقال علىّ : أما تقرأ الآية التى نزلت فى هود (وَيَتْلُوهُ شاهِدٌ مِنْهُ) .

وقال آخرون : هو جبرئيل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن عكرمة ، عن ابن عباس (وَيَتْلُوهُ شاهِدٌ مِنْهُ) إنه كان يقول جبرئيل .

حدثنا أبو كريب وابن وكيع ، قالا : ثنا ابن إدريس ، عن الحسن بن عبيد الله ، عن إبراهيم (وَيَتْلُوهُ شاهِدٌ مِنْهُ) قال : جبرئيل .

وحدثنا به أبو كريب مرّة أخرى بإسناده عن إبراهيم ، فقال : قال يقولون علىّ إنما هو جبرئيل .

حدثنا أبو كريب وابن وكيع ، قالا : ثنا ابن إدريس ، عن ليث ، عن مجاهد ، قال : هوجبرئيل ، تلا التوراة والإنجيل والقرآن ، وهو الشاهد من الله .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، وحدثنا محمد بن عبد الله المخرمىّ ، قال : ثنا جعفر بن عون ، قال : ثنا سفيان .

وحدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثورىّ ، وحدثنى المثنى ، قال : ثنا أبونعيم ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم (وَيَتْلُوهُ شاهِدٌ مِنْهُ) قال : جبرئيل .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن منصور ، عن إبراهيم ، مثله .

قال : ثنا سهل بن يوسف ، قال : ثنا شعبة ، عن منصور ، عن إبراهيم ، مثله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن إبراهيم ، مثله .

قال : ثنا جرير ، عن ليث ، عن مجاهد ، قال : جبرئيل .

قال : ثنا عبد الله ، عن إسرائيل ، عن السدىّ ، عن أبى صالح (وَيَتْلُوهُ شاهِدٌ مِنْهُ) قال : جبرئيل .

قال : ثنا أبومعاوية ، عن جويبر ، عن الضحاك (وَيَتْلُوهُ شاهِدٌ مِنْهُ) قال : جبرئيل .

حُدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : أخبرنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول ، فى قوله (أفَمَنْ كانَ على بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ) يعنى محمدا هو على بينة من الله (وَيَتْلُوهُ شاهِدٌ مِنْهُ) جبرئيل شاهد من الله يتلو على محمد مابعث به .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن أبى جعفر ، عن الربيع ، عن أبى العالية ، قال : هو جبرئيل .

قال : ثنا أبى ، عن نصر بن عربى ، عن عكرمة ، قال : هو جبرئيل .

قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم ، قال : جبرئيل .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (أفَمَنْ كانَ على بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ) يعنى محمدا على بينة من ربه (وَيَتْلُوهُ شاهِدٌ مِنْهُ) فهو

جبرئيل شاهد من الله بالذى يتلو من كتاب الله الذى أنزل على محمد، قال: ويقال (وَيَتْلُوهُ شاهِدٌ مِنهُ) يقول: يحفظه الملك الذى معه.

حدثنى المثنى، قال: ثنا أبو النعمان عارم، قال: ثنا حماد بن زيد، عن أيوب، قال: كان مجاهد يقول فى قوله (أفَمَنْ كانَ على بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ) قال: يعنى محمدا (وَيَتْلُوهُ شاهِدٌ مِنْهُ) قال: جبرئيل. وقال آخرون: هو ملك يحفظه.

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد (وَيَتْلُوه شاهِدٌ مِنْهُ) قال: معه حافظ من الله ملك.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا يزيد بن هارون، وسُوَيد بن عمرو، عن حماد بن سَلَمة، عن أيوب، عن مجاهد (وَيَتْلُوهُ شاهِدٌ مِنْهُ) قال: ملك يحفظه.

قال: ثنا محمد بن بكر، عن ابن جريج، عمن سمع مجاهدا (وَيَتْلُوهُ شاهِدٌ مِنْهُ) قال: الملك.

حدثنى المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد (وَيَتْلُوهُ شاهِدٌ مِنْهُ) يتبعه حافظ من الله مَلَك.

حدثنى المثنى، قال: ثنا الحجاج بن المنهال، قال: ثنا حماد، عن أيوب، عن مجاهد (وَيَتْلُوهُ شاهِدٌ مِنْهُ) قال: الملك يحفظه يتلونه حقّ تلاوته، قال: يتبعونه حقّ اتباعه.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنى حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد (وَيَتْلُوهُ شاهِدٌ مِنْهُ) قال: حافظ من الله ملك.

⁂ وأولى هذه الأقوال التى ذكرناها بالصواب فى تأويل قوله (وَيَتْلُوهُ شاهِدٌ مِنْهُ): قول من قال: هو جبرئيل، لدلالة قوله (وَمِنْ قَبْلِهِ كِتابُ مُوسَى إماما وَرَحْمَةً) على صحة ذلك، وذلك أن نبىّ الله صلى الله عليه وسلم لم يتلُ قبل القرآن كتاب موسى، فيكون ذلك دليلا على صحة قول من قال: عُنِى به لسان محمد صلى الله عليه وسلم، أو محمد نفسه، أو علىّ، على قول من قال: عُنِى به علىّ، ولا يعلم أن أحدا كان تلا ذلك قبل القرآن، أو جاء به ممن ذكر أهل التأويل أنه عُنِى بقوله (وَيَتْلُوهُ شاهِدٌ مِنْهُ) غير جبرئيل عليه السلام.

فإن قال قائل: فإن كان ذلك دليلك على أن المَعْنىّ به جبرئيل، فقد يجب أن تكون القراءة فى قوله (مِن قَبْلِهِ كِتابُ مُوسَى) بالنصب، لأن معنى الكلام على ما تأوّلت، يجب أن يكون: ويتلو القرآن شاهد من الله، ومن قَبل القرآن كتاب موسى؟ قيل: إن القراء فى الأمصار قد أجمعت على قراءة ذلك بالرفع، فلم يكن لأحد خلافُها، ولو كانت القراءة جاءت فى ذلك بالنصب كانت قراءة صحيحة، ومعنى صحيحا.

فإن قال: فما وجه رفعهم إذًا الكتاب، على ما ادّعيت من التأويل؟ قيل: وجه رفعهم هذا، أنهم ابتدءوا

الخبر عن مجىء كتاب موسى قبل كتابنا المنزل على محمد، فرفعوه بمن قبله، والقراءة كذلك، والمعنى الذى ذكرت من معنى تلاوة جبرئيل ذلك قبل القرآن ، وأن المراد من معناه ذلك، وإن كان الخبر مستأنفا على ماوصفت ، اكتفاء بدلالة الكلام على معناه .

وأما قوله (إماما) فإنه نصب على القطع من كتاب موسى ، وقوله (وَرَحْمَةً) عطف على الإمام ، كأنه قيل : ومن قبله كتاب موسى إماما لبنى إسرائيل يأتمّون به ، ورحمة من الله تلاه على موسى .

كما حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن أبيه ، عن منصور ، عن إبراهيم ، فى قوله (وَمِنْ قَبْلِهِ كِتابُ مُوسَى) قال : من قبله جاء بالكتاب إلى موسى ، وفى الكلام محذوف قد تُرِك ذكره اكتفاء بدلالة ماذكر عليه منه، وهو (أَفَمَنْ كَانَ عَلى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ ، وَيَتْلُوهُ شاهِدٌ منه، وَمِنْ قَبْلِهِ كِتابُ مُوسَى إِماماً وَرَحْمَةً) كمن هو فى الضلالة متردّد ، لايهتدى لرشد ، ولا يعرف حقا من باطل ، ولايطلب بعمله إلا الحياة الدنيا وزينتها، وذلك نظير قوله (أَمَّنْ هُوَ قانِتٌ آناءَ اللَّيْلِ ساجِداً وقائِماً، يَحْذَرُ الآخِرَةَ ، وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ، قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لايَعْلَمُونَ) والدليل على حقيقة ما قلنا فى ذلك أن ذلك عقيب قوله (مَنْ كانَ يُرِيدُ الحَياةَ الدُّنْيا) . . . الآية ، ثم قيل : أهذا خير أمَّن كان على بينة من ربه ؟ والعرب تفعل ذلك كثيرا إذا كان فيما ذكرت دلالة على مرادها على ماحذفت، وذلك كقول الشاعر :

فأُقْسِمُ لَوْ شَيْءٌ أتانا رَسُولُهُ سِوَاكَ ، ولكنْ لَمْ نَجِدْ لكَ مَدْفَعا[1]

وقوله (أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ) يقول : هؤلاء الذين ذكرت يصدّقون ويقرّون به إن كفر به هؤلاء المشركون الذين يقولون : إن محمدا افتراه .

القول فى تأويل قوله تعالى

(وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الأَحْزَابِ فالنَّارُ مَوْعِدُهُ ، فَلا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ إِنَّهُ الحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لايُؤْمِنُونَ) :

يقول تعالى ذكره : ومن يكفر بهذا القرآن فيجحد أنه من عند الله من الأحزاب وهم المتحزبة على مللهم فالنار موعده ، إنه يصير إليها فى الآخرة بتكذيبه . يقول الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (فَلا تَكُ

(١) البيت لامرئ القيس بن حجر ، وهو من شواهد النحويين (خزانة البغدادى ٤ : ٢٢٧) على أن الجواب فيه محذوف ، وهو جواب القسم ، لا جواب « لو » ، عملا بمقتضى الضابط فى اجتماع قسم وشرط . قال : وتقدير الجواب كما ذكره الفراء وغيره : لو أتانا رسول سواك ، لدفعناه ، بدليل قوله « مدفعا » . والصواب أن الجواب مذكور فى البيت الذى بعده ، وهو قول امرئ القيس :

إذَنْ لَرَدَدْناهُ وَلَوْ طالَ مُكْثُهُ لَدَيْنا ، وَلَكِنَّا بِحُبِّكَ وُلَّعَا

وإنما تبع الطبرى الفراء فى قوله فى معانى القرآن (مصورة الجامعة رقم ٢٤٠٥٩ ص ١٤١) : « وربما تركت العرب جواب الشىء المعروف معناه وإن ترك الجواب . قال الشاعر : « فأقسم . . . البيت . وقال تعالى ، وهو أصدق من قول الشاعر : « ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض » . فلم يؤت له بجواب . والله أعلم . قال البغدادى : وعلى هذا يكون قوله « ولكن لم نجد لك مدفعا » جملة اعتراضية . وعذرهم فى تقدير الجواب : أن البيت الثانى ساقط فى أكثر الروايات . وقد ذكره الزجاجى فى أماليه الصغرى والكبرى ، فى جملة أبيات ثمانية ، رواها المبرد ، من قصيدة لامرئ القيس . اهـ . والرواية فيها : « وجدك لوشىء » .

فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ) يقول : فلا تك فى شكّ منه ، من أن موعد من كفر بالقرآن من الأحزاب النار ، وأن هذا القرآن الذى أنزلناه إليك من عند الله . ثم ابتدأ جلّ ثناؤه الخبر عن القرآن ، فقال : إن هذا القرآن الذى أنزلناه إليك يا محمد الحقّ ، من ربك لاشكّ فيه ، ولكن أكثر الناس لايصدّقون بأن ذلك كذلك .

فان قال قائل : أوَكان النبىّ صلى الله عليه وسلم فى شكّ من أن القرآن من عند الله ، وأنه حقّ ، حتى قيل له : فلا تك فى مرية منه ؟ قيل : هذا نظير قوله (فإنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنا إلَيْكَ) وقد بيّنا ذلك هنالك .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الوهاب ، قال : ثنا أيوب ، قال : نبئت أن سعيد بن جبير قال : ما بلغنى حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم على وجهه ، إلا وجدت مصْداقه فى كتاب الله تعالى ، حتى قال « لايَسْمَعُ بِى أحَدٌ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ وَلا يَهُودِىّ وَلا نَصْرَانِىٌّ ثُمَّ لايُؤْمِنُ بِمَا أُرْسِلْتُ بِهِ ، إلاَّ دَخَلَ النَّارَ » قال سعيد : فقلت أين هذا فى كتاب الله ، حتى أتيت على هذه الآية (وَمِنْ قَبْلِهِ كِتابُ مُوسَى إماما وَرَحْمَةً أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ، وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الأحْزَابِ فالنَّارُ مَوْعِدُهُ) قال : من أهل الملل كلها .

حدثنا محمد بن عبد الله المُخَرِّمىّ وابن وكيع ، قالا : ثنا جعفر بن عون ، قال : ثنا سفيان ، عن أيوب عن سعيد بن جبير ، فى قوله (وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الأحْزَابِ) قال : من الملل كلها .

حدثنى يعقوب وابن وكيع ، قالا : ثنا ابن عُلَيَة ، قال : ثنا أيوب ، عن سعيد بن جبير ، قال : كنت لاأسمع بحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم على وجهه ، إلا وجدت مصداقه ، أو قال تصديقه فى القرآن ، فبلغنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لايَسْمَعُ بِى أحَدٌ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ ، وَلا يَهُودِىٌّ وَلا نَصْرَانِىٌّ ، ثُمَّ لايُؤْمِنُ بِمَا أُرْسِلْتُ بِهِ ، إلاَّ دَخَلَ النَّارَ » فجعلت أقول : أين مصداقُها ، حتى أتيت على هذا (أفَمَنْ كَانَ على بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ) . . . إلى قوله (فالنَّارُ مَوْعِدُهُ) قال : فالأحزاب : الملل كلها .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، قال : ثنى أيوب ، عن سعيد بن جُبير ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما مِنْ أحَدٍ يَسْمَعُ بِى مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ وَلا يَهُودِىٌّ وَلا نَصْرَانِىٌّ فَلا يُؤْمِنُ بِى إلاَّ دَخَلَ النَّار » ؟ فجعلت أقول : أين مصداقها فى كتاب الله ؛ قال : وقلما سمعت حديثا عن النبىّ صلى الله عليه وسلم إلا وجدت له تصديقا فى القرآن ، حتى وجدت هذه الآيات (وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الأحْزَابِ فالنَّارُ مَوْعِدُهُ) : الملل كلها .

قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الأحْزَابِ فالنَّارُ مَوْعِدُهُ) قال : الكفار أحزاب كلهم على الكفر .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَمِنَ الأحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ) أى يكفر ببعضه ، وهم اليهود والنصارى ، قال : بلغنا أن نبىّ الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : « لايَسْمَعُ بِى أحَدٌ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ ، وَلا يَهُودِىٌّ وَلا نَصْرَانِىٌّ ، ثُمَّ يَمُوتُ قَبْلَ أنْ يُؤْمِنَ بِى ، إلاَّ دَخَلَ النَّار » .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا يوسف بن عدىّ النضْرىّ : قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن شعبة ، عن أبى بشر ، عن سعيد بن جُبير ، عن أبى موسى الأشعرىّ : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مَنْ سَمِعَ بِى مِنْ أُمَّتِى ، أوْ يَهُودِىٌّ أوْ نَصْرَانِىٌّ ، فَلَمْ يُؤْمِنْ بِى ، لَمْ يَدْخُلِ الجَنَّةَ » .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ، أُوْلَٰئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ، وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ، أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ (١٨)

⁂ يقول تعالى ذكره : وأىّ الناس أشدّ تعذيبا ممن اختلق على الله كذبا ، فكذب عليه ، أولئك يُعْرضون على ربهم ، ويقول الأشهاد : هؤلاء الذين يكذبون على ربهم ، يعرضون يوم القيامة على ربهم ، فيسألهم عما كانوا فى دار الدنيا يعملون .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (وَمَنْ أظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى على اللهِ كَذِباً) قال : الكافر والمنافق (أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ على رَبِّهِمْ) فيسألهم عن أعمالهم ، وقوله (وَيَقُولُ الأشْهادُ) يعنى الملائكة والأنبياء الذين شهدوهم ، وحفظوا عليهم ما كانوا يعملون ، وهم جمع شاهد ، مثل الأصحاب الذى هو جمع صاحب (هَؤُلاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا على رَبِّهِمْ) يقول : شهد هؤلاء الأشهاد فى الآخرة على هؤلاء المفترين على الله فى الدنيا ، فيقولون : هؤلاء الذين كذبوا فى الدنيا على ربهم . يقول الله (ألاَ لَعْنَةُ اللهِ على الظَّالِمِينَ) : يقول : ألا غضب الله على المعتدين الذين كفروا بربهم .

وبنحو ما قلنا فى قوله (وَيَقُولُ الأشْهادُ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا نمير ابن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَيَقُولُ الأشْهادُ) قال : الملائكة .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قال الملائكة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَيَقُولُ الأشْهادُ) والأشهاد : الملائكة ، يشهدون على بنى آدم بأعمالهم .

حدثنى محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (الأشْهاد) قال : الخلائق ، أو قال : الملائكة .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة بنحوه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج (وَيَقُولُ الأشْهادُ) الذين كانوا يحفظون أعمالهم عليهم فى الدنيا (هَؤُلاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا على رَبِّهِمْ) : حفظوه وشهدوا به عليهم يوم القيامة .

قال ابن جريج : قال مجاهد : الأشهاد : الملائكة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، قال : سألت الأعمش ، عن قوله (وَيَقُولُ الأشْهادُ) قال : الملائكة .

حُدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (وَيَقُولُ الأشْهادُ) يعنى الأنبياء والرسل ، وهو قوله (وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أنْفُسِهِمْ ، وَجِئنا بِكَ شَهِيدًا على هَؤُلاءِ) قال : وقوله (وَيَقُولُ الأشْهادُ هَؤُلاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا على رَبِّهِمْ) يقولون : يا ربنا أتيناهم بالحقّ فكذّبوا ، فنحن نشهد عليهم أنهم كذبوا عليك يا ربنا .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا ابن أبى عدىّ ، عن سعيد وهشام ، عن قتادة ، عن صفوان بن محرز المازنىّ ، قال : بينا نحن بالبيت مع عبد الله بن عمر وهو يطوف ، إذ عرض له رجل فقال : يا بن عمر ماسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى النجوى ؟ فقال : سمعت نبىّ الله صلى الله عليه وسلم يقول : « يَدْنُو المُؤْمِنُ مِنْ رَبِّهِ حتى يَضَعَ عَلَيْهِ كَنَفَهُ ، فَيُقَرِّرُهُ بذُنُوبِهِ ، فَيَقُولُ : هَلْ تَعْرِفُ كَذَا ، فَيَقُولُ : رَبِّ أعْرِفُ ، مَرَّتَيْنِ ، حتى إذَا بَلَغَ بِهِ ما شاءَ اللهُ أنْ يَبْلُغَ ، قال : فإنّى قَدْ سَتَرْتُها عَلَيْكَ فِى الدُّنْيا ، وأنا أغْفِرُها لَكَ اليَوْمَ ، قالَ : فَيُعْطَى صَحِيفَةَ حَسَناتِهِ أوْ كِتابَهُ بِيَمِينِهِ ؛ وأمَّا الكُفَّارُ والمُنافِقُونَ ، فَيُنادَى بِهِمْ على رُءُوسِ الأشْهادِ : ألاَ هَؤُلاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا على رَبِّهِمْ ، ألا لَعْنَةُ اللهِ على الظَّالِمِينَ » .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، قال : ثنا هشام ، عن قتادة ، عن صفوان بن محرز ، عن ابن عمر ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم ، نحوه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة : كنّا نحدّث أنه لايخزى يومئذ أحد فيخفى خزيه على أحد ممن خلق الله أو الخلائق .

القول فى تأويل قوله تعالى

الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ (١٩)

⁂ يقول تعالى ذكره : ألا لعنة الله على الظالمين الذين يصدّون الناس عن الإيمان به ، والإقرار له بالعبودة

وإخلاص العبادة له دون الآلهة والأنداد من مشركى قريش ، وهم الذين كانوا يفتنون عن الإسلام مَن دخل فيه . (وَيَبْغُونَهَا عِوَجا) يقول : ويلتمسون سبيل الله وهو الإسلام الذى دعا الناس إليه محمد ، يقول : زيغا وميلا عن الاستقامة (وَهُمْ بالآخِرَةِ هُمْ كافِرُونَ) : يقول : وهم بالبعث بعد الممات مع صدّهم عن سبيل الله ، وبغيهم إياها عوجا ، كافرون . يقول : هم جاحدون ذلك منكرون .

القول فى تأويل قوله تعالى

أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ ، وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ، يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ ، مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ ، وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ (٢٠)

⁂ يعنى جلّ ذكره بقوله (أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الأَرْضِ) : هؤلاء الذين وصف جلّ ثناؤه أنهم يصدّون عن سبيل الله ، يقول جلّ ثناؤه : إنهم لم يكونوا بالذين يُعْجزون ربهم ، بهربهم منه فى الأرض إذا أراد عقابهم ، والانتقام منهم ، ولكنهم فى قبضته وملكه ، لايمتنعون منه إذا أرادهم ، ولا يفوتونه هربا إذا طلبهم . (وَما كانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللهِ مِنْ أَوْلِياءَ) يقول : ولم يكن لهؤلاء المشركين إذا أراد عقابهم من دون الله أنصار ينصرونهم من الله ، ويحولون بينهم وبينه إذا هو عذّبهم ، وقد كانت لهم فى الدنيا مَنَعَة يمتنعون بها ممن أرادهم من الناس بسوء .

وقوله (يُضَاعَفُ لَهُمُ العَذَابُ) يقول تعالى ذكره : يزاد فى عذابهم ، فيجعل لهم مكان الواحد اثنان . وقوله (ما كانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَما كانُوا يُبْصِرُونَ) فإنه اختلف فى تأويله ؛ فقال بعضهم : ذلك وصف الله به هؤلاء المشركين أنه قد ختم على سمعهم وأبصارهم ، وأنهم لايسمعون الحقّ ، ولا يبصرون حُجَج الله سماع منتفع ، ولا إبصار مهتد .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (ما كانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَما كانُوا يُبْصِرُونَ) صُمّ عن الحقّ ، فما يسمعونه ، بُكْم ، فما ينطقون به ، عُمْى ، فلا يبصرونه ، ولا ينتفعون به .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (ما كانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَما كانُوا يُبْصِرُونَ) قال : ما كانوا يستطيعون أن يسمعوا خيرا فينتفعوا به ، ولا يبصروا خيرا فيأخذوا به .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قال : أخبر الله سبحانه أنه حال بين أهل الشرك وبين طاعته فى الدنيا والآخرة . أما فى الدنيا فإنه قال (ما كانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ) وهى طاعته (وَما كانُوا يُبْصِرُونَ) . وأما فى الآخرة فإنه قال (فَلا يستطيعون خاشعة) .

وقال آخرون: إنما عنى بقوله (وَما كانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللهِ مِنْ أَوْلِياءَ) آلهة : الذين يصدّون عن سبيل الله ، وقالوا : معنى الكلام : أولئك وآلهتهم لم يكونوا معجزين فى الأرض ، يضاعف لهم العذاب ، (ما كانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ ، وَما كانُوا يُبْصِرُونَ) يعنى الآلهة أنها لم يكن لها سمع ولا بصر ، هذا قول رُوِي عن ابن عباس من وجه كرهت ذكره ، لضعف سنده .

وقال آخرون : معنى ذلك : يضاعف لهم العذاب، بما كانوا يستطيعون السمع ولا يسمعونه ، وبما كانوا يبصرون ولا يتأملون حجج الله بأعينهم، فيعتبروا بها. قالوا: والباء كان ينبغى لها أن تدخل، لأنه قد قال (فَلَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ بِما كانُوا يَكْذِبُونَ) بكذبهم فى غير موضع من التنزيل، أدخلت فيه الباء، وسقوطها جائز فى الكلام كقولك فى الكلام : لاحِن [1] بما فيك ما علمت، وبما علمت، وهذا قول قاله بعض أهل العربية .

⁂ والصواب من القول فى ذلك عندنا: ما قاله ابن عباس وقتادة ، من أن الله وصفهم تعالى ذكره، بأنهم لايستطيعون أن يسمعوا الحقّ سماع منتفع ، ولا يبصرونه إبصار مهتد ، لاشتغالهم بالكفر الذى كانوا عليه مقيمين ، عن استعمال جوارحهم فى طاعة الله ، وقد كانت لهم أسماع وأبصار .

القول فى تأويل قوله تعالى

أُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ ، وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (٢١)

⁂ يقول تعالى ذكره : هؤلاء الذين هذه صفتهم، هم الذين غبَنُوا أنفسهم حظوظها من رحمة الله (وَضَلَّ عَنْهُمْ ما كانُوا يَفْتَرُونَ) وبطل كذبهم وإفكهم وفِرْيتهم على الله، بإدّعائهم له شركاء، فسلك ما كانوا يدعونه إلها من دون الله غير مسلكهم، وأخذ طريقا غير طريقهم ، فضلّ عنهم ، لأنه سلك بهم إلى جهنم ، وصارت آلهتهم عدما لاشىء ، لأنها كانت فى الدنيا حجارة أو خشبا أو نحاسا ، أو كان لله وليا ، فسلك به إلى الجنة ، وذلك أيضا غير مسلكهم ، وذلك أيضا ضلال عنهم .

القول فى تأويل قوله تعالى

لا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ (٢٢)

⁂ يقول تعالى ذكره : حقا أن هؤلاء القوم الذين هذه صفتهم فى الدنيا فى الآخرة هم الأخسرون ، الذين قد باعوا منازلهم من الجنان بمنازل أهل الجنة من النار ، وذلك هو الخسران المبين ، وقد بينا فيما مضى أن معنى قولهم: جَرَمت : كسبت الذنب وأجرمته ، وإن العرب كثر استعمالها إياه فى مواضع الأيمان ، وفى مواضع « لابدّ » كقولهم: لاجرم أنك ذاهب، بمعنى : لابد، حتى استعملوا ذلك فى مواضع التحقيق، فقالوا : لاجرم ليقومنّ ، بمعنى : حقا ليقومنّ ، فمعنى الكلام : لامنع عن أنهم ، ولا صدّ عن أنهم .

(١) كذا وردت الكلمة فى الأصل رقم ١٠٠ بدار الكتب المصرية فى هذا الموضع من المجلد الثانى عشر .

القول فى تأويل قوله تعالى

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخْبَتُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ، أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ، هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ (٢٣) *

⁂ يقول تعالى ذكره : إن الذين صَدَقوا الله ورسوله ، وعملوا فى الدنيا بطاعة الله ، وأخبتوا إلى ربهم :

واختلف أهل التأويل فى معنى الإخبات ، فقال بعضهم : معنى ذلك : وأنابوا إلى ربهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَى رَبِّهِمْ) قال : الإخبات : الإنابة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَأَخْبَتُوا إِلَى رَبِّهِمْ) يقول : وأنابوا إلى ربهم .

وقال آخرون : معنى ذلك : وخافوا :

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، فى قوله (وَأَخْبَتُوا إِلَى رَبِّهِمْ) يقول : خافوا :

وقال آخرون : معناه : اطمأنوا :

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَأَخْبَتُوا إِلَى رَبِّهِمْ) قال : اطمأنوا .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله :

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله :

وقال آخرون : معنى ذلك : خشعوا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَأَخْبَتُوا إِلَى رَبِّهِمْ) الإخبات : التخشع والتواضع .

⁂ قال أبو جعفر : وهذه الأقوال متقاربة المعانى ، وإن اختلفت ألفاظها ، لأن الإنابة إلى الله من خوف الله ؛ ومن الخشوع والتواضع لله بالطاعة ؛ والطمأنينة إليه من الخشوع له ، غير أن نفس الإخبات عند العرب : الخشوع والتواضع ، وقال (إِلَى رَبِّهِمْ) ومعناه : وأخبتوا لربهم ، وذلك أن العرب تضع اللام

موضع إلى ، وإلى موضع اللام كثيرا ، كما قال تعالى : (بأنّ ربّكَ أوْحَى لَهَا) بمعنى : أوحى إليها ، وقد يجوز أن يكون قيل ذلك كذلك ، لأنهم وصفوا بأنهم عمدوا بإخباتهم إلى الله .

وقوله (أُولَئِكَ أصحَابُ الجَنَّةِ هُمْ فِيها خالِدُونَ) يقول : هؤلاء الذين هذه صفتهم ، هم سكان الجنة الذين لايخرجون عنها ، ولا يموتون فيها ، ولكنهم فيها لابثون إلى غير نهاية .

القول فى تأويل قوله تعالى

* مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَىٰ وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ ، هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ؟ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (٢٤)

⁂ يقول تعالى ذكره : مَثَل فريق الكفر والإيمان ، كمثل الأعمى الذي لايرى بعينه شيئا ، والأصمّ الذى لايسمع شيئا ؛ فكذلك فريق الكفر لايُبصر الحقّ فيتبعه ، ويعمل به ، لشغله بكفره بالله ، وغَلَبة خِذلان الله عليه ، لايسمع داعى الله إلى الرشاد ، فيجيبه إلى الهدى ، فيهتدى به ، فهو مقيم فى ضلالته ، يتردّد فى حَيرته ، والسميع والبصير ، فكذلك فريق الإيمان أبصر حُجج الله ، وأقرّ بما دلت عليه من توحيد الله ، والبراءة من الآلهة والأنداد ، ونبوّة الأنبياء عليهم السلام ، وسمع داعى الله ، فأجابه وعمل بطاعة الله .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس (مَثَلُ الفَرِيقَيْنِ كالأعْمَى والأصَمّ والبَصِيرِ والسَّمِيعِ) قال : الأعمى والأصمّ : الكافر ، والبصير والسميع : المؤمن .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (مَثَلُ الفَرِيقَيْنِ كالأعْمَى والأصَمّ ، والبَصِيرِ والسَّمِيعِ) : الفريقان الكافران المؤمنان ، فأما الأعمى والأصمّ فالكافران ، وأما البصير والسميع فهما المؤمنان .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (مَثَلُ الفَرِيقَيْنِ كالأعْمَى والأصَمّ ، والبَصِيرِ والسَّمِيعِ) . . . الآية ، هذا مثل ضربه الله للكافر والمؤمن ، فأما الكافر فصَمّ عن الحقّ ، فلا يسمعه ، وعمى عنه فلا يبصره . وأما المؤمن فسمع الحقّ ، فانتفع به وأبصره ، فوعاه وحفظه وعمل به . يقول تعالى : (هَلْ يَسْتَوِيانِ مَثَلًا) يقول : هل يستوى هذان الفريقان ، على اختلاف حالتيهما فى أنفسهما عندكم أيها الناس ، فإنهما لايستويان عندكم ، فكذلك حال الكافر والمؤمن لايستويان عند الله . (أفَلا تَذَكَّرُونَ) يقول جلّ ثناؤه : أفلا تعتبرون أيها الناس وتتفكرون ، فتعلموا حقيقة اختلاف أمريهما ، فتنزجروا عما أنتم عليه من الضلال إلى الهدى ، ومن الكفر إلى الإيمان ، فالأعمى والأصمّ والبصير والسميع فى اللفظ أربعة ، وفى المعنى اثنان ، ولذلك قيل (هَلْ يَسْتَوِيانِ مَثَلًا) وقيل : كالأعمى والأصمّ ، والمعنى : كالأعمى الأصمّ ، وكذلك قيل : والبصير والسميع ، والمعنى : البصير السميع ، كقول القائل : قام الظريف والعاقل ، وهو ينعت بذلك شخصا واحدا .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٢٥) أَن لاَّ تَعْبُدُوٓاْ إِلاَّ ٱللَّهَ، إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ (٢٦)

يقول تعالى ذكره (وَلَقَدْ أَرْسَلْنا نُوحا إلى قَوْمِهِ : إنّى لَكُمْ) أيُّها القوم (نَذِيرٌ) من الله ، أنذركم بأسه على كفركم به ، فآمنوا به وأطيعوا أمره . ويعنى بقوله (مُبِينٌ) : يبين لكم عما أرسل به إليكم ، من أمر الله ونهيه .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (إنّى) فقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة وبعض المدنيين بكسر « إن » على وجه الابتداء ، إذ كان فى الإرسال معنى القول ، وقرأ ذلك بعض قرّاء أهل المدينة والكوفة والبصرة بفتح « أَنَّ » ، على إعمال الإرسال فيها ، كأن معنى الكلام عندهم : لقد أرسلنا نوحا إلى قومه بأنى لكم نذير مبين .

والصواب من القول فى ذلك عندى : أن يُقال : إنهما قراءتان متفقتا المعنى ، قد قرأ بكل واحدة منهما جماعة من القرّاء ، فبأيتهما قرأ القارئ كان مصيبا للصواب فى ذلك .

وقوله (أَنْ لاتَعْبُدُوا إلاَّ اللهَ) فمن كسر الألف فى قوله (إنى) جعل قوله (أرْسَلْنا) عاملا فى « أَنْ » التى فى قوله (أَنْ لاتَعْبُدُوا إلاَّ اللهَ) ويصير المعنى حينئذ : ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه ، أن لاتعبدوا إلا الله ، وقل لهم (إنّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ) ، ومن فتحها ، ردّ أَنْ فى قوله (أَنْ لاتَعْبُدُوا) عليها ، فيكون المعنى حينئذ : لقد أرسلنا نوحا إلى قومه بأنى لكم نذير مبين ، بأن لاتعبدوا إلا الله . ويعنى بقوله : بأن لاتعبدوا إلا الله أيها الناسُ عبادة الآلهة والأوثان ، وإشراكها فى عبادته ، وأفردوا الله بالتوحيد ، وأخلصوا له العبادة ، فإنه لاشريك له فى خلقه . وقوله (إنّى أخافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أليم) يقول : إنى أيها القوْم إن لم تَخْصُّوا الله بالعبادة ، وتفردوه بالتوحيد ، وتخلعوا ما دونه من الأنداد والأوثان ، أخاف عليكم من الله عذاب يوم مؤلم عقابُه وعذابه لمن عذّب فيه ، وجعل الأليم من صفة اليوم ، وهو من صفة العذاب ، إذ كان العذاب فيه كما قيل (وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنا) ، وإنما السَّكن من صفة ما سكن فيه دون الليل .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِ : مَا نَرَىٰكَ إِلاَّ بَشَرًا مِّثْلَنَا ، وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلاَّ ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ ، وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ ، بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ (٢٧)

يقول تعالى ذكره : فقال الكبراء من قوم نوح وأشرافهم ، وهم الملأ الذين كفروا بالله ، وجحدوا نبوّة

نبيهم نوح عليه السلام (ما نَرَاكَ) يا نوح (إلاَّ بَشَرًا مِثْلَنا) يعنون بذلك أنه آدميّ مثلُهم فى الخلق والصورة والجنس ، كأنهم كانوا منكرين أن يكون الله يرسل من البشر رسولا إلى خلقه . وقوله (وَما نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنا بادِيَ الرأيِ) يقول : وما نراك اتبعك إلا الذين هم سَفِلتنا من الناس، دون الكبراء والأشراف، فيما يُرَى ويظهر لنا. وقوله(بادِيَ الرأيِ) اختلفت القرّاء فى قراءته ، فقرأته عامة قرّاء المدينة والعراق (بادِيَ الرأيِ) بغير همز البادى ، وبهمز الرأى ، بمعنى : ظاهر الرأى من قولهم : بدا الشىء يبدو : إذا ظهر ، كما قال الراجز :

أَضْحَى لِخالِي شَبَهِي بادِيَ بَدِيْ وصَارَ للفَحْلِ لِسانِي وَيَدِي[1]

بادى بدى بغير همز . وقال آخر :

وَقَدْ عَلَتْنِي ذُرْأةٌ بادِيَ بدِيْ [2]

وقرأ ذلك بعض أهل البصرة [3] (بادِئَ الرأيِ) مهموز أيضا ، بمعنى : مبتدأ الرأى ، من قولهم : بدأت بهذا الأمر : إذا ابتدأت به قبل غيره .

⁂ وأولى القراءتين بالصواب فى ذلك عندنا قراءة من قرأ (بادِيَ) بغير همز البادى، وبهمز الرأى ، لأن معنى ذلك الكلام : إلا الذين هم أراذلنا فى ظاهر الرأى ، وفيما يظهر لنا .

وقوله (وَما نَرَى لَكُمْ عَلَيْنا مِنْ فَضْلٍ) يقول : وما نتبين لكم علينا من فضل نلتموه بمخالفتكم إيانا فى عبادة الأوثان إلى عبادة الله ، وإخلاص العبودة له ، فنتبعكم طلب ذلك الفضل ، وابتغاء ما أصبتموه بخلافكم إيانا (بَلْ نَظُنُّكُمْ كاذِبِينَ) وهذا خطاب منهم لنوح عليه السلام ، وذلك أنهم إنما كذّبوا نوحا دون أتباعه ، لأن أتباعه لم يكونوا رسلا ، وأخرج الخطاب وهو واحد مخرج خطاب الجميع ، كما

---

(١) البيت فى (اللسان : بدا) قال : أراد به : ظاهرى فى الشبه لخالى . ومعناه : خرجت عن شرخ الشباب، إلى حد الكهولة التى معها الرأى والحجا ، فصرت كالفحولة التى بها يقع الاختيار ، ولها بالفضل تكثر الأوصاف . والشاهد فى « بادى » أنه غير مهموز ، كما فى قوله تعالى : « بادى الرأى » ، لأن المعنى : فيما يظهر لنا ويبدو . والبيت من شواهد أبى عبيدة تفسيره : مجاز القرآن .

(٢) هذا بيت من مشطور الرجز ، أنشده صاحب اللسان (بدا) مع بيتين آخرين ، وهما :

وَرَثْيَةٌ تَنْهَضُ بالتَّشَدُّدِ وصَارَ للفَحْلِ لِسانِي وَيَدِي

وقال : قال الجوهرى : فعل ذلك بادى بد، وبادى بدى (بتشديد الياء) أى أولا . قال: وأصله الهمز ، وإنما ترك لكثرة الاستعمال . قال : وربما جعلوه اسما للداهية، كما قال أبو نخيلة السعدى(: « وقد علتنى . . . الخ) . قال : وهما إسمان جعلا إسما واحدا ، مثل معد يكرب ، وقالى قلا . والبيت من شواهد أبى عبيدة فى تفسيره : مجاز القرآن .

وأنشد البيتين أيضا (اللسان : ذرأ) وقال : بادى بدى : أول كل شىء ، من بدأ ، فترك الهمز بكثرة الاستعمال ، وطلب التخفيف . وقد يجوز أن يكون من بدا يبدو إذا ظهر . والذرأة من ذرئ رأس فلان يذرأ إذا أبيض . وعلته ذرأة أى شيب . والذرأة بالضم : الشمط ، قال أبو نخلة السعدى : (وقد علتنى . . الخ البيتين) والرثية : انحلال الركب والمفاصل ، وقيل : هو أول بياض الشيب .

(٣) فى اللسان : قرأ أبو عمرو وحده بادئ الرأى ، بالهمز ، وسائر القراء قرءوا : بادئ الرأى بغير همز . وقال الفراء : لايهمز : بادى الرأى ، لأن المعنى : فيما يظهر لنا ويبدو ، ولو أراد : ابتداء الرأى ، لخالى فهمز . كان صوابا، وأنشد : — أضحى لخالى . . . الخ أراد به : ظاهرى فى الشبه لخالى .

قيل (يا أيُّها النَّبِيُّ إذا طَلَّقْتُمُ النِّساءَ) وتأويل الكلام : بل نظنك يانوح فى دعواك أن الله ابتعثك إلينا، رسولا كاذبا .

وبنحو ما قلنا فى تأويل قوله (بادِيَ الرأيِ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء الخُراسانىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَما نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنا بادِيَ الرأيِ) قال : فيما ظهر لنا .

القول فى تأويل قوله تعالى

قَالَ : يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِنْ كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ ، أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ (٢٨)

⁂ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل نوح لقومه، إذ كذّبوه وردّوا عليه ماجاءهم به من عند الله من النصيحة : (يا قَوْمِ أرأيْتُمْ إنْ كُنْتُ على بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّى) ، على علم ومعرفة وبيان من الله لى ما يلزمنى له ، ويجب علىّ من إخلاص العبادة له ، وترك إشراك الأوثان معه فيها (وآتانِى رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ) يقول : ورزقنى منه التوفيق والنبوّة والحكمة ، فآمنت به ، وأطعته فيما أمرنى ونهانى (فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ) .

واختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء أهل المدينة وبعض أهل البصرة والكوفة (فَعَمِيَتْ) بفتح العين وتخفيف الميم، بمعنى : فعميت الرحمة ، عليكم فلم تهتدوا لها ، فتقرّوا بها ، وتصدّقوا رسولكم عليها . وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفيين (فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ) بضمّ العين وتشديد الميم، اعتبارا منهم ذلك بقراءة عبد الله ، وذلك أنهما فيما ذكر فى قراءة عبد الله ، فعماها عليكم .

⁂ وأولى القراءتين فى ذلك عندي بالصواب : قراءة من قرأه (فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ) بضمّ العين وتشديد الميم للذى ذكروا من العلة لمن قرأ به ، ولقربه من قوله (أرأيْتُمْ إنْ كُنْتُ على بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِى وآتانِى رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ) فأضاف الرحمة إلى الله ، فكذلك تعميته على الآخرين بالإضافة إليه أولى . وهذه الكلمة مما حوّلت العرب الفعل عن موضعه ، وذلك أن الإنسان هو الذى يعمى عن إبصار الحقّ ، إذ يعمى عن إبصاره ، والحقّ لايوصف بالعمى إلا على الاستعمال الذى قد جرى به الكلام ، وهو فى جوازه لاستعمال العرب إياه ، نظير قولهم : دخل الخاتم فى يدى ، والخفّ فى رجلى ، ومعلوم أن الرجل هى التى تدخل فى الخفّ ، والأصبع فى الخاتم ، ولكنهم استعملوا ذلك كذلك ، لما كان معلوما المراد فيه .

وقوله (أنُلْزِمُكُمُوها وأنْتُمْ لَهَا كارِهُونَ ؟) يقول : أنأخذكم بالدخول فى الإسلام وقد عماه الله عليكم ؟ لها كارهون : يقول : وأنتم لإلزامنا كموها كارهون . يقول : لانفعل ذلك ، ولكن نكل أمركم إلى الله ، حتى يكون هو الذى يقضى فى أمركم مايرى ويشاء .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال نوح . (يا قَوْمِ إنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّى)قال: قد عرفتُها وعرفتُ بها أمره ، وأنه لاإله إلا هو ، (وآتانِى رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ) : الإسلام والهدى والإيمان والحكم والنبوّة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (أرأيْتُمْ إنْ كُنْتُ على بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِى) . . . الآية ، أما والله لو استطاع نبىّ الله صلى الله عليه وسلم لألزمها قومه ، ولكن لم يستطع ذلك ، ولم يملكه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، قال : ثنا سفيان ، عن داود ، عن أبى العالية ، قال فى قراءة أبىّ أنلزمكموها من شطر أنفسنا وأنتم لها كارهون .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن الزُّبير ، عن ابن عيينة ، قال : أخبرنا عمرو ابن دينار قال : قرأ ابن عباس : (أنلزمكموها من شطر أنفسنا) قال عبد الله: مِنْ شَطْرِ أنفسنا : من تلقاء أنفسنا .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا ابن عيينة ،عن عمرو بن دينار ، عن ابن عباس مثله .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا سفيان ، عن داود بن أبى هند ، عن أبى العالية ، عن أبىّ بن كعب : أنلزمكموها من شطر قلوبنا وأنتم لها كارهون .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَيَقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ، إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ، وَمَآ أَنَا بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا ، إِنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ ، وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ (٢٩)

❊ وهذا أيضا خبر من الله عن قيل نوح لقومه أنه قال لهم : (يا قَوْمِ لا أسْألُكُمْ) على نصيحتى لكم ، ودعايتكم إلى توحيد الله ، وإخلاص العبادة له (مَالاً) : أجرا على ذلك ، فتتهمونى فى نصيحتى ، وتظنون أن فعلى ذلك طلب عرَض من أعراض الدنيا (إنْ أجْرِىَ إلاَّ على اللهِ) يقول : ما ثواب نصيحتى لكم ودعايتكم إلى ما أدعوكم إليه ، إلا على الله ، فإنه هو الذى يجازينى ويثيبنى عليه (وَما أنا بِطارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا) : وما أنا بمقص من آمن بالله ، وأقرّ بوحدانيته ، وخلع الأوثان ، وتبرأ منها بأن لم يكونوا من عِليتكم وأشرافكم (إنَّهُمْ مُلاقُوا رَبِّهِمْ) يقول : إن هؤلاء الذين تسألونى طردهم صائرون إلى الله ، والله سائلهم عما كانوا فى الدنيا يعملون ، لاعن شرفهم وحسبهم .

وكان قيل نوح ذلك لقومه ، لأن قومه قالوا له ، كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (وَما أنا بِطارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إنَّهُمْ مُلاقُوا رَبِّهِمْ) قال : قالوا له :

يانوح إن أحببت أن نتبعك فاطردهم ،وإلا فلن نرضى أن نكون نحن وهم فى الأمر سواء ، فقال (ما أنا بِطارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا ، إِنَّهُمْ مُلاقُوا رَبِّهِمْ) ، فيسألهم عن أعمالهم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، وحدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح جميعا ، عن مجاهد ، قوله (إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ على اللهِ) قال : جزائى .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

وقوله (وَلَكِنِّى أَرَاكُمْ قَوْما تَجْهَلُونَ) يقول : ولكنى أيها القوم أراكم قوما تجهلون الواجب عليكم من حقّ الله ، واللازم لكم من فرائضه ، ولذلك من جهلكم سألتمونى أن أطرد الذين آمنوا بالله .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَيَا قَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِى مِنَ اللهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ ، أَفَلا تَذَكَّرُونَ ؟ (٣٠)

يقول : ويا قَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِى) فيمنعنى (مِنَ اللهِ) إن هو عاقبنى على طردى المؤمنين الموحدين الله إن طردتهم (أَفَلا تَذَكَّرُونَ) يقول : أفلا تتفكرون فيما تقولون ، فتعلمون خطأه ، فتنتهوا عنه .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَلا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِى خَزَائِنُ اللهِ ،وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ ، وَلا أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ ، وَلا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِى أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللهُ خَيْرًا ، اللهُ أَعْلَمُ بِمَا فِى أَنْفُسِهِمْ ، إِنِّى إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ (٣١)

وقوله (وَلا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِى خَزَائِنُ اللهِ) عطف على قوله (وَيَا قَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا) ومعنى الكلام : ويا قوم لا أسألكم عليه أجرا ، ولا أقول لكم عندى خزائن الله التى لا يفنيها شىء ، فأدعوكم إلى اتباعى عليها (وَلا أَعْلَمُ) أيضا (الغَيْبَ) يعنى ما خفى من سرائر العباد ، فإن ذلك لا يعلمه إلا الله ، فأدّعى الربوبية ، وأدعوكم إلى عبادتى ، (وَلا أَقُولُ) أيضا (إِنِّى مَلَكٌ) من الملائكة أرسلت إليكم ، فأكون كاذبا فى دعواى ذلك ، بل أنا بشر مثلكم كما تقولون ، أُمرت بدعائكم إلى الله ، وقد أبلغتكم ما أرسلت به إليكم (وَلا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِى أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللهُ خَيْرًا) يقول : ولا أقول للذين اتبعونى وآمنوا بالله ووحدوه الذين تستحقرهم أعينكم ، وقلتم إنهم أراذلكم : لن يؤتيكم الله خيرا ، وذلك الإيمان بالله (اللهُ أَعْلَمُ بِمَا فِى أَنْفُسِهِمْ) يقول : الله أعلم بضمائر صدورهم ، واعتقاد قلوبهم ، وهو ولىّ أمرهم فى ذلك ، وإنما لى منهم ما ظهر وبدا ، وقد أظهروا الإيمان بالله واتبعونى ، فلا

أطردهم ، ولا أستحل ذلك (إنّى إذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ) يقول : إنى إن قلت لهؤلاء الذين أظهروا الإيمان بالله وتصديق : لن يؤتيهم الله خيرا ، وقضيت على سرائرهم ، بخلاف ما أبدته ألسنتهم لى ، على غير علم منى بما فى نفوسهم ، وطردتهم بفعلى ذلك ، لَمِن الفاعلين ما ليس لهم فعله ، المعتدين ما أمرهم الله به ، وذلك هو الظلم.

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (وَلا أقُولُ لَكُمْ عِنْدِى خَزَائِنُ اللهِ) التى لايفنيها شىء ، فأكون إنما أدعوكم لتتبعونى عليها ، لأعطيكم منها (وَلا أقُولُ إنّى مَلَكٌ) نزلت من السماء برسالة ، ما أنا إلا بشر مثلكم (وَلا أعْلَمُ الغَيْبَ) ولا أقول اتبعونى على علم الغيب .

القول فى تأويل قوله تعالى

قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا ، فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٣٢)

يقول تعالى ذكره : قال قوم نوح لنوح عليه السلام : قد خاصمتنا ، فأكثرت خصومتنا ، فأتنا بما تعدنا من العذاب إن كنت من الصادقين فى عداتك ودعواك أنك لله رسول ، يعنى بذلك أنه لن يقدر على شىء من ذلك .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (جادَلْتَنا) قال : ماريتنا .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

وحدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبى جعفر ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال مجاهد قالوا يا نُوحُ قَدْ جادَلْتَنا) قال : ماريتنا (فَأكْثَرْتَ جِدالَنا ، فَأْتِنا بِمَا تَعِدُنا) قال ابن جُرَيج : تكذيبا بالعذاب ، وأنه باطل .

القول فى تأويل قوله تعالى

قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللهُ إِنْ شَاءَ ، وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ (٣٣) وَلا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِى إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ ، إِنْ كَانَ اللهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ ، وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٣٤)

يقول تعالى ذكره : قال نوح لقومه حين استعجلوه العذاب : يا قوم ليس الذى تستعجلون من العذاب إلىّ ، إنما ذلك إلى الله لا إلى غيره ، هو الذى يأتيكم به إن شاء (وَما أنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ) يقول : ولستم إذا

أراد تعذيبكم بمعجزيه : أى بفائتيه هربا منه ، لأنكم حيث كنتم فى مُلكه وسلطانه وقدرته ، حكمه عليكم جار. (وَلا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي) يقول: ولا ينفعكم تحذيرى عقوبته، ونزول سطوته بكم على كفركم به. (إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ) فى تحذيرى إياكم ذلك ، لأن نصحى لاينفعكم لأنكم لاتقبلونه، (إِنْ كَانَ اللهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ) ، يقول : إن كان الله يريد أن يهلككم بعذابه (هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ)يقول: وإليه تردّون بعد الهلاك . حُكى عن طيئ أنها تقول: أصبح فلان غاويا: أى مريضا . وحُكى عن غيرهم سماعا منهم : أغويت فلانا ، بمعنى : أهلكته ، وغَوِى الفصيل : إذا فقد اللبن فمات ، وذكر أن قول الله (فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا) : أى هلاكا .

القول فى تأويل قوله تعالى

أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ، قُلْ : إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ (٣٥)

⁂ يقول تعالى ذكره : أيقول يا محمد هؤلاء المشركون من قومك: افترى محمد هذا القرآن، وهذا الخبر عن نوح ، قل لهم : إن افتريته فتخرّصته واختلقته (فَعَلَيَّ إِجْرَامِي) يقول: فعلىّ إثمى فى افترائى ما افتريت على ربى دونكم ، لاتؤاخَذُون بذنبى ولا إثمى ، ولا أؤاخذ بذنبكم (وأنا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ) يقول : وأنا برىء مما تذنبون وتأثمون بربكم من افترائكم عليه ، ويقال منه : أجرمت إجراما وجَرَمْتُ أَجْرِم جُرْما ، كما قال الشاعر :

طَرِيدُ عَشِيرَةٍ وَرَهِينُ ذَنْبٍ بِما جَرَمَتْ يَدَى وجَنَى لِسانِي[1]

القول فى تأويل قوله تعالى

وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ ، فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (٣٦)

⁂ يقول تعالى ذكره : (وأوحى) الله (إلى نوح) لما حقّ على قومه القول ، وأظلهم أمر الله ، (أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ) : يا نوح بالله فيوحده ويتبعك على ماتدعوه إليه (مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ) فصدّق بذلك واتبعك. فَلا تَبْتَئِسْ) يقول: فلا تستكنْ ولا تحزن بما كانوا يفعلون ، فإنى مهلكهم ومنقذك منهم ومَنِ اتبعك ، وأوحى الله ذلك إليه بعد ما دعا عليهم نوح بالهلاك ، فقال (رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا)وهو تفتعل من البؤس، يقال: ابتأس فلان بالأمر يبتئس ابتئاسا، كما قال لبيد بن ربيعة :

(١) البيت للهبيردان السعدى ، أحد لصوص بنى سعد (اللسان : جرم) قال : وجرم يجرم (كضرب) واجترم : كسب ،وأنشد أبو عبيدة للهبيردان . . . . الخ . والرواية فيه : ورهين جرم ، بضم الجيم .

فِي مَأْتَمٍ كَنِعَاجِ صَا رَةَ يَبْتَئِسْنَ بِمَا لَقِينَا[1]

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (فَلا تَبْتَئِسْ) قال : لاتحزن .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد . وحدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد مثله.

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، (فَلا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ) يقول : فلا تحزن .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (فَلا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ) قال : لاتأس ولا تحزن .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وأُوحِيَ إلى نُوحٍ أنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إلاَّ مَنْ قَدْ آمَنَ) وذلك حين دعا عليهم (قالَ رَبِّ لاتَذَرْ على الأرْضِ مِنَ الكافِرِينَ دَيَّارًا) . قوله (فَلا تَبْتَئِسْ) يقول : فلا تأس ولا تحزن .

حُدِّثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إلاَّ مَنْ قَدْ آمَنَ) فحينئذ دعا على قومه لما بين الله له أنه لن يؤمن من قومه إلا من قد آمن .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا ، وَلاَ تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا ، إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ (٣٧)

يقول تعالى ذكره : وأُوحِى إليه أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن ، وأنِ اصْنَعِ الفُلْكَ ، وهو السفينة . كما حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : الفلك : السفينة .

وقوله (بأعْيُنِنَا) يقول : بعين الله ووحيه ، كما يأمرك .

---

(١) البيت أورده صاحب (اللسان : بأس) ونسبه للبيد ، وفى روايته « ربرب » فى مكان « مأتم » . والمأتم : كل مجتمع من رجال أو نساء ، فى حزن أو فرح (اللسان) والربرب : القطيع من بقر الوحش . والنعاج : جمع نعجة ، وهى الأنثى من الضأن ، والظباء ، والبقر الوحشى ، والشاء الجبلى . والعرب تكنى بها عن المرأة . وصارة : قال يعقوب : هى ماء بين فيد وضرية . ولعله خص هذه النعاج لحسنها ، بما توافر لديها من كلأ وماء . وابتأس الرجل : إذا بلغه شىء يكرهه ، والنون فى يبتئسن : عائدة إلى المأتم ، وهو هنا لجماعة النساء ، المشبهات فى حسنهن ببقر الوحش .

كما حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى ، أبى عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَاصْنَعِ الفُلْكَ بأعْيُنِنا وَوَحْيِنا) وذلك أنه لم يعلم كيف صنعة الفلك ، فأوحى الله إليه أن يصنعها على مثل جُؤجؤ الطائر .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَوَحْيِنَا) قال : كما نأمرك .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، وحدثنى المثنى قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (بأعْيُنِنا وَوَحْيِنا) : كما نأمرك .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء الخُراسانىّ ، عن ابن عباس (وَاصْنَعِ الفُلْكَ بأعْيُنِنا وَوَحْيِنا) قال : بعين الله ، قال ابن جريج ، قال مجاهد : (وَوَحْيِنا) قال : كما نأمرك .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثَور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (بأعْيُنِنا وَوَحْيِنا) قال : بعين الله ووحيه .

وقوله (وَلا تُخَاطِبْنِى فى الَّذِينَ ظَلَمُوا إنَّهُمْ مُغْرَقُونَ) يقول تعالى ذكره : ولا تسألنى فى العفو عن هؤلاء الذين ظلموا أنفسهم من قومك ، فأكسبوها تعدّيا منهم عليها بكفرهم بالله الهلاكَ بالغرق ، إنهم مغرقون بالطوفان .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج (وَلا تخاطِبْنِى) قال : يقول : ولا تراجعنى ، قال : تقدّم ألاّ يشفع لهم عنده .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ ، قَالَ : إِن تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ (٣٨) فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ ، وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ (٣٩) حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ ، قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ ، إِلاَّ مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ ، وَمَنْ ءَامَنَ ، وَمَا ءَامَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ (٤٠)

⁂ يقول تعالى ذكره : ويصنع نوح السفينة ، وكلما مرّ عليه جماعة من كبراء قومه سخروا منه ، يقول : هزئوا من نوح ، ويقولون له : أتحوّلت نجارا بعد النبوّة ، وتعمل السفينة فى البرّ ؟ فيقول لهم نوح : (إنْ تسْخروا منّا) : إن تهزءوا منا اليوم ، فإنا نهزأ منكم فى الآخرة كما تهزءون منا فى الدنيا ، (فسَوفَ تعْلمونَ) إذا عاينتم عذاب الله ، مَن الذى كان إلى نفسه مسيئا منا .

وكانت صنعة نوح السفينة كما حدثنى المثنى وصالح بن مسمار، قال : ثنا ابن أبى مريم ، قال : أخبرنا موسى بن يعقوب ، قال : ثنى فائد[1] مولى عبيد الله بن علىّ بن أبى رافع أن إبراهيم : بن عبد الرحمن بن أبى ربيعة ،أخبره أن عائشة زوج النبىّ صلى الله عليه وسلم أخبرته ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لَوْ رَحِمَ اللهُ أحَدًا مِنْ قَوْمِ نُوحٍ لَرَحِمَ أُمَّ الصَّبِىّ » ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كانَ نُوحٌ مَكَثَ فِى قَوْمِهِ أَلْفَ سَنَةٍ إلاَّ خَمْسِينَ عاما يَدْعُوهُمْ إلى الله ،حتى كانَ آخِرَ زَمانِهِ غَرَسَ شَجَرَةً ، فعَظُمَتْ وَذَهَبَتْ كُلَّ مَذْهَبٍ ، ثُمَّ قَطَعَها ، ثُمَّ جَعَلَ يَعْمَلُ سَفِينَةً ، وَيَمُرُّونَ فيَسْأَلُونَهُ ، فَيَقُولُ أعْمَلُها سَفِينَةً ،فَيَسْخَرُونَ مِنْهُ وَيَقُولُونَ : تَعْمَلُ سَفِينَةً فِى البَرِّ ، فَكَيْفَ تَجْرِى ؟ فَيَقُولُ : سَوْفَ تَعْلَمُونَ . فَلَمَّا فَرَغَ مِنْها وَفارَ التَّنُّورُ ، وكَثُرَ المَاءُ فِى السِّكَكِ ، خَشِيَتْ أُمُّ صَبِىٍّ عَلَيْهِ ، وكانَتْ تُحِبُّهُ حُبًّا شَدِيدًا ،فخَرَجَتْ إلى الجَبَلِ ،حتى بَلَغَتْ ثُلُثَهُ ؛ فَلَمَّا بَلَغَها المَاءُ خَرَجَتْ حتى بَلَغَتْ ثُلُثَىِ الجَبَلِ ؛فَلَمَّا بَلَغَها المَاءُ ، خَرَجَتْ حتىَّ اسْتَوَتْ على الجَبَلِ ؛ فَلَمَّا بَلَغَ المَاءُ رَقَبَتَها ، رَفَعَتْهُ بينَ يَدَيْها حتى ذَهَبَ بِها المَاءُ ، فَلَوْ رَحِمَ اللهُ مِنْهُمْ أحَدًا لَرَحِمَ أُمَّ الصَّبِىّ » .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال: ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : ذُكر لنا أن طول السفينة ثلاث مئة ذراع ، وعرضها خمسون ذراعا ، وطولها فى السماء ثلاثون ذراعا ، وبابها فى عرضها .

حدثنى الحارث ، قال: ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا مبارك ، عن الحسن ، قال : كان طول سفينة نوح ألف ذراع ومئتى ذراع ، وعرضها ستّ مئة ذراع .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن مفضل بن فضالة ، عن علىّ بن زيد بن جُدْعان ، عن يوسف بن مهران، عن ابن عباس ، قال : قال الحواريون لعيسى بن مريم : لو بعثت لنا رجلا شهد السفينة، فحدثنا عنها.قال: فانطلق بهم، حتى انتهى بهم إلى كثيب من تراب ، فأخذ كفا من ذلك التراب بكفه ، قال : أتدرون ما هذا ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : هذا كعب حام بن نوح ، قال : فضرب الكثيب بعصاه ، قال : قم بإذن الله ، فإذا هو قائم ينفض التراب عن رأسه قد شاب ، قال له عيسى : هكذا هلكت ؟ قال : لا ، ولكن متّ وأنا شاب ،ولكنى ظننت أنها الساعة ، فمن ثمّ شبت، قال: حدِّثْنا عن سفينة نوح ، قال: كان طولها ألف ذراع ومئتى ذراع ، وعرضها ستّ مئة ذراع ، وكانت ثلاث طبقات ، فطبقة فيها الدوابّ والوحش ، وطبقة فيها الإنس ، وطبقة فيها الطير ، فلما كثر أرواث الدوابّ ، أوحى الله إلى نوح أن اغمز ذنب الفيل، فغمزه،فوقع منه خنزير وخنزيرة ، فأقبلا على الرّوث ، فلما وقع الفأر بحبل السفينة يقرضه ، أوحى الله إلى نوح أن اضرب بين عينى الأسد ، فخرج من منخْره سنّور وسنورة، فأقبلا على الفأر ، فقال له عيسى : كيف علم نوح أن البلاد قد غرقت ، قال: بعث الغرابَ يأتيه بالخبر ، فوجد جيفة، فوقع عليها، فدعا عليه بالخوف ، فلذلك لايألف البيوت ، قال: ثم بعث الحمامة،فجاءت بورق زيتون بمنقارها،وطين برجليها،فعلم أن البلاد قد غرقت ، قال : فطوّقها

(١) فائد ، بالفاء الموحدة ، مولى عبادل . وهو عبيد الله بن على بن أبى رافع ؛ وثقه ابن معين .

الخضرة التى فى عنقها ، ودعا لها أن تكون فى أنس وأمان ، فمن ثم تألف البيوت ، قال : فقلنا يا رسول الله ، ألا ننطلق به إلى أهلينا ؟ فيجلس معنا ، ويحدثنا ، قال : كيف يتبعكم من لارزق له ؟ قال : فقال له : عُد بإذن الله ، قال : فعاد ترابا :

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عمن لايتهم ، عن عبيد بن عمير الليثى ، أنه كان يحدّث ، أنه بلغه أنهم كانوا يبطشون به ، يعنى قوم نوح ، فيخنقونه حتى يُغْشَى عليه ، فإذا أفاق قال : اللهمّ اغفر لقومى فإنهم لايعلمون ، حتى إذا تمادَوا فى المعصية ، وعظمت فى الأرض منهم الخطيئة ، وتطاول عليه وعليهم الشأن ، واشتدّ عليه منهم البلاء ، وانتظر النجْل بعد النجْلَ ، فلا يأتى قرن إلا كان أخبث من القرن الذى قبله ، حتى إن كان الآخِرُ منهم ليقول : قد كان هذا مع آبائنا ومع أجدادنا هكذا مجنونا ، لايقبلون منه شيئا ، حتى شكا ذلك من أمرهم نوحٌ إلى الله تعالى ، كما قصّ الله علينا فى كتابه (رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلاً وَنَهَارًا ، فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِى إِلاَّ فِرَارًا) إلى آخر القصة ، حتى (قَالَ رَبِّ لاَتَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الكَافِرِينَ دَيَّارًا ، إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ ، وَلاَ يَلِدُوا إِلاَّ فَاجِرًا كَفَّارًا) إلى آخر القصة ؛ فلما شكا ذلك منهم نوح إلى الله ، واستنصره عليهم ، أوحى الله إليه (أَنِ اصْنَعِ الفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا ، وَلاَ تُخَاطِبْنِى فِى الَّذِينَ ظَلَمُوا) أى بعد اليوم (إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ) فأقبل نوح على عمل الفلك ، ولَهِىَ (١) عن قومه ، وجعل يقطع الخشب ، ويضرب الحديد ، ويهيئ عُدة الفلك من القار وغيره ، مما لايصلحه إلا هو ، وجعل قومه يمرّون به ، وهو فى ذلك من عمله ، فيسخرون منه ، ويستهزئون به ، فيقول (إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ، فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ ، وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ) قال : ويقولون له فيما بلغنى : يا نوح ، قد صرت نجّارا بعد النبوّة ، قال : وأعقم الله أرحام النساء ، فلا يولد لهم ولد.

قال : ويزعم أهل التوراة أن الله أمره أن يصنع الفلك من خشب الساج ، وأن يصنعه أزور ، وأن يطليه بالقار من داخله وخارجه ، وأن يجعل طوله ثمانين ذراعا ، وأن يجعله ثلاثة أطباق : سُفلا ، ووَسَطا ، وعُلْوا ، وأن يجعل فيه كُوًى ، ففعل نوح كما أمره الله ، حتى إذا فرغ منه ، وقد عهد الله إليه إذا جاء أمرنا وفار التنور ، فاحمل فيها من كلّ زوجين اثنين ، وأهلك إلا من سبق عليه القول ، ومن آمن ، وما آمن معه إلا قليل ، وقد جعل التنور آية فيما بينه وبينه ، (ف) قال (إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ ، فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ) واركب ؛ فلما فار التنور ، حمل نوح فى الفلك من أمره الله ، وكانوا قليلا كما قال الله ، وحمل فيها من كلّ زوجين اثنين ، مما فيه الروح والشجر ذكرا وأنثى ، فحَمل فيه بنيه الثلاثة : سام وحام ويافث ونساءهم ، وستة أناس ممن كان آمن به ، فكانوا عشرة نفر ، نوح وبنوه وأزواجهم ، ثم أدخل ما أمره به من الدوابّ ، وتخلّف عنه ابنه يام ، وكان كافرا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن الحسن بن دينار ، عن علىّ بن زيد ، عن يوسف بن مهران ، عن ابن عباس ، قال : سمعته يقول : كان أوّل ما حمل نوح فى الفلك من الدوابّ

(١) لهى عن قومه : تشاغل عنهم وانصرف .

الدرّة، وآخر ما حمل الحمار ؛ فلما دخل الحمار وأدخل صدره، مَسَكَ إبليس بذنبه ، فلم تستقلّ رجلاه ، فجعل نوح يقول : ويحك ادخل ، فينهض فلا يستطيع ، حتى قال نوح : ويحك ! ادخل وإن كان الشيطان معك ؛ قال : كلمة زلّت عن لسانه ، فلما قالها نوح خلّى الشيطان سبيله ، فدخل ودخل الشيطان معه ، فقال له نوح : ما أدخلك علىّ يا عدوّ الله ؟ فقال : ألم تقل : ادخل وإن كان الشيطان معك ؟ قال : اخرج عنى يا عدوّ الله ، فقال : مالك بدّ من أن تحملنى ، فكان فيما يزعمون فى ظهر الفُلْك : فلما اطمأنّ نوح فى الفلك ، وأدخل فيه مَنْ آمن به، وكان ذلك فى الشهر من السنة التى دخل فيها نوح بعد ستّ مئة سنة من عمره، لسبع عشرة ليلة مضت من الشهر ؛ فلما دخل وحمل معه من حمل ، تحرّك ينابيع الغَوْط الأكبر[1] ، وفتح أبواب السماء ، كما قال الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (فَفَتَحْنا أَبْوابَ السَّماءِ بِماءٍ مُنْهَمِرٍ ، وَفَجَّرْنا الأَرْضَ عُيُوناً ، فالْتَقَى الماءُ على أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ) فدخل نوح ومن معه الفلك ، وغطاه عليه وعلى من معه بطبقة ، فكان بين أن أرسل الله الماء ، وبين أن احتمل الماء الفلك ، أربعون يوما وأربعون ليلة ، ثم احتمل الماء كما تزعم أهل التوراة ، وكثر الماء واشتدّ وارتفع . يقول الله لمحمد (وَحَمَلْناهُ على ذاتِ أَلْواحٍ وَدُسُرٍ) والدسر : المسامير ، مسامير الحديد ، فجعلت الفلك تجرى به وبمن معه فى موج كالجبال (وَنادى نُوحٌ ابْنَهُ) الذى هلك فيمن هلك ، (وَكانَ فى مَعْزَلٍ) حين رأى نوح من صِدْق موعد ربه ما رأى ، فقال : (يا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنا ، وَلا تَكُنْ مَعَ الكافِرِينَ) وكان شقيا قد أضمر كفرا (قالَ سآوِى إلى جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ الماءِ) وكان عَهِد الجبال وهى حرز من الأمطار إذا كانت ، فظن أن ذلك كما كان يعهد ، قال نوح (لا عاصِمَ اليَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللهِ إلاَّ مَنْ رَحِمَ ، وَحالَ بَيْنَهُما المَوْجُ ، فَكانَ مِنَ المُغْرَقِينَ) وكثر الماء حتى طغى وارتفع فوق الجبال ، كما تزعم أهل التوراة بخمسة عشر ذراعا ، فباد ما على وجه الأرض من الخلق ، من كل شىء فيه الروح أو شجر ، فلم يبق شىء من الخلائق إلا نوح ومن معه فى الفلك ، وإلا عُوج بن عنق فيما يزعم أهل الكتاب ، فكان بين أن أرسل الله الطوفان ، وبين أن غاض الماء ، ستة أشهر وعشر ليال .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن الحسن بن دينار ، عن علىّ بن زيد بن جُدْعان ، قال ابن حميد ، قال سلمة : وحدثنى حسن بن علىّ بن زيد عن يوسف بن مهران ، قال : سمعته يقول : لما آذى نوحا فى الفلك عَذِرةُ الناس ، أمر أن يمسح ذنب الفيل ، فمسحه ، فخرج منه خنزيران ، وكفى ذلك عنه ، وإن الفأر توالدت فى الفلك ، فلما آذته ، أمر أن يأمر الأسد يعطس ، فعطس ، فخرج من مَنْخِريه هران يأكلان عنه الفأر .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن علىّ بن زيد ، عن يوسف بن مهران عن ابن عباس ، قال : لما كان نوح فى السفينة ، قرض الفأر حبال السفينة ، فشكا نوح ، فأوحى الله إليه ، فمسح ذنب الأسد ، فخرج سِنَّوران ، وكان فى السفينة عَذِرة ، فشكا ذلك إلى ربه ، فأوحى الله إليه ، فمسح ذنب الفيل ، فخرج خنزيران .

(١) الغوط الأكبر : يريد الأراضى المطمئنة الواسعة .

حدثنا إبراهيم بن يعقوب الجوزجانىّ ، قال : ثنا الأسود بن عامر ، قال : أخبرنا سفيان بن سعيد ، عن علىّ بن زيد ، عن يوسف بن مهران ، عن ابن عباس ، بنحوه .

حُدثت عن المسيب بن أبى رَوْق ، عن الضحاك ، قال : قال سليمان القَرَاسِىّ : عمل نوح السفينة فى أربع مئة سنة ، وأنبت الساج أربعين سنة ، حتى كان طوله أربع مئة ذراع ، والذراع إلى المنكب .

القول فى تأويل قوله تعالى

(مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ ، وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ ، حتى إذَا جاءَ أمْرُنا وَفارَ التَّنُّورُ ، قُلْنا احْمِلْ فِيها مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وأهْلَكَ ، إلاَّ مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ القَوْلُ ، وَمَنْ آمَنَ ، وَما آمَنَ مَعَهُ إلاَّ قَلِيلٌ) .

⁂ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل نوح لقومه (فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ) أيها القوم إذا جاء أمر الله ، مَنِ الهالك ؟ (مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ) يقول : الذى يأتيه عذاب الله منا ومنكم يهينه ويذله (ويحلّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ) يقول : وينزل به فى الآخرة مع ذلك عذاب دائم لاانقطاع له ، مقيم عليه أبدا .

وقوله (حتى إذَا جاءَ أمْرُنا) يقول : ويصنع نوح الفلك حتى إذا جاء أمرنا الذى وعدناه أن يجىء قومه ، من الطوفان الذى يغرقهم ، وقوله (وَفارَ التَّنُّورُ) .

اختلف أهل التأويل فى معنى ذلك ، فقال بعضهم : معناه : انبجس الماء من وجه الأرض ، وفار التنور ، وهو وجه الأرض .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا العوّام بن حوشب ، عن الضحاك ، عن ابن عباس أنه قال فى قوله (وَفارَ التَّنُّورُ) قال : التنور : وجه الأرض ، قال : قيل له : إذا رأيت الماء على وجه الأرض ، فاركب أنت ومن معك ، قال : والعرب تسمى وجه الأرض : تَنُّور الأرض .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن العوّام ، عن الضحاك ، بنحوه .

حدثنا أبو كريب وأبو السائب ، قالا : ثنا ابن إدريس ، قال : أخبرنا الشيبانىُّ ، عن عكرمة ، فى قوله (وَفارَ التَّنُّورُ) قال : وجه الأرض .

حدثنا زكريا بن يحيى بن أبى زائدة وسفيان بن وكيع ، قالا : ثنا ابن إدريس ، عن الشيبانىّ ، عن عكرمة (وَفارَ التَّنُّورُ) قال : وجه الأرض .

وقال آخرون : هو تنوير الصبح من قولهم : نَوَّر الصبح تنويرا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو هشام الرفاعىّ ، قال : ثنا محمد بن فُضَيل ، قال : ثنا عبد الرحمن بن إسحاق ، عن عباس مولى أبى جحيفة ، عن أبى جحيفة ، عن علىّ رضى الله عنه ، قوله (حتى إذَا جاءَ أمْرُنا وَفارَ التَّنُّورُ) قال : هو تنوير الصبح .

حدثنا ابن وكيع وإسحاق بن إسرائيل ، قالا : ثنا محمد بن فضيل ، عن عبد الرحمن بن إسحاق ، عن زياد مولى أبى جُحيفة ، عن أبى جُحيفة ، عن علىّ فى قوله (وَفارَ التَّنُّورُ) قال : تنوير الصبح .

حدثنا حماد بن يعقوب ، قال : أخبرنا ابن فضيل ، عن عبد الرحمن بن إسحاق ، عن مولى أبى جُحيفة ، أراه قد سماه عن أبى جحيفة ، عن علىّ (وَفارَ التَّنُّورُ) قال : تنوير الصبح .

حدثنى إسحاق بن شاهين ، قال : ثنا هشيم ، عن ابن إسحاق ، عن رجل من قريش ، عن علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه (وَفارَ التَّنُّورُ) قال : طلع الفجر .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا عبد الرحمن بن إسحاق ، عن رجل قد سماه ، عن علىّ بن أبى طالب ، قوله (وَفارَ التَّنُّورُ) قال : إذا طلع الفجر .

وقال آخرون : معنى ذلك : وفار على الأرض وأشرَفِ مكان فيها بالماء ، وقال : التنور : أشرفُ الأرض .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (حتى إذَا جاء أمْرُنا وَفارَ التَّنُّورُ) : كنا نُحَدَّث أنه أعلى الأرض وأشرفها ، وكان عَلَمًا بين نوح وبين ربه .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا سليمان ، قال : ثنا أبو هلال ، قال : سمعت قتادة ، قوله (وَفارَ التَّنُّورُ) قال : أشرف الأرض وأرفعها ، فار الماء منه .

وقال آخرون : هو التنور الذى يختبز فيه .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (حتى إذا جاءَ أمْرُنا وفارَ التَّنُّورُ) قال : إذا رأيت تنور أهلك يخرج منه الماء ، فإنه هلاك قومك .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، عن أبى محمد ، عن الحسن ، قال : كان تنورا من حجارة كان لحوّاء ، حتى صار إلى نوح ، قال : فقيل له : إذا رأيت الماء يفور من التنور فاركب أنت وأصحابك .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَفارَ التَّنُّورُ) قال : حين انبجس الماء ، وأمر نوح أن يركب هو ومن معه فى الفلك .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَفارَ التَّنُّورُ) قال : انبجس الماء منه آية أن يركب بأهله ، ومن معه فى السفينة .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد نحوه ، إلا أنه قال : آية أن يركب أهله ومن معه فى السفينة .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، بنحوه ، إلا أنه قال : آية بأن يركب بأهله ومن معهم فى السفينة .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا خلف بن خليفة ، عن ليث ، عن مجاهد ، قال : نبع الماء فى التنور ، فعلمت به امرأته فأخبرته ، قال : وكان ذلك فى ناحية الكوفة .

قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا علىّ بن ثابت ، عن السرىّ بن إسماعيل ، عن الشعبىّ أنه كان يحلف بالله ما فار التنور إلا من ناحية الكوفة .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عبد الحميد الحمّانى ، عن النضر أبى عمر الخزاز ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، فى قوله (وَفارَ التَّنُّورُ) قال : فار التنور بالهند .

حُدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، يقول : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (وَفارَ التَّنُّورُ) كان آية لنوح إذا خرج منه الماء ، فقد أتى الناس الهلاك والغرق ، وكان ابن عباس يقول فى معنى فار : نبع .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَفارَ التَّنُّورُ) قال : نبع .

قال أبو جعفر : وفوران الماء سَوْرة دفعته ، يقال منه : فار الماء يفور فوَرَانا وفَوْرا ، وذاك إذا سارت دفعته .

⁂ وأولى هذه الأقوال عندنا بتأويل قوله (التَّنُّور) : قول من قال : هو التنور الذى يُخبز فيه ، لأن ذلك هو المعروف من كلام العرب ، وكلام الله لا يوجه إلا إلى الأغلب الأشهر من معانيه عند العرب ، إلا أن تقوم حجتهم على شىء منه بخلاف ذلك ، فيسلم لها . وذلك أنه جل ثناؤه إنما خاطبهم بما خاطبهم به ، لإفهامهم معنى ما خاطبهم به . قلنا لنوح حين جاء عذابنا قومه الذى وعدنا نوحا أن نعذّبهم به ، وفار التنور الذى جعلنا فورانه بالماء آية مجىء عذابنا بيننا وبينه لهلاك قومه : (احْمِلْ فِيها) يعنى فى الفلك (مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ) يقول : من كلّ ذكر وأنثى .

كما حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (مِنْ كلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ) قال : ذكر وأنثى من كلّ صنف .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ) فالواحد زوج ، والزوجين ذكر وأنثى من كلّ صنف .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ) قال : ذكر وأنثى من كل صنف .

قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (قُلْنا احْمِلْ فِيها مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ) يقول : من كلِّ صنف اثنين .

حُدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ) يعنى بالزوجين اثنين : ذكرا وأنثى .

وقال بعض أهل العلم بكلام العرب من الكوفيين : الزوجان فى كلام العرب : الاثنان ، قال : ويقال عليه زوجا نعال : إذا كانت عليه نعلان ، ولا يقال عليه زوج نعال ، وكذلك عنده زوجا حمام ، وعليه زوجا قيود : وقال : ألا تسمع إلى قوله (وأنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ والأُنْثَى) فإنما هما اثنان .

وقال بعض البصريين من أهل العربية فى قوله (قُلْنا احْمِلْ فِيها مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ) قال : فجعل الزوجين : الضربين ، الذكور والإناث ، قال : وزعم يونس أن قول الشاعر :

وأنْتَ امْرُؤٌ تَعْدُو على كُلِّ غِرَّةٍ فتُخْطِئُ فِيها مَرَّةً وتُصِيبُ [1]

يعنى به الذئب ، قال : فهذا أشذّ من ذلك . وقال آخر منهم : الزوج : اللون ، قال : وكل ضرب يدعى لونا ، واستشهد ببيت الأعشى فى ذلك :

وكُلُّ زَوْجٍ مِنَ الدِّيباجِ يَلْبَسُهُ أبُو قُدَامَةَ مَحْبُوًّا بِذَاكَ مَعا [2]

وبقول لبيد :

وبذى بَهْجَةٍ كَنَّ المَقانِبَ صَوْبُهُ وَزَيَّنَهُ أزْوَاجُ نَوْرٍ مُشَرَّبِ [3]

وذكر أن الحسن قال فى قوله (وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنا زَوْجَيْنِ) السماء زوج ، والأرض زوج ، والشتاء زوج ، والصيف زوج ، والليل زوج ، والنهار زوج ، حتى يصير الأمر إلى الله الفرد ، الذى لايشبهه شىء .

وقوله (وأهْلَكَ إلاَّ مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ القَوْلُ) يقول : واحمل أهلك أيضا فى الفلك . يعنى بالأهل : ولده ونساءه وأزواجه ، إلا من سبق عليه القول ، يقول : إلا من قلت فيهم إنى مهلكه مع من أهلك من قومك .

---

(١) هذا البيت من شواهد يونس النحوى على أن العرب قد تطلق لفظ المرء على الذئب ، وأصله للرجل . أورده صاحب اللسان فى (مرأ) شاهدا على ذلك . ونقله المؤلف حاكيا لما يقوله بعض البصريين فى تفسير قوله تعالى : « من كل زوجين اثنين » أن المراد اثنان من ضربين مختلفين : ذكر وأنثى ، وهذا بخلاف قول الكوفيين إن المراد من الزوجين : الاثنان مطلقا ، قال البصريون : وليس إطلاق الزوجين على الذكر والأنثى من أى صنف ، بأبعد من إطلاق الشاعر العربى كلمة (المرء) على الذئب ، كما فى البيت الذى استشهد به يونس على ذلك .

(٢) هذا البيت أورده (اللسان : زوج) منسوبا للأعشى ، شاهدا على أن معنى الزوج : اللون ، كما فى التهذيب للأزهرى . والبيت فى ديوان الأعشى طبعة القاهرة بشرح الدكتور محمد حسين ، وهو التاسع والأربعون فى قصيدة له ، يمدح بها هوذة بن على الحنفى . صاحب اليمامة (انظر أخباره ص ١٠٠ وما بعدها من الديوان) . وقوله : « وكل زوج » : معطوف على قوله قبله « له أكاليل بالياقوت زينها » . . . الخ وهو مما حباه به ملك فارس حين قدم عليه .

(٣) البيت فى ديوان لبيد (طبعة فينا ص ٣٨) وفيه « أطراف نبت » ، ويروى « ألوان نور » . يصف غيثا بأنه ذو بهجة ونبات حسن ذى أزهار ملونة ريانة من الماء ، وقد طال حتى ستر مقانب الخيل .

ثم اختلفوا فى الذى استثناه الله من أهله ، فقال بعضهم : هو بعض نساء نوح .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جريج (وأهْلَكَ إلاَّ مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ القَوْلُ) قال : العذاب . هى امرأته كانت من الغابرين فى العذاب .

وقال آخرون : بل هو ابنه الذى غرق .

ذكر من قال ذلك

حُدثت عن المسيب ، عن أبى روق ، عن الضحاك ، فى قوله (وأهْلَكَ إلاَّ مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ القَوْلُ) قال : ابنه غرق فيمن غرق .

وقوله (وَمَنْ آمَنَ) يقول : واحمل معهم من صدّقك واتبعك من قومك ، يقول الله (وما آمَنَ مَعَهُ إلاَّ قَلِيلٌ) يقول : وما أقرّ بوحدانية الله مع نوح من قومه إلا قليل .

واختلفوا فى عدد الذين كانوا آمنوا معه ، فحملهم معه فى الفلك ، فقال بعضهم فى ذلك : كانوا ثمانية أنفس .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وأهْلَكَ إلاَّ مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ القَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَما آمَنَ مَعَهُ إلاَّ قَلِيلٌ) قال : ذكر لنا أنه لم يتمّ فى السفينة إلا نوح وامرأته وثلاثة بنيه ، ونساؤهم ، فجميعهم ثمانية .

حدثنا ابن وكيع والحسن بن عرفة ، قالا : ثنا يحيى بن عبد الملك بن أبى غنية ، عن أبيه ، عن الحكم (وَما آمَنَ مَعَهُ إلاَّ قَلِيلٌ) قال : نوح ، وثلاثة بنيه ، وأربع كنائنه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جريج : حُدثت أن نوحا حمل معه بنيه الثلاثة وثلاث نسوة لبنيه ، وامرأة نوح ، فهم ثمانية بأزواجهم وأسماء بنيه : يافث ، و سام ، وحام ، وأصاب حام زوجته فى السفينة ، فدعا نوح أن يغير نطفته ، فجاء بالسودان .

وقال آخرون : بل كانوا سبعة أنفس .

ذكر من قال ذلك

حدثنى الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش (وَما آمَنَ مَعَهُ إلاَّ قَلِيلٌ) قال : كانوا سبعة : نوح ، وثلاث كنائن له ، وثلاثة بنين .

وقال آخرون : كانوا عشرة سوى نسائهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : لما فار التنور ، حمل نوح فى الفلك من أمره الله به ، وكانوا قليلا كما قال الله ، فحمل بنيه الثلاثة : سام ، وحام ، ويافث ، ونساءهم ، وستة أناسىّ ممن كان آمن ، فكانوا عشرة نفر ، بنوح وبنيه وأزواجهم .

وقال آخرون : بل كانوا ثمانين نفسا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جريج ، قال ابن عباس : حمل نوح معه فى السفينة ثمانين إنسانا .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا سفيان ، كان بعضهم يقول : كانوا ثمانين ، يعنى القليل الذى قال الله (وَما آمَنَ مَعَهُ إلاَّ قَلِيلٌ) .

حدثنى موسى بن عبد الرحمن المسروقى ، قال : ثنا زيد بن الحُباب ، قال : ثنى حسين بن واقد الخُراسانىّ ، قال : ثنى أبو نَهِيك ، قال : سمعت ابن عباس يقول : كان فى سفينة نوح ثمانون رجلا ، أحدهم جُرْهُم .

⁂ والصواب من القول فى ذلك : أن يقال كما قال الله (وَما آمَنَ مَعَهُ إلاَّ قَلِيلٌ) : يصفهم بأنهم كانوا قليلا ، ولم يحدّد عددهم بمقدار ، ولا خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم صحيح ، فلا ينبغى أن يتجاوز فى ذلك حدّ الله ، إذ لم يكن لمبلغ عدد ذلك حدّ من كتاب الله ، أو أثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

القول فى تأويل قوله تعالى

* وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا ، إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (٤١)

⁂ يقول تعالى ذكره : وقال نوح : اركبوا فى الفلك بسم الله مَجراها ومَرساها . وفى الكلام محذوف قد استغنى بدلالة ما ذكر من الخبر عليه عنه ، وهو قوله (قُلْنا احْمِلْ فِيها مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وأهْلَكَ إلاَّ مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ القَوْلُ مِنْهُمْ ، وَمَنْ آمَنَ ، وَما آمَنَ مَعَهُ إلاَّ قَلِيلٌ) ، فحملهم نوح فيها ، وقال لهم : اركبوا فيها ، فاستغنى بدلالة قوله (وَقالَ ارْكَبُوا فِيها) عن حمله إياهم فيها ، فترك ذكره .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (بِسْمِ اللهِ مَجْرِيها وَمُرْساها) فقرأته عامة قراء أهل المدينة والبصرة وبعض الكوفيين (بِسْمِ اللهِ مُجْرَاها ومُرْساها) بضم الميم فى الحرفين كليهما . وإذا قرئ كذلك ، كان من أجرى وأرسى ، وكان فيه وجهان من الإعراب : أحدهما الرفع بمعنى : «بسم الله» إجراؤها وإرساؤها ، فيكون المُجْرَى والمُرْسَى مرفوعين حينئذ بالباء التى فى قوله (بِسْمِ اللهِ) والآخر النصب ، بمعنى : بسم الله عند إجرائها وإرسائها ، أو وقت إجرائها وإرسائها ، فيكون قوله بسم الله : كلاما مكتفيا بنفسه ، كقول القائل عند ابتدائه فى عمل يعمله : باسم الله ، ثم يكون المُجْرَى والمُرْسَى منصوبين على ما نصبت العرب قولهم : الحمد لله سرارَك وإهلالَك ، يعنون الهلال : أوّله وآخره ، كأنهم قالوا : الحمد لله أوّل الهلال وآخره ، ومسموع منهم أيضا : الحمد لله ما إهلالُك إلى سرارك . وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفيين (بِسْمِ اللهِ مَجْرِيها وَمُرْساها) بفتح الميم من مَجراها ، وضمها من مُرساها ، فجعلوا مجراها مصدرا ، من جرى يجرى مَجْرًى ،

ومُرساها: من أرسَى يُرْسِي إرساء. وإذا قرئ ذلك كذلك كان فى إعرابهما من الوجهين، نحوُ الذي فيهما إذا قرئا: مُجراها ومُرساها، بضم الميم فيهما على ما بيَّنت.

ورُوِى عن أبى رجاء العُطاردىّ، أنه كان يقرأ ذلك (بسمِ اللهِ مُجْرِيها ومُرْسِيها) بضمّ الميم فيهما، ويصيرهما نعتا لله، وإذا قرئا كذلك، كان فيهما أيضا وجهان من الإعراب، غير أن أحدهما الخفض، وهو الأغلب عليهما من وجهى الإعراب.

لأن معنى الكلام على هذه القراءة: بسم الله مُجْرِى الفلك ومُرسِيها، فالمجْرُى: نعت لاسم الله. وقد يحتمل أن يكون نصبا، وهو الوجه الثانى، لأنه يحسن دخول الألف واللام فى المُجرِى والمُرْسِي، كقولك بسم الله المُجْرِيها والمُرْسِيها، وإذا حذفتا نصبتا على الحال، إذ كان فيهما معنى النكرة، وإن كانا مضافين إلى المعرفة. وقد ذُكر عن بعض الكوفيين أنه قرأ ذلك مَجْراها ومَرْساها، بفتح الميم فيهما جميعا، من جرى ورسا: كأنه وجهه إلى أنه فى حال جريها، وحال رسوّها، وجعل كلتا الصفتين للفُلْك، كما قال عنترة:

فَصَبَرْتُ نَفْسا عِنْدَ ذلكَ حُرَّةً تَرْسُو إذَا نَفْسُ الجَبانِ تَطَلَّعُ[1]

والقراءة التى نختارها فى ذلك: قراءة من قرأ (بِسْمِ اللهِ مَجْرَاها) بفتح الميم (ومُرْساها) بضم الميم، بمعنى: بسم الله حين تجرى وحين تُرْسِي. وإنما اخترت الفتح فى ميم مَجْراها لقرب ذلك من قوله (وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كالجِبالِ) ولم يقل: تُجْرَى بهم، ومن قرأ (بِسْمِ اللهِ مَجْراها) كان الصواب على قراءته أن يقرأ: وهى تجرى بهم. وفى إجماعهم على قراءة تجرى بفتح التاء، دليل واضح على أن الوجه فى مَجراها فتح الميم. وإنما اخترنا الضم فى مُرساها لإجماع الحجة من القرّاء على ضمها، ومعنى قوله (مَجْراها): مسيرها. (ومُرْساها): وَقْفها، من وقفها الله وأرساها. وكان مجاهد يقرأ ذلك بضم الميم فى الحرفين جميعا.

حدثنى المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا عبد الله، عن ورقاء، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد (بِسْمِ اللهِ مُجْرَاها وَمُرْساها) قال: حين يركبون ويُجْرُون ويُرْسُون.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا ابن نمير، عن ورقاء، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد (بِسْمِ اللهِ مُجْرَاها وَمُرْساها) قال: بسم الله حين يُجْرُون وحين يُرْسُون.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا جابر بن نوح، قال: ثنا أبو رَوْق، عن الضحاك، فى قوله (ارْكَبُوا

(١) البيت أورده (اللسان: صبر). قال: ولو حبس رجل نفسه على شىء يريده قال: صبرت نفسى، قال عنترة يذكر حربا كان فيها: «فصبرت عارفة لذلك حرة» ... الخ. قال أبو عبيد: يقول: إنه حبس نفسه. وبهذه الرواية جاء البيت فى شعر عنترة: (مختار الشعر الجاهلى طبعة مطبعة الحلبى ص ٣٩٢) ومعنى صبرت عارفة: حبست نفسا عارفة، أى صابرة، تصبر للشدائد، ولا تنكرها وترسو: تثبت وتستقر، ولا تتطلع إلى الخلق جبنا وفزعا، كما تتطلع نفس الجبان. ومحل الشاهد فيه: أن بعض الكوفيين قرأ قوله تعالى (باسم الله مجراها ومرساها» بفتح الميم فيهما، من جرى يجرى، ورسا يرسو.

فيها بِسْمِ اللهِ مُجْرَاها وَمُرْساها) قال : إذا أراد أن ترسى قال : بسم الله ، فأرست ، وإذا أراد أن تجرى قال بسم الله ، فجرت .

وقوله (إنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَحِيمٌ) يقول : إن ربى لساتر ذنوب من تاب وأناب إليه ، رحيم بهم أن يعذّبهم بعد التوبة .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ : يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا ، وَلَا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ (٤٢)

يعنى تعالى ذكره بقوله (وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ) والفلك تجرى بنوح ومن معه فيها (فِى مَوْجٍ كالجِبالِ وَنادَى نُوحٌ ابْنَهُ) يام (وكانَ فِى مَعْزِلٍ) عنه ، لم يركب معه الفلك (يا بُنَىَّ ارْكَبْ مَعَنا) الفلك ، (وَلا تَكُنْ مَعَ الكافِرِينَ) .

القول فى تأويل قوله تعالى

قَالَ : سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ ، قَالَ : لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ، وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ (٤٣)

يقول تعالى ذكره : قال ابن نوح لما دعاه نوح إلى أن يركب معه السفينة ، خوفا عليه من الغرق : (سآوِى إلى جَبَلٍ يَعْصِمُنى مِنَ الماءِ) يقول : سأصير إلى جبل أتحصن به من الماء ، فيمنعنى منه أن يغرقنى ، ويعنى بقوله (يَعْصِمُنِى) يمنعنى ، مثل عِصام القربة الذى يشدّ به رأسها ، فيمنع الماء أن يسيل منها . وقوله (لاعاصِمَ اليَوْمَ مِنْ أمْرِ اللهِ إلاَّ مَنْ رَحِمَ) : يقول : لامانع اليوم من أمر الله الذى قد نزل بالخلق ، من الغرق والهلاك ، إلا من رَحِمنا ، فأنقذنا منه ، فإنه الذى يمنع من شاء من خلقه ويعصم ، فمن فى موضع رفع ، لأن معنى الكلام : لاعاصم يعصم اليوم من أمر الله ، إلا الله .

وقد اختلف أهل العربية فى موضع « مَنْ » فى هذا الموضع ، فقال بعض نحوِيِّى الكوفة : هو فى موضع نصب ، لأن المعصوم بخلاف العاصم ، والمرحوم معصوم ، قال : كأن نصبه بمنزلة قوله (ما لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إلاَّ اتِّباعَ الظَّنِّ) قال : ومن استجاز اتباعُ الظن ، والرفعَ فى قوله :

وَبَلْدَةٍ لَيْسَ بِها أنِيسُ إلاَّ اليَعافِيرُ وَإلاَّ العِيسُ [1]

(١) البيت لجران العود النميرى : وهو من شواهد النحويين (خزانة الأدب الكبرى للبغدادى ٤ : ١٩٧) على أن الاستثناء فى البيت منقطع ؛ لأن اليعافير والعيس ، ليسا من نوع المستثنى منه وهو الأنيس . وللعرب فى مثل هذا مذهبان ، فالحجازيون ينصبون المنقطع ، على الاستثناء ، وبنو تميم يرفعونه على البدلية مما قبله . والبلدة : القطعة من الأرض . والأنيس : المؤنس من الناس . واليعافير : جمع يعفور : هو ولد الظبية ، وولد البقرة الوحشية أيضا . وقيل : هو تيس الظباء . والعيس : إبل بيض ، يخالط بياضها شقرة ، جمع أعيس وعيساء .

لم يجز له الرفع فى « مَنْ » ، لأن الذى قال : إلا اليعافيرُ ، جعل أنيس البر اليعافير وما أشبهها ، وكذلك قوله : إلا اتباع الظنّ ، يقول علمهم ظَنّ . قال : وأنت لايجوز لك فى وجه أن تقول : المعصوم هو عاصم فى حال ، ولكن لو جعلت العاصم فى تأويل معصوم ، لامعصوم اليوم من أمر الله ، لجاز رفع « مَنْ » . قال : ولا ينكر أن يخرج المفعول على فاعل ، ألا ترى قوله (مِنْ ماءٍ دَافِقٍ) معناه ، والله أعلم : مدفوق ، وقوله فى عيشة راضية ، معناها مرضية : قال الشاعر .

دَعِ المَكارِمَ لاتَرْحَلْ لِبُغْيَتِها وَاقْعُدْ فإنَّك أنتَ الطَّاعِمُ الكاسِي [1]

ومعناه : المكسوّ . وقال بعض نحويّ البصرة : (لاعاصِمَ اليَوْمَ مِنْ أمْرِ اللهِ إلاَّ مَنْ رَحِمَ) : على لَكِنْ مَنْ رحم ، ويجوز أن يكون على : لاذا عصمة : أى معصوم ، ويكون إلا من رحم رفعا ، بدلا من العاصم . ولا وجه لهذه الأقوال التى حكيناها عن هؤلاء ، لأن كلام الله تعالى إنما يوجه إلى الأفصح الأشهر من كلام مَن نزل بلسانه ، ما وُجِد إلى ذلك سبيل ، ولم يضطرنا شىء إلى أن نجعل عاصما فى معنى معصوم ، ولا أن نجعل « إلاَّ » بمعنى لكن ، إذ كنا نجد لذلك فى معناه ، الذى هو معناه فى المشهور من كلام العرب ، مَخْرجا صحيحا ، وهو ما قلنا من أن معنى ذلك : قال نوح : لاعاصم اليوم من أمر الله إلا من رحمنا ، فأنجانا من عذابه ، كما يقال : لامُنْجِيَ اليوم من عذاب الله إلا الله ، ولامُطْعِم اليوم من طعام زيد إلا زيد ، فهذا هو الكلام المعروف ، والمعنى المفهوم .

وقوله (وَحالَ بَيْنَهُما المَوْجُ فَكانَ مِنَ المُغْرَقِينَ) يقول : وحال بين نوح وابنه موج الماء ، فغرق ، فكان ممن أهلكه الله بالغرق من قوم نوح ، صلى الله عليه وسلم .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ ، وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى ، وَغِيضَ ٱلْمَآءُ ، وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ، وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ ، وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ (٤٤)

يقول الله تعالى ذكره : وقال الله للأرض بعد ماتناهى أمره فى هلاك قوم نوح ، بما أهلكهم به من الغرق : (يا أَرْضُ ابْلَعِى ماءَكِ) : أى تَشَرَّبى ، من قول القائل : بَلَعَ فلان كذا يَبْلَعه ، أو بَلِعَه يَبْلَعُه [2] : إذا ازدرده (وَيَاسَمَاءُ أقْلِعى) يقول : أقلعى عن المطر أمسكى (وَغِيضَ الماءُ) ذهبت به الأرض ونشفته (وَقُضِيَ الأمْرُ) يقول : قُضِى أمر الله ، فمضى بهلاك قوم نوح (وَاسْتَوَتْ على الجُودِيّ) : يعنى الفُلْك استوت : أرست على الجودىّ ، وهوجبل فيما ذكر بناحية الموصل أو الجزيرة . (وَقيلَ بُعْدًا للقَوْمِ الظَّالِمِينَ) يقول : قال الله : أبعد الله القوم الظالمين ، الذين كفروا بالله من قوم نوح .

---

(١) البيت للحطيئة (اللسان : كسا) . واختلف العلماء فى قوله : « الطاعم الكاسى » فقال سيبويه هو محمول على النسب ، أى ذو كسوة . وقال ابن سيده : وقد ذكرنا فى غير موضع ، أن الشىء إنما يحمل على النسب إذا عدم الفعل . وقول الحطيئة : « الطاعم الكاسى » أى المكتسى ، لأنه يقال : كسى العريان ، ولا يقال : كسا . وقال الفراء : الكاسى يعنى المكسو ، كقولك ماء دافق ، وعيشة راضية .

(٢) الفعل من بابى تعب ونفع ، و مصدر الأول بفتح اللام وإسكانها ، ومصدر الثانى بالإسكان فقط . (انظر المصباح المنير) .

حدثنا عباد بن يعقوب الأسدى، قال: ثنا المحاربىّ، عن عثمان بن مطر، عن عبد العزيز بن عبد الغفور، عن أبيه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فِى أول يَوْمٍ مِنْ رَجَبٍ رَكِبَ نُوحٌ السَّفِينَةَ، فَصَامَ هُوَ وَجَمِيعُ مَنْ مَعَهُ، وَجَرَتْ بِهِمُ السَّفِينَةُ سِتَّةَ أَشْهُرٍ، فانْتَهَى ذلكَ إلى المُحَرَّمِ، فَأَرْسَتِ السَّفِينَةَ على الجُودِىّ يَوْمَ عاشُورَاءَ، فَصَامَ نُوحٌ، وأَمَرَ جَمِيعَ مَنْ مَعَهُ مِنَ الوَحْشِ والدَّوَابّ، فَصَامُوا شُكْرًا لِلهِ».

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنى حجاج، عن ابن جريج، قال: «كانت السفينة أعلاها للطير، ووسطها للناس، وفى أسفلها السباع، وكان طولها فى السماء ثلاثين ذراعا، دفعت من عين وردة[1] يوم الجمعة لعشر ليال مضين من رجب، وأرست على الجودىّ يوم عاشواء، ومرّت بالبيت، فطافت به سبعا، وقد رفعه الله من الغرق، ثم جاءت اليمن، ثم رجعت».

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنى حجاج، عن أبى جعفر الرازىّ، عن قتادة، قال: «هبط نوح من السفينة يوم العاشر من المحرّم، فقال لمن معه: من كان منكم اليوم صائما فليتمّ صومه، ومن كان مفطرا فليصم».

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنى حجاج، عن أبى معشر، عن محمد بن قيس قال: كان فى زمن نوح شبر من الأرض لا إنسان يدّعيه[2].

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قال: ذكر لنا أنها، يعنى الفلك استقلت بهم فى عشر خلون من رجب، وكانت فى الماء خمسين ومئة يوم، واستقرّت على الجودىّ شهرا، وأهبط بهم فى عشر من المحرّم يوم عاشوراء.

وبنحو ما قلنا فى تأويل قوله (وَغِيضَ المَاءُ، وَقُضِيَ الأَمْرُ، وَاسْتَوَتْ على الجُودِىّ) قال أهل التأويل:

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد: (وَغِيضَ المَاءُ) قال: نقص. (وَقُضِيَ الأَمْرُ) قال: هلاك قوم نوح.

حدثنى المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد، مثله.

حدثنى القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنى حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله.

قال: قال ابن جريج (وَغِيضَ المَاءُ) نَشِفته الأرض.

حدثنى المثنى، قال: ثنا عبد الله، قال: ثنا معاوية، عن علىّ، عن ابن عباس، قوله (يا سَمَاءُ أَقْلِعِى) يقول: أمسكى. (وَغِيضَ المَاءُ) يقول: ذهب الماء.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (وَغِيضَ المَاءُ) الغُيوض: ذهاب الماء (وَاسْتَوَتْ على الجُودِىّ).

(١) فى معجم البلدان لياقوت (٦ : ٢٥٨) طبع القاهرة: عين الوردة، وهو رأس عين المشهورة بالجزيرة.

(٢) لعله: ما كان فى زمن نوح شبر من الأرض لإنسان يدعيه.

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَاسْتَوَتْ على الجُودِيِّ) قال : جبل بالجزيرة ، تشامخت الجبال من الغرق ، و تواضع هو لله فلم يغرق ، فأُرسيت عليه .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَاسْتَوَتْ على الجُودِيّ) قال : الجودىّ : جبل بالجزيرة ، تشامخت الجبال يومئذ من الغرق و تطاولت ، وتواضع هو لله فلم يغرق ، وأُرسيت سفينة نوح عليه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَاسْتَوَتْ على الجُودِيّ) يقول : على الجبل ، واسمه الجُودىّ .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا سفيان (وَاسْتَوَتْ على الجُودِيّ) قال : جبل بالجزيرة ، شمخت الجبال وتواضع حين أرادت أن ترفأ عليه سفينة نوح .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَاسْتَوَتْ على الجُودِيّ) أبقاها الله لنا بوادى أرض الجزيرة عبرة وآية .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول (وَاسْتَوَتْ على الجُودِيّ) : هو جبل بالموصل .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : ذكر لنا أن نوحا بعث الغراب لينظر إلى الماء ، فوجد جيفة ، فوقع عليها ، فبعث الحمامة فأتته بورق الزيتون ، فأعطيت الطوق الذى فى عنقها ، وخضاب رجليها .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : لما أراد الله أن يكفّ ذلك ، يعنى الطوفان ، أرسل ريحا على وجه الأرض ، فسكن الماء ، واستدت ينابيع الأرض الغمر الأكبر ، وأبواب السماء ، يقول الله تعالى (وَقِيلَ يا أَرْضُ ابْلَعِي ماءَكِ ، ويا سَماءُ أَقْلِعِي) . . . إلى (بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظّالِمِينَ) فجعل ينقص ويغيض ويدبر ، وكان استواء الفلك على الجودىّ ، فيما يزعم أهل التوراة فى الشهر السابع لسبع عشرة ليلة مضت منه ، فى أوّل يوم من الشهر العاشر ، رُئِيَ رءوس الجبال ؛ فلما مضى بعد ذلك أربعون يوما فتح نوح كوّة الفلك التى صنع فيها ، ثم أرسل الغراب لينظر له ما فعل الماء ، فلم يرجع إليه ، فأرسل الحمامة فرجعت إليه ، ولم يجد لرجليها موضعا ، فبسط يده للحمامة ، فأخذها ، ثم مكث سبعة أيام ، ثم أرسلها لتنظر له ، فرجعت حين أمست وفى فيها ورق زيتونة ، فعلم نوح أن الماء قد قلّ عن وجه الأرض ، ثم مكث سبعة أيام ، ثم أرسلها فلم ترجع ، فعلم نوح أن الأرض قد برزت ، فلما كملت السنة فيما بين أن أرسل الله الطوفان إلى أن أرسل نوح الحمامة ودخل يوم واحد من الشهر الأوّل من سنة اثنتين ، برزوجه الأرض ، فظهر اليَبَس ، وكشف نوح غطاء الفلك ، ورأى وجه الأرض ؛ وفى الشهر الثانى من سنة اثنتين

فى سبع وعشرين ليلة منه، قيل لنوح (اهْبِطْ بِسَلامٍ مِنَّا وَبَرَكاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ) .

حُدثت عن الحسين بن الفرج ، قال: سمعت أبا مُعاذ يقول : ثنا عُبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول : تزعم أناس أن من غرق من الولدان: مع آبائهم ، وليس كذلك ، إنما الولدان بمنزلة الطير ، وسائر من أغرق الله بغير ذنب ، ولكن حضرت آجالهم ، فماتوا لآجالهم ، والمدركون من الرجال والنساء كان الغرق عقوبة من الله لهم فى الدنيا ، ثم مصيرهم إلى النار .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُ ، فَقَالَ : رَبِّ إِنَّ ٱبْنِي مِنْ أَهْلِي ، وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ ، وَأَنْتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ (٤٥)

⁂ يقول تعالى ذكره: ونادى نوح ربه ، فقال : ربّ إنك وعدتنى أن تنجينى من الغرق والهلاك وأهلى ، وقد هلك ابنى ، وابنى من أهلى (وَإِنَّ وَعْدَكَ الحَقُّ) الذى لاخُلْف له (وأنْتَ أحكَمُ الحاكِمِينَ) بالحقّ ، فاحكم لى ، بأن تنجيَ بما وعدتنى ، من أن تنجيَ لى أهلى ، وترجعَ إلىّ ابنى .

كما حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله (وأنْتَ أحْكَمُ الحاكِمِينَ) قال : أحكم الحاكمين بالحقّ .

القول فى تأويل قوله تعالى

قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ، إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ، فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ، إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ (٤٦)

⁂ يقول الله تعالى ذكره: قال الله: يا نوح ، إن الذى غرّقته فأهلكته ، الذى تذكر أنه من أهلك ، ليس من أهلك.

واختلف أهل التأويل فى معنى قوله (لَيْسَ مِنْ أهْلِكَ) فقال بعضهم : معناه : ليس من ولدك : هو من غيرك ، وقالوا : كان ذلك من حِنْث .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، عن عوف ، عن الحسن ، فى قوله (إنَّهُ لَيْسَ مِنْ أهْلِكَ) قال : لم يكن ابنه .

حدثنا أبو كريب وابن وكيع ، قالا : ثنا يحيى بن يمان ، عن شريك ، عن جابر ، عن أبى جعفر (وَنادَى نُوحٌ ابْنَهُ) قال : ابن امرأته .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن عُلَيَة ، عن أصحاب ابن أبى عَروبة فيهم الحسن ، قال : لا والله ماهو بابنه .

قال : ثنا أبى ، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن أبى جعفر (وَنادَى نُوحٌ ابْنَهُ) قال : هذه بلغة طىّ ، لم يكن ابنه ، كان ابن امرأته .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : ثنا هشيم ، عن عوف ومنصور ، عن الحسن فى قوله (إنَّهُ لَيْسَ مِنْ أهْلِكَ) قال : لم يكن ابنه ، وكان يقرؤها (إنَّهُ عَمِلَ غيرَ صَالِحٍ) .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة قال : كنت عند الحسن فقال : نادى نوح ابنه : لعمرُ الله ما هو ابنه . قال : قلت يا أبا سعيد يقول (وَنادَى نُوحٌ ابْنَهُ) وتقول : ليس بابنه ؟ قال : أفرأيت قوله (إنَّهُ لَيْسَ مِنْ أهْلِكَ) قال : قلت إنه ليس من أهلك الذين وعدتك أن أنجيهم معك ، ولا يختلف أهل الكتاب أنه ابنه ، قال : إن أهل الكتاب يَكْذِبون .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : سمعت الحسن يقرأ هذه الآية (إنَّهُ لَيْسَ مِنْ أهْلِكَ ، إنَّهُ عَمَلٌ غيرُ صَالِحٍ) فقال عند ذلك : والله ما كان ابنه ، ثم قرأ هذه الآية : (فخانَتاهُما) قال سعيد : فذكرت ذلك لقتادة ، قال : ما كان ينبغى له أن يحلف .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (فَلا تَسْأَلْنِ ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ) قال : تبين لنوح أنه ليس بابنه .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (فَلا تَسْأَلْنِ ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ) قال : بين الله لنوح أنه ليس بابنه .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

قال ابن جريج فى قوله (وَنادَى نُوحٌ ابْنَهُ) قال : ناداه وهو يحسبه أنه ابنه ، وكان وُلِد على فراشه .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا إسرائيل ، عن ثور ، عن أبى جعفر ، (إنَّهُ لَيْسَ مِنْ أهْلِكَ) قال : لو كان من أهله لنجا .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا سفيان ، عن عمرو ، وسمع عبيد بن عمير يقول : نرى أن ما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم « الوَلَدُ للفِرَاشِ » : من أجل ابن نوح .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن عُلَيَة ، عن ابن عون ، عن الحسن ، قال : لا ، والله ماهو بابنه .

وقال آخرون : معنى ذلك : (لَيْسَ مِنْ أهْلِكَ) الذين وعدتك أن أُنجيهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب وابن وكيع ، قالا : ثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن أبى عامر ، عن الضحاك ، عن ابن عباس ، فى قوله (وَنادَى نُوحٌ ابْنَهُ) قال : هو ابنه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن سفيان ، قال : ثنا أبو عامر ، عن الضحاك ، قال : قال ابن عباس : هو ابنه ، ما بَغَتِ امرأة نبىّ قطُّ .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثورىّ ، عن أبى عامر الهمدانىّ ، عن الضحاك بن مزاحم ، عن ابن عباس ، قال : ما بغت امرأة نبىّ قطّ ، قال : وقوله (إنَّهُ لَيْسَ مِن أهْلِكَ) : الدين وعدتك أن أنجيهم معك .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة وغيره ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : هو ابنه ، غيرَ أنه خالفه فى العمل والنية ، قال عكرمة فى بعض الحروف : إنه عمل عملا غير صالح ، والخيانة تكون على غير باب .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : كان عكرمة يقول : كان ابنه ، ولكن كان مخالفا له فى النية والعمل ، فمن ثم قيل له (إنَّهُ لَيْسَ مِنْ أهْلِكَ) .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثورىّ وابن عيينة ، عن موسى بن أبى عائشة عن سليمان بن قَتَّة [1] ، قال : سمعت ابن عباس يُسئل وهو إلى جنب الكعبة ، عن قول الله تعالى (فخانَتَاهُمَا) قال : أمَا إنه لم يكن بالزنا ، ولكن كانت هذه تخبر الناس أنه مجنون ، وكانت هذه تدلّ على الأضياف ، ثم قرأ (إنَّهُ عَمَلٌ غيرُ صَالِحٍ) .

قال ابن عيينة وأخبرنى عمار الدُّهْنِىّ [2] أنه سأل سعيد بن جبير ، عن ذلك فقال : كان ابن نوح ، إن الله لايكذب ، قال (ونَادَى نُوحٌ ابْنَهُ) قال : وقال بعض العلماء : مافجرت امرأة نبىٍّ قط .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن عمار الدهنى ، عن سعيد بن جبير ، قال : قال الله وهو الصادق ، وهو ابنه ، (ونَادَى نُوحٌ ابْنَهُ) .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن سعيد ، عن موسى بن أبى عائشة ، عن عبد الله بن شَدَّاد عن ابن عباس ، قال : ما بغت امرأة نبىّ قطُّ .

حدثنا يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، قال : سألت أبا بشر ، عن قوله (إنَّهُ لَيْسَ مِنْ أهْلِكَ) قال : ليس من أهل دينك ، وليس ممن وعدتك أن أنجيهم .

قال يعقوب : قال هشيم : كان عامة ما كان يحدثنا أبو بشر : عن سعيد بن جبير .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا محمد بن عبيد ، عن يعقوب بن قيس ، قال : أتى سعيدَ بن جبير رجل فقال : يا أبا عبد الله ، الذى ذكر الله ؟ فى كتابه ابن نوح ، أبنه هو ؟ قال : نعم ، والله إن نبىّ الله أمره أن يركب معه فى السفينة فعصى ، فقال (سآوِى إلى جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ المَاءِ ـ قالَ يا نُوحُ إنَّهُ لَيْسَ مِن أهْلِكَ إنَّهُ عَمَلٌ غيرُ صَالِحٍ) لمعصية نبىّ الله .

---

(١) فى تاج العروس : قتة كضبة : أم سليمان بن حبيب المحاربى التابعى ، المشهور ، يعرف بابن قتة . وفى الخلاصة للخزرجى : سليمان بن حبيب المحاربى ، أبو أيوب الدارانى قاضى دمشق من سنة احدى إلى أن مات سنة ٢٦١ وثقه ابن معين والنسائى .

(٢) راو كوفى ، وثقه أحمد وأبو حاتم . مات سنة ١٣٣ هـ .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنى أبو صخر ، عن أبى معاوية البَجَلِىّ ، عن سعيد ابن جبير : أنه جاء إليه رجل فسأله فقال : أرأيتك ابن نوح : أبنه ؟ فسبح طويلا ثم قال : لاإله إلا الله ، يحدّث الله محمدا (نادَى نُوحٌ ابْنَهُ) وتقول ليس منه ، ولكن خالفه فى العمل ، فليس منه من لم يؤمن .

حدثنى يعقوب وابن وكيع ، قالا : ثنا ابن عُلَيَة ، عن أبى هارون الغَنَوِىّ ، عن عكرمة ، فى قوله (وَنادَى نُوحٌ ابْنَهُ) قال : أشهد أنه ابنه ، قال الله (وَنادَى نُوحٌ ابْنَهُ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن مجاهد وعكرمة قالا : هو ابنه .

حدثنى فَضَالة بن الفضل الكوفىّ ، قال : قال بَزِيع : سأل رجل الضحاك ، عن ابن نوح ، فقال : ألا تعجبون إلى هذا الأحمق ، يسألنى عن ابن نوح ، وهو ابن نوح ، كما قال الله : قال نوح لابنه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا عبيد ، عن الضحاك أنه قرأ (وَنادَى نُوحٌ ابْنَهُ) . وقوله (لَيْسَ مِنْ أهْلِكَ) قال : يقول : ليس هو من أهلك ، قال : يقول : ليس هو من أهل ولايتك ، ولا ممن وعدتك أن أنجىَ من أهلك (إنَّهُ عَمَلٌ غيرُ صَالِحٍ) قال : يقول : كان عمله فى شرك .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن جويبر ، عن الضحاك ، قال : هو والله ابنه لصلبه .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن جويبر ، عن الضحاك ، فى قوله (لَيْسَ مِنْ أهْلِكَ) قال : ليس من أهل دينك ، ولا ممن وعدتك أن أنجيه ، وكان ابنه لصلبه .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (قالَ يانُوحُ إنَّهُ لَيْسَ مِنْ أهْلِكَ) يقول : ليس ممن وعدناه النجاة .

حُدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (إنَّهُ لَيْسَ مِنْ أهْلِكَ) يقول : ليس من أهل ولايتك ، ولا ممن وَعَدْتك أن أن أنجىَ من أهلك (إنَّهُ عَمَلٌ غيرُ صَالِحٍ) يقول : كان عمله فى شرك .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا خالد بن حيان ، عن جعفر بن بِرْقان ، عن ميمون ، وثابت بن الحجاج قالا : هو ابنه وُلد على فراشه .

☆ وأولى القولين فى ذلك بالصواب : قول من قال : تأويل ذلك : إنه ليس من أهلك الذين وعدتك أن أنجيهم ، لأنه كان لدينك مخالفا ، وبى كافرا ، وكان ابنه ، لأن الله تعالى ذكره قد أخبر نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم أنه ابنه ، فقال (وَنادَى نُوحٌ ابْنَهُ) وغير جائز أن يخبر أنه ابنه ، فيكون بخلاف ما أخبر ، وليس فى قوله (إنَّهُ لَيْسَ مِنْ أهْلِكَ) دلالة على أنه ليس بابنه ، إذ كان قوله (لَيْسَ مِنْ أهْلِكَ) محتملا من المعنى ماذكرنا ، ومحتملا أنه ليس من أهل دينك ، ثم يحذف الدين فيقال : إنه ليس من أهلك كما قيل (وَاسْأَلِ القَرْيَةَ التى كُنَّا فِيها) .

وأما قوله (إنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ) فإن القرّاء اختلفت فى قراءته ، فقرأته عامة قرّاء الأمصار (إنَّهُ عَمَلٌ غيرُ صَالِحٍ) بتنوين عمل ، ورفع غير .

واختلف الذين قرءوا ذلك كذلك فى تأويله ، فقال بعضهم : معناه : إن مسألتك إياى هذه : عملٌ غيرُ صالح

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن إبراهيم (إنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ) قال : إن مسألتك إياى هذه عمل غير صالح .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (إنَّهُ عَمَلٌ غيرُ صَالِحٍ) أى سوء (فَلا تَسأَلْنِ ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ) .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (إنَّهُ عَمَلٌ غَيرُ صَالِحٍ) يقول : سؤالك عما ليس لك به علم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن حمزة الزيات ، عن الأعمش ، عن مجاهد ، قوله (إنَّهُ عَمَلٌ غيرُ صَالِحٍ) قال : سؤالك إياى عملٌ غير صالح (فَلا تَسأَلْنِ ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ) .

وقال آخرون : بل معناه : إن الذى ذكرت أنه ابنك ، فسألتنى أن أنجيَه عمل غير صالح : أى أنه لغير رِشْدة ، وقالوا : الهاء فى قوله (إنَّهُ) عائدة على الابن .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن نمير ، عن ابن أبى عَرُوبة ، عن قتادة ، عن الحسن : أنه قرأ (عَمَلٌ غَيُرُ صَالِحٍ) قال : ماهو والله بابنه .

ورُوى عن جماعة من السلف أنهم قرءوا ذلك (إنَّهُ عَمِلَ غيرَ صَالِحٍ) على وجه الخبر عن الفعل الماضى ، وغير منصوبة . وممن روى عنه أنه قرأ ذلك كذلك ابن عباس .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن موسى بن أبى عائشة ، عن سليمان بن قَتَّة ، عن ابن عباس : أنه قرأ (عَمَلٌ غيرُ صَالِحٍ) ووجهوا تأويل ذلك إلى ما حدثنا به ابن وكيع ، قال : ثنا غُنْدُر ، عن ابن أبى عَروبة ، عن قتادة ، عن عكرمة ، عن ابن عباس (إنَّهُ عَمَلٌ غيرُ صَالِحٍ) : قال : كان مخالفا له فى النية والعمل ، ولا نعلم هذه القراءة قرأ بها أحد من قرّاء الأمصار إلا بعض المتأخرين ، واعتلّ فى ذلك بخبر رُوِى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنه قرأ ذلك كذلك ، غير صحيح السند ، وذلك حديث رُوى عن شَهْر بن حَوْشَب ، فمرّة يقول عن أمّ سلمة ، ومرّة يقول عن أسماء بنت يزيد ، ولا نعلم لبنت يزيد ، ولا نعلم لشَهْرٍ سماعا يصحّ عن أمّ سلمة .

⁂ والصواب من القراءة فى ذلك عندنا : ما عليه قرّاء الأمصار ، وذلك رفع عمل بالتنوين ، ورفع غير ، يعنى أن سؤالك إياى ما تسألنيه فى ابنك ، المخالف دينك ، الموالى أهلَ الشرك بى ، من النجاة من الهلاك ، وقد مضت إجابتى إياك فى دعائك (لا تَذَرْ على الأرْضِ مِنَ الكافِرِينَ دَيَّارًا) ما قد مضى ، من غير استثناء أحد منهم : عمل غير صالح ، لأنه مسألة منك إلىّ أن لا أفعل ما قد تقدم منى القول بأنى أفعله فى إجابتى ، مسألتك إياى فعله ، فذلك هو العمل غير الصالح . وقوله (فَلا تَسأَلْنِ ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ) :

نهى من الله تعالى؛ ذكّره نبيه نوحا أن يسأله عن أسباب أفعاله، التى قد طوى علمها عنه وعن غيره من البشر؛ يقول له تعالى ذكره: إنى يا نوح قد أخبرتك عن سؤالك سبب إهلاكى ابنك الذى أهلكته، فلا تسألن بعدها عما قد طَوَيت علمه عنك من أسباب أفعالى، وليس لك به علم، إنى أعظك أن تكون من الجاهلين فى مسألتك إياى عن ذلك.

وكان ابن زيد يقول فى قوله (إنّى أعِظُكَ أنْ تَكُونَ مِنَ الجاهِلِينَ) ما حدثنى به يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، فى قوله (إنّى أعِظُكَ أنْ تَكُونَ مِنَ الجاهِلِينَ): أن تبلغ الجهالة بك أن لا أَفِىَ لك بوعد وعدتك، حتى تسألنى ما ليس لك به علم. (وَإلاّ تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِى أكُنْ مِنَ الخاسِرِينَ).

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (فَلا تَسألْنِ ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ): فقرأ ذلك عامة قرّاء الأمصار: (فَلا تَسألْنِ ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ) بكسر النون وتخفيفها، ونَحَوْا بكسرها إلى الدلالة على الياء التى هى كناية اسم الله (فَلا تَسألْنِ). وقرأ ذلك بعض المكيين، وبعض أهل الشام (فَلا تَسألَنّ) بتشديد النون وفتحها، بمعنى: فلا تسألنّ يا نوح ما ليس لك به علم.

⁂ والصواب من القراءة فى ذلك عندنا: تخفيف النون وكسرها، لأن ذلك هو الفصيح من كلام العرب، المستعمل بينهم.

القول فى تأويل قوله تعالى

قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ (٤٧)

⁂ يقول تعالى ذكره مخبرا نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم عن إنابة نوح عليه السلام بالتوبة إليه من زلته، فى مسألته التى سألها ربه فى ابنه، (قَالَ رَبِّ إنِّى أعُوذُ بِكَ): أى أستجير بك أن أتكلف مسألتك (مَا لَيْسَ لى بِهِ عِلْمٌ)، مما قد استأثرت بعلمه، وطويت علمه عن خلقك، فاغفر لى زلتى فى مسألتى إياك ماسألتك فى ابنى، وإن أنت لم تغفرها لى وترحمنى، فتنقذنى من غضبك (أكن من الخاسرين) يقول: من الذين غبَنوا أنفسهم حظوظها وهلكوا.

القول فى تأويل قوله تعالى

قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ۚ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ (٤٨)

⁂ يقول تعالى ذكره (يانُوحُ اهْبِطْ) من الفلك إلى الأرض (بِسَلامٍ مِنّا) يقول: بأمن منا، أنت ومن

معك من إهلاكنا (وَبَرَكاتٍ عَلَيْكَ) يقول : وبركات عليك [1] (وَعلى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ) يقول : وعلى قرون تجىء من ذرّية مَن معك من ولدك ، فهؤلاء المؤمنون من ذرّية نوح ، الذين سبقت لهم من الله السعادة ، وبارك عليهم قبل أن يخلقهم فى بطون أمهاتهم ، وأصلاب آبائهم . ثم أخبر تعالى ذكره نوحا عما هو فاعل بأهل الشّقاء من ذريته ، فقال له (وَأُمَمٌ) يقول : وقرون ، وجماعة (سَنُمَتِّعُهُمْ) فى الحياة فى الدنيا . يقول : نرزقهم فيها مايتمتعون به ، إلى أن يبلغوا آجالهم (ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ) يقول : ثم نذيقهم إذا وردوا علينا عذابا مؤلما موجعا .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن موسى بن عُبيدة ، عن محمد بن كعب القُرَظىّ (قِيلَ يا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلامٍ مِنَّا وَبَرَكاتٍ عَلَيْكَ وَعلى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ) . . . إلى آخر الآية ، قال : دخل فى ذلك السلام كل مؤمن ومؤمنة إلى يوم القيامة ، ودخل فى ذلك العذاب والمتاع كل كافر وكافرة إلى يوم القيامة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو داود الحَفَرِىّ [2] ، عن سفيان ، عن موسى بن عبيدة ، عن محمد بن كعب القرظى (قِيلَ يا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلامٍ مِنَّا وَبَرَكاتٍ عَلَيْكَ وَعلى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ) قال : دخل فى السلام كل مؤمن ومؤمنة ، وفى الشرك كل كافر وكافرة .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك قراءة عن ابن جريج (وَعلى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ) يعنى ممن لم يُولد ، قد قضى البركات لمن سبق له فى علم الله وقضائه السعادة (وأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ) : من سبق له فى علم الله وقضائه الشقاوة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج بنحوه ، إلا أنه قال : (وأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ) متاعَ الحياة الدنيا ، ممن قد سبق له فى علم الله وقضائه الشقاوة . قال : ولم يهلك الولدان يوم غرق قوم نوح بذنب آبائهم كالطير والسباع ، ولكن جاء أجلهم مع الغرق .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله (اهْبِطْ بِسَلامٍ مِنَّا وَبَرَكاتٍ عَلَيْكَ وَعلى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ ، وأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ) قال : هبطوا والله عنهم راض ، هبطوا بسلام من الله ، كانوا أهل رحمة من أهل ذلك الدهر ، ثم أخرج منهم نسلا بعد ذلك أمما ، منهم من رَحِم ، ومنهم من عَذّب ، وقرأ (وَعلى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ ، وأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ) وذلك إنما افترقت الأمم من تلك العصابة التى خرجت من ذلك الماء وسلمت .

حُدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (يانُوحُ اهْبِطْ بِسَلامٍ مِنَّا وَبَرَكاتٍ عَلَيْكَ وَعلى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ) . . .

(١) لعله : وببركات عليك .

(٢) هو عمر بن سعد الحفرى ، بالتحريك ، كوفى ، وثقه ابن معين (مات سنة ٢٠٣) .

الآية ، يقول : بركات عليك وعلى أمم ممن معك لم يُولدوا ، أوجب الله لهم البركات ، لما سبق لهم فى علم الله من السعادة (وأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ) يعنى : متاعَ الحياة الدنيا (ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ) لما سبق لهم فى علم الله من الشقاوة .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا الحجاج بن المنهال ، قال : ثنا حماد ، عن حميد ، عن الحسن ، أنه كان إذا قرأ سورة هود ، فأتى على (يا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ) حتى ختم الآية ، قال الحسن : فأنجى الله نوحا والذين آمنوا ، وهلك المتمتعون ، حتى ذكر الأنبياء ، كل ذلك يقول : أنجاه الله ، وهلك المتمتعون .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ) قال : بعد الرحمة .

حدثنا العباس بن الوليد ، قال : أخبرنى أبى ، قال : أخبرنا عبد الله بن شَوْذَب ، قال : سمعت داود ابن أبى هند يحدّث عن الحسن : أنه أتى على هذه الآية (اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ ، وأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ) قال : فكان ذلك حين بعث الله عادا ، فأرسل إليهم هودا ، فصدّقه مصدقون ، وكذّبه مكذبون ، حتى جاء أمر الله ؛ فلما جاء أمر الله نَجَّى الله هودا والذين آمنوا معه ، وأهلك الله المتمتعين ، ثم بعث الله ثمود ، فبعث إليهم صالحا ، فصدّقه مصدّقون ، وكذّبه مكذبون ، حتى جاء أمر الله ؛ فلما جاء أمر الله نَجَّى الله صالحا والذين آمنوا معه ، وأهلك الله المتمتعين ، ثم استقرأ الأنبياء نبيا نبيا على نحوٍ من هذا .

القول فى تأويل قوله تعالى

تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ ، مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا ، فَاصْبِرْ ، إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ (٤٩)

⁂ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : هذه القصة التى أنبأتك بها من قصة نوح وخبره وخبر قومه (مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ) يقول : هى من أخبار الغيب ، التى لم تشهدها فتعلمها . (نُوحِيهَا إِلَيْكَ) : يقول : نوحيها إليك نحن ، فنعرفُكَها (مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا) الوحى الذى نوحيه إليك ، فاصبر على القيام بأمر الله ، وتبليغ رسالته ، وما تلقى من مشركى قومك ، كما صبر نوح . (إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ) يقول : إن الخير من عواقب الأمور لمن اتقى الله ، فأدّى فرائضه ، واجتنب معاصيه ، فهم الفائزون بما يؤملون من النعيم فى الآخرة ، والظفر فى الدنيا بالطِّلبة ، كما كانت عاقبة نوح ، إذ صبر لأمر الله ، أن نجّاه من الهلكة مع من آمن به ، وأعطاه فى الآخرة ما أعطاه من الكرامة ، وغرّق المكذّبين به ، فأهلكهم جميعهم .

وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (تِلْكَ مِنْ أنْبَاءِ الغَيْبِ نُوحِيهَا إلَيْكَ ، ما كُنْتَ تَعْلَمُهَا أنْتَ وَلا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا) القرآن ، وما كان علم محمد صلى الله عليه وسلم وقومه ماصنع نوح وقومه ، لولا ما بين الله فى كتابه ؟

القول فى تأويل قوله تعالى

وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ، قَالَ : يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ (٥٠)

يقول تعالى ذكره : وأرسلنا إلى قوم عاد أخاهم هودا ، فقال لهم : ياقوم اعبدوا الله وحده لاشريك له دون ما تعبدون من دونه من الآلهة والأوثان (مالَكُمْ مِنْ إلهٍ غَيْرُهُ) يقول : ليس لكم معبود يستحقّ العبادة عليكم غيره ، فأخلصوا له العبادة ، وأفردوه بالألوهة (إنْ أنْتُمْ إلاّ مُفْتَرُونَ) يقول : ما أنتم فى إشراككم معه الآلهة والأوثان إلا أهل فرية مكذّبون ، تختلقون الباطل ، لأنه لاإله سواه .

القول فى تأويل قوله تعالى

يَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ؛ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِى ؛ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ؟ (٥١)

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل هود لقومه : يا قوم لاأسألكم على ما أدعوكم إليه من إخلاص العبادة لله ، وخلع الأوثان ، والبراءة منها ، جزاء وثوابا . (إنْ أجْرِيَ إلاّ على الَّذِي فَطَرَنِي) يقول : إن ثوابى وجزائى على نصيحتى لكم ، ودعائكم إلى الله ، إلاّ على الذى خلقنى (أفَلا تَعْقِلُونَ) يقول : أفلا تعقلون أنى لو كنت أبتغى بدعايتكم إلى الله غير النصيحة لكم ، وطلب الحظّ لكم فى الدنيا والآخرة ، لالتمست منكم على ذلك بعض أعراض الدنيا ، وطلبت منكم الأجر والثواب .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إنْ أجْرِيَ إلاّ على الذِي فَطَرَنِي) : أى خلقنى .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ، ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ، يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ، وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ ، وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ (٥٢)

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل هود لقومه (ويا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ) يقول : آمنوا به حتى

يغفر لكم ذنوبكم ، والاستغفار : هو الإيمان بالله فى هذا الموضع ، لأن هودا صلى الله عليه وسلم إنما دعا قومه إلى توحيد الله، ليغفر لهم ذنوبهم، كما قال نوح لقومه (اعْبُدُوا اللهَ واتَّقُوهُ وأطِيعُونِ ، يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ ، وَيُؤَخِّرْكُمْ إلى أجَلٍ مُسَمًّى) ، وقوله (ثُمَّ تُوبُوا إلَيْهِ) يقول : ثم توبوا إلى الله من سالف ذنوبكم وعبادتكم غيره بعد الإيمان به . (يُرْسِلِ السَّماءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا) : يقول : فانكم إن آمنتم بالله وتبتم من كفركم به، أرسل قَطْرَ السماء عليكم يُدِرّ لكم الغيث فى وقت حاجتكم إليه ، وتحيا بلادكم من الجدب والقحط .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ بن داود ، قال : ثنا عبد الله بن صالح، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (مِدْرَارًا) يقول : يتبع بعضها بعضا .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله « يُرْسِلِ السَّماءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا) قال : يدرّ ذلك عليهم قطرا ومطرا .

وأما قوله (وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إلى قُوَّتِكُمْ) فإن مجاهدا كان يقول فى ذلك، ما حدثنى به محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إلى قُوَّتِكُمْ) قال : شدّة إلى شدّتكم .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد وإسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال مجاهد ، فذكر مثله .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله (وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إلى قُوَّتِكُمْ) : قال : جعل لهم قوّة ، فلو أنهم أطاعوه ، زادهم قوّة إلى قوّتهم ، وذكر لنا أنه إنما قيل لهم (وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إلى قُوَّتِكُمْ) قال : إنه قد كان انقطع النسل عنهم سنين ، فقال هود لهم : إن آمنتم بالله أحيا الله بلادكم ، ورزقكم المال والولد ، لأن ذلك من القوّة . وقوله (وَلا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ) يقول : ولا تدبروا عما أدعوكم إليه من توحيد الله، والبراءة من الأوثان والأصنام . مجرمين ، يعنى كافرين بالله .

القول فى تأويل قوله تعالى

قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ ، وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ ، وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ (٥٣)

يقول تعالى ذكره : قال قوم هود لهود : يا هود ما أتيتنا ببيان ولا برهان على ما تقول ، فنسلم لك ، ونقرّ بأنك صادق فيما تدعونا إليه من توحيد الله ، والإقرار بنبوّتك. (وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنا) : يقول :

وما نحن بتاركى آلهتنا يعنى لقولك : أو من أجل قولك (وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ) يقول : قالوا : وما نحن لك بما تدّعى من النبوّة والرسالة من الله إلينا بمصدّقين .

القول فى تأويل قوله تعالى

إِن نَّقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ ، قَالَ: إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ (٥٤) مِن دُونِهِ ، فَكِيدُونِي جَمِيعًا ، ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ (٥٥)

⁂ وهذا خبر من الله تعالى ذكره، عن قول قوم هود إنهم قالوا له، إذ نصح لهم، ودعاهم إلى توحيد الله وتصديقه ، وخلع الأوثان والبراءة منها : لانترك عبادة آلهتنا، وما نقول إلا أن الذى حملك على ذمها، والنهى عن عبادتها، أنه أصابك منها خَبَل من جنون، فقال هود لهم: إنى أشهد الله على نفسى، وأشهدكم أيضا أيها القوم ، أنى برىء مما تشركون فى عبادة الله من آلهتكم وأوثانكم ، من دونه . (فَكِيدُونِي جَمِيعًا) يقول : فاحتالوا أنتم جميعا وآلهتكم فى ضرّى ومكروهى. (ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ) يقول: ثم لاتؤخرون ذلك، فانظروا هل تنالوننى أنتم وهم بما زعمتم أن آلهتكم نالتنى به من السوء .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ) قال : أصابتك الأوثان بجنون .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ) قال : أصابك الأوثان بجنون .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا ابن دكين ، قال : ثنا سفيان ، عن عيسى ، عن مجاهد (إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ) قال : سبَبْت آلهتنا وعبتها ، فأجنّتك .

قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ) أصابك بعض آلهتنا بسوء : يعنون الأوثان .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ) قال : أصابك الأوثان بجنون .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله (إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ) قال : تصيبك آلهتنا بالجنون .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ) قال : ما يحملك على ذمّ آلهتنا ، إلا أنه أصابك منها سوء .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إِنْ نَقُولُ إِلاَّ اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنا بِسُوءٍ) قال : إنما تصنع هذا بآلهتنا أنها أصابتك بسوء .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال عبد الله بن كثير : أصابتك آلهتنا بشرّ .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (إِنْ نَقُولُ إِلاَّ اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنا بِسُوءٍ) يقولون : نخشى أن يصيبك من آلهتنا سوء ، ولا نحب أن تعتريك ، يقولون : يصيبك منها سوء .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله (إِنْ نَقُولُ إِلاَّ اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنا بِسُوءٍ) يقولون اختلط عقلك فأصابك هذا مما صنعتْ بك آلهتنا . وقوله (اعْتَرَاكَ) افتعَل ، من عرانى الشىء يعرونى : إذا أصابك ، كما قال الشاعر :

مِنَ القَوْمِ يَعْرُوهُ اجْتِراءٌ وَمَأْثَمُ [1]

القول فى تأويل قوله تعالى

إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى اللهِ رَبِّى وَرَبِّكُم مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلا هُوَ آخِذ بِنَاصِيَتِهَآ إِنَّ رَبِّى عَلَى صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٥٦)

⁂ يقول : إنى على الله الذى هو مالكى وما لككم ، والقيِّم على جميع خلقه توكلت ، من أن تصيبونى أنتم وغيركم من الخلق بسوء ، فإنه ليس من شىء يدبّ على الأرض إلا والله مالكه وهو فى قبضته وسلطانه دليل له خاضع .

فإن قال قائل : وكيف قيل : هو آخذ بناصيتها ، فخصّ بالأخذ الناصية دون سائر أماكن الجسد ؟ قيل : لأن العرب كانت تستعمل ذلك فى وصفها من وصفته بالذلة والخضوع ، فتقول ماناصية فلان إلا بيد فلان ، أى أنه له مطيع يصرّفه كيف شاء ، وكانوا إذا أسروا الأسير ، فأرادوا إطلاقه والمنّ عليه جزّوا ناصيته ليعتدّوا بذلك عليه فخرا عند المفاخرة ، فخاطبهم الله بما يعرفون فى كلامهم ، والمعنى ما ذكرت .

وقوله (إِنَّ رَبِّى عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) يقول : إن ربى على طريق الحقّ ، يجازى المحسن من خلقه بإحسانه ، والمسىء باساءته لايظلم أحدا منهم شيئا ، ولا يقبل منهم إلا الإسلام والإيمان به .

(١) هذا شطر بيت لأبى خراش الهذلى ، وصدره :

تَذَكَّرَ ذحلاً عِنْدَنا وَهْوَ فاتِكٌ

(مجاز القرآن لأبى عبيدة الجزء الأول ص ٢٩٠) وفيه اجتراء فى موضع اجترام . قال أبو عبيدة : اعتراك : وهو افتعلك من عروته ، أى أصابك . وفى ديوان الهذليين (٢ : ١٤٧) : يعروه : يعتريه ، أى يلم به . وفاتك مقدم على الأمر . ويقال للرجل إذا كان جريئا على الأمر : فاتك .

كما حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (إنَّ رَبِّى على صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) الحقّ .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ ، وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّى قَوْمًا غَيْرَكُمْ ، وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا ، إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حفِيظٌ (٥٧)

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل هود لقومه (فإنْ تَوَلَّوْا) يقول : فان أدبروا معرضين عما أدعوهم إليه من توحيد الله ، وترك عبادة الأوثان (فَقَدْ أبْلَغْتُكُمْ) أيها القوم (ما أُرْسِلْتُ بِهِ إلَيْكُمْ) وما على الرسول إلا البلاغ . (وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّى قَوْماً غَيْرَكُمْ) : يهلككم ربى ، ثم يستبدل ربى منكم قوما غيركم ، يوحدونه ، ويخلصون له العبادة (وَلا تَضُرُّونَهُ شَيْئاً) يقول : ولاتقدرون له على ضرّ ، إذا أراد إهلاككم أو أهلككم . وقد قيل : لايضرّه هلاككم إذا أهلككم ، لاتنقصونه شيئا ، لأنه سواء عنده كنتم أو لم تكونوا . (إنَّ رَبِّى على كُلّ شَىْءٍ حَفِيظٌ) يقول : إن ربى على جميع خلقه ذو حفظ وعلم ، يقول : هو الذى يحفظنى من أن تنالونى بسوء .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا ، وَنَجَّيْنَٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ (٥٨)

يقول تعالى ذكره : ولما جاء قومَ هود عذابُنا (نَجَّيْنا) منه (هُوداً والَّذِينَ آمَنُوا) بالله (مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنا) يعنى بفضل منه عليهم ونعمة (وَنَجَّيْناهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ) يقول : نجيناهم أيضا من عذاب غليظ يوم القيامة ، كما نجيناهم فى الدنيا من السَّخْطة التى أنزلتها بعاد .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ ، وَاتَّبَعُوٓا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ (٥٩)

يقول تعالى ذكره : وهؤلاء الذين أحللنا بهم نقمتنا وعذابنا عاد ، جحدوا بأدلة الله وحججه ، وعصوا رسله الذين أرسلهم إليهم ، للدعاء إلى توحيده واتباع أمره (واتَّبَعُوا أمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ) : يعنى كلّ مستكبر على الله ، حائد عن الحقّ ، لايذعن له ولا يقبله ، يقال منه : عَنَدَ عن الحقّ ، فهو يَعْنُدُ عُنُودا ، والرجل عاند وعَنود ، ومن ذلك قيل للعرق الذى ينفجر فلا يرقأ : عرق عاند : أى ضارّ [1] ، ومنه

(١) العاند : العرق الذى يسيل دمه ولا يرقأ . وقوله ضار : تفسير بالأبعد ؛ ولعل اللفظ محرف عن صار ، بالصاد ، أى يسمع له صوت ، أوعن دار ، أى غزير الدم .

قول الراجز : إنِّى كَبِيرٌ لا أُطِيقُ العُنَّدَا[1]

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ) : المشرك .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَأُتْبِعُواْ فِى هٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ، أَلَآ إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ ، أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ (٦٠)

☼ يقول تعالى ذكره : وأتبع عاد قوم هود فى هذه الدنيا غضبا من الله وسخطة يوم القيامة ، مثلها لعنة إلى اللعنة التى سلفت لهم من الله فى الدنيا ، ألا إن عادا كفروا ربهم (ألا بُعْدًا لِعادٍ قَوْمِ هُودٍ) يقول : أبعدهم الله من الخير ، يقال : كفر فلان ربه ، وكفر بربه ، وشكرت لك وشكرتك . وقيل : إن معنى كفروا ربهم : كفروا نعمة ربهم .

القول فى تأويل قوله تعالى

* وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ، قَالَ : يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ، هُوَ أَنْشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ، فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ ، إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ (٦١)

☼ يقول تعالى ذكره : وأرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحا ، فقال لهم يا قوم : اعبدوا الله وحده لاشريك له ، وأخلصوا له العبادة دون ما سواه من الآلهة ، فما لكم من إله غيره ، يستوجب عليكم العبادة ، ولا تجوز الألوهة إلاّ له وَ(هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الأَرْضِ) يقول : هو ابتدأ خلقكم من الأرض ، وإنما قال ذلك لأنه خلق آدم من الأرض ، فخرج الخطاب لهم ، إذ كان ذلك فعله بمن هم منه (وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيها) يقول : وجعلكم عُمَّارا فيها ، فكان المعنى فيه : أسكنكم فيها أيام حياتكم من قولهم : أعمر فلان فلانا داره وهى له عُمْرَى[2] .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

---

(١) البيت فى (اللسان : عند) ، ولم ينسبه . قال : عند عن الشىء والطريق يعند (كضرب ويقتل) عنودا ، فهو عنود . وعند عندا (من باب فرح) : تباعد وعدل . وناقة عنود : لا تخالط الإبل ، تباعد عن الإبل ، فترعى ناحيتة أبدا والجمع عند وعاند وعاندة ، وجمعها جميعا : عواند وعند . قال :

إذا رَحَلَتْ فاجْعَلُونِى وَسَطا إنى كَبِيرٌ لا أطيقُ العُنَّدَا

يعنى من الإبل . وهو مع أشطار أخرى فى الاقتضاب ص ٤١٥ بدون عزو ، وفى الجمهرة لابن دريد (٢١ : ٢٣٨) وهذان البيتان من مشطور الرجز ، وفيهما من عيوب القافية : الإكفاء ، لأنه جمع بين الطاء والدال ، نبه عليه صاحب اللسان .

(٢) عمرى بوزن بشرى : أى ينتفع بها طول عمره ، ثم ترد بعده إلى ما لكها الأول .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله (وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيها) قال : أعمركم فيها .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيها) يقول : أعمركم .

وقوله (فاسْتَغْفِرُوهُ) يقول : اعملوا عملا يكون سببا لستر الله عليكم ذنوبكم وذلك الإيمان به ، وإخلاص العبادة له دون ماسواه ، واتباع رسوله صالح . (ثُمَّ تُوبُوا إلَيْهِ) يقول : ثم اتركوا من الأعمال مايكرهه ربكم إلى مايرضاه ويحبه (إنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُجِيبٌ) يقول : إن ربى قريب ممن أخلص له العبادة ، ورغب إليه فى التوبة ، مجيب له إذا دعاه .

القول فى تأويل قوله تعالى

قَالُوا : يَاصَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هٰذَا ؛ أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا ؟ وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إلَيْهِ مُرِيبٍ (٦٢)

يقول تعالى ذكره : قالت ثمود لصالح نبيهم : (ياصَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينا مَرْجُوًّا) : أى كنا نرجو أن تكون فينا سيدا (قَبْلَ هَذَا) القول الذى قلته لنا ، من أنه مالنا من إله غير الله . (أتَنْهانا أنْ نَعْبُدَ ما يَعْبُدُ آباؤُنا) يقول : أتنهانا أن نعبد الآلهة التى كانت آباؤنا تعبد (وَإنَّنا لَفِى شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونا إلَيْهِ مُرِيبٌ) يعنون أنهم لايعلمون صحة ما يدعوهم إليه من توحيد الله ، وأن الألوهة لاتكون إلا له خالصا ، وقوله (مُرِيبٌ) أى يوجب التهمة ، من أربته ، فأنا أُريبه إرابة ، إذا فعلت به فعلا يوجب له الريبة ، ومنه قول الهُذَلِىّ :

كُنتُ إذا أتَوْتُهُ من غَيْبِ يَشُمُّ عِطْفِى وَيَبُزُّ ثَوْبِى
كأنما أرَبْتُهُ بِرَيْبِ[1]

القول فى تأويل قوله تعالى

قَالَ : يَاقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّى وَآتَانِى مِنْهُ رَحْمَةً ، فَمَنْ يَنْصُرُنِى مِنَ اللهِ إنْ عَصَيْتُهُ ، فَمَا تَزِيدُونَنِى غَيْرَ تَخْسِيرٍ (٦٣)

يقول تعالى ذكره : قال صالح لقومه من ثمود (يا قَوْمِ أرأيْتُمْ إنْ كُنْتُ) على برهان وبيان من الله قد علمته وأيقنته (وآتانِى مِنْهُ رَحْمَةً) يقول : وآتانى منه النبوّة والحكمة والإسلام (فَمَنْ يَنْصُرُنِى

(١) هذه ثلاثة أبيات من مشطور الرجز ، أوردها (اللسان : أتى) ونسبها إلى خالد بن زهير ، وأورد قبلها بيتا رابعا ، وهو قوله : « يا قوم مالى وأبا ذؤيب » : قال : ويقال : أتوته أتوا : لغة فى أتيته . والعطف : المنكب ، وعطفا الرجل والدابة جانباه ، عن يمين وشمال ، وشقاه ، من لدن رأسه إلى وركه ، والجمع : أعطاف ، وعطاف وعطوف . ويبز ثوبى : يجذبه إليه .

مِنَ اللهِ إنْ عَصَيْتُهُ) يقول : فمن الذى يدفع عنى عقابه إذا عاقبنى إن أنا عصيته ، فيخلّصنى منه ، فما تزيدونني بعذركم الذى تعتذرون به ، من أنكم تعبدون ما كان يعبد آباؤكم ، غير تخسير لكم يُخْسِركم حظوظكم من رحمة الله .

كما حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (فَمَا تَزِيدُونَنِى غيرَ تَخْسِير) يقول : ما تزدادون أنتم إلا خسارا .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ، فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ، وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ ، فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ (٦٤)

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل صالح لقومه من ثمود : إذ قالوا له : وإننا لفى شكّ مما تدعونا إليه مريب. وسألوه الآية على ما دعاهم إليه (يا قَوْمِ هَذِهِ ناقَةُ اللهِ لَكُمْ آيَةً) يقول : حجة وعلامة ، ودلالة على حقيقة ما أدعوكم إليه ، (فَذَرُوها تَأْكُلْ فِي أرْضِ اللهِ) فليس عليكم رزقها ولا مُؤْنتها (وَلا تَمَسُّوها بِسُوءٍ) يقول : لاتقتلوها ولا تنالوها بعقر (فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ) يقول : فإنكم إن تمسوها بسوء يأخذكم عذاب من الله غير بعيد فيهلككم .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَعَقَرُوهَا ، فَقَالَ تَمَتَّعُوا۟ فِى دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ ، ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ (٦٥)

يقول تعالى ذكره ، فعقرت ثمود ناقة الله . وفى الكلام محذوف قد ترك ذكره ، استغناء بدلالة الظاهر عليه ، وهو : فكذّبوه فعقروها ، فقال لهم صالح (تَمَتَّعُوا فِي دارِكُمْ ثَلاثَةَ أيّامٍ) يقول : استمتعوا فى دار الدنيا بحياتكم ثلاثة أيام (ذلكَ وَعْدٌ غيرُ مَكْذُوبٍ) يقول : هذا الأجل الذى أجّلتكم : وعد من الله ، وعدكم بانقضائه الهلاك ، ونزول العذاب بكم . غير مكذوب ، يقول : لم يكذبكم فيه من أعلمكم ذلك .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَعَقَرُوها فَقالَ تَمَتَّعُوا فِي دارِكُمْ ثَلاثَةَ أيّامٍ ذلكَ وَعْدٌ غيرُ مَكْذُوبٍ) . وذُكِر لنا أن صالحا حين أخبرهم أن العذاب أتاهم ، لبسوا الأنطاع والأكسية ، وقيل لهم : إن آية ذلك أن تصفرّ ألوانكم أوّل يوم ، ثم تحمرّ فى اليوم الثانى ، ثم تسودّ فى اليوم الثالث . وذُكِر لنا أنهم لما عقروا الناقة ندموا وقالوا : عليكم الفصيلَ ، فصعد الفصيل القارة ، والقارة الجبل ، حتى إذا كان اليوم الثالث ، استقبل القبلة وقال : يا ربّ أمى ، يا ربّ أمى ثلاثا ، قال : فأرسلت الصيحة عند ذلك .

وكان ابن عباس يقول : لو صعدتم القارة ، لرأيتم عظام الفصيل ، وكانت منازل ثمود بحِجْر ، بين الشام والمدينة .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ) قال : بقية آجالهم .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة : أن ابن عباس قال : لو صعدتم على القارة لرأيتم عظام الفصيل .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا ، وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْىِ يَوْمِئِذٍ ، إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ (٦٦)

يقول تعالى ذكره : فلما جاء ثمود عذابنا (نَجَّيْنَا صَالِحاً وَالَّذِينَ آمَنُوا) به (مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا) يقول : بنعمة وفضل من الله (وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ) يقول : ونجيناهم من هوان ذلك اليوم وذُله بذلك العذاب . (إِنَّ رَبَّكَ هُوَ القَوِيُّ) فى بطشه إذا بطش بشىء أهلكه ، كما أهلك ثمود حين بطش بها العزيز ، فلا يغلبه غالب ، ولا يقهره قاهر ، بل يغلب كلّ شىء ويقهره .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ) قال : نجاه الله برحمة منا ، ونجاه من خزى يومئذ .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبى بكر بن عبد الله ، عن شهر بن حوشب عن عمرو بن خارجة قال : قلنا له : حدّثنا حديث ثمود ، قال : أحدثكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ثمود : « كانت ثمود قوم صالح ، أعمرهم الله فى الدنيا ، فأطال أعمارهم ، حتى جعل أحدهم يبنى المسكن من المدَر ، فينهدم ، والرجل منهم حىّ ، فلما رأوا ذلك اتخذوا من الجبال بيوتا فَرِهين ، فنحتوها وجوّفوها ، وكانوا فى سعة من معايشهم ، فقالوا : يا صالح ادع لنا ربك يخرج لنا آية ، نعلم أنك رسول الله ، فدعا صالح ربه ، فأخرج لهم الناقة ، فكان شِرْبُها يوما ، وشِرْبهم يوما معلوما ، فإذا كان يوم شِرْبِها خَلّوا عنها وعن الماء وحلبوها لبنا ، ملئوا كلّ إناء ووعاء وسقاء ، حتى إذا كان يوم شربهم صرفوها عن الماء ، فلم تشرب منه شيئا ، فملئوا كلّ إناء ووعاء وسقاء ، فأوحى الله إلى صالح : أن قومك سيَعْقرون ناقتك ، فقال لهم ، فقالوا : ما كنا لنفعل ، فقال : إلاّ تعقروها أنتم يوشكْ أن يولد فيكم مولود ، قالوا : ماعلامة ذلك المولود ، فوالله لانجده إلا قتلناه ، قال فإنه غلام أشقر أزرق أصهب أحمر . قال : وكان فى المدينة شيخان عزيزان منيعان ، لأحدهما ابن يرغب به عن المناكح ، وللآخر ابنة لايجد لها كفؤا ، فجمع بينهما مجلس ، فقال أحدهما لصاحبه : ما يمنعك أن تزوّج ابنك ؟ قال : لاأجد له كفؤا ، قال : فإن ابنتى كفؤ له ، وأنا أزوّجك ، فزوّجه ، فولد بينهما ذلك المولود . وكان فى المدينة تسعة رهط يفسدون فى الأرض ، ولا

يصلحون ، فلما قال لهم صالح : إنما يعقرها مولود فيكم ، اختاروا ثمانى نسوة قوابل من القرية ، وجعلوا معهن شُرَطا كانوا يطوفون فى القرية ، فإذا وجدوا المرأة تُمْخِض ، نظروا ما ولدها : إن كان غلاما قلبنه ، فنظرن ماهو ، وإن كانت جارية أعرضن عنها ، فلما وجدوا ذلك المولود صرخ النسوة ، وقلن هذا الذى يريد رسولُ الله صالح ، فأراد الشرط أن يأخذوه ، فحال جدّاه بينهم وبينه ، وقالا : لو أن صالحا أراد هذا قتلناه ، فكان شرّ مولود ، وكان يشِبّ فى اليوم شبابَ غيرِه فى الجمعة ، ويشبّ فى الجمعة شبَابَ غيره فى الشهر ، ويشبّ فى الشهر شبابَ غيره فى السنة ؛ فاجتمع الثمانية الذين يفسدون فى الأرض ولا يصلحون ، وفيهم الشيخان ، فقالوا نستعمل علينا هذا الغلام ، لمنزلته وشرف جدّيه ، فكانوا تسعة . وكان صالح لاينام معهم فى القرية ، كان فى مسجد يقال له مسجد صالح ، فيه يبيت بالليل ، فإذا أصبح أتاهم ، فوعظهم وذكرهم ، وإذا أمسى خرج إلى مسجده فبات فيه . قال حجاج ، وقال ابن جريج : لما قال لهم صالح : إنه سيولد غلام يكون هلاككم على يديه ، قالوا فكيف تأمرنا ؟ قال : آمركم بقتلهم ، فقتلوهم إلاّ واحدا ، قال : فلما بلغ ذلك المولود قالوا : لو كنا لم نقتل أولادنا ، لكان لكل رجل منا مثل هذا ، هذا عمل صالح ، فأتمروا بينهم بقتله ، وقالوا : نخرج مسافرين والناس يروننا عَلانية ، ثم نرجع من ليلة كذا ، من شهر كذا وكذا ، فنرصده عند مصلاه ، فنقتله ، فلا يحسب الناس إلا أنا مسافرون كما نحن . فأقبلوا حتى دخلوا تحت صخرة يرصُدونه ، فأرسل الله عليهم الصخرة ، فرضختهم ، فأصبحوا رَضَخا ، فانطلق رجال ممن قد اطلع على ذلك منهم ، فإذا هم رَضَخ ، فرجعوا يصيحون فى القرية : أى عبادَ الله ، أما رضى صالح أن أمرهم أن يقتلوا أولادهم ، حتى قتلهم ، فاجتمع أهل القرية على قتل الناقة أجمعون ، وأحجموا عنها إلا ذلك الابن العاشر ، ثم رجع الحديث إلى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : وأرادوا أن يمكروا بصالح ، فمشَوا ، حتى أتوا على سَرَب على طريق صالح ، فاختبأ فيه ثمانية ، وقالوا : إذا خرج علينا قتلناه ، وأتينا أهله فبيّتناهم ، فأمر الله الأرض ، فاستوت عليهم ، قال : فاجتمعوا ومشَوا إلى الناقة وهى على حوضها قائمة ، فقال الشقىّ لأحدهم : ائتها فاعقرها ، فأتاها ، فتعاظمه ذلك ، فأضرب عن ذلك ، فبعث آخَر ، فأعظم ذلك ، فجعل لايبعث رجلا إلا تعاظمه أمرها ، حتى مشَوا إليها ، وتطاول فضرب عُرْقُوبَيها ، فوقعت تركُض ، وأتى رجل منهم صالحا ، فقال أدرك الناقة فقد عُقِرت ، فأقبل ، وخرجوا يتلقونه ، ويعتذرون إليه : يا نبىّ الله ، إنما عقرها فلان ، إنه لاذنب لنا ، قال : فانظروا هل تُدْرِكون فصيلها ؟ فإن أدركتموه ، فعسى الله أن يرفع عنكم العذاب ، فخرجوا يطلبونه ، ولما رأى الفصيلُ أمه تضطرب ، أتى جبلا يقال له القارة قصيرا ، فصعد وذهبوا ليأخذوه ، فأوحى الله إلى الجبل ، فطال فى السماء ، حتى ما يناله الطير . قال : ودخل صالح القرية ، فلما رآه الفصيل بكى ، حتى سالت دموعه ، ثم استقبل صالحا ، فرَغا رَغْوة ، ثم رغا أخرى ، ثم رغا أخرى ، فقال صالح لقومه : لكل رَغوة أجل يوم (تَمَتَّعُوا فِى دَارِكُمْ ثَلاثَةَ أيَّامٍ ، ذلكَ وَعْدٌ غيرُ مَكْذُوبٍ) ألا إن آية العذاب أن اليوم الأوّل تصبح وجوهكم مصفرّة ، واليوم الثانى محمرّة ، واليوم الثالث مسودّة ؛ فلما أصبحوا فإذا وجوههم كأنما طُلِيَت بالخَلوق ، صغيرهم وكبيرهم ، ذكرهم وأنثاهم ، فلما أمْسَوْا صاحوا بأجمعهم :

ألا قد مضى يوم من الأجل ، وحضركم العذاب ؛ فلما أصبحوا اليوم الثانى إذا وجوههم محمرة ، كأنها خُضِبت بالدماء ، فصاحوا وضجوا وبكوا وعرفوا آية العذاب ، فلما أمسوْا صاحوا بأجمعهم : ألا قد مضى يومان من الأجل وحضركم العذاب ؛ فلما أصبحوا اليوم الثالث فإذا وجوههم مسودّة ، كأنها طُليت بالقار ، فصاحوا جميعا : ألا قد حضركم العذاب ، فتكفنوا وتحنّطوا ، وكان حَنوطهم الصبر والمَغْر ، وكانت أكفانهم الأنطاع ، ثم ألقَوْا أنفسهم بالأرض ، فجعلوا يقلبون أبصارهم ، فينظرون إلى السماء مرّة ، وإلى الأرض مرّة ، فلا يدرون من حيث يأتيهم العذاب ، من فوقهم من السماء أو من تحت أرجلهم من الأرض ، خَسْفا وغرقا ؛ فلما أصبحوا اليوم الرابع ، أتتهم صيحة من السماء ، فيها صوت كلّ صاعقة ، وصوت كل شىء له صوت فى الأرض ، فتقطعت قلوبهم فى صدورهم ، فأصبحوا فى دارهم جاثمين » .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : حُدِّثت أنه لما أخذتهم الصيحة ، أهلك الله مَنْ بين المشارق والمغارب منهم ، إلا رجلا واحدا كان فى حَرَم الله ، منعه حَرَم الله من عذاب الله ، قيل : ومن هو يا رسول الله ؟ قال أبو رِغال : وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أتى على قرية ثمود لأصحابه « لايَدْخُلَنَّ أحَدٌ مِنْكُمْ القَرْيَةَ ، وَلا تَشْرَبُوا مِنْ مائِهِمْ ، وأراهم مرتقى الفصيل حين ارتقى فى القَارَة » .

قال ابن جريج ، وأخبرنى موسى بن عُقْبة ، عن عبد الله بن دينار ، عن ابن عمر ، أن النبىّ صلى الله عليه وسلم حين أتى على قرية ثمود ، قال : « لاتَدْخُلُوا على هَؤُلاءِ المُعَذّبِينَ إلاّ أنْ تَكُونُوا باكِينَ ، فإنْ لَمْ تَكُونُوا باكِينَ فَلا تَدْخُلُوا عَلَيْهِمْ ، أنْ يُصِيبَكُمْ ما أصَابَهُمْ » .

قال ابن جريج : قال جابر بن عبد الله « أن النبىّ صلى الله عليه وسلم لما أتى على الحِجْر ، حمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال : أمّا بَعْدُ ، فَلا تَسألُوا رَسُولَكُمُ الآياتِ ، هَؤُلاءِ قَوْمَ صَالِحٍ سألُوا رَسولَهُم الآيَة ، فَبَعَثَ اللهُ لَهُمُ النّاقَةَ ، فَكانَتْ تَرِدُ مِنْ هَذَا الفَجِّ ، وتَصْدُرُ مِنْ هَذَا الفَجّ ، فَتَشْرَبُ ماءَهُمْ يَوْمَ وُرُودِها » .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : ذُكر لنا : أن نبىّ الله صلى الله عليه وسلم لما مرّ بوادى ثمود ، وهو عامد إلى تَبُوك ، قال : فأمر أصحابه أن يسرعوا السير ، وأن لاينزلوا به ، ولا يشربوا من مائه ، وأخبرهم أنه وادٍ ملعون . قال : وذُكر لنا أن الرجل الموسر من قوم صالح كان يعطِى المعسر منهم ما يتكفّنون به ، وكان الرجل منهم يَلْحَد لنفسه ولأهل بيته ، لميعاد نبىّ الله صالح الذى وعدهم ، وحدث من رآهم بالطرق والأفنية والبيوت ، فيهم شبان وشيوخ ، أبقاهم الله عبرة وآية .

حدثنا إسماعيل بن المتوكل الأشجعىّ من أهل حمص ، قال : ثنا محمد بن كثير ، قال : ثنا عبد الله بن واقد ، عن عبد الله بن عثمان بن خثيم ، قال : ثنا أبو الطفيل ، قال : لما غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة تَبُوك ، نزل الحجر فقال : « يا أيُّها النّاسُ لاتَسألُوا نَبِيَّكُمُ الآياتَ ، هَؤُلاءِ قَوْمُ صَالِحٍ سألُوا نَبِيَّهُمْ أنْ يَبْعَثَ لَهُمْ آيَةً ، فَبَعَثَ اللهُ لَهُمُ النّاقَةَ آيَةً ، فَكانَتْ تَلِجُ عَلَيْهِمْ

يَوْمَ وُرُودِهِمُ الَّذى كانُوا يَتَرَوَّونَ مِنْهُ ، ثُمَّ يَحْلُبُونَها مِثْلَ ما كانُوا يَتَرَوَّوْنَ مِنْ مائِهِمْ قَبْلَ ذلكَ لَبَناً ، ثُمَّ تَخْرُجُ مِنْ ذلكَ الفَجِّ ، فَعَتَوْا عَنْ أمْرِ رَبِّهِمْ وَعَقَرُوها ، فَوَعَدَهُمُ اللهُ العَذَابَ بَعْدَ ثَلاثَةِ أيَّامٍ ، وكانَ وَعْداً مِنَ اللهِ غَيرَ مَكْذُوبٍ ، فأهْلَكَ اللهُ مَنْ كانَ مِنْهُمْ فِي مَشارِقِ الأرْضِ وَمَغارِبِها ، إلاَّ رَجُلاً وَاحِداً كانَ فِي حَرَمِ اللهِ ، فَمَنَعَهُ حَرَمُ اللهِ مِنْ عَذَابِ اللهِ ، قالُوا : وَمَنْ ذلكَ الرَّجُلُ يا رَسُولَ اللهِ ؟ قالَ : أبُو رِغال » .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ ، فَأَصْبَحُواْ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ . (٦٧) كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَآ ، أَلَآ إِنَّ ثَمُودَا كَفَرُواْ رَبَّهُمْ ، أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ (٦٨)

يقول تعالى ذكره : وأصاب الذين فعلوا ما لم يكن لهم فعله ، من عَقْر ناقة الله وكفرهم به ، الصيحةُ ، (فَأصْبَحُوا فِي دِيارِهِمْ جاثِمِينَ) قد جَثَمَتهم المنايا ، وتركتهم خمودا بأفنيتهم .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فأصْبَحُوا فِي دِيارِهِمْ جاثِمِينَ) يقول : أصبحوا قد هلكوا (كأنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيها) يقول : كأن لم يعيشوا فيها ، ولم يُعَمَّروا بها .

كما حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (كأنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيها) كأن لم يعيشوا فيها .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، مثله .

وقد بيَّنا ذلك فيما مضى بشواهده فأغنى ذلك عن إعادته .

وقوله (ألا إنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ) يقول : ألا إن ثمود كفروا بآيات ربهم ، فجحدوها (ألا بُعْداً لِثَمُودَ) يقول : ألا أبعد الله ثمود ، لنزول العذاب بهم .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ ، قَالُواْ : سَلَٰمًا ، قَالَ : سَلَٰمٌ ، فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ (٦٩)

يقول تعالى ذكره (وَلَقَدْ جاءَتْ رُسُلُنا) من الملائكة ، وهم فيما ذُكر كانوا جبرئيل وملَكين آخرين . وقيل إن الملكين الآخرين كانا ميكائيل وإسرافيل معه (إبْرَاهِيمَ) يعنى إبراهيم خليل الله (بالبُشْرَى) يعنى : بالبشارة .

واختلفوا فى تلك البشارة التى أتوه بها ، فقال بعضهم : هى البشارة بإسحاق ، وقال بعضهم : هى البشارة بهلاك قوم لوط (قالُوا سَلاماً) يقول : فسلموا عليه سلاما ، ونصب سلاما بإعمال قالوا فيه ، كأنه

قيل: قالوا قولا، وسلّموا تسليما (قالَ سَلامٌ) يقول : قال إبراهيم لهم : سلام ، فرفع سلام، بمعنى عليكم السلام، أو بمعنى سلام منكم . وقد ذُكِر عن العرب أنها تقول: سِلْم ، بمعنى السلام ؛ كما قالوا: حِلّ وحلال ، وحِرْم وحرام . وذكر الفراء أن بعض العرب أنشده :

مَرَرْنا فَقُلْنا إيهِ سِلْمٌ فَسَلَّمَتْ كَمَا اكْتَلَّ بالبَرْقِ الغَمامُ اللَّوَائِحُ[1]

بمعنى سلام . وقد روى « كما انكل ». وقد زعم بعضهم أن معناه إذا قرئ كذلك: نحن سِلْم لكم ، من المسالمة التى هى خلاف المحاربة ، وهذه قراءة عامة قرّاء الكوفيين ، وقرأ ذلك عامة قرّاء الحجاز والبصرة قالوا: سلاما، قال سلام، على أن الجواب من إبراهيم صلى الله عليه وسلم لهم، بنحو تسليمهم عليكم السلام .

⁂ والصواب من القول فى ذلك عندى : أنهما قراءتان متقاربتا المعنى ، لأن السِّلم قد يكون بمعنى السلام، على ما وصفت، والسلام بمعنى السّلم، لأن التسليم لايكاد يكون إلا بين أهل السِّلم، دون الأعداء، فإذا ذُكِر تسليم من قوم على قوم ، وردّ الآخرين عليهم ، دلّ ذلك على مسالمة بعضهم بعضا ، وهما مع ذلك قراءتان قد قرأ بكل واحدة منهما أهل قدوة فى القراءة ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب الصواب .

وقوله (فَمَا لَبِثَ أنْ جاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ) وأصله محنوذ ، صرف من مفعول إلى فَعيل .

وقد اختلف أهل العربية فى معناه ، فقال بعض أهل البصرة منهم : معنى المحنوذ : المشوىّ ، قال : ويقال منه : حَنَذْت فرسى ، بمعنى سَخَّنته وعَرَّقته ، واستشهد لقوله ذلك ببيت الراجز :

وَرَهِبا مِنْ حَنْذِهِ أنْ يَهْرَجا[2]

وقال آخر منهم : حَنَذ فرسه : أى أضمره، وقال: قالوا حَنَذَه يَحْنِذُه حنذا: أى عرّقه . وقال بعض أهل الكوفة : كل ما انشوى فى الأرض إذا خددت له فيه فدفنته وغممته فهو الحنيذ والمحنوذ ، قال : والخيل تحنذ إذا ألقيت عليها الجلال، بعضها على بعض لتعرق ، قال : ويقال: إذا سقيت فاحنِذ ، يعنى اخفس ، يريد : أقلّ الماء وأكثر النبيذ .

وأما التأويل ، فإنهم قالوا فى معناه ما أنا ذاكره ، وذلك ما حدثنى به المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (بِعِجْلٍ حَنِيذٍ) يقول : نضيج .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (بِعِجْلٍ حَنِيذٍ) قال : بعجل حسيل البقر ، والحنيذ : المشوىّ النضيج .

---

(١) البيت أورده صاحب (اللسان : سلم) غير منسوب ، وهو مما أنشده الفراء عن بعض الأعراب، وفى روايته اختلاف عن رواية المؤلف ، قال الجوهرى : وسلم بالكسر : السلام ، وقال :

وَقَفْنا فقُلْنا إيهِ سِلْمٌ فَسَلَّمَتْ فَمَا كانَ إلاّ وَمْؤُها بالحَواجِبِ

قال ابن برى والذى رواه القنانى : فقلنا السلام فاتقت من أسيرها وما كان إلا ومؤها بالحواجب

على هذه الرواية لا يكون هذا البيت هو الذى استشهد به الطبرى ، إذ لا شاهد فيه . وأنشده اللسان أيضا فى: (كلل) . قال: واكتل : تبسم ، عن ابن الأعرابى ، وأنشد : عرضنا فقلنا إيه سلم . . . . الخ .

(٢) البيت للعجاج يصف حمارا وأتانا (اللسان : حنذ) وقبله : « حتّى إذا ما الصيف كان أمجا » . والأمج ، حر وعطش شديد والأخذ بالنفس . والحنذ : شدة الحر ، حنذته الشمس ، أحرقته . وهرج البعير من باب فرج : سدد من شدة الحر ، وثقل الحمل .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله (وَلَقَدْ جاءَتْ رُسُلُنا إبْرَاهِيمَ بالبُشْرَى) . . . إلى (بِعِجْلٍ حَنِيذٍ) قال : نضيج سخن ، أنضج بالحجارة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَمَا لَبِثَ أنْ جاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ) والحنيذ : النضيج .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (بِعِجْلٍ حَنِيذٍ) قال : نضيج . قال : وقال الكلبىّ : والحنيذ : الذى يُحْنَذ فى الأرض [1] .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب القمىّ ، عن حفص بن حميد ، عن شمر ، فى قوله (فجاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ) قال : الحنيذ : الذى يقطر ماء وقد شُوِى ، وقال حفص : الحنيذ : مثل حِناذ الخيل .

حدثنى موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو بن حماد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قال : ذبحه ثم شواه فى الرَّضْف [2] ، فهو الحنيذ حين شواه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو يزيد ، عن يعقوب ، عن حفص بن حميد ، عن شمر بن عطية (فجاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ) قال : المشوىّ الذى يقطُر .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا هشام ، قال : ثنا يعقوب ، عن حفص بن حميد ، عن شمر بن عطية ، قال : الحنيذ : الذى يقطر ماؤه وقد شَوِى .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا المحاربىّ ، عن جويبر ، عن الضحاك (بِعِجْلٍ حَنِيذٍ) قال : نضيج .

حُدِّثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (بِعِجْلٍ حَنِيذٍ) الذى أنضج بالحجارة .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا سفيان (فَمَا لَبِثَ أنْ جاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ) قال : مشوىّ .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا إسماعيل بن عبد الكريم ، قال : ثنى عبد الصمد ، أنه سمع وهب بن منبه يقول : حنيذ ، يعنى شُوِى .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : الحناذ : الإنضاج .

⁂ قال أبو جعفر : وهذه الأقوال التى ذكرناها عن أهل العربية وأهل التفسير : متقاربات المعانى بعضها من بعض ، وموضع « أن » فى قوله (أنْ جاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ) نصب بقوله : فما لبث أن جاء .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ ، وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ، قَالُوا لَا تَخَفْ ، إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ (٧٠)

⁂ يقول تعالى ذكره : فلما رأى إبراهيم أيديهم لاتصل إلى العجل الذى أتاهم به ، والطعام الذى قدّم إليهم ،

(١) فى اللسان : ما حفرت له فى الأرض ، ثم غمته ، قال : وهو من فعل أهل البادية معروف .

(٢) فى اللسان : الرضف : الحجارة التى حميت بالنار أو الشمس . واحدتها : رضفة ، بسكون الضاد .

نكرهم ؛ وذلك أنه لما قدم طعامه صلى الله عليه وسلم إليهم فيما ذُكر ، كَفُّوا عن أكله ، لأنهم لم يكونوا ممن يأكله ، وكان إمساكهم عن أكله عند إبراهيم وهم ضيفانه ، مستنكَرا ، ولم تكن بينهم معرفة ، وراعه أمرهم ، وأوجس فى نفسه منهم خيفة .

وكان قتادة يقول : كان إنكاره ذلك من أمرهم ، كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَلَمَّا رأى أيْدِيَهُمْ لاتَصِلُ إلَيْهِ نَكِرَهُمْ ، وأوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً) وكانت العرب إذا نزل بهم ضيف فلم يَطعَم من طعامهم ، ظنوا أنه لم يجىء بخير ، وأنه يحدّث نفسه بشرّ .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، فى قوله (فَلَمَّا رأى أيْدِيَهُمْ لاتَصِلُ إلَيْهِ نَكِرَهُمْ) قال : كانوا إذا نزل بهم ضيف ، فلم يأكل من طعامهم ، ظنوا أنه لم يأت بخير ، وأنه يحدّث نفسه بشرّ ، ثم حدّثوه عند ذلك بما جاءوا .

وقال غيره فى ذلك : ما حدثنى الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا إسرائيل ، عن الأسود بن قيس ، عن جندب بن سفيان ، قال : لما دخل ضيف إبراهيم عليه السلام قرّب إليهم العجل ، فجعلوا ينكتون بقداح فى أيديهم من نَبْل ، ولا تصل أيديهم إليه ، نكرهم عند ذلك ، يقال منه : نَكِرْت الشىء أنكَرُه ، وأنكرته أُنكره : بمعنى واحد ، ومن نكرت وأنكرت قول الأعشى :

وأنْكَرَتْنِى وَما كانَ الَّذى نَكِرْتُ مِنَ الحَوَادِثِ إلاَّ الشَّيْبَ والصَّلَعا[1]

فجمع اللغتين جميعا فى البيت ، وقال أبو ذُؤيب :

فَنَكِرْتُهُ فَنَفَرْنَ وَامْتَرَسَتْ بِهِ هَوْجاءُ هادِيَةٌ وَهادٍ جُرْشُعُ[2]

وقوله (وأوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً) يقول : أحسّ فى نفسه منهم خيفة وأضمرها . (قالُوا لاتَخَفْ) يقول قالت الملائكة لما رأت ما بابراهيم من الخوف منهم : لاتخف منا وكن آمنا ، فإنا ملائكةُ ربك ، أرسلنا إلى قوم لوط .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَامْرَأَتُهُ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَقَ ، وَمِنْ وَرَآءِ إِسْحَقَ يَعْقُوبَ (٧١)

يقول تعالى ذكره (وَامْرأتُهُ) سارَة بنت هاران بن ناحور بن ساروج بن راعو بن فالغ ، وهى ابنة عمّ إبراهيم . (قائِمَةٌ) قيل : كانت قائمة من وراء الستر ، تستمع كلام الرسل وكلام إبراهيم عليه السلام . وقيل : كانت قائمة تخدُم الرسل ، وإبراهيم جالس مع الرسل .

(١) البيت أورده صاحب اللسان : (نكر) شاهدا على أن العرب تقول : أنكرت الشىء ، وأنا أنكره إنكارا ، ونكرته مثله ، قال الأعشى . . . البيت ، والبيت منسوب للأعشى ، وهو فى ديوانه (طبعة القاهرة ص ١٠١) ولكن بعض العلماء صرح بأنه موضوع فى شعر الأعشى ولم يقله . قيل وضعه أبو عمرو بن العلاء . وقيل : حماد ، (انظر الديوان ص ١٠٠) . وفى مجاز القرآن لأبى عبيدة (١ : ٢٩٣) قال أبو عبيدة : قال يونس : قال أبو عمرو : أنا الذى زدت هذا البيت فى شعر الأعشى إلى آخره ، فأتوب إلى الله منه .

(٢) البيت فى ديوان الهذليين طبعة دار الكتب المصرية (١ : ٨) وفيه : سطعاء ، فى موضع : هوجاء ، وهى رواية أخرى . قال شارحه : يعنى : الحمير نكرن الصائد ، فامترست هوجاء ، يعنى : الأتان امترست بالفحل : جعلت تكاده وتسير معه . والهوجاء : التى ترفع رأسها لتتقدمه . وهاد : يعنى الفحل . وجرشع : منتفخ الجنبين ، وأراد : أنه امترس هو بها أيضا .

وقوله (فَضَحِكَتْ) : اختلف أهل التأويل فى معنى قوله (فَضَحِكَتْ) وفى السبب الذي من أجله ضحكت ، فقال بعضهم : ضحكت الضحك المعروف ، تعجبا من أنها وزوجها إبراهيم يخدمان ضيفانهم بأنفسهما ، تكرمة لهم ، وهم عن طعامهم ممسكون لايأكلون .

ذكر من قال ذلك

حدثنى موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو بن حماد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قال : بعث الله الملائكة لتهلك قوم لوط ، أقبلت تمشى فى صورة رجال شباب ، حتى نزلوا على إبراهيم ، فتضيفوه ؛ فلما رآهم إبراهيم أجلّهم ، فراغ إلى أهله ، فجاء بعجل سمين ، فذبحه ، ثم شواه فى الرَّضْف ، فهو الحنيذ حين شواه ، وأتاهم فقعد معهم ، وقامت سارَة تخدمهم ، فذلك حين يقول (وَامْرَأتُهُ قَائِمَةٌ) وهو جالس فى قراءة ابن مسعود ، فلما قرّبه إليهم قال : ألا تأكلون ؟ قالوا يا إبراهيم إنا لانأكل طعاما إلا بثمن ، قال : فإن لهذا ثمنا ، قالوا : وما ثمنه ؟ قال : تذكرون اسم الله على أوّله ، وتحمَدونه على آخره ، فنظر جبرائيل إلى ميكائيل فقال : حقّ لهذا أن يتخذه ربه خليلا . (فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لاتَصِلُ إِلَيْهِ) يقول : لايأكلون ، فزع منهم ، وأوجس منهم خيفة ؛ فلما نظرت إليه سارَة أنه قد أكرمهم ، وقامت هى تخدُمهم ، ضحكت وقالت : عجبا لأضيافنا هؤلاء ، إنا نخدُمهم بأنفسنا ، تكرمة لهم ، وهم لايأكلون طعامنا !

وقال آخرون : بل ضحكت من أن قوم لوط فى غفلة ، وقد جاءت رسل الله لهلاكهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : لما أوجس إبراهيم خيفة فى نفسه ، حدّثوه عند ذلك بما جاءوا فيه ، فضحكت امرأته ، وعجِبت من أن قوما أتاهم العذاب وهم فى غفلة ، فضحكت من ذلك وعجبت ، فبشرناها بإسحاق ، ومن وراء إسحاق يعقوب .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة أنه قال : ضحكت تعجبا مما فيه قوم لوط من الغفلة ، ومما أتاهم من العذاب .

وقال آخرون : بل ضحكت ، ظنا منها بهم أنهم يريدون عمل قوم لوط .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا أبو معشر ، عن محمد بن قيس ، فى قوله (وامرأتُهُ قائمَةٌ فَضَحِكَتْ) قال : لما جاءت الملائكة ظنت أنهم يريدون أن يعملوا كما يعمل قوم لوط .

وقال آخرون : بل ضحكت لِمَا رأت بزوجها إبراهيم من الرَّوع .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الكلبىّ (فَضَحِكَتْ) قال : ضحكت حين راعُوا إبراهيم ، مما رأت من الرَّوع بإبراهيم .

وقال آخرون : بل ضحكت حين بشرت بإسحاق ، تعجبا من أن يكون لها ولد ، على كِبَر سنها وسنّ زوجها .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا إسماعيل بن عبد الكريم ، قال : ثنى عبد الصمد : أنه سمع وهب بن منبه يقول : لما أتى الملائكةُ إبراهيم عليه السلام ، فرآهم ، راعه هيئتهم وجمالهم ، فسلموا عليه ، وجلسوا إليه ، فقام فأمر بعجل سمين ، فحنذ له ، فقرّب إليهم الطعام ، فلما رأى أيديهم لاتصل إليه نكرهم ، وأوجس منهم خيفة ، وسارَة وراء البيت تسمع ، قالوا : لاتخف إنا نبشرك بغلام حليم ، مبارك ، وبشّر به امرأته سارة ، فضحكت وعجبت : كيف يكون لى ولد وأنا عجوز وهو شيخ كبير ؟ فقالوا : أتعجبين من أمر الله ، فإنه قادر على ما يشاء ، فقد وهبه الله لكم ، فأبشروا به . وقد قال بعض من كان يتأوّل هذا التأويل : إن هذا من المقدّم الذى معناه التأخير ، وكأنّ معنى الكلام عنده : وامرأته قائمة ، فبشّرناها بإسحاق ، ومن وراء إسحاق يعقوب ، فضحكت ، وقالت : يا ويلتا ءألد وأنا عجوز ؟

وقال آخرون : بل معنى قوله : فضحكت فى هذا الموضع : فحاضت .

ذكر من قال ذلك

حدثنى سعيد بن عمرو السكونىّ ، قال : ثنا بقية بن الوليد ، عن علىّ بن هارون ، عن عمرو بن الأزهر ، عن ليث ، عن مجاهد ، فى قوله (فَضَحِكَتْ) قال : حاضت ، وكانت ابنة بضع وتسعين سنة ، قال : وكان إبراهيم ابن مئة سنة .

وقال آخرون : بل ضحكت سرورا بالأمن منهم لما قالوا لإبراهيم : لاتخف ، وذلك أنه قد كان خافهم وخافتهم أيضا ، كما خافهم إبراهيم ؛ فلما أمنت ضحكت ، فأتبعوها البشارة بإسحاق . وقد كان بعض أهل العربية من الكوفيين يزعم أنه لم يسمع ضحكت بمعنى حاضت من ثقة . وذكر بعض أهل العربية من البصريين أن بعض أهل الحجاز أخبره عن بعضهم أن العرب تقول ضحكت المرأة : حاضت ، قال : وقد قال : الضحك : الحيض ، وقد قال بعضهم : الضحك : العجب ، وذكر بيت أبى ذؤيب :

فجاءَ بِمَزْجٍ لَمْ يَرَ النَّاسُ مِثْلَهُ هُوَ الضَّحْكُ إلاَّ أنَّهُ عَمَلُ النَّحْلِ [1]

وذكر أن بعض أصحابه أنشده فى الضحك بمعنى الحيض .

وَضَحْكُ الأرَانِبِ فَوْقَ الصَّفَا كَمِثْلِ دَمِ الجَوْفِ يَوْمَ اللِّقا [2]

قال : وذكر له بعض أصحابه أنه سمع للكُمَيت :

(١) البيت لأبى ذؤيب ، نسبه إليه صاحب اللسان (مزج) شاهدا على أن المزج هو العسل ، وفى التهذيب : الشهد ، وقال أبو حنيفة سمى مزجا لأن مزاج كل شراب حلو طيب به . والضحك : الثغر الأبيض ، والضحك العسل ، شبه بالثغر ، لشدة بياضه ، قال أبو ذؤيب : فجاء بمزج . . . الخ . وقيل الضحك هنا : الشهد ، وقيل الزبد ، وقيل : الثلج . والضحك : العجب ، وعليه استشهد المؤلف بالبيت .

(٢) البيت فى اللسان (ضحك) غير منسوب ، وهو شاهد على قول العرب : ضحكت الأرنب ضحكا : إذا حاضت . قال : وضحك الأرانب . . . الخ . قال : يعنى الحيض فيما زعم بعضهم . قال ابن الأعرابى فى قول تأبط شرا : « تضحك الضبع لقتلى هذيل » أى أن الضبع إذا أكلت لحوم الناس أو شربت دماءهم ، طمثت .

فأضْحَكَتِ الضباعَ سيُوفُ سَعْدٍ بقَتْلَى ما دُفِنَّ وَلا وُدِينا[1]

وقال : يريد الحيض . قال : وبلحارث بن كعب يقولون : ضحكت النخلة : إذا أخرجت الطلع أو البسر . وقالوا : الضحك : الطلع ، قال : وسمعنا من يحكى : أضحكت حوضا : أى ملأته حتى فاض ، قال : وكأنّ المعنى قريب بعضه من بعض كله ، لأنه كأنه شىء يمتلئ فيفيض .

⁂ وأولى الأقوال التى ذكرت فى ذلك بالصواب : قول من قال : معنى قوله : فضحكت : فعجبت من غفلة قوم لوط عما قد أحاط بهم من عذاب الله ، وغفلته عنه .

وإنما قُلْنا هذا القول أولى بالصواب : لأنه ذكر عقيب قولهم لإبراهيم : لاتخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط ، فإذا كان ذلك كذلك ، وكان لاوجه للضحك والتعجب من قولهم لإبراهيم : لاتخف ، كان الضحك والتعجب ، إنما هو من أمر قوم لوط .

القول فى تأويل قوله تعالى

(فَبَشَّرْناها بإسْحاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إسْحاقَ يَعْقُوبَ) :

يقول تعالى ذكره : فبشّرنا سارّة امرأة إبراهيم ، ثوابا منا لها على نكيرها وعجبها من فعل قوم لوط ، بإسحاق ولدا لها ، ومن وراء إسحاق يعقوب ، يقول : ومن خلف إسحاق يعقوب من ابنها إسحاق ، والوراء فى كلام العرب : ولد الولد ، وكذلك تأوّله أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا حميد بن مسعدة ، قال : ثنا بشر بن المفضل ، قال : ثنا داود ، عن عامر ، قال : (وَمِنْ وَرَاءِ إسْحاقَ يَعْقُوبَ) قال : الوراء : ولد الولد .

حدثنا عمرو بن علىّ ومحمد بن المثنى ، قال : كل واحد منهما : حدثنى أبو اليسع إسماعيل بن حماد بن أبى المغيرة مولى الأشعرىّ ، قال : كنت إلى جنب جدى أبى المغيرة بن مهران فى مسجد علىّ بن زيد ، فمرّ بنا الحسن بن أبى الحسن ، فقال : يا أبا المغيرة ، مَنْ هذا الفتى ؟ قال : ابنى من ورائى ، فقال الحسن : (فَبَشَّرْناها بإسْحاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إسْحاقَ يَعْقُوبَ) .

حدثنا عمرو بن علىّ ومحمد بن المثنى ، قالا : ثنا محمد بن أبى عدىّ ، قال : ثنا داود بن أبى هند ، عن الشعبىّ ، فى قوله (فَبَشَّرْناها بإسْحاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إسْحاقَ يَعْقُوبَ) قال : ولد الولد : هو الوراء .

---

(١) البيت للكميت كما فى (اللسان : ضحك) والرواية فيه بالواو فى أوله . وهو شاهد على أن الضباع تحيض ، وقد أنكره ابن دريد وقال : من شاهد الضباع عند حيضتها ، فيعلم أنها تحيض ؟ وقال الفراء : وأما قولهم : فضحكت : حاضت ، فلم أسمعه من ثقة . قال أبو عمرو (لعله الشيبانى) وسمعت أبا موسى الحامض يسأل أبا العباس ثعلبا أو المبرد ، عن قوله « فضحكت » أى حاضت ، وقال : إنه قد جاء فى التفسير . فقال : ليس فى كلام العرب ، والتفسير مسلم لأهل التفسير . فقال له : فأنت أنشدتنا (لتأبط شرا) :

تَضْحَكُ الضَّبْعُ لقَتْلَى هُذَيْلٍ وتَرَى الذِّئْبَ بِها يَسْتَهِلُّ

فقال أبو العباس : تضحك هاهنا : تكشر ، وذلك أن الذئب ينازعها على القتيل ، فتكشر فى وجهه وعيدا ، فيتركها مع لحم القتيل ويمر (اللسان) .

حدثنى إسحاق بن شاهين ، قال : ثنا خالد ، عن داود ، عن عامر ، فى قوله (وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ) قال : الوراء : ولد الولد .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علية ، عن داود ، عن الشعبىّ ، مثله .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا أبوعمرو الأزدىّ ، قال : سمعت الشعبىّ يقول : ولد الولد : هم الولد من الوراء .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا سفيان ، عن حبيب بن أبى ثابت ، قال : جاء رجل إلى ابن عباس ومعه ابن ابنه ، فقال : من هذا معك ؟ قال : هذا ابن ابنى ، قال : هذا ولدك من الوراء ، قال : فكأنه شقّ علىّ ذلك الرجل ، فقال ابن عباس : إن الله يقول (فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ) فولد الولد : هم من الوراء .

حدثنى موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو بن حماد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قال : لما ضحكت سارَة وقالت : عجبا لأضيافنا هؤلاء ، إنا نخدمهم بأنفسنا تكرمة لهم ، وهم لايأكلون طعامنا ! قال لها جبريل : أبشرى بولد اسمه إسحاق ، ومن وراء إسحاق يعقوب ، فضربت وجهها عجبا ، فذلك قوله (فَصَكَّتْ وَجْهَهَا) وقالت(ءَأَلِدُ وأنا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِى شَيْخاً ، إِنَّ هَذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ! قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللهِ ، رَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ ، إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ) قالت سارَة : ما آية ذلك ؟ قال : فأخذ بيده عودا يابسا ، فلواه بين أصابعه ، فاهتزّ أخضر ، فقال إبراهيم : هو لله إذن ذبيحا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : فضحكت ، يعنى سارّة لما عرفت من أمر الله جلّ ثناؤه ، ولما تعلم من قوم لوط ، فبشروها بإسحاق ، ومن وراء إسحاق يعقوب ، بابن ، وبابن ابن ، فقالت وصكّت وجهها ، يقال : ضربت على جبينها (يا وَيْلَتَا ءَأَلِدُ وأنا عَجُوزٌ !) . . . إلى قوله (إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ) .

واختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء العراق والحجاز ، ومن وراء إسحاق يعقوب ، برفع يعقوب ، ويعيد ابتداء الكلام بقوله (وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبُ) وذلك وإن كان خبرا مبتدأ ، ففيه دلالة على معنى التبشير ، وقرأه بعض قرّاء أهل الكوفة والشأم (وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ) نصبا ، فأما الشامىّ منهما ، فذكر أنه كان ينحو بيعقوب نحو النصب ، بإضمار فعل آخر مشاكل للبشارة ، كأنه قال : ووهبنا له من وراء إسحاق يعقوب ، فلما لم يظهر وهبنا ، عمل فيه التبشير ، وعطف به على موضع إسحاق ، إذ كان إسحاق وإن كان مخفوضا ، فإنه بمعنى المنصوب بعمل بشرنا فيه ، كما قال الشاعر :

جِئْنِى بِمِثْلِ بَنِى بَدْرٍ لِقَوْمِهِمِ ... أَوْ مِثْلِ أُسْرَةِ مَنْظُورِ بْنِ سَيَّارِ
أَوْ عَامِرِ بْنِ طُفَيْلٍ فِى مُرَكَّبِهِ ... أَوْ حَارِثًا يَوْمَ نَادَى الْقَوْمُ يَا حَارِ[1]

(١) البيتان واضحا المعنى . وقد استشهد بهما المؤلف على أن حارثا منصوب بالعطف على المجرور قبله ، وهو عامر وما قبله ، لأنه فى معنى المنصوب ، كأنه قال . اذكر عامر بن طفيل أو حارثا ؛ « واذكر » فى معنى : « جئنى بمثل » وإن لم يكن فى لفظه ، ولذلك جاز عطف المنصوب على المجرور على هذا التأويل .

وأما الكوفىّ منهما فإنه قرأه بتأويل الخفض، فيما ذُكِر عنه، غير أنه نصبه، لأنه لا يُجْرَى، وقد أنكر ذلك أهل العلم بالعربية، من أجل دخول الصفة [1] بين حرف العطف والاسم ، وقالوا: خطأ أن يقال: مررت بعمرو فى الدار ، وفى الدار زيد ، وأنت عاطف بزيد على عمرو، إلا بتكرير الباء وإعادتها ، فإن لم تعد كان وجه الكلام عندهم الرفع ، وجاز النصب ، فإن قدم الاسم على الصفة [1] جاز حينئذ الخفض، وذلك إذا قلت : مررت بعمرو فى الدار ، وزيد فى البيت، وقد أجاز الخفض والصفة [1] معترضة بين حرف العطف والاسم بعض نحويّ البصرة .

⁂ وأولى القراءتين فى ذلك بالصواب عندى: قراءة من قرأه رفعا ، لأن ذلك هو الكلام المعروف من كلام العرب، والذى لايتناكره أهل العلم بالعربية، وما عليه قراءة الأمصار، فأما النصب فيه، فإن له وجها، غير أنىّ لاأحبّ القراءة به ، لأن كتاب الله نزل بأفصح ألسن العرب ، والذى هو أولى بالعلم بالذى نزل به من الفصاحة .

القول فى تأويل قوله تعالى

قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ؟ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ! (٧٢) قَالُوٓا۟ : أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ؟ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ، إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ (٧٣)

⁂ يقول تعالى ذكره : قالت سارّة لما بُشِّرت بإسحاق أنها تلد، تعجبا مما قيل لها من ذلك ، إذ كانت قد بلغت السنّ التى لايلد من كان قد بلغها من الرجال والنساء ، وقيل : إنها كانت يومئذ ابنة تسع وتسعين سنة ، وإبراهيم ابن مئة سنة . وقد ذُكِرَت الرواية فيما روى فى ذلك عن مجاهد قبلُ .

وأما ابن إسحاق ، فإنه قال فى ذلك ماحدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : كانت سارّة يوم بشرت بإسحاق فيما ذُكِر لى بعض أهل العلم ابنة تسعين سنة ، وإبراهيم ابن عشرين ومئة سنة ، (يا وَيْلَتَا) وهى كلمة تقولها العرب عند التعجب من الشىء، والاستنكار للشىء ، فيقولون عند التعجب : ويل امه رجلا ما أرجله !

وقد اختلف أهل العربية فى هذه الألف التى فى : يا ويلتا ، فقال بعض نحويّ البصرة : هذه ألف حقيقة ، إذا وقفت قلت : يا ويلتاه ، وهى مثل ألف النُّدبة، فلطفت من أن تكون فى السكت ، وجعلت بعدها الهاء لتكون أبين لها وأبعد فى الصوت ، وذلك لأن الألف إذا كانت بين حرفين ، كان لها صدى كنحو الصوت يكون فى جوف الشىء ، فيتردّد فيه ، ، فتكون أكثر وأبين . وقال غيره : هذه ألف النُّدبة ، فإذا وقفت عليها فجائز ، وإن وقفت على الهاء فجائز ، وقال : ألاترى أنهم قد وقفوا على قوله (وَيَدْعُوا الإنْسانُ) فحذفوا الواو وأثبتوها ، وكذلك (ما كُنَّا نَبْغِى) بالياء ، وغير الياء ، قال : وهذا أقوى من ألف النُّدبة وهائها .

(١) الصفة : يريد الجار والمجرور فى قوله : « وفى الدار زيد » .

⁂ والصواب من القول فى ذلك عندى: أن هذه الألف ألف الندبة ، والوقف عليها بالهاء وغير الهاء جائز فى الكلام ، لاستعمال العرب ذلك فى كلامهم .

وقوله (ءألِدُ وأنا عَجُوزٌ) تقول : أنى يكون لى ولد وأنا عجوز؟ (وَهَـذَا بَعْلِى شَيْخا) والبعل فى هذا الموضع : الزوج ، وسمى بذلك لأنه قيِّم أمرها ، كما سموا مالك الشىء بعله ، وكما قالوا للنخل التى تستغنى بماء السماء عن سقى ماء الأنهار والعيون البعل ، لأن مالك الشىء القيم به ، والنخل البعل بماء السماء حياته . وقوله (إنَّ هَـذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ) يقول : إن كون الولد من مثلى ومثل بعلى على السنّ التى بها نحن لشىء عجيب (قالُوا أتَعْجَبِين مِنْ أمْرِ اللهِ) يقول الله تعالى ذكره : قالت الرسل لها : أتعجبين من أمرٍ أمَر الله به أن يكون ، وقضاء قضاه الله فيك وفى بعلك ؟ وقوله (رَحْمَـةُ اللهِ وَبَرَكاتُهُ عَلَيْكُمْ أهْـلَ البَيْتِ) يقول : رحمة الله وسعادته لكم أهل بيت إبراهيم ، وجعلت الألف واللام خلفا من الإضافة . وقوله (إنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ) يقول : إن الله محمود فى تفضله عليكم بما تفضل به من النعم عليكم وعلى سائر خلقه ، مجيد ، يقول : ذو مجد ومدح وثناء كريم ، يقال فى فعل منه : مجد الرجل يمجد مجادة إذا صار كذلك ، وإذا أردت أنك مدحته قلت : مجّدته تمجيدا .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَـٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ (٧٤) إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ (٧٥)

⁂ يقول تعالى ذكره : فلما ذهب عن إبراهيم الخوف الذى أوجسه فى نفسه من رسلنا ، حين رأى أيديهم لا تصل إلى طعامه ، وأمن أن يكون قُصِد فى نفسه وأهله بسوء ، وجاءته البشرى بإسحاق ، ظلّ يجادلنا فى قوم لوط .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ) يقول : ذهب عنه الخوف (وَجاءَتْهُ البُشْرَى) باسْحاق .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجاءَتْهُ البُشْرَى) بإسحاق ، ويعقوب ولد من صلب إسحاق ، وأمن مما كان يخاف ، قال : (الحَمْدُ للهِ الَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى الكِبَرِ إسْمَاعِيلَ وإسْحاقَ ، إنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ الدُّعاءِ) وقد قيل : معنى ذلك : وجاءته البشرى ، أنهم ليسوا إياه يريدون .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَجاءَتْهُ البُشْرَى) قال : حين أخبروه أنهم أرسلوا إلى قوم لوط ، وأنهم ليسوا إياه يريدون .

قال : ثنا محمد بن ثور ، قال : ثنا معمر ، وقال آخرون : بشر بإسحاق .

وأما الرَّوعُ : فهو الخوف ، يقال منه : راعنى كذا يَرُوعنى رَوْعا : إذا خافه ، ومنه قول النبىّ صلى الله عليه وسلم « كيف لك برَوْعة المؤمن » ومنه قول عَنْترة :

ما رَاعَنِى إلاَّ حَمُولةُ أهْلِها وَسْطَ الدِّيارِ تَسَفُّ حَبَّ الخِمْخِمِ[1]

بمعنى : ما أفزعنى .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : الرّوع : الفَرَق .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة . قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ) قال : الفرَق .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة (فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ) قال : الفَرَق .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ) قال : ذهب عنه الخوف .

وقوله (يُجادِلُنا فِى قَوْمِ لُوطٍ) يقول : يخاصمنا .

كما حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (يُجادِلُنا) : يخاصمنا .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

وزعم بعض أهل العربية من أهل البصرة : أن معنى قوله (يُجادِلُنا) : يكلّمنا ، وقال : لأن إبراهيم لا يجادل الله ، إنما يسأله ويطلب منه ، وهذا من الكلام جهل ، لأن الله تعالى ذكره ، أخبرنا فى كتابه أنه يجادل فى قوم لوط ، فقول القائل : إبراهيم لا يجادل ، موهما بذلك أن قول من قال فى تأويل قوله (يُجادِلُنا) : يخاصمنا ، أن إبراهيم كان يخاصم ربه ، جهل من الكلام ، وإنما كان جداله الرسل على وجه المحاجّة لهم . ومعنى ذلك : وجاءته البشرى يجادل رسلنا ، ولكنه لما عرف المراد من الكلام حذف الرسل .

---

(١) البيت لعنترة بن عمرو بن شداد العبسى ، من معلقته المشهورة (مختار الشعر الجاهلى بشرح مصطفى السقا) طبعة شركة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بالقاهرة (الطبعة الثانية ص ٣٧١) . وراعنى : أفزعنى ، من الروع بالفتح ، وهو الفزع . والحمولة ، بفتح الحاء : الإبل التى تطيق الحمل عليها . والخمخم ، بكسر الخاءين : نبت تعلفه الإبل . يقول : ماأنذرنى بارتحالها ، إلا انقضاء مدة الانتجاع والكلأ ، وعلامة ذلك سف الإبل حب الخمخم ، لأنها لم تجد الكلأ ، ووقوفها وسط الديار ، ولم تخرج إلى المرعى كعادتها فى الربيع — جعل ذلك كناية عن قرب العودة إلى الوطن .

وكان جداله إياهم كما حدثنا ابن حميد، قال : ثنا يعقوب القُمِّىّ ، قال : ثنا جعفر ، عن سعيد: (يُجادِلُنا فى قَوْمِ لُوطٍ) قال : لما جاء جبرئيل ومن معه قالوا لإبراهيم (إنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هَذِهِ القَرْيَةِ ، إنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ) قال لهم إبراهيم : أتهلكون قرية فيها أربع مئة مؤمن ؟ قالوا : لا ، قال : أفتهلكون قرية فيها ثلاث مئة مؤمن ؟ قالوا : لا ، قال : أفتهلكون قرية فيها مئتا مؤمن ؟ قالوا : لا ، قال : أفتهلكون قرية فيها أربعون مؤمنا ؟ قالوا : لا ، قال : أفتهلكون قرية فيها أربعة عشر مؤمنا ؟ قالوا : لا ، وكان إبراهيم يعدّهم أربعة عشر بامرأة لوط ، فسكت عنهم واطمأنت نفسه .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا الحِمّانى ، عن الأعمش ، عن المنهال ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : قال الملك لإبراهيم : إن كان فيها خمسة يصلون ، رُفع عنهم العذاب .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يُجادِلُنا فِى قَوْمِ لُوطٍ) : ذُكِر لنا أن مجادلته : إياهم أنه قال لهم : أرأيتم إن كان فيها خمسون من المؤمنين ، أمعذّبوها أنتم ؟ قالوا : لا ، حتى صار ذلك إلى عشرة ، قال : أرأيتم إن كان فيها عشرة أمعذّبوهم أنتم ؟ قالوا : لا ، وهى ثلاث قرى ، فيها ماشاء الله من الكثرة والعدد .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (يُجادِلُنا فِى قَوْمِ لُوطٍ) قال : بلغنا أنه قال لهم يومئذ : أرأيتم إن كان فيهم خمسون من المسلمين ؟ قالوا : إن كان فيها خمسون لم نعذّبهم ، قال : أربعون ، قالوا : وأربعون ، قال : ثلاثون ، قالوا : ثلاثون ، حتى بلغ عشرة ، قالوا : وإن كان فيهم عشرة ، قال : ما قوم لايكون فيهم عشرة فيهم خير .

قال ابن عبد الأعلى ، قال محمد بن ثور : قال معمر : بلغنا أنه كان فى قرية لوط أربعة آلاف ألف إنسان ، أو ما شاء الله من ذلك .

حدثنى موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو بن حماد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجاءَتْهُ البُشْرَى ـ قَالَ مَا خَطْبُكُمْ أيها المُرْسَلُونَ) قالوا : إنا أرسلنا إلى قوم لوط ، فجادلهم فى قوم لوط ، قال : أرأيتم إن كان فيها مئة من المسلمين أتهلكونهم ؟ قالوا : فلم يزل يحطّ حتى بلغ عشرة من المسلمين ، فقالوا : لانعذّبهم إن كان فيهم عشرة من المسلمين ، ثم قالوا : يا إبراهيم أعرض عن هذا ، إنه ليس فيها إلا أهل بيت من المؤمنين ، هو لوط وأهل بيته ، وهو قول الله تعالى ذكره (يُجادِلُنا فِى قَوْمِ لُوطٍ) فقالت الملائكة (يا إبْرَاهِيمُ أعْرِضْ عَنْ هَذَا ، إنَّه قَدْ جاءَ أمْرُ رَبِّكَ ، وإنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غيرُ مَرْدُود) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق قال (فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجاءَتْهُ البُشْرَى) يعنى : إبراهيم جادل عن قوم لوط ، ليردّ عنهم العذاب ، قال : فيزعم أهل التوراة أن مجادلة إبراهيم إياهم ، حين جادلهم فى قوم لوط ، ليردّ عنهم العذاب ، إنما قال للرسل فيما يكلمهم به : أرأيتم إن كان فيهم مئة مؤمن أتهلكونهم ؟ قالوا : لا ، قال : أفرأيتم إن كانوا تسعين ؟ قالوا : لا ، قال : أفرأيتم إن كانوا ثمانين ؟

قالوا : لا ، قال : أفرأيتم إن كانوا سبعين ؟ قالوا : لا ، قال أفرأيتم إن كانوا ستين ؟ قالوا : لا ، قال : أفرأيتم إن كانوا خمسين ؟ قالوا : لا ، قال : أفرأيتم إن كان رجلا واحدا مسلما ؟ قالوا : لا ، قال : فلما لم يذكروا لإبراهيم أن فيها مؤمنا واحدا : (قَالَ : إِنَّ فِيهَا لُوطاً) يَدْفع به عنهم العذاب (قالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيها ، لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلاَّ امْرَأَتَه كانَتْ مِنَ الغابِرِينَ) قالوا : يا إبراهيم أعرض عن هذا ، إنه قد جاء أمر ربك ، وإنهم آتيهم عذاب غير مردود .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جريج : قال إبراهيم : أتهلكونهم إن وجدتم فيها مِئَة مؤمن ، ثم تسعين ، حتى هبط إلى خمسة ، قال : وكان فى قرية لوط أربعة آلاف ألف .

حدثنا محمد بن عوف ، قال : ثنا أبو المغيرة ، قال : ثنا صفوان ، قال : ثنا أبو المثنى ومسلم أبو الحبيل الأشجعىّ ، قالا (لَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ) . . . إلى آخر الآية ، قال إبراهيم : أتعذّب عالما من عالمك كثيرا فيهم مئة رجل ؟ قال : لا ، وعزتى ، ولا خمسين ، قال : فأربعين ، فثلاثين ، حتى انتهى إلى خمسة ؟ قال : لا ، وعزتى ، لأعذبهم ولو كان فيهم خمسة يعبدوننى ، قال الله عزّ وجلّ (فَمَا وَجَدْنا فِيها غَيرَ بَيْتٍ مِنَ المُسْلِمِينَ) أى لوطا وابنتيه ، قال : فحلّ بهم من العذاب ، قال الله عزّ وجلّ (وَتَرَكْنَا فِيها آيَةً لِلَّذِينَ يَخافُونَ العَذابَ الأَلِيمَ) . وقال (فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجاءَتْهُ البُشْرَى يُجادِلُنا فِى قَوْمِ لُوطٍ) ، والعرب لاتكاد تتلقى « لمّا » إذا وليها فعل ماض ، إلاّ بماض ، يقولون : لما قام قمت ، ولا يكادون يقولون : لما قام أقوم ، وقد يجوز فيما كان من الفعل له تطاول مثل الجدال والخصومة والقتال ، فيقولون فى ذلك : لما لقيته أقاتله ، بمعنى : جعلت أقاتله .

وقوله (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ) يقول تعالى ذكره : إن إبراهيم لبطىء الغضب متذلل لربه خاشع له ، منقاد لأمره ، منيب رجّاع إلى طاعته .

كما حدثنى الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبى يحيى ، عن مجاهد (أَوَّاهٌ مُنِيبٌ) قال : القانت : الرجّاع ، وقد بيّنا معنى الأوّاه فيما مضى ، باختلاف المختلفين ، والشواهد على الصحيح منه عندنا من القول بما أغنى عن إعادته .

القول فى تأويل قوله تعالى

يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآ ۖ إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ (٧٦)

⁂ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قول رسله لإبراهيم : (يا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذا) ، وذلك قيلهم له حين جادلهم فى قوم لوط ، فقالوا : دع عنك الجدال فى أمرهم ، والخصومة فيه ، (فإِنَّهُ قَدْ جاءَ أَمْرُ رَبِّكَ) بعذابهم ، وحُقّ عليهم كلمة العذاب ، ومضى فيهم بهلاكهم القضاء ، (وإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غيرُ مَرْدُودٍ) يقول : وإن قوم لوط نازل بهم عذاب من الله غير مدفوع . وقد ذكر الرواية بما ذكرنا فيه ، عمن ذكر ذلك عنه .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ ، وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا ، وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ (٧٧)

يقول تعالى ذكره : ولما جاءت ملائكتنا لوطا ، ساءه مجيئهم ، وهو فعل من السُّوء . وضاق بهم : بمجيئهم. ذَرْعا : يقول : وضاقت نفسه غمًّا بمجيئهم ، وذلك أنه لم يكن يعلم أنهم رسل الله فى حال ما ساءه مجيئهم ، وعلم من قومه ما هم عليه من إتيانهم الفاحشة ، وخاف عليهم ، فضاق من أجل ذلك بمجيئهم ذَرْعا ، وعلم أنه سيحتاج إلى المدافعة عن أضيافه ، ولذلك قال : (هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ) .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَلَمَّا جاءَتْ رُسُلُنا لُوطاً سِيءَ بِهِمْ وَضاقَ بِهِمْ ذَرْعا) يقول : ساء ظنا بقومه ، وضاق ذرعا بأضيافه.

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن حذيفة : أنه قال : لما جاءت الرسل لوطا أتَوه وهو فى أرض له يعمل فيها ، وقد قيل لهم والله أعلم : لاتهلكوهم حتى يشهد لوط ، قال : فأتوه فقالوا : إنا متضيفوك الليلة ، فانطلق بهم ، فلما مضى ساعة التفت ، فقال : أما تعلمون ما يعمل أهل هذه القرية ، والله ما أعلم على ظهر الأرض أناسا أخبث منهم . قال : فمضى معهم ، ثم قال الثانية مثل ما قال ، فانطلق بهم ، فلما بصرت بهم عجوز السَّوء امرأته ، انطلقت فأنذرتهم .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : قال حذيفة ، فذكر نحوه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا الحكم بن بشير ، قال : ثنا عمرو بن قيس الملائى ، عن سعيد بن بشير ، عن قتادة ، قال : أتت الملائكة لوطا وهو فى مزرعة له ، وقال الله للملائكة : إن شهد لوط عليهم أربع شهادات ، فقد أَذِنت لكم فى هلَكتهم ، فقالوا : يا لوط إنا نريد أن نَضيفك الليلة ، فقال : وما بلغكم من أمرهم ؟ قالوا : وما أمرهم ؟ قال : أشهد بالله إنها لشرّ قرية فى الأرض عملا ، يقول ذلك أربع مرّات ، فشهد عليهم لوط أربع شهادات ، فدخلوا معه منزله .

حدثنى موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو بن حماد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قال : خرجت الملائكة من عند إبراهيم نحو قرية لوط ، فأتَوها نصف النهار ، فلما بلغوا نهر سَدُوم لقوا ابنة لوط تستقى من الماء لأهلها ، وكانت له ابنتان ، اسم الكبرى ريثا ، والصغرى زغرتا [1] ، فقالوا لها يا جارية ، هل من منزل ؟ قالت : نعم ، فمكانكم ، لاتدخلوا حتى آتيكم ، فَرِقت عليهم من قومها ، فأتت أباها ، فقالت : يا أبتاه ، أرادك فتيان على باب المدينة ، ما رأيت وجوه قوم أحسن منهم ، لايأخذهم قومُك فيفضحوهم ، وقد كان قومه نَهَوه أن يُضيف رجلا ، فقالوا : خلّ عنا فلنُضِف الرجال ، فجاء بهم ، فلم يعلم أحد إلا أهل بيت لوط ،

(١) فى عرائس المجالس للثعلبى (قصص الأنبياء) طبعة الحلبى ص ١٠٤ « غيثا » .

فخرجت امرأته ، فأخبرت قومها ، قالت : إن فى بيت لوط رجالا ما رأيت مثل وجوههم قطّ ، فجاءه قومه يُهْرَعون إليه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : خرجت الرسل فيما يزعم أهل التوراة من عند إبراهيم إلى لوط بالمؤتفكة ، فلما جاءت الرسل لوطا سىء بهم ، (وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعاً) وذلك من تخوّف قومه عليهم ، أن يفضحوه فى ضيفه ، فقال (هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ) .

وأما قوله (وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ) فإنه يقول : وقال لوط : هذا اليوم يوم شديد شرّه ، عظيم بَلاؤه ، يقال منه : عَصَبَ يومُنا هذا يَعْصِب عَصْبا ، ومنه قول عدىّ بن زيد :

وكنتُ لِزَازَ خَصْمِكَ لم أُعَرِّدْ ... وَقَدْ سَلَكُوكَ فِى يَوْمٍ عَصِيبِ[1]

وقول الراجز :

يَوْمٌ عَصِيبٌ يَعْصِبُ الأبْطالا ... عَصْبَ القَوِىِّ السَّلَمَ الطِّوَالا[2]

وقول الآخر :

وإنَّكَ إلاَّ تُرْضِ بَكْرَ بنِ وَائلٍ ... يَكُنْ لَكَ يَوْمٌ بالعِرَاقِ عَصِيبُ[3]

وقال كعب بن جُعيل :

ويُلَبُّونَ بالحَضِيضِ فِئامٌ ... عارِفاتٌ مِنْهُ بِيَوْمٍ عَصِيبِ[4]

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : عصيب : شديد .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال (هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ) يقول شديد .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال (هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ) أى يوم بلاء وشدة .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (يَوْمٌ عَصِيبٌ) شديد .

---

(١) فى اللسان : يقال : فلان لزاز : خصم ، وجعلت فلانا لزازا لفلان : أى لا يدعه يخالف ولا يعاند . وأصل اللزاز : ما يترس به الباب . وعرد الرجل عن قرنه : إذا أحجم ونكل . والتعريد : الفرار ، وقيل سرعة الذهاب فى الهزيمة . ويقال : عرد فلان بحاجتنا : إذ لم يقضها . وسلكوك : أدخلوك . يقال : سلكت الشىء فى الشى فانسلك ، أى أدخلته فيه فدخل . وقال عدى ابن زيد : وكنت لزاز . . . الخ . والعصيب : الشديد ، وهو من عصب كضرب . قال الراغب : يصح أن يكون بمعنى فاعل ، وأن يكون بمعنى مفعول ، أى يوم مجموع الأطراف ، كقولهم يوم ككفة حابل ، وحلقة خاتم .

(٢) العصيب : الذى اشتد فيه جهد الناس . يقال عصبه الجهد يعصبه : إذا اشتد عليه ، والقوى : الرجل الشديد . والسلم : جمع سلمة : وهى شجرة من العضاه ذات شوك وورقها القرظ الذى يدبغ به الأديم ، ويعسر خرط ورقها لكثرة شوكها ، فتعصب أغصانها بأن تجمع ، ويشد بعضها إلى بعض بحبل ، شدا شديدا ، ثم يهصرها الخابط إليه ، ويخبطها بعصاه ، فيتناثر ورقها للماشية ، ولمن أراد جمعه . شبه الشاعر الجهد الذى يصيب الأبطال يوم النزال ، بعصب الرجل القوى السلم الطوال .

(٣) هذا الشاهد كالشاهدين قبله فى أن معنى اليوم العصيب الشديد شره . يقول : إذا لم تفعل ما ترضاه قبيلة بكربن وائل ، فلا بد أن تلقى منهم يوما شديد الشر ، وكانت بكربن وائل تسكن العراق أو قريبا منه .

(٤) الفئام : الجماعات . قال الجوهرى : لا واحد له من لفظه ، يقال : عند فلان فئام من الناس ، وهى الجماعة الكثيرة . والحضيض : القرار من الأرض ، عند منقطع الجبل . والشاهد فى قوله : عصيب : أى شديد شره .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَقَالَ هَـٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ) : أى يوم شديد .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ قَالَ يَـٰقَوْمِ هَـٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ؟ (٧٨)

يقول تعالى ذكره : وجاء لوطا قومه يستحثون إليه ، يَرْعَدون مع سرعة المشى ، مما بهم من طلب الفاحشة ، يقال : أُهْرِع الرجل من برد أو غضب أو حُمّى : إذا أُرعد وهو مُهْرِع ، إذا كان مُعْجَلا حريصا ، كما قال الراجز :

بِمُعْجَلاتٍ نَحْوَهُ مَهارِعِ [1]

ومنه قول مهلهل :

فجاءُوا يُهْرَعُونَ وَهُمْ أُسارَى نَقُودُهُمْ على رَغْمِ الأُنُوفِ [2]

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ) قال : يُهَرْوِلون ، وهو الإسراع فى المشى .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، نحوه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو خالد والمحاربىّ ، عن جويبر ، عن الضحاك (وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ) قال : يسعون إليه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : فأتوه يُهرعون إليه ، يقول : سراعا إليه .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ) قال : يُسرعون إليه .

حدثنى موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (جَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ) يقول : يسرعون المشى إليه .

---

(١) فى اللسان : يقال : أهرع الرجل : خف وأرعد من سرعة أو خوف أو حرص أو غضب أو حمى . وفى التنزيل : « وجاءه قومه يهرعون إليه » أى يستحثون إليه ، كأنه يحث بعضهم بعضا . قال الكسائى : الإهراع : إسراع فى رعدة ، يقال : هرعوا وأهرعوا . وقال أبو عبيد : أهرع الرجل إهراعا : إذا أتاك وهو يرعد من البرد . وقد يكون مهرعا من الحمى والغضب وهو حين يرعد . والمهرع أيضا كالحريص . ومهارع : جمع مهرع .

(٢) البيت لمهلهل بن ربيعة ، أنشده صاحب اللسان (هرع) قال : قال الليث : يهرعون وهم أسارى : يساقون ويعجلون . يقال هرعوا وأهرعوا .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال: ثنا يحيى بن زكريا ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (وَجاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إلَيْهِ) قال : يهرولون فى المشى .

قال سفيان : (يُهْرَعُونَ إلَيْهِ) : يسرعون إليه .

حدثنا سوّار بن عبد الله، قال: قال سفيان بن عيينة فى قوله (يُهْرَعُونَ إلَيْهِ) قال: كأنهم يُدْفَعون.

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، قال : ثنا حفص بن حميد ، عن شمر بن عطية ، قال : أقبلوا يُسْرعون مشيا بين الهَرْولة والجَمْز .

حدثنى علىّ بن داود ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس، قوله (وَجاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إلَيْهِ) يقول : مسرعين .

وقوله (وَمِنْ قَبْلُ كانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئاتِ) يقول : من قبل مجيئهم إلى لوط ، كانوا يأتون الرجال فى أدبارهم .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ،قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (وَمِنْ قَبْلُ كانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئاتِ) قال : يأتون الرجال .

وقوله (قالَ ياقَوْمِ هَؤُلاءِ بَناتى) يقول تعالى ذكره : قال لوط لقومه لما جاوءا يراودونه عن ضيفه : هؤلاء ياقوم بناتى ، يعنى نساء أمته ، فانكحوهن (فَهُنَّ أطْهَرُ لَكُمْ) .

كما حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (هَؤُلاءِ بَناتى هُنَّ أطْهَرُ لَكُمْ) قال : أمرهم لوط بتزويج النساء ، وقال : هن أطهر لكم .

حدثنا محمد ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، قال : وبلغنى هذا أيضا ، عن مجاهد ، حدثنا ابن وكيع ، عن سفيان، عن ليث، عن مجاهد (هَؤُلاءِ بَناتى هُنَّ أطْهَرُ لَكُمْ) قال: لم يكنّ بناتِه ، ولكن كن من أمته ، وكلّ نبىّ أبو أمته .

حدثنا ابن وكيع ، قال: ثنا ابن عُلَية ، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد ، فى قوله (هَؤُلاءِ بَناتى هُنَّ أطْهَرُ لَكُمْ) قال: أمرهم أن يتزوّجوا النساء ، لم يعرض عليهم سِفاحا [1] .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا أبو بشر ، سمعت ابن أبى نجيح يقول فى قوله (هُنَّ أطْهَرُ لَكُمْ) قال : لم يعرض عليهم نكاحا ولا سفاحا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، فى قوله (هَؤُلاءِ بَناتى هُنَّ أطْهَرُ لَكُمْ) قال : أمرهم أن يتزوّجوا النساء ، وأراد نبىّ الله صلى الله عليه وسلم أن يقى أضيافه ببناته .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرحمن بن سعد ، قال : أخبرنا أبو جعفر عن الربيع ، فى قوله(هَؤُلاءِ بَناتى هُنَّ أطْهَرُ لَكُمْ) يعنى التزويج .

حدثنى أبو جعفر ، عن الربيع ، فى قوله (هَؤُلاءِ بَناتى هُنَّ أطْهَرُ لَكُمْ) يعنى التزويج .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو النعمان عارم ، قال : ثنا حماد بن زيد ، قال : ثنا محمد بن شبيب الزّهرانىّ

(١) المراد ببناته : نساء أمته ، لأنه كالأب لهن ، ولم يرد بناته لصلبه فكأنه قال : أمامكم بنات أمتى فتزوجوهن .

عن أبى بشر ، عن سعيد بن جبير ، فى قول لوط (هَؤُلاءِ بَناتى هُنَّ أطْهَرُ لَكُمْ) يعنى : نساؤهم هنّ بناته هو نبيهم ، وقال فى بعض القراءة (النَّبِىُّ أوْلى بالمُؤْمِنِينَ مِنْ أنْفُسِهِمْ وأزْوَاجُهُ أُمَّهاتُهُمْ) وهو أب لهم .

حدثنى موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى (وَجاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعونَ إلَيْهِ) قالوا : أو لم ننهك أن تُضَيِّف العالمين ، قال (هَؤُلاءِ بَناتى هُنَّ أطْهَرُ لَكُمْ) إنْ كُنْتُمْ فاعِلِينَ (أليْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ)

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : لما جاءت الرسل لوطا أقبل قومه إليهم حين أخبروا بهم يهرعون إليه ، فيزعمون والله أعلم أن امرأة لوط هى التى أخبرتهم بمكانهم ، وقالت : إن عند لوط لضيفانا ما رأيت أحسن ولا أجمل قَطُّ منهم ، وكانوا يأتون الرجال شهوة من دون النساء ، فاحشة لم يسبقهم بها أحد من العالمين ، فلما جاءوه قالوا (أوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ العالَمِينَ) أى ألم نقل لك : لايقربنك أحد ، فإنا لن نجد عندك أحدا إلا فعلنا به الفاحشة (قالَ ياقَوْمِ هَؤُلاءِ بَناتى هُنَّ أطْهَرُ لَكُمْ) فأنا أفدى ضيفى منكم بهنّ ، ولم يدعهم إلا إلى الحلال من النكاح .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله (هَؤُلاءِ بَناتى) قال : النساء .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (هُنَّ أطْهَرُ لَكُمْ) ؛ فقرأته عامة القرّاء برفع أطهر ، على أن جعلوا هنّ اسما ، وأطهر خبره ، كأنه قيل : بناتى أطهر لكم مما تريدون من الفاحشة من الرجال . وذُكر عن عيسى بن عمر البصْرى أنه كان يقرأ ذلك : هنّ أطهَرَ لكم بنصب أطهر . وكان بعض نحويِّ البصرة يقول : هذا لايكون ، إنما ينصب خبر الفعل الذى لايستغنى عن الخبر ، إذا كان بين الاسم والخبر هذه الأسماء المضمرة . وكان بعض نحويِّ الكوفة يقول : من نصبه جعله نكرة خارجة من المعرفة ، ويكون قوله : هنّ ، عمادا للفعل ، فلا يُعْمله . وقال آخر منهم : مسموع من العرب : هذا زيد إياه بعينه ، قال : فقد جعله خبرا لهذا مثل قولك : كان عبد الله إياه بعينه ، قال : وإنما لم يجز أن يقع الفعل ههنا ، لأن التقريب ردّ كلام ، فلم يجتمعا ، لأنه يتناقض ، لأن ذلك إخبار عن معهود ، وهذا إخبار عن ابتداء ماهو فيه ، ها أنا ذا حاضر ، وزيد هو العالم ، فتناقض أن يدخل المعهود على الحاضر ، فلذلك لم يجز .

والقراءة التى لاأستجيز خلافها فى ذلك : الرفع (هُنَّ أطْهَرُ لَكُمْ) ، لإجماع الحجة من قرّاء الأمصار عليه ، مع صحته فى العربية ، وبُعْد النصب فيه من الصحة .

وقوله (فاتَّقُوا اللهَ وَلا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِى) يقول : فاخشَوُا الله أيها الناس ، واحذروا عقابه فى إتيانكم الفاحشة التى تأتونها وتطلبونها . (وَلا تُخْزُونِ فى ضَيْفِى) يقول : ولا تُذِلُّونى بأن تركبوا منى فى ضيفى مايكرهون أن تركبوه منهم ، والضيف فى لفظ واحد فى هذا الموضع بمعنى جمع ، والعرب تسمى الواحد والجمع ضيفا ، بلفظ واحد ، كما قالوا : رجل عَدْل ، وقوم عدل .

وقوله (أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ؟) يقول: أليس منكم رجل ذو رشد يَنْهَى من أراد ركوب الفاحشة من ضيفى ، فيحول بينهم وبين ذلك .

كما حدثنا ابن حميد ، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق (فاتَّقُوا اللهَ وَلا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي، أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ) أى رجل يعرف الحقّ ، وينهى عن المنكر .

القول فى تأويل قوله تعالى

قَالُوا : لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِى بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ ، وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ (٧٩)

⁂ يقول تعالى ذكره: قال قوم لوط للوط (لَقَدْ عَلِمْتَ) يالوط (مالَنا فى بَناتِكَ مِنْ حَقّ)، لأنهنّ لَسْن لنا أزواجا .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال قالوا (لَقَدْ عَلِمْتَ ما لَنا فى بَناتِكَ مِنْ حَقّ) : أى من أزواج ، (وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ ما نُرِيدُ) .

وقوله (وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ ما نُرِيدُ) يقول : قالوا : وإنك يا لوط لتعلم أن حاجتنا فى غير بناتك ، وأن الذى نريد هو ما تنهانا عنه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ ما نُرِيدُ) إنا نريد الرجال .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ ما نُرِيدُ) : أى إن بُغْيَتنا لغير ذلك ، فلما لم يتناهَوا ، ولم يردّهم قوله ، ولم يقبلوا منه شيئا مما عرض عليهم من أمور بناته (قالَ لَوْ أنَّ لى بِكُمْ قُوَّةً أوْ آوِى إلى رُكْنٍ شَدِيدٍ) .

القول فى تأويل قوله تعالى

قَالَ لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِى إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ (٨٠)

⁂ يقول تعالى ذكره : قال لوط لقومه حين أبَوا إلا المضىّ لما قد جاءوا له من طلب الفاحشة ، وأيس من أن يستجيبوا له إلى شىء مما عرض عليهم : (لَوْ أنَّ لى بِكُمْ قُوَّةً) بأنصار تنصرنى عليكم، وأعوان تعيننى (أوْ آوِى إلى رُكْنٍ شَدِيدٍ) يقول : أو أنضمّ إلى عشيرة مانعة تمنعنى منكم ، لحلت بينكم وبين ما جئتم تريدونه منى فى أضيافى ، وحذف جواب لو لدلالة الكلام عليه ، وأن معناه مفهوم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قال لوط (لَوْ أنَّ لى بِكُمْ قُوَّةً أوْ آوِى إلى رُكْنٍ شَدِيدٍ) يقول : إلى جند شديد لقاتلتكم .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة (أوْ آوِى إلى رُكْنٍ شَدِيدٍ) قال : العشيرة .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن قتادة (إلى رُكْنٍ شَدِيدٍ) قال : العشيرة .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا مبارك بن فضالة ، عن الحسن (أوْ آوِى إلى رُكْنٍ شَدِيدٍ) قال : إلى ركن من الناس .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال قوله (أوْ آوِى إلى رُكْنٍ شَدِيدٍ) قال : بلغنا أنه لم يبعث نبىّ بعد لوط إلا فى ثروة من قومه ، حتى النبىّ صلى الله عليه وسلم [1] .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال (لَوْ أنَّ لى بِكُمْ قُوَّةً أوْ آوِى إلى رُكْنٍ شَدِيدٍ) أى عشيرة تمنعنى ، أو شيعة تنصرنى لحلت بينكم وبين هذا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (لَوْ أنَّ لى بِكُمْ قُوَّةً أوْ آوِى إلى رُكْنٍ شَدِيدٍ) قال : يعنى به العشيرة .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا ابن أبى عدىّ ، عن عوف ، عن الحسن أن هذه الآية لما نزلت (لَوْ أنَّ لى بِكُمْ قُوَّةً أوْ آوِى إلى رُكْنٍ شَدِيدٍ) قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رَحِمَ اللهُ لُوطا ، لَقَدْ كانَ يَأْوِى إلى رُكْنٍ شَدِيدٍ » [2] .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا جابر بن نوح ، عن مبارك ، عن الحسن ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رَحِمَ اللهُ أخِى لُوطا ، لَقَدْ كانَ يَأْوِى إلى رُكْنٍ شَدِيدٍ ، فلأَىِّ شَىْءٍ اسْتَكانَ » .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عبدة وعبد الرحيم ، عن محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو سلمة ، عن أبى هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رَحْمَةُ اللهِ على لُوطٍ إنْ كانَ لَيَأْوِى إلى رُكْنٍ شَدِيدٍ ، إذْ قالَ لقَوْمِهِ لَوْ أنَّ لى بِكُمْ قُوَّةً أوْ آوِى إلى رُكْنٍ شَدِيدٍ ، ما بَعَثَ اللهُ بَعْدَهُ مِنْ نَبِىٍّ إلاَّ فِى ثَرْوَةٍ مِنْ قَوْمِهِ » قال محمد : والثروة : الكثرة والمنعة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا محمد بن كثير ، قال : ثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو سلمة ، عن أبى هريرة ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم ، بمثله .

حدثنى يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنى سليمان بن بلال ، عن محمد بن عمرو ، عن أبى سلمة ، عن أبى هريرة ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم ، بمثله .

(١) يؤيد ذلك ما فعله عماه عبد المطلب وحمزة ، من المحاماة عنه ، صلى الله عليه وسلم .

(٢) يريد صلى الله عليه وسلم أن الله كان ناصره ومؤيده ، فهو ركنه الشديد ، وسنده القوى .

حدثنى زكريا بن يحى بن أبان المصرىّ ، قال : ثنا سعيد بن تليد ، قال : ثنا عبد الرحمن بن القاسم ، قال : ثنى بكر بن مضر ، عن عمرو بن الحارث ، عن يونس بن يزيد ، عن ابن شهاب الزهرىّ ، قال : أخبرنى أبو سلمة بن عبد الرحمن ، وسعيد بن المسيب ، عن أبى هريرة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « رَحِمَ اللهُ لُوطا ، لَقَدْ كانَ يأْوِى إلى رُكْنٍ شَدِيدٍ » .

حدثنى يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنى يونس ، عن ابن شهاب ، عن أبى سَلَمة بن عبد الرحمن وسعيد بن المسيب ، عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال ، فذكر مثله .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا الحجاج بن المنهال ، قال : ثنا حماد بن سلمة ، عن محمد ، بن عمرو عن ، أبى سلمة ، عن أبى هريرة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى قوله (أوْ آوِى إلى رُكْنٍ شَدِيدٍ) « قَدْ كانَ يأْوِى إلى رُكْنٍ شَدِيدٍ ، » يعنى الله تبارك وتعالى ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فَمَا بَعَثَ اللهُ بَعْدَهُ مِنْ نَبِىٍّ إلاَّ فِى ثَرْوَةٍ مِنْ قَوْمِهِ » .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا محمد بن حرب ، قال : ثنا ابن لَهيعة ، عن أبى يونس ، سمع أباهريرة يحدّث عن النبىّ صلى الله عليه وسلم قال : « رَحِمَ اللهُ لُوطا ، فإنَّهُ كانَ يأْوِى إلى رُكْنٍ شَدِيدٍ » .

قال : ثنا ابن أبى مريم سعيد بن عبد الحكم ، قال : ثنا عبد الرحمن بن أبى الزناد ، عن أبيه ، عن عبد الرحمن الأعرج ، عن أبى هريرة رضى الله عنه ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم ، بنحوه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، ذُكر لنا أن نبىّ الله صلى الله عليه وسلم كان إذا قرأ هذه الآية ، أو أتى على هذه الآية قال : « رَحِمَ اللهُ لُوطا إنْ كانَ لَيَأْوِى إلى رُكْنٍ شَدِيدٍ » وذُكر لنا أن الله تعالى لم يبعث نبيا بعد لوط عليه السلام إلا فى ثروة من قومه ، حتى بعث الله نبيكم فى ثروة من قومه . يقال : من أَوَى إلى ركن شديد : أويت إليك ، فأنا آوِى إليك أويا بمعنى صرت إليك وانضممت ، كما قال الراجز :

يَأْوِى إلى رُكْنٍ منَ الأرْكانِ فِى عَـدَدٍ طَيْسٍ وَمَجْدٍ بانِ [1]

وقيل : إن لوطا لما قال هذه المقالة وجدت الرسل عليه لذلك .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا إسماعيل بن عبد الكريم ، قال : ثنى عبد الصمد ، أنه سمع وهب بن منبه يقول : قال لوط (لَوْ أنَّ لى بكُمْ قُوَّةً أوْ آوِى إلى رُكْنٍ شَدِيدٍ) فَوَجَدَ عليه الرسل ، وقالوا : إن ركنك لشديد .

القول فى تأويل قوله تعالى

قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ ، فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ ، وَلَا يَلْتَفِتْ

(١) البيت فى مجاز القرآن لأبى عبيدة (١ : ٢٩٤) وقال : الطيس : الكثير ، يقال : أتانا بلبن طيس ، وشراب طيس : أى كثير . وفى اللسان : (طيس) الطيس : الكثير من الطعام والشراب والماء ، والعدد الكثير ، وقيل : هو الكثير من كل شىء . والمجد البانى : المجد الضخم العالى .

مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ ، إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ ، إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ ، أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ؟ (٨١)

يقول تعالى ذكره : قالت الملائكة للوط لما قال لوط لقومه (لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِى إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ) ورأوا ما لَقِىَ من الكرب بسببهم منهم (يا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ) أُرْسِلنا لإهلاكهم ، وإنهم لن يصلوا إليك ، وإلى ضيفك بمكروه ، فهوّن عليك الأمر (فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ) يقول : فاخرج من بين أظهرهم أنت وأهلك ببقية من الليل ، يقال منه : أسرى وسَرَى ، وذلك إذا سار بليل . (وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ) .

واختلفت القراء فى قراءة قوله (فَأَسْرِ) فقرأ ذلك عامة قرّاء المكيين والمدنيين (فَاسْرِ) وصل ، بغير همز الألف من سَرى . وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة والبصرة (فَأَسْرِ) بهمز الألف ، من أسرى ، والقول عندى فى ذلك أنهما قراءتان قد قرأ بكلّ واحدة منهما أهل قُدْوة فى القراءة ، وهما لغتان مشهورتان فى العرب ، معناهما واحد ، فبأيّهما قرأ القارئ فمصيب الصواب فى ذلك .

وأما قوله (إِلَّا امْرَأَتَكَ) فإن عامة القرّاء من الحجاز والكوفة ، وبعض أهل البصرة ، قرءوا بالنصب (إِلَّا امْرَأَتَكَ) بتأويل : فأسر بأهلك إلا امرأتك ، وعلى أن لوطا أُمِر أن يُسْرِىَ بأهله سوى زوجته ، فإنه نُهِى أن يُسْرى بها ، وأمر بتخليفها مع قومها . وقرأ ذلك بعض البصريين (إِلَّا امْرَأَتُكَ) رفعا ، بمعنى : ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتُك ، فإن لوطا قد أخرجها معه ، وإنه نُهِى لوط ومن معه ممن أسرى معه ، أن يلتفتَ سوى زوجته ، وإنها التفتت ، فهلكت لذلك .

وقوله (إِنَّهُ مُصِيبُهَا ما أَصَابَهُمْ) يقول : إنه مصيب امرأتك ما أصاب قومك من العذاب . (إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ) يقول : إن موعد قومك الهلاك الصبح ، فاستبطأ ذلك منهم لوط ، وقال لهم : بل عجلوا لهم الهلاك ، فقالوا (أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ) : أى عند الصبح نزول العذاب بهم .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ) : أى إنما ينزل بهم من صبح ليلتك هذه ، فامض لما تؤمر .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد ، قال : فمضت الرسل من عند إبراهيم إلى لوط ، فلما أتوا لوطا ، وكان من أمرهم ماذكر الله ، قال جبرئيل للوط : (يا لُوطُ إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هَذِهِ القَرْيَةِ ، إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ) فقال لهم لوط : أهلكوهم الساعة ، فقال له جبرئيل عليه السلام : (إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ ، أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ)؟ فأنزلت على لوط (أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ؟) قال : فأمره أن يُسْرى بأهله بِقِطْعٍ من الليل ، ولا يلتفت منهم أحد ، إلا امرأته ، قال : فسار ، فلما كانت الساعة التى

أهلكوا فيها أدخل جبرئيل جناحه فرفعها حتى سمع أهل السماء صياح الدِّيَكة ونُباح الكلاب ، فجعل عاليها سافلها ، وأمطر عليها حجارة من سِجِّيل ، قال : وسمعت امرأة لوط الهَدَّة [١] ، فقالت : واقوماه ، فأدركها حجر فقتلها .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن حفص بن حميد ، عن شمر بن عطية ، قال : كان لوط أخذ على امرأته أن لاتذيع شيئا من سرّ أضيافه ، قال : فلما دخل عليه جبرئيل ومن معه ، رأتهم فى صورة لم تر مثلها قطّ ، فانطلقت تسعى إلى قومها ، فأتت النادى ، فقالت بيدها [٢] هكذا ، وأقبلوا يُهْرَعون مشيا بين الهرولة والجمز [٣] ؛ فلما انتهوا إلى لوط قال لهم لوط : ما قال الله فى كتابه ، قال جبرئيل (يا لُوطُ إنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إلَيْكَ) قال : فقال بيده ، فطمس أعينهم ، فجعلوا يطلبونهم ، يلمُسون [٤] الحيطان وهم لايبصرون .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن حذيفة ، قال : لما بصرت بهم : يعنى بالرسل : عجوز السُّوء امرأته انطلقت فأنذرتهم فقالت : إنه تَضَيَّفَ لوطا قوم مارأيت قوما أحسن وجوها [٥] ، قال : ولاأعلمه إلاّ قالت : ولا أشدّ بياضا ، وأطيب ريحا ، قال : فأتوه يهرعون إليه ، كما قال الله ، فأصفق [٦] لوط الباب ، قال : فجعلوا يعالجونه ، قال : فاستأذن جبرئيل ربه فى عقوبتهم ، فأذن له ، فصفقهم بجناحه ، فتركهم عميانا يتردّدون فى أخبث ليلة ما أتت عليهم قطّ ، فأخبروه (إنَّا رُسُلُ رَبِّكَ فَأسرِ بِأهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ) قال : ولقد ذُكِر لنا أنه كانت مع لوط حين خرج من القرية امرأته ، ثم سمعت الصوت ، فالتفتت ، وأرسل الله عليها حجرا فأهلكها .

وقوله (إنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أليْسَ الصُّبْحُ بقَرِيبٍ) فأراد نبىّ الله ماهو أعجل من ذلك ، فقالوا أليس الصبح بقريب ؟

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا الحكم بن بشير ، قال : ثنا عمرو بن قيس الملائىّ [٧] ، عن سعيد بن بشير ، عن قتادة ، قال : انطلقت امرأته ، يعنى امرأة لوط حين رأتهم ، يعنى حين رأت الرسل إلى قومها ، فقالت : إنه قد ضافه الليلة قوم ما رأيت مثلهم قط أحسن وجوها ، ولا أطيب ريحا ، فجاءوا يُهْرَعون إليه ، فبادرهم لوط إلى أن يزجهم على الباب ، فقال (هَؤُلاءِ بَناتى إنْ كُنْتُمْ فاعِلِينَ) ، فقالوا (أوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ العالَمِينَ) فدخلوا على الملائكة ، فتناولتهم الملائكة ، وطمست أعينهم ، فقالوا : يا لوط جئتنا بقوم سَحَرة سحرونا كما أنت حتى تصبح ، قال : واحتمل جبرئيل قُرَيات لوط الأربع ، فى كل قرية مئة ألف ، فرفعهم على جناحه بين السماء والأرض ، حتى سمع أهل السماء الدنيا أصوات دِيَكتهم ، ثم قلبهم ، فجعل الله عاليها سافلها .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور عن معمر ، عن قتادة ، قال : قال حذيفة : لما دخلوا عليه ، ذهبت عجوزه ، عجوز السُّوء ، فأتت قومها ، فقالت : لقد تضيَّف لوطا الليلة قوم ما رأيت قوما قطّ أحسن وجوها منهم ، قال : فجاءوا يسرعون ، فعاجلهم لوط ، فقام ملك فلز الباب ، يقول : فسدّه ، واستأذن جبرئيل فى عقوبتهم ، فأذن له ، فضربهم جبرئيل بجناحه ، فتركهم عميانا فباتوا ،

(١) الهدة : صوت انقضاض أبنيتهم . (٢) قالت بيدها : حركتها وأشارت بها .
(٣) الهرولة : مشى سريع يقرب من الجرى ، والجمز : عدو ليس بالشديد جدا . (٤) لمس : من بابى قتل وضرب .
(٥) أى أحسن وجوها منهم . (٦) أصفق الباب : أغلقه أو رده . (٧) الملائى : كذا كتبه الخزرجى فى الخلاصة .

بشرّ ليلة ، ثم (قالُوا إنَّا رُسُلُ رَبِّكَ ، فَأَسْرِ بأهْلِكَ بقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ ، وَلا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أحَدٌ إلاَّ امْرأتَكَ) قال : فبلغنا أنها سمعت صوتا ، فالتفتت فأصابها حجر ، وهى شاذّة من القوم ، معلوم مكانها .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، عن حذيفة بنحوه ، إلا أنه قال : فعاجلهم [1] لوط .

حدثنى موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو بن حماد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قال : لما قال لوط (لَوْ أنَّ لى بِكُمْ قُوَّةً أوْ آوِى إلى رُكْنٍ شَدِيدٍ) بسط حينئذ جبريل عليه السلام جناحيه ، ففقأ أعينهم ، وخرجوا يدوس بعضهم فى أدبار بعض عميانا ، يقولون النجاء النجاء ، فإن فى بيت لوط أسحر قوم فى الأرض ، فذلك قوله (وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ ، فَطَمَسْنا أعْيُنَهُمْ) وقالوا للوط : (إنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إلَيْكَ ، فَأَسْرِ بأهْلِكَ بقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ ، وَلا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أحَدٌ إلاَّ امْرأتَكَ ، إنَّهُ مُصِيبُها) واتبع أدبار أهلك ، يقول : سر بهم ، (وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ) فأخرجهم الله إلى الشأم ، وقال لوط : أهلكوهم الساعة ، فقالوا : إنا لم نؤمر إلا بالصبح ، أليس الصبح بقريب ، فلما أن كان السَّحَر خرج لوط وأهله معه امرأته ، فذلك قوله (إلاَّ آلَ لُوطٍ نَجَّيْناهُمْ بِسَحَرٍ) .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا إسماعيل بن عبد الكريم ، ، عن عبد الصمد أنه سمع وهب ابن منبه يقول : كان أهل سَدُوم الذين فيهم لوط قوما قد استغنوا عن النساء بالرجال ؛ فلما رأى الله ذلك ، بعث الملائكة ليعذّبوهم ، فأتَوا إبراهيم ، وكان من أمره وأمرهم ما ذكر الله فى كتابه ؛ فلما بشّروا سارَة بالولد ، قاموا وقام معهم إبراهيم يمشى ، قال : أخبرونى لم بُعِثتم وما خَطْبكم ؟ قالوا : إنا أرسلنا إلى أهل سدوم لندمّرها ، وإنهم قوم سَوء ، قد استغنوا بالرجال عن النساء ، قال إبراهيم : إن كان فيهم خمسون رجلا صالحا ، قالوا : إذن لانعذبهم ، فجعل ينقص حتى قال أهل البيت ، قالوا : فإن كان فيها بيت صالح ؟ قال : فلوط وأهل بيته ، قالوا : إن امرأته هواها معهم ، فلما يئس إبراهيم انصرف ، ومضوا إلى أهل سَدُوم ، فدخلوا على لوط ؛ فلما رأتهم امرأته أعجبها حسنهم وجمالهم ، فأرسلت إلى أهل القرية : إنه قد نزل بنا قوم لم يُرَ قوم قط أحسن منهم ولا أجمل ، فتسامعوا بذلك ، فغَشُوا دار لوط من كلّ ناحية ، وتسوّروا عليهم الجدران ، فلقيهم لوط ، فقال : يا قوم لاتفضحون فى ضيفى ، وأنا أزوّجكم بناتى ، فهن أطهر لكم ، فقالوا : لو كنا نريد بناتك لقد عرفنا مكانهنّ ، فقال (لَوْ أنَّ لى بِكُمْ قُوَّةً أوْ آوِى إلى رُكْنٍ شَدِيدٍ) فوجَد عليه الرسل ، وقالوا : إن ركنك لشديد (وَإنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ) فمسح أحدهم أعينهم بجناحيه ، فطمس أبصارهم ، فقالوا : سحرنا ، انصرفوا بنا حتى نرجع إليه ، فكان من أمرهم ما قد قصّ الله تعالى فى كتابه ، فأدخل ميكائيل وهو صاحب العذاب جناحه ، حتى بلغ أسفل الأرض ، فقلبها ، ونزلت حجارة من السماء ، فتتبعت من لم يكن منهم فى القرية حيث كانوا ، فأهلكهم الله ، ونَجَّى لوطا وأهله ، إلا امرأته .

(١) عاجلهم : أى تعجل بطلب العذاب لقومه لإهلاكهم ، كما هو واضح من حديث السدى بعده .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، وعن أبى بكر بن عبد الله وأبوسفيان ، عن معمر ، عن قتادة ، عن حذيفة دخل حديث بعضهم فى بعض ، قال : كان إبراهيم عليه السلام يأتيهم فيقول : ويْحَكم أنهاكم عن الله أن تعَرَّضوا لعقوبته ، حتى إذا بلغ الكتاب أجله لمحلّ عذابهم ، وسطوات الربّ بهم ، قال : فانتهت الملائكة إلى لوط وهو يعمل فى أرض له ، فدعاهم إلى الضيافة ، فقالوا إنا مضيفوك الليلة ، وكان الله تعالى عهد إلى جبريل عليه السلام أن لاتعذبْهم حتى يشهد عليهم لوط ثلاث شهادات ؛ فلما توجه بهم لوط إلى الضيافة ، ذكر ما يعمل قومه من الشرّ والدواهى العظام ، فمشى معهم ساعة ، ثم التفت إليهم ، فقال : أما تعلمون ما يعمل أهل هذه القرية ؟ ما أعلم على وجه الأرض شرّا منهم ، أين أذهب بكم إلى قومى ، وهم شرّ خلق الله ، فالتفت جبرئيل إلى الملائكة ، فقال : احفظوا ، هذه واحدة ، ثم مشى ساعة ؛ فلما توسط القرية وأشفق عليهم ، واستحيا منهم ، قال : أما تعلمون ما يعمل أهل هذه القرية ؟ وما أعلم على وجه الأرض شرّا منهم ، إن قومى شرّ خلق الله ، فالتفت جبرئيل إلى الملائكة ، فقال : احفظوا ، هاتان ثنتان ، فلما انتهى إلى باب الدار بكى حياء منهم ، وشفقة عليهم ، وقال : إن قومى شرّ خلق الله ، أما تعلمون ما يعمل أهل هذه القرية ، ما أعلم على وجه الأرض أهل قرية شرّا منهم ، فقال جبريل للملائكة : احفظوا ، هذه ثلاث قد حَقّ العذاب ؛ فلما دخلوا ذهبت عجوزه ، عجوز السوء ، فصعدت ، فلوّحت بثوبها ، فأتاها الفُسَّاق يُهْرَعون سراعا ، قالوا : ماعندك؟ قالت : ضيَّف لوط الليلة قوما مارأيت أحسن وجوها منهم ، ولا أطيب ريحا منهم ، فهرعوا مسارعين إلى الباب ، فعاجلهم لوط على الباب ، فدافعوه طويلا ، هو داخل ، وهم خارج ، يناشدهم الله ويقول (هَؤُلاءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ) فقام الملَك فلزّ الباب ، يقول : فسدّه ، واستأذن جبرئيل فى عقوبتهم ، فأذن الله له ، فقام فى الصورة التى يكون فيها فى السماء ، فنشر جناحه ، ولجبرئيل جناحان ، وعليه وِشاح من درّ منظوم ، وهو برّاق الثنايا ، أجلى الجبين ، ورأسه حُبُك حُبُك ، مثل المرجان ، وهو اللؤلؤ ، كأنه الثلج ، وقدماه إلى الخضرة ، فقال : (يا لُوطُ إنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إلَيْكَ) امض يا لوط من الباب ، ودعنى وإياهم ، فتنحى لوط عن الباب ، فخرج عليهم ، فنشر جناحه ، فضرب به وجوههم ضربة شدخ أعينهم ، فصاروا عميا ، لايعرفون الطريق ، ولا يهتدون إلى بيوتهم ، ثم أمر لوطا ، فاحتمل بأهله من ليلته ، قال (فَأَسْرِ بأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : لما قال لوط لقومه (لَوْ أنَّ لى بِكُمْ قُوَّةً أوْ آوِى إلى رُكْنٍ شَدِيدٍ) والرسل تسمع ما يُقول وما يقال له ، ويرون ما هو فيه من كرب ذلك ؛ فلما رأوا ما بلغه (قالُوا يا لُوطُ إنَّا رُسُلُ رَبِّكَ ، لَنْ يَصِلُوا إلَيْكَ) أى بشىء تكرهه (فَأَسْرِ بأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ ، وَلا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أحَدٌ إلاَّ امْرأتَكَ ، إنَّهُ مُصِيبُها ما أصَابَهُمْ ، إنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ ، أَلَيْسَ الصُّبْحُ بقَرِيبٍ)؟ أى إنما ينزل بهم العذاب من صبح ليلتك هذه ، فامض لما تؤمر .

قال : ثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن محمد بن كعب القُرَظىّ أنه حدّث ، أن الرسل عند ذلك

سفَعُوا فى وجوه الذين جاءوا لوطا من قومه ، يراودونه عن ضيفه، فرجعوا عميانا، قال : يقول الله : (وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ ، فَطَمَسْنا أعْيُنَهُمْ) .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (بقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ) قال : بطائفة من الليل .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثو ر ، عن معمر ، عن قتادة (بقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ) بطائفة من الليل .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس ، قوله (بقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ) قال : جوف الليل .

وقوله (واتَّبِعْ أدْبارَهُمْ) يقول : واتبع أدبار أهلك ، ولا يلتفت منكم أحد .

وكان مجاهد يقول فى ذلك ما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (وَلا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أحَدٌ) قال : لاينظر وراءه أحد (إلاَّ امْرأتَكَ) . ورُوى عن عبد الله ابن مسعود أنه كان يقرأ (فَأسْرِ بأهْلِكَ بقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ إلاَّ امْرأتَكَ) .

حدثنى بذلك أحمد بن يوسف ، قال : ثنا القاسم بن سلام ، قال : ثنا حجاج ، عن هارون ، قال فى حرف ابن مسعود (فَأسْرِ بأهْلِكَ بقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ إلاَّ امْرأتَكَ) . وهذا يدلّ على صحة القراءة بالنصب .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَلَمَّا جاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّنْ سِجِّيلٍ مَّنْضُودٍ (٨٢) مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ ، وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ (٨٣)

يقول تعالى ذكره : ولما جاء أمرنا بالعذاب ، وقضاؤنا فيهم بالهلاك (جَعَلْنا عالِيَها) يعنى عالىَ قريتهم (سافِلَها ، وأمْطَرْنا عَلَيْها) يقول : وأرسلنا عليها (حِجارَةً مِنْ سِجِّيلٍ) .

واختلف أهل التأويل فى معنى سجيل ، فقال بعضهم : هو بالفارسية سِنْك وكل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (مِنْ سِجِّيلٍ) بالفارسية ، أوّلها حجر ، وآخرها طين .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، بنحوه .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد بنحوه.

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، نحوه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد بن جبير (حِجارَةً مِنْ سِجِّيلٍ) قال : فارسية أعربت سنك وكل .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة : السجيل : الطين .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة وعكرمة (مِنْ سِجِّيلٍ) قالا من طين .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا إسماعيل بن عبد الكريم ، قال : ثنى عبد الصمد ، عن وهب قال : سجيل بالفارسية : سنك وكل .

حدثنى موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (حِجارَةً مِنْ سِجِّيلٍ) أما السجيل فقال ابن عباس : هو بالفارسية : سنك وجل ، سنك : هو الحجر ، وجل هو الطين ، يقول : أرسلنا عليهم حجارة من طين .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن السدىّ ، عن عكرمة ، عن ابن عباس (حِجارَةً مِنْ سِجِّيلٍ) قال : طين فى حجارة .

وقال ابن زيد فى ذلك ما حدثنى به يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله (حِجارَةً مِنْ سِجِّيلٍ) قال : السماء الدنيا . قال : والسماء الدنيا اسمها سِجِّيل ، وهى التى أنزل الله على قوم لوط . وكان بعض أهل العلم بكلام العرب من البصريين يقول : السجيل ، هو من الحجارة : الصلب الشديد ، ومن الضرب ، ويستشهد على ذلك بقول الشاعر :

ضَرْبا تَوَاصَى بِهِ الأبْطالُ سِجِّيلاً

وقال بعضهم : تحوّل اللام نونا ، وقال آخر منهم : هو فعيل من قول القائل : أسجلته : أرسلته ، فكأنه من ذلك : أى مُرسلة عليهم . وقال آخر منهم : بل هو من سَجَلْت له سَجْلا من العطاء ، فكأنه قيل : منحوا ذلك البلاء فأعطوه ، وقالوا أسجله : أهمله . وقال بعضهم : هو من السِّجِلّ ، لأنه كان فيها علم كالكتاب . وقال آخر منهم : بل هو طين يطبخ كما يطبخ الآجرّ ، وينشد بيت الفضل بن عباس :

مَنْ يُساجِلْنِى يُساجِلْ ماجِدًا يَمْلأُ الدَّلْوَ إلى عَقْدِ الكَرَبِ[1]

فهذا من سَجَلْت له سَجْلا : أعطيته .

☆☆ والصواب من القول فى ذلك عندنا ما قاله المفسرون ، وهو أنها من طين ، وبذلك وصفها الله فى كتابه فى موضع ، وذلك قوله (لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجارَةً مِنْ طِينٍ ، مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ) . وقد رُوى عن سعيد بن جبير أنه كان يقول : هى فارسية ونبطية .

(١) البيت للفضل بن عباس بن عتبة بن أبى لهب (اللسان : سجل) وأنشد البيت . قال ابن برى : أصل المساجلة أن يستقى ساقيان ، فيخرج كل واحد منهما فى سجله مثل ما يخرج الآخر ، فأيهما نكل فقد غلب ، فضربته العرب مثلا للمفاخرة ، فإذا قيل فلان يساجل فلانا ، فمعناه أنه يخرج من الشرف مثل ما يخرجه الآخر ، فأيهما نكل فقد غلب ، وتساجلوا : أى تفاخروا ؛ ومنه قولهم : الحرب سجال . اهـ . والكرب : هو الحبل الذى يشد على الدلو بعد المنين ، وهو الحبل الأول ، فإذا انقطع المنين بقى الكرب . والجمع : أكراب .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، قال : فارسية ونبطية سج ايل ، فذهب سعيد بن جبير فى ذلك إلى أن اسم الطين بالفارسية جل لاإيل ، وأن ذلك لو كان بالفارسية لكان سِجِلّ لا سِجِّيل ، لأن الحجر بالفارسية يدعى سِجَ والطين جل ، فلا وجه لكون الياء فيها وهى فارسية . وقد بيّنا الصواب من القول عندنا فى أول الكتاب ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع . وقد ذُكر عن الحسن البصرىّ أنه قال : كان أصل الحجارة طينا ، فشدّدت .

وأما قوله (مَنْضُودٍ) فإن قتادة وعكرمة يقولان فيه ما حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة وعكرمة (مَنْضُودٍ) يقول : مصفوفة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (مَنْضُودٍ) يقول : مصفوفة .

وقال الربيع بن أنس فيه ، ما حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس ، فى قوله (مَنْضُودٍ) قال : نُضِد بعضه على بعض .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبى بكر الهُذَلىّ بن عبد الله : أما قوله (مَنْضُودٍ) فإنها فى السماء منضودة : معدّة ، وهى من عُدّة الله التى أعدّ للظلمة .

وقال بعضهم : منضود : يتبع بعضه بعضا عليهم ، قال : فذلك نَضْده .

⁂ والصواب من القول فى ذلك : ما قاله الربيع بن أنس ، وذلك أن قوله (مَنْضُودٍ) من نعت سجيل ، لامن نعت الحجارة ، وإنما أمطر القوم حجارة من طين ، صفة ذلك الطين أنه نضد بعضه إلى بعض فصير حجارة ، ولم يمطروا الطين فيكون موصوفا بأنه تتابع على القوم بمجيئه ، وإنما كان جائزا أن يكون على ما تأوّله هذا المتأوّل ، لو كان التنزيل بالنصب منضودة ، فيكون من نعت الحجارة حينئذ .

وأما قوله (مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ) فإنه يقول : مُعْلَمة عند الله ، أعلمها الله ، والمسوّمة من نعت الحجارة ، ولذلك نصبت ونعت بها .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (مُسَوَّمَةً) قال : مُعْلَمة .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبى جعفر ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله ، قال ابن جريج : مسوّمة : لاتشاكل حجارة الأرض .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة وعكرمة (مُسَوَّمَةً) قالا : مطوّقة ، بها نضح من حمرة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (مُسَوَّمَةً) عليها سيما معلومة ، حدّث بعض من رآها أنها حجارة مطوّقة عليها ، أو بها نَضْح من حمرة ، ليست كحجارتكم .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، فى قوله (مُسَوَّمَةً) قال : عليها سيما خطوط .

حدثنى موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (مُسَوَّمَةً) قال : المسوّمة : المختمة .

وأما قوله (وَمَا هِىَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ) فإنه يقول تعالى ذكره متهدّدا مشركى قريش : وما هذه الحجارة التى أمطرتها على قوم لوط ، من مشركى قومك يا محمد ببعيد أن يمطروها ، إن لم يتوبوا من شركهم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا أبو عتاب الدلال سهل بن حماد ، قال : ثنا شعبة ، قال : ثنا أبان بن تغلب عن مجاهد ، فى قوله (وَمَا هِىَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ) قال : أن يصيبهم ما أصاب القوم .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَمَا هِىَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ) قال : يُرْهِب بها من يشاء .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وما هِىَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ) يقول : ما أجار الله منها ظالما بعد قوم لوط .

حدثنى محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة وعكرمة (وَمَاهِىَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ) يقول : لم يبرأ منها ظالم بعدهم .

حدثنا علىّ بن سهل ، قال : ثنا ضَمْرة بن ربيعة ، عن ابن شَوْذَب ، عن قتادة ، فى قوله (وَمَاهِىَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ) قال : يعنى ظالمى هذه الأمة ، قال : والله ما أجار منها ظالما بعد .

حدثنا موسى بن هارون ، قال : ثنا حماد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وَمَا هِىَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ) يقول : من ظَلَمة العرب ، إن لم يتوبوا فيعذّبوا بها .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبى بكر الهذلىّ بن عبد الله ، قال يقول (وَمَا هِىَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ) من ظلمة أمتك ببعيد ، فلا يأمنها منهم ظالم .

وكان قَلْبُ الملائكةِ عالىَ أرض سدوم سافلها ، كما حدثنا أبوكريب ، قال : ثنا جابر بن نوح ، قال : ثنا الأعمش ، عن مجاهد ، قال : أخذ جبرئيل عليه السلام قوم لوط من سَرْحهم ودورهم ، حملهم بمواشيهم وأمتعتهم ، حتى سمع أهل السماء نُباح كلابهم ثم أكفأهم .

حدثنا به أبو كريب مرّة أخرى عن مجاهد ، قال : أدخل جبرئيل جناحه تحت الأرض السفلى من قوم لوط ، ثم أخذهم بالجناح الأيمن ، فأخذهم من سرحهم ومواشيهم ، ثم رفعها .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، كان يقول (فَلَمَّا جاءَ أمْرُنا جَعَلْنا عالِيَهَا سافِلَها) قال : لما أصبحوا غدا جبرئيل على قريتهم ، ففتقها من أركانها ، ثم أدخل جناحه ، ثم حملها على خوافى جناحه .

قال : ثنا شبل ، قال : فحدثنى هذا ابنُ أبى نجيح ، عن إبراهيم بن أبى بكر ، قال : ولم يسمعه ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قال : فحملها على خوافى جناحه بما فيها ، ثم صعد بها إلى السماء ، حتى سمع أهل السماء نباح كلابهم ، ثم قلبها ، فكان أوّل ماسقط منها شَرَفُها ، فذلك قول الله (جَعَلْنا عالِيَها سافِلَها ، وأمْطَرْنا عَلَيْها حِجارَةً مِنْ سِجِّيلٍ) قال مجاهد : فلم يصب قوما ما أصابهم ، إن الله طمس على أعينهم ، ثم قلب قريتهم ، وأمطر عليهم حجارة من سِجِّيل .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : بلغنا أن جبرئيل عليه السلام أخذ بعُروة القرية الوسطى ، ثم ألوى بها إلى السماء ، حتى سمع أهل السماء ضَواغى[1] كلابهم ، ثم دمَّر بعضها على بعض ، فجعل عاليها سافلها ، ثم أتبعهم الحجارة ، قال قتادة : وبلغنا أنهم كانوا أربعة آلاف ألف .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : ذُكِر لنا أن جبرئيل عليه السلام أخذ بعروتها الوسطى ، ثم ألوى بها إلى جوّ السماء ، حتى سمعت الملائكة ضواغىَ كلابهم ، ثم دمر بعضها على بعض ، ثم أتبع شُذّان القوم[2] صخرا ، قال : وهى ثلاث قرى يقال لها سَدُوم ، وهى بين المدينة والشام . قال : وذُكر لنا أنه كان فيها أربعة آلاف ألف . وذُكر لنا أن إبراهيم عليه السلام كان يُشْرِف[3] يقول : سدوم يوم مَّا لك !

حدثنى موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قال : لما أصبحوا ، يعنى قوم لوط ، نزل جبرئيل ، فاقتلع الأرض من سبع أرضين ، فحملها حتى بلغ السماء الدنيا ، فذلك حين يقول (والمُؤْتَفِكَةَ أهْوَى) المنقلبة حين أهوى بها جبرئيل الأرض ، فاقتلعها بجناحه ، فمن لم يمت حين أسقط الأرض ، أمطر الله عليه ، وهو تحت الأرض الحجارة ، ومن كان منهم شاذّا فى الأرض ، وهو قول الله (فجَعَلْنا عالِيَها سافِلَها ، وأمْطَرْنا عَلَيْها حِجارَةً مِنْ سِجِّيلٍ) ثم تتبعهم فى القرى ، فكان الرجل يأتيه الحجر فيقتله ، وذلك قول الله تعالى (وأمْطَرْنا عَلَيْهِمْ حِجارَةً مِنْ سِجِّيلٍ) .

(١) ضواغى : جمع ضاغ ، يقال : ضغا الذئب والسنور والثعلب يضغو ضغوا وضغاء : صوت وصاح .

(٢) شذان القوم : من تفرق منهم .

(٣) يشرف : يرتفع على شىء عال ، وينظر إلى سدوم مرتقبا لها شرا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبى بكر وأبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : بلغنا أن جبرئيل عليه السلام لما أصبح نشر جناحه ، فانتسف به أرضهم ، بما فيها من قصورها ودوابها وحجارتها وشجرها وجميع مافيها ، فضمها فى جناحه ، فحواها وطواها فى جوف جناحه ، ثم صعد بها إلى السماء الدنيا ، حتى سمع سكان السماء أصوات الناس والكلاب ، وكانوا أربعة آلاف ألف ، ثم قلبها ، فأرسلها إلى الأرض منكوسة : دمدم بعضها على بعض ، فجعل عاليها سافلها ، ثم أتبعها بحجارة من سجيل .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنى ابن إسحاق ، قال : ثنى محمد بن كعب القُرَظىّ ، قال : حُدثت أن نبىّ الله صلى الله عليه وسلم قال : بعث الله جبرئيل عليه السلام إلى المؤتفكة قرية لوط عليه السلام ، التى كان لوط فيها ، فاحتملها بجناحه ، ثم صعد بها ، حتى إن أهل السماء الدنيا ليسمعون نباح كلابها ، وأصوات دَجاجها ، ثم كفأها على وجهها ، ثم أتبعها الله بالحجارة ، يقول الله (جَعَلْنا عالِيَها سافِلَها ، وأمْطَرْنا عَلَيْها حِجارَةً مِنْ سِجِّيلٍ) ، فأهلكها الله وما حولها من المؤتفكات ، وكنّ خمس قُرَيَّات : صنعة ، وصعوة ، وعثرة ، ودوما ، وسدوم ؛ وسدوم هى القرية العظمى ، ونجّى الله لوطا ومن معه من أهله ، إلا امرأته كانت فيمن هلك .

القول فى تأويل قوله تعالى

* وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا، قَالَ : يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ، وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ ، إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ ، وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ (٨٤)

⁂ يقول تعالى ذكره (وَ) أرسلنا (إلى) ولد (مَدْيَنَ أخاهُمْ شُعَيْبا) ، فلما أتاهم (قالَ ياقَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مالَكُمْ مِنْ إلَهٍ غيرُهُ) يقول : أطيعوه ، وتذَلَّلوا له ، بالطاعة لما أمركم به ونهاكم عنه . ما لكم من إله غيره : يقول : ما لكم من معبود سواه ، يستحقّ عليكم العبادة غيره (وَلا تَنْقُصُوا المِكْيالَ والمِيزانَ) يقول : ولا تنقصوا الناس حقوقهم فى مكيالكم وميزانكم ، (إنّى أرَاكُمْ بِخَيْرٍ) .

واختلف أهل التأويل فى الخير الذى أخبر الله عن شعيب أنه قال لمدين إنه يراهم به ، فقال بعضهم : كان ذلك رُخْص السعر ، وحذّرهم غَلاءه .

ذكر من قال ذلك

حدثنى زكريا بن يحيى بن أبى زائدة ، قال : ثنا عبد الله بن داود الواسطىّ ، قال : ثنا محمد بن موسى ، عن الذيال بن عمرو ، عن ابن عباس (إنّى أرَاكُمْ بِخَيْرٍ) قال : رُخْص السعر (وإنّى أخافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ) قال : غلاء سعر .

حدثنى أحمد بن علىّ النصرىّ[1] ، قال : ثنى عبد الصمد بن عبد الوارث ، قال : ثنا صالح بن رستم ، عن الحسن ، وذكر قوم شعيب قال (إنّى أرَاكُمْ بِخَيْرٍ قال : رُخْص السعر .

(١) كذا فى الأصل . ولعله أحمد بن عبد الله بن على بن سويد بن منجوف السدوسى البصرى ، وقد ينسب إلى جده . توفى سنة ٢٥٢ (عن خلاصة الخزرجى) .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا عبد الصمد بن عبد الوارث ، عن أبى عامر الخراز ، عن الحسن ، فى قوله (إنّى أرَاكُمْ بِخَيْرٍ) قال : الغنى ورُخْص السعر .

وقال آخرون : عنى بذلك : إنى أرى لكم مالا وزينة من زِينَ الدنيا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، فى قوله (إنّى أرَاكُمْ بِخَيْرٍ) قال : يعنى خير الدنيا وزينتها .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إنّى أرَاكُمْ بِخَيْرٍ) أبصر عليهم قِشْرا [1] من قِشْر الدنيا وزينتها .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله (إنّى أرَاكُمْ بِخَيْرٍ) قال : فى دنياكم ، كما قال الله تعالى (إنْ تَرَكَ خَيْرًا) سماه خيرا لأن الناس يسمون المال خيرا .

⁂ وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب : ما أخبر الله عن شعيب ، أنه قال لقومه ، وذلك قوله (إنّى أرَاكُمْ بِخَيْرٍ) يعنى بخير الدنيا ، وقد يدخل فى خير الدنيا المال وزينة الحياة الدنيا ، ورُخْص السعر ، ولا دلالة على أنه عنى بقيله ذلك بعض خيرات الدنيا دون بعض ، فذلك على كلّ معانى خيرات الدنيا ، التى ذكر أهل العلم أنهم كانوا أُوتوها ، وإنما قال ذلك شعيب ، لأن قومه كانوا فى سعة من عيشهم ، ورخص من أسعارهم ، كثيرة أموالهم ، فقال لهم : لاتنقصوا الناس حقوقهم فى مكاييلكم وموازينكم ، فقد وسّع الله عليكم رزقكم (وَإِنّى أَخَافُ عَلَيْكُمْ) بمخالفتكم أمر الله وبخسكم الناس أموالهم فى مكاييلكم وموازينكم (عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ) يقول : أن ينزل بكم عذاب يوم محيطٍ بكم عذابه ، فجعل المحيط نعتا لليوم ، وهو من نعت العذاب ، إذ كان مفهوما معناه ، وكان العذاب فى اليوم ، فصار كقولهم جبتك محترقة .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَيَٰقَوْمِ أَوْفُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ، وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ ، وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (٨٥)

⁂ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل شعيب لقومه : أوفُوا الناس الكيل والميزان بالقسط ، يقول : بالعدل ، وذلك بأن توفُّوا أهل الحقوق التى هى مما يكال أو يوزن ، حقوقهم ، على ما وجب لهم من التمام بغير بخس ، ولا نقص .

وقوله (وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ) يقول : ولا تنقصوا الناس حقوقهم التى يجب عليكم أن تُوَفوهم ، كيلا أو وزنا أو غير ذلك .

(١) القشر : الثياب التى تلبس (اللسان) . .

كما حدثنى الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا علىّ بن صالح ، بن حىّ ، قال : بلغنى فى قوله (وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ) قال : لاتنقصوهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ) يقول : لاتظلموا الناس أشياءهم .

وقوله (وَلا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ) يقول : ولا تسيروا فى الأرض تعملون فيها بمعاصى الله .

كما حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، فى قوله (وَلا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ) قال : لاتسيروا فى الأرض

وحدثت عن المسيب ، عن أبى روق ، عن الضحاك (وَلا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ) يقول : لاتسعوا فى الأرض مفسدين ، يعنى : نقصان الكيل والميزان .

القول فى تأويل قوله تعالى

بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ، وَمَآ أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ (٨٦)

يعنى تعالى ذكره بقوله (بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ) ما أبقاه الله لكم بعد أن توفوا الناس حقوقهم . بالمكيال والميزان بالقسط ، فأحله لكم ، خير لكم من الذى يبقى لكم ، ببخسكم الناس من حقوقهم بالمكيال والميزان (إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ) يقول : إن كنتم مصدّقين بوعد الله ووعيده ، وحلاله وحرامه . وهذا قول رُوى عن ابن عباس بإسناد غير مرتضىً عند أهل النقل .

وقد اختلف أهل التأويل فى ذلك ، فقال بعضهم : معناه : طاعة الله خير لكم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا أبو وكيع ؛ وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد (بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ) قال : طاعة الله خير لكم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن محمد بن عبد الرحمن ، عن القاسم ، بن أبى بزّة ، عن مجاهد (بَقِيَّتُ اللَّهِ) قال : طاعة الله (خَيْرٌ لَكُمْ) .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (بَقِيَّتُ اللَّهِ) قال : طاعة الله .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثورىّ ، عن ليث ، عن مجاهد (بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ) قال : طاعة الله خير لكم .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ) قال : طاعة الله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، نحوه .

وقال آخرون : معنى ذلك : حظّكم من ربكم خير لكم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (بَقِيَّتُ اللهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) : حظكم من ربكم خير لكم .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، فى قوله (بَقِيَّتُ اللهِ خَيْرٌ لَكُمْ) قال : حظكم من الله خير لكم .

وقال آخرون : معناه : رزق الله خير لكم .

ذكر من قال ذلك

حدثنى الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا سفيان ، عمن ذكره ، عن ابن عباس (بَقِيَّتُ اللهِ) قال : رزق الله .

وقال ابن زيد فى ذلك ما حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله (بَقِيَّتُ اللهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنين) قال : الهلاك فى العذاب ، والبقية فى الرحمة .

⁂ وإنما اخترت فى تأويل ذلك القول الذى اخترته : لأن الله تعالى ذكره إنما تقدم إليهم بالنهى عن بخس الناس أشياءهم فى المكيال والميزان ، وإلى ترك التطفيف فى الكيل ، والبخس فى الميزان ، دعاهم شعيب ، فتعقيب ذلك بالخبر عما لهم من الحظّ فى الوفاء فى الدنيا والآخرة أولى ، مع أن قوله (بَقِيَّتُ) إنما هى مصدر من قول القائل : بَقَّيْتُ بَقِيَّة من كذا ، فلا وجه لتوجيه معنى ذلك إلا إلى بقية الله التى أبقاها لكم ، مما لكم بعد وفائكم الناس حقوقهم ، خير لكم من بقيتكم من الحرام ، الذى يبقى لكم من ظلمكم الناس ، ببخسكم إياهم فى الكيل والوزن .

وقوله (وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ) يقول : وما أنا عليكم أيها الناس برقيب ، أرقبكم عند كيلكم ووزنكم : هل توفون الناس حقوقهم أم تظلمونهم ؟ وإنما علىّ أن أبلغكم رسالة ربى ، فقد أبلغتكموها .

القول فى تأويل قوله تعالى

قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُا ۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ (٨٧)

⁂ يقول تعالى ذكره : قال قوم شعيب : (يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ) عبادة (مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا) من الأوثان والأصنام (أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِى أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ) من كسر الدراهم وقطعها ، وبخس الناس فى الكيل والوزن . (إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ) وهو الذى لايحمله الغضب أن يفعل ما لم يكن ليفعله فى حال الرضا . (الرَّشِيدُ) يعنى : رشيد الأمر فى أمره إياهم أن يتركوا عبادة الأوثان .

كما حدثنا محمود بن خِدَاش ، قال : ثنا حماد بن خالد الخياط ، قال : ثنا داود بن قيس ، عن زيد ابن أسلم ، فى قول الله (أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا ، أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِى أَمْوَالِنَا

ما نَشاءُ ، إنَّكَ لأَنْتَ الحَلِيمُ الرَّشِيدُ) قال : كان مما نهاهم عنه حذف الدراهم ، أو قال : قطع الدراهم . الشكّ من حماد .

حدثنا سهل بن موسى الرازىّ ، قال : ثنا ابن أبى فُدَيك ، عن أبى مودود ، قال : سمعت محمد بن كعب القُرَظى يقول : بلغنى أن قوم شعيب عذّبوا فى قطع الدراهم ، وجدت ذلك فى القرآن (أَصَلاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ ما يَعْبُدُ أباؤُنا ، أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فى أَمْوالِنا ما نَشاءُ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا زيد بن حباب ، عن موسى بن عبيدة ، عن محمد بن كعب القُرَظىّ ، قال عذّب قوم شعيب فى قطعهم الدراهم ، فقالوا (يا شُعَيْبُ أَصَلاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ ما يَعْبُدُ آباؤُنا ، أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فى أَمْوالِنا ما نَشاءُ) ؟

قال : ثنا حماد بن خالد الخياط ، عن داود بن قيس ، عن زيد بن أسلم ، فى قوله (أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فى أَمْوالِنا ما نَشاءُ) قال : كان مما نهاهم عنه : حذف الدراهم .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (قالُوا يا شُعَيْبُ أَصَلاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ ما يَعْبُدُ آباؤُنا ، أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِى أَمْوالِنا ما نَشاءُ) ؟ قال : نهاهم عن قطع الدنانير والدراهم ، فقالوا : إنما هى أموالنا نفعل فيها ما نشاء ، إن شئنا قطعناها ، وإن شئنا حرقناها [1] ، وإن شئنا طرحناها .

قال : وأخبرنا ابن وهب ، قال : وأخبرنى داود بن قيس المرّى أنه سمع زيد بن أسلم يقول فى قول الله (قالُوا يا شُعَيْبُ أَصَلاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرك ما يَعْبُدُ آباؤُنا ، أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِى أَمْوالِنا ما نَشاءُ) ؟ قال زيد : كان من ذلك قطع الدراهم .

وقوله (أَصَلاتُكَ) كان الأعمش يقول فى تأويلها ما حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثورى عن الأعمش ، فى قوله (أَصَلاتُكَ) قال : قراءتك .

فإن قال قائل : وكيف قيل : أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا ، أو أن نفعل فى أموالنا ما نشاء ، وإنما كان شعيب نهاهم أن يفعلوا فى أموالهم ماقد ذكرت أنه نهاهم عنه فيها ؟ قيل : إن معنى ذلك بخلاف ما توهمت .

وقد اختلف أهل العربية فى معنى ذلك ، فقال بعض البصريين : معنى ذلك : أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا ، أو أن نترك أن نفعل فى أموالنا ما نشاء ، وليس معناه : تأمرك أن نفعل فى أموالنا ما نشاء ، لأنه ليس بذا أمرهم .

وقال بعض الكوفيين نحو هذا القول ، قال : وفيها وجه آخر يجعل الأمر كالنهى ، كأنه قال : أصلاتك تأمرك بذا ، وتنهانا عن ذا ، فهى حينئذ مردودة ، على أن الأولى منصوبة بقوله تأمرك ، وأن الثانية منصوبة عطفا بها على « ما » التى فى قوله (ما يَعْبُدُ) . وإذا كان ذلك كذلك ، كان معنى الكلام : أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا ، أو أن نترك أن نفعل فى أموالنا ما نشاء . وقد ذُكِر عن بعض القرّاء أنه قرأه

(١) حرق الحديد ونحوه بالمبرد يحرقه (كنصر وضرب) حرقا ، وحرقه (بالتشديد) : برده ، وحك بعضه ببعض .

(ما نَشاءُ) ، فمن قرأ ذلك كذلك فلامُؤْنة فيه ، وكانت أَنِ الثانيةُ حينئذ معطوفة على أَنِ الأولى .

وأما قولهم لشعيب : (إنَّكَ لأَنْتَ الحَلِيمُ الرَّشِيدُ) فإنهم أعداء الله ، قالوا ذلك له استهزاء به ، وإنما سفهوه وجهّلوه بهذا الكلام . وبما قلنا من ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج (إنَّكَ لأَنْتَ الحَلِيمُ الرَّشِيدُ) قال : يستهزئون .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (إنَّكَ لأَنْتَ الحَلِيمُ الرَّشِيدُ) المستهزئون يستهزئون بأنك لأنت الحليم الرشيد .

القول فى تأويل قوله تعالى

قَالَ : يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَرَزَقَنِى مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ، وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ، إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ، وَمَا تَوْفِيقِى إِلَّا بِٱللَّهِ ، عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ، وَإِلَيْهِ أُنِيبُ (٨٨)

يقول تعالى ذكره : قال شعيب لقومه : يا قوم ، أرأيتم إن كنت على بيان وبرهان من ربى ، فيما أدعوكم إليه من عبادة الله ، والبراءة من عبادة الأوثان والأصنام ، وفيما أنهاكم عنه من إفساد المال (وَرَزَقَنِى مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا) يعنى حلالا طيبا (وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إلى ما أنهاكُمْ عَنْهُ) يقول : وما أريد أن أنهاكم عن أمر ، ثم أفعل خلافه ، بل لاأفعل إلا بما آمركم به ، ولا أنتهى إلا عما أنهاكم عنه .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إلى ما أَنهاكُم عَنْهُ) يقول : لم أكن لأنهاكم عن أمر أركبه ، أو آتيه (إنْ أُرِيدُ إلاَّ الإصْلاحَ) يقول : ما أريد فيما آمركم به وأنهاكم عنه ، إلا إصلاحكم وإصلاح أمركم . (ما اسْتَطَعْتُ) يقول : ماقدرت على إصلاحه ، لئلا ينالكم من الله عقوبة مُنَكِّلة ، بخلافكم أمره ، ومعصيتكم رسوله (وَما تَوْفِيقِى إلاَّ بالله) يقول : وما إصابتى الحقّ فى محاولتى إصلاحكم وإصلاح أمركم إلا بالله ، فإنه هو المعين على ذلك ، إن لايُعْنِىِّ عليه لم أصب الحقّ فيه .

وقوله (عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ) يقول : إلى الله أفوّض أمرى ، فإنه ثقتى ، وعليه اعتمادى فى أمورى . وقوله (وَإِلَيْهِ أُنِيبُ) وإليه أقبل بالطاعة ، وأرجع بالتوبة .

كما حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَإِلَيْهِ أُنِيبُ) قال : أرجع .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد . قال : وحدثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَإِلَيْهِ أُنِيبُ) قال : أرجع .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد قوله (وَإِلَيْهِ أُنِيبُ) قال : أرجع .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَيَٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِىٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَٰلِحٍ ، وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ (٨٩)

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل شعيب لقومه : (وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِى) يقول : لايحملنكم عداوتى وبغضى ، وفراق الدين الذى أنا عليه ، على الإصرار على ما أنتم عليه من الكفر بالله ، وعبادة الأوثان ، وبخس الناس فى المكيال والميزان ، وترك الإنابة والتوبة ، فيصيبكم (مِثْلُ ما أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ) من الغرق (أَوْ قَوْمَ هُودٍ) من العذاب (أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ) من الرجفة (وَمَا قَوْمُ لُوطٍ) الذين ائتفكت بهم الأرض (مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ) هلاكهم ، أفلا تتعظون به وتعتبرون ؟ يقول : فاعتبروا بهؤلاء ، واحذروا أن يصيبكم بشقاقى مثل الذى أصابهم .

كما حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِى) يقول : لايحملنكم فراقى (أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ ما أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ) . . . الآية .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، فى قوله (لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِى) يقول : لايحملنكم شقاقى .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شقاقى) قال عدواتى وبغضائى وفراقى .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ) قال : إنما كانوا حديثا منهم قريبا . . . يعنى[1] قوم نوح وعاد وثمود وصالح .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، فى قوله (وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ) قال : إنما كانوا حديثى عهد قريب بعد نوح وثمود .

قال أبو جعفر : وقد يحتمل أن يقال : معناه : وما دار قوم لوط منكم ببعيد .

---

(١) يظهر أن لفظة « يعنى » محرفة بقلم الناسخ عن لفظة « بعد » .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ، ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ، إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ (٩٠)

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل شعيب لقومه (اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ) أيها القوم من ذنوبكم بينكم وبين ربكم ، التى أنتم عليها مقيمون ، من عبادة الآلهة والأصنام ، وبَخْس الناس حقوقهم فى المكاييل والموازين (ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ) يقول : ثم ارجعوا إلى طاعته ، والانتهاء إلى أمره ونهيه . (إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ) يقول : هو رحيم بمن تاب وأناب إليه ، أن يعذّبه بعد التوبة . (وَدُودٌ) يقول : ذو محبة لمن أناب وتاب إليه ، يودّه ويحبه .

القول فى تأويل قوله تعالى

قَالُوا : يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ ، وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا ، وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ ، وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ (٩١)

يقول تعالى ذكره : قال قوم شعيب لشعيب (يا شُعَيْبُ ما نَفْقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ) : أى مانعلم حقيقة كثير مما تقول ، وتخبرنا به (وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينا ضَعِيفاً) : ذكر أنه كان ضريرا ، فلذلك قالوا له (إِنَّا لَنَرَاكَ فِينا ضَعِيفاً) .

ذكر من قال ذلك

حدثنى عبد الأعلى بن واصل ، قال : ثنا أسد بن زيد الجَصَّاص ، قال : أخبرنا شريك ، عن سالم ، عن سعيد بن جبير ، فى قوله (وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينا ضَعِيفاً) قال : كان أعمى .

حدثنا عباس بن أبى طالب ، قال : ثنى إبراهيم بن مهدىّ المَصِّيصىّ ، قال : ثنا خلف بن خليفة ، عن سفيان ، عن سعيد ، مثله .

حدثنا أحمد بن الوليد الرملى ، قال : ثنا إبراهيم بن زياد وإسحاق بن المنذر ، وعبد الملك بن زيد ، قالوا ثنا شريك ، عن سالم ، عن سعيد ، مثله .

قال : ثنا عمرو بن عون ومحمد بن الصباح ، قالا : سمعنا شريكا يقول ، فى قوله (وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينا ضَعِيفاً) قال : أعمى .

حدثنا سَعْدُوَيْهْ ، قال : ثنا عباد ، عن شريك ، عن سالم ، عن سعيد بن جبير ، مثله .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو نعيم ، قال : ثنا سفيان ، قوله (وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينا ضَعِيفاً) قال : كان ضعيف البصر ، قال سفيان : وكان يقال له خطيب الأنبياء .

قال : ثنا الحِمّانىّ ، قال : ثنا عباد ، عن شريك ، عن سالم ، عن سعيد (وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينا ضَعِيفاً) قال : كان ضرير البصر .

وقوله (لَوْلا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ) يقول : يقولون : ولولا أنت فى عشيرتك وقومك لرجمناك ، يعنون : لسببناك . وقال بعضهم : معناه لقتلناك .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَلَوْلا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ) قال : قالوا : لولا أن نتقى قومك ورهطك لرجمناك . (وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ) يعنون : ما أنت ممن يكرم علينا ، فيعظم علينا إذلاله وهَوَانُه ، بل ذلك علينا هَيِّن .

القول فى تأويل قوله تعالى

قَالَ : يَقَوْمِ أَرَهْطِى أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ ، وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا ، إِنَّ رَبِّى بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ (٩٢)

يقول تعالى ذكره : قال شعيب لقومه : يا قوم أَعَزَزْتم قومكم ، فكانوا أعزّ عليكم من الله ، واستخففتم بربكم ، فجعلتموه خلف ظهوركم ، لاتأتمرون لأمره ، ولا تخافون عقابه ، ولا تعظمونه حقّ عظمته ، يقال للرجل إذا لم يقض حاجة الرجل : نبذ حاجته وراء ظهره : أى تركها لايلتفت إليها ، وإذا قضاها قيل : جعلها أمامَه ونُصْب عينيه ، ويقال : ظهرت بحاجتى ، وجعلتها ظِهْرِية : أى خلفَ ظهرك ، كما قال الشاعر :

وَجَدْنا بنى البَرْصَاءِ مِنْ وَلَدِ الظَّهْرِ [1]

بمعنى : أنهم يظهرون بحوائج الناس ، فلا يلتفتون إليها .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، (قَالَ يَاقَوْمِ أَرَهْطِى أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا) وذلك أن قوم شعيب ورهطه كانوا أعزّ عليهم من الله ، وصَغُر شأن الله عندهم : عزّ ربنا وجلّ ثناؤه .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس : (وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا) قال : قَفًا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (يَا قَوْمِ أَرَهْطِى أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا) يقول : عَزَزْتم قومكم ، وأظهرتم بربكم .

(١) هذا عجز بيت لأرطاة بن سهية (اللسان : ظهر) . وصدره :

فَمَنْ مُبْلِغٌ أَبْنَاءَ مُرَّةَ أَنَّنَا

وجاء فى مجاز القرآن لأبى عبيدة (١ : ٢٩٨) قال بعد الشاهد : أى من الذين يظهرون بهم ، ولا يلتفتون إلى أرحامهم . وانظره فى (اللسان : ظهر) .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (واتَّخَذْتُمُوه وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا) قال : لم تراقبوه فى شىء ، إنما تراقبون قومى (واتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا) يقول : عززتم قومكم ، وأظهرتم بربكم .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (واتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا) قال : لم تراقبوه فى شىء ، إنما تراقبون قومى ، واتخذتموه وراءكم ظِهْرِيا لاتخافونه .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، فى قوله (أَرَهْطِى أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللهِ) قال : أعززتم قومكم ، واغتررتم بربكم ، سمعت إسحاق بن أبى إسرائيل قال : قال سفيان (واتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا) كما يقول الرجل للرجل : خلّفت حاجتى خلف ظهرك ، فاتخذتموه وراءكم ظهريا : استخففتم بأمره ، فإذا أراد الرجل قضاء حاجة صاحبه جعلها أمامه بين يديه ، ولم يستخفّ بها .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (واتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا) قال : الظِّهرىّ : الفضل ، مثل الحمّال : يخرج معه بإبل ظِهارية فضل ، لايحمل عليها شيئا ، إلا أن يُحتاج إليها ، قال : فيقول : إنما ربكم عندكم مثل هذا ، إن احتجتم إليه ، وإن لم تحتاجوا إليه فليس بشىء .

وقال آخرون : معنى ذلك : واتخذتم ما جاء به شعيب وراءكم ظهريا ، فالهاء فى قوله (واتَّخَذْتُمُوهُ) على هذا من ذكر ما جاء به شعيب عليه السلام .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (واتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا) قال : تركتم ما جاء به شعيب .

قال : ثنا جعفر بن عون ، عن سفيان ، عن جابر ، عن مجاهد ، قال : نبذوا أمره .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، عن سفيان ، عن جابر ، عن مجاهد (واتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا) قال : نبذتم أمره .

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (واتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا) قال : هم رهط شعيب ، تركهم[1] ما جاء به وراء ظهورهم ظهريا .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد . قال : وحدثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (واتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا) قال : استثناؤهم رهط شعيب ، وتركهم ما جاء به شعيب وراء ظهورهم ظهريا .

وإنما اخترنا القول الذى اخترناه فى تأويل ذلك لقرب قوله (واتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا) من

(١) لعل كملة « تركهم » محرفة عن كلمه « تركوا » .

قوله (أَرَهْطِى أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللهِ) فكانت الهاء فى قوله (وَاتَّخَذْتُمُوهُ) بأن تكون من ذكر الله ، لقرب جوارها منه ، أشبه وأولى .

وقوله (إِنَّ رَبِّى بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ) يقول : إن ربى محيط علمه بعملكم ، فلا يخفى عليه منه شىء ، وهو مجازيكم على جميعه ، عاجلا وآجلا .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَيَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَٰذِبٌ ، وَٱرْتَقِبُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُمْ رَقِيبٌ (٩٣)

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل شعيب لقومه (وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا على مَكَانَتِكُمْ) يقول : على تمكنكم ، يقال منه : الرجل يعمل على مَكِينته ومَكِنته : أى على اتئاده ، ومَكُن الرجل يمكُن مَكَنا[1] ومَكانة ومكانا .

وكان بعض أهل التأويل يقول فى معنى قوله (على مَكَانَتِكُمْ) : على منازلكم . فمعنى الكلام إذن : ويا قوم اعملوا على تمكنكم من العمل الذى تعملونه (إِنّى عامِلٌ) على تؤدة من العمل الذى أعمله (سَوْفَ تَعْلَمُونَ) أينا الجانى على نفسه والمخطئ عليها ، والمصيب فى فعله : المحسن إلى نفسه .

القول فى تأويل قوله تعالى

(مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ ، وَمَنْ هُوَ كاذِبٌ ، وَارْتَقِبُوا إِنِّى مَعَكُمْ رَقِيبٌ) :

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل نبيه شعيب لقومه : الذى يأتيه منا ومنكم أيها القوم (عَذابٌ يُخْزِيهِ) يقول : يذله ويهينه (وَمَنْ هُوَ كاذِبٌ) يقول : ويخزى أيضا الذى هو كاذب فى قيله وخبره منا ومنكم. (وَارْتَقِبُوا) : أى انتظروا وتفقدوا من الرقبة ، يقال منه : رَقَبت فلانا أرقُبه رِقبة . وقوله (إِنّى مَعَكُمْ رَقِيبٌ) يقول : إنى أيضا ذو رِقبة لذلك العذاب معكم ، وناظر إليه بمن هو نازل منا ومنكم .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ (٩٤)

يقول تعالى ذكره: ولما جاء قضاؤنا فى قوم شعيب بعذابنا، نجينا شعيبا رسولنا ، والذين آمنوا به ، فصدّقوه على ما جاءهم به من عند ربهم ، مع شعيب ، من عذابنا الذى بعثنا على قومه ، برحمة منا له ، ولمن آمن به ، واتبعه على ما جاءهم به من عند ربهم ، وأخذت الذين ظلموا صيحة من السماء أخمدتهم فأهلكتهم ، بكفرهم بربهم ، وقيل : إن جبريل عليه السلام ، صاح بهم صيحة أخرجت أرواحهم من أجسامهم ، (فَأَصْبَحُوا فِى دِيارِهِمْ جاثِمِينَ) على ركبهم ، وصَرْعَى بأفنيتهم .

(١) لم أجد هذا المصدر فى اللسان ولا فى التاج .

القول فى تأويل قوله تعالى

كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ ، أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ (٩٥)

يقول تعالى ذكره : كأن لم يعش قوم شعيب الذين أهلكهم الله بعذابه ، حين أصبحوا جاثمين فى ديارهم قبل ذلك . ولم يَغْنَوا : من قولهم : غَنِيت بمكان كذا : إذا أقمت به ، ومنه قول النابغة :

غَنِيتَ بذلكَ إذْ هُمُ لى جِيرَةٌ مِنْها بعَطْفِ رِسالَةٍ وتَوَدُّدِ (١)

وكما حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو صالح ، قال ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (كأنْ لَمْ يَغْنَوْا فيها) قال : يقول : كأن لم يعيشوا فيها .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، مثله .

وقوله (ألا بُعْدًا لِمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ) يقول تعالى ذكره : ألا أبعد الله مدين من رحمته بإحلال نقمته . كما بعدت ثمود : يقول : كما بعدت من قبلهم ثمود من رحمته ، بإنزال سخطه بهم .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَا وَسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ . (٩٦) إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِ ، فَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ فِرْعَوْنَ ، وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ (٩٧)

يقول تعالى ذكره : ولقد أرسلنا موسى بأدلتنا على توحيدنا ، وحجة تبين لمن عاينها وتأملها بقلب صحيح ، أنها تدل على توحيد الله ، وكذب كل من ادّعى الربوبية دونه ، وبطول قول من أشرك معه فى الألوهة غيره ، إلى فرعون وملئه ، يعنى إلى أشراف جنده وتُبَّاعه (فاتَّبَعُوا أمْرَ فِرْعَوْنَ) يقول : فكذّب فرعون وملؤه موسى ، وجحدوا وحدانية الله ، وأبَوا قبول ما أتاهم به موسى من عند الله ، واتبع ملأ فرعون دون أمر الله ، وأطاعوه فى تكذيب موسى ، وردّ ما جاءهم به من عند الله عليه . يقول تعالى ذكره (وَما أمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ) يعنى : أنه لا يُرْشِد أمر فرعون ، من قيله فى تكذيب موسى ، إلى خير ، ولا يهديه إلى صلاح ، بل يورده نار جهنم .

القول فى تأويل قوله تعالى

يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ، فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ، وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ (٩٨)

(١) البيت للنابغة الذبيانى (مختار الشعر الجاهلى بشرح مصطفى السقا طبعة الحلبى ص ١٧٣) وغنيت : أقامت وعاشت . يقول : أقامت على مودتك وهى جارة لك ، فكانت تتودد إليك ، وتعرض لك ، وتعطف رسائلها عليك . والرواية فيه « لك جيرة » بالخطاب ، على طريق التجريد ، وهى رواية فى البيت . وقد تقدم هذا البيت مشروحا فى الجزء (١١ ص ١٠٢) من هذا التفسير .

⁂ يقول تعالى ذكره : يقدُم فرعون قومه يوم القيامة : يقودهم ، فيمضى بهم إلى النار ، حتى يوردهموها ، ويصليهم سعيرها (وَبِئْسَ الوِرْدُ) يقول : وبئس الورد الذى يردونه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ القِيامَةِ) قال : فرعون يقدُم قومه يوم القيامة : يمضى بين أيديهم ، حتى يهجُم بهم على النار .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ القِيامَةِ) يقول : يقود قومه ، فأوردهم النار .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس قوله (يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ القِيامَةِ) يقول : أضلهم ، فأوردهم النار .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عمن سمع ابن عباس يقول فى قوله (فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ) قال : الورد : الدخول .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ) كان ابن عباس يقول : الورد فى القرآن أربعة أوراد : فى هود قوله (وَبِئْسَ الوِرْدُ المَوْرُودُ) ، وفى مريم (وَإِنْ مِنْكُمْ إِلاَّ وَارِدُها) ، وورد فى الأنبياء (حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ) ، وورد فى مريم أيضا (وَنَسُوقُ المُجْرِمِينَ إِلى جَهَنَّمَ وِرْدًا) ، كان ابن عباس يقول : كل هذا الدخول ، والله ليَردنّ جهنم كلّ برّ وفاجر (ثُمَّ نُنَجِّى الَّذِينَ اتَّقَوْا ، وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا) .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَأُتْبِعُوا فِى هَٰذِهِ لَعْنَةً ، وَيَوْمَ الْقِيٰمَةِ ، بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ (٩٩)

⁂ يقول الله تعالى ذكره : وأتبعهم الله فى هذه ، يعنى فى هذه الدنيا ، مع العذاب الذى عجله لهم فيها ، من الغرق فى البحر ، لعنته (وَيَوْمَ القِيامَةِ) يقول : وفى يوم القيامة أيضا يُلعنون لَعنة أخرى .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن محمد بن عبد الرحمن ، عن القاسم بن أبى بزة ، عن مجاهد (وأُتْبِعُوا فِى هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ القِيامَةِ) قال : لعنة أخرى .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وأُتْبِعُوا فِى هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ القِيامَةِ) قال زيدوا بلعنة لعنة أخرى ، فتلك لعنتان .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وأُتْبِعُوا فِى هَذِهِ لَعْنَةً ، وَيَوْمَ القِيامَةِ ، بِئْسَ الرِّفْدُ المَرْفُودُ) اللعنة فى أثر اللعنة .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله : (وأُتْبِعُوا فِى هَـذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ القِيامَةِ) قال : زيدوا لعنة أخرى ، فتلك لعنتان .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (فِى هَـذِهِ) قال : فى الدنيا (وَيَوْمَ القِيامَةِ) أُردفوا بلعنة أخرى زيدوها ، فتلك لعنتان .

وقوله (بِئْسَ الرِّفْدُ المَرْفُودُ) يقول : بئس العون المُعان : اللعنة المزيدةفيها أخرى منها . وأصل الرفد : العون ، يقال منه : رفد فلان فلانا عند الأمير يَرفِده رِفْدا ، بكسر الراء ، وإذا فُتحت ، فهو السَّقى فى القدح العظيم ، والرَّفد : القدح الضخم ، ومنه قول الأعشى :

رُبَّ رَفْدٍ هَرَقْتَهُ ذلكَ اليَوْ مَ وأَسْرَى مِنْ مَعْشَرٍ أَقْتالِ [1]

ويقال : رَفَد فلانٌ حائطه ، وذلك إذا أسنده بخشبة لئلا يسقط . والرَّفد بفتح الراء المصدر ، يقال منه : رَفَدَهُ يَرْفِده رَفْدا . والرِّفد : اسم الشىء الذى يُعطاه الإنسان ، وهو المَرْفَد .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (بِئْسَ الرِّفْدُ المَرْفُودُ) قال : لعنة الدنيا والآخرة .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (بِئْسَ الرِّفْدُ المَرْفُودُ) قال : لعنهم الله فى الدنيا ، وزيد لهم فيها اللعنة فى الآخرة .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، فى قوله (وَيَوْمَ القِيامَةِ بِئْسَ الرِّفْدُ المَرْفُودُ) قال : لعنة فى الدنيا ، وزيدوا فيها لعنة فى الآخرة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وأُتْبِعُوا فِى هَـذِهِ لَعْنَةً ، وَيَوْمَ القِيامَةِ بِئْسَ الرِّفْدُ المَرْفُودُ) يقول : ترادفت عليهم اللعنتان من الله ، لعنة فى الدنيا ، ولعنة فى الآخرة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو خالد ، عن جويبر ، عن الضحاك ، قال : أصابتهم لعنتان فى الدنيا ، رَفَدت إحداهما الأخرى ، وهو قوله (وَيَوْمَ القِيامَةِ بِئْسَ الرِّفْدُ المَرْفُودُ) .

القول فى تأويل قوله تعالى

ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ ، مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ (١٠٩)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : هذا القصص الذى ذكرناه لك فى هذه السورة ، والنبأ

(١) البيت للأعشى الأكبر ميمون (وهو الحادى والسبعون فى قصيدته الأولى بديوانه طبعة القاهرة بشرح الدكتور محمد حسين ص ١٣) . والرفد : القدح الضخم الذى يحلب فيه ، كنى به عن الموت . وأقتال : أصحاب ترات . جمع قتل بكسر ، القاف : وهو العدو ، والقرن . ورواية المؤلف : أقبال : جمع قبيل ، وهو الملك الصغير دون الملك الأعظم . ولعلها تحريف من الناسخ . والقصيدة فى مدح الأسود بن المنذر اللخمى . و فى (اللسان : رفد) : الرفد بالكسر للإناء الذى يحتلب فيه . وقال الأصمعى : الرفد ، بالفتح . وقال شمر : رفد (بفتح الراء وكسرها) .

الذى أنبأ ناكه فيها من أخبار القرى التى أهلكنا أهلها بكفرهم بالله، وتكذيبهم رسله، نقصه عليك، فنخبرك به، (مِنْها قائمٌ) يقول[1] : منها بنيانه بائد بأهله هالك ، [1]ومنها قائم بنيانه عامر ، ومنها حصيد بنيانه خراب متداع ، قد تعفى أثره دارس ، من قولهم : زرع حصيد : إذا كان قد استؤصل قطعه ، وإنما هو محصود، ولكنه صُرف إلى فعيل ، كما قد بيّنا فى نظائره .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس، قوله (ذلكَ مِنْ أنْباءِ القُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ ، مِنْها قائمٌ وحَصِيدٌ) يعنى بالقائم : قرى عامرة ، والحصيد : قرى خامدة .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (قائمٌ وحَصِيدٌ) قال : قائم على عروشها ، وحصيد : مستأصلة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (مِنْها قائمٌ) يُرى مكانه (وَحَصِيدٌ) لايُرى له أثر .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج (مِنْها قائمٌ) قال : خاوٍ على عروشه (وَحَصِيدٌ) : ملزَق بالأرض .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبيد الله ، عن سفيان ، عن الأعمش (مِنْها قائمٌ وَحَصِيدٌ) قال : خَرّ بنيانه .

حدثنا الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش (مِنْها قائمٌ وَحَصِيدٌ) قال : الحصيد : ما قد خرّ بنيانه .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (مِنْها قائمٌ وحَصِيدٌ) منها قائم يُرى أثره ، وحصيد باد لايُرى .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ۖ فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ (١٠١)

⁂ يقول تعالى ذكره : وما عاقبنا أهل هذه القُرى التى اقتصصنا نبأها عليك يا محمد بغير استحقاق منهم عقوبتنا ، فنكون بذلك قد وضعنا عقوبتناهم فى غير موضعها ، (ولَكِنْ ظَلَمُوا أنْفُسَهُمْ) يقول :

(١ - ١) ظاهر من المقام أن القرى نوعان ، منها عامر ، ومنها داثر ، فلعل العبارة الأولى زائدة من الناسخ .

ولكنهم أوجبوا لأنفسهم بمعصيتهم الله ، وكفرهم به ، عقوبته وعذابه ، فأحلوا بها ما لم يكن لهم أن يحلوه بها ، وأوجبوا لها ما لم يكن لهم أن يوجبوه لها . (فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مِنْ شَيْءٍ) يقول : فما دفعت عنهم آلهتهم التى يدعونها من دون الله ، ويدعونها أربابا ، من عقاب الله وعذابه ، إذا أحله بهم ربهم ، من شىء ، ولا ردّت عنهم شيئا منه . (لَمَّا جاءَ أَمْرُ رَبِّكَ) يا محمد . يقول : لما جاء قضاء ربك بعذابهم ، فحقّ عليهم عقابه ، ونزل بهم سَخَطه (وَما زَادُوهُمْ غيرَ تَتْبِيبٍ) يقول : وما زادتهم آلهتهم عند مجىء أمر ربك هؤلاء المشركين بعقاب الله غير تخسير وتدمير وإهلاك ، يقال منه : تبّبته أتبه تتبيبا ، ومنه قولهم للرجل : تَبًّا لك ، قال جرير :

عَرَادَةُ مِنْ بَقِيَّةِ قَوْمِ لُوطٍ ألا تَبًّا لِمَا فَعَلُوا تَبابَا[1]

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا سعيد بن سلام أبو الحسن البصرىّ ، قال : ثنا سفيان ، عن نُسير بن ذُعْلُوق ، عن ابن عمر ، فى قوله (وَما زَادُوهُمْ غيرَ تَتْبِيبٍ) قال : غير تخسير .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (غيرَ تَتْبِيبٍ) قال : تخسير .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (غيرَ تَتْبِيبٍ) يقول : غير تخسير .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (غيرَ تَتْبِيبٍ) قال : غير تخسير . وهذا الخبر من الله تعالى ذكره ، وإن كان خبرا عمن مضى من الأمم قبلنا ، فإنه وعيد من الله جلّ ثناؤه لنا أيَّتُها الأمة ، أنا إن سلكنا سبيل الأمم قبلنا فى الخلاف عليه وعلى رسوله ، سلك بنا سبيلهم فى العقوبة ، وإعلام منه لنا أنه لا يظلم أحدا من خلقه ، وأن العباد هم الذين يظلمون أنفسهم .

كما حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، قال : اعتذر ، يعنى ربنا جلّ ثناؤه إلى خلقه ، فقال (وَما ظَلَمْناهُمْ) مما ذكرنا لك من عذابنا من الأمم (وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ، فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمْ) حتى بلغ (ومازَادُوهُمْ غيرَ تَتْبِيبٍ) قال : ما زادهم الذين كانوا يعبدونهم غير تتبيب .

---

(١) البيت لجرير بن عطية بن الخطفى (ديوانه طبع القاهرة بشرح الصاوى ، من قصيدته التى يهجو فيها الراعى النميرى : ص ٧٢) وعرادة النميرى : راوية الراعى ، وجاء محرفا فى رواية المؤلف : « عرابة » . وقوله « لما فعلوا » : فى الديوان : « لما عملوا » . والتب : الخسران والهلاك ، كما فى لسان العرب . وأنشد البيت فى التاج ، وقال إنه من هجاء جرير فى رجل اسمه عرادة بفتح العين ، سمى باسم البنات ، وفيه : « صنعوا » فى مكان : « فعلوا » .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ ، إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ (١٠٢)

يقول تعالى ذكره : وكما أخذت أيها الناس أهل هذه القرى التى اقتصصت عليك نبأ أهلها، بما أخذتهم به من العذاب ، على خلافهم أمرى ، وتكذيبهم رسلى، وجحودهم آياتى ، فكذلك أخذى القرى وأهلها، إذا أخذتهم بعقابى وهم ظلمة لأنفسهم، بكفرهم بالله ، وإشراكهم به غيره ، وتكذيبهم رسله (إنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ) يقول: إن أخذ ربكم بالعقاب مَن أخذه، أليم، يقول: موجع (شَدِيدٌ) الإيجاع ،وهذا أمر من الله، تحذيرا لهذه الأمة أن يسلكوا فى معصيته طريق من قبلهم من الأمم الفاجرة، فيحلّ بهم ماحلّ بهم من المَثُلات .

كما حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا أبومعاوية ، عن يزيد بن أبى بُردة ، عن أبيه ، عن أبى موسى ، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنَّ اللهَ يُمْلِى ، ورُبَّمَا أمْهَلَ ، قال : يُمْهِلُ الظَّالِمَ، حتى إذَا أخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ ، ثم قَرَأَ (وكذلكَ أخْذُ رَبِّكَ إذَا أخَذَ القُرَى وَهِيَ ظالِمَةٌ) » .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد : إن الله حذّر هذه الأمة سطوته بقوله: (وكذلكَ أخْذُ رَبِّكَ إذَا أخَذَ القُرَى وَهِيَ ظالِمَةٌ ،إنَّ أخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ). وكان عاصم الجَحْدَرِىّ يقرأ ذلك (وكذلكَ أخْذُ[1] رَبِّكَ إذْ أخَذَ القُرَى وَهِيَ ظالِمَةٌ) وذلك قراءة لاأستجيز القراءة بها، لخلافها مصاحف المسلمين ، وما عليه قَرَأة الأمصار .

القول فى تأويل قوله تعالى

إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ، ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ ، وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ (١٠٣)

يقول تعالى ذكره : إن فى أخذنا من أخذنا من أهل القرى التى اقتصصنا خبرها عليكم أيها الناس ، الآية، يقول : لعبرة وعظة لمن خاف عقاب الله وعذابه فى الآخرة من عباده ، وحُجّة عليه لربه ، وزاجرا يزجره عن أن يعصىَ الله، ويخالفه فيما أمره ونهاه ، وقيل: بل معنى ذلك: إن فيه عبرة لمن خاف عذاب الآخرة، بأن الله سينى له بوعده .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (إنَّ فِي ذلكَ لآيَةً لِمَنْ خافَ عَذَابَ الآخِرَةِ) إنا سوف نفى لهم بما وعدناهم فى الآخرة ، كما وَفَينا للأنبياء أنا ننصرهم .

وقوله (ذلكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ) يقول تعالى ذكره: هذا اليوم، يعنى يوم القيامة (يومٌ مَجْمُوعٌ له الناسُ) ، يقول : يحشر الله له الناس من قبورهم ، فيجمعهم فيه للجزاء والثواب والعقاب ، (وَذلكَ

(١) قراءة الجحدرى : أخذ ، بصورة المصدر ، و بصورة الفعل الماضى ، كما فى القرطبى .

يَوْمٌ مَشْهُودٌ) يقول : وهو يوم تشهده الخلائق لايتخلف منهم أحد ، فينتقم حينئذ ممن عصى الله ، وخالف أمره ، وكذّب رسله .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، عن أبى بشر ، عن مجاهد ، فى قوله (ذلكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وذلكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ) قال : يوم القيامة .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، عن أبى بشر ، عن عكرمة ، مثله .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن شعبة ، عن علىّ بن زيد ، عن يوسف المكّى ، عن ابن عباس ، قال : الشاهد : محمد ، والمشهود : يوم القيامة . ثم قرأ (ذلكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ ، وَذلكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ) .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا الحجاج بن المنهال ، قال : ثنا حماد ، عن علىّ بن زيد ، عن ابن عباس ، قال : الشاهد : محمد ، والمشهود : يوم القيامة ، ثم تلا هذه الآية (ذلكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ ، وذلكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ) .

حُدثت عن المسيب عن جويبر ، عن الضحاك ، قوله (ذلكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ ، وَذلكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ) قال : ذلك يوم القيامة ، يجتمع فيه الخلق كلهم ، ويشهده أهل السماء وأهل الأرض .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ (١٠٤)

يقول تعالى ذكره : وما نؤخر يوم القيامة عنكم أن نجيئكم به إلاّ لآنٍ يُقْضَى ، فقضى له أجلا ، فعدّه وأحصاه ، فلا يأتى إلا لأجله ذلك ، لايتقدم مجيئه قبل ذلك ، ولا يتأخر .

القول فى تأويل قوله تعالى

يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ ، فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ (١٠٥) فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ ، لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ (١٠٦) خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ، إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ (١٠٧) * وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا ، فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ، عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ (١٠٨)

يقول تعالى ذكره : يوم يأتى يوم القيامة أيها الناس ، وتقوم الساعة ، لاتكلم نفس إلا بإذن ربها .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (يَوْمَ يَأْتِى) فقرأ ذلك عامة قرّاء أهل المدينة ، بإثبات الياء فيها (يَوْمَ

يَأْتِ لاتُكَلَّمُ نَفْسٌ) . وقرأ ذلك بعض قرّاء أهل البصرة وبعض الكوفيين ، بإثبات الياء فيها فى الوصل ، وحذفها فى الوقف ، وقرأ ذلك جماعة من أهل الكوفة بحذف الياء فى الوصل والوقف (يَوْمَ يَأْتِ لاتَكَلَّمُ نَفْسٌ إلاَّ بإذْنِهِ) .

⁂ والصواب من القراءة فى ذلك عندى : (يَوْمَ يَأْتِ) بحذف الياء فى الوصل والوقف ، اتباعا لخط المصحف ، وأنها لغة معروفة لهذيل ، تقول : ما أدر ما تقول ، ومنه قول الشاعر :

كَفَّاكَ كَفٌّ ما تُلِيق دِرْهَمًا جُودًا وأُخرَى تُعْطِ بالسَّيْفِ الدَّما[1]

وقيل (لاتَكَلَّمُ) وإنما هى لاتتكلم ، فحذف إحدى التاءين ، اجتزاء بدلالة الباقية منهما عليها ، وقوله (فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وسَعِيدٌ) يقول : فمن هذه النفوس التى لاتكلم يوم القيامة إلا بإذن ربها ، شقىّ وسعيد ، وعاد على النفس ، وهى فى اللفظ واحدة ، بذكر الجميع فى قوله (فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ) يقول تعالى ذكره (فأمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِى النَّارِ لهم فِيها زَفِيرٌ) لهم وهو أوّل نهُاق الحمار وشبهه ، (وَشَهِيقٌ) وهو آخر نهيقه ، إذا رددده فى الجوف عند فراغه من نهُاقه ، كما قال رُؤبة بن العجاج :

حَشْرَجَ فى الجَوْفِ سَحِيلاً أوْ شَهَقْ حتى يقالُ نَاهِق وَما نَهَقْ[2]

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (لَهُمْ فِيها زَفِيرٌ وشَهِيقٌ) يقول : صوت شديد ، وصوت ضعيف .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن أبى العالية ، فى قوله (لَهُمْ فيها زَفِيرٌ وشَهِيقٌ) قال : الزفير فى الحلق ، والشهيق فى الصدر .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبى جعفر ، عن الربيع بن أنس ، عن أبى العالية بنحوه .

---

(١) البيت أورده صاحب اللسان فى « ليق » غير منسوب . وقال : يقال : فلان ما يليق شيئا من سخائه : أى ما يمسك . وما يليق بكفه درهم (ثلاثى) : أى ما يحتبس ، وما يليقه هو : أى ما يحبسه ، ولا يلصق به ، وقال : كفاك . . . الخ . والشاهد فى البيت حذف الياء من « تعطى » على لغة هذيل .

وقال الفراء (معانى القرآن ، مصورة جامعة القاهرة ، ٢ : ١٤٧) كل ياء أو واو تسكنان ، وما قبل الواو مضموم ، وما قبل الياء مكسور ، فإن العرب تحذفها ، وتجتزى بالضمة من الواو ، وبالكسرة من الياء ، أنشدنى بعضهم : « كفاك كف . . . » البيت .

(٢) البيتان من مشطور الرجز ، وهما فى (ديوان رؤبة بن العجاج ، طبعة ليبسج سنة ١٩٠٣ وهما ال ٨٥ ، ٨٦ ص ١٠٦) . وحشرج : من الحشرجة ، وهى تردد صوت النفس ، وهى الغرغرة فى الصدر . وسحل البغل والحمار يسحل ، بفتح الحاء وكسرها فى المضارع ، سحيلا وسحالا : نهق . وشهق ، بفتح الهاء وكسرها شهيقا وشهاقا : ردد البكاء فى صدره ، وشهيق الحمار : آخر صوته ، وزفير ه أوله . ويقال : الشهيق : رد النفس ، والزفير : إخراجه . وقال الزجاج فى قوله تعالى . « لهم فيها زفير وشهيق » : الزفير والشهيق : من أصوات المكروبين . قال : والزفير : مس شديد الأنين وقبيحه . والشهيق الأنين الشديد المرتفع جدا . قال : وزعم بعض أهل اللغة من البصريين والكوفيين : أن الزفير بمنزلة ابتداء صوت الحمار من النهيق ، والشهيق بمنزلة آخر صوته فى الشهيق . وروى عن الربيع : الزفير فى الحلق ، والشهيق : فى الصدر .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن قتادة، قال : صوت الكافر فى النار صوت الحمار ، أوّله زفير ، وآخره شهيق .

حدثنا أبو هشام الرفاعى ومحمد بن معمر البحرانىّ ، ومحمد بن المثنى ، ومحمد بن بشار ، قالوا : ثنا أبو عامر، قال : ثنا سليمان بن سفيان، قال : ثنا عبد الله بن دينار ، عن ابن عمر عنهما، قال : لما نزلت هذه الآية (فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ) سألت النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فقلت : يا نبىّ الله، فعلام عملنا ؟ على شىء قد فُرِغ منه ؟ أم على شىء لم يفرَغ منه ؟ قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «عَلَى شَىْءٍ قَدْ فَرَغَ مِنْهُ يا عُمَرُ ، وَجَرَتْ بِهِ الأَقْلامُ ، وَلَكِنْ كُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ » .

اللفظ لحديث ابن معمر .

وقوله (خالِدِينَ فِيها ما دامَتِ السَّمَوَاتُ والأَرْضُ إلاَّ ما شاءَ رَبُّكَ ، إنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ) يعنى تعالى ذكره بقوله (خالِدِينَ فِيها) لابثين فيها. ويعنى بقوله (ما دامَتِ السَّمَوَاتُ والأَرْضُ)، أبدا ، وذلك أن العرب إذا أرادت أن تصف الشىء بالدوام أبدا ، قالت : هذا دائم دوام السموات والأرض، بمعنى أنه دائم أبدا، وكذلك يقولون : هو باق ما اختلف الليل والنهار، وما سَمَر لنا سَمِير، وما لألأت[1] العفر بأذنابها، يعنون بذلك كله أبدا ، فخاطبهم جلّ ثناؤه بما يتعارفون به بينهم ، فقال (خالِدِينَ فِيها ما دامَتِ السَّمَوَاتُ والأَرْضُ) . والمعنى فى ذلك : خالدين فيها أبدا .

وكان ابن زيد يقول فى ذلك بنحو ما قلنا فيه : حدثنى يونس قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله (خالِدِينَ فِيها ما دامَتِ السَّمَوَاتُ والأَرْضُ) قال : ما دامت الأرض أرضا ، والسماء سماء ، ثم قال : (إلاَّ ما شاءَ رَبُّكَ) .

واختلف أهل العلم والتأويل فى معنى ذلك ، فقال بعضهم : هذا استثناء استثناه الله فى أهل التوحيد ، أنه يخرجهم من النار إذا شاء ، بعد أن أدخلهم النار .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (فَأمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِى النَّارِ لَهُمْ فِيها زَفِيرٌ وشَهِيقٌ ، خالِدِينَ فِيها ما دامَتِ السَّمَوَاتُ والأَرْضُ إلاَّ ما شاءَ رَبُّكَ) قال : الله أعلم بثُنياه . وذُكر لنا أن ناسا يصيبهم سَفَع[2] من النار بذنوب أصابوها، ثم يدخلهم الجنة

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (خالِدِينَ فِيها ما دامَتِ السَّمَوَاتُ والأَرْضُ إلاَّ ما شاءَ رَبُّكَ) والله أعلم بثنيته : ذكر لنا أن ناسا يصيبهم سَفَع من النار، بذنوب أصابتهم ، ثم يدخلهم الله الجنة بفضل رحمته ، يقال لهم الجهنميون .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا شيبان بن فروخ ، قال : ثنا أبو هلال ، قال : ثنا قتادة ، وتلا هذه الآية (فَأمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِى النَّارِ، لَهُمْ فِيها زَفِيرٌ وشَهِيقٌ) . . . إلى قوله (لِمَا يُرِيدُ) ، فقال عند

(١) لألأت العفر بأذنابها : حركتها .

(٢) السفع بالتحريك : السواد والشحوب . وقيل نوع من السواد ليس بالكثير . (اللسان) .

ذلك: ثنا أنس بن مالك، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «يَخْرُجُ قَوْمٌ مِنَ النارِ»، قال قتادة: ولا نقول مثل ما يقول أهل حَرُوراء.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يعقوب، عن أبى مالك، يعنى ثعلبة، عن أبى سنان، فى قوله (فَأمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِى النَّارِ لَهُمْ فِيها زَفِيرٌ وشَهِيقٌ. خالِدِينَ فِيها ما دامَتِ السَّمَوَاتُ والأرْضُ إلاَّ ما شاءَ رَبُّكَ) قال: استثناء فى أهل التوحيد.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن الضحاك بن مزاحم (فَأمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِى النَّارِ) . . . إلى قوله (خالِدِينَ فِيها مادامَتِ السَّمَوَاتُ والأرْضُ إلاَّ ماشاءَ رَبُّكَ) قال: يخرج قوم من النار، فيدخلون الجنة، فهم الذين استُثْنِى لهم.

حدثنى المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثنى معاوية، عن عامر بن جَشِب[1]، عن خالد بن مَعْدان فى قوله (لابِثِينَ فيها أحْقابا)، وقوله (خالِدِينَ فِيها إلاَّ ماشاءَ رَبُّكَ) أنهما فى أهل التوحيد.

وقال آخرون: الاستثناء فى هذه الآية فى أهل التوحيد، إلا أنهم قالوا: معنى قوله (إلاَّ ماشاء ربُّكَ) إلا أن يشاء ربك أن يتجاوز عنهم، فلا يدخلهم النار، ووجهوا الاستثناء إلى أنه من قوله (فأمَّا الَّذِينَ شَقُوا، فَفِى النارِ — إلاَّ ما شاءَ رَبُّكَ) لامن الخلود.

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: ثنا ابن التيمىّ، عن أبيه، عن أبى نضرة، عن جابر أو أبى سعيد، يعنى الخدرىّ، أو عن رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فى قوله (إلاَّ ما شاءَ رَبُّكَ، إنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ) قال: هذه الآية تأتى على القرآن كله، يقول: حيث كان فى القرآن (خالِدِينَ فيها) تأتى عليه.

قال: وسمعت أبا مُجَلِّز يقول: هو جزاؤه، فإن شاء الله تجاوز عن عذابه.

وقال آخرون: عنى بذلك أهل النار، وكل من دخلها.

ذكر من قال ذلك

حُدِّثت عن المسيب عمن ذكره، عن ابن عباس (خالِدِينَ فيها مادامَتِ السَّمَوَاتُ والأرْضُ): لايموتون، ولا هم منها يخرجون، ما دامت السماوات والأرض (إلاَّ ما شاءَ رَبُّكَ) قال: استثناء الله، قال: يأمر النار أن تأكلهم، قال: وقال ابن مسعود: ليأتينّ على جهنم زمان تخفُق أبوابها، ليس فيها أحد، وذلك بعد ما يلبثون فيها أحقابا.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن بيان، عن الشعبىّ، قال: جهنم أسرع الدارين عمرانا، وأسرعهما خرابا.

وقال آخرون: أخبرنا الله بمشيئته لأهل الجنة، فعرفنا معنى ثُنياه بقوله (عَطاءً غيرَ مَجْذُوذٍ): أنها

(١) عامر بن جشب، بفتح الجيم وكسر المعجمة: أبو خالد الحمصى، عن خالد بن معدان، وعنه معاوية بن صالح. قال الدارقطنى: ثقة، لم يسمع من أبى الدرداء (خلاصة الخزرجى).

فى الزيادة على مقدار مدة السماوات والأرض ، قال : ولم يخبرنا بمشيئته فى أهل النار ، وجائز أن تكون مشيئته فى الزيادة ، وجائز أن تكون فى النقصان .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (خالدِينَ فيها ما دَامَتِ السَّمَوَاتُ والأرْضُ إلاَّ ما شاءَ رَبُّكَ) فقرأ حتى بلغ (عَطاءً غيرَ مَجْذُوذٍ) قال : وأخبرنا بالذى يشاء لأهل الجنة ، فقال : عطاء غير مجذوذ ، ولم يخبرنا بالذى يشاء لأهل النار .

⁂ وأولى هذه الأقوال فى تأويل هذه الآية بالصواب : القول الذى ذكرنا عن قتادة والضحاك ، من أن ذلك استثناء فى أهل التوحيد من أهل الكبائر أنه يدخلهم النار ، خالدين فيها أبدا ، إلا ماشاء من تركهم فيها أقلّ من ذلك ، ثم يخرجهم ، فيدخلهم الجنة ، كذا قد بيَّنا فى غير هذا الموضع ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .

وإنما قلنا : ذلك أولى الأقوال بالصحة فى ذلك : لأن الله جلّ ثناؤه أوعد أهل الشرك به الخلودَ فى النار ، وتظاهرت بذلك الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فغير جائز أن يكون استثناء فى أهل الشرك ، وأن الأخبار قد تواترت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أن الله يدخل قوما من أهل الإيمان به بذنوب أصابوها النار ، ثم يخرجهم منها فيدخلهم الجنة ، فغير جائز أن يكون ذلك استثناء فى أهل التوحيد قبل دخولها ، مع صحة الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بما ذكرنا ، وأنا إن جعلناه استثناء فى ذلك ، كنا قد دخلنا فى قول من يقول : لايدخل الجنة فاسق ، ولا النار مؤمن ، وذلك خلاف مذاهب أهل العلم ، وما جاءت به الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإذا فسد هذان الوجهان ، فلا قول قال به القدوة من أهل العلم إلا الثالث ، ولأهل العربية فى ذلك مذهب غير ذلك سنذكره بعد ، ونبينه إن شاء الله تعالى .

وقوله (إنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ) يقول تعالى ذكره : إن ربك يا محمد لايمنعه مانع من فعل ما أراد فعله بمن عصاه وخالف أمره ، من الانتقام منه ، ولكنه يفعل مايشاء ، فيمضى فعله فيهم ، وفيمن شاء من خلقه فعلَه وقضاءه .

اختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء المدينة والحجاز والبصرة وبعض الكوفيين (وأمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا) بفتح السين . وقرأ ذلك جماعة من قرّاء الكوفة (وأمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا) بضم السين ، بمعنى : رُزقوا السعادة .

⁂ والصواب من القول فى ذلك : أنهما قراءتان معروفتان ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب الصواب .

فإن قال قائل : وكيف قيل (سُعِدُوا) فيما لم يُسَمّ فاعله ، ولم يقل : أسعدوا ، وأنت لاتقول فى الخبر فيما سُمى فاعله سَعَده الله ، بل إنما تقول : أسعده الله ؟ قيل : ذلك نظير قولهم : هو مجنون ، محبوب فيما لم يسمّ فاعله ، فإذا سموا فاعله ، قيل : أجنه الله وأحبه ، والعرب تفعل ذلك كثيرا . وقد بيَّنا بعض ذلك فيما مضى من كتابنا هذا .

وتأويل ذلك : وأما الذين سُعدوا برحمة الله، فهم فى الجنة، خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض ، يقول : أبدا ، إلا ما شاء ربك .

فاختلف أهل التأويل فى معنى ذلك ، فقال بعضهم : إلا ماشاء ربك من قدر ما مكثوا فى النار ، قبل دخولهم الجنة ، قالوا : وذلك فيمن أخرج من النار من المؤمنين ، فأدخل الجنة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الضحاك ، فى قوله (وأمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِى الجَنَّةِ ، خالِدِينَ فِيها ما دَامَتِ السَّمَوَاتُ والأرْضُ ، إلاَّ ما شاءَ رَبُّكَ) قال : هو أيضا فى الذين يخرجون من النار ، فيدخلون الجنة ، يقول : خالدين فى الجنة ما دامت السماوات والأرض ، (إلاَّ ما شاءَ رَبُّكَ) يقول : إلا ما مكثوا فى النار حتى أدخلوا الجنة .

وقال آخرون : معنى ذلك : إلا ما شاء ربك من الزيادة على قدر مدّة دوام السماوات والأرض ، قالوا : وذلك هو الخلود فيها أبدا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن أبى مالك ، يعنى ثعلبة ، عن أبى سنان (وأمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِى الجَنَّةِ ، خالِدِينَ فِيها ما دَامَتِ السَّمَوَاتُ والأرْضُ ، إلاَّ ما شاءَ رَبُّكَ) قال : ومشيئته خلودهم فيها ، ثم أتبعها فقال (عَطاءً غيرَ مَجْذُوذٍ) .

واختلف أهل العربية فى وجه الاستثناء فى هذا الموضع : فقال بعضهم [1] فى ذلك معنيان : أحدهما أن تجعله استثناء يستثنيه ولا يفعله ، كقولك : والله لأضربنك ، إلا أن أرى غير ذلك ، وعزمك على ضربه [2] ، قال : فكذلك قال (خالِدِينَ فِيها ما دَامَتِ السَّمَوَاتُ والأرْضُ إلاَّ ما شاءَ رَبُّكَ) ولا يشاؤه . قال : والقول الآخر : أن العرب إذا استثنت شيئا كثيرا مع مثله ، ومع ما هو أكثر منه كان معنى إلا ومعنى الواو : « سِوى » ؛ فمن ذلك قوله (خالِدِينَ فِيها ما دَامَتِ السَّمَوَاتُ والأرْضُ) ، سوى ما شاء الله من زيادة الخلود ، فيجعل « إلا » مكان « سوى » فيصلح ، وكأنه قال : خالدين فيها ما دامت [3] السماوات والأرض سِوَى مازادهم من الخلود والأبد ؛ ومثله فى الكلام أن تقول : لى عليك ألف إلا الألفين اللذين قبله [4] . قال : وهذا أحبّ الوجهين إلىّ ، لأن الله لايخلف وعده . وقد وصل الاستثناء بقوله (عَطاءً غيرَ مَجْذُوذٍ) ، فدلّ على أن الاستثناء لهم بقوله فى الخلود ، غير منقطع عنهم .

وقال آخر منهم بنحو هذا القول ، وقالوا : جائز فيه وجه ثالث ، وهو أن يكون استثنى من خلودهم فى الجنة ، احتباسهم عنها ما بين الموت والبعث ، وهو البرزخ ، إلى أن يصيروا إلى الجنة ، ثم هو خلود الأبد ، يقول : فلم يغيبوا عن الجنة إلا بقدر إقامتهم فى البرزخ .

(١) القائل : هو الفراء فى كتابه معانى القرآن ، فى سورة هود .
(٢) فى معانى القرآن : وعزيمتك على ضربه .
(٣) فى معانى القرآن : مقدار ما كانت .
(٤) فى معانى القرآن : اللذين من قبل فلان .

وقال آخر منهم : جائز أن يكون دوام السماوات والأرض بمعنى الأبد على ما تعرف العرب وتستعمل وتستثنى المشيئة من دوامها ، لأن أهل الجنة وأهل النار قد كانوا فى وقت من أوقات دوام السماوات والأرض فى الدنيا ، لافى الجنة ، فكأنه قال : خالدين فى الجنة ، وخالدين فى النار ، دوام السماء والأرض (إلاَّ ما شاءَ رَبُّكَ)من تعميرهم فى الدنيا قبل ذلك .

⁂ وأولى الأقوال فى ذلك عندى بالصواب : القول الذى ذكرته عن الضحاك ، وهو (وأمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الجَنَّةِ خالِدِينَ فِيها ما دامَتِ السَّمَوَاتُ والأرْضُ ، إلاَّ ما شاءَ رَبُّكَ) من قدر مكثهم فى النار ، من لدن دخلوها ، إلى أن أدخلوا الجنة ، وتكون الآية معناها الخصوص ، لأن الأشهر من كلام العرب فى « إلا » توجيهها إلى معنى الاستثناء ، وإخراج معنى مابعدها مما قبلها ، إلا أن يكون معها دلالة تدل على خلاف ذلك،ولا دلالة فى الكلام ، أعنى فى قوله (إلاَّ ما شاءَ رَبُّكَ) تدلّ على أن معناها غير معنى الاستثناء المفهوم فى الكلام ، فيوجه إليه .

وأما قوله (عَطاءً غيرَ مَجْذُوذٍ) فإنه يعنى عطاء من الله غير مقطوع عنهم ، من قولهم : جذذت الشىء أجذّه جذّا : إذا قطعته ، كما قال النابغة :

تَجُذُّ السَّلُوقِيَّ المُضَاعَفَ نَسْجُهُ ويُوقِدْنَ بالصُّفَّاحِ نارَ الحُباحِبِ [1]

يعنى بقوله : تجذّ : تقطع .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا المحاربى ، عن جويبر ، عن الضحاك (عَطاءً غيرَ مَجْذُوذٍ) قال : غير مقطوع .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (عَطاءً غيرَ مَجْذُوذٍ) يقول : غير منقطع .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس « عَطاءً غيرَ مَجْذُوذٍ) يقول : عطاء غير مقطوع .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : مجذوذ ، قال : مقطوع .

---

(١) البيت للنابغة الذبيانى (انظر مختار الشعر الجاهلى ، بشرح مصطفى السقا ، طبعة الحلبى ص ١٦١) . والرواية فيه : « تقد » فى موضع « تجذ » . قال فى اللسان : الجذ : كسر الشىء الصلب ، جذذته كسرته وقطعته . وجذه يجذه جذا ، فهو مجذوذ وجذيذ . وقال فى (قدد) : القد : القطع المستأصل ، والشق طولا ، والانقداد : الانشقاق . وقال ابن دريد هو القطع المستطيل . اه . والقد قطع الجلد وشق الثوب ونحو ذلك . وضربه بالسيف فقده بنصفين . والسلوقى : درع ينسب إلى سلوق ، وهى مدينة باليمن وقيل بالشام . والمضاعف : الذى نسج حلقتين حلقتين . والصفاح : حجارة عراض . والمقصود هنا : ما يجعل على الرأس من البيض ، وعلى الساعد من الحديد . والحباحب : ذباب له شعاع بالليل ، يقول : إذا اصطدمت السيوف بالدروع ، أخرجت نارا كضوء الحباحب .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (عَطاءً غيرَ مَجْذُوذٍ) قال : غير مقطوع .

قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن أبيه ، عن الربيع ، عن أبى العالية ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، مثله .

قال : ثنى حجاج ، عن أبى جعفر ، عن الربيع بن أنس ، عن أبى العالية ، قوله (عَطاءً غيرَ مَجْذُوذٍ) قال : أما هذه فقد أمضاها ، يقول : عطاء غير منقطع .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (عَطاءً غيرَ مَجْذُوذٍ) غير منزوع منهم .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰؤُلَاءِ ، مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُهُم مِّن قَبْلُ ، وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ (١٠٩)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : فلا تك فى شكّ يامحمد مما يعبد هؤلاء المشركون من قومك من الآلهة والأصنام ، أنه ضلال وباطل ، وأنه بالله شرك ، ما يعبد هؤلاء إلا كما يعبد آباؤهم من قبل ، يقول : إلا كعبادة آبائهم من قبل عبادتهم لها ؛ يخبر تعالى ذكره أنهم لم يعبدوا ماعبدوا من الأوثان إلا اتباعا منهم منهاج آبائهم ، واقتفاء منهم آثارهم فى عبادتهموها ، لاعن أمر الله إياهم بذلك ، ولا بحجة تبينوها توجب عليهم عبادتها ، ثم أخبر جلّ ثناؤه نبيه ما هو فاعل بهم ، لعبادتهم ذلك ، فقال جلّ ثناؤه : (وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غيرَ مَنْقُوصٍ) يعنى : حظهم مما وعدتهم أن أُوَفِّيَهموه ، من خير أو شرّ ، غير منقوص ، يقول : لاأنقصهم مما وعدتهم ، بل أتمم ذلك لهم ، على التمام والكمال .

كما حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى عن سفيان ، عن جابر ، عن مجاهد ، عن ابن عباس (وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غيرَ مَنْقُوصٍ) قال : ما وُعِدوا فيه من خير أو شرّ .

حدثنا أبو كريب ومحمد بن بشار ، قالا : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن جابر ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، مثله ، إلا أن أبا كُريب قال فى حديثه : من خير وشرّ .

حدثنى المثنى ، قال : أخبرنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن شريك ، عن جابر ، عن مجاهد عن ابن عباس (وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غيرَ مَنْقُوصٍ) قال : ما قدّر لهم من الخير والشرّ .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزّاق ، قال : أخبرنا الثورىّ ، عن جابر ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، فى قوله (وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غيرَ مَنْقُوص) قال : ما يصيبهم من خير أوشرّ .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله (وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غيرَ مَنْقُوصٍ) قال : نصيبهم من العذاب .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ ، وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ ، وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ (١١٠)

يقول تعالى ذكره مسليا نبيه فى تكذيب مشركى قومه إياه ، فيما أتاهم به من عند الله بفعل بنى إسرائيل بموسى ، فيما أتاهم به من عند الله ، يقول له تعالى ذكره : ولا يحزنك يامحمد تكذيب هؤلاء المشركين لك ، وامض لما أمرك به ربك ، من تبليغ رسالته ، فإن الذى يفعل بك هؤلاء من ردّ ما جئتهم به عليك من النصيحة ، من فعل ضُرَبائهم من الأمم قبلهم ، وسنة من سننهم ؛ ثم أخبره جلّ ثناؤه بما فعل قوم موسى به ، فقال (وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الكِتَابَ) يعنى التوراة ، كما آتيناك الفرقان ، فاختلف فى ذلك الكتاب قوم موسى ، فكذّب به بعضهم ، وصدق به بعضهم ، كما قد فعل قومك بالفُرْقان من تصديق بعض به ، وتكذيب بعض (وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ) يقول تعالى ذكره : ولولا كلمة سبقت يا محمد من ربك ، بأنه لايعجل على خلقه بالعذاب ، ولكن يتأنى حتى يبلغ الكتاب أجله (لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ) يقول : لقضى بين المكذّب منهم به ، والمصدّق بإهلاك الله المكذّب به منهم ، وإنجائه المصدّق به (وإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٌ) يقول : وإن المكذّبين به منهم لفى شكّ من حقيقته ، أنه من عند الله ؛ مريب : يقول : يريبهم ، فلا يدرون أحقّ هو أم باطل ؟ ولكنهم فيه ممترون .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَإِنَّ كُلًّا لَمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ ، إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (١١١)

اختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته جماعة من قرّاء أهل المدينة والكوفة (وَإِنَّ) مشددة (كُلًّا لَمَّا) مشدّدة .

واختلف أهل العربية فى معنى ذلك ، فقال بعض نحوِيّى الكوفيين : معناه : إذا قرئ كذلك : وإنّ كلا لما ليوفينهم ربك أعمالهم ، ولكن لما اجتمعت الميمات حذفت واحدة ، فبقيت ثنتان ، فأدغمت واحدة فى الأخرى ، كما قال الشاعر :

وإِنّنِى لَمَّا أُصْدِرُ الأَمْرَ وَجْهَهُ إِذَا هُوَ أَعْيَا بالنَّبِيلِ مَصَادِرُهْ[1]

(١) أورد البيت القرطبى فى تفسيره الجامع لأحكام القرآن (طبعة دار الكتب المصرية ٩ : ١٠٥) وروايته فيه (بالسبيل) فى موضع (بالنبيل). استشهد به كما استشهد المؤلف على أن « لما » أصلها « لمن ما » فقلبت النون ميما ، واجتمعت ثلاث ميمات ، فحذفت الوسطى ، فصارت « لما » . وما على هذا القول بمعنى (من) تقديره : وإن كلا لمن الذين ، كقولهم : « وإنى . . . . » البيت . =

ثم تخفف كما قرأ بعض القرّاء (والبَغْىَ يَعِظُكُمْ) يخفف الياء مع الياء ، وذكر أن الكسائى أنشده :

وأشْمَتَّ العُدَاةَ بِنا فَأضْحَوْا لَدَىْ يَتَباشَرُونَ بِمَا لَقِينا[1]

وقال : يريد : لدىَّ يتباشرون بما لقينا ، فحذف ياءً ، لحركتهن واجتماعهن ؛ قال : ومثله :

كانَ مِنْ آخِرِها إلْقادِمِ مَخْرِمُ نَجْدٍ فارِعِ المَخارِمِ[2]

وقال : إلى القادم ، فحذف اللام عند اللام .

وقال آخرون : معنى ذلك إذا قرئ كذلك (وإنَّ كُلاًّ) شديدا وحقا ، ليوفينهم ربك أعمالهم ، قال : وإنما يراد إذا قرئ ذلك كذلك (وَإنَّ كُلاًّ لَمَّا) بالتشديد والتنوين ، ولكن قارئ ذلك كذلك ، حذف منه التنوين ، فأخرجه على لفظ «فَعْلَى» : لَمَّا ، كما فعل ذلك فى قوله (ثُمَّ أرْسَلْنا رُسُلَنا تَتْرَى) فقرأ تترًى بعضهم بالتنوين ، كما قرأ من قرأ (لَمَّا) بالتنوين ، وقرأ آخرون بغير تنوين ، كما قرأ (لَمَّا) بغير تنوين من قرأه . وقالوا : أصله من اللمّ من قول الله تعالى (وَتَأكُلُونَ التُّراثَ أكْلاً لَمًّا) يعنى : أكلا شديدا .

وقال آخرون : معنى ذلك إذا قرئ كذلك : وإن كلا «إلاّ» ليوفينهم ، كما يقول القائل : لقد قمت عنا ، وبالله إلاّ قمت عنا . ووجدت عامة أهل العلم بالعربية ينكرون هذا القول ، ويأبون أن يكون جائزا توجيه «لَمَّا» إلى معنى « إلاّ » فى اليمين خاصة ؛ وقالوا : لو جاز أن يكون ذلك بمعنى إلا ، جاز أن يقال : قام القوم لما أخاك ، بمعنى : إلاّ أخاك ، ودخولها فى كل موضع صلح دخول إلاّ فيه .

وأنا أرى أن ذلك فاسد من وجه هو أبين مما قاله الذين حكينا قولهم من أهل العربية إنّ فى فساده ، وهو أنّ إثبات للشىء وتحقيق له ، وإلاّ أيضا تحقيق أيضا ، وإنما تدخل نقضا لجحد قد تقدمها ، فإذا كان ذلك معناها ، فواجب أن تكون عند متأوّلها التأويل الذى ذكرنا عنه ، أن تكون بمعنى الجحد عنده ، حتى تكون إلاّ نقضا لها ، وذلك إن قاله قائل ، قول لايخفى جهل قائله ، اللهمّ إلا أن يخفف قارئ «إنَّ» فيجعلها بمعنى «إن» التى تكون بمعنى الجحد . وإن فعل ذلك ، فسدت قراءته ذلك كذلك أيضا من وجه آخر ، وهو أنه يصير حينئذ ناصبا لكلّ بقوله : ليوفينهم ، وليس فى العربية أن يَنْصِب مابعد « إلاّ » من الفعل ، الاسم الذى قبلها ، لاتقول

قال القرطبى : وزيف الزجاج هذا القول ، وقال : « من » : اسم على حرفين فلا يجوز حذفه . وقال الفراء فى معانى القرآن (مصورة جامعة القاهرة ص ١٤٨ ج ٢) : وأما من شدد لما ، فإنه والله أعلم ، أراد : لمن ما ليوفينهم ، فلما اجتمعت ثلاث ميمات ، حذف واحدة ، فبقيت ثنتان ، فأدغمت فى صاحبتها ، كما قال الشاعر :

وإنّنى لَمَّا أُصْدِرُ الأمْرَ وَجْهَهُ إذَا هُوَ أعْيا بالنَّبِيلِ مَصَادِرُهُ

(١) البيت من شواهد الكسائى ، أنشده الفراء فى معانى القرآن (مصورة جامعة القاهرة رقم ٢٤٠٩٥ ج ٢ ص ١٤٨) ، وهو شاهد على التخفيف ، بحذف بعض الحروف المكررة فى الكلمة ، قال بعد الكلام على تخفيف لما : وبعد الشاهد السابق مباشرة : « ثم يخفف ، كما قرأ بعض القراء : » والبغى يعظكم بحذف الياء عند الياء . أنشد فى الكسائى : « وأشمت العداة بنا فأضحوا . . . » البيت معناه : لدى يتباشرون ، فحذف لاجتماع الياء .

(٢) البيت من شواهد الفراء فى معانى القرآن (مصورة جامعة القاهرة رقم ٢٤٠٥٩ ج ٢ : ١٤٨) وهو (مثل الشاهد قبله) شاهد على التخفيف بحذف بعض الحروف . قال بعد أن أنشد البيت : أراد : إلى القادم ، فحذف اللام .

العرب : مازيدا إلاّ ضربت ، فيفسد ذلك إذا قرئ كذلك من هذا الوجه ، إلا أن يرفع رافعٌ الكلّ ، فيخالف بقراءته ذلك كذلك قراءة القرّاء ، وخطّ مصاحف المسلمين ، ولا يخرج بذلك من العيب بخروجه من معروف كلام العرب .

وقد قرأ ذلك بعض قراء الكوفيين (وَإنْ كُلاًّ) بتخفيف إن ونصب (كلاًّ لَمَّا) مشددة ؛ وزعم بعض أهل العربية أن قارئ ذلك كذلك أراد «إنّ» الثقيلة فخففها . وذُكر عن أبى زيد البصرىّ ، أنه سمع : كأن ثَدْيَيه حُقَان ، فنصب بكأنْ ، والنون مخففة من كأنّ ؛ ومنه قول الشاعر :

وَوَجْهٌ مُشْرِقٌ النَّحْرِ كَأَنْ ثَدْيَيْهِ حُقَّانِ[1]

وقرأ ذلك بعض المدنيين بتخفيف « إنّ » ونصب « كُلاًّ » وتخفيف « لَمَا » . وقد يحتمل أن يكون قارئ ذلك كذلك قصد المعنى الذى حكيناه عن قارئ الكوفة ، من تخفيفه نون «إنّ» وهو يريد تشديدها ، ويريد بما التى فى «لَمَا» التى تدخل فى الكلام صلة ، وأن يكون قصد إلى تحميل الكلام معنى : وإنْ كُلاًّ ليوفينهم ؛ ويجوز أن يكون معناه : كان فى قراءته ذلك كذلك : وإنْ كُلاًّ ليوفينهم أىْ ليوفّينّ كُلاًّ ، فيكون نيته فى نصب كلّ كانت بقوله : لَيوفينهم ، فإن كان ذلك أراد ، ففيه من القبح ما ذكرت من خلافه كلام العرب ، وذلك أنها لاتنصب بفعل بعد لام اليمين اسما قبلها .

وقرأ ذلك بعض أهل الحجاز والبصرة « وإنّ » مشددة (كُلاًّ لَمَا) مخففة (لَيُوَفِّيَنَّهُمْ) . ولهذه القراءة وجهان من المعنى : أحدهما : أن يكون قارئها أراد : وإنّ كُلاًّ لَمَنْ ليوفينهم ربك أعمالهم ، فيوجه « ما » التى فى « لما » إلى معنى « مَنْ » ، كما قال جلّ ثناؤه (فانْكِحُوا ما طابَ لَكُمْ مِنَ النِّساءِ) وإن كان أكثر استعمال العرب لها فى غير بنى آدم ، وينوى باللام التى فى «لَمَا» : اللام التى يُتَلَقَّى بها « إن» جوابا لها ، وباللام التى فى قوله (لَيُوَفِّيَنَّهُمْ) لام اليمين ، دخلت فيما بين ما وصلتها ، كما قال جلّ ثناؤه (وَإنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ) وكما يقال : هذا ما لَغيرُه أفضلُ منه . والوجه الآخر : أن يجعل « ما » التى فى « لَمَا » بمعنى « ما » التى تدخل صلة فى الكلام ، واللام التى فيها هى اللام التى يجاب بها ، واللام التى فى (لَيُوَفِّيَنَّهُمْ) هى أيضا اللام التى يجاب بها « إنّ » ، كرّرت وأعيدت ، إذ كان ذلك موضعها ، وكانت الأُولى مما تدخلها العرب فى غير موضعها ، ثم تعيدها بعدُ فى موضعها ، كما قال الشاعر :

فَلَوْ أنَّ قَوْمِى لَمْ يَكُونُوا أعِزَّةً لِبُعْدٍ لَقَدْ لاقَيْتُ لابُدَّ مَصْرَعا[2]

وقرأ ذلك الزهرى فيما ذكر عنه : (وَإنَّ كُلاًّ) بتشديد إنّ و (لَمَّا) بتنوينها ، بمعنى : شديدا وحقا وجميعا .

---

(١) البيت من أبيات الكتاب لسيبويه (١ : ٢٨١) قال الأعلم فى توجيهه : الشاهد فيه : تخفيف كأن ، وحذف اسمها . والتقدير : كأنه ثدياه حقان . قال : ويجوز كأن ثدييه ، على إعمال كأن مخففة . والهاء فى ثدييه عائدة على الوجه أو النحر . والمعنى : كأن ثدىى صاحبه حقان .

(٢) البيت من شواهد الفراء فى معانى القرآن (مصورة الجامعة ٢٤٠٥٩ ج ٢ : ص ١٤٨) قال : وإذا عجلت العرب باللام فى غير موضعها ، أعادوها إليه ، كقولك : إن زيدا لإليك لمحسن كان موقع اللام فى «لمحسن» ، فلما أدخلت فى إليك ، أعيدت فى « لمحسن » . ومثله قول الشاعر :

ولو أن قومى لم يكونوا أعزة . . . . . البيت

أدخلها فى بعد وليس بموضعها . ومثله قول أبى الجراح : « إنى لبحمد الله لصالح » .

⁂ وأصحّ هذه القراءات مخرجا على كلام العرب المستفيض فيهم ، قراءة من قرأ (وإنّ) بتشديد نونها ، (كُلاًّ لَمَا) بتخفيف ما (لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ) بمعنى : وإن كلّ هؤلاء الذين قصصنا عليك يا محمد قصصهم فى هذه السورة ، لَمَنْ لَيُوَفِّينهم ربك أعمالهم ، بالصالح منها : بالجزيل من الثواب ، وبالطالح منها : بالشديد من العقاب ، فتكون « ما » بمعنى « مَنْ » واللام التى فيها جوابا لإن ، واللام فى قوله (لَيُوَفِّيَنَّهُمْ) لام قسم .

وقوله (إِنَّهُ بِما يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) يقول تعالى ذكره : إن ربك بما يعمل هؤلاء المشركون بالله ، من قومك يا محمد ، خبير ، لايخفى عليه شىء من عملهم ، بلَ يخبرُ ذلك كله ويعلمُه ويحيط به ، حتى يجازيهم على جميع ذلك جزاءهم .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا ، إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (١١٢)

⁂ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : فاستقم أنت يا محمد على أمر ربك ، والدين الذى ابتعثك به ، والدعاء إليه ، كما أمرك ربك . (وَمَنْ تابَ مَعَكَ) يقول : ومن رجع معك إلى طاعة الله ، والعمل بما أمره به ربه من بعد كفره . (وَلا تَطْغَوْا) يقول : ولا تعْدُوا أمره إلى ما نهاكم عنه . (إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) يقول : إن ربكم أيها الناس بما تعملون من الأعمال كلها ، طاعتها ومعصيتها ، بصير ذو علم بها ، لايخفى عليه منها شىء ، وهو لجميعها مبصر ؛ يقول تعالى ذكره : فاتقوا الله أيها الناس ، أن يطلع عليكم ربكم وأنتم عاملون بخلاف أمره ، فإنه ذو علم بما تعملون ، وهو لكم بالمرصاد .

وكان ابن عيينة يقول فى معنى قوله (فاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ) ما حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن الزبير ، عن سفيان ، فى قوله (فاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ) قال : استقم على القرآن .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَلا تَطْغَوْا) قال : الطغيان : خلاف الله ، وركوب معصيته ، ذلك الطغيان .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ ، وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ، ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ (١١٣)

⁂ يقول تعالى ذكره : ولا تميلوا أيها الناس إلى قول هؤلاء الذين كفروا بالله ، فتقْبَلوا منهم وترضَوا أعمالهم ، فتمسكم النار بفعلكم ذلك ، وما لكم من دون الله من ناصر ينصركم ، وولىّ يليكم (ثُمَّ لاتُنْصَرُونَ) يقول : فإنكم إن فعلتم ذلك لم ينصركم الله ، بل يخليكم من نصرته ، ويسلط عليكم عدوّكم . وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَلا تَرْكَنُوا إلى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ) يعنى : الركون إلى الشرك .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن يمان ، عن أبى جعفر ، عن الربيع ، عن أبى العالية (وَلا تَرْكَنُوا إلى الَّذِينَ ظَلَمُوا) يقول : لاترضَوا أعمالهم .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، عن أبى العالية ، (وَلا تَرْكَنُوا إلى الَّذِينَ ظَلَمُوا) يقول : لاترضَوا أعمالهم ، يقول : الركون : الرضا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبى جعفر ، عن الربيع ، عن أبى العالية ، فى قوله (وَلا تَرْكَنُوا إلى الَّذِينَ ظَلَمُوا) قال : لاترضَوا أعمالهم ، فتمسكم النار .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج (وَلا تَرْكَنُوا إلى الَّذِينَ ظَلَمُوا) قال : قال ابن عباس : ولا تميلوا إلى الذين ظلموا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلا تَرْكَنُوا إلى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ) يقول : لاتلحقوا بالشرك ، وهو الذى خرجتم منه .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَلا تَرْكَنُوا إلى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ) قال : الركون : الإدهان ، وقرأ (وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ) قال : تركن إليهم ، ولا تنكر عليهم الذى قالوا ، وقد قالوا العظيم من كفرهم بالله وكتابه ورسله .

قال : وإنما هذا لأهل الكفر وأهل الشرك وليس لأهل الإسلام ، أما أهل الذنوب من أهل الإسلام ، فالله أعلم بذنوبهم وأعمالهم ، ما ينبغى لأحد أن يصالح على شىء من معاصى الله ، ولا يركن إليه فيها .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَأَقِمِ الصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ ، إِنَّ الْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّـَٔاتِ ، ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ (١١٤)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : (وَأَقِمِ الصَّلاةَ) يا محمد ، يعنى صلِّ (طَرَفَيِ النَّهارِ) ، يعنى الغداة والعشىّ .

واختلف أهل التأويل فى التى عنيت بهذه الآية من صلوات العشىّ ، بعد إجماع جميعهم على أن التى عنيت من صلاة الغد : الفجر ، فقال بعضهم : عنيت بذلك صلاة الظهر والعصر ، قالوا : وهما من صلاة العشىّ .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (أقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهارِ) قال : الفجر ، وصلاتى العشىّ ، يعنى : الظهر ، والعصر .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو نعيم ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد مثله .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثورىّ ، عن منصور ، عن مجاهد ، فى قوله (أقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهارِ) قال : صلاة الفجر ، وصلاة العشىّ .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن أفلح بن سعيد ، قال : سمعت محمد ابن كعب القُرَظِىّ يقول (أقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهارِ) قال : فطرفا النهار : الفجر والظهر والعصر .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا أبو معشر ، عن محمد بن كعب القُرَظِىّ (أقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهارِ) قال : الفجر ، والظهر ، والعصر .

وقال آخرون : بل عُنِى بها صلاة المغرب .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، فى قوله (أقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهارِ) يقول : صلاة الغداة ، وصلاة المغرب .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا يحيى ، عن عوف ، عن الحسن (أقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهارِ) قال : صلاة الغداة ، والمغرب .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (أقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهارِ) الصبح ، والمغرب .

وقال آخرون : عنى بها صلاة العصر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبدة بن سليمان ، عن جويبر ، عن الضحاك ، فى قوله (أقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهارِ) قال : صلاة الفجر ، والعصر .

قال : ثنا زيد بن حباب ، عن أفلح بن سعيد القُبائِىّ ، عن محمد بن كعب (أقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهارِ) الفجر ، والعصر .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، قال : ثنا أبو رجاء ، عن الحسن ، فى قوله (أقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهارِ) قال : صلاة الصبح وصلاة العصر .

حدثنى الحسين بن علىّ الصدائى ، قال : ثنا أبى ، قال : ثنا مبارك ، عن الحسن ، قال : قال الله لنبيه (أقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهارِ) قال : طرفى النهار : الغَداة ، والعَصر .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (أقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهارِ) يعنى صلاة العصر والصبح .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن مُبارك بن فضالة ، عن الحسن (أقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهارِ) الغداة ، والعصر .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا زيد بن حباب ، عن أفلح بن سعيد ، عن محمد بن كعب (أقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهارِ) الفجر ، والعصر .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو عامر ، قال : ثنا قرة ، عن الحسن (أقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهارِ) قال : الغداة ، والعصر .

وقال بعضهم : بل عنى بطرفى النهار : الظهر ، والعصر ؛ وبقوله (زُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ) : المغرب ، والعشاء ، والصبح .

⁂ وأولى هذه الأقوال فى ذلك عندى بالصواب : قول من قال : هى صلاة المغرب ، كما ذكرنا عن ابن عباس .

وإنما قلنا : هو أولى بالصواب ، لإجماع الجميع على أن صلاةَ أحد الطرفين من ذلك صلاةُ الفجر ، وهى تُصَلى قبل طلوع الشمس ، فالواجب إذ كان ذلك من جميعهم إجماعا أن تكون صلاة الطرف الآخر المغرب ، لأنها تصلى بعد غروب الشمس ، ولو كان واجبا أن يكون مرادا بصلاة أحد الطرفين قبل غروب الشمس ، وجب أن يكون مرادا بصلاة الطرف الآخر بعد طلوعها ، وذلك مالا نعلم قائلا قاله ، إلا من قال : عنى بذلك صلاة الظهر والعصر ، وذلك قول لا نحيل فساده ، لأنهما إلى أن يكونا جميعا من صلاة أحد الطرفين ، أقرب منهما إلى أن يكونا من صلاة طرفى النهار ، وذلك أن الظهر لا شكّ أنها تصلى بعد مضىّ نصف النهار فى النصف الثانى منه ، فمحال أن تكون من طرف النهار الأوّل ، وهى فى طرفه الآخر ، فإذا كان لا قائل من أهل العلم يقول : عنى بصلاة طرف النهار الأوّل ، صلاةٌ بعد طلوع الشمس ، وجب أن يكون غير جائز أن يقال : عنى بصلاة طرف النهار الآخر : صلاة قبل غروبها ، وإذا كان ذلك كذلك ، صحّ ما قلنا فى ذلك من القول ، وفسد ما خالفه .

وأما قوله (وَزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ) فإنه يعنى : ساعات من الليل ، وهى جمع زُلْفة ، والزلفة : الساعة ، والمنزلة ، والقُرْبة . وقيل : إنما سميت المزدلفة وجُمَع : من ذلك ، لأنها منزل بعد عرفة . وقيل : سميت بذلك لازدلاف آدم من عَرَفة إلى حوّاء وهى بها ؛ ومنه قول العجّاج فى صفة بعير :

ناجٍ طَوَاهُ الأيْنُ مِمَّا وَجَفا طَىَّ اللَّيالى زُلَفاً فَزُلَفَا (١)

واختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء المدينة والعراق (وَزُلَفاً) بضم الزاى ، وفتح اللام . وقرأه بعض أهل المدينة بضم الزاى واللام ، كأنه وجهه إلى أنه واحد ، وأنه بمنزلة الحُلُم . وقرأه بعض المكيين (وزُلْفاً) بضم الزاى ، وتسكين اللام .

وأعجب القراءآت فى ذلك إلىّ ، أن أقرأها (وَزُلَفاً) بضم الزاى وفتح اللام ، على معنى جمع زُلْفة ،

(١) البيتان للعجاج من مشطور الرجز (ديوانه طبع ليبسج سنة ١٩٠٣ ص ٨٤) . وهما فى وصف جمل . والناجى : المسرع فى السير . وطواه : هزله وأضمره . والأين : الإعياء والتعب . ووجف : سار مسرعا ، والوجيف : ضرب من السير فيه اضطراب . وزلفا فزلفا : قال فى اللسان : منزلة بعد منزلة ، ودرجة بعد درجة .

كما تجمع غرفة غُرَف ، وحجرة حُجَر . وإنما اخترت قراءة ذلك كذلك ، لأن صلاة العشاء الآخرة إنما تصلى بعد مضىّ زلف من الليل ، وهى التى عنيت عندى بقوله (وزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ) .

وبنحو الذى قلنا فى قوله (وَزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ) قال جماعة من أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (وَزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ) قال : الساعات من الليل صلاة العتمة .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس (زُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ) يقول : صلاة العتمة .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا يحيى ، عن عوف ، عن الحسن (وَزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ) قال : العشاء .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا يحيى بن آدم ، عن سفيان ، عن عبيد الله بن أبى يزيد ، قال : كان ابن عباس يعجبه التأخير بالعشاء ، ويقرأ (وَزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ) قال : ساعة من الليل : صلاة العتمة .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ) قال : العتمة ، وما سمعت أحدا من فقهائنا ومشايخنا ، يقول : العشاء ، ما يقولون إلا العتمة .

وقال قوم : الصلاة التى أمر النبىّ صلى الله عليه وسلم بإقامتها زلفا من الليل ، صلاة المغرب والعشاء .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يعقوب بن إبراهيم وابن وكيع ، واللفظ ليعقوب ، قالا : ثنا ابن علية ، قال : ثنا أبو رجاء عن الحسن (وَزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ) قال : هما زلفتان من الليل : صلاة المغرب ، وصلاة العشاء .

حدثنا ابن حميد وابن وكيع ، قالا : ثنا جرير ، عن أشعث ، عن الحسن ، فى قوله (وَزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ) قال : المغرب ، والعشاء .

حدثنى الحسن بن علىّ ، قال : ثنا أبى ، قال : ثنا مبارك ، عن الحسن ، قال الله لنبيه صلى الله عليه وسلم (أقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهارِ وَزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ) قال : زلفا من الليل : المغرب ، والعشاء ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هُما زُلْفَتَا اللَّيْلِ : المَغْرِبُ والعِشاءُ » .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (وَزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ) قال : المغرب ، والعشاء .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثورىّ ، عن منصور ، عن مجاهد مثله .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو نعيم ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، مثله .

قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن المبارك بن فضالة ، عن الحسن ، قال : قد بين الله مواقيت الصلاة فى القرآن ، قال (أقِمِ الصَّلاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إلى غَسَقِ اللَّيْلِ) قال : دلوكها : إذا زالت عن بطن السماء ، وكان لها فى الأرض فىء ، وقال (أقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهارِ) الغداة ، والعصر (وَزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ) المغرب ، والعشاء . قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « هُمَا زُلْفَتَا اللَّيْلِ : المَغْرِبُ والعِشاءُ » .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ) قال : يعنى صلاة المغرب ، وصلاة العشاء .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن أفلحَ بن سعيد ، قال : سمعت محمد ابن كعب القُرَظىّ يقول (زُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ) المغرب ، والعشاء .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا زيد بن حباب ، عن أفلح بن سعيد ، عن محمد بن كعب ، مثله .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا أبو معشر ، عن محمد بن كعب القُرَظِىّ (وَزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ) المغرب ، والعشاء .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن عاصم بن سليمان ، عن الحسن ، قال : زُلْفتا الليل : المغرب ، والعشاء .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مَغْراء ، عن جويبر ، عن الضحاك ، فى قوله (وَزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ) قال : المغرب ، والعشاء .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن الأعمش ، عن عاصم ، عن الحسن (وَزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ) قال : المغرب ، والعشاء .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبدة بن سليمان ، عن جويبر ، عن الضحاك (وَزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ) قال : المغرب ، والعشاء .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن عاصم ، عن الحسن (زُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ) : صلاة المغرب والعشاء

وقوله (إنَّ الحَسَناتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئاتِ) يقول تعالى ذكره : إن الإنابة إلى طاعة الله ، والعمل بما يرضيه ، يذهب آثام معصية الله ، ويكفر الذنوب .

ثم اختلف أهل التأويل فى الحسنات التى عنى الله فى هذا الموضع ، اللاتى يذهبن السيئات ، فقال بعضهم : هنّ الصلوات الخمس المكتوبات .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن عُلَيَة ، عن الجريرىّ ، عن أبى الورد بن ثُمامة ، عن أبى محمد

ابن الحضرمىّ ، قال : ثنا كعب فى هذا المسجد ، قال : والذى نفس كعب بيده إن الصلواتِ الخمسَ لهنّ الحسنات التى يذهبن السيئات ، كما يغسل الماء الدَّرَن .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن أفلح ، قال : سمعت محمد بن كعب القُرظىّ يقول فى قوله (إنَّ الحَسَناتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئاتِ) قال : هنّ الصلوات الخمس .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثورىّ ، عن عبد الله بن مسلم ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس (إنَّ الحَسَناتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئاتِ) قال : الصلوات الخمس .

قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثورىّ ، عن منصور ، عن مجاهد (إنَّ الحَسَناتِ) الصلوات .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا يحيى ؛ وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو أسامة جميعا ، عن عوف ، عن الحسن (إنَّ الحَسَناتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئاتِ) قال : الصلوات الخمس .

حدثنى زُريق بن الشخب [1] ، قال : ثنا قَبيصة ، عن سفيان ، عن عبد الله بن مسلم ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس (إنَّ الحَسَناتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئاتِ) قال : الصلوات الخمس .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن جويبر ، عن الضحاك ، فى قوله تعالى (إنَّ الحَسَناتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئاتِ) قال : الصلوات الخمس .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن منصور ، عن الحسن ، قال : الصلوات الخمس .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا الحمّانىّ ، قال : ثنا شريك ، عن سماك ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، عن عبد الله (إنَّ الحَسَناتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئاتِ) قال : الصلوت الخمس .

قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن سعيد الجَريرىّ ، قال : ثنى أبو عثمان ، عن سلمان ، قال : والذى نفسى بيده ، إن الحسنات التى يمحو الله بهنّ السيئات ، كما يغسل الماءُ الدَّرَن : الصلوات الخمس .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا حفص بن غياث ، عن عبد الله بن مسلم ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس (إنَّ الحَسَناتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئاتِ) قال : الصلوات الخمس .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبد الله ، عن إسرائيل ، عن أبى إسحاق ، عن مَزْيَدَة بن زيد ، عن مسروق إنَّ الحَسَناتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئاتِ) قال : الصلوات الخمس .

حدثنى محمد بن عمارة الأسدىّ ، وعبد الله بن أبى زياد القَطْوانى ، قالا : ثنا عبد الله بن يزيد ، قال : أخبرنا حَيْوة ، قال : أخبرنا أبو عقيل زُهْرة بن معبد القُرشىّ من بنى تَيْم من رهط أبى بكر الصدّيق رضى الله عنه ، أنه سمع الحارث مولى عثمان بن عفان رحمه الله يقول : جلس عثمان يوما وجلسنا معه ، فجاء المؤذّن ، فدعا عثمانُ بماء فى إناء أظنه سيكون فيه قدر مدّ ، فتوضأ ، ثم قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضأ وضوئى هذا ، ثم قال « مَنْ تَوَضَّأَ وُضُوئِى هَذَا ، ثُمَّ قامَ فَصَلَّى صَلاةَ الظُّهْرِ ، غُفِرَ لَهُ

(١) لم أجد زريق بن الشخب فيما بين لدى من كتب الرجال .

ما كانَ بَيْنَهُ وَبينَ صَلاةِ الصُّبْحِ ، ثُمَّ صَلَّى العَصْرَ غُفِرَ لَهُ ما بَيْنَهُ وبينَ صَلاةِ الظُّهْرِ ، ثُمَّ صَلَّى المَغْرِبَ غُفِرَ لَهُ ما بَيْنَهُ وبينَ صَلاةِ العَصْرِ ، ثُمَّ صَلَّى العِشاءَ غُفِرَ لَهُ ما بَيْنَهُ وبين صَلاةِ المَغْرِبِ ، ثُمَّ لَعَلَّهُ يَبِيتُ لَيْلَةً يَتَمَرَّغُ ، ثُمَّ إنْ قامَ فَتَوَضَّأَ وَصَلَّى الصُّبْحَ ، غُفِرَ لَهُ ما بَيْنَها وبينَ صَلاةِ العِشاءِ ، وَهُنَّ الحَسَناتُ يُذْهِبْنَ السَّيِّئاتِ » .

حدثنى سعد بن عبد الله بن عبد الحكم ، قال : ثنا أبو زُرعة ، قال : ثنا حَيْوة ، قال : ثنا أبو عقيل ، زُهرة بن معبد ، أنه سمع الحارث مولى عثمان بن عفان رضى الله عنه ، قال : جلس عثمان بن عفان يوما على المقاعد ، فذكر نحوه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إلا أنه قال : « وَهُنَّ الحَسَناتُ ، إنَّ الحَسَناتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئاتِ » .

حدثنا ابن البرقىّ ، قال : ثنا ابن أبى مريم ، قال : أخبرنا نافع بن يزيد ، ورُشْدَين بن سعد ، قالا : ثنا زُهرة بن معبد ، قال : سمعت الحارث مولى عثمان بن عفان ، يقول : جلس عثمان بن عفان يوما على المقاعد ، ثم ذكر نحو ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إلا أنه قال « وَهُنَّ الحَسَناتُ ، إنَّ الحَسَناتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئاتِ » .

حدثنا محمد بن عوف ، قال : ثنا محمد بن إسماعيل ، قال : ثنا أبى ، قال : ثنا ضمضم بن زُرْعة ، عن شريح بن عبيد ، عن أبى مالك الأشعرىّ ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « جُعِلَتِ الصَّلَوَاتُ كَفَّارَاتٍ لِمَا بَيْنَهُنَّ ، فإنَّ اللهَ قالَ : (إنَّ الحَسَناتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئاتِ) » .

حدثنا ابن سيار القزاز ، قال : ثنا الحجاج ، قال : ثنا حماد ، عن علىّ بن زيد ، عن أبى عثمان النهدىّ ، قال : « كنت مع سلمان تحت شجرة ، فأخذ غُصْنا من أغصانها يابسا ، فهزّه حتى تحاتّ ورقه ، ثم قال : هكذا فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كنت معه تحت شجرة ، فأخذ غصنا من أغصانها يابسا فهزّه ، حتى تحاتّ ورقه ، ثم قال : « ألا تَسْأَلُنِى لِمَ أفْعَلُ هَذَا يا سَلْمانُ ؟ فقلت : ولم تفعله ؟ فقال : إنَّ المُسْلِمَ إذَا تَوَضَّأَ فَأحْسَنَ الوُضُوءَ ، ثُمَّ صَلَّى الصَّلَوَاتِ الخَمْسَ ، تَحاتَّتْ خَطَاياهُ كَمَا تَحاتَّ هَذَا الوَرَقُ ، ثُمَّ تَلا هَذِهِ الآيَةَ (أقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَىِ النَّهارِ وَزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ) . . . إلى آخر الآية » .

وقال آخرون : هو قول : سبحان الله ، والحمد لله ، ولاإله إلا الله ، والله أكبر .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا الحمّانىّ ، قال : ثنا شريك ، عن منصور ، عن مجاهد (إنَّ الحَسَناتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئاتِ) قال : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر .

⁂ وأولى التأويلين بالصواب فى ذلك : قول من قال فى ذلك : هنّ الصلوات الخمس ، لصحة الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتواترها عنه ، أنه قال : « مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الخَمْسِ مَثَلُ نَهْرٍ جارٍ

على بابِ أحَدِكُمْ ، يَنْغَمِسُ فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ ، فَماذَا يُبْقِينَ مِنْ دَرَنِهِ »، وإن ذلك فى سياق أمر الله بإقامة الصلوات ، والوعد على إقامتها ، الجزيل من الثواب عقيبها أولى من الوعد ، على ما لم يجر له ذكر من صالحات سائر الأعمال ، إذا خصّ بالقصد بذلك بعض دون بعض .

وقوله (ذلكَ ذِكْرَى للذَّاكِرِينَ) يقول تعالى : هذا الذى أوعدت عليه ، من الركون إلى الظلم ، وتهددت فيه ، والذى وعدت فيه من إقامة الصلوات اللواتى يذهبن السيئات ، تذكرة ذكّرت بها قوما يذكرون وعد الله، فيرجون ثوابه ووعيده ، فيخافون عقابه ، لامَن قد طبع على قلبه ، فلا يجيب داعيا، ولا يسمع زاجرا، وذكر أن هذه الآية نزلت بسبب رجل نال من غير زوجته ولا ملك يمينه، بعضَ مايحرم عليه ، فتاب من ذنبه ذلك .

ذكر الرواية بذلك

حدثنا هناد بن السرىّ ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن سماك ، عن إبراهيم ، عن علقمة والأسود ، قالا : قال عبد الله بن مسعود : «جاء رجل إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فقال : إنى عالجت امرأة فى بعض أقطار المدينة ، فأصبت منها ما دون أن أمسها ، فأنا هذا ، فاقض فىّ ما شئت ، فقال عمر : لقد سترك الله لو سترت على نفسك ، قال : ولم يردّ النبىّ صلى الله عليه وسلم شيئا ، فقام الرجل ، فانطلق ، فأتبعه النبىُّ صلى الله عليه وسلم رجلا ، فدعاه ، فلما أتاه قرأ عليه (أقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهارِ وَزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ ، إنَّ الحَسَناتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئاتِ ، ذلكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ) فقال رجل من القوم: هذا له يا رسول الله خاصة ؟ قال : بَلْ للنَّاسِ كافَّةً » .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ؛ وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن إسرائيل ، عن سماك بن حرب ، عن إبراهيم ، عن علقمة والأسود ، عن عبد الله، قال : « جاء رجل إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فقال : يارسول الله إنى لقيت امرأة فى البستان ، فضممتها إلىّ ، وباشرتها وقبّلتها، وفعلت بها كلّ شىء، غير أنى لم أجامعها ، فسكت عنه النبىّ صلى الله عليه وسلم، فنزلت هذه الآية (إنَّ الحَسَناتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئاتِ ، ذلكَ ذِكْرَى للذَّاكِرِينَ) ، فدعاه النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فقرأها عليه . فقال عمر : يا رسول الله ، أله خاصة ، أم للناس كافة ؟ قال : لا ، بَلْ للنَّاسِ كافَّةً » . ولفظ الحديث لابن وكيع .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن سماك بن حرب ، أنه سمع إبراهيم بن زيد ، يحدّث عن علقمة والأسود ، عن ابن مسعود، قال : «جاء رجل إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فقال : يارسول الله، إنى وجدت امرأة فى بستان ، ففعلت بها كل شىء، غير أنى لم أجامعها، قبّلتها ولزمتها ، ولم أفعل غير ذلك ، فافعل بى ماشئت ، فلم يقل له رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا، فذهب الرجل ، فقال عمر : لقد ستر الله عليه لو ستر على نفسه ، فأتبعه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بصره ، فقال : رُدُّوهُ عَلَىَّ ، فردّوه ، فقرأ عليه : (أقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهارِ وَزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ ، إنَّ

الحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ، ذلكَ ذِكْرَى للذَّاكِرِينَ ، قالَ : فقال معاذ بن جبل : ألَه وحده يا نبيّ الله ، أم للناس كافة ؟ فقال : بَلْ للنَّاسِ كافَّةً » .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا الحمّانىّ ، قال : ثنا أبوعوانة ، عن سماك ، عن إبراهيم ، عن علقمة والأسود عن عبد الله ، قال : « جاء رجل إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، أخذت امرأة فى البستان ، فأصبت منها كل شىء ، غير أنى لم أنكحها ، فاصنع بى ماشئت ، فسكت النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فلما ذهب دعاه ، فقرأ عليه هذه الآية (أقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَىِ النَّهارِ وَزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ) » .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا أبو النعمان الحكم بن عبد الله العِجْلىّ ، قال : ثنا شعبة ، عن سماك بن حرب ، قال : سمعت إبراهيم يحدّث عن خاله الأسود ، عن عبد الله : « أن رجلا لقى امرأة فى بعض طرق المدينة ، فأصاب منها ما دون الجماع ، فأتى النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فذكر ذلك له ، فنزلت (أقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَىِ النَّهارِ وَزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ ، إنَّ الحَسَناتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئاتِ ، ذلكَ ذِكْرَى للذَّاكِرِينَ) فقال معاذ بن جبل : يا رسول الله ، لهذا خاصة ، أو لنا عامّة قال : بَلْ لَكُمْ عامَّةً » .

حدثنا أبو المثنى ، قال : ثنا أبو داود ، قال : ثنا شعبة ، قال : أنبأنى سماك ، قال : سمعت إبراهيم يحدّث عن خاله ، عن ابن مسعود : « أن رجلا قال للنبىّ صلى الله عليه وسلم : لقيت امرأة فى حُشّ بالمدينة ، فأصبت منها ما دون الجماع » . . . نحوه .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا أبو قَطَن عمرو بن الهيثم البغدادىّ ، قال : ثنا شعبة ، عن سماك ، عن إبراهيم عن خاله ، عن ابن مسعود ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم ، بنحوه .

حدثنى أبو السائب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، قال : جاء فلان بن معتب : رجل من الأنصار ، فقال : يا رسول الله ، دخلت علىّ امرأة ، فنلت منها ما ينال الرجل من أهله ، إلا أنى لم أواقعها ، فلم يدر رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يجيبه ، حتى نزلت هذه الآية (أقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَىِ النَّهارِ ، وَزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ ، إنَّ الحَسَناتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئاتِ) . . . الآية ، فدعاه فقرأها عليه » .

حدثنى يعقوب وابن وكيع قالا : ثنا ابن عُلَيّة ؛ وحدثنا حميد بن مسعدة ، قال : ثنا بشر بن المفضل ؛ وحدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر بن سليمان جميعا ، عن سليمان التيمىّ ، عن أبى عثمان ، عن ابن مسعود « أن رجلا أصاب من أمراة شيئا لا أدرى مابلغ ، غير أنه مادون الزنا ، فأتى النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فذكر ذلك له ، فنزلت (أقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَىِ النَّهارِ وَزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ ، إنَّ الحَسَناتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئاتِ) فقال الرجل : ألى هذه يا رسول الله ؟ قال : لِمَنْ أخَذَ بِها مِنْ أُمَّتِى ، أوْ لِمَنْ عَمِلَ بِها » .

حدثنا أبو كريب وابن وكيع ، قالا : ثنا قَبيصة ، عن حماد بن سلمة ، عن علىّ بن زيد ، قال : كنت مع سلمان ، فأخذ غصن شجرة يابسة ، فحتّه وقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « مَنْ تَوَضَّأَ فَأحْسَنَ الوُضُوءَ تَحاتَّتْ خَطاياهُ كَمَا يَتَحاتُّ هَذَا الوَرَقُ ، ثم قال : (أقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَىِ النَّهارِ وَزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ) . . . إلى آخر الآية » .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا أبو أسامة وحسين الجُعْفِيّ عن زائدة ، قال : ثنا عبد الملك بن عمير ، عن عبد الرحمن بن أبى ليلى ، عن معاذ ، قال : « أتى رجل النبيّ صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، ماترى فى رجل لقى امرأة لايعرفها ، فليس يأتى الرجل من امرأته شيئا إلا قد أتاه منها ، غير أنه لم يجامعها ؟ فأنزل الله هذه الآية (أَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهارِ وَزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ ، إنَّ الحَسَناتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئاتِ ، ذلكَ ذِكْرَى للذَّاكِرِينَ) فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : تَوَضَّأْ ثُمَّ صَلِّ ، قال معاذ : قلت يا رسول الله ، أله خاصة ، أم للمؤمنين عامة ؟ قال : بَلْ لِلْمُؤْمِنِينَ عامَّةً » .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن عبد الملك بن عمير ، عن عبد الرحمن بن أبى ليلى « أن رجلا أصاب من امرأة ما دون الجماع ، فأتى النبيّ صلى الله عليه وسلم ، يسأله عن ذلك ، فقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو أنزلت (أَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهارِ وَزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ) . . . الآية ، فقال معاذ : يا رسول الله ، أَلَه خاصة ، أم للناس عامة ؟ قال : هِيَ لِلنَّاسِ عامَّةً » .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا أبو داود ، قال : ثنا شعبة ، عن عبد الملك بن عمير ، قال : سمعت عبد الرحمن بن أبى ليلى ، قال : « أتى رجل النبيّ صلى الله عليه وسلم » ، فذكر نحوه .

حدثنى عبد الله بن أحمد بن شبويه ، قال : ثنا إسحاق بن إبراهيم ، قال : ثنى عمرو بن الحارث ، قال : ثنى عبد الله بن سالم ، عن الزُّبيدىّ ، قال : ثنا سليم بن عامر ، أنه سمع أبا أمامة يقول : « إن رجلا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله : أقم فىّ حدّ الله ، مرّة واثنتين ، فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم أقيمت الصلاة ، فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصلاة ، قال : أيْنَ هَذَا القائِلُ : أقِمْ فِيَّ حَدَّ اللهِ ؟ قال : أناذا ، قال : هَلْ أتْمَمْتَ الوُضُوءَ ، وَصَلَّيْتَ مَعَنا آنِفاً ؟ قال : نَعَمْ ، قال : فإنَّكَ مِنْ خَطِيئَتِكَ كَما وَلَدَتْكَ أُمُّكَ ، فَلا تَعُدْ ، وأنزل الله حينئذ على رسوله (أَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهارِ وَزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ) . . . الآية » .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنى جرير ، عن عبد الملك ، عن عبد الرحمن بن أبى ليلى ، عن معاذ بن جبل « أنه كان جالسا عند النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فجاء رجل فقال : يا رسول الله ، رجل أصاب من امرأة ما لايحلّ له ، لم يدع شيئا يصيبه الرجل من امرأته إلا أتاه ، إلا أنه لم يجامعها ، قال : يَتَوَضَّأُ وُضُوءاً حَسَناً ثُمَّ يُصَلِّى ، فأنزل الله هذه الآية (أَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهارِ وَزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ) . . . الآية ، فقال معاذ : هى له يا رسول الله خاصة ، أم للمسلمين عامَّة ؟ قال : بَلْ لِلْمُسْلِمِينَ عامَّةً » .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا محمد بن مسلم ، عن عمرو بن دينار ، عن يحيى بن جعدة « أن رجلا من أصحاب النبيّ صلى الله عليه وسلم ، ذكر امرأة وهو جالس مع النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فاستأذنه لحاجة ، فأذن له ، فذهب يطلبها ، فلم يجدها ، فأقبل الرجل يريد أن يبشر النبيّ صلى الله عليه وسلم بالمطر ، فوجد المرأة جالسة على غدير ، فدفع فى صدرها ، وجلس بين رجليها ، فصار ذكره مثل الهُدْبة ، فقام نادما ، حتى أتى النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فأخبره بما صنع ، فقال له النبيّ صلى الله عليه وسلم :

اسْتَغْفِرْ رَبَّكَ ، وَصَلِّ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ ، قال : وتلا عليه (أَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهارِ وَزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ) . . . الآية » .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا قيس بن الربيع ، عن عثمان بن موهب ، عن موسى ابن طلحة ، عن أبى اليسر بن عمرو الأنصارى ، قال : « أتتنى امرأة تبتاع منى بدرهم تمرا ، فقلت : إن فى البيت تمرا أجود من هذا ، فدخلت فأهويت إليها ، فقبلتها ، فأتيت أبا بكر فسألته ، فقال : استر على نفسك وتب ، واستغفر الله ، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : أَخَلَفْتَ رَجُلاً غازِيا فِى سَبِيلِ اللهِ فِى أَهْلِهِ بِمِثْلِ هَذَا ؟ حتى ظننت أنى من أهل النار ، حتى تمنيت أنى أسلمت ساعتئذ ، قال : فأطرق رسول الله صلى الله عليه وسلم ساعة ، فنزل جبرئيل فقال : أَيْنَ أَبُو الْيُسْرِ ، فجِئتُ فقرأ عَلَىّ (أَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهارِ وَزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ) . . . إلى (ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ) قال إنسان له : يا رسول الله ، خاصة ، أم للناس عامة ؟ قال : لِلنَّاسِ عامَّةً » .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا الحمانى ، قال : ثنا قيس بن الربيع ، عن عثمان بن موهب ، عن موسى بن طلحة ، عن أبى اليسر قال : « لقيت امرأة فالتزمتها ، غير أنى لم أنكحها ، فأتيت عمر بن الخطاب ، فقال : اتق الله واستر على نفسك ، ولا تخبرنّ أحدا ، فلم أصبر حتى أتيت أبا بكر رضى الله عنه ، فسألته ، فقال اتق الله واستر على نفسك ، ولا تخبرَنّ أحدا ، قال : فلم أصبر حتى أتيت النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فأخبرته ، فقال له : هل جهزت غازيا ؟ قلت : لا ، قال : فهل خَلَفْتَ غازيا فى أهله ؟ قلت : لا ، فقال لى ، حتى تمنيت أنى كنت دخلت فى الإسلام تلك الساعة ؛ قال : فلما وليت دعانى ، فقرأ علىّ (أَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهارِ وَزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ) فقال له أصحابه : ألهذا خاصة ، أم للناس عامة ؟ فقال : بَلْ لِلنَّاسِ عامَّةً » .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنى سعيد ، عن قتادة « أن رجلا أصاب من امرأة قُبلة ، فأتى النبىّ صلى الله عليه وسلم فقال : يا نبىّ الله هلكت ، فأنزل الله (إِنَّ الْحَسَناتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئاتِ ، ذلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ) . »

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن سليمان التَّيمىّ ، قال : « ضرب رجل على كفل امرأة ، ثم أتى أبا بكر وعمر رضى الله عنهما ، فكلما سأل رجلا منهما عن كفارة ذلك ، قال : أمُغزِيَةٌ هى ؟ قال : نعم ، قال : لاأدرى . ثم أتى النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فسأله عن ذلك ، فقال : أمُغْزِيَةٌ هِيَ ؟ قال : نعم ، قال : لاأدْرِى ، حتى أنزل الله (أَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النهارِ وَزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ ، إِنَّ الْحَسَناتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئاتِ) » .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن قيس بن سعد ، عن عطاء ، فى قول الله تعالى (أَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهارِ وَزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ) « أن امرأة دخلت على رجل يبيع الدقيق ، فقبلها ، فأُسقط فى يده ، فأتى عمر ، فذكر ذلك له ، فقال : اتق الله ، ولا تكن امرأةَ غاز ،

فقال الرجل: هى امرأة غاز ، فذهب إلى أبى بكر ، فقال مثل ما قال عمر ، فذهبوا إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم جميعا ، فقال له كذلك ، ثم سكت النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فلم يجبهم ، فأنزل الله (أَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ) الصلوات المفروضات (إِنَّ الحَسَناتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئاتِ ، ذلكَ ذِكْرَى للذَّاكِرِينَ) . »

حدثنا قاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : أخبرنى عطاء بن أبى رباح ، قال : « أقبلت امرأة حتى جاءت إنسانا يبيع الدقيق ، لتبتاع منه ، فدخل بها البيت ، فلما خلا له قبّلها ، قال : فسُقط فى يديه ، فانطلق إلى أبى بكر ، فذكر ذلك له ، فقال : أبصر لاتكوننّ امرأة رجل غاز ، فبينما هم على ذلك ، نزل فى ذلك (أَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ) » قيل لعطاء : المكتوبة هى ؟ قال : نعم هى المكتوبة ، فقال ابن جريج ، وقال عبد الله بن كثير : هى المكتوبات .

قال ابن جريج ، عن يزيد بن رُومان : « أن رجلا من بنى غَنْم ، دخلت عليه امرأة فقبلها ، ووضع يده على دبرها ، فجاء إلى أبى بكر رضى الله عنه ، ثم إلى عمر رضى الله عنه ، ثم أتى إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فنزلت هذه الآية (أَقِمِ الصَّلاةَ) . . . إلى قوله (ذلكَ ذِكْرَى للذَّاكِرِينَ) فلم يزل الرجل الذى قبّل المرأة يذكر ، فذلك قوله (ذِكْرَى للذَّاكِرِينَ) .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (١١٥)

⁂ يقول تعالى ذكره : واصبر يا محمد على ما تلقى من مشركى قومك ، من الأذى فى الله والمكروه ، رجاء جزيل ثواب الله على ذلك ، فإن الله لايضيع ثواب عمل من عمل فأطاع الله ، واتبع أمره ، فيذهب به ، بل يوفّره أحوج ما يكون إليه .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَلَوْلاَ كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِى الأَرْضِ إِلاَّ قَلِيلاً مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ ، وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ ، وَكَانُوا مُجْرِمِينَ (١١٦)

⁂ يقول تعالى ذكره : فهلا كان من القرون الذين قصصت عليك نبأهم فى هذه السورة الذين أهلكتهم بمعصيتهم إياى ، وكفرهم برسلى من قبلكم (أُولُو بَقِيَّةٍ) يقول : ذوو بقية من الفهم والعقل ، يعتبرون مواعظ الله ، ويتدبرون حججه ، فيعرفون مالهم فى الإيمان بالله وعليهم فى الكفر به (يَنْهَوْنَ عَنِ الفَسادِ فِى الأَرْضِ) يقول : ينهون أهل المعاصى عن معاصيهم ، وأهل الكفر بالله عن كفرهم به فى أرضه ، (إِلاَّ قَلِيلاً مِمَّنْ أَنْجَيْنا مِنْهُمْ) يقول : لم يكن من القرون من قبلكم أولو بقية ينهون عن الفساد فى الأرض إلا يسيرا ، فإنهم كانوا ينهون عن الفساد فى الأرض ، فنجاهم الله من عذابه ، حين أخذ من

كان مقيما على الكفر بالله عذابه ، وهم أتباع الأنبياء والرسل ، ونصب قليلا ، لأن قوله (إلاَّ قَلِيلاً) استثناء منقطع مما قبله ، كما قال : (إلاَّ قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا) ، وقد بيَّنا ذلك فى غير موضع ، بما أغنى عن إعادته .

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : اعتذر فقال (فَلَوْلا كانَ مِنَ القُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ) . . . حتى بلغ (إلاَّ قَلِيلاً مِمَّنْ أنجَيْنا مِنْهُمْ) فإذا هم الذين نجوا حين نزل عذاب الله ، وقرأ (واتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا ما أُتْرِفُوا فِيهِ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (فَلَوْلا كانَ مِنَ القُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ) . . . إلى قوله (إلاَّ قَلِيلاً مِمَّنْ أنجَيْنا مِنْهُمْ) قال : يستقلهم الله من كل قوم .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا ابن أبى عدىّ ، عن داود ، قال : سألنى بلال ، عن قول الحسن فى العذر ، قال : فقال : سمعت الحسن يقول (قِيلَ يانُوحُ اهْبِطْ بِسَلامٍ مِنَّا وَبَرَكاتٍ عَلَيْكَ وَعلى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ ، وأُمَمٍ سَنُمَتِّعُهُمْ ، ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أليمٌ) قال : بعث الله هودا إلى عاد ، فنجى الله هودا والذين آمنوا معه ، وهلك المتمتعون ، وبعث الله صالحا إلى ثمود ، فنجى الله صالحا وهلك المتمتعون ، فجعلت أستقريه الأمم ، فقال : ما أراه إلا كان حسن القول فى العذر .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَلَوْلا كانَ مِنَ القُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الفَسادِ فِى الأرْضِ إلاَّ قَلِيلاً مِمَّنْ أنجَيْنا مِنْهُمْ). أى لم يكن من قبلكم من ينهى عَنِ الفساد فى الأرض (إلاَّ قَلِيلاً مِمَّنْ أنْجَيْنا مِنْهُمْ) .

وقوله (واتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا ما أُتْرِفُوا فِيهِ) يقول تعالى ذكره : واتبع الذين ظلموا أنفسهم ، فكفروا بالله ، ما أترفوا فيه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس (وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ) قال : ما أنظروا فيه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا ما أُتْرِفُوا فِيهِ) من دنياهم ، وكأنّ هؤلاء وجهوا تأويل الكلام : واتبعوا الذين ظلموا الشىء الذى أنظرهم فيه ربهم ، من نعيم الدنيا ولذاتها ، إيثارا له على عمل الآخرة ، وما ينجيهم من عذاب الله .

وقال آخرون : معنى ذلك : واتبع الذين ظلموا ما تجبروا فيه من الملك ، وعَتَوْا عن أمر الله .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا ما أُتْرِفُوا فِيهِ) قال : فى ملكهم وتجبرهم ، وتركوا الحقّ .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، نحوه ، إلا أنه قال : وتركهم الحقّ .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثل حديث محمد بن عمرو سواء .

⁂ وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب : أن يقال : إن الله أخبر تعالى ذكره أن الذين ظلموا أنفسهم من كل أمة سلفت ، فكفروا بالله ، اتبعوا ما أنظروا فيه من لذّات الدنيا ، فاستكبروا وكفروا بالله ، واتبعوا ما أنظروا فيه من لذّات الدنيا ، فاستكبروا عن أمر الله وتجبروا ، وصدّوا عن سبيله ، وذلك أن المترف فى كلام العرب : هو المنعّم الذى قد غُذِّىَ باللذات ، ومنه قول الراجز :

تُهْدِى رُءُوسَ المُتْرَفِينَ الصُّدَّادْ إلى أمِيرِ المُؤْمِنِينَ المُمْتَادْ [١]

وقوله (وكانُوا مُجْرِمِينَ) يقول : وكانوا مكتسبى الكفر بالله .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ (١١٧)

⁂ يقول تعالى ذكره : وما كان ربك يا محمد ليهلك القرى التى أهلكها ، التى قصّ عليك نبأها ، ظلما وأهلها مصلحون فى أعمالهم ، غير مسيئين ، فيكون إهلاكه إياهم مع إصلاحهم فى أعمالهم ، وطاعتهم ربهم ظلما ، ولكنه أهلكها بكفر أهلها بالله ، وتماديهم فى غيهم ، وتكذيبهم رسلهم ، وركوبهم السيئات . وقد قيل : معنى ذلك : لم يكن ليهلكهم بشركهم بالله ، وذلك قوله بظلم ، يعنى : بشرك ، وأهلها مصلحون فيما بينهم لا يتظالمون ، ولكنهم يتعاطون الحقّ بينهم ، وإن كانوا مشركين ، وإنما يهلكهم إذا تظالموا .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (١١٨) إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ، وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (١١٩)

(١) هذان البيتان تقدم الكلام عليهما فى التفسير (٧ : ١٣١) وهما لرؤبة بن العجاج (ديوانه ص ٤٠) وترتيبهما فى الأرجوزة ال ١٠٢ ، ١٠٤ وجاءا فى مجاز القرآن لأبى عبيدة (١ : ٣٠١) وقال بعدهما : الممتاد : من ماد يميد . وفى اللسان (ماد) : الممتاد : المطلوب منه العطاء ، مفتعل (اسم مفعول) . وأنشد لرؤبة : تهدى . . الخ . قال : أى المتفضل على الناس ، وهو المستعطى المسئول . وماد زيد عمرا : إذا أعطاه .

⁂ يقول تعالى ذكره: ولو شاء ربك يامحمد لجعل الناس كلها جماعة واحدة، على ملة واحدة ، ودين واحد كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلَوْ شاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً) يقول : لجعلهم مسلمين كلهم .

وقوله (وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ) يقول تعالى ذكره: ولايزال الناس مختلفين (إلاَّ مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ)

⁂ ثم اختلف أهل التأويل فى الاختلاف الذى وصف الله الناس أنهم لايزالون به ، فقال بعضهم : هو الاختلاف فى الأديان ، فتأويل ذلك على مذهب هؤلاء ، ولا يزال الناس مختلفين على أديان شتى من بين يهودىّ ونصرانىّ ومجوسىّ ، ونحو ذلك . وقال قائلو هذه المقالة : استثنى الله من ذلك من رحمهم ، وهم أهل الإيمان .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن نمير ، عن طلحة بن عمرو ، عن عطاء (وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ) قال : اليهود والنصارى والمجوس ، والحنيفية هم الذين رحم ربك .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا قبيصة ، قال : ثنا سفيان، عن طلحة بن عمرو ، عن عطاء (وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ) قال : اليهود والنصارى والمجوس (إلاَّ مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ) قال : هم الحنيفية .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم وابن وكيع ، قالا : ثنا ابن عُلَية ، قال : أخبرنا منصور بن عبد الرحمن ، قال : قلت للحسن ، قوله (وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إلاَّ مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ) . قال : الناس مختلفون على أديان شتى ، إلا من رحم ربك ، فمن رحم غير مختلفين .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن حسن بن صالح ، عن ليث ، عن مجاهد (وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ) قال : أهل الباطل (إلاَّ مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ) قال : أهل الحق .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ) قال : أهل الباطل (إلاَّ مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ) قال : أهل الحقّ .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، نحوه .

قال : ثنا مُعَلَّى بن أسد ، قال : ثنا عبد العزيز ، عن منصور بن عبد الرحمن ، قال : سئل الحسن، عن هذه الآية (وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إلاَّ مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ) قال : الناس كلهم مختلفون على أديان شتى (إلاَّ مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ) فمن رحم غير مختلف ، فقلت له : ولذلك خلقهم ، فقال: خلق هؤلاء لجنته ، وهؤلاء لناره ، وخلق هؤلاء لرحمته ، وخلق هؤلاء لعذابه .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرحمن بن سعد ، قال : ثنا أبو جعفر ، عن ليث ، عن مجاهد ، فى قوله (وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ) قال : أهل الباطل (إلاَّ مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ) قال : أهل الحقّ .

قال : ثنا الحمّانىّ ، قال : ثنا شريك ، عن خَصِيف ، عن مجاهد ، قوله (وَلايَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ) قال : أهل الحقّ وأهل الباطل (إلاَّ مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ) قال : أهل الحق .

قال : ثنا شريك ، عن ليث ، عن مجاهد ، مثله .

قال : ثنا سويد بن نصر ، قال : أخبرنا ابن المبارك (إلاَّ مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ) قال : أهل الحقّ ليس فيهم اختلاف .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن ابن جريج ، عن عكرمة (وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ) قال : اليهود والنصارى (إلاَّ مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ) قال : أهل القبلة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : أخبرنى الحكم بن أبان عن عكرمة ، عن ابن عباس (وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ) قال : أهل الباطل (إلاَّ مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ) قال : أهل الحقّ .

حدثنا هناد ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن سماك ، عن عكرمة ، فى قوله (وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إلاَّ مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ) قال : لايزالون مختلفين فى الهوى .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إلاَّ مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ) فأهل رحمة الله أهل جماعة ، وإن تفرّقت دورهم وأبدانهم ، وأهل معصيته أهل فرقة ، وإن اجتمعت دورهم وأبدانهم .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش (وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إلاَّ مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ) قال : من جعله على الإسلام .

قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا الحسن بن واصل ، عن الحسن (وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ) قال : أهل الباطل (إلاَّ مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ) .

قال : ثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن محمد بن عبد الرحمن ، عن القاسم بن أبى بَزَّة عن مجاهد فى قوله (وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ) قال : أهل الباطل (إلاَّ مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ) قال : أهل الحقّ .

حدثنا ابن حميد وابن وكيع ، قالا : ثنا جرير ، عن ليث ، عن مجاهد ، مثله .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : ولا يزالون مختلفين فى الرزق ، فهذا فقير ، وهذا غنىّ .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر ، عن أبيه ، أن الحسن قال : مختلفين فى الرزق ، سخّر بعضهم لبعض . وقال بعضهم : مختلفين فى المغفرة والرحمة ، أو كما قال .

⁂ وأولى الأقوال فى تأويل ذلك بالصواب : قول من قال : معنى ذلك : ولا يزال الناس مختلفين فى أديانهم وأهوائهم على أديان وملل وأهواء شتى (إلاَّ مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ) فآمن بالله ، وصدّق رسله ، فإنهم لايختلفون فى توحيد الله ، وتصديق رسله ، وما جاءهم من عند الله .

وإنما قلت : ذلك أولى بالصواب فى تأويل ذلك ، لأن الله جلّ ثناؤه أتبع ذلك قوله (وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الجِنَّةِ والنَّاسِ أجمَعِينَ) فى ذلك دليل واضح ، أن الذى قبله من ذكر

خبره عن اختلاف الناس ، إنما هو خبر عن اختلاف مذموم يوجب لهم النار ، ولو كان خبرا عن اختلافهم فى الرزق لم يعقب ذلك بالخبر عن عقابهم وعذابهم .

وأما قوله (وَلذلكَ خَلَقَهُمْ) فان أهل التأويل اختلفوا فى تأويله ، فقال بعضهم : معناه : وللاختلاف خلقهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن مبارك بن فضالة ، عن الحسن (ولذلكَ خَلَقَهُمْ) قال : للاختلاف .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيَة ، قال : ثنا منصور بن عبد الرحمن ، قال : قلت للحسن : (ولذلكَ خلقهمْ) فقال : خلق هؤلاء لجنته ، وخلق هؤلاء لناره ، وخلق هؤلاء لرحمته ، وخلق هؤلاء لعذابه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن علية ، عن منصور ، عن الحسن ، مثله .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا المعلّى بن أسد ، قال : ثنا عبد العزيز ، عن منصور بن عبد الرحمن ، عن الحسن ، بنحوه .

قال : ثنا الحجاج بن المنهال ، قال : ثنا حماد ، عن خالد الحذّاء ، أن الحسن قال فى هذه الآية : (ولذلكَ خَلَقَهُمْ) قال : خلق هؤلاء لهذه ، وخلق هؤلاء لهذه .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا هَوْذة بن خليفة ، قال : ثنا عوف ، عن الحسن ، قال (ولذلكَ خَلَقَهُمْ) قال : أما أهل رحمة الله فإنهم لا يختلفون اختلافا يضرّهم .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَلذلكَ خَلَقَهُمْ) قال : خلقهم فريقين : فريقا يرحم فلا يختلف ، وفريقا لا يَرْحم يختلف ، وذلك قوله (فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ) .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا سفيان ، عن طلحة بن عمرو ، عن عطاء ، فى قوله (وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ) قال : يهود ونصارى ومجوس (إلاَّ مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ) قال : من جعله على الإسلام (وَلِذَلكَ خَلَقَهُمْ) قال : مؤمن وكافر .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا أشهب ، قال : سئل مالك عن قول الله (وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إلاَّ مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلذلكَ خَلَقَهُمْ) قال : خلقهم ليكونوا فريقين : فريق فى الجنة ، وفريق فى السعير .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : وللرحمة خلقهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ؛ وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن حسن بن صالح ، عن ليث ، عن مجاهد (ولذلكَ خَلَقَهُمْ) قال : للرحمة .

حدثنا ابن حميد وابن وكيع ، قالا : ثنا جرير ، عن ليث ، عن مجاهد (وَلذلكَ خَلَقَهُمْ) قال للرحمة .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا الحمّانى ، قال : ثنا شريك ، عن خَصِيف ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن شريك ، عن ليث ، عن مجاهد ، مثله

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرحمن بن سعد ، قال : أخبرنا أبو حفص ، عن ليث ، عن مجاهد ، مثله ، إلا أنه قال : للرحمة خلقهم .

حدثنى محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَلذلكَ خَلَقَهُمْ) قال : للرحمة خلقهم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو معاوية ، عمن ذكره عن ثابت ، عن الضحاك (وَلذلكَ خَلَقَهُمْ) قال : للرحمة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : أخبرنى الحكم بن أبان ، عن عكرمة (وَلذلكَ خَلَقَهُمْ) قال : أهل الحقّ ومن اتبعه لرحمته .

حدثنى سعد بن عبد الله ، قال : ثنا حفص بن عمر ، قال : ثنا الحكم بن أبان ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، فى قوله (وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إلاَّ مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلذلكَ) قال : للرحمة (خَلَقَهُمْ) ولم يخلقهم للعذاب .

⁂ وأولى القولين فى ذلك بالصواب : قول من قال : وللاختلاف بالشقاء والسعادة خلقهم ، لأن الله جلّ ذكره ، ذكر صنفين من خلقه : أحدهما أهل اختلاف وباطل . والآخر أهل حقّ ؛ ثم عقب ذلك بقوله (وَلذلكَ خَلَقَهُمْ) ، فعمّ بقوله (وَلذلكَ خَلَقَهُمْ) صفة الصنفين ، فأخبر عن كلّ فريق منهما أنه ميسر لما خلق له .

فإن قال قائل : فإن كان تأويل ذلك كما ذكرت ، فقد ينبغى أن يكون المختلفون غير ملومين على اختلافهم ، إذ كان لذلك خلقهم ربهم ، وأن يكون المتمتعون هم الملومين ؟ قيل : إن معنى ذلك بخلاف ما إليه ذهبت ، وإنما معنى الكلام : ولا يزال الناس مختلفين بالباطل من أديانهم ومللهم (إلاَّ مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ) فهداه للحقّ ولعلمه وعلى علمه النافذ فيهم قبل أن يخلقهم ، أنه يكون فيهم المؤمن والكافر ، والشقىّ والسعيد ، خلقهم ؛ فمعنى اللام فى قوله (وَلذلكَ خَلَقَهُمْ) بمعنى « على » كقولك للرجل : أكرمتك على برّك بى ، وأكرمتك لبرّك بى .

وأما قوله (وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الجِنَّةِ والنَّاسِ أجمَعِينَ) لعلمه السابق فيهم أنهم يستوجبون صليها بكفرهم بالله ، وخلافهم أمره . وقوله (وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ) قسم كقول القائل : حلفى لأزورنّك ، وبدا لى لآتينك ، ولذلك تلقيت بلام اليمين .

وقوله (مِنَ الجِنَّةِ) وهى ما اجتنّ عن أبصار بنى آدم والناس ، يعنى : وبنى آدم ، وقيل : إنهم سموا جِنة ، لأنهم كانوا على الجنان .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبد الله ، عن إسرائيل ، عن السدىّ ، عن أبى مالك : وإنما سموا الجنة أنهم كانوا على الجنان ، والملائكة كلهم جنة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبد الله ، عن إسرائيل ، عن السدىّ ، عن أبى مالك ، قال : الجنّة : الملائكة .

وأما معنى قول أبى مالك هذا : أن إبليس كان من الملائكة ، والجنّ ذرّيته ، وأن الملائكة تسمى عنده الجنّ ، لما قد بيّنت فيما مضى من كتابنا هذا .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ، مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ، وَجَاءَكَ فِي هٰذِهِ الْحَقُّ، وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ (١٢٠)

يقول تعالى ذكره (وكُلاًّ نَقُصُّ عَلَيْكَ) يا محمد (مِنْ أنْباءِ الرُّسُلِ) الذين كانوا قبلك (ما نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ) فلا تجزع من تكذيب من كذّبك من قومك ، وردّ عليك ما جئتهم به ، ولا يضق صدرك ، فتترك بعض ما أنزلتُ إليك من أجل أن قالوا : (لَوْلا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ ، أوْ جاءَ مَعَهُ مَلَكٌ) إذا علمت ما لَقِيَ مَن قبلك من رسلى من أممها .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (وَكُلاًّ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أنْباءِ الرُّسُلِ ما نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ) قال : لتعلم ما لقيت الرسل قبلك من أممهم .

واختلف أهل العربية فى وجه نصب كُلاًّ ، فقال بعض نحويى البصرة : نُصب على معنى : ونقصّ عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك كُلاًّ ، كأن الكلّ منصوب عنده على المصدر من نقصّ ، بتأويل : ونقصّ عليك ذلك كُلَّ القصص ، وقد أنكر ذلك من قوله بعض أهل العربية ، وقال : ذلك غير جائز ، وقال : إنما نصب كُلاًّ بنقُصّ ، لأن كُلاًّ بنيت على الإضافة ، كان معها إضافة أو لم يكن ، وقال : أراد كله نقصّ عليك ، وجعل ما نثبت ردّا على كُلاّ ، وقد بيّنت الصواب من القول فى ذلك .

وأما قوله (وَجاءَكَ فِي هَذِهِ الحَقُّ) فإن أهل التأويل اختلفوا فى تأويله ، فقال بعضهم : معناه : وجاءك فى هذه السورة الحقّ .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا شعبة ، عن خليد بن جعفر ، عن أبى إياس ، عن أبى موسى (وَجاءَكَ فِي هَذِهِ الحَقُّ) قال : فى هذه السورة .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن شعبة ، عن خُليد بن جعفر ، عن أبى إياس معاوية بن قرّة ، عن أبى موسى ، مثله .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنى سعيد بن عامر ، قال : ثنا عوف ، عن أبى رجاء ، عن ابن عباس ، فى قوله (وَجاءَكَ فِى هَذِهِ الحَقُّ) قال : فى هذه السورة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن آدم ، عن أبى عوانة ، عن أبى بشر ، عن عمرو العنبرىّ ، عن ابن عباس (وَجاءَكَ فِى هَذِهِ الحَقُّ) قال : فى هذه السورة .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مَهْدِىّ ، عن أبى عَوَانة ، عن أبى بشر ، عن رجل من بنى العنبر ، قال : خَطَبَنا ابن عباس فقال : (وَجاءَكَ فِى هَذِهِ الحَقُّ) قال : فى هذه السورة .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الأعمش ، عن سعيد بن جُبير ، قال : سمعت ابن عباس قرأ هذه السورة على الناس ، حتى بلغ (وَجاءَكَ فِى هَذِهِ الحَقُّ) قال : فى هذه السورة .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن عوف ، عن مروان الأصغر ، عن ابن عباس : أنه قرأ على المنبر : (وَجاءَكَ فِى هَذِهِ الحَقُّ) فقال : فى هذه السورة .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ؛ وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن أبيه ، عن ليث ، عن مجاهد (وَجاءَكَ فِى هَذِهِ الحَقُّ) قال : فى هذه السورة .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : (وَجاءَكَ) فى هذه السورة .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ؛ وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن شريك ، عن عطاء ، عن سعيد بن جبير ، مثله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبد الله ، عن أبى جعفر الرازىّ ، عن الربيع بن أنس ، عن أبى العالية ، قال : هذه السورة .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرحمن بن سعيد ، قال : أخبرنا أبو جعفر الرازىّ ، عن الربيع بن أنس ، مثله .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، قال : أخبرنا أبو رجاء ، عن الحسن ، فى قوله (وَجاءَكَ فِى هَذِهِ الحَقُّ) قال : فى هذه السورة .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مهدىّ ، عن شعبة ، عن أبى رجاء ، عن الحسن ، بمثله .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع : وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن شعبة ، عن أبى رجاء ، عن الحسن ، مثله .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا عبد الرحمن ، عن أبانَ بن تغلب ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَجاءَكَ فِى هَذِهِ الحَقُّ) قال : فى هذه السورة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، حدثنى المثنى ، قال : ثنا آدم ، قال : ثنا شعبة ، عن أبى رجاء ، قال : سمعت الحسن البصرىّ يقول فى قول الله تعالى : (وَجاءَكَ فِى هَذِهِ الحَقُّ) قال : يعنى فى هذه السورة .

وقال آخرون : معنى ذلك : وجاءك فى هذه الدنيا الحقّ .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ومحمد بن المثنى ، قالا : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن قتادة : (وَجاءَكَ فِى هَذِهِ الحَقُّ) قال : فى هذه الدنيا .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع : وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن شعبة ، عن قتادة (وَجاءَكَ فِى هَذِهِ الحَقُّ) قال : كان الحسن يقول : فى الدنيا .

⁂ وأولى التأويلين بالصواب فى تأويل ذلك : قول من قال : وجاءك فى هذه السورة الحقّ ، لإجماع الحجة من أهل التأويل على أن ذلك تأويله .

فإن قال قائل : أو لم يجئ النبىّ صلى الله عليه وسلم الحقّ من سُور القرآن إلا فى هذه السورة ؟ فيقال : وجاءك فى هذه السورة الحقّ ، قيل له : بلى قد جاءه فيها كلها .

فإن قال : فما وجه خصوصه إذن فى هذه السورة بقوله : (وَجاءَكَ فِى هَذِهِ الحَقُّ) ؟ قيل : إن معنى الكلام : وجاءك فى هذه السورة الحقّ ، مع ما جاءك فى سائر سور القرآن ، أو إلى ماجاءك من الحقّ فى سائر سُور القرآن ، لأن معناه : وجاءك فى هذه السورة الحقّ ، دون سائر سُوَر القرآن .

وقوله (وَمَوْعِظَةٌ) يقول : وجاءك موعظة تعظ الجاهلين بالله ، وتبين لهم عبره ممن كفر به ، وكذّب رسله (وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ) يقول : وتذكرة تذكر المؤمنين بالله ورسله ، كى لايغفلوا عن الواجب لله عليهم .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ : اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ (١٢١) ، وَانْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ (١٢٢)

⁂ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : وقل يا محمد للذين لايصدّقونك ، ولايقرّون بوحدانية الله : اعملوا على مكانتكم ؛ يقول : على هيئتكم وتمكنكم ما أنتم عاملوه ، فإنا عاملون ما نحن

عاملوه من الأعمال التى أمرنا الله بها ، وانتظروا ما وعدكم الشيطان ، فإنا منتظرون ما وعدنا الله من حربكم ونصرتنا عليكم .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، فى قوله (وَانْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ) قال : يقول : انتظروا مواعيد الشيطان إياكم ؛ على ما يزين لكم ، إنا منتظرون .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ ، فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ، وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ .

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ولله يا محمد ملك كلّ ماغاب عنك فى السماوات والأرض ، فلم تطلع عليه ، ولم تعلمه ، كلّ ذلك بيده وبعلمه ، لايخفى عليه منه شىء ، وهو عالم بما يعمله مشركو قومك ، وما إليه مصير أمرهم ، من إقامة على الشرك ، أو إقلاع عنه وتوبة (وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ) يقول : وإلى الله معاد كلّ عامل وعمله ، وهو مُجازٍ جميعهم بأعمالهم .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج (وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ) قال : فيقضى بينهم بحكمه بالعدل . يقول (فَاعْبُدْهُ) يقول : فاعبد ربك يا محمد (وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ) يقول : وفوّض أمرك إليه ، وثق به وبكفايته ، فإنه كافى من توكل عليه .

وقوله (وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ) يقول تعالى ذكره : وما ربك يا محمد بساهٍ عما يعمل هؤلاء المشركون من قومك ، بل هو محيط به ، لايعزُب عنه شىء منه ، وهو لهم بالمرصاد ، فلا يَحزُنك إعراضهم عنك ، ولا تكذيبهم بما جئتهم به من الحقّ ، وامض لأمر ربك ، فإنك بأعيننا .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا زيد بن الحباب ، عن جعفر بن سليمان ، عن أبى عمران الجونىّ ، عن عبد الله بن رباح ، عن كعب ، قال : خاتمة التوراة ، خاتمة هود .

آخر تفسير سورة هود ، والحمد لله المعبود المقصود .

تفسير السورة التى يذكر فيها يوسف

صلى الله عليه وسلم

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى تأويل قوله تعالى

الٓرٰ تِلْكَ آيٰتُ الْكِتٰبِ الْمُبِينِ (١)

⁂ قال أبو جعفر محمد بن جرير : قد ذكرنا اختلاف أهل التأويل، فى تأ يل قوله (الٓرٰ تِلْكَ آيات الكِتابِ المُبِينِ) ، والقول الذى نختاره فى تأويل ذلك فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته ههنا .

وأما قوله (تِلْكَ آياتُ الكِتابِ المُبِينِ) فإن أهل التأويل اختلفوا فى تأ يله ، فقال بعضهم : معناه : تلك آيات الكتاب المبين ، بَيّن حلاله وحرامه ، ورشده وهداه .

ذكر من قال ذلك

حدثنى سعيد بن عمرو السكونىّ ، قال : ثنا الوليد بن سلمة الفلسطينىّ ، قال : أخبرنى عبد الوهاب بن مجاهد ، عن أبيه ، فى قول الله تعالى (الٓرٰ تِلْكَ آياتُ الكِتابِ المُبِينِ) قال : بين حلاله وحرامه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال: ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (الٓرٰ تِلْكَ آياتِ الكِتابِ المُبِينِ) أى والله لمبين تركيبه : هداه ورشده .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، فى قوله (الٓرٰ تِلْكَ آياتُ الكِتابِ المُبِينِ) قال بين الله رشده وهداه .

وقال آخرون فى ذلك بما حدثنى سعيد بن عمرو السَّكُونىّ، قال: ثنا الوليد بن سلمة ، قال : ثنا ثور ابن يزيدَ ، عن خالد بن معدان ، عن معاذ أنه قال فى قول الله عزّ وجلّ : (الكِتابِ المُبِينِ) قال بين الحروف التى سقطت عن ألسن الأعاجم ، وهى ستة أحرف .

⁂ والصواب من القول فى ذلك عندى : أن يقال : معناه : هذه آيات الكتابِ المبين ، لمن تلاه وتدبر مافيه ، من حلاله وحرامه ونهيه ، وسائر ماحواه من صنوف معانيه ، لأن الله جلّ : ثناؤه أخبر أنه مبين ، ولم يخصّ إبانته عن بعض ما فيه دون جميعه ، فذلك على جميعه ، إذ كان جميعه مبينا عما فيه .

القول فى تأويل قوله تعالى

إِنَّا أَنْزَلْنٰهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٢)

⁂ يقول تعالى ذكره : إنا أنزلنا هذا الكتاب المبين قرآنا عربيا على العرب ، لأن لسانهم وكلامهم عربى ، فأنزلنا هذا الكتاب بلسانهم ، ليعقلوه ، ويفقهوا منه ، وذلك قوله عزّ وجلّ : (لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) .

القول فى تأويل قوله تعالى

نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ ، وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ (٣)

⁂ يقول جلّ ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : نحن نقصّ عليك يا محمد أحسن القصص ، بوحينا إليك هذا القرآن ، فنخبرك فيه عن الأخبار الماضية ، وأنباء الأمم السالفة ، والكُتب التى أنزلناها فى العصور الخالية. (وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الغافِلِينَ) يقول تعالى ذكره : وإن كنت يامحمد من قبل أن نوحيه إليك لمن الغافلين عن ذلك ، لاتعلمه ، ولا شيئا منه .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ القَصَصِ) من الكتب الماضية ، وأمور الله السالفة فى الأمم (وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الغافِلِينَ) . وذكر أن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم لمسئلة أصحابه إياه أن يقصّ عليهم .

ذكر الرواية بذلك

حدثنى نصر بن عبد الرحمن الأودىّ ، قال : ثنا حكام الرازىّ ، عن أيوب ، عن عمرو الملائى ، عن ابن عباس ، قال : قالوا : يا رسول الله ، لوقصصت علينا ؟ قال : فنزلت (نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ القَصَصِ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن أيوب بن سيار أبى عبد الرحمن ، عن عمرو بن قيس ، قال : قالوا : يا نبىّ الله ، فذكر مثله .

حدثنا ابن وكيع ، قا : ثنا أبى ، عن المسعودىّ ، عن عون بن عبد الله ، قال : ملّ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ملّة ، فقالوا : يا رسول الله حدّثنا ، فأنزل الله عزّ وجلّ (اللهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الحَدِيثِ) ، ثم ملّوا ملة أخرى ، فقالوا : يا رسول الله ، حدّثنا فوق الحديث ، ودون القرآن ، يعنون القصص ، فأنزل الله (الرَّ تِلْكَ آياتُ الكِتابِ المُبِينِ ، إنَّا أَنْزَلْناهُ قُرآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ، نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ القَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنا إلَيْكَ هَذَا القُرآنَ ، وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الغافِلِينَ) ، فأرادوا الحديث ، فدلهم على أحسن الحديث ، وأرادوا القصص ، فدّلهم على أحسن القصص .

حدثنا محمد بن سعيد العطار ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، قال : أخبرنا خلاد الصفار ، عن عمرو بن قيس ، عن مصعب بن سعد ، عن سعد ، قال : أنزل على النبىّ صلى الله عليه وسلم القرآن ، قال : فتلاه عليهم زمانا ، فقالوا : يا رسول الله ، لوقصصت علينا ؟ فأنزل الله (الرَّ تِلْكَ آياتُ الكِتابِ المُبِينِ) . . . إلى قوله (لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) . . . الآية . قال : ثم تلاه عليهم زمانا ، فقالوا : يا رسول الله لوحدثتنا ؟ فأنزل الله تعالى (اللهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الحَدِيثِ كِتابًا مُتَشابِهًا) قال خلاد : وزادوا فيه رجلا

آخر ، قالوا : يا رسول الله ، أو قال أبو يحيى : ذهبتْ من كتابى كلمة ، فأنزل الله (أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللهِ) .

القول فى تأويل قوله تعالى

إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا ، وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ (٤)

⁂ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : وإن كنت يامحمد لمن الغافلين عن نبأ يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم ، إذ قال لأبيه يعقوب بن إسحاق : يا أبت إنى رأيت أحد عشر كوكبا ، يقول : إنى رأيت فى منامى أحد عشر كوكبا . وقيل : إن رؤيا الأنبياء كانت وحيا .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن سماك بن حرب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، فى قوله (إنّى رأيْتُ أحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً والشَّمْسَ والقَمَرَ رَأيْتُهُمْ لِى ساجِدِينَ) قال : كانت رؤيا الأنبياء وحيا .

وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن سفيان ، عن سماك ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس (إنّى رأيْتُ أحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً) قال : كانت الرؤيا فيهم وحيا ، وذكر أن الأحد العشر الكوكب التى رآها فى منامه ساجدة مع الشمس والقمر ، ما حدثنى علىّ بن سعيد الكندىّ ، قال : ثنا الحكم بن ظهير ، عن السدىّ ، عن عبد الرحمن بن سابط ، عن جابر ، قال : أتى النبىَّ صلى الله عليه وسلم رجل من يهود يقال له بستانة اليهودىّ ، فقال له : يا محمد أخبرنى عن الكواكب التى رآها يوسف ساجدة له ، ما أسماؤها ؟ قال : فسكت رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يجبه بشىء ، ونزل عليه جبرئيل ، وأخبره بأسمائها ، قال : فبعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إليه ، فقال : هَلْ أنْتَ مؤمن إن أخبرتك بأسمائها ؟ قال : نعم ، فقال : جربان والطارق ، والذيال ، وذوالكتفين ، وقابسٌ ، ووَثّابٌ وعمودان ، والفَلِيقُ ، والمُصْبَحُ ، والضَّرُوحُ ، وَذُو الفَرْغِ ، والضّياءُ ، والنُّورُ ، فقال اليهودىّ : والله إنها لأسماؤها .

وقوله (والشَّمْسَ والقَمَرَ رأيْتُهُمْ لِى ساجِدِينَ) يقول : والشمس والقمر رأيتهم فى منامى سجودا . وقال : ساجدين ، والكواكب والشمس والقمر ، إنما يخبر عنها بفاعلة وفاعلات ، لابالواو والنون ، إنما هى علامة جمع أسماء ذكور بنى آدم ، أو الجنّ أو الملائكة . وإنما قيل ذلك كذلك ، لأن السجود من أفعال من يجمع أسماء ذكورهم بالياء والنون ، أو الواو والنون ، فأخرج جمع أسمائها مخرج جمع أسماء من يفعل ذلك ، كما قيل (يا أيُّها النَّمْلُ ادْخُلُوا مَساكِنَكُمْ) وقال : رأيتهم وقد قيل : إنى رأيت أحد عشر كوكبا ، فكرّر الفعل ، وذلك على لغة من قال : كَلّمت أخاك كَلّمته ، توكيدا للفعل بالتكرير .

وقد قيل : إن الكواكب الأحد عشر كانت إخوته ، والشمس والقمر أبويه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إذْ قالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يا أَبَتِ إنّى رأيْتُ أحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً) إخوته أحد عشر كوكبا ، والشمس والقمر ، يعنى بذلك : أبويه .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا شريك ، عن السدىّ ، فى قوله (إنّى رأيْتُ أحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً والشَّمْسَ والقَمَرَ) . . . الآية ، قال : رأى أبويه وإخوته سجودا له ، فإذا قيل له عمن قال إن كان حقا ، فإن ابن عباس فسره .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، فى قوله (أحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً والشَّمْسَ والقَمَرَ رَأيْتُهُمْ لِى ساجِدِينَ) قال : الكواكب : إخوته ، والشمس والقمر : أبواه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (إنّى رأيْتُ أحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً) إخوته (والشَّمْسَ) أمه (والقَمَرَ) أبوه .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : قال سفيان : كان أبويه وإخوته .

حُدِّثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك ، قوله (إنّى رأيْتُ أحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً) هم إخوة يوسف (والشَّمْسَ والقَمَرَ) هما أبواه .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (يا أبَتِ إنّى رأيْتُ أحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً) . . . الآية ، قال : أبواه وإخوته » قال : فنعاه إخوته ، وكانوا أنبياء ، فقالوا : مارضى أن يسجد له إخوته ، حتى سجد له أبواه ، حين بلَغهم .

ورُوى عن ابن عباس أنه قال : الكواكب إخوته ، والشمس والقمر : أبوه وخالته ، من وجه غير محمود ، فكرهت ذكره .

القول فى تأويل قوله تعالى

قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا ، إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ (٥)

يقول جلّ ذكره : (قالَ) يعقوب لابنه يوسف (يا بُنَيَّ لا تَقْصُصْ رُؤْياكَ) هذه (عَلى إخْوَتِكَ) فيحسدوك (فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا) يقول : فيبغوك الغوائل ، ويناصبوك العداوة ، ويطيعوا فيك الشيطان (إنَّ الشَّيْطانَ لِلإنْسانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ) يقول : إن الشيطان لآدم وبَنِيه عدوّ ، قد أبان لهم عداوته وأظهرها . يقول : فاحذر الشيطان أن يغرىَ إخوتك بك ، بالحسد منهم لك ، إن أنت قصصت عليهم رؤياك . وإنما قال يعقوب ذلك ، لأنه قد كان تبين له من إخوته قبل ذلك حسدُه .

كما حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد العَنْقزىّ ، عن أسباط ، عن السدىّ ، قال : نزل يعقوب الشام ، فكان همه يوسف وأخاه ، فحسده إخوته لَمَّا رأوا حبّ أبيه له ، ورأى يوسف فى المنام كأنّ أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رآهم له ساجدين ، فحدّث بها أباه فقال (يا بُنَىَّ لاتَقْصُصْ رُؤْياكَ على إخْوَتِك ، فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا) . . . الآية .

واختلف أهل العربية فى وجه دخول اللام فى قوله (فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا) فقال بعض نحوىّ البصرة : معناه : فيتخذوا لك كيدا ، وليست مثل (إنْ كُنْتُمْ للرُّؤْيا تَعْبُرُونَ) ، تلك أرادوا أن يوصل الفعل إليها باللام ، كما يوصل بالباء ، كما تقول : قدمت له طعاما : تريد قدّمت إليه . وقال : (يَأْكُلْنَ ما قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ) ، ومثله قوله (قُلِ اللهُ يَهْدِي للحَقّ) قال : وإن شئت كان : فيكيدوا لك كيدا ، فى معنى : فيكيدوك ، وتجعل اللام مثل (لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ) وقد قال لربهم يرهبون ، إنما هو بمكان:ربهم يرهبون . وقال بعضهم : أدخلت اللام فى ذلك ، كما تدخل فى قولهم : حمدت لك ، وشكرت لك ، وحمدتك ، وشكرتك ، وقال : هذه لام عليها الفعل ، فكذلك قوله (فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا) تقول : فيكيدوك ، و يكيدوا لك ، فيقصدوك ، ويقصدوا لك ، قال : وكيدا : توكيد .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَكَذٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ، إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٦)

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل يعقوب لابنه يوسف ، لما قصّ عليه رؤياه (وكذلكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ) وهكذا يجتبيك ربك . يقول : كما أراك ربك الكواكب والشمس والقمر لك سجودا ، فكذلك يصطفيك ربك .

كما حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو العَنْقَزِىّ ، عن أبى بكر الهذلىّ ، عن عكرمة (وكذلكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ) قال : يصطفيك .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ ، وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الأحادِيثِ) فاجتباه واصطفاه وعلمه من عَبر الأحاديث ، وهو تأويل الأحاديث .

وقوله (وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الأحادِيثِ) يقول : ويعلمك ربك من علم ما يئول إليه أحاديث الناس ، عما يرونه فى منامهم ، وذلك تعبير الرؤيا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (ويُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الأحادِيثِ) قال : عبارة الرؤيا .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ

الأحاديث) قال : تأويل الكلام : العلم والحلم ، وكان يوسف أعبر الناس ، وقرأ (وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً) .

وقوله (وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ) باجتبائه إياك ، واختياره وتعليمه إياك تأويل الأحاديث (وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ) يقول : وعلى أهل دين يعقوب وملته ، من ذرّيته وغيرهم (كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ) باتخاذه هذا خليلا ، وتنجيته من النار ، وفدية هذا بذبح عظيم .

كالذى حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : أخبرنا أبو إسحاق ، عن عكرمة ، فى قوله (وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ، كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ: إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ) قال : فنعمته على إبراهيم أن نجاه من النار ، وعلى إسحاق أن نجاه من الذَّبْح .

وقوله (إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) يقول : إن ربك عليم بمواضع الفضل ، ومن هو أهل للاجتباء والنعمة ، حكيم فى تدبيره خلقه .

القول فى تأويل قوله تعالى

لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلسَّائِلِينَ (٧)

يقول تعالى ذكره (لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ) الأحد عشر (آيَاتٌ) يعنى عِبَر وذكر (لِلسَّائِلِينَ) يعنى السائلين عن أخبارهم وقصصهم . وإنما أراد جلّ ثناؤه بذلك نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم ، وذلك أنه يقال : إن الله تبارك وتعالى إنما أنزل هذه السورة على نبيه ، يعلمه فيها ما لقى يوسف من خوته وإذايته من ألحسد ، مع تكرمة الله إياه ، تسلية له بذلك ، مما يلقى من إذايته وأقاربه من مشركى قريش . كذلك كان ابن إسحاق يقول .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : إنما قصّ الله تبارك وتعالى على محمد خبر يوسف ، وبَغْىَ إخوته عليه ، وحسدهم إياه حين ذكر رؤياه ، لمّا رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم من بَغْىِ قومه وحسده ، حين أكرمه الله عزّ وجلّ بنبوّته ليتأسّى به .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (آيَاتٌ لِلسَّائِلِينَ) فقرأته عامّة قرّاء الأمصار : آيات على الجماع . ورُوى عن مجاهد وابن كثير : أنهما قرأا ذلك على التوحيد .

والذى هو أولى القراءتين بالصواب : قراءة من قرأ ذلك على الجماع ، لإجماع الحجة من القرّاء عليه .

القول فى تأويل قوله تعالى

إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ ، إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٨)

يقول تعالى ذكره : لقد كان فى يوسف وإخوته آيات لمن سأل عن شأنهم ، حين قالوا إخوة يوسف : (لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ) من أمه (أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ) يقولون : ونحن جماعة ذوو عدد

أحد عشر رجلا، والعصبة من الناس هم عشرة فصاعدا ، قيل إلى خمسة عشر فصاعدا عشر ، ليس لها واحد من لفظها ، كالنفر والرهط (إنَّ أبانا لَفِى ضَلالٍ مُبِينٍ) يعنون: إن أبانا يعقوب لفى خطأ من فعله ، فى إيثاره يوسفَ وأخاه من أمه علينا بالمحبة، ويعنى بالمبين: أنه خطأ يبين عن نفسه أنه خطأ لمن تأمله، ونظر إليه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد العَنقزىّ ، عن أسباط ، عن السدىّ (إذْ قالُوا لَيُوسُف وأخُوهُ أحَبُّ إلى أبِينا مِنَّا) قال : يعنون بنيامين ، قال : وكانوا عشرة .

قال : ثنا عمرو بن محمد ، عن أسباط ، عن السدىّ (إنَّ أبانا لَفِى ضَلالٍ مُبِينٍ) قال : فى ضلال من أمرنا .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَنَحْنُ عُصْبَةٌ) قال : العصبة : الجماعة .

القول فى تأويل قوله تعالى

اُقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ، وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَٰلِحِينَ (٩)

يقول جلّ ثناؤه: قال إخوة يوسف بعضهم لبعض : اقتلوا يوسف أو اطرحوه فى أرض من الأرض، يعنون مكانا من الأرض (يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أبِيكُمْ) يعنون : يخل لكم وجه أبيكم من شغله بيوسف ، فإنه قد شغله عنا ، وصرف وجهه عنا إليه (وتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْماً صَالِحِينَ) يعنون أنهم يتوبون من قتلهم يوسفَ، وذنبهم الذى يركبونه فيه، فيكونون بتوبتهم من قتله من بعد هلاك يوسف قوما صالحين .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، عن أسباط ، عن السدىّ (اقْتُلُوا يُوسُفَ أوِ اطْرَحُوه أرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أبِيكُمْ ، وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْماً صَالِحِينَ) قال : تتوبون مما صنعتم ، أو من صنيعكم .

القول فى تأويل قوله تعالى

قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ ، وَأَلْقُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِنْ كُنتُمْ فَٰعِلِينَ (١٠)

يقول تعالى ذكره : قال قائل من إخوة يوسف (لاتَقْتُلُوا يُوسُفَ) ، وقيل : إن قائل ذلك رُوبيل كان ابن خالة يوسف .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (لاتَقْتُلُوا يُوسُفَ): ذُكِر لنا أنه رُوبيل، كان أكبر القوم، وهو ابن خالة يوسف، فنهاهم عن قتله.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق (اقْتُلُوا يُوسُفَ) ... إلى قوله (إنْ كُنْتُمْ فاعِلِينَ) قال: ذُكر لى والله أعلم أن الذى قال ذلك منهم روبيل الأكبر، من بنى يعقوب، وكان أقصدهم فيه رأيا.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، قوله (لاتَقْتُلُوا يُوسُفَ) قال: كان أكبر إخوته، وكان ابن خالة يوسف، فنهاهم عن قتله.

وقيل: كان قائل ذلك منهم شمعون.

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا عبد الله بن الزبير، عن سفيان، عن ابن جريج، عن مجاهد، فى قوله (قالَ قائِلٌ مِنْهُمْ: لاتَقْتُلُوا يُوسُفَ) قال: هو شمعون.

وقوله (وألْقُوهُ فِي غَيابَتِ الجُبِّ) يقول: وألقوه فى قعر الجبّ، حيث يغيب خبره.

واختلفت القراء فى قراءة ذلك، فقرأته عامّة قرّاء أهل المدينة (غَيابات الجُبِّ) على الجماع. وقرأ ذلك عامة قرّاء سائر الأمصار (غَيابَةِ الجُبِّ) بتوحيد الغيابة. وقراءة ذلك بالتوحيد أحبّ إلىّ، والجبّ: بئر.

وقيل: إنه اسم بئر ببيت المقدس.

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة (فِي غَيابَةِ الجُبِّ) قال: بئر ببيت المقدس.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، فى قوله (غَيابَةِ الجُبِّ) قال: بئر ببيت المقدس. والغيابة: كل شىء غَيّب شيئا فهو غيابة، والجبّ: البئر غير المطوية.

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة (فِي غَيابَةِ الجُبِّ) فى بعض نواحيها: فى أسفلها.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (وألْقُوهُ فِي غَيابَةِ الجُبِّ) يقول: فى بعض نواحيها.

حدثنا الحسن بن محمد، قال: ثنا عبد الوهاب، عن سعيد، عن قتادة، مثله.

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس (وألْقُوهُ فِي غَيابَةِ الجُبِّ) قال : قالها كبيرهم الذى تخلّف ، قال : والجبّ : بئر بالشأم .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (ألْقُوهُ فِي غَيابَةِ الجُبِّ) يعنى : الركية .

حُدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول : الجبّ : البئر .

وقوله (يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ) يقول : يأخذهُ بعض مارّة الطريق من المسافرين (إنْ كُنْتُمْ فاعِلِينَ) يقول : إن كنتم فاعلين ما أقول لكم ، فذكر أنه التقطه بعض الأعراب .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس (يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ) قال : التقطه ناس من الأعراب .

وذُكر عن الحسن البصرىّ أنه قرأ (تَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ) بالتاء . حدثنى بذلك أحمد بن يوسف ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنى حجاج ، عن هارون ، عن مطر الورّاق ، عن الحسن ، وكأن الحسن ذهب فى تأنيثه بعض السيارة ، إلى أن فعل بعضها فعلها ، والعرب تفعل ذلك فى خبر كان عن المضاف إلى مؤنث ، يكون الخبر عن بعضه خبرا عن جميعه ، وذلك كقول الشاعر :

أرَى مَرَّ السِّنِينَ أخَذْنَ مِنِّى كمَا أخَذَ السِّرَارُ مِنَ الهِلالِ [1]

فقال : أخذن منى ، وقد ابتدأ الخبر عن المراد ، إذ كان الخبر عن المرّ خبرا عن السنين ، وكما قال الآخر :

إذا ماتَ مِنْهُمْ سَيِّدٌ قامَ سَيِّدٌ فَدَانَتْ لهُ أهْلُ القُرَى والكَنَائِسِ [2]

فقال : دانت له ، والخبر عن أهل القرى ، لأن الخبر عنهم كالخبر عن القرى ، ومن قال ذلك ، لم يقل : فدانت له غلام هند ، لأن الغلام لو ألقى من الكلام ، لم تدلّ هند عليه ، كما يدل الخبر عن القرية على أهلها ، وذلك أنه لو قيل : فدانت له القرى ، كان معلوما أنه خبر عن أهلها ، وكذلك بعض السيارة ، لو ألقى البعض ، فقيل : تلتقطه السيارة ، عُلم أنه خبر عن البعض أو الكلّ ، ودلّ عليه الخبر عن السيارة .

القول فى تأويل قوله تعالى

قَالُوا : يَا أَبَانَا مَالَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ (١١)

يقول تعالى ذكره : قال إخوة يوسف إذ تآمروا بينهم ، وأجمعوا على الفُرقة بينه وبين والده يعقوب

(١) السرار : الليلة التى يخفى فيها الهلال آخر الشهر . والشاهد فى أخذن ، فقد أنثه بالنون ، التى تعود على مر السنين ، لأن المر وإن كان مذكرا ، إلا أنه لما أضيف إلى السنين ، اكتسب منها التأنيث .

(٢) البيت من شواهد الكسائى ، أورده الفراء فى معانى القرآن (مصورة الجامعة رقم ٢٤٠٥٩ ج ٢ ص ١٥٠ - ١٥١) قال الفراء : والعرب إذا أضافت المذكر إلى المؤنث ، وهو فعل له أو بعض له ، قالوا فيه بالتأنيث والتذكير ، وأنشدونا . . . أورد بعض شواهد منها بيت الشاهد . ثم قال : وإنما جاز هذا كله ، لأن الثانى يكفى من الأول ؛ ألا ترى أنه لو قال : تلتقطه السيارة ، لجاز وكفى من بعض . ولا يجوز أن يقول : ضربتنى غلام جاريتك ، لأنك لو ألقيت الغلام ، لم تدخل الجارية على معناه .

لوالدهم يعقوب : (يا أبانا مالَكَ لا تَأْمَنَّا على يوسُفَ) فتتركه معنا إذا نحن خرجنا خارج المدينة إلى الصحراء (وَنَحْنُ لَهُ نَاصِحُونَ) نحوطُه ونكلؤه .

القول فى تأويل قوله تعالى

أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ ، وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (١٢)

⁂ واختلفت القراء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء أهل المدينة (يَرْتَعِ ويَلْعَبِ) بكسر العين من يرتع ، وبالياء فى يرتع ويلعب ، على معنى : يفتعل ، من الرعى : ارتعيت فأنا أرتعى ، كأنهم وجهوا معنى الكلام إلى : أرسله معنا غدا يرتع الإبل ، ويلعب (وَإِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ) .

وقرأ ذلك عامة قرّاء أهل الكوفة (أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ) بالياء فى الحرفين جميعا ، وتسكين العين ، من قولهم : رتع فلان فى ماله : إذا لها فيه ونَعم ، وأنفقه فى شهواته ، ومن ذلك قولهم فى مثل من الأمثال : القيد والرَّتْعة ؛ ومنه قول القطامىّ :

أَكُفْرًا بَعْدَ رَدّ المَوْتِ عَنِّى وبعدَ عَطائِكَ المِئَةَ الرِّتاعَا[1]

وقرأ بعض أهل البصرة (نَرْتَعْ) بالنون (وَنَلْعَبْ) بالنون فيهما جميعا ، وسكون العين من نرتع .

حدثنى أحمد بن يوسف ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا حجاج ، عن هارون ، قال : كان أبو عمرو يقرأ (نَرْتَعْ وَنَلْعَبْ) بالنون ، قال : فقلت لأبى عمرو : كيف يقولون : نلعب وهم أنبياء ؟ قال : لم يكونوا يؤمئذ أنبياء .

⁂ وأولى القراءة فى ذلك عندى بالصواب : قراءة من قرأه فى الحرفين كليهما بالياء ، وبجزم العين فى يرتعْ ، لأن القوم إنما سألوا أباهم إرسال يوسف معهم ، وخدعوه بالخبر عن مسألتهم إياه ذلك ، عما ليوسف فى إرساله معهم من الفرح والسرور والنشاط ، بخروجه إلى الصحراء وفُسْحتها ، ولعبه هنالك ، لا بالخبر عن أنفسهم . وبذلك أيضا جاء تأويل أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ) يقول : يسع وينشط .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس (يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ) قال : يلهو ، وينشَط ، ويسعى .

---

(١) البيت للقطامى (اللسان : عطا) قال : وقول القطامى : « وبعد عطائك . . . الخ » ليس على حذف الزيادة ، ألا ترى أن فى عطاء ألف « فعال » الزائدة ، ولو كان على حذف الزيادة لقال : « وبعد عطوك » . وقال البغدادى فى الخزانة (٣ : ٤٤٢) شاهد على أن العطاء هنا بمعنى الإعطاء ، ولهذا عمل عمله . والمفعول الثانى محذوف . أى بعد إعطائك المئة الرتاع إياى . قال : وأورده شراح الألفية على أن العطاء اسم مصدر ، وهو من قصيدة يمدح بها القطامى . زفر ابن الحارث الكلابى ، وحض قيسا وتغلب على الصلح . قال : وقال شارح ديوان : الرتاع : الراعية . يقول : أأخونك بعد هذا وقد منحت على وأطلقتنى . وفى اللسان : الرتع : الرعى فى الخصب . اهـ .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (أرْسِلْهُ مَعَنا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ)قال : ينشط ، ويلهو .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عبد الوهاب ، عن سعيد ، عن قتادة ، بنحوه .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ) قال : يسعى ، ويلهو .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى هشيم ، عن جويبر ، عن الضحاك ، قوله (يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ) قال : يتلهّى ويلعب .

حُدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله : (يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ) قال : يتلهّى ويلعب .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ) قال : ينشط ويلعب .

قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدىّ (أرْسِلْهُ مَعَنا غَدًا) يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ) : يلهو .

قال : ثنا حسين بن علىّ ، عن شيبان ، عن قتادة (أرْسِلْهُ مَعَنا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ) قال : ينشط ، ويلعب .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا نعيم بن ضَمضَم العامرىّ ، قال : سمعت الضحاك ابن مزاحم ، فى قوله (أرْسِلْهُ مَعَنا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ) قال : يسعى ، وينشط .

وكأن الذين يقرءون ذلك (يَرْتَعِ وَيَلْعَبْ) بكسر العين من يرتعِ ، يتأوّلونه على الوجه الذى حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (أرْسِلْهُ مَعَنا غَدًا يَرْتَعِ وَيَلْعَبْ) قال : يرعى غنمه ، وينظر ويعقل ، فيعرف ما يعرف الرجل .

وكان مجاهد يقول فى ذلك بما حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، (قوله (نَرْتَعِ) : يحفظ بعضنا بعضا ، نتكالأ ، نتحارس .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (نَرْتَعِ) قال : يحفظ بعضنا بعضا : نتكالأ .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد .

وحدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبى جعفر ، عن وَرْقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، بنحوه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، بنحوه .

فتأويل الكلام : أرسله معنا غدا نلهو ونلعب وننعم ، ونتنشط فى الصحراء ، ونحن حافظوه من أن يناله شىء يكرهه أو يؤذيه .

القول فى تأويل قوله تعالى

قَالَ إِنِّى لَيَحْزُنُنِى أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ (١٣)

يقول تعالى ذكره : (قَالَ) يعقوب لهم : (إِنِّى لَيَحْزُنُنِى أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ) معكم إلى الصحراء، مخافةً عليه من الذئب أن يأكله ، (وَأَنْتُمْ عَنْهُ غافلونَ) : لاتشعرون .

القول فى تأويل قوله تعالى

قَالُوا : لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ ، إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ (١٤)

يقول تعالى ذكره : قال إخوة يوسف لوالدهم يعقوب : لئن أكل يوسفَ الذئبُ فى الصحراء ، ونحن أحد عشر رجلا معه نحفظه ، وهم العصبة ، (إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ) يقول : إنا إذًا لعجزة هالكون .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِى غَيَابَتِ الْجُبِّ ، وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا ، وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (١٥)

وفى الكلام متروك حذف ذكره اكتفاء بما ظهر عما ترك، وهو فأرسله معهم (فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ ، وأجمَعُوا) يقول : وأجمع رأيُهم وعزموا على (أَنْ يَجْعَلُوهُ فِى غَيَابَتِ الجُبِّ) .

كما حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، عن أسباط ، عن السدىّ ، قوله (إِنِّى لَيَحْزُنُنِى أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ) . . . الآية ، قال : قال : لن أرسله معكم ، إنى أخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون . (قالُوا : لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ) . فأرسله معهم، فأخرجوه وبه عليهم كرامة ؛ فلما برزوا به إلى البرّية، أظهروا له العداوة، وجعل أخوه يضربه، فيستغيث بالآخر فيضربه، فجعل لايرى منهم رحيما ، فضربوه حتى كادوا يقتلونه ، فجعل يصيح ويقول : يا أبتاه يا يعقوب ، لو تعلم ماصَنَع بابنك بنو الإماء ؛ فلما كادوا يقتلونه قال يهوذا : أليس قد أعطيتمونى مَوثِقا أن لاتقتلوه، فانطلقوا به إلى الجبّ ليطرحوه ، فجعلوا يُدْلونه فى البئر ، فيتعلق بشفير البئر ، فربطوا يديه ، ونزعوا قميصه ، فقال : يا إخوتاه ردّوا علىّ قميصى ، أتوارى به فى الجبّ ، فقالوا : ادع الشمس والقمر والأحد عشر كوكبا تؤنسك ، قال : إنى لم أر شيئا ، فدلّوْه فى البئر ، حتى إذا بلغ نصفَها، ألقوه إرادة أن يموت ، وكان فى البئر ماء ، فسقط فيه ، ثم أوى إلى صخرة فيها ، فقام عليها ؛ قال : فلما ألقوه فى البئر جعل يبكى ، فنادَوه ، فظنّ أنها رحمة أدركتهم ، فلبّاهم، فأرادوا أن يَرْضَخُوه بصخرة فيقتلوه، فقام يهوذا فمنعهم، وقال : قد أعطيتمونى مَوثِقا ألا تقتلوه ، وكان يهوذا يأتيه بالطعام .

وقوله (فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وأجمَعُوا) فأدخلت الواو فى الجواب ، كما قال امرؤ القيس :

فَلَمَّا أَجَزْنَا سَاحَةَ الحَيِّ وَانْتَحَى بِنَا بَطْنُ خَبْتٍ ذِي حِقَافٍ عَقَنْقَلِ [١]

فأدخل الواو فى جواب لَمّا ، وإنما الكلام : فلما أجزنا ساحة الحىّ انتحى بنا ، وكذلك (فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا) لأن قوله أجمعوا هو الجواب .

وقوله (وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ) يقول : وأوحينا إلى يوسف لتخبرَنّ إخوتك بأمرهم هذا : يقول : بفعلهم هذا الذى فعلوه بك (وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) يقول : وهم لايعلمون ولا يدرون.

ثم اختلف أهل التأويل فى المعنى الذى عناه الله عزّ وجلّ بقوله : (وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) فقال بعضهم : عُنِى بذلك : أن الله أوحى إلى يوسف أنّ يوسف : سينبئ إخوته بفعلهم به مافعلوه ، من إلقائه فى الجبّ ، وبيعهم إياه ، وسائر ماصنعوا به من صنيعهم ، وإخوته لايشعرون بوحى الله إليه بذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ) إلى يوسف .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هذا) قال : أوحينا إلى يوسف : لتنبئنّ إخوتك .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن وَرْقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) قال : أَوْحَى إلى يوسف وهو فى الجبّ : أنْ سينبئهم بما صنعوا ، وهم لايشعرون بذلك الوحى .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال مجاهد (وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ) قال : إلى يوسف .

وقال آخرون : معنى ذلك : وأوحينا إلى يوسف بما إخوته صانعون به ، وإخوته لايشعرون بإعلام الله إياه بذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) بما أطلع الله عليه يوسف من أمرهم ، وهو فى البئر .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ

(١) البيت لامرئ القيس بن حجر (مختار الشعر الجاهلى بشرح مصطفى السقا ، طبعة الحلبى ص ٢٧) وأجزنا : قطعنا . والساحة الفناء . والحى : القبيلة . والجمع : الأحياء . وانتحى : اعترض . والخبت : أرض مطمئنة ؛ والحقف من الرمل : المعوج . ويروى : ركام ، أى بعضه فوق بعض : والعقنقل : المتعقد ، المتداخل . ويروى : ذى قفاف ، جمع قف ، وهو ما غلظ وارتفع من الأرض ، ولم يبلغ أن يكون جبلا بعضه فى بعض . قال الزوزنى فى شرحه للمعلقات السبع : وزعم أبو عبيدة ، وأكثر الكوفيين أن الواو فى « وانتحى » مقحمة زائدة ، وهو عندهم جواب لما . قال : وكذلك قولهم فى الواو فى قوله تعالى : « وناديناه أن يا إبراهيم » . والواو لا تقحم زائدة فى جواب لما عند البصريين ، والجواب يكون محذوفا فى مثل هذا الموضع ، تقديره فى البيت : فلما كان كذا وكذا تنعمت وتمتعت بها ، والجواب قوله : « هصرت » . وفى الآية : فازا وظفرا بما أحبا . وحذف جواب لما كثير فى التنزيل وكلام العرب .

لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) قال : أوحى الله إلى يوسف وهو فى الجبّ أن ينبئهم بما صنعوا به ، وهم لايشعرون بذلك الوحى .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن معمر ، عن قتادة بنحوه ، إلا أنه قال : أنْ سينبئهم .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : أن يوسف سينبئهم بصنيعهم به ، وهم لايشعرون أنه يوسف .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) يقول : وهم لايشعرون أنه يوسف .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا صدقة بن عُبادة الأسدىّ ، عن أبيه ، قال : سمعت ابن عباس يقول : لما دخل إخوة يوسف ، فعرفهم وهم له منكرون ، قال : جىء بالصُّواع فوضعه على يده، ثم نقره، فطنّ ، فقال : إنه ليخبرنى هذا الجام أنه كان لكم أخ من أبيكم، يقال له يوسف، يدنيه دونكم ، وأنكم انطلقتم به ، فألقيتموه فى غَيابة الجبّ . قال : ثم نقره ، فطنّ ، ، فأتيتم أباكم فقلتم : إن الذئب أكله ، وجئتم على قميصه بدم كذب ، قال : فقال بعضهم لبعض : إن هذا الجام ليخبره بخبركم ، قال ابن عباس : فلا نرى هذه الآية نزلت إلا فيهم (لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ (١٦) قَالُوا : يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ ، وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا ، فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ ، وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ (١٧)

يقول جلّ ثناؤه : وجاء إخوة يوسف أباهم بعد ما ألقوا يوسف فى غيابة الجبّ (عِشَاءً يَبْكُونَ) وقيل : إن معنى قوله (نَسْتَبِقُ) ننتضل من السِّباق .

كما حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قال : أقبلوا على أبيهم عشاء يبكون، فلما سمع أصواتهم، فزع ، وقال : مالكم يا بنىّ، هل أصابكم فى غنمكم شىء ؟ قالوا : لا ، قال : فما فعل يوسف؟ (قالوا : يا أبانا إنَّا ذَهَبْنا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنا يُوسُفَ عِنْدَ مَتاعِنا، فأكَلَهُ الذِّئْبُ) فبكى الشيخ، وصاح بأعلى صوته، وقال : أين القميص ؟ فجاءوه بالقميص عليه دم كذب، فأخذ القميص ، فطرحه على وجهه ، ثم بكى ، حتى تخضبَ وجهه من دم القميص .

وقوله (وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا) يقولون : وما أنت بمصدّقنا على قيلنا إن يوسف أكله الذئب (وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ) .

كما حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد، عن أسباط ، عن السدىّ (وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا)

قال : بمصدّق لنا (وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ)[1] إما خبر عنهم أنهم غير صادقين ، فذلك تكذيب منهم أنفسهم ، أو خبر منهم عن أبيهم أنه لايصدقهم لو صدقوه ، فقد علمت أنهم لو صدقوا أباهم الخبر صَدّقهم ؟ قيل : ليس معنى ذلك بواحد منهما ، وإنما معنى ذلك : وما أنت بمصدّق لنا ولو كنا من أهل الصدق الذين لايتهمون ، لسوء ظنك بنا ، وتهمتك لنا .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ ، قَالَ : بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ، فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ (١٨)

⁂ يقول تعالى ذكره (وَجاءُوا على قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ) وسماه الله كذبا ، لأن الذين جاءوا بالقميص وهو فيه كَذَبوا ، فقالوا ليعقوب : هو دم يوسف ، ولم يكن دمه ، وإنما كان دم سَخْلَة[2] فيما قيل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى أحمد بن عبد الصمد الأنصارى ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (وَجاءُوا على قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ) قال : دم سَخْلَة .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (وَجاءُوا على قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ) قال : دم سخلة شاة .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (بِدَمٍ كَذِبٍ) قال : دم سَخْلة ، يعنى : شاة .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (بِدَمٍ كَذِبٍ) قال : دم سخلة شاة .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (بِدَمٍ كَذِبٍ) قال : كان ذلك الدم كذبا ، لم يكن دم يوسف .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (بِدَمٍ كَذِبٍ) قال : دم سخلة شاة .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، عن إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، فى قوله (بِدَمٍ كَذِبٍ) قال : بدم سَخْلة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، عن أسباط ، عن السدىّ ، قال : ذبحوا جَدْيا من الغنم ، ثم لطخوا القميص بدمه ، ثم أقبلوا إلى أبيهم ، فقال يعقوب : إنْ كان هذا الذئب لرحيما ، كيف أكل لحمه ولم يخرق قميصه ؟ يا بنىّ يا يوسف ، مافعل بك بنو الإماء .

(١) لعله : فإن قال قائل : قوله : ولو كنا . . . الخ .

(٢) السخلة : ولد الشاة ، من المعز والضأن ، ذكرا كان أو أنثى .

حدثنى الحارث، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا سفيان الثورى ، عن سماك بن حرب ، عن سعيد ابن جبير ، عن ابن عباس (وَجاءُوا على قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ) قال : لو أكله السبع لخرق القميص .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا أبو خالد ، قال : ثنا سفيان بإسناده عن ابن عباس مثله ، إلا أنه قال : لو أكله الذئب لخرق القميص .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن سماك ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، فى قوله (وَجاءُوا على قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ) قال : لو كان الذئب أكله لخرقه .

حدثنى عبيد الله بن أبى زياد ، قال : ثنا عثمان بن عمرو ، قال : ثنا قُرة ، عن الحسن ، قال : جىء بقميص يوسف إلى يعقوب ، فجعل ينظر إليه ، فيرى أثر الدم ، ولا يرى فيه خَرْقا ، قال : يا بنىّ ، ما كنت أعهد الذئب حليما .

حدثنا أحمد بن عبد الصمد الأنصارىّ ، قال: ثنا أبو عاصم العَقَدىّ ، عن قرة ، قال : سمعت الحسن يقول : لما جاءوا بقميص يوسف ، فلم ير يعقوب شقا ، قال : يا بنىّ ، والله ماعهدت الذئب حليما .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا حماد بن مسعدة ، عن عمران بن مسلم ، عن الحسن ، قال : لما جاء إخوة يوسف بقميصه إلى أبيهم ، قال : جعل يقلبه ، فيقول : ماعهدت الذئب حليما ، أكل ابنى ، وأبقى على قميصه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَجاءُوا على قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ) قال : لما أتوا نبىّ الله يعقوب بقميصه ، قال : ما أرى أثر سبع ، ولا طعنَ ولا خَرْق .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (بِدَمٍ كَذِبٍ) الدم كذب ، لم يكن دم يوسف .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا مجالد ، عن الشعبىّ ، قال : ذبحوا جَدْيا ، ولطخوه من دمه ؛ فلما نظر يعقوب إلى القميص صحيحا ، عرف أن القوم كَذَبوه ، فقال لهم : إنْ كان هذا الذئب لحليما ، حيث رحم القميص ، ولم يرحم ابنى ، فعرف أنهم قد كذبوه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن سفيان ، عن سماك ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس (وَجاءُوا على قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ) قال : لما أتى يعقوب بقميص يوسف ، فلم ير فيه خرقا ، قال : كذبتم ، لو أكله السبع لخرق قميصه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا إسحاق الأزرق ، وعَلى ، عن زكريا ، عن سماك عن عامر ، قال : كان فى قميص يوسف ثلاث آيات ، حين جاءوا على قميصه بدم كذب . قال : وقال يعقوب : لو أكله الذئب لخرق قميصه.

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا محمد ، قال : ثنا زكريا ، عن سماك ، عن عامر ، قال : إنه كان يقول : فى قميص يوسف ثلاث آيات ، حين ألقى على وجه أبيه فارتدّ بصيرا ، وحين قدّ من دبر ، وحين جاءوا على قميصه بدم كذب .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن إسرائيل ، عن سماك ، عن عامر ، قال : كان فى قميص يوسف ثلاث آيات : الشقّ ، والدم ، وألقاه على وجه أبيه ، فارتدّ بصيرا .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو عامر ، قال : ثنا قُرة ، عن الحسن ، قال : لما جىء بقميص يوسف إلى يعقوب ، فرأى الدم ، ولم ير الشقّ ، قال : ما عهدت الذئب حليما .

قال : ثنا حماد بن مسعدة ، قال : ثنا قرة ، عن الحسن ، بمثله .

فإن قال قائل : كيف قيل (بِدَمٍ كَذِبٍ) وقد علمت أنه كان دما لاشكّ فيه ، وإن لم يكن كان دم يوسف ؟ قيل : فى ذلك من القول وجهان : أحدهما : أن يكون قيل (بِدَمٍ كَذِبٍ) لأنه كُذِب فيه ، كما يقال : الليلة الهلال ، وكما قيل : (فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ) وذلك قول كان بعض نحوىّ البصرة يقوله .

والوجه الآخر : وهو أن يقال : هو مصدر بمعنى مفعول ، وتأويله : وجاءوا على قميصه بدم مكذوب ، كما يقال : ماله عقل ولا معقول ، ولا له جَلَد ، ولا له مجلود ، والعرب تفعل ذلك كثيرا ، تضع مفعولا فى موضع المصدر ، والمصدر فى موضع مفعول ، كما قال الراعى :

حَتَّى إذَا لَمْ يَتْرُكُوا لِعِظَامِهِ لَحْما وَلا لِفُؤَادِهِ مَعْقُولا[1]

وذلك كان يقوله بعض نحوىّ الكوفة .

وقوله (قالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أنْفُسُكُمْ أمْرًا) يقول تعالى ذكره : قال يعقوب لبنيه الذين أخبروه ، أن الذئب أكل يوسف ، مكذّبا لهم فى خبرهم ذلك ، ما الأمر كما تقولون (بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أنْفُسُكُمْ أمْرًا) يقول : بل زينت لكم أنفسكم أمرا فى يوسف ، وحسنته ففعلتموه .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (قالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أنْفُسُكُمْ أمْرًا) قال : يقول : بل زينت لكم أنفسكم أمرا .

وقوله (فَصَبْرٌ جَمِيلٌ) يقول : فصبرى على ما فعلتم بى فى أمر يوسف ، صبر جميل ، أو فهو صبر جميل . وقوله (وَاللهُ المُسْتَعانُ على ما تَصِفُونَ) يقول : والله أستعينُ على كفايتى شرّ ماتصفون من الكذب . وقيل : إن الصبر الجميل : هو الصبر الذى لاجزع فيه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (فَصَبْرٌ جَمِيلٌ) قال : ليس فيه جَزَع .

---

(١) البيت للراعى النميرى ، من قصيدة له يمدح عبد الملك بن مروان ، ويشكو من السعاة (جباة الزكاة) . وقد وردت فى جمهرة أشعار العرب لابن أبى الخطاب القرشى (ص ١٧٢ – ١٧٦) يقول : إن السعاة ضربوا عريف القوم وهو رئيسهم ، بالسياط الأصبحية (فى البيت قبله) حتى لم يتركوا على عظامه لحما ، ولا أبقوا فى فؤاده عقلا . والمعقول : مصدر بمعنى العقل .

وأورده الفراء فى معانى القرآن (مصورة جامعة القاهرة رقم ٢٤٠٥٩ ج ٢ ص ١٥١) قال : وقوله « وجاءوا على قميصه بدم كذب » معناه مكذوب . والعرب تقول : للكذب مكذوب ، وليس له عقد رأى ، ،ومعقود رأى ، فيجعلون المصدر فى كثير من الكلام مفعولا ، ويقولون : هذا أمر ليس له معنى ، يريدون معنى ، قال الشاعر : « إن أخا المجلود من صبرا » . وقال آخر « حتى إذا لم يتركوا . . . » البيت .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو نعيم ، قال : ثنا سفيان ، عن مجاهد (فَصَبْرٌ جَمِيلٌ) فى غير جزَع .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن عبد الرحمن بن يحيى ، عن حِبّان بن أبى جَبَلة ، قال « سُئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله (فَصَبْرٌ جَمِيلٌ) قال : صبرٌ لاشكوى فيه » قال : من بَثَّ فلم يصبر .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا عبد الرحمن بن يحيى ، عن حِبان بن أبى جبلة « أن النبىّ صلى الله عليه وسلم سُئل عن قوله (فَصَبْرٌ جَمِيلٌ) قال : صَبْرٌ لاشَكْوَى فِيهِ » .

قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (فَصَبْرٌ جَمِيلٌ) : ليس فيه جزَع .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزّاق ، قال : أخبرنا الثورىّ ، عن رجل ، عن مجاهد ، فى قوله (فَصَبْرٌ جَمِيلٌ) : قال : فى غير جزَع .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا الثورىّ ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثورىّ ، عن بعض أصحابه ، قال : يقال ثلاث من الصبر : أن لاتحدّث بوجعك ولا بمصيبتك ، ولا تزكّى نفسك .

قال : أخبرنا الثورىّ ، عن حبيب بن أبى ثابت « أن يعقوب النبىّ صلى الله عليه وسلم كان قد سقط حاجباه ، فكان يرفعهما بخرقة ، فقيل له ما هذا ؟ قال : طول الزمان ، وكثرة الأحزان ، فأوحى الله تبارك وتعالى إليه : يا يعقوب أتشكونى ؟ قال : يا ربّ خطيئةٌ أخطأتها ، فاغفرها لى » .

وقوله (وَاللهُ المُسْتَعَانُ على ما تَصِفُونَ) حدثنا بشر قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَاللهُ المُسْتَعَانُ على ما تَصِفُونَ) : أى على ما تكذبون .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ ، فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُ ، قَالَ : يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌ ، وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةً ، وَاللهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ (١٩)

يقول تعالى ذكره : وجاءت مارّة الطريق من المسافرين (فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ) وهو الذى يرد المَنهل والمنزل ، وورود إياه : مصيره إليه ودخوله (فَأَدْلَى دَلْوَهُ) يقول : أرسل دلوه فى البئر ، يقال : أدليت الدلو فى البئر : إذا أرسلتها فيه ، فإذا استقيت فيها قلت : دَلَوْت أدلو دَلْوا . وفى الكلام محذوف

استغنى بدلالة ماذكرعليه فترك ، وذلك : فأدلى دلوه ، فتعلق به يوسف فخرج ، فقال المدلى : (يا بُشْرَى هَذَا غُلامٌ) .

وبالذى قلنا فى ذلك جاءت الأخبار عن أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، عن أسباط ، عن السدىّ (وجاءتْ سيَّارةٌ فأرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأدْلى دَلْوَهُ) فتعلق يوسف بالحبل فخرج ، فلما رآه صاحب الحبل ، نادى رجلا من أصحابه يقال له بشرى (يا بُشْرَى هَذَا غُلامٌ) .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (فأرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأدْلى دَلْوَهُ) فتشبث الغلام بالدلو ، فلما خرج قال : يا بشرى ، هذا غلام .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَأرْسَلُوا وَارِدَهُمْ) يقال : أرسلوا رسولهم ، فلما (أَدْلَى دَلْوَهُ) تشبث بها الغلام (قالَ يا بُشْرَى هَذَا غُلامٌ) .

واختلفوا فى معنى قوله (يابُشْرَى هَذَا غُلامٌ) فقال بعضهم : ذلك تبشير من المدلى دلوه أصحابه ، فى إصابته يوسف بأنه أصاب عبدا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (قالَ يا بُشْرَى هَذَا غُلامٌ) تباشروا به حين أخرجوه ، وهى بئر بأرض بيت المقدس ، معلوم مكانها .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (يا بُشْرَى هَذَا غُلامٌ) قال : بشرَّهم واردهم حين وجد يوسف .

وقال آخرون : بل ذلك اسم رجل من السيَّارة بعينه ، ناداه المُدْلِى لما خرج يوسف من البئر ، متعلقا بالحبل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (يا بُشْرَى هَذَا غُلامٌ) قال : نادى رجلا من أصحابه يقال له : بُشْرَى ، فقال (يا بُشْرَى ، هَذَا غُلامٌ) .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا خلف بن هشام ، قال : ثنا يحيى بن آدم ، عن قيس بن الربيع ، عن السدىّ ، فى قوله (يا بُشْرَى هَذَا غُلامٌ) قال : كان اسم صاحبه بشرى .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرحمن بن أبى حماد ، قال : ثنا الحكم بن ظَهِير ، عن السدىّ ، فى قوله (يا بُشْرَى هَذَا غُلامٌ) قال : اسم الغلام بشرى ، قال : يابشرى ، كما تقول : يازيد .

واختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأ ذلك عامةُ القرّاء أهل المدينة (يا بُشْرَىَّ) بإثبات ياء الإضافة ، غير أنه أدغم الألف فى الياء طلبا للكسرة التى تلزم ما قبل ياء الإضافة من المتكلم فى قولهم : غلامى وجاريتى فى كل حال ، وذلك من لغة طيئ ، كما قال أبو ذؤيب :

سَبَقُوا هَوَىَّ وأعْنَقُوا لِهَوَاهُمُ فتُخُرِّمُوا ولكلّ جَنْبٍ مَصْرَعُ [١]

وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفيين (يا بُشْرَى) بارسال الياء وترك الإضافة ؛ وإذا قرئ ذلك كذلك ، احتمل وجهين من التأويل : أحدهما : ما قاله السدىّ ، وهو أن يكون اسم رجل دعاه المستقى باسمه ، كما يقال : يا زيد ، ويا عمرو ، فيكون بشرى فى موضع رفع بالنداء . والآخر : أن يكون أراد إضافة البشرى إلى نفسه ، فحذف الياء وهو يريدها ، فيكون مفردا ، وفيه نية الإضافة ، كما تفعل العرب فى النداء فتقول : يا نفس اصبرى ، ويا نفسى اصبرى ، ويا بَنَىّ لاتفعل ، ويا بنىّ لاتفعل ، فتفرد وترفع ، وفيه نية الإضافة ، وتضيف أحيانا فتكسر ، كما تقول : ياغلام أقبل ، ويا غلامى أقبل .

وأعجب القراءة فى ذلك إلىّ قراءة من قرأه بإرسال الياء وتسكينها ، لأنه إن كان اسم رجل بعينه ، كان معروفا فيهم ، كما قال السدىّ ، فذلك هى القراءة الصحيحة لاشكّ فيها ، وإن كان من التبشير فإنه يحتمل ذلك إذا قرئ كذلك على ما بيّنت . وأما التشديد والإضافة فى الياء فقراءة شاذّة لاأرى القراءة بها ، وإن كانت لغة معروفة لإجماع الحجة من القرّاء على خلافها .

وأما قوله (وأسَرُّوهُ بِضَاعَةً) فإن أهل التأويل اختلفوا فى تأويله ، فقال بعضهم : وأسرّه الوارد المستقى ، وأصحابه من التجار الذين كانوا معهم ، وقالوا لهم : هو بضاعة استبضعناها بعض أهل مصر ، لأنهم خافوا إن علموا أنهم اشتروه بما اشتروه به ، أن يطلبوا منهم فيه الشركة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وأسَرُّوهُ بِضَاعَةً) قال : صاحب الدلو ومن معه قالوا لأصحابهم : إنما استبضعناه خيفة أن يشركوهم فيه إن علموا بثمنه ، وتبعهم إخوته يقولون للمدلى وأصحابه : استوثِق منه لايأبق ، حتى وقفوه بمصر ، فقال : من يبتاعنى ويبشّر ، فاشتراه الملك ، والملك مسلم .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد بنحوه ، غير أنه قال : خيفة أن يستشركوهم إن علموا به ، واتبعهم إخوته يقولون للمدلى وأصحابه : استوثقوا منه لايأبق ، حتى أوقفوه بمصر ، وسائر الحديث مثل حديث محمد بن عمرو .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد .

قال : وثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، بنحوه ، غير أنه قال : خيفة أن يشاركوهم فيه إن علموا بثمنه .

---

(١) البيت لأبى ذؤيب يرثى أولاده (ديوان الهذليين طبعة دار الكتب المصرية ١ : ٢) . وهوى : هواى ، وهذه لغة هذيل ، يقلبون ألف المقصور المضاف إلى الياء ياء ، ثم يدغمونهما . فيقولون هذه عصى فى عصاى . وأعنقوا : أسرعوا . فتخرموا : أى أخذوا واحدا واحدا . وهو من شواهد النحويين . ورواه الفراء فى معانى القرآن ، عن القاسم بن معن باختلاف عن رواية الطبرى هنا ، قال :

تَرَكُوا هَوَىَّ وأعْنَقُوا لِهَوَاهُمُ فَفَقَدْتُهُمْ ولكلّ حُبٍّ مَصْرَعُ

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، بنحوه ، إلا أنه قال : خيفة أن يستشركوهم فيه إن علموا ثمنه ، وقال أيضا : حتى أوقفوه بمصر .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وأسَرُّوهُ بِضَاعَةً) قال : لما اشتراه الرجلان فَرَقا من الرُّفقة أن يقولوا اشتريناه ، فيسألوهم الشركة ، فقالا : إن سألونا ما هذا ؟ قلنا بضاعة استبضعناه أهل الماء ، فذلك قوله (وأسَرُّوهُ بِضَاعَةً) بينهم .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : وأسرّه التجار بعضهم من بعض .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن رجل ، عن مجاهد (وأسَرُّوهُ بِضَاعَةً) قال : أسرّه التجار بعضهم من بعض .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو نعيم الفضل ، قال : ثنا سفيان ، عن مجاهد (وأسَرُّوهُ بِضَاعَةً) قال : أسرّه التجار بعضهم من بعض .

وقال آخرون : معنى ذلك : وأسرّوا بيعه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة (وأسَرُّوهُ بِضَاعَةً) قال : أسرّوا بيعه .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا قيس ، عن جابر ، عن مجاهد (وأسَرُّوهُ بِضَاعَةً) قال : قالوا لأهل الماء : إنما هو بضاعة .

وقال آخرون : إنما عنى بقوله (وأسَرُّوهُ بِضَاعَةً) إخوة يوسف ، أنهم أسرّوا شأن يوسف أن يكون أخاهم ، قالوا : هو عبد لنا .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله (وَأسَرّوهُ بِضَاعَةً) يعنى إخوةَ يوسف أسرّوا شأنه ، وكتموا أن يكون أخاهم ، فكتم يوسف شأنه ، مخافة أن تقتله إخوته ، واختار البيع ، فذكره إخوته لوارد القوم ، فنادى أصحابَه ، قال : (يا بُشْرَى ، هَذَا غُلامٌ) يباع ، فباعه إخوته .

⁂ وأولى هذه الأقوال بالصواب : قول من قال : وأسرّ وَارد القوم المُدْلِى دلوه ، ومن معه من أصحابه ، من رُفقته السيارة ، أمر يوسف ، أنهم اشتروه ، خيفة منهم أن يستشركوهم ، وقالوا لهم : هو بضاعة أَبْضَعها معنا أهل الماء ، وذلك أنه عَقِيب الخبر عنه ، فلأن يكون ماوليه من الخبر خبرا عنه ، أشبه من أن يكون خبرا عمن هو بالخبر عنه غير متصل .

وقوله (وَاللهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ) يقول تعالى ذكره : والله ذو علم بما يعمله باعة يوسف ومشتروه فى أمره، لايخفى عليه من ذلك شىء ، ولكنه ترك تغيير ذلك، ليمضى فيه وفيهم حكمه السابق فى علمه، وليرى إخوة يوسف ويوسف وأباه قدرته فيه . وهذا وإن كان خبرا من الله تعالى ذكره عن يوسف نبيه صلى الله عليه وسلم ، فإنه تذكير من الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم ، وتسلية منه له عما كان يلقى من أقربائه وأنسبائه المشركين من الأذى فيه ، يقول له : فاصبر يا محمد على ما نالك فى الله ، فإنى قادر على تغيير ما ينالك به هؤلاء المشركون ، كما كنتُ قادرا على تغيير ما لقى يوسف من إخوته، فى حال ما كانوا يفعلون به مافعلوا ، ولم يكن تركى ذلك لهوان يوسف علىّ ، ولكن لماضى علمى فيه وفى إخوته ، فكذلك تركى تغيير ما ينالك به هؤلاء المشركون لغير هوان بك علىّ ، ، ولكن لسابق علمى فيك وفيهم ، ثم يصير أمرك وأمرهم إلى علوّك عليهم ، وإذ عانهم لك ، كما صار أمر إخوة يوسف إلى الإذعان ليوسف بالسؤدد عليهم ، وعلوّ يوسف عليهم .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ ، وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ (٢٠)

⁂ يعنى تعالى ذكره بقوله (وَشَرَوْهُ) به ، وباع إخوة يوسف يوسف ، فأما إذا أراد الخبر عن أنه ابتاعه ، قال : اشتريته ؛ ومنه قول ابن مفرِّغ الحِمْيرىّ :

وَشَرَيْتُ بُرْدًا لَيْتَنِى مِنْ قبلِ بُرْدٍ كُنْتُ هامَهْ[1]

يقول : بعت بُردا ، وهو عبد كان له .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، عن مغيرة ، عن أبى معشر ، عن إبراهيم ، أنه كره الشراء والبيع للبدوىّ ؛ قال : والعرب تقول : اشْرِ لى كذا وكذا : أى بع لى كذا وكذا ، وتلا هذه الآية (وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ) يقول : باعوه ، وكان بيعه حراما .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد: إخوة يوسف أحد عشر رجلا ، باعوه، حين أخرجه المُدْلِى بدَلوه .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد بمثله .

حدثنى المثنى ، قال: ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد؛ وثنا إسحاق، قال: ثنا عبد الله بن أبى جعفر ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

---

(١) البيت من شواهد أبى عبيدة فى مجاز القرآن (١ : ٣٠٤) على أن شريت بمعنى بعت . وفى (اللسان : شرى) : وشاهد شريت بمعنى بعت ، قول يزيد بن مفرغ وقد باع غلامه بردا ، فندم بعد بيعه :

شَرَيْتُ بُرْدًا وَلَوْلا ما تكَنَّفَنِى مِنَ الحَوَادِثِ ما فارَقتُه أبَدَا

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج (وَشَرَوْهُ) قال : قال ابن عباس : فبيع بينهم .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن جويبر ، عن الضحاك ، فى قوله (وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ) قال : باعوه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا هشيم ، عن جويبر ، عن الضحاك ، مثله .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : فباعه إخوته بثمن بخس .

وقال آخرون : بل عنى بقوله (وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ) السيارة أنهم باعوا يوسف بثمن بخس .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ) وهم السيارة الذين باعوه .

⁂ وأولى القولين فى ذلك بالصواب : قول من قال : تأويل ذلك : وشَرَوا إخوةُ يوسف ، يوسف بثمن بخس ، وذلك أن الله عزّ وجلّ قد أخبر عن الذين اشتروه أنهم أسرّوا شراء يوسف من أصحابهم ، خيفة أن يستشركوهم ، بادعائهم أنه بضاعة ، ولم يقولوا ذلك إلا رغبة فيه أن يخلص لهم دونهم ، واسترخاصا لثمنه الذى ابتاعوه به ، لأنهم ابتاعوه ، كما قال جلّ ثناؤه (بِثَمَنٍ بَخْسٍ) ولو كان مبتاعوه من إخوته فيه من الزاهدين ، لم يكن لقيلهم لرفقائهم هو بضاعة معنى ، ولا كان لشرائهم إياه وهم فيه من الزاهدين ، وجه ، إلا أن يكونوا كانوا مغلوبا على عقولهم ، لأنه محال أن يشترى صحيح العقل ماهو فيه زاهد ، من غير إكراه مُكرِهٍ له عليه ، ثم يكذب فى أمره الناسَ بأن يقول : هو بضاعة ، لم أشتره مع زهده فيه ، بل هذا القول من قول مَن هو بسلعته ضنين ، لنفاستها عنده ، ولما يرجو من نفيس الثمن لها ، وفضل الربح .

وأما قوله (بَخْسٍ) فإنه يعنى : نقص ، وهو مصدر من قول القائل : بخست فلانا حقه : إذا ظلمته ، يعنى : ظلمه فنقصه عما يجب له من الوفاء ، أبخسه بخسا ؛ ومنه قوله (وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ) ، وإنما أريد بثمن مبخوس منقوص ، فوضع البخس وهو مصدر ، مكان مفعول ، كما قيل (بِدَمٍ كَذِبٍ) ، وإنما هو بدم مكذوب فيه .

واختلف أهل التأويل فى معنى ذلك ، فقال بعضهم : قيل (بِثَمَنٍ بَخْسٍ) لأنه كان حراما عليهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا المحاربىّ ، عن جويبر ، عن الضحاك (وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ) قال : البخس : الحرام .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا علىّ بن عاصم ، عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول : كان ثمنه بخسا حراما ، لم يحلّ لهم أن يأكلوه .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : ثنا هشيم ، عن جويبر ، عن الضحاك ، فى قوله (وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ) قال : باعوه بثمن بخس ، قال : كان بيعه حراما ، وشراؤه حراما .

حدثنى القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا جويبر ، عن الضحاك (بِثَمَنٍ بَخْسٍ) قال : حرام .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (بِثَمَنٍ بَخْسٍ) يقول : لم يحلّ لهم أن يأكلوا ثمنه .

وقال آخرون : معنى البخس هنا : الظلم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ) قال : البخس : هو الظلم ، وكان بيع يوسف وثمنه حراما عليهم .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، قال : قال قتادة (وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ) قال : ظلم .

وقال آخرون : عنى بالبخس فى هذا الموضع : القليل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن آدم ، عن قيس ، عن جابر ، عن عامر ، قال : البخس : القليل .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا قيس ، عن جابر ، عن عكرمة ، مثله . وقد بيّنا الصحيح من القول فى ذلك .

وأما قوله (دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ) فإنه يعنى عز وجلّ أنهم باعوه بدراهم غير موزونة ، ناقصة غير وافية ، لزهدهم كان فيه . وقيل : إنما قيل : معدودة ، ليعلم بذلك أنها كانت أقلّ من الأربعين ، لأنهم كانوا فى ذلك الزمان ، لا يزنون ما كان وزنه أقلّ من أربعين درهما ، لأن أقلّ أوزانهم وأصغرها كان الأوقية ، وكان وزن الأوقية أربعين درهما ، قالوا : وإنما دلّ بقوله (مَعْدُودَةٍ) على قلة الدراهم التى باعوه بها ، فقال بعضهم : كان عشرين درهما .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا حميد بن عبد الرحمن ، عن زهير ، عن أبى إسحاق ، عن أبى عبيدة ، عن عبد الله ، قال : إن ما اشترى به يوسف عشرون درهما .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا الحمانىّ ، قال : ثنا شريك ، عن أبى إسحاق ، عن أبى عبيدة ، عن عبد الله (وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ) قال : عشرون درهما .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبى إسحاق ، عن نَوْف البكالىّ ، فى قوله (وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ) قال : عشرون درهما .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع : وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن أبى إسحاق عن نوف البكالىّ (بَخْسٍ دَرَاهِم) قال : كانت عشرين درهما .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا الحمّانىّ ، قال : ثنا شريك ، عن أبى إسحاق ، عن نوف ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس ، فى قوله (بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ) قال : عشرون درهما .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدىّ (دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ) قال : كانت عشرين درهما .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة : ذُكِر لنا أنه بيع بعشرين درهما ، وكانوا فيه من الزاهدين .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، مثله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، عن أبى إدريس ، عن عطية ، قال : كانت الدراهم عشرين درهما اقتسموها ، درهمين درهمين .

وقال آخرون : بل كان عددها اثنين وعشرين درهما ، أخذ كلّ واحد من إخوة يوسف ، وهم أحد عشر رجلا ، درهمين درهمين منها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا أسباط ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ) قال : اثنين وعشرين درهما .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ) قال : اثنان وعشرون درهما ، لإخوة يوسف أحد عشر رجلا .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ) ؛ قال : وثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، بنحوه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، بنحوه .

وقال آخرون : بل كانت أربعين درهما .

ذكر من قال ذلك

حدثنى الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا قيس ، عن جابر ، عن عكرمة (دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ) قال : أربعين درهما .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : باعوه ، ولم يبلغ ثمنه الذى باعوه به أوقية ، وذلك أن الناس كانوا يتبايعون فى ذلك الزمان بالأواقّ ، فما قصر عن الأوقية ، فهو عدد ، يقول الله (وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ) أى : لم يبلغ الأوقية .

⁂ والصواب من القول فى ذلك: أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر أنهم باعوه بدراهم معدودة ، غير موزونة ، ولم يحُدّ مبلغ ذلك بوزن ولا عدد، ولا وضع عليه دلالة فى كتاب ، ولا خبر من الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقد يحتمل أن يكون كان عشرين ، ويحتمل أن يكون كان اثنين وعشرين ، وأن يكون كان أربعين ، وأقلّ من ذلك وأكثر ، وأىّ ذلك كان، فإنها كانت معدودة غير موزونة ، وليس فى العلم بمبلغ وزن ذلك فائدة تقع فى دين ، ولا فى الجهل به دخول ضرّ فيه ، والإيمان بظاهر التنزيل فرض ، وما عداه فموضوع عنا تكلّف علمه .

وقوله (وكانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ) يقول تعالى ذكره : وكان إخوة يوسف فى يوسف من الزاهدين لايعلمون كرامته عند الله، ولا يعرفون منزلته عنده، فهم مع ذلك يحبون أن يحولوا بينه وبين والده ليخلو لهم وجهه منه، ويقطعوه عن القرب منه لتكون المنافع التى كانت مصروفة إلى يوسف دونهم ، مصروفة إليهم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، عن أبى مرزوق ، عن جويبر ، عن الضحاك (وكانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ) قال : لم يعلموا بنبوّته ، ومنزلته من الله .

حُدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، يقول : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك، فى قوله (وَجاءَتْ سَيَّارَةٌ) فنزلت على الجبّ (فأرْسَلُوا وَارِدَهُمْ)، فاستقى من الماء ، فاستخرج يوسف، فاستبشروا بأنهم أصابوا غلاما، لايعلمون علمه، ولا منزلته من ربه، فزهدوا فيه، فباعوه، وكان بيعه حراما ، وباعوه بدراهم معدودة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى هشيم ، قال : أخبرنا جويبر ، عن الضحاك (وكانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ) قال : إخوته زهدوا ، فلم يعلموا منزلته من الله ، ونبوّته ، ومكانه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : إخوته زهدوا فيه ، لم يعلموا منزلته من الله عزّ وجلّ .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَقَالَ الَّذِى اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِى مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا ، وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى الْأَرْضِ ، وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ، وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ ، وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٢١)

⁂ يقول جلّ ثناؤه : وقال الذى اشترى يوسف من بائعه بمصر ، وذكر أن اسمه قطفير .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،

قال : كان اسم الذى اشتراه قطفير . وقيل : إن اسمه إطفير بن روحيب ، وهو العزيز ، وكان على خزائن مصر ، وكان الملك يومئذ الريانَ بن الوليد ، رجل من العماليق .

كذلك حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق . وقيل : إن الذى باعه بمصر كان مالك بن ذعر بن ثويب بن عنقاء بن مديان بن إبراهيم .

كذلك حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن محمد بن السائب ، عن أبى صالح ، عن ابن عباس (وَقالَ الَّذِى اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لامْرَأتِهِ) واسمها فيما ذكر ابن إسحاق : راعيل بنت رعائيل .

حدثنا بذلك بن حميد، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق . (أكْرِمِى مَثْوَاهُ) يقول : أكرمى موضع مُقامه ، وذلك حيث يَثْوِى ويقيم فيه ، يقال : ثوى فلان بمكان كذا : إذا أقام فيه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (أكْرِمِى مَثْوَاهُ) منزلته ، وهى امرأة العزيز .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (وَقالَ الَّذِى اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لامْرَأتِهِ أكْرِمِى مَثْوَاهُ) قال : منزلته .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد اشتراه الملك ، والملك مسلم .

وقوله (عَسَى أنْ يَنْفَعَنا أوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا) ذُكر أن مشترىَ يوسف ، قال هذا القول لامرأته ، حين دفعه إليها ، لأنه لم يكن له ولد ، ولم يأت النساء ، فقال لها : أكرميه عسى أن يكفينا بعض ما نعانى من أمورنا ، إذا فهم الأمور التى نكلفها وعرفها ، أو نتخذه ولدا : يقول : أو نتبنّاه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : كان إطفير فيما ذُكر لى ، رجلا لا يأتى النساء وكانت امرأته راعيل امرأة حسناء ناعمة ، طاعمة فى ملك ودنيا .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن أبى إسحاق ، عن أبى الأحوص ، عن عبد الله ، قال : أفرس الناس ثلاثة : العزيز حين تفرّس فى يوسف ، فقال لامرأته (أكْرِمِى مَثْوَاهُ عَسَى أنْ يَنْفَعَنا أوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا) وأبو بكر حين تفرّس فى عمر ، والتى قالت (يا أبَتِ اسْتَأْجِرْهُ ، إنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ القَوِىُّ الأمِينُ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قال : انْطُلِقَ بيوسف إلى مصر ، فاشتراه العزيز ملك مصر ، فانطُلِق به إلى بيته ، فقال لامرأته : (أكْرِمِى مَثْوَاهُ ، عَسَى أنْ يَنْفَعَنا ، أوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا) .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبى إسحاق ، عن أبى عبيدة ، عن عبد الله ، قال : أفرس الناس ثلاثة : العزيز حين قال لامرأته (أَكْرِمِى مَثْوَاهُ) والقوم فيه زاهدون . وأبو بكر حين تفرّس فى عمر فاستخلفه . والمرأة التى قالت : (يا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ) .

وقوله (وكذلكَ مَكّنّا لِيُوسُفَ فِى الأَرْضِ) يقول عزّ وجلّ : وكما أنقذنا يوسف من أيدى إخوته ، وقد همّوا بقتله ، وأخرجناه من الجبّ بعد أن أُلقِىَ فيه ، فصيرناه إلى الكرامة ، والمنزلة الرفيعة عند عزيز مصر ، كذلك مكّنا له فى الأرض ، فجعلناه على خزائنها .

وقوله (وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الأَحادِيثِ) يقول تعالى ذكره : وكى نعلّم يوسف من عبارة الرؤيا مَكّنا له فى الأرض .

كما حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (مِنْ تَأْوِيلِ الأَحادِيثِ) قال : عبارة الرؤيا .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الأَحادِيثِ) قال : تعبير الرؤيا .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن شبل ، عن ابن أبى نجيح (وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الأَحادِيثِ) قال : عبارة الرؤيا .

وقوله (وَاللهُ غالِبٌ على أَمْرِهِ) يقول تعالى ذكره : والله مُسْتَوْلٍ على أمر يوسف يسوسه ويدبره ويحوطه ، والهاء فى قوله (على أَمْرِهِ) عائدة على يوسف .

ورُوى عن سعيد بن جبير فى معنى : غالب ، ما حدثنى الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبى حصين ، عن سعيد بن جبير (وَاللهُ غالِبٌ على أَمْرِهِ) قال : فعّال .

وقوله (وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النّاسِ لا يَعْلَمُونَ) يقول : ولكن أكثر الناس الذين زهدوا فى يوسف ، فباعوه بثمن خسيس ، والذين صار بين أظهرهم ، من أهل مصر ، حين بيع فيهم ، لا يعلمون ما الله بيوسف صانع ، وإليه يوسفُ من أمره صائر .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَلَمّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْناهُ حُكْماً وَعِلْماً ، وَكَذَلِكَ نَجْزِى الْمُحْسِنِينَ (٢٢)

يقول تعالى ذكره : لما بلغ يوسف أشدّه : يقول : لما بلغ منتهى شدّته وقوّته فى شبابه ، وحده وذلك فيما بين ثمانى عشرة إلى ستين سنة ، وقيل إلى أربعين سنة ، يقال منه : مضت أَشُدّ الرجل : أى شدته ، وهو جمع مثل الأضرّ والأَسُرّ لم يسمع له بواحد من لفظه ، ويجب فى القياس أن يكون واحده شَدّ ، كما واحد ألأ ضر ضرّ وواحد الأسرّ سر ، كما قال الشاعر :

هلْ غيرَ أنْ كَثُرَ الأشُدُّ وأهْلَكَتْ حَرْبُ المُلُوكِ أكاثِرَ الأمْوَالِ [١]

وقال حميد :

وَقد أتى لَوْ تَعْتِبُ العَوَاذِلُ بَعْدَ الأَشُدِّ أرْبَعٌ كَوَامِلُ [٢]

وقد اختلف أهل التأويل فى الذى عنى الله به فى هذا الموضع من مبلغ الأشدّ ، فقال بعضهم : عُنى به ثلاث وثلاثون سنة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع والحسن بن محمد ، قالا : ثنا عمرو بن محمد ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَلَمَّا بَلَغَ أشُدَّهُ) قال : ثلاثا وثلاثين سنة .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن ليث ، عن مجاهد ، مثله .

حُدثت عن علىّ بن الهيثم ، عن بشر بن المفضل ، عن عبد الله بن عثمان بن خثيم ، عن مجاهد ، قال : سمعت ابن عباس يقول فى قوله : (وَلَمَّا بَلَغَ أشُدَّهُ) قال : بضعا وثلاثين سنة .

وقال آخرون : بل عنى به : عشرون سنة .

ذكر من قال ذلك

حُدثت عن علىّ بن المسيب ، عن أبى روق ، عن الضحاك ، فى قوله (وَلَمَّا بَلَغَ أشُدَّهُ) قال : عشرين سنة .

ورُوِى عن ابن عباس من وجه غير مرضىّ ، أنه قال : ما بين ثمانى عشرة سنة إلى ثلاثين ، وقد بيّنت معنى الأشدّ .

⁂ وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب : أن يقال : إن الله أخبر أنه آتى يوسف لما بلغ أشدّه حكما وعلما . والأشُدّ : هو انتهاء قوّته وشبابه ، وجائز أن يكون آتاه ذلك وهو ابن ثمانى عشرة سنة ، وجائز أن يكون آتاه وهو ابن عشرين سنة ، وجائز أن يكون آتاه وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة ، ولا دلالة فى كتاب الله

(١) فى اللسان : الأشد : مبلغ الرجل الحنكة والمعرفة . وذلك ما بين الثمانى عشرة والثلاثين . قال الفراء : الأشد : واحدها : شد (بالفتح) فى القياس . قال : ولم أسمع لها بواجب : . وقال سيبويه : واحدها : شدة ، كنعمة وأنعم . وقال ابن جنى : قال أبو عبيد : هو جمع أشد ، على حذف الزيادة . قال وقال أبو عبيدة : ربما استكرهوا على حذف هذه الزيادة فى الواحد ، وأنشد بيت عنترة :

عَهْدِى بِهِ شَدَّ النَّهار كأنما خُضِبَ البَنانُ ورأسُهُ بالعِظْلِمِ

أى أشد النهار ، يعنى أعلاه وأمتعه . قال ابن سيده : «وذهب أبو عثمان ، فيما رويناه عن أحمد بن يحيى عنه : أنه جمع لا واحد له . وقال السيرا فى : فى القياس : شد وأشد ، كما يقال : قد ، وأقد . وقال مرة أخرى : هو جمع لا واحد له . وقد يقال : بلغ أشده (بفتح الشين) ، وهى قليلة .

(٢) هذا الشاهد كالذى قبله ، وقد أوضحناه بما يكفى من نصوص اللغويين .

ولا أثر عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولا فى إجماع الأمة على أىّ ذلك كان ، وإذا لم يكن ذلك موجودا من الوجه الذى ذكرت ، فالصواب أن يقال فيه ، كما قال عزّ وجلّ ، حتى تثبت حجة بصحة ماقيل فى ذلك من الوجه الذى يجب التسليم له ، فيسلم لها حينئذ .

وقوله (آتَيْناهُ حُكْماً وَعِلْماً) يقول تعالى ذكره : أعطيناه حينئذ الفهم والعلم .

كما حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (حُكْما وَعِلْما) قال : العقل والعلم قبل النبوّة .

وقوله (وكذلكَ نَجْزِى المُحْسِنِينَ) يقول تعالى ذكره : وكما جزيت يوسف ، فآتيته بطاعته إياى الحكمَ والعلم ، ومكنته فى الأرض ، واستنقذته من أيدى إخوته الذين أرادوا قتله ، كذلك نَجْزى من أحسن فى عمله ، فأطاعنى فى أمرى ، وانتهى عما نهيته عنه من معاصىّ ، وهذا وإن كان مخرَج ظاهره على كلّ محسن ، فإن المراد به محمد نبىّ الله صلى الله عليه وسلم ، يقول له عزّ وجلّ : كما فعلتُ هذا بيوسف من بعد ما لقى من إخوته مالقى ، وقاسى من البلاء ماقاسى ، فمكنته فى الأرض ، ووطأت له فى البلاد ، فكذلك أفعل بك ، فأنجيك من مشركى قومك ، الذين يقصدونك بالعداوة ، وأُمكّن لك فى الأرض ، وأوتيك الحكم والعلم ، لأن ذلك جزائى أهلَ الإحسان فى أمرى ونهيى .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس (وكذلكَ نَجْزِى المُحْسِنِينَ) يقول : المهتدين .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَرَاوَدَتْهُ الَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ، وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ، وَقَالَتْ: هَيْتَ لَكَ : قَالَ : مَعَاذَ اللَّهِ، إِنَّهُ رَبِّى أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ، إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (٢٣)

يقول تعالى ذكره : وراودت امرأة العزيز ، وهى التى كان يوسف فى بيتها ، عن نفسه أن يواقعها .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق : ولما بلغ أشدّه ، راودته التى هو فى بيتها عن نفسه : امرأة العزيز .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وَرَاوَدَتْهُ التى هُوَ فِى بَيْتِها عَنْ نَفْسِهِ) قال : أحبته .

قال : ثنى أبى ، عن إسرائيل ، عن أبى حصين ، عن سعيد بن جبير ، قال : قالت تعالَه .

وقوله (وَغَلَّقَتِ الأبْوَابَ) يقول : وغلّقت المرأة أبواب البيوت عليها وعلى يوسف ، لما أرادت منه ، وراودته عليه ، باباً بعد باب .

وقوله (وَقالَتْ : هَيْتَ لَكَ) اختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء الكوفة والبصرة :

(هَيْتَ لَكَ) بفتح الهاء والتاء ، بمعنى : هلمّ لك ، وادن وتقرّب ، كما قال الشاعر لعلىّ بن أبى طالب رضى الله عنه :

أبْلِغْ أمِيرَ المُؤْمِنِينَ أخا العِراقِ إذَا أتَيْتا
إنَّ العِرَاقَ وأهْلَهُ عُنُقٌ إليكَ فهَيْتَ هَيْتا[1]

يعنى : تعال واقرب .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك تأوّله من قرأه كذلك .

حدثنى محمد بن عبد الله المخرمىّ ، قال : ثنا أبو الجوّاب ، قال : ثنا عمار بن زريق ، عن الأعمش ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس (هَيْتَ لَكَ) قال : هلمّ لك .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (هَيْتَ لَكَ) قال : هلمّ لك .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قال (هَيْتَ لَكَ) تقول : هلمّ لك .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا حجاج ، قال : ثنا حماد ، عن عاصم بن بهدلة ، عن زرّ بن حبيش ، أنه كان يقرأ هذا الحرف (هَيْتَ لَكَ) نصبا : أى هلمّ لك .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جريج ، قال ابن عباس ، قوله (هَيْتَ لَكَ) قال : تقول : هلمّ لك .

حدثنى أحمد بن سهيل الواسطىّ ، قال : ثنا قرة بن عيسى ، قال : ثنا النضر بن علىّ الجزرى ، عن عكرمة ، مولى ابن عباس ، فى قوله (هَيْتَ لَكَ) قال : هلمّ لك ، قال : هى بالحورانية .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَقالَتْ : هَيْتَ لَكَ) قال : كان الحسن يقول : هلمّ لك .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، عن الحسن (هَيْتَ لَكَ) يقول بعضهم : هلمّ لك .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، عن أسباط ، عن السدىّ (وَقالَتْ : هَيْتَ لَكَ) قال : هلم لك ، وهى بالقبطية .

---

(١) البيتان فى مجاز القرآن لأبى عبيدة (١ : ٣٠٥) قال : يريد على بن أبى طالب رحمه الله ، أى تعال وتقرب وادنه ، وكذلك لفظ « هيت » للاثنين ، والجميع من الذكر والأنثى سواء ، إلا أن العدد فيما بعدها ، تقول : هيت لكما ، وهيت لكن . وعنق إليك : مائلون إليك . وفى اللسان : وذكر ابن جنى : أن هيت فى البيت بمعنى أسرع . قال : وفيه أربع لغات : « هيت » بفتح الهاء والتاء ، و « هيت » بكسر الهاء وفتح التاء . و « هيت » بفتح الهاء وضم التاء ، « هيت » بكسر الهاء وضم التاء . قال الأخفش : هيتلك مفتوحة : هلم لك . قال : وكسر بعضهم التاء ، وهى لغة ، فقال : هيت لك . وروى الأزهرى عن أبى زيد قال : هيت لك ، بالعبرنية : هيتا لج ، أى تعال ، أعربه القرآن وعنق إليك : مائلون إليك ، متطلعون .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عبد الوهاب بن عطاء ، عن عمرو ، عن الحسن (هَيْتَ لَكَ) قال : كلمة بالسريانية : أى عَلَيْكَ .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عبد الوهاب ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن (هَيْتَ لَكَ) قال : هلمّ لك .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا خلف بن هشام ، قال : ثنا محبوب ، عن قتادة ، عن الحسن (هَيْتَ لَكَ) قال : هلمّ لك .

قال : ثنا عفان ، قال : ثنا حماد ، عن عاصم ، عن زرّ (هَيْتَ لَكَ) : أى هلمّ .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا الثورىّ ، قال : بلغنى فى قوله (هَيْتَ لَكَ) قال هلمّ لك .

حدثنا أحمد بن يوسف ، قال : ثنا أبو عبيد ، قال : ثنا علىّ بن عاصم ، عن خالد الحذّاء ، عن عكرمة عن ابن عباس : أنه قرأ (هَيْتَ لَكَ) وقال : تدعوه إلى نفسها .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله تعالى (هَيْتَ لَكَ) قال : لغة عربية تدعوه بها .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله ، إلا أنه قال : لغة بالعربية ، تدعوه بها إلى نفسها .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا شبابة ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثل حديث محمد ابن عمرو سواء .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا أحمد بن يوسف ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا هشيم ، عن يونس ، عن الحسن (هَيْتَ لَكَ) بفتح الهاء والتاء ، وقال : تقول : هلمّ لك .

حدثنى الحارث ، قال أبو عبيدة : كان الكسائىّ يحكيها ، يعنى (هَيْتَ لَكَ) قال : وقال : وهى لغة لأهل حَوْران وقعت إلى الحجاز ، معناها : « تعال » قال : وقال أبو عبيد : سألت شيخا عالما من أهل حَوران ، فذكر أنها لغتهم يعرفها .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (هَيْتَ لَكَ) قال : تعال .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَقالَتْ هَيْتَ لَكَ) قال هلمّ لك إلىّ .

وقرأ ذلك جماعة من المتقدمين (وَقالَتْ هِئْتُ لَكَ) بكسر الهاء وضمّ التاء والهمز ، بمعنى : تهيأت لك ، من قول القائل : هِئْت للأمر ، أهىء هَيْئة . وممن رُوى ذلك عنه ابن عباس ، وأبو عبد الرحمن السُلَمىّ وجماعة غيرهما .

حدثنا أحمد بن يوسف ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا الحجاج ، عن هارون ، عن أبان العطار ، عن قتادة ، أن ابن عباس قرأها كذلك مكسورة الهاء مضمومة التاء ، قال أحمد ، قال أبو عبيد : لا أعلمها إلا مهموزة .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عبد الوهاب ، عن أبان العطار ، عن عاصم ، عن أبى عبد الرحمن السلمىّ (هئْتُ لَكَ) أى تهيأت لك .

قال : ثنا عبد الوهاب ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن عكرمة ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : كان عكرمة يقول : تهيأت لك .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال (هِئْتُ لَكَ) قال عكرمة : تهيأت لك .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا الحجاج ، قال : ثنا حماد ، عن عاصم بن بَهْدَلة ، قال : كان أبو وائل يقول : (هِئْتُ لَكَ) : أى تهيأت لك . وكان أبو عمرو بن العلاء والكسائىّ ينكران هذه القراءة .

حُدثت عن علىّ بن المُغيرة ، قال : قال أبو عبيدة معمر بن المثنى : شهدت أبا عمرو ، وسأله أبو أحمد ، أو أحمد ، وكان عالما بالقرآن ، عن قول من قال (هِئْتُ لَكَ) بكسر ، الهاء وهمز الياء ، فقال أبو عمرو : ينسى ، أى باطل جعلها فَعِلت [1] من تهيأت ، فهذا الخندق ، فاستعرض العرب ، حتى تنتهى إلى اليمن ، هل تعرف أحدا يقول : هئت لك ؟

حدثنى الحارث ، قال : ثنا القاسم ، قال : لم يكن الكسائى يحكى (هِئْتُ لَكَ) عن العرب .

وقرأ ذلك عامة قرّاء أهل المدينة (هِيتَ لَكَ) بكسر الهاء ، وتسكين الياء ، وفتح التاء .

وقرأه بعض المكيين (هَيْتُ لَكَ) بفتح الهاء وتسكين الياء وضمّ التاء .

وقرأه بعض البصريين ، وهو عبد الله بن إسحاق (هَيْتِ لَكَ) بفتح الهاء وكسر التاء ، وقد أنشد بعض الرواة بيتا لطرفة بن العبد ، فى هَيْتُ بفتح الهاء وضم التاء ، وذلك :

لَيْسَ قَوْمى بالأَبْعَدِينَ إذَا ما ... قالَ داعٍ مِنَ العَشِيرَةِ هَيْتُ [2]

وأولى القراءة فى ذلك : قراءة من قرأه (هَيْتَ لَكَ) بفتح الهاء والتاء ، وتسكين الياء ، لأنها اللغة المعروفة فى العرب دون غيرها ، وأنها فيما ذُكر قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثورىّ ، عن الأعمش ، عن أبى وائل ، قال ابن مسعود : قد سمعت القَرأة فسمعتهم متقاربين ، فاقرءوا كما علمتم ، وإياكم والتنطع والاختلاف ، فإنما هو كقول أحدكم : هلمّ وتعال . ثم قال عبد الله (هَيْتَ لَكَ) فقلت : يا أبا عبد الرحمن ، إن ناسا يقرءونها (هِيتَ لَكَ) فقال عبد الله : إنى أقرؤها كما علمت ، أحبّ إلىّ .

---

(١) أصله على زعمهم : هيئت ، بوزن فعلت ، ثم حذفت الياء ، فصار وزنه : فلت .

(٢) لم أجد هذا البيت فى شعر طرفة الذى بين أيدينا . والشاهد فيه أن « هيت » تبنى على الضم عند بعض العرب ، وقد تبنى على الكسر ، وعلى الفتح ، وهو الأكثر .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن الأعمش ، عن أبى وائل ، قال : سمعت عبد الله بن مسعود يقرأ هذه الآية (وَقالَتْ هَيْتَ لَكَ) قال : فقالوا له : ما كنا نقرؤها إلا (هِيتَ لَكَ) فقال عبد الله إنى أقرؤها كما علمت أحبُّ إلىّ .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن منصور ، عن أبى وائل ، قال : قال عبد الله (هَيْتَ لَكَ) فقال له مسروق : إن ناسا يقرءونها (هِيتَ لَكَ) فقال : دعونى ، فإنى أقرأ كما أقرئت أحبّ إلىّ .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا آدم العسقلانى ، قال : ثنا شعبة ، عن الأعمش ، عن شقيق ، عن ابن مسعود قال (هَيْتَ لَكَ) بنصب الهاء والتاء وبلا همز .

وذكر أبو عبيدة معمر بن المثنى ، أن العرب لاتثنى (هَيتَ لَكَ) ولا تجمع ولا تؤنث ، وأنها تصوّره فى كلّ حال ، وإنما يتبين العدد بما بعد ، وكذلك التأنيث والتذكير ، وقال : تقول للواحد : هيت لك ، وللاثنين : هيت لكما ، وللجمع : هيت لكم ،و للنساء : هيت لكن .

وقوله (قالَ مَعاذَ اللهِ) يقول جلّ ثناؤه : قال يوسف إذ دعته المرأة إلى نفسها ، وقالت له : هلمّ إلىّ ، أعتصم بالله من الذى تدعونى إليه ، وأستجير به منه .

وقوله (إنَّهُ رَبّى أحْسَنَ مَثْوَايَ) يقول : إن صاحبك وزوجك سيدى .

كما حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، عن أسباط ، عن السدىّ (مَعاذَ اللهِ ، إنَّهُ رَبّى) قال : سيدي .

قال : ثنا ابن نمير ، عن رقاء ، عن ابن أبى نجيح (إنَّهُ رَبّى) قال : سيدى .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (قالَ : مَعاذَ اللهِ ، إنَّهُ رَبّى أحْسَنَ مَثْوَايَ) قال : سيدى ، يعنى : زوج المرأة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، (قال : مَعاذَ اللهِ إنَّهُ رَبّى) يعنى : إطفير ، يقول : إنه سيدى .

وقوله (أحْسَنَ مَثْوَايَ) يقول : أحسن منزلتى ، وأكرمنى وأتمننى فلا أخونه .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال (أحْسَنَ مَثْوَايَ) أمننى على بيته وأهله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (أحْسَنَ مَثْوَايَ) ، فلاأخونه فى أهله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (أحْسَنَ مَثْوَايَ) قال : يريد يوسف سيده زوج المرأة .

وقوله (إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ) يقول : إنه لايدرك البقاء ، ولا ينجح من ظلم ، ففعل ما ليس له فعله ، وهذا الذى تدعونى إليه من الفجور ، ظلم وخيانة لسيدى الذى ائتمننى على منزله .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ) قال : هذا الذى تدعونى إليه ظلم ، ولا يفلح من عمل به .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِ ، كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوٓءَ وَالْفَحْشَآءَ ، إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ (٢٤)

ذُكر أن امرأة العزيز لما همّت بيوسف ، وأرادت مراودته ، جعلت تذكر له محاسن نفسه ، وتشوّقه إلى نفسها .

كما حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا) قال : قالت له : يا يوسف ما أحسن شعرك ! قال : هو أوّل ما ينتثر من جسدى ، قالت : يا يوسف ما أحسن وجهك ! قال : هوللتراب يأكله ، فلم تزل حتى أطمعته ، فهمّت به ، وهمّ بها ، فدخلا البيت ، وغلّقت الأبواب ، وذهب ليحلّ سراويله ، فإذا هو بصورة يعقوب قائما فى البيت ، قد عضّ على أصبعه ، يقول : يايوسف تواقعها ؟ فإنما مثلك مالم تواقعها مثل الطير فى جوّ السماء لايطاق ، ومثلك إذا واقعتها مثله إذا مات ، ووقع إلى الأرض ، لايستطيع أن يدفع عن نفسه ، ومثلك مالم تواقعها مثل الثور الصعب الذي لايُعمل عليه ، ومثلك إن واقعتها مثل الثور حين ، يموت فيدخل النمل فى أصل قرنيه ، لايستطيع أن يدفع عن نفسه ، فربط سراويله ، وذهب ليخرج يشتدّ ، فأدركته ، فأخذت بمؤخر قميصه من خلفه ، فخرقته حتى أخرجته منه ، وسقط ، وطرحه يوسف ، واشتدّ نحو الباب .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : أكبّت عليه ، يعنى المرأة تطمعه مرّة ، وتخيفه أخرى ، وتدعوه إلى لذّة من حاجة الرجال ، فى جمالها وحسنها وملكها ، وهو شاب مستقبل ، يجد من شبق الرجال ما يجد الرجل ، حتى رقّ لها مما يرى من كَلَفها به ، ولم يتخوّف منها ، حتى همّ بها ، وهمت به ، حتى خلَوَا فى بعض بيوته . ومعنى الهمّ بالشىء فى كلام العرب : حديث المرء نفسه بمواقعته ، مالم يواقع ، فأما ما كان من همّ يوسف بالمرأة ، وهمها به ، فإن أهل العلم قالوا فى ذلك ما أنا ذاكره :

وذلك ما حدثنا أبو كريب وسفيان بن وكيع ، وسهل بن موسى الرازىّ ، قالوا : ثنا ابن عيينة ، عن عثمان بن أبى سليمان ، عن ابن أبى مليكة ، عن ابن عباس ، سُئِل عن همّ يوسف ما بلغ ؟ قال : حلّ الهِمْيان ، وجلس منها مجلس الخاتن ، لفظ الحديث لأبى كُريب .

حدثنا أبو كريب ، وابن وكيع ، قالا : ثنا ابن عيينة ، قال : سمع عبيد الله بن أبى يزيد ابن عباس فى (وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا) قال : جلس منها مجلس الخاتن ، وحلّ الهِمْيان .

حدثنا زياد بن عبد الله الحسانىّ ، وعمرو بن علىّ ، والحسن بن محمد ، قالوا : ثنا سفيان بن عيينة ،

عن عبد الله بن أبى يزيد ، قال : سمعت ابن عباس سئل : ما بلغ من همّ يوسف ؟ قال : حلّ الهميان ، وجلس منها مجلس الخاتن .

حدثنى زياد بن عبد الله ، قال : ثنا محمد بن أبى عدىّ ، عن ابن جريج ، عن ابن أبى مليكة ، قال : سألت ابن عباس : ما بلغ من همّ يوسف ؟ قال : استلْقَت له ، وجلس بين رجليها .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن يمان ، عن ابن جريج ، عن ابن أبى مليكة (وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِها) قال : استلقت له ، وحلّ ثيابه .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا قبيصة بن عقبة ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن جريج ، عن ابن أبى مليكة ، عن ابن عباس (وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِها) ما بلغ ؟ قال : استلْقت له ، وجلس بين رجليها ، وحلّ ثيابه ، أو ثيابها .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، عن ابن جريج ، عن ابن أبى مليكة ، قال : سألت ابن عباس : ما بلغ من همّ يوسف؟ قال : استلْقَت على قفاها ، وقعد بين رجليها لينزع ثيابه.

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن نافع ، عن ابن عمر ، عن ابن أبى مليكة ، قال : سئل ابن عباس ، عن قوله (وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِها) ما بلغ من همّ يوسف ؟ قال : حلّ الهميان ، يعنى السراويل .

حدثنا أبو كريب وابن وكيع ، قالا : ثنا ابن إدريس ، قال : سمعت الأعمش ، عن مجاهد ، فى قوله (وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِها) قال : حلّ السراويل ، حتى التُّبَّان ، واستلقت له .

حدثنا زياد بن عبد الله الحسانىّ ، قال : ثنا مالك بن سعير ، قال : ثنا الأعمش ، عن مجاهد ، فى قوله (وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِها) قال : حلّ سراويله ، حتى وقع على التُّبَّان .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِها) قال : جلس منها مجلس الرجل من امرأته .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، قال : ثنى القاسم بن أبى بَزّة (وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِها) قال : أما هَمّها به ، فاستلقت له ، وأما هَمُّه بها : فإنه قعد بين رجليها ، ونزع ثيابه .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنى حجاج بن محمد ، عن ابن جريج ، قال : أخبرنى عبد الله بن أبى مليكة ، قال : قلت لابن عباس : ما بلغ من همّ يوسف ؟ قال : استلقت له ، وجلس بين رجليها ينزع ثيابه .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا الحِمّانىّ ، قال : ثنا يحيى بن اليمان ، عن سفيان ، عن علىّ بن بَذِيمة ، عن سعيد بن جبير وعكرمة ، قالا : حلّ السراويل ، وجلس منها مجلس الخاتن .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد العَنْقزىّ ، عن شريك ، عن جابر ، عن مجاهد (وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِها) قال : استلقت ، وحلّ ثيابه حتى بلغ التبان .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا قيس ، عن أبى حصين ، عن سعيد بن جبير (وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِها) قال : أطلق تِكَّة سراويله .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن عيينة ، عن عثمان بن أبى سليمان ، عن ابن أبى مليكة ، قال : شهدت ابن عباس سئل عن همّ يوسف ما بلغ ؟ قال : حلّ الهميان ، وجلس منها مجلس الخاتن .

فان قال قائل : وكيف يجوز أن يوصف يوسف بمثل هذا وهو لله نبىّ ؟ قيل : إن أهل العلم اختلفوا فى ذلك ، فقال بعضهم : كان ممن ابتلى من الأنبياء بخطيئة ، فإنما ابتلاه الله بها ، ليكون من الله عزّ وجلّ على وَجَل إذا ذكرها ، فيجدّ فى طاعته إشفاقا منها ، ولا يتكل على سعة عفو الله ورحمته .

وقال آخرون : بل ابتلاهم الله بذلك ، ليعرّفهم موضع نعمته عليهم ، بصفحه عنهم ، وتركه عقوبته عليه فى الآخرة .

وقال آخرون : بل ابتلاهم بذلك ، ليجعلهم أئمة لأهل الذنوب فى رجاء رحمة الله ، وترك الإياس من عفوه عنهم إذا تابوا .

وأما آخرون ، ممن خالف أقوال السلف ، وتأوّلوا القرآن بآرائهم ، فإنهم قالوا فى ذلك أقوالا مختلفة ، فقال بعضهم : معناه : ولقد همّت المرأة بيوسف ، وهمّ بها يوسف أن يضربها ، أو ينالها بمكروه ، لهمها به مما أرادته من المكروه ، لولا أن يوسف رأى برهان ربه ، وكفه ذلك عما همّ به من أذاها ، لأنها ارتدعت من قِبَل نفسها ، قالوا : والشاهد على صحة ذلك قوله (كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالفَحْشَاءَ) قالوا : فالسوء : هو ما كان همّ به من أذاها ، وهو غير الفحشاء .

وقال آخرون منهم : معنى الكلام : ولقد همت به ، فتناهى الخبر عنها ، ثم ابتدئ الخبر عن يوسف ، فقيل : وهمّ بها يوسف ، لولا أن رأى برهان ربه ، كأنهم وجهوا معنى الكلام إلى أن يوسف لم يهمّ بها ، وأن الله إنما أخبر أن يوسف لولا رؤيته برهان ربه لهمّ بها ، ولكنه رأى برهان ربه فلم يهمّ بها ، كما قيل (وَلَوْلا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إلاَّ قَلِيلاً) ، ويفسد هذين القولين أن العرب لاتقدّم جواب « لولا » قبلها ، لاتقول : لقد قمت لولا زيد ، وهى تريد : لولا زيد لقد قمت ، هذا مع خلافهما جميع أهل العلم بتأويل القرآن ، الذين عنهم يؤخذ تأويله .

وقال آخرون منهم : بل قد همّت المرأة بيوسف ، وهمّ يوسف بالمرأة ، غير أن همهما كان تمثيلا منهما بين الفعل والترك ، لاعزما ولا إرادة ؛ قالوا : ولا حرج فى حديث النفس ، ولا فى ذكر القلب ، إذا لم يكن معهما عزم ولا فعل . وأما البرهان الذى رآه يوسف ، فترك من أجله مواقعة الخطيئة ، فإن أهل العلم مختلفون فيه ، فقال بعضهم : نؤدى بالنهى عن مواقعة الخطيئة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن عثمان بن أبى سليمان ، عن ابن أبى مليكة ، عن ابن عباس (لَوْلا أنْ رأى بُرْهانَ رَبِّهِ) قال : نودى : يا يوسف أتزنى ، فتكون كالطير وقع ريشه ؟ فذهب يطير ، فلا ريش له .

قال : ثنا ابن عيينة ، عن عثمان بن أبى سليمان ، عن ابن أبى مليكة ، عن ابن عباس ، قال : لم يتعظ على النداء حتى رأى برهان ربه ، قال : تمثال صورة وجه أبيه ، قال سفيان : عاضًّا على أصبعه ، فقال : يا يوسف تزنى ، فتكون كالطير ذهب ريشه ؟

حدثنى زياد بن عبد الله الحسانى ، قال : ثنى محمد بن أبى عدىّ ، عن ابن جريج ، عن ابن أبى مليكة ، قال : قال ابن عباس : نودى : يا بن يعقوب لاتكن كالطائر له ريش ، فإذا زنى ذهب ريشه ، أو قعد لاريش له ، قال : فلم يتعظ على النداء ، فلم يزد على هذا .

قال ابن جريج : وحدثنى غير واحد ، أنه رأى أباه عاضًّا على أصبعه .

حدثنى أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ؛ وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن نافع ، عن ابن عمر ، عن ابن أبى مليكة ، قال : قال ابن عباس (لَوْلا أنْ رأى بُرْهانَ رَبِّهِ) قال : نودى فلم يسمع ، فقيل له : يا بن يعقوب تريد أن تزنى ، فتكون كالطير نُتِف فلا ريش له ؟

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن طلحة ، عن عمرو الحضرمىّ ، عن ابن أبى مليكة ، قال : بلغنى أن يوسف لما جلس بين رجلى المرأة ، فهو يحلّ همْيانه نودى : يا يوسف بن يعقوب لاتزن ، فإن الطير إذا زنى تناثر ريشه فأعرض ، ثم نودى فأعرض ، فتمثل له يعقوب عاضّا على إصبعه ، فقام .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا قبيصة بن عقبة ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن جريج ، عن ابن أبى مليكة ، عن ابن عباس ، قال : نودى : يا بن يعقوب لاتكن كالطير إذا زنى ذهب ريشه ، وبقى لاريش له ، فلم يتعظ [1] على النداء ، ففزع .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا حجاج بن محمد ، عن ابن جريج ، قال : أخبرنى عبد الله بن أبى مليكة ، قال : قال ابن عباس : نودى : يا بن يعقوب لاتكوننّ كالطائر له ريش ، فإذا زنى ذهب ريشه : قال : أو قعد لاريش له ، فلم يتعظ [1] على النداء شيئا ، حتى رأى برهان ربه ، ففَرِق ففرّ .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن عيينة ، عن عثمان بن أبى سليمان عن ابن أبى مليكة ، قال : قال ابن عباس : نودي : يا بن يعقوب أتزنى ، فتكون كالطير وقع ريشه ، فذهب يطير ، فلا ريش له ؟ .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنى نافع بن يزيد ، عن همام بن يحيى ، عن قتادة قال : نودى يوسف فقيل : أنت مكتوب فى الأنبياء تعمل عمل السفهاء .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن يمان ، عن ابن جريج ، عن ابن أبى مليكة ، قال : نودى يوسف بن يعقوب تزنى ، فتكون كالطير نتف فلا ريش له ؟

وقال آخرون : البرهان الذى رأى يوسف ، فكفّ عن مواقعة الخطيئة من أجله : صورة يعقوب عليهما السلام يتوعّده .

(١) كذا فى الأصل . وفى الدر المنثور (٤ : ١٤) من رواية للقاسم بن أبى بزة : « فلم يعرض للنداء » .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عمرو بن محمد العَنقزىّ ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن أبى حصين ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، فى قوله (لَوْلا أنْ رأى بُرْهانَ رَبِّهِ) قال : رأى صورة أو تمثال وجه يعقوب عاضًّا على أصبعه ، فخرجت شهوته من أنامله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن العَنْقزىّ ، عن إسرائيل ، عن أبى حصين ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس (لَوْلا أنْ رأَى بُرْهانَ رَبِّهِ) قال : مثل له يعقوب ، فضرب فى صدره ، فخرجت شهوته من أنامله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا محمد بن بشر ، عن مسعر ، عن أبى حصين ، عن سعيد بن جبير (لَوْلا أنْ رأى بُرْهانَ رَبِّهِ) قال : رأى تمثال وجه أبيه قائلا (١) بكفه هكذا ، وبسط كفه ، فخرجت شهوته من أنامله .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن أبى حصين عن سعيد بن جبير (لَوْلا أنْ رأى بُرْهانَ رَبِّهِ) قال : مُثِّل له يعقوب عاضا على أصابعه ، فضرب صدره ، فخرجت شهوته من أنامله .

حدثنا يونس بن عبد الأعلى ، قال : ثنا عبد الله بن وهب ، قال : أخبرنى ابن جريج ، عن ابن أبى مليكة ، عن ابن عباس ، فى قوله (لَوْلا أنْ رأى بُرْهانَ رَبِّهِ) قال : رأى صورة يعقوب واضعا أنملته على فيه يتوعده ، ففرّ .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا يحيى بن عباد ، قال : ثنا جرير بن حازم ، قال : سمعت عبد الله بن أبى مليكة يحدّث ، عن ابن عباس ، فى قوله (وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِها) قال : حين رأى يعقوب فى سقف البيت ، قال : فنزعت شهوته التى كان يجدها حتى خرج يسعى إلى باب البيت ، فتبعته المرأة .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن قُرة بن خالد السدوسىّ ، عن الحسن ، قال : زعموا - والله أعلم - أن سقف البيت انفرج ، فرأى يعقوب عاضا على أصابعه .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن يونس ، عن الحسن ، فى قوله (لَوْلا أنْ رأى بُرْهان رَبِّهِ) قال : رأى تمثال يعقوب عاضا على أصبعه يقول : يوسف ، يوسف .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن علية ، عن يونس ، عن الحسن ، نحوه .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عمرو العنقزى ، قال : أخبرنا سفيان الثورى ، عن أبى حصين ، عن سعيد بن جبير (لَوْلا أنْ رأى بُرْهانَ رَبِّهِ) قال : رأى تمثال وجه يعقوب ، فخرجت شهوته من أنامله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن يمان ، عن سفيان ، عن علىّ بن بَذِيمة ، عن سعيد بن جبير ، قال : رأى صورة فيها وجه يعقوب عاضا على أصابعه ، فدفع فى صدره ، فخرجت شهوته من أنامله ، فكلّ ولد يعقوب ولد له اثنا عشر رجلا إلا يوسف ، فإنه نقص بتلك الشهوة ، ولم يولد له غير أحد عشر .

(١) قائلا : محركا يده مشيرا بها .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنى يونس بن يزيد ، عن ابن شهاب ، أن حميد ابن عبد الرحمن أخبره : أن البرهان الذى رأى يوسفُ يعقوبُ .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عيسى بن المنذر ، قال : ثنا أيوب بن سويد ، قال : ثنا يونس بن يزيد الإيلى ، عن الزهرىّ ، عن حميد بن عبد الرحمن ، مثله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد (لَوْلا أنْ رأى بُرْهانَ رَبِّهِ) قال : مثل له يعقوب .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عمرو ، عن منصور ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (لَوْلا أنْ رأى بُرْهانَ رَبِّهِ) قال : يعقوب .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ؛ وحدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثَّوْرىّ ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قال : مثل له يعقوب .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد أنه قال : جلس منها مجلس الرجل من امرأته حتى رأى صورة يعقوب فى الجدار .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ، فى قوله (لَوْلا أن رأى بُرْهانَ رَبِّهِ) قال : مُثِّل له يعقوب .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن القاسم بن أبى بزة ، قال : نودى : يا ابن يعقوب ، لاتكوننّ كالطير له ريش ، فإذا زنى قعد ليس له ريش ، فلم يعرض للنداء ، وقعد ، فرفع رأسه ، فرأى وجه يعقوب عاضّا على أصبعه ، فقام مرعوبا استحياء من الله تعالى ذكره ، فذلك قول الله سبحانه وتعالى : (لَوْلا أنْ رأى بُرْهانَ رَبِّهِ) وجه يعقوب .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن النضر بن عربىّ ، عن عكرمة ، قال : مثل له يعقوب عاضّا على أصابعه .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن نضر بن عربىّ ، عن عكرمة ، مثله .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا قيس ، عن أبى حصين ، عن سعيد بن جبير ، قال : مثل له يعقوب ، فدفع فى صدره ، فخرجت شهوته من أنامله .

قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا سفيان ، عن علىّ بن بذيمة ، قال : كان يولد لكلّ رجل منهم اثنا عشر ابنا إلا يوسف ، ولد له أحد عشر ، من أجل ماخرج من شهوته .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال أبو شريح : سمعت عبيد الله بن أبى جعفر يقول : بلغ من شهوة يوسف أن خرجت من بنانه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يعلى بن عبيد ، عن محمد الخراسانىّ ، قال : سألت محمد بن سيرين ، عن قوله (لَوْلا أنْ رأى بُرْهانَ رَبِّهِ) قال : مثل له يعقوب عاضّا على أصابعه يقول : يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم خليل الله ، اسمك فى الأنبياء ، وتعمل عمل السفهاء ؟

حدثنى محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، عن يونس ، عن الحسن ، فى قوله (لَوْلا أنْ رأى بُرْهانَ رَبِّهِ) قال : رأى يعقوب عاضّا على أصبعه يقول : يوسف .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، قال : قال قتادة : رأى صورة يعقوب ، فقال : يا يوسف تعمل عمل الفجار ، وأنت مكتوب فى الأنبياء ؟ فاستحيا منه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (لَوْلا أنْ رأى بُرْهانَ رَبِّهِ) رأى آية من آيات ربه ، حجزه الله بها عن معصيته ؛ ذُكر لنا أنه مُثِّلَ له يعقوب حتى كلمه ، فعصمه الله ونزع كلّ شهوة كانت فى مفاصله .

قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن ، أنه مثل له يعقوب وهو عاضّ على أصبع من أصابعه .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا إسماعيل بن أبى سالم عن أبى صالح ، قال : رأى صورة يعقوب فى سقف البيت عاضا على إصبعه يقول : يايوسف ، يا يوسف ، يعنى قوله (لَوْلا أنْ رأى بُرْهانَ رَبِّهِ) .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن منصور ، ويونس عن الحسن ، فى قوله (لَوْلا أنْ رأى بُرْهانَ رَبِّهِ) قال : رأى صورة يعقوب فى سقف البيت عاضا على أصبعه .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن إسماعيل بن سالم ، عن أبى صالح مثله ، وقال عاضا على أصبعه يقول : يوسف ، يوسف .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب القُمّى ، عن حفص بن حميد ، عن شمر بن عطية ، قال : نظر يوسف إلى صورة يعقوب عاضا على أصبعه يقول : يا يوسف ، فذاك حيث كَفّ ، وقام فاندفع .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا الحمانى ، قال : ثنا شريك ، عن سالم وأبى حصين ، عن سعيد بن جبير (لَوْلا أنْ رأى بُرْهانَ رَبِّهِ) قال : رأى صورة فيها وجه يعقوب عاضا على أصابعه ، فدفع فى صدره ، فخرجت شهوته من بين أنامله .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو نعيم ، قال : ثنا مِسْعَر ، عن أبى حصين ، عن سعيد بن جبير (لَوْلا أنْ رأى بُرْهانَ رَبِّهِ) قال : رأى تمثال وجه أبيه ، فخرجت الشهوة من أنامله .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا يحيى بن عباد ، قال : ثنا أبو عوانة ، عن إسماعيل بن سالم ، عن أبى صالح (لَوْلا أنْ رأى بُرْهانَ رَبِّهِ) قال : تمثال صورة يعقوب فى سقف البيت .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا جعفر بن سليمان ، عن يونس بن عبيد ، عن الحسن ، قال : رأى يعقوب عاضا على يده :

قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثورىّ ، عن أبى حصين ، عن سعيد بن جبير ، فى قوله (لَوْلا أنْ رأى بُرْهانَ رَبِّهِ) قال : يعقوب ضرب بيده على صدره ، فخرجت شهوته من أنامله .

حُدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ قال : أخبرنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (لَوْلا أنْ رأى بُرْهانَ رَبِّهِ) آية من ربه يزعمون أنه مثل له يعقوب ، فاستحيا .

وقال آخرون : بل البرهان الذى رأى يوسف : ما أوعد الله عزّ وجلّ على الزنا أهله .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن أبى مودود ، قال : سمعت محمد بن كعب القرظى ، قال : رفع يوسف رأسه إلى سقف البيت ، فإذا كتاب فى حائط البيت (لاتَقْرَبُوا الزّنا إنَّهُ كانَ فاحِشَةً وَمَقْتا وَساءَ سَبِيلاً) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن أبى مودود ، عن محمد بن كعب ، قال : رفع يوسف رأسه إلى سقف البيت حين همّ ، فرأى كتابا فى حائط البيت (لاتَقْرَبُوا الزّنا إنَّهُ كانَ فاحِشَةً وَمَقْتا وساءَ سَبِيلاً) .

قال : ثنا زيد بن الحباب ، عن أبى معشر ، عن محمد بن كعب (لَوْلا أنْ رأى بُرْهانَ رَبِّهِ) قال : لولا مارأى فى القرآن من تعظيم الزنا .

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنى نافع بن يزيد ، عن أبى صخر ، قال : سمعت القرظى يقول فى البرهان الذى رأى يوسف : ثلاث آيات من كتاب الله (إنَّ عَلَيْكُمْ لَحافِظِينَ) . . . الآية ، وقوله (وَما تَكُونُ فِى شأنٍ) . . . الآية ، وقوله (أفَمَنْ هُوَ قائِمٌ على كُلِّ نَفْسٍ بِما كَسَبَتْ) .

قال نافع : سمعت أبا هلال يقول مثل قول القُرَظىّ ، وزاد آية رابعة (وَلا تَقْرَبُوا الزّنا) .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، قال : أخبرنا أبو معشر ، عن محمد بن كعب القُرَظىّ (لَوْلا أنْ رأى بُرْهانَ رَبِّهِ) فقال : ماحرّم الله عليه من الزنا .

وقال آخرون : بل رأى تمثال الملك .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (وَلَقَدْ هَمَّتْ به وَهَمَّ بِها لَوْلا أنْ رأى بُرْهانَ رَبِّهِ) يقول : آيات ربه ، أرى تمثال الملك .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : كان بعض أهل العلم فيما بلغنى يقول :

البرهان الذى رأى يوسف ، فصرف عنه السوء والفحشاء : يعقوب عاضًا على أصبعه ، فلما رآه انكشف هاربا . ويقول بعضهم : إنما هو خيال إطفير سيده حين دنا من الباب ، وذلك أنه لما هرب منها واتبعته ، ألفياه لدى الباب .

⁂ وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب : أن يقال : إن الله جلّ ثناؤه أخبر عن همّ يوسف وامرأة العزيز كلّ واحد منهما بصاحبه ، لولا أن رأى يوسف برهان ربه ، وذلك آية من آيات الله ، زجرته عن ركوب ماهمّ به يوسف من الفاحشة ، وجائز أن تكون تلك الآية صورة يعقوب ، وجائز أن تكون صورة الملك ، وجائز أن يكون الوعيد فى الآيات التى ذكرها الله فى القرآن على الزنا ، ولا حجة للعذر قاطعة بأىّ ذلك من أىّ .

والصواب أن يقال فى ذلك ، ماقاله الله تبارك وتعالى ، والإيمان به ، وترك ماعدا ذلك إلى عالمه .

وقوله (كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ) يقول تعالى ذكره : كما أرينا يوسف برهاننا على الزجر عما همّ به من الفاحشة ، كذلك نسبب له فى كل ماعرض له من همّ يهمّ به فيما لايرضاه ، مايزجره ويدفعه عنه ، كى نصرف عنه ركوب ماحرّمنا عليه ، وإتيان الزنا ، لنطهره من دنس ذلك .

وقوله (إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ) اختلف القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء المدينة والكوفة (إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ) بفتح اللام من المخلَصين ، بتأويل : إن يوسف من عبادنا الذين أخلصناهم لأنفسنا ، واخترناهم لنبوّتنا ورسالتنا . وقرأ ذلك بعض قرّاء البصرة (إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلِصِينَ) بكسر اللام ، بمعنى : أن يوسف من عبادنا الذين أخلصوا توحيدنا وعبادتنا ، فلم يشركوا بنا شيئا ، ولم يعبدوا شيئا غيرنا .

والصواب من القول فى ذلك : أن يقال : إنهما قراءتان معروفتان ، قد قرأ بهما جماعة كثيرة من القرّاء ، وهما متفقتا المعنى ، وذلك أن من أخلصه الله لنفسه فاختاره ، فهو مخلص لله التوحيد والعبادة ، ومن أخلص توحيد الله وعبادته ، فلم يشرك بالله شيئا ، فهو ممن أخلصه الله ، فبأيّتهما قرأ القارئ فهو للصواب مصيب .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ ، قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٥)

⁂ يقول جلّ ثناؤه : واستبق يوسف وامرأة العزيز باب البيت ، أما يوسف ففرارا من ركوب الفاحشة ، لما رأى برهان ربه ، فزجره عنها . وأما المرأة فطلبها يوسف لتقضى حاجتها منه التى راودته عليها ، فأدركته ، فتعلقت بقميصه ، فجذبته إليها مانعة له من الخروج من الباب ، فقدّته من دبر ، يعنى : شقته من خلف ، لامن قدّام ، لأن يوسف كان هو الهارب ، وكانت هى الطالبة .

كما حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَاسْتَبَقَا البابَ) قال : استبق هو والمرأة الباب (وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : لما رأى برهان ربه ، انكشف عنها هاربا ، واتبعته ، فأخذت قميصه من دبر فشقّته عليه .

وقوله (وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى البابِ) يقول جلّ ثناؤه : وصادفا سيدها وهو زوج المرأة لدى الباب ، يعنى : عند الباب .

كالذى حدثنى الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا الثورىّ ، عن رجل ، عن مجاهد (وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا) قال : سيدها : زوجها (لَدَى البابِ) قال : عند الباب .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، عن أشعث ، عن الحسن ، عن زيد بن ثابت ، قال : السيد : الزوج .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى البابِ) أى عند الباب .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، عن أسباط ، عن السدىّ (وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الباب) قال : جالسا عند الباب ، وابن عمها معه فلما رأته (قالَتْ ماجَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بأَهْلِكَ سُوءًا) : إنه راودنى عن نفسى ، فدفعته عن نفسى ، فشققت قميصه ؛ قال يوسف : بل هى راودتنى عن نفسى ، وفررت منها فأدركتنى ، فشقّت قميصى ، فقال ابن عمها : تبيان هذا فى القميص ، فإن كان القميص قُدّ من قبل ، فصدقت وهو من الكاذبين ، وإن كان قميصه قُدّ من دبر فكذبت وهو من الصادقين ، فأتى بالقميص ، فوجده قدّ من دبر (قالَ إنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ ؛ إنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ . يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا ، وَاسْتَغْفِرِى لذَنْبِكِ ، إنَّكِ كُنْتِ مِنَ الخاطِئِينَ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى البابِ) إطفير قائما على باب البيت ، فقالت وهابته (ما جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بأَهْلِكَ سُوءًا إلاَّ أنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) ، ولطخته مكانها بالسيئة ، فرقا من أن يتهمها صاحبها على القبيح ، فقال هو ، وصدقه الحديث (هِىَ رَاوَدَتْنِى عَنْ نَفْسِى) .

وقوله (قالَتْ ما جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بأَهْلِكَ سُوءًا) يقول تعالى ذكره : قالت امرأة العزيز لزوجها لما ألفياه عند الباب ، فخافت أن يتهمها بالفجور : ما ثواب رجل أراد بامرأتك الزنا إلا أن يسجن فى السجن ، أو إلا عذاب أليم ، يقول : موجع . وإنما قال (إلاَّ أنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) لأن قوله (إلاَّ أنْ يُسْجَنَ) بمعنى إلا السجن ، فعطف العذاب عليه ، وذلك أن « أن » وماعملت فيه بمنزلة الاسم .

القول فى تأويل قوله تعالى

قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي ، وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ : إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَٰذِبِينَ (٢٦) وَإِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّٰدِقِينَ . (٢٧) فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ : إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ ، إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ (٢٨)

⁂ يقول تعالى ذكره : قال يوسف لما قذفته امرأة العزيز بما قذفته من إرادته الفاحشة منها ، مكذّبا لها فيما قذفته به ، ودفعا لما نُسِب إليه : ما أنا راودتها عن نفسها ، بل هى راودتنى عن نفسى ، وقد قيل : إن يوسف لم يرد ذكر ذلك ، لو لم تقذفه عند سيدها بما قذفته به .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمارة ، قال : ثنا عبيد الله بن موسى ، قال : أخبرنا شيبان ، عن أبى إسحاق ، عن نوف الشيبانى ، قال : ما كان يوسف يريد أن يذكره حتى (قالَتْ ماجَزَاءُ مَنْ أَرادَ بأَهْلِكَ سُوءًا) . . . الآية ، قال : فغضب ، فقال : هى راودتنى عن نفسى .

وأما قوله (وَشَهِدَ شاهِدٌ مِنْ أَهْلِها) فإن أهل العلم اختلفوا فى صفة الشاهد ، فقال بعضهم : كان صبيا فى المهد .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا العلاء بن عبد الجبار ، عن حماد بن سلمة ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : تكلم أربعة فى المهد وهم صغار : ابن ماشطة بنت فرعون ، وشاهد يوسف ، وصاحب جُرَيج ، وعيسى بن مريم عليه السلام .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن أبى بكر الهُذَلى ، عن شَهْر بن حَوْشب ، عن أبى هريرة ، قال : عيسى ، وصاحب يوسف ، وصاحب جُرَيج ، يعنى تكلموا فى المهد .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا زائدة ، عن أبى حصين ، عن سعيد بن جبير (وَشَهِدَ شاهِدٌ مِنْ أَهْلِها) قال : صبىّ .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبى حصين ، عن سعيد بن جبير (وشَهِدَ شاهِدٌ مِنْ أَهْلِها) قال : كان فى المهد صبيا .

حدثنى محمد بن عبيد المحاربىّ ، قال : ثنا أيوب بن جابر ، عن أبى حصين ، عن سعيد بن جبير ، فى قوله (وَشَهِدَ شاهِدٌ مِنْ أَهْلِها) قال : صبىّ .

حدثنى يحيى بن طلحة البربوعى ، قال : ثنا أبو بكر بن عَيَّاش ، عن أبى حصين ، عن سعيد بن جبير ، بمثله .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ؛ وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن شريك ، عن سالم ، عن سعيد بن جبير ، قال : كان صبيا فى مهده .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن حصين ، عن هلال بن يساف (شَهِدَ شاهِدٌ مِنْ أهْلِها) قال : صبىّ فى المهد .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، عن أبى مرزوق ، عن جويبر ، عن الضحاك (وَشَهِدَ شاهِدٌ مِنْ أهْلِها) قال : صبىّ أنطقه الله ، ويقال : ذو رأى برأيه .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : أخبرنا عفان ، قال : ثنا حماد ، قال : أخبرنى عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم قال : « تَكَلَّمَ أرْبَعَةٌ وَهُمْ صِغارٌ ، فذكر فِيهِمْ شاهِدَ يُوسُفَ » .

حُدِّثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (وَشَهِدَ شاهِدٌ مِنْ أهْلِها) يزعمون أنه كان صبيا فى الدار .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (شَهِدَ شاهِدٌ مِنْ أهْلِها) قال : كان صبيا فى المهد .

وقال آخرون : كان رجلا ذا لحية .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : كان ذا لحية .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ؛ وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن جابر ، عن ابن أبى مليكة ، عن ابن عباس (وَشَهِدَ شاهِدٌ مِنْ أهْلِها) قال : كان من خاصة الملك .

وبه قال : حدثنا أبى ، عن عمران بن حدير ، سمع عكرمة يقول (وَشَهِدَ شاهِدٌ مِنْ أهْلِها) قال : ما كان بصبىّ ، ولكن كان رجلا حكيما .

حدثنا سَوَّار بن عبد الله ، قال : ثنا عبد الملك بن الصباح ، قال : ثنا عمران بن حدير ، عن عكرمة ، وذكر عنده (وَشَهِدَ شاهِدٌ مِنْ أهْلِها) فقالوا : كان صبيا ، فقال : إنه ليس بصبىّ ولكنه رجل حكيم.

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ؛ وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (وَشَهِدَ شاهِدٌ مِنْ أهْلِها) قال : كان رجلا .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (وَشَهِدَ شاهِدٌ مِنْ أهْلِها) قال : رجل .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ، فى قوله (وَشَهِدَ شاهِدٌ مِنْ أهْلِها) قال : رجل .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو بكر بن عياش ، عن أبى حصين ، عن سعيد بن جبير (وَشَهِدَ شاهِدٌ مِنْ أهْلِها) قال : رجل .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس (وَشَهِدَ شاهِدٌ مِنْ أهْلِها) قال : ذولحية .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قال ابن عمها كان الشاهد من أهلها .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة عن ابن عباس (وَشَهِدَ شاهِدٌ مِنْ أهْلِها) قال : ذو لحية .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوغسان ، قال : ثنا إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : كان ذا لحية .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا قيس ، عن جابر ، عن ابن أبى مليكة (وَشَهِدَ شاهِدٌ مِنْ أهْلِها) قال : كان من خاصة الملك .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَشَهِدَ شاهِدٌ مِنْ أهْلِها) قال : رجل حكيم كان من أهلها .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قوله (وَشَهِدَ شاهِدٌ مِنْ أهْلِها) قال : رجل حكيم من أهلها .

حدثنا المثنى ، قال : ثنا أبونعيم ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (وَشَهِدَ شاهِدٌ مِنْ أهْلِها) قال : كان رجلا .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن بعض أصحابه ، عن الحسن ، فى قوله (وَشَهِدَ شاهِدٌ مِنْ أهْلِها) قال رجل له رأى أشار برأيه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (وَشَهِدَ شاهِدٌ مِنْ أهْلِها) قال : يقال : إنما كان الشاهد مشيرا ، رجلا من أهل إطفير ، وكان يستعين برأيه ، إلا أنه قال : أشهد إن كان قميصه قدّ من قبل لقد صدقت ، وهو من الكاذبين .

وقيل : معنى قوله (وَشَهِدَ شاهِدٌ) : حكم حاكم .

حدثت بذلك عن الفراء ، عن معلى بن هلال ، عن أبى يحيى ، عن مجاهد .

وقال آخرون : إنما عنى بالشاهد : القميص المقدود .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (وَشَهِدَ شاهِدٌ مِنْ أهْلِها) قال : قميصه مشقوق من دبر ، فتلك الشهادة .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَشَهِدَ شاهِدٌ مِنْ أهْلِها) قميصه مشقوق من دُبُر ، فتلك الشهادة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا المحاربى ، عن ليث ، عن مجاهد (وَشَهِدَ شاهِدٌ مِنْ أهْلِها) لم يكن من الإنس .

قال : ثنا حفص ، عن ليث ، عن مجاهد (وَشَهِدَ شاهِدٌ مِنْ أهْلِها) قال : كان من أمر الله ، ولم يكن إنسيا .

⁂ والصواب من القول فى ذلك ، قول من قال : كان صبيا فى المهد للخبر الذى ذكرناه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنه ذكر من تكلم فى المهد ، فذكر أن أحدهم صاحب يوسف . فأما ما قاله مجاهد من أنه القميص المقدود فما لامعنى له ، لأن الله تعالى ذكره أخبر عن الشاهد الذى شهد بذلك أنه من أهل المرأة ، فقال (وَشَهِدَ شاهِدٌ مِنْ أهْلِها) ولا يقال للقميص ، هو من أهل الرجل ولا المرأة .

وقوله (إنْ كانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الكاذِبِينَ) لأن المطلوب إذا كان هاربا ، فإنما يؤتى من قبل دبره ، فكان معلوما أن الشقّ لو كان من قُبُل لم يكن هاربا مطلوبا ، ولكن كان يكون طالبا مدفوعا ، وكان يكون ذلك شهادة على كذبه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : قال : أشهد إن كان قميصه قُدّ من قُبل لقد صدقت وهو من الكاذبين ، وذلك أن الرجل إنما يريد المرأة مقبلا (وَإنْ كانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ) وذلك أن الرجل لايأتى المرأة من دبر ، وقال : إنه لاينبغى أن يكون فى الحقّ إلا ذاك ، فلما رأى إطفير قميصه قُدّ من دبر ، عرف أنه من كيدها ، فقال (إنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : قال : يعنى الشاهد من أهلها ، القميص يقضى بينهما (إنْ كانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الكاذِبِينَ ، وَإنْ كانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ؛ فَلَمَّا رأى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قالَ إنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ ، إنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ) وإنما حذفت أنّ التى تتلقى بها الشهادة ، لأنه ذهب بالشهادة إلى معنى القول ، كأنه قال : وقال قائل من أهلها : إن كان قميصه كما قيل (يُوصِيكُمُ اللهُ فِى أوْلادِكُمْ للذَّكَرِ مِثْلُ حَظّ الأُنْثَيَيْنِ) لأنه ذهب بالوصية إلى القول .

وقوله (فَلَمَّا رأى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ) خبر عن زوج المرأة ، وهو القائل لها : إن هذا الفعل من كيدكنّ : أى صنيعكنّ ، يعنى من صنيع النساء ، إن كيدكنّ عظيم . وقيل : إنه خبر عن الشاهد أنه القائل ذلك .

القول فى تأويل قوله تعالى

يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا ، وَاسْتَغْفِرِى لِذَنبِكِ ، إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ (٢٩) ۞

۞ وهذا فيما ذكر عن ابن عباس ، خبر من الله تعالى ذكره عن قيل الشاهد أنه قال للمرأة وليوسف ، يعنى بقوله (يُوسُفُ) يا يوسف (أَعْرِضْ عَنْ هَذَا) يقول : أعرض عن ذكر ما كان منها إليك فيما راودتك عليه فلا تذكره لأحد .

كما حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله (يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا) قال : لاتذكره (وَاسْتَغْفِرِى) أنت زوجك ، يقول : سليه أن لايعاقبك على ذنبك الذى أذنبت ، وأن يصفح عنه ، فيستره عليك (إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الخَاطِئِين) ، يقول : إنك كنت من المذنبين فى مراودة يوسف عن نفسه ، يقال منه : خطئ فى الخطيئة يَخْطَأُ خَطَأً وَخِطْأً ، كما قال جلّ ثناؤه (إِنَّهُ كَانَ خِطْأً كَبِيرًا) والخطأ فى الأمر ، وحكى فى الصواب أيضا الصَّوْب [١] ، والصوب ، كما قال الشاعر :

لَعَمْرُكِ إِنَّمَا خَطَئِى وَصَوْبِى عَلَىَّ وَإِنَّ ما أَهْلَكْتُ مالُ [٢]

وينشد بيت أمية :

عبادُكَ يَخْطِئُونَ وأَنْتَ رَبٌّ بِكَفَّيْكَ المَنايا والحُتُومُ [٣]

من خَطِئَ الرجل . وقيل (إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الخاطئينَ) لم يقل : من الخاطئات ، لأنه لم يقصد بذلك قصد الخبر عن النساء ، وإنما قصد به الخبر عمن يفعل ذلك فيخطئ .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَقَالَ نِسْوَةٌ فِى الْمَدِينَةِ : امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ، إِنَّا لَنَرَاهَا فِى ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٣٠)

---

(١) إن لم يكن مكررا فهو مبتدأ خبره كما قال الخ .

(٢) البيت لأوس بن غلفاء (اللسان : صوب) وقبله بيت آخر :

ألا قالَتْ أُمامةُ يَوْمَ غُولٍ تُقَطَّعَ بابن غَلْفاءَ الحِبالُ

قوله « مال » : بالرفع ، أى : إن الذى أهلكت إنما هو مال . يريد : إن هلك المال فلا ضير ، فعرضى موفور لم يثلم . ورواية اللسان : « دعينى » فى موضع : « لعمرك » .

(٣) البيت لأمية بن أبى الصلت الثقفى (اللسان : خطئ) والشطر الثانى فيه « كريم لاتليق بك الذموم » . وفى اللسان : (حتم) :

حَنانَيْكَ رَبَّنا وَلَهُ عَنَوْنا بِكَفَّيْهِ المَنايا والحُتُومُ

وقد أورده صاحب الصحاح كرواية المؤلف . والمنايا : جمع منية ، وهى الموت . والحتوم : جمع حتم ، بمعنى القضاء .

وفى (اللسان : ذمم) لأمية بن أبى الصلت :

سَلامَكَ رَبَّنا فِى كُلِّ فَجْرٍ بَرِيئا ما تَعَنَّتْكَ الذُّمُومُ

قال : والذموم : العيوب وتعنته : قصدته أو لحقته .

⁂ يقول تعالى ذكره : وتحدّث النساء بأمر يوسف وأمر امرأة العزيز فى مدينة مصر ، وشاع من أمرهما فيها ما كان ، فلم ينكتم ، وقلن : امرأة العزيز تراود فتاها : عبدها عن نفسه .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : وشاع الحديث فى القرية ، وتحدّث النساء بأمره وأمرها ، وقلن (امْرَأَةُ العَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاها عَنْ نَفْسِهِ) أى عبدها . وأما العزيز فإنه الملك فى كلام العرب ؛ ومنه قول أبى دواد :

دَرَّةٌ غاصَ عَلَيْها تاجِرٌ جُلِيَتْ عِنْدَ عَزِيزٍ يَوْمَ طَلّ [١]

يعنى بالعزيز : الملك ، وهو من العزّة .

وقوله (قَدْ شَغَفَها حُبًّا) يقول : قد وصل حبّ يوسف إلى شغاف قلبها ، فدخل تحته حتى غلب على قلبها ، وشغاف القلب : حجابه وغلافه الذى هو فيه ، وإياه عنى النابغة الذبيانى بقوله :

وَقَدْ حالَ هَمّ دُونَ ذلكَ داخِلٌ دُخُولَ شُغافٍ تَبْتَغِيهِ الأصَابِعُ [٢]

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا حجاج بن محمد ، عن ابن جريج ، قال : أخبرنى عمرو بن دينار ، أنه سمع عكرمة يقول ، فى قوله (شَغَفَها حُبًّا) قال : دخل حبه تحت الشغاف .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد قوله (قَدْ شَغَفَها حُبًّا) قال : دخل حبه فى شغافها .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (قَدْ شَغَفَها حُبًّا) قال : دخل حبه فى شغافها .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (قَدْ شَغَفَها حُبًّا) قال : كان حبه فى شغافها .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثل حديث الحسن بن محمد ، عن شبابة .

---

(١) البيت لأبى دواد الإيادى . جعله المؤلف شاهدا على أن العزيز بمعنى الملك ، والعزيز فى الأصل : وصف بمعنى القوى ذى المنعة ، ثم قيل الملك مجازا ، ولا مانع من المجاز ما وجدت العلاقة والقرينة . ولم أجد العزيز بمعنى الملك فى اللسان ، ولا فى الأساس .

(٢) البيت للنابغة الذبيانى (اللسان : شغف) . والرواية فيه :

وقد حالَ هَمٌّ دونَ ذلكَ وَالجٌ مكانَ الشُّغافِ تَبْتَغِيهِ الأصَابِعُ

والشغاف ، بالضم : داء يأخذ تحت الشراسيف من الشق الأيمن ، قال النابغة . . . البيت يعنى أصابع الأطباء . ويروى : « ولوج الشغاف » . والشغاف ، بالفتح : غلاف القلب ، وهو جلدة دونه كالحجاب . ورواية البيت فى مختار الشعر الجاهلى بشرح مصطفى السقا ، طبعة الحلبى صفحة ١٥٦ :

وقد حالَ هَمٌّ دون ذلكَ شاغِلٌ مكانَ الشَّغافِ تَبتغيهِ الأصابعُ

بفتح الشين من الشغاف .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا) يقول : علقها حبا .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا) قال : غلبها .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ؛ وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن أبيه عن أيوب بن عائذ الطائى ، عن الشعبى (قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا) قال : المشغوف : المحبّ ، والمشغوف : المجنون .

وبه قال : حدثنا أبى ، عن أبى الأشهب ، عن أبى رجاء والحسن (قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا) قال : أحدهما قد بطنها حبا ، وقال الآخر : قد صدقها حبا .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن أبى رجاء ، عن الحسن ، فى قوله (قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا) قال : قد بطنها حبا . قال يعقوب : قال أبو بشر : أهل المدينة يقولون : قد بطنها حبا .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن علية ، عن أبى رجاء ، عن الحسن ، قال : سمعته يقول فى قوله (قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا) قال : بطنها حبا وأهل المدينة يقولون ذلك .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عبد الوهاب ، عن قرة ، عن الحسن (قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا) قال : قد بطن بها حبا .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا أبو قطن ، قال : ثنا أبو الأشهب ، عن الحسن (قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا) قال : بطنها حبه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن (قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا) قال : بطن بها .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور عن معمر ، عن قتادة (قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا) قال : استبطنا حبها إياه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا) أى قد علقها .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبى يحيى ، عن مجاهد (قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا) قال : قد علقها حبا .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا المحاربىّ ، عن جويبر ، عن الضحاك ، قال : هو الحبّ اللازق بالقلب .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك ، فى قوله (قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا) يقول : هلكت عليه حبا ، والشَّغَاف : شَغَاف القلب .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا) قال : والشغاف : جلدة على القلب ، يقال لها : لسان القلب ، يقول : دخل الحبّ الجلد حتى أصاب القلب .

وقد اختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء الأمصار بالغين (قَدْ شَغَفَها) على معنى ما وصفت من التأويل . وقرأ ذلك أبو رجاء (قَدْ شَعَفَها) بالعين .

حدثنا الحسين بن محمد ، قال : ثنا أبو قطن ، قال : ثنا أبو الأشهب ، عن أبى رجاء (قَدْ شَغَفَها) .

قال : ثنا خلف ، قال : ثنا هشيم ، عن أبى الأشهب ، أو عوف عن أبى رجاء (قَدْ شَغَفَها حُبًّا) بالعين .

قال : ثنا خلف ، قال : ثنا محبوب ، قال : قرأه عوف (قد شَعَفَها) .

قال : ثنا عبد الوهاب ، عن هارون ، عن أسيد ، عن الأعرج (قَدْ شَغَفَها حُبًّا) وقال : شغفها إذا كان هو يحبها ، ووجه هؤلاء معنى الكلام إلى أن الحبّ قد عمها .

وكان بعض أهل العلم بكلام العرب من الكوفيين يقول : هو من قول القائل : قد شُعِف بها ، كأنه ذهب بها كلّ مذهب من شغف الجبال ، وهى رءوسها .

ورُوى عن إبراهيم النخعى أنه قال : الشغف : شغف الحبّ . والشَّعَف : شَعَف الدابة حين تذعرَ .

حدثنى بذلك الحارث ، عن القاسم ، أنه قال : يُروى ذلك عن أبى عوانة ، عن مغيرة عنه .

قال الحارث : قال القاسم : يذهب إبراهيم إلى أنّ أصل الشعف : هو الذعر . قال : وكذلك هو كما قال إبراهيم فى الأصل ، إلا أن العرب ربما استعارت الكلمة فوضعتها فى غير موضعها ؛ قال امرؤ القيس :

أتَقْتُلُنى وَقَدْ شَعَفْتُ فُؤَادَها كما شَعَفَ المَهْنُوءَةَ الرَّجلُ الطَّالى[1]

(١) البيت لامرئ القيس (مختار الشعر الجاهلى بشرح مصطفى السقا طبعة الحلبى ص ٣٩) والرواية فيه : « أيقتلنى وقد شغفت » بالياء فى يقتلنى ، وبالغين فى « شغفت » ، ومعناه : بلغ حبى شغاف قلبها وهو حجابه . والمهنوءة : الناقة التى تهنأ ، أى تطلى بالقطران . يقول : بلغ حبى لها شغاف قلبها ، كما بلغ القطران داخل الجرب فى الناقة المطلية به ، وهى تستلذه حتى يكاد يغشى عليها . ويروى شعفت بالعين ، والشعف : إحراق الحب القلب ، مع لذة يجدها ، كما أن البعير إذا هنئ بالقطران يجد له لذة مع حرقة . وقبل البيت أبيات ، قال :

وَصِرْنا إلى الحُسْنَى وَرَقَّ كَلامُنا ورُضْتُ فذَلَّتْ صَعْبَةً أىّ إذلالِ
فأصْبَحْتُ مَعْشُوقا وأصْبَحَ بَعْلُها عَلَيْهِ القَتامُ سَيِّئَ الظَّنِّ والبالِ
يَغِطّ غطيطَ البَكْرِ شُدَّ خِناقُهُ ليَقْتُلَنِى والمَرْءُ ليسَ بقَتَّالِ
أيَقْتُلُنى والمَشْرَفِىُّ مُضَاجِعِى وَمَسْنُونَةٌ زُرْقٌ كأنيابِ أغْوالِ
وليس بذى رُمْحٍ فيَطْعُنَنِى بهِ وليس بذى سيفٍ وليسَ بنَبَّالِ
أيَقْتُلُنِى وقد شَغَفَتْ فُؤَادَها كما شَغَفَ المَهْنُوءَةَ الرَّجلُ الطَّالى

(وفى اللسان : شغف) : « لتقتلنى » . ونظن أنه تحريف . قال : يقول : أحرقت فؤادها بحبى ، كما أحرق الطالى هذه المهنوءة ، ففؤادها طائر من لذة الهناء ، لأن المهنوءة تجد للهناء لذة مع حرقة . وقوله تعالى : « قد شغفها حبا » : قرئت بالعين وبالغين . . فمن قرأها بالعين المهملة فمعناه : تيمها . ومن قرأها بالغين المعجمة ، فمعناه أصاب شغافها . وقال : ومعنى شعف بفلان : إذا ارتفع حبه إلى أعلى المواضع من قلبه قال : وهذا مذهب الفراء . وقال غيره : الشعف : الذعر فالمعنى : هو مذعور خائف قلق . والشغف : شغف الدابة حين تذعر ، ثم نقله العرب من الدواب إلى الناس .

قال : وشعف المرأة من الحبّ ، وشعف المهنوءة من الذعرُ ، فشبه لوعة الحبّ وجواه بذلك .

وقال ابن زيد فى ذلك ما حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا) قال : إن الشَّغْف والشَّعْف مختلفان ، والشعْف فى البغض ، والشغْف فى الحبّ . وهذا الذى قاله ابن زيد لامعنى له ، لأن الشعْف فى كلام العرب ، بمعنى عموم الحبّ ، أشهر من أن يجهله ذوعلم بكلامهم .

⁂ والصواب فى ذلك عندنا من القراءة (قَدْ شَغَفَهَا) بالغين ، لإجماع الحجة من القرّاء عليه .

وقوله (إنَّا لَنَرَاهَا فِى ضَلَالٍ مُبِينٍ) قلن : إنا لنرى امرأة العزيز فى مراودتها فتاها عن نفسه ، وغلبة حبه عليها ، لفى خطأ من الفعل ، وجَوْر عن قصد السبيل مبين ، لمن تأمله ، وعلمه أنه ضلال وخطأ ، غير صواب ، ولا سداد ، وإنما كان قيلهنّ ماقلن من ذلك ، وتحدّثهنّ بما تحدّث به من شأنها وشأن يوسف ، مكرا منهنّ فيما ذكرا لتريهنّ يوسف .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَئًا وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّينًا ، وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ، فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ ، وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ، وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ ، مَا هَٰذَا بَشَرًا ، إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ (٣١)

⁂ يقول تعالى ذكره : فلما سمعت امرأة العزيز بمكر النسوة اللاتى قلن فى المدينة ماذكره الله عزّ وجلّ عنهنّ ، وكان مكرهنّ ماحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ) يقول : بقولهنّ .

حدثنا ابن حُميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : لما أظهر النساء ذلك من قولهنّ : تُراود عبدها ، مكرا بها ، لتريهنّ يوسف ، وكان يوصف لهنّ بحسنه وجماله ، (فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَئًا) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ) : أى بحديثهنّ ، (أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ) : يقول : أرسلت إلى النسوة اللاتى تحدّثن بشأنها وشأن يوسف (وَأَعْتَدَتْ) : أفعلت ، من العتاد ، وهو العدّة ، ومعناه : أعدّت لهنّ متكئا ، يعنى مجلسا للطعام ، وما يتكئن عليه من النمارق والوسائد ، وهو مفتعل ، من قول القائل : اتكأت ، يقال ألقِ له مُتَّكَئا ، يعنى : ما يتكئ عليه .

وبنحو ما قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن اليمان ، عن أشعث ، عن جعفر ، عن سعيد (وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَئًا) قال : طعاما وشرابا ومتكئا .

قال : ثنا عمرو بن محمد ، عن أسباط ، عن السدىّ (وأعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَئاً) قال : يتكئن عليه .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس : (وأعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَئاً) قال : مجلسا .

قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن أبى الأشهب ، عن الحسن أنه كان يقرأ (مُتَّكَئاً) ويقول : هو المجلس والطعام .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن يزيد : من قرأ (مُتْكاً) خفيفة ، يعنى طعاما . ومن قرأ (مُتَّكَئاً) يعنى المتكأ . فهذا الذى ذكرنا عمن ذكرنا عنه من تأويل هذه الكلمة ، هو معنى الكلمة ، وتأويل المتكأ ، وأنها أعدت للنسوة مجلسا فيه متكأ وطعام وشراب وأترجّ . ثم فسّر بعضهم المتكأ بأنه الطعام على وجه الخبر عن الذى أعدّ من أجله المتكأ ، وبعضهم عن الخبر عن الأترجّ ، إذ كان فى الكلام ، وآتت كلّ واحدة منهنّ سكينا ، لأن السكين إنما تعدّ للأترجّ ، وما أشبهه مما يقطع به .

وبعضهم على البزماورد[1] ، حدثنى هارون بن حاتم المقرئ ، قال : ثنا هشيم بن الزبرقان ، عن أبى روق عن الضحاك ، فى قوله (وأعتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَئا) قال : البزماورد .

وقال أبو عبيدة معمر بن المثنى : المتكأ : هو النمرُق يتكأ عليه ، وقال : زعم قوم أنه الأترجّ ، قال : وهذا أبطل باطل فى الأرض ، ولكن عسى أن يكون مع المتكأ أترجّ يأكلونه . وحكى أبو عبيد القاسم بن سلام ، قول أبى عبيدة ، ثم قال : والفقهاء أعلم بالتأويل منه . ثم قال : ولعله بعض ماذهب من كلام العرب ، فإن الكسائىّ كان يقول : قد ذهب من كلام العرب شىء كثير انقرض أهله ، والقول فى أن الفقهاء أعلم بالتأويل من أبى عبيدة ، كما قال أبو عبيد : لاشكّ فيه ، غير أن أبا عبيدة لم يبعد من الصواب فى هذا القول ، بل القول كما قال من أن من قال للمتكأ هو الأترجّ ، إنما بين المعدّ فى المجلس الذى فيه المتكأ ، والذى من أجله أُعطِين السكاكين ، لأن السكاكين معلوم أنها لاتعدّ للمتكأ إلا لتخريقه ، ولم يُعْطَين السكاكين لذلك ، ومما يبين صحة ذلك القول الذى ذكرناه عن ابن عباس ، من أن المتكأ هو المجلس .

ثم رُوى عن مجاهد عنه ، ما حدثنى به سليمان بن عبد الجبار ، قال : ثنا محمد بن الصلت ، قال : ثنا أبو كدينة ، عن حصين ، عن مجاهد ، عن ابن عباس (وأعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَئاً ، وآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّينا) قال : أعطتهنّ أترجّا ، وأعطت كل واحدة منهنّ سكينا ، فبين ابن عباس فى رواية مجاهد هذه ، ما أعطت النسوة ، وأعرض عن ذكر بيان معنى المتكأ ، إذ كان معلوما معناه .

ذكر من قال فى تأويل المتكأ ما ذكرنا

حدثنى يحيى بن طلحة اليربوعىّ ، قال : ثنا فضيل بن عياض ، عن حصين ، عن مجاهد ، عن ابن عباس (وأعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَئاً) قال : التُّرُنْج .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : ثنا هشيم ، عن عوف ، قال : حُدثت عن ابن عباس أنه كان يقرؤها (مُتْكا) مخففة ، ويقول : هو الأترجّ .

(١) البزماورد : هو الرقاق الملفوف . مع اللحم . وقيل : هو الطعام المعروف بلقمة القاضى.

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن أبيه ، عن عطية (وأعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَئاً) قال : الطعام.

حدثنى يعقوب والحسن بن محمد ، قالا : ثنا ابن عُلَيَة ، عن أبى رجاء ، عن الحسن ، فى قوله (وأعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَئاً) قال : طعاما .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن علية ، عن أبى رجاء ، عن الحسن ، مثله .

حدثنا ابن بشار وابن وكيع ، قالا : ثنا غُنْدر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبى بشر ، عن سعيد بن جبير ، فى قوله (وأعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَئاً) قال : طعاما .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا وهب بن جرير ، قال : ثنا شعبة ، عن أبى بشر ، عن سعيد بن جبير نحوه

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، قال : من قرأ (مُتَّكَئاً) فهو الطعام ، ومن قرأها (مُتْكاً) فخففها ، فهو الأترجّ .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (مُتَّكَئاً) قال : طعاما .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، وحدثنى المثنى قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا أبوخالد القرشىّ ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، قال : من قرأ (مُتْكاً) خفيفة ، فهو الأترجّ .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، بنحوه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن ليث ، قال : سمعت بعضهم يقول : الأترجّ .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وأعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَئاً) : أى طعاما .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، مثله .

قال : ثنا يزيد ، عن أبى رجاء ، عن عكرمة ، فى قوله (مُتَّكَئاً) قال : طعاما .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (وأعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتْكاً) يعنى الأترجّ .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (وأعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَئاً) والمتكأ : الطعام :

قال : ثنا جرير ، عن ليث ، عن مجاهد (وأعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَئاً) قال : الطعام .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (و أعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَئا) قال : طعاما .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول

فى قوله (مُتَّكَئاً) فهو كلّ شىء يحزّ بالسكين ، قال الله تعالى ذكره مخبرا عن امرأة العزيز ، والنسوة اللاتى تحدّثن بشأنها فى المدينة (وآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّينا) يعنى بذلك جلّ ثناؤه : وأعطت كل واحدة من النسوة اللاتى حضرنها سكينا ، لتقطع به من الطعام ما تقطع به ، وذلك ما ذكرت أنها آتتهنّ ، إما من الأترجّ ، وإما من البزماورد ، أو غير ذلك مما يقطع بالسكين .

كما حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، عن أسباط ، عن السدىّ (وآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّينا) وأترجا يأكلنه .

حدثنا سليمان بن عبد الجبار ، قال : ثنا محمد بن الصلت ، قال : ثنا أبوكدينة ، عن حصين ، عن مجاهد ، عن ابن عباس (وآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّينا) قال : أعطتهنّ أترجا ، وأعطت كل واحدة منهنّ سكينا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (وآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّينا) ليحتززن به من طعامهنّ .

حدثنى يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وآتَتْ كلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّينا) وأعطتهنّ تُرُنْجا[1] وعسلا ، فكنّ يَحْزُزْن الترنج بالسكين ، ويأكلن بالعسل ، وفى هذه الكلمة بيان صحة ماقلنا وأخبرنا فى قوله (وأعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَئاً) وذلك أن الله تعالى ذكره أخبر عن إيتاء امرأة العزيز النسوةَ السكاكينَ ، وترك ماله آتتهنّ السكاكين ، إذ كان معلوما أن السكاكين لاتُدْفع إلى من دُعِى إلى مجلس إلا لقطع مايؤكل إذا قطع بها ، فاستغنى بفهم السامع بذكر إيتائها صواحباتها السكاكين ، عن ذكر ماله آتتهنّ ذلك ، فكذلك استغنى بذكر اعتدادها لهنّ المتكأ عن ذكر ما يعتدّ له المتكأ ، مما يحضر المجالس من الأطعمة والأشربة والفواكه ، وصنوف الالتهاء ، لفهم السامعين بالمراد من ذلك ، ودلالة قوله (وأعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَئاً) عليه . فأما نفس المتكأ ، فهو ماوصفنا خاصة دون غيره .

وقوله (وَقالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ، فَلَمَّا رأيْنَهُ أكْبَرْنَهُ) يقول تعالى ذكره : وقالت امرأة العزيز ليوسف (اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ) فخرج عليهنّ يوسف (فَلَمَّا رأيْنَهُ أكْبَرْنَهُ) يقول جلّ ثناؤه : فلما رأين يوسف ، أعظمنه وأجللنه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (أكْبَرْنَهُ) : أعظمنه .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد مثله .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح . قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

(١) الترنج : ثمرة حامضة تشبه الليمون ، ولكنها أكبر ، وفيها استطالة ، ورائحتها قوية ، وقشرها أصفر .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَلَمَّا رأيْنَهُ أكْبَرْنَهُ) : أى أعظمنه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، عن أسباط ، عن السدىّ (وَقالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ) ليوسف (فَلَمَّا رأيْنَهُ أكْبَرْنَهُ) : عظمنه .

حدثنا إسماعيل بن سيف العجلىّ ، قال : ثنا علىّ بن عابس ، قال : سمعت السدىّ يقول فى قوله : (فَلَمَّا رأيْنَهُ أكْبَرْنَهُ) قال : أعظمنه .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله : (اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ) فخرج (فَلَمَّا رأيْنَهُ) أعظمنه وبُهِتن .

حدثنا إسماعيل بن سيف ، قال : ثنا عبد الصمد بن علىّ الهاشمىّ ، عن أبيه ، عن جدّه ، فى قوله (فَلَمَّا رأيْنَهُ أكْبَرْنَهُ) قال : حضن .

حدثنا علىّ بن داود ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، فى قوله (فَلَمَّا رأيْنَهُ أكْبَرْنَهُ) يقول : أعظمنه .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا يحيى بن أبى زائدة ، عن ابن جريج ، عن مجاهد مثله . وهذا القول ، أعنى القول الذى رُوى عن عبد الصمد ، عن أبيه ، عن جده ، فى معنى (أكْبَرْنَهُ) أنه حِضْن ، إن لم يكن عنى به أنهنّ حضن من إجلالهنّ يوسف ، وإعظامهنّ ، لما كان الله قسم له من البهاء والجمال ، ولما يجد من مثل ذلك النساء عند معايَنَتهنّ إياه ، فقول لامعنى له ، لأن تأويل ذلك : فلما رأين يوسف أكبرنه ، فالهاء التى فى أكبرنه من ذكر يوسف ، ولا شكّ أن من المحال أن يَحِضْن يوسف . ولكن الخبر إن كان صحيحا عن ابن عباس على ما رُوى ، فخليق أن يكون كان معناه فى ذلك أنهن حضن لما أكبرن من حُسن يوسف وجماله فى أنفسهن ، ووجدن مايجد النساء من مثل ذلك . وقد زعم بعض الرواة أن بعض الناس أنشده فى أكبرن ، بمعنى حضن ، بيتا لا أحسب أن له أصلا ، لأنه ليس بالمعروف عند الرواة ، وذلك :

نَأْتِى النِّساءَ على أطْهارِهِنَّ وَلا ... نَأْتِى النِّساءَ إذَا أكْبَرْنَ إكْبارَا[1]

وزعم أن معناه : إذا حضن .

---

(١) البيت ورد فى (اللسان : كبر) قال : وأما قوله تعالى : « فلما رأينه أكبرنه » . فأكثر المفسرين يقول : أعظمنه . وروى عن مجاهد أنه قال : أكبرنه : حضن . و ليس ذلك بالمعروف فى اللغة . وأنشد بعضهم : « نأتى النساء . . . البيت » . قال أبو منصور الأزهرى : وإن صحت هذه اللفظة فى اللغة بمعنى الحيض ، فلها مخرج حسن ، وذلك أن المرأة أول ما تحيض ، فقد خرجت من حد الصغر إلى حد الكبر ، فقيل لها : أكبرت : أى حاضت ، فدخلت فى حد الكبر ، الموجب عليها الأمر والنهى . وروى عن أبى الهيثم أنه قال : سألت رجلا من طيىء ، فقلت : يا أخا طيىء ، ألك زوجة ؟ قال : لا ، والله ما تزوجت ، وقد وعدت فى ابنة عم لى . قلت : وما سنها ؟ قال : قد أكبرت أو كبرت . قلت : ما أكبرت ؟ قال : حاضت . قال أبو منصور : فلغة الطائى أن إكبار المرأة أول حيضها . إلا أن هاء الكناية فى قوله تعالى : « أكبرنه » تنفى هذا المعنى . فالصحيح أنهن لما رأين يوسف راعهن جماله ، فأعظمنه . وروى الأزهرى بسنده عن ابن عباس فى قوله تعالى : « فلمارأينه أكبرنه » قال : حضن . قال أبو منصور : فان صحت الرواية سلمنا له ، وجعلنا الهاء فى قوله « أكبرنه » هاء وقفة ، لا هاء كناية ، والله أعلم بما أراد .

وقوله (وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ) اختلف أهل التأويل فى معنى ذلك ، فقال بعضهم : معناه : أنهن حَزَزْن بالسكين فى أيديهن ، وهن يحسبن أنهنّ يقطعن الأترجّ .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ) حزًّا حزًّا بالسكين .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ) قال : حزًّا حزًّا بالسكاكين .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ؛ قال : وثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ) قال : حزًّ حزًّا بالسكين .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ) قال : جعل النسوة يحززْن أيديهنّ ، يحسبن أنهن يقطعن الأترجّ .

حدثنا إسماعيل بن سيف ، قال : ثنا علىّ بن عابس ، قال : سمعت السدىّ يقول : كانت فى أيديهن سكاكين مع الأترجّ ، فقطعن أيديهن ، وسالت الدماء ، فقلن : نحن نلومكِ على حبّ هذا الرجل ، ونحن قد قطّعنا أيدينا ، وسالت الدماء .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : جعلن يحزِزْن أيديهن بالسكين ، ولا يحسبن إلا أنهن يحززن الترنج ، قدذهبت عقولهنّ مما رأينَ .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ) وحززن أيديهن .

حدثنى سليمان بن عبد الجبار ، قال : ثنا محمد بن الصلت ، قال : ثنا ابن كدينة ، عن حصين ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، قال : جعلن يقطعن أيديهن وهن يحسبن أنهن يقطعن الأترجّ .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ) قال : جعلن يحزِزن أيديهن ، ولا يشعرن بذلك .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاقَ ، قال : قالت ليوسف : (اخْرجْ عليهنّ ،) فخرج عليهن ، (فلمّا رأينَه أكْبرنَه) وغلبت عقولهن عجبا حين رأينه ، فجعلن يقطعن أيديهن بالسكاكين التى معهن ، ما يعقلن شيئا مما يصنعن (وَقُلْنَ حاشَ لِلّهِ ، ما هَذَا بَشَرًا) .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : أنهن قطعن أيديهن ، حتى ابَنَّها وهن لايشعرن .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قال : قطّعن أيديهن حتى ألقينها .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، فى قوله (وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ) قال : قطعن أيديهن ، حتى ألقينها .

⁂ والصواب من القول فى ذلك أن يقال : إن الله أخبر عنهن أنهن قطعن أيديهن وهن لايشعرن ، لإعظام يوسف ، وجائز أن يكون ذلك كان قطعا بإبانة ، وجائز أن يكون كان قطع حزّ وخدش ، ولا قول فى ذلك أصوب من التسليم لظاهر التنزيل .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبى إسحاق ، عن أبى الأحوص ، عن عبد الله ، قال : أُعطى يوسف وأمه ثلث الحسن .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبى إسحاق ، عن أبى الأحوص عن عبد الله ، مثله .

وبه عن أبى الأحوص ، عن عبد الله ، قال : قسم ليوسف وأمه ثلثُ الحسن .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ؛ وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن أبى إسحاق عن أبى الأحوص ، عن عبد الله ، قال : أعطى يوسف وأمه ثلثُ حسن الخلق .

حدثنى أحمد بن ثابت ، وعبد الله بن محمد الرازيان ، قالا : ثنا عفان ، قال : أخبرنا حماد بن سلمة ، قال : أخبرنا ثابت ، عن أنس ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم ، قال : « أُعْطِىَ يُوسُفُ وأُمُّهُ شَطْرَ الحُسْنِ » .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن أبى معاذ ، عن يونس ، عن الحسن ، أن النبىّ صلى الله عليه وسلم قال : « أُعْطِىَ يُوسُفُ وأُمُّهُ ثُلُثَ حُسْنِ أَهْلِ الدُّنْيا ، وأُعْطِىَ النَّاسُ الثُّلُثَيْنِ » ، أو قال : « أُعْطِىَ يُوسُفُ وأُمُّهُ الثُّلُثَيْنِ ، وأُعْطِىَ النَّاسُ الثُّلُثَ » .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ؛ وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، عن ربيعة الجرشىّ ، قال : قسم الحسن نصفين ، فأعطى يوسف وأمه سارّة نصف الحسن ، والنصف الآخر بين سائر الخلق .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو أحمد الزبيرىّ ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، عن ربيعة الجرشىّ ، قال : قسم الحسن نصفين : فقسم ليوسف وأمه النصف ، و النصف لسائر الناس .

حدثنا ابن وكيع وابن حميد ، قالا : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ، عن ربيعة الجرشىّ ، قال : قسم الحسن نصفين ، فجعل ليوسف وسارّة النصف ، وجعل لسائر الخلق نصف .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عيسى بن يزيد ، عن الحسن : أعطى يوسف وأمه ثلث حسن الدنيا ، وأعطى الناس الثلثين .

وقوله (وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ) اختلفت القراءة فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء الكوفيين (حَاشَ لِلَّهِ)

بفتح الشين وحذف الياء . وقرأه بعض البصريين باثبات الياء حاشى لله ، وفيه لغات لم يقرأ بها (حاشَى اللهُ) كما قال الشاعر :

حاشَى أبى ثَوْبانَ إنَّ بهِ ضَنًّا عَنِ المَلْحاةِ والشَّتْمِ [١]

وذُكر عن ابن مسعود أنه كان يقرأ بهذه اللغة (وحاشْ للهِ) بتسكين الشين والألف يجمع بين الساكنين . وأما القراءة فانما هى باحدى اللغتين الأُوليين ، فمن قرأ (حاشَ لِلهِ) بفتح الشين وإسقاط الياء فانه أراد لغة من قال : حاشى لله ، بإثبات الياء ، ولكنه حذف الياء لكثرتها على ألسن العرب ، كما حذفت العرب الألف من قولهم : لاأب لغيرك ، ولا أب لشانيك ، وهم يعنون : لاأبا لغيرك ، ولا أبا لشانيك .

وكان بعض أهل العلم بكلام العرب يزعم أن لقولهم : حاشى لله ، موضعين فى الكلام : أحدهما : التنزيه ، والآخر : الاستثناء ، وهو فى هذا الموضع عندنا بمعنى التنزيه لله ، كأنه قيل : معاذ الله .

وأما القول فى قراءة ذلك ، فانه يقال للقارئ الخيار فى قراءته بأىّ القراءتين شاء ، إن شاء بقراءة الكوفيين وإن شاء بقراءة البصريين ، وهو (حاشَ لِلهِ) و (حاشَى لِلهِ) لأنهما قراءتان مشهورتان ، ولغتان معروفتان بمعنى واحد ، وما عدا ذلك فلغات لاتجوز القراءة بها ، لأنا لانعلم قارئا قرأ بها .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَقُلْنَ حَاشَ لِلهِ) قال : معاذ الله .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (حاشَ لِلهِ) : معاذ الله .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَقُلْنَ حاشَ لِلهِ :) معاذ الله .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (حاشَ لِلهِ) : معاذ الله .

قال : ثنا عبد الوهاب ، عن عمرو ، عن الحسن (حَاشَ لِلهِ) : معاذ الله .

---

(١) البيت منسوب لسبرة بن عمرو الأسدى (مجاز القرآن لأبى عبيدة) ، ونسبه فى المفضليات والأصمعيات إلى الجميح ، وهو منقذ بن الطماح الأسدى .

ويقال : حاشيته أى استثنيته . وقال أبو حيان فى تفسيره البحر المحيط : (٥ : ٣٠٠) كذا ينشده ابن عطية وأكثر النحويين ، وهو بيت ركبوا فيه صدر بيت على عجز آخر ، وهما من بيتين . قال :

حاشَى أبى ثَوْبانَ إنَّ أبا ثوبانَ ليسَ ببَكْمَةٍ فَدَم

عَمْرُو بن عبدُ اللهِ إنَّ بهِ ضَنًّا عَنِ المَلْحاةِ والشَّتْمِ

وأورده صاحب (اللسان : حشا) كما فى رواية المؤلف ، ونسبه لسبرة بن عمرو .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا يحيى ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

وقوله (ما هَـذَا بَشَرًا) يقول : قلن ما هذا بشرا ، لأنهن لم يرين فى حسن صورته من البشر أحدا ، فقلن : لو كان من البشر لكان كبعض مارأينا من صورة البشر ، ولكنه من الملائكة لامن البشر .

كما حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ ما هَـذَا بَشَرًا) : ما هكذا تكون البشر . وبهذه القراءة قرأ عامة قرّاء الأمصار .

وقد حُدثت عن يحيى بن زياد الفراء ، قال : ثنى دعامة بن رجاء التيمىّ ، وكان غرّا ، عن أبى الحويرث الحنفىّ : أنه قرأ (ماهَـذَا بِشَرِىّ) : أى ما هذا بمشترى ، يريد بذلك أنهن أنكرن أن يكون مثله مستعبدا يشترى ويباع ، وهذه القراءة لاأستجيز القراءة بها ، لإجماع قرّاء الأمصار على خلافها . وقد بيّنا أن ما أجمعت عليه ، فغير جائز خلافها فيه . وأما نصب البشر ، فمن لغة أهل الحجاز إذا أسقطوا الباء من الخبر نصبوه ، فقالوا : ما عمرو قائما . وأما أهل نجد ، فإن من لغتهم رفعه ، يقولون : ما عمرو قائم ؛ ومنه قول بعضهم حيث يقول :

لَشَتَّانَ ما أنْوِى ويَنْوِي بنُو أبى جميعا ، فما هَذَانِ مُسْتَوِيانِ
تَمنَّوْا لِىَ الموْتَ الذى يَشْعَبُ الفتَى وكُلُّ فَتَى والمَوْتُ يَلْتَقِيانِ [1]

وأما القرآن ، فجاء بالنصب فى كل ذلك ، لأنه نزل بلغة أهل الحجاز .

وقوله (إنْ هَـذَا إلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ) يقول : قلن ما هذا إلا ملَك من الملائكة .

كما حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (إنْ هَـذَا إلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ) قال : قلن : ملَك من الملائكة .

القول فى تأويل قوله تعالى

قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ الَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ، وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ ، وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّٰغِرِينَ (٣٢)

يقول تعالى ذكره : قالت امرأة العزيز للنسوة اللاتى قطعن أيديهن ، فهذا الذى أصابكن فى رؤيتكن إياه ، وفى نظرة منكن نظرتن إليه ما أصابكنّ من ذهاب العقل ، وغروب الفهم ولَهًا إليه ، حتى قطعتنّ أيديكنّ ، هو الذى لمتنى فى حبى إياه ، وشغف فؤادى به ، فقلتنّ : قد شغف امرأة العزيز فتاها حبا ، إنا لنراها فى ضلال مبين . ثم أقرّت لهنّ بأنها قد راودته عن نفسه ، وأن الذى تحدثن به عنها فى أمره حقّ ، فقالت (وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فاسْتَعْصَمَ) مما راودته عليه من ذلك .

كما حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، عن أسباط ، عن السدىّ ، قالت (فَذَلِكُنَّ

(١) استشهد المؤلف بهذا الشعر على أن أهل نجد ترفع خبر المبتدأ بعد ما النافية ، ولا يعملونها . أما الحجازيون فينصبون بها خبرا المبتدأ كما فى قوله تعالى : « ما هذا بشرا » . والقرآن نزل بلسانهم . ويشعب الفتى : يفرقه ، أى يبعده عن أهله .

الَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ، وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فاسْتَعْصَمَ) : تقول : بعد ما حلّ السراويل استعصى ، لاأدرى ما بدا له .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فاسْتَعْصَمَ) : أى فاستعصى .

حدثنى علىّ بن داود ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (فاسْتَعْصَمَ) يقول : فامتنع .

وقوله (لَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَآمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونا مِنَ الصَّاغِرِينَ) تقول : ولئن لم يطاوعنى على ما أدعوه إليه من حاجتى إليه ليسجننّ ، تقول : ليحبسنّ فى السجن ، وليكوناً من أهل الصغار والذلة ، بالحبس والسجن ، ولأهيننه . والوقف على قوله : ليسجننّ بالنون لأنها مشددة ، كما قيل : ليبطئنّ .

وأما قوله (وَلَيَكُونا) فإن الوقف عليه بالألف ، لأنها النون الخفيفة ، وهى شبيهة نون الإعراب فى الأسماء فى قول القائل : رأيت رجلا عندك ، فإذا وقف على الرجل قيل : رأيت رجلا ، فصارت النون ألفا ، فكذلك ذلك فى : وليكونا ، ومثله قوله (لَنَسْفَعا بالنَّاصِيَةِ ، ناصِيَةٍ) الوقف عليه بالألف ، لما ذكرت ؛ ومنه قول الأعشى :

وَصَلّ على حِينِ العَشِيّاتِ وَالضُّحَى وَلا تَعْبُدِ الشَّيْطانَ وَاللهَ فاعْبُدَا[1]

وإنما هو : فاعبدنْ ، ولكن إذا وقف عليه ، كان الوقف بالألف .

القول فى تأويل قوله تعالى

قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ، وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ (٣٣)

⁂ وهذا الخبر من الله يدلّ على أن امرأة العزيز قد عاودت يوسف فى المراودة عن نفسه ، وتوعدته بالسجن والحبس إن لم يفعل مادعته إليه ، فاختار السجن على مادعته إليه من ذلك ، لأنها لو لم تكن عاودته وتوعدته بذلك ، كان محالا أن يقول (رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ) وهو لا يُدْعَى إلى شىء ، ولا يخوّف بحبس ، والسِّجن هو الحبس نفسه ، وهو بيت الحبس ، وبكسر السين قرأه قرّاء الأمصار كلها ، والعرب تضع الأماكن المشتقة من الأفعال مواضع الأفعال ، فتقول : طلعت الشمس مَطْلِعا ، وغربت مَغْرِبا ، فيجعلونها وهى أسماء ، خلفا من المصادر ، فكذلك السجن ، فإذا فتحت السين من السجن ،

---

(١) البيت للأعشى الأكبر ميمون (ديوان طبع القاهرة ، بشرح الدكتور محمد حسين ، ص ١٧) ورواية البيت والذى قبله :

وَذَا النُّصُبَ المَنْصُوبَ لا تَنْسُكَنَّهُ وَلا تَعْبُدِ الأَوْثانَ واللهَ فاعْبُدَا
وَصَلّ على حِينِ العَشِيّاتِ والضُّحَى ولا تَحْمَدِ الشَّيْطانَ واللهَ فاحْمَدَا

والشاهد فيه عند النحويين : قلب نون التوكيد الخفيفة عند الموقف ألفا ، كحكم التنوين .

كان مصدرا صحيحا ، وقد ذُكر عن بعض المتقدمين أنه يقرؤه (السَّجْنُ أحَبُّ إلىَّ) بفتح السين ، ولا أستجيز القراءة بذلك، لإجماع الحجة من القرّاء على خلافها . وتأويل الكلام : قال يوسف : يا ربّ الحبس فى السجن أحبّ إلىّ مما يدعوننى إليه من معصيتك ، ويراودننى عليه من الفاحشة .

كما حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (قالَ رَبِّ السِّجْنُ أحَبُّ إلىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِى إلَيْهِ) : من الزنا .

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق ، قال: قال يوسف، وأضاف إلى ربه واستعانه على مانزل به (رَبِّ السِّجْنُ أحَبُّ إلىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِى إلَيْهِ): أى السجن أحبّ إلىّ من أن آتىَ ماتكره .

وقوله (وَإلاَّ تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أصْبُ إلَيْهِنَّ) يقول : وإن لم تدفع عنى يا ربّ فعلهنّ الذى يفعلن بى ، فى مراودتهنّ إياى على أنفسهن، أصب إليهنّ ،يقول: أميل إليهنّ ، وأتابعهنّ على مايردن منى ، ويهوَين ، من قول القائل : صبا فلان إلى كذا ، ومنه قول الشاعر :

إلى هِنْدٍ صَبا قَلْبِى وهِنْدٌ مثْلُها يُصْبِى[1]

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قالَ أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (أصْبُ إلَيْهِنَّ) يقول : أتابعهنّ .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (وَإلاَّ تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ) : أى ما أتخوّف منهنّ (أصْبُ إلَيْهِنَّ) .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَإلاَّ تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أصْبُ إلَيْهِنَّ وأكُنْ مِنَ الجاهِلِينَ) قال : إلا يكن منك أنت العون والمنعة ، لايكن منى ، ولا عندى .

وقوله (وأكُنْ مِنَ الجاهِلِينَ) يقول : وأكن بصبوتى إليهنّ من الذين جهلوا حقك ، وخالفوا أمرك ونهيك .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (وأكُنْ مِنَ الجاهِلِينَ) : أى جاهلا إذا ركبت معصيتك .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ ، فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ، إنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٣٤)

إن قال قائل : وما وجه قوله (فاسْتَجابَ لَهُ رَبُّهُ) ولا مسألة تقدمت من يوسف لربه ، ولا دعا بصرف كيدهنّ عنه ، وإنما أخبر ربه أن السجن أحبّ إليه من معصيته ؟ قيل: إن فى إخباره بذلك شكاية منه إلى ربه ، مما لقى منهنّ ، وفى قوله (وَإلاَّ تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أصْبُ إلَيْهِنَّ) معنى دعاء ومسألة

(١) البيت من شواهد أبى عبيدة فى مجاز القرآن (١ : ٣١١) قال: أصب إليهن : أى أهواهن، وأميل إليهن . قال يزيد بن ضبة: « إلى هند . . . البيت » .

منه ربه صرف كيدهن ، ولذلك قال الله تعالى ذكره (فاسْتَجابَ لَهُ رَبُّهُ) وذلك كقول القائل لآخر : إن لاتزرنى أهنك ، فيجيبه الآخر : إذن أزورَك ، لأن فى قوله : إن لاتزرنى أهنك ، معنى الأمر بالزيارة. وتأويل الكلام : فاستجاب الله ليوسف دعاءه ، فصرف عنه ما أرادت منه امرأة العزيز وصواحباتها من معصية الله .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (فاسْتَجابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ) : أى نجاه من أن يركب المعصية فيهن ، وقد نزل به بعض ماحَذِر منهن .

وقوله (إنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ) دعاء يوسف حين دعاه بصرف كيد النسوة عنه ، ودعاء كل داع من خلقه . (العَلِيمُ) بمطلبه وحاجته ، وما يصلحه ، وبحاجة جميع خلقه وما يصلحهم .

القول فى تأويل قوله تعالى

ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ (٣٥)

يقول تعالى ذكره : ثم بدا للعزيز زوج المرأة التى راودت يوسف عن نفسه ، وقيل : بدا لهم ، وهو واحد ، لأنه لم يذكر باسمه ، ويقصد بعينه ، وذلك نظير قوله (الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فاخْشَوْهُمْ) وقيل : إنّ قائل ذلك كان واحدا . وقيل : معنى قوله (ثُمَّ بَدَا لَهُمْ) فى الرأى الذى كانوا رأوه ، من ترك يوسف مطلقا ، ورأوا أن يسجنُوه (مِنْ بَعْدِ ما رأَوُا الآياتِ) ببراءته مما قذفته به امرأة العزيز ، وتلك الآيات كانت : قدّ القميص من دُبر ، وخمشا فى الوجه ، وقطع أيديهن ،

كما حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن نصر بن عوف ، عن عكرمة ، عن ابن عباس (ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ ما رأَوُا الآياتِ) قال : كان من الآيات قدّ فى القميص ، وخمش فى الوجه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى وابن نُمير ، عن نصر ، عن عكرمة ، مثله .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ ما رأَوُا الآياتِ) قال : قدّ القميص من دُبر .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (مِنْ بَعْدِ ما رأَوُا الآياتِ) قال : قدّ القميص من دُبر .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ؛ قال : وثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبى جعفر ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (مِنْ بَعْدِ ما رأَوُا الآياتِ) قال : الآيات : حَزُّهن أيديَهن ، وقَدُّ القميص .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قال : قدّ القميص من دبر .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ ما رَأَوُا الآياتِ لَيَسْجُنُنَّهُ) ببراءته مما اتهم به من شقّ قميصه من دُبر (لَيَسْجُنُنَّهُ حتى حينٍ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدىّ (مِنْ بَعْدِ ما رَأَوُا الآياتِ) قال : الآيات : القميص ، وقطع الأيدى .

وقوله (لَيَسْجُنُنَّهُ حتى حينٍ) يقول : ليسجنه إلى الوقت الذى يرون فيه رأيهم ، وجعل الله ذلك الحبس ليوسف فيما ذكر عقوبة له من همه بالمرأة ، وكفّارة لخطيئته .

حُدثت عن يحيى بن أبى زائدة ، عن إسرائيل ، عن خصيف ، عن عكرمة ، عن ابن عباس (لَيَسْجُنُنَّهُ حتى حينٍ) عشر يوسف عليه السلام ثلاث عشرات : حين همّ بها فسجن ، وحين (قالَ اذْكُرْنِى عِنْدَ رَبِّكَ - فَلَبِثَ فِى السِّجْنِ بِضْعَ سنينَ) وأنساه الشيطان ذكر ربه وقال : لهم (إنَّكُمْ لَسارِقُونَ) فـ (قالُوا إنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ) .

وذُكر أن سبب حبسه فى السجن : كان شكوى امرأة العزيز إلى زوجها أمره وأمرها .

كما حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، عن أسباط ، عن السدىّ (ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ ما رَأَوُا الآياتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حتى حينٍ) قال : قالت المرأة لزوجها : إن هذا العبد العبرانىّ قد فضحنى فى الناس : يعتذر إليهم ، ويخبرهم أنى راودته عن نفسه ، ولست أطيق أن أعتذر بعذرى ، فإما أن تأذن لى فأخرج فأعتذر ، وإما أن تحبسه كما حبستنى ، فذلك قول الله تعالى (ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ ما رَأَوُا الآياتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حتى حينٍ) .

وقد اختلف أهل العربية فى وجه دخول هذه اللام فى (لَيَسْجُنُنَّهُ) ، فقال بعض البصريين : دخلت هاهنا لأنه موضع يقع فيه أىّ ، فلما كان حرف الاستفهام يدخل فيه دخلته النون ، لأن النون تكون فى الاستفهام ، تقول : بدا لهم أيُّهم يَأْخُذُنّ : أى استبان لهم . وأنكر ذلك بعض أهل العربية ، فقال : هذا يمين ، وليس قوله : هل تقومنّ بيمين ، ولَتقومنّ ، لايكون إلا يمينا .

وقال بعض نحوىّ الكوفة : بدا لهم . بمعنى : القول ، والقول يأتى بكلّ الكلام بالقسم وبالاستفهام ، فلذلك جاز : بدا لهم قام زيد ، وبدا لهم ليقومنّ . وقيل : إن الحين فى هذا الموضع معنىّ به سبع سنين .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا المحاربى ، عن داود ، عن عكرمة (لَيَسْجُنُنَّهُ حتى حينَ) قال : سبع سنين .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ ، قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّى أَرَانِى أَعْصِرُ خَمْرًا ، وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّى أَرَانِى أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِى خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ ، نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ ، إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (٣٦)

☆☆ يقول تعالى ذكره : ودخل مع يوسف السجن فتيان ، فدلّ بذلك على متروك قد ترك من الكلام ، وهو

(ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ ما رَأَوُا الآياتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حتَّى حينٍ) فسجنوه وأدخلوه السجن ، ودخل معه فتيان ، فاستغنى بدليل قوله (وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ) على إدخالهم يوسف السجن من ذكره ، وكان الفتيان فيما ذكر : غلامين من غلمان ملك مصر الأكبر ، أحدهما صاحب شرابه ، والآخر صاحب طعامه .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : فطرح فى السجن : يعنى يوسف ، ودخل معه السجن فتيان ، غلامان كانا للملك الأكبر : الريان بن الوليد ، كان أحدهما على شرابه ، والآخر على بعض أمره ، فى سخطة سخطها عليهما ، اسم أحدهما مجلث ، والآخر نبو ، ونبو الذى كان على الشراب .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ) قال : كان أحدهما خبازا للملك على طعامه ، وكان الآخر ساقيه على شرابه .

وكان سبب حبس الملك الفتيين فيما ذكر ، ماحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدىّ ، قال : إن الملك غضب على خبازه ؛ بلغه أنه يريد أن يسمّه ، فحبسه وحبس صاحب شرابه ، ظنّ أنه مالأه على ذلك ، فحبسهما جميعا ، فذلك قول الله تعالى (وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ) .

وقوله (قالَ أحَدُهُما إنّى أرَانِى أعْصِرُ خَمْرًا) ذُكِر أن يوسف صلوات الله وسلامه عليه لما أدخل السجن ، قال لمن فيه من المحبَّسين ، وسألوه عن عمله : إنى أعبِّر الرؤيا ، فقال أحد الفتيين اللذين أدخلا معه السجن لصاحبه : تعال فلنجرّبه .

كما حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، عن أسباط ، عن السدىّ ، قال : لما دخل يوسف السجن قال : أنا أعبِّر الأحلام ، فقال أحد الفتيين لصاحبه : هلمّ نجرّب هذا العبد العبرانىّ ، نتراءى له ، فسألاه من غير أن يكونا رأيا شيئا ، فقال الخباز : إنى أرانى أحمل فوق رأسى خبزا تأكل الطير منه . وقال الآخر : إنى أرانى أعصر خمرا .

حدثنا ابن وكيع وابن حميد ، قالا : ثنا جرير ، عن عمارة بن القعقاع ، عن إبراهيم ، عن عبد الله ، قال : مارأى صاحبا يوسف شيئا ، إنما كانا تحالُما ، ليجرّبا علمه .

وقال قوم : إنما سأله الفتيان عن رؤيا كانا رأياها على صحة وحقيقة ، وعلى تصديق منهما ليوسف لعلمه بتعبيرها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : لما رأى الفتيان يوسف ، قالا : والله يافتى لقد أحببناك حين رأيناك .

قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الله ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، أن يوسف قال لهم حين قالا له ذلك : أنْشُدُكما الله أن لاتحبانى ، فوالله ما أحبنى أحد قطّ ، إلا دخل علىّ من حبه بلاء ، لقد أحبتنى عمتى فدخل علىّ من حبها بلاء ، ثم لقد أحبنى أبى ، فدخل علىّ بحبه بلاء ، ثم لقد أحبتنى زوجة صاحبى هذا ، فدخل علىّ بحبها إياى بلاء ، فلا تحبانى بارك الله فيكما ، قال : فأبيا إلا حبه وإلفه حيث

كان ، وجعلا يعجبهما مايريان من فهمه وعقله ، وقد كانا رأيا حين أدخلا السجن رؤيا ، فرأى مجلث : أنه يحمل فوق رأسه خبزا تأكل الطير منه ، ورأى « نبو » أنه يعصر خمرا ، فاستفتياه فيها ، وقالا له (نَبِّئْنا بتأْوِيلِهِ ، إنَّا نَرَاكَ مِنَ المُحْسِنِينَ) إن فعلت .

وعنى بقوله (أعْصِرُ خَمْرًا) أى إنى أرى فى نومى أنى أعصر عنبا . وكذلك ذلك فى قراءة ابن مسعود ، فيما ذكر عنه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا إبى ، عن أبى سلمة الصائغ ، عن إبراهيم بن بشير الأنصارىّ ، عن محمد ابن الحنفية قال فى قراءة ابن مسعود (إنّى أرَانِى أعْصِرُ عِنَبا) وذكر أن ذلك من لغة أهل عُمان ، وأنهم يسمون العنب خمرا .

ذكر من قال ذلك

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ ، يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (إنّى أرَانِى أعْصِرُ خَمْرًا) يقول : أعصر عنبا ، وهو بلغة أهل عُمان ، يسمون العنب خمرا .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ؛ وثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سلمة بن نبيط ، عن الضحاك (إنّى أرَانِى أعْصِرُ خَمْرًا) قال : عنبا ، أرض كذا وكذا يدعون العنب خمرا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس (إنّى أرَانِى أعْصِرُ خَمْرًا) قال : عنبا .

حُدثت عن المسيب بن شريك ، عن أبى حمزة ، عن عكرمة ، قال : أتاه فقال : رأيت فيما يرى النائم أنى غرست حبلة من عنب ، فنبتت ، فخرج فيه عناقيد فعصرتهنّ ، ثم سقيتهنّ الملك ، فقال : تمكث فى السجن ثلاثة أيام ، ثم تخرج ، فتسقيه خمرا .

وقوله (وَقالَ الآخَرُ إنّى أرَانِى أحْمِلُ فَوْقَ رأسِى خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ ، نَبِّئْنا بتأْوِيلِهِ) يقول تعالى ذكره : وقال الآخر من الفتيين : إنى أرانى فى منامى أحمل فوق رأسى خبزا : يقول : أحمل على رأسى ، فوضعت « فوق » مكان « على » (تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ) يعنى من الخبز .

وقوله (نَبِّئْنا بتأْوِيلِهِ) يقول : أخبرنا بما يئول إليه ما أخبرناك أنا رأيناه فى منامنا ، ويرجع إليه .

كما حدثنى الحارث ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا يزيد ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (نَبِّئْنا بتأْوِيلِهِ) قال : به . قال الحارث ، قال أبو عبيد : يعنى مجاهد : أن تأويل الشىء : هو الشىء . قال : ومنه تأويل الرؤيا ، إنما هو الشىء الذى تئول إليه .

وقوله (إنَّا نَرَاكَ مِنَ المُحْسِنِينَ) اختلف أهل التأويل فى معنى الإحسان الذى وصف به الفتيان يوسف ، فقال بعضهم : هو أنه كان يعود مريضهم ، ويعزى حزينهم ، وإذا احتاج منهم إنسان جمع له .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا سعيد بن منصور ، قال : ثنا خلف بن خليفة ، عن سلمة بن نبيط ،

عن الضحاك بن مزاحم ، قال : كنت جالسا معه ببلخ ، فسئل عن قوله (نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ) قال : قيل له : ما كان إحسان يوسف ؟ قال : كان إذا مرض إنسان قام عليه ، وإذا احتاج جمع له ، وإذا ضاق أوسع له .

حدثنا إسحاق ، عن أبى إسرائيل ، قال : ثنا خلف بن خليفة ، عن سلمة بن نبيط ، عن الضحاك ، قال : سأل رجل الضحاك ، عن قوله (إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ) ما كان إحسانه ؟ قال : كان إذا مرض إنسان فى السجن قام عليه ، وإذا احتاج جمع له ، وإذا ضاق عليه المكان أوسع له .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبى بكر بن عبد الله ، عن قتادة ، قوله (إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ) قال : بلغنا أن إحسانه أنه كان يداوى مريضهم ، ويعزّى حزينهم ، ويجتهد لربه . وقال : لما انتهى يوسف إلى السجن ، وجد فيه قوما قد انقطع رجاؤهم ، واشتدّ بلاؤهم ، فطال حزنهم ، فجعل يقول : أبشروا واصبروا تؤجروا ، إن لهذا أجرا ، إن لهذا ثوابا ، فقالوا : يا فتى بارك الله فيك ! ما أحسن وجهك ، وأحسن خلُقك ! لقد بورك لنا فى جوارك ما نحبّ أنا كنا فى غير هذا منذ حبسنا ، لما تخبرنا من الأجر والكفّارة والطهارة ، فمن أنت يا فتى ؟ قال : أنا يوسف بن صفىّ الله يعقوب ، ابن ذبيح الله إسحاق بن إبراهيم خليل الله ، وكانت عليه محبة ، وقال له عامل السجن : يا فتى والله لو استطعت لخليت سبيلك ، ولكن سأحسن جوارك ، وأحسن إسارك ، فكن فى أىّ بيوت السجن شئت

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن خلف الأشجعى ، عن سلمة بن نبيط ، عن الضحاك فى (إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ) قال : كان يوسع للرجل فى مجلسه ، ويتعاهد المرضى .

وقال آخرون : معناه : (إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ) إذ نبأتنا بتأويل رؤيانا هذه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : استفتياه فى رؤياهما ، وقالا له : (نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ ، إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ) إن فعلت .

⁂ وأولى الأقوال فى ذلك عندنا بالصواب : القول الذى ذكرناه عن الضحاك وقتادة .

فان قال قائل : وما وجه الكلام إن كان الأمر إذن كما قلت ، وقد علمت أن مسألتهما يوسف أن ينبئهما بتأويل رؤياهما ، ليست من الخبر عن صفته بأنه يعود المريض ، ويقوم عليه ، ويحسن إلى من احتاج فى شىء ، وإنما يقال للرجل : نبئنا بتأويل هذا ، فإنك عالم ، وهذا من المواضع التى تحسن بالوصف بالعلم لا بغيره ؟

قيل : إن وجه ذلك : أنهما قالا له : نبئنا بتأويل رؤيانا محسنا إلينا فى إخبارك إيانا بذلك ، كما نراك تحسن فى سائر أفعالك ، إنا نراك من المحسنين .

القول فى تأويل قوله تعالى

قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا، ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي، إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ، وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ (٣٧)

يقول تعالى ذكره (قالَ) يوسف للفتيين اللذين استعبراه الرؤيا (لا يَأْتِيكُما) أيها الفتيان فى منامكما (طَعامٌ تُرْزَقانِهِ إِلاَّ نَبَّأْتُكُما بتأْوِيلِهِ) فى يقظتكما (قَبْلَ أنْ يَأْتِيَكُما) .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدىّ ، قال : قال يوسف لهما (لا يَأْتِيكُما طَعامٌ تُرْزَقانِهِ) فى النوم (إِلاَّ نَبَّأْتُكُما بِتَأْوِيلِهِ) فى اليقظة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : قال يوسف لهما (لا يَأْتِيكُما طَعامٌ تُرْزَقانِهِ) يقول : فى نومكما (إِلاَّ نَبَّأْتُكُما بتَأْوِيلِهِ) . ويعنى بقوله (بِتَأْوِيلِهِ) : ما يئول إليه ويصير ما رأيا فى منامهما من الطعام الذى رأيا أنه أتاهما فيه .

وقوله (ذَلِكُما مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي) يقول : هذا الذى أذكر أنى أعلمه من تعبير الرؤيا، مما علمنى ربى فعلّمته . (إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لا يُؤْمِنُونَ باللهِ) وجاء الخبر مبتدأ : أى تركت ملة قوم . والمعنى ما ملت . وإنما ابتدأ بذلك ، لأن فى الابتداء الدليل على معناه .

وقوله (إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لا يُؤْمِنُونَ باللهِ) يقول : إنى برئت من ملة من لا يصدّق بالله ، ويقرّ بوحدانيته (وَهُمْ بالآخِرَةِ هُمْ كافِرُونَ) يقول : وهم مع تركهم الإيمان بوحدانية الله لا يقرّون بالمعاد والبعث ، ولا ثبواب ولا عقاب ، وكرّرت « هم » مرّتين ، فقيل (وَهُمْ بالآخِرَةِ هُمْ كافِرُونَ) لما دخل بينهما قوله (بالآخِرَةِ) فصارت « هم » الأولى كالملغاة ، وصار الاعتماد على الثانية ، كما قيل (وَهُمْ بالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ) وكما قيل (أيَعِدُكُمْ أنَّكُمْ إذا مِتُّمْ وكُنْتُمْ تُرَابا وَعِظاما أنَّكُمْ مُخْرَجُونَ) .

فإن قال قائل : ما وجه هذا الخبر ومعناه من يوسف ، وأين جوابه الفتيين عما سألاه من تعبير رؤياهما من هذا الكلام ؟

قيل له : إن يوسف كره أن يجيبهما عن تأويل رؤياهما، لما علم من مكروه ذلك على أحدهما ، فأعرض عن ذكره ، وأخذ فى غيره ، ليعرضا عن مسألته الجواب بما سألاه من ذلك .

وبنحو ذلك قال بعض أهل العلم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُريج ، فى قوله (إِنِّي أرانِي أعْصِرُ

خَمْرًا، وَقالَ الآخَرُ إنّى أرَانِى أحْمِلُ فَوْقَ رأسِى خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ ، نَبِّئْنا بتَأْوِيلِهِ). قال : فكره العبارة لهما ، وأخبرهما بشىء لم يسألاه عنه، ليريهما أن عنده علما . وكان الملك إذا أراد قتل إنسان ، صنع له طعاما معلوما ، فأرسل به إليه ، فقال يوسف (لا يَأْتِيكُما طَعامٌ تُرْزَقانِهِ) . . . إلى قوله (تَشْكُرُونَ) فلم يدَعاه، فعدل بهما ، وكره العبارة لهما ، فلم يدعاه حتى يعبر لهما ، فعدل بهما، وقال (يا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أأرْبابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أمِ اللهُ الوَاحِدُ القَهّارُ) . . . إلى قوله (يَعْلَمُونَ) فلم يدعاه حتى عَبَّر لهما ، فقال (يا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أمّا أحَدُكُما فَيَسْقِى رَبَّهُ خَمْرًا ، وأمّا الآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رأسِهِ) . قالا : مارأينا شيئا، إنما كنا نلعب، قال (قُضِيَ الأمْرُ الَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيانِ) . وعلى هذا التأويل الذى تأوّله ابن جريج . فقوله (لا يَأْتِيكُما طَعامٌ تُرْزَقانِهِ) فى اليقظة لا فى النوم، وإنما أعلمهما على هذا القول، أن عنده علمَ ما يئول إليه أمر الطعام، الذى يأتيهما من عند الملك ومن عند غيره ، لأنه قد علم النوع الذى إذا أتاهما كان علامة لقتل من أتاه ذلك منهما ، والنوع الذى إذا أتاه كان علامة لغير ذلك ، فأخبرهما أنه عنده علمُ ذلك .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِى إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ، مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ، ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ ، وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ (٣٨)

⁂ يعنى بقوله (واتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبائى إبْرَاهِيمَ وإسْحاقَ وَيَعْقُوبَ): واتبعت دينهم لا دين أهل الشرك . (ما كانَ لَنا أنْ نُشْرِكَ باللهِ مِنْ شَيْءٍ) يقول : ما جاز لنا أن نجعل لله شريكا فى عبادته وطاعته ، بل الذى علينا إفراده بالألوهة والعبادة (ذلكَ مِنْ فَضْلِ اللهِ عَلَيْنا) يقول : اتباعى ملة آبائى إبراهيم وإسحاق ويعقوب على الإسلام ، وتركى (مِلَّةَ قَوْمٍ لا يُؤْمِنُونَ باللهِ ، وَهُمْ بالآخِرَةِ هُمْ كافِرُونَ) ، من فضل الله الذى تفضل به علينا، فأنعم إذ أكرمنا به ، (وعَلى النّاسِ): يقول: وذلك أيضا من فضل الله على الناس ، إذ أرسلنا إليهم دُعاة إلى توحيده وطاعته (ولكِنَّ أكْثَرَ النّاسِ لا يَشْكُرُونَ) يقول: ولكن من يكفر بالله لا يشكر ذلك من فضله عليه، لأنه لا يعلم من أنعم به عليه ، ولا يعرف المتفضل به .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (ذلكَ مِنْ فَضْلِ اللهِ عَلَيْنا) أن جعلنا أنبياء (وَعلى النّاسِ) يقول : أن بعثنا إليهم رسلا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (ذلكَ مِنْ فَضْلِ اللهِ عَلَيْنا وَعلى النّاسِ) ذُكِر لنا أن أبا الدرداء كان يقول: يارُبّ شاكر نعمة غير منعَم عليه لا يدرى ، ورُبّ حامل فقه غير فقيه .

القول فى تأويل قوله تعالى

يٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ؟ (٣٩)

ذُكر أن يوسف صلوات الله وسلامه عليه ، قال هذا القول للفتيين اللذين دخلا معه السجن ، لأن أحدهما كان مشركا ، فدعاه بهذا القول إلى الإسلام ، وترك عبادة الآلهة والأوثان ، فقال (يا صَاحِبَيِ السِّجْنِ) يعنى : يا من هو فى السجن ، وجعلهما صاحبيه لكونهما فيه ، كما قال الله تعالى لسكان الجنة (فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) وكذلك قال لأهل النار ، وسمّاهم أصحابها ، لكونهم فيها .

وقوله (أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللهُ الوَاحِدُ القَهَّارُ) يقول : أعبادة أرباب شتى متفرّقين ، وآلهة لاتنفع ولاتضرّ ، خير ، أم عبادة المعبود الواحد الذى لاثانى له فى قدرته وسلطانه ، الذى قهر كلّ شىء ، فذلله وسخره ، فأطاعه طوعا وكرها ؟

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ) . . . إلى قوله (لايَعْلَمُونَ) لما عرف نبى الله يوسف أن أحدهما مقتول ، دعاهما إلى حظهما من ربهما ، وإلى نصيبهما من آخرتهما .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (يا صَاحِبَيِ السِّجْنِ) يوسف يقوله .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبى جعفر ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ثم دعاهما إلى الله ، وإلى الإسلام ، فقال (يا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللهُ الوَاحِدُ القَهَّارُ) : أى خير أن تعبدوا إلها واحدا ، أو آلهة متفرّقة ، لاتغنى عنكم شيئا ؟

القول فى تأويل قوله تعالى

مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ، إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ، أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا إِلَّآ إِيَّاهُ ، ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٤٠)

يعنى بقوله (ما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ) : ما تعبدون من دون الله ، وقال (ماتَعْبُدُونَ) وقد ابتدأ الخطاب بخطاب اثنين ، فقال (يا صَاحِبَيِ السِّجْنِ) لأنه قصد المخاطب به ومن هو على الشرك بالله

مقيم من أهل مصر ، فقال للمخاطب بذلك : ما تعبد أنت ، ومن هو على مثل ما أنت عليه من عبادة الأوثان (إلاَّ أسْماءً سَمَّيْتُمُوها أنْتُمْ وآباؤُكُمْ) ، وذلك تسميتهم أوثانهم آلهة أربابا ، شركا منهم ، وتشبيها لها فى أسمائها التى سموها بها بالله تعالى ، عن أن يكون له مثل أو شبيه (ما أنْزَلَ اللهُ بِها مِنْ سُلْطانٍ) يقول : سموها بأسماء لم يأذن لهم بتسميتها ، ولا وَضَع لهم على أن تلك الأسماء أسماؤها دلالة ولا حجة ، ولكنها اختلاق منهم لها وافتراء .

وقوله (إنِ الحُكْمُ إلاَّ لِلهِ ، أمَرَ ألاَّ تَعْبُدُوا إلاَّ إيَّاهُ) يقول : وهو الذى أمر ألا تعبدوا أنتم وجميع خلقه ، إلا الله الذى له الألوهة والعبادة خالصة ، دون كلّ ماسواه من الأشياء .

كما حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس ، عن أبى العالية ، فى قوله (إنِ الحُكْمُ إلاَّ لِلهِ أمَرَ ألاَّ تَعْبُدُوا إلاَّ إيَّاهُ) قال : أسس الدين على الإخلاص لله وحده لاشريك له .

وقوله (ذلكَ الدِّينُ القَيِّمُ) يقول : هذا الذى دعوتكما إليه من البراءة ، من عبادة ماسوى الله من الأوثان ، وأن تخلصا العبادة لله الواحد القهار ، هو الدين القويم الذى لااعوجاج فيه ، والحقّ الذى لاشكّ فيه . (وَلَكِنَّ أكْثَرَ النَّاسِ لايَعْلَمُونَ) يقول : ولكن أهل الشرك بالله يجهلون ذلك ، فلا يعلمون حقيقته .

القول فى تأويل قوله تعالى

يٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًا ، وَأَمَّا ٱلْأَخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦ ، قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ (٤١)

يقول جلّ ثناؤه مخبرا عن قيل يوسف للّذين دخلا معه السجن (يا صَاحِبَيِ السِّجْنِ ، أمَّا أحَدُكُما فَيَسْقِى رَبَّهُ خَمْرًا) هو الذى رأى أنه يعصر خمرا ، فيسقى ربه : يعنى سيده ، وهو ملكهم ؛ خمرا : يقول : يكون صاحب شرابه .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فَيَسْقِى رَبَّهُ خَمْرًا) قال : سيده .

وأما الآخر ، وهو الذى رأى أن على رأسه خبزا تأكل الطير منه ، فيصلب فتأكل الطير من رأسه ؛ فذكر أنه لما عبّر ما أخبراه به أنهما رأياه فى منامهما ، قالا له : ما رأينا شيئا ، فقال لهما (قُضِىَ الأمْرُ الَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيانِ) يقول : فُرِغ من الأمر الذى فيه استفتيتما ، ووجب حكم الله عليكما بالذى أخبرتكما به .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل العلم :

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن عمارة ، عن إبراهيم ، عن عبد الله قال : قال اللذان دخلا السجن على يوسف : ما رأينا شيئا ، فقال (قُضِيَ الأمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيانِ).

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ؛ وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن عمارة بن القعقاع ، عن إبراهيم ، عن عبد الله (قُضِيَ الأمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيانِ) قال : لما قالا ما قالا ، أخبرهما ، فقالا : ما رأينا شيئا ، فقال (قُضِيَ الأمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا محمد بن فضيل ، عن عمارة ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، عن عبد الله فى الفتيين اللذين أتيا يوسف والرؤيا ، إنما كانا تحالما ليجرّباه ، فلما أوّل رؤياهما قالا : إنما كنا نلعب ، قال (قُضِيَ الأمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيانِ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن عمارة ، عن إبراهيم ، عن عبد الله ، قال : ما رأى صاحبا يوسف شيئا ، إنما كانا تحالما ليجرّبا علمه ، فقال أحدهما : إنى أرانى أعصر عنبا ؛ وقال الآخر : إنى أرانى أحمل فوق رأسى خبزا تأكل الطير منه ، نبئنا بتأويله ، إنا نراك من المحسنين . قال : يا صاحبى السجن أما أحدكما فيسقى ربه خمرا ، وأما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه ، فلما عَبَّر ، قالا : ما رأينا شيئا ، قال (قُضِيَ الأمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيانِ) على ماعَبَّر يوسف .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : قال لمجلث : أما أنت فتصلب فتأكل الطير من رأسك ، وقال لنبو : أما أنت فتردّ على عملك ، فيرضى عنك صاحبك (قُضِيَ الأمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيانِ) ، أو كما قال .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جريج (فِيهِ تَسْتَفْتِيانِ)[1] : حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قال (قُضِيَ الأمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيانِ) عند قولهما : ما رأينا رؤيا ، إنما كنا نلعب ، قال : قد وقعت الرؤيا على ما أُوِّلت .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد قوله (الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ) فذكر مثله .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ، فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ، فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ (٤٢)

يقول تعالى ذكره : قال يوسف للذى علم أنه ناج من صاحبيه اللذين استعبراه الرؤيا (اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ) يقول : اذكرنى عند سيدك ، وأخبره بمظلمتى ، وأنى محبوس بغير جرم .

(١) كذا فى أصله المخطوط رقم ١٠٠ تفسير بدار الكتب المصرية ، وهو آخر سطر فى (ص ٣٨ و) . ونسى الكاتب أن يكتب التفسير فى أول الصفحة التالية .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : قال يعنى لنبو (اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ) : أى اذكر للملك الأعظم مظلمتى وحبسى فى غير شىء ، قال : أفعل .

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله (اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ) قال للذى نجا من صاحبى السجن يوسف يقول : اذكرنى عند الملك .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، بنحوه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن يمان ، عن سفيان ، عن جابر ، عن أسباط (وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ ناجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ) قال : عند ملك الأرض .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ) يعنى بذلك الملك .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ ناجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ) الذى نجا من صاحبى السجن للملك ، يقول يوسف : اذكرنى .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا العوّام بن حوشب ، عن إبراهيم التّيمى : أنه لما انتهى به إلى باب السجن ، قال له صاحبٌ له : حاجَتَك : أوصنى بحاجتك ، قال : حاجتى أن تذكرنى عند ربك ، ينوى الربّ الذى ملك يوسف . وكان قتادة يوجه معنى الظنّ فى هذا الموضع ، إلى الظنّ الذى هو خلاف اليقين .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ ناجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ) وإنما عبارة الرؤيا بالظنّ ، فيُحقّ الله ما يشاء ، ويبطل ما يشاء ، وهذا الذى ، قاله قتادة ، من أن عبارة الرؤيا ظنّ ، فإن ذلك كذلك من غير الأنبياء ، فأما الأنبياء فغير جائز منها أن تخبر بخبر عن أمر أنه كائن ثم لا يكون ، أو أنه غير كائن ثم يكون ، مع شهادتها على حقيقة ما أخبرت عنه أنه كائن أو غير كائن ، لأن ذلك لو جاز عليها فى أخبارها ، لم يؤمن مثل ذلك فى كلّ أخبارها ، وإذا لم يؤمن ذلك فى أخبارها سقطت حجتها على من أرسلت إليه . فإذا كان ذلك كذلك ، كان غير جائز عليها أن تخبر بخبر إلا وهو حقّ وصدق ؛ فمعلوم إذ كان الأمر على ما وصفت ، أن يوسف لم يقطع الشهادة على ما أخبر الفتيين اللذين استعبراه ، أنه كائن ، فيقول لأحدهما : (أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا ، وَأَمَّا الآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ) ، ثم يؤكد ذلك بقوله (قُضِيَ الأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ) عند قولهما : لم نر شيئا ، إلا وهو على يقين أن ما أخبرهما بحدوثه وكونه ، أنه كائن لامحالة ، لاشكّ فيه ، وليقينه بكون ذلك قال للناجى منهما (اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ) . فَبَيِّنٌ إذن بذلك ، فساد القول الذى قاله قتادة ، فى معنى قوله (وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ ناجٍ مِنْهُمَا) ، وقوله (فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ) وهذا خبر من الله جلّ ثناؤه عن غفلة عرضت ليوسف من قبَل الشيطان ، نسى لها ذكر ربه ، الذى لو به استغاث لأسرع بما هو فيه خلاصه ، ولكنه زلّ بها ، فأطال من أجلها فى السجن حَبسه ، وأوجع لها عقوبته .

كما حدثنى الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا جعفر بن سليمان الضُّبَعِىّ ، عن بِسطام بن مسلم ، عن مالك بن دينار ، قال : لما قال يوسف للساقى (اذْكُرْنِى عِنْدَ رَبِّكَ) قال : قيل : يا يوسف اتخذتُ من دونى وكيلا ، لأطيلنّ حبسك ، فبكى يوسف وقال : يا ربّ أَنْسَى قلبى كثرةُ البلوى ، فقلتُ كلمةً ، فويلٌ لإخوتى .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن عكرمة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَوْلا أنَّهُ » يعنى يوسف « قالَ الكَلِمَةَ التى قالَ ما لَبِثَ فِى السِّجْنِ طُولَ ما لَبِثَ » .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم وابن وكيع ، قالا : ثنا ابن عُلَيَة ، قال : ثنا يونس ، عن الحسن ، قال : قال نبىّ الله صلى الله عليه وسلم : « رَحِمَ اللهُ يُوسُفَ لَوْلا كَلِمَتُهُ ما لَبِثَ فِى السِّجْنِ طولَ مالَبِثَ » . يعنى قوله (اذْكُرْنِى عِنْدَ رَبِّكَ) قال : ثم يبكى الحسن ، فيقول : نحن إذا نزل بنا أمرٌ فَزِعنا إلى الناس .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيَة ، عن أبى رجاء ، عن الحسن ، فى قوله (وَقالَ لِلَّذِى ظَنَّ أنَّهُ ناجٍ مِنْهُما اذْكُرْنِى عِنْدَ رَبِّكَ) قال : ذُكر لنا أن نبىّ الله صلى الله عليه وسلم قال : « لَوْلا كَلِمَةُ يُوسُفَ ما لَبِثَ فِى السِّجْنِ طُولَ ما لَبِثَ » .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، عن إبراهيم بن يزيد ، عن عمرو بن دينار ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : قال النبىّ صلى الله عليه وسلم : « لَوْ لَمْ يَقُلْ يُوسُفُ ، يعنى الكلمة التى قال ، ما لَبِثَ فِى السِّجْنِ طُولَ ما لَبِثَ » يعنى حيث يبتغى الفرج من عند غير الله .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : بلغنى أن النبىّ صلى الله عليه وسلم قال : « لَوْ لَمْ يَسْتَعِنْ يُوسُفُ على رَبِّهِ ، ما لَبِثَ فِى السِّجْنِ طُولَ ما لَبِثَ » .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : ذُكر لنا أن نبىّ الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : « لَوْلا أنَّ يُوسُفَ اسْتَشْفَعَ على رَبِّهِ ، ما لَبِثَ فى السِّجْنِ طُولَ ما لَبِثَ ، وَلَكِنْ إنَّمَا عُوقِبَ باسْتِشْفاعِهِ عَلى رَبِّهِ » .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قال : قال له (اذْكُرْنِى عِنْدَ رَبِّكَ) قال : فلم يذكره حتى رأى الملك الرؤيا ، وذلك أن يوسف أنساه الشيطان ذكر ربه ، وأمره بذكر الملك ، وابتغاء الفرج من عنده (فَلَبِثَ فِى السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ) ، بقوله (اذْكُرْنِى عِنْدَ رَبِّكَ) .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، بنحوه ، غير أنه قال (فَلَبِثَ فِى السِّجْنِ بِضْعَ سِنِين) عقوبة لقوله (اذْكُرْنِى عِنْدَ رَبِّكَ) .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثل حديث محمد ابن عمرو سواءً .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثل حديث المثنى ، عن أبى حذيفة .

وكان محمد بن إسحاق يقول : إنما أنسى الشيطان الساقى ذكر أمر يوسف للملكهم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : لما خرج ، يعنى الذى ظنّ أنه ناج منهما ، ردّ على ما كان عليه ، ورضى عنه صاحبه ، فأنساه الشيطان ذكر ذلك للملك ، الذى أمره يوسف أن يذكره ، فلبث يوسف بعد ذلك فى السجن بضع سنين ؛ يقول جلّ ثناؤه : فلبث يوسف فى السجن ، لقيله للناجى من صاحبى السجن من القيل : اذكرنى عند سيدك ، بضع سنين ، عقوبة له من الله بذلك .

واختلف أهل التأويل فى قدر البِضْع الذى لبث يوسف فى السجن ، فقال بعضهم : هو سبع سنين .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا محمد أبو عَثْمة ، قال ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : لبث يوسف فى السجن سبع سنين .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ) قال : سبع سنين .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا عمران أبو الهذيل الصَّنْعانىّ ، قال : سمعت وهْبا يقول : أصاب أيوب البلاء سبع سنين ، وترك فى السجن يوسف سبع سنين ، وعذب بختنصر [1] يجول فى السباع سبع سنين .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : زعموا أنها ، يعنى البضع : سبع سنين ، كما لبث يوسف .

وقال آخرون : البضع : ما بين الثلاث إلى التسع .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا سليمان ، قال : ثنا أبو هلال ، قال : سمعت أبا قتادة يقول : البضع : ما بين الثلاث إلى التسع .

حدثنا وكيع ، قال : ثنا يحيى بن آدم ، عن إسرائيل ، عن منصور ، عن مجاهد (بِضْعَ سِنِينَ) قال : ما بين الثلاث إلى التسع .

وقال آخرون : بل هو ما دون العشر .

---

(١) أى بالمسخ سبعا ، وصار يجول فى السباع ، كما يؤخذ من الكامل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جريج ، قال ابن عباس (بضْعَ سنينَ) دون العشرة .

وزعم الفرّاء أن البِضْع لايذكر إلا مع عشر ، ومع العشرين إلى التسعين ، وهو نيف ما بين الثلاثة إلى التسعة ، وقال : كذلك رأيت العرب تفعل ، ولا يقولون بضع ومئة ، ولا بضع وألف ، وإذا كانت للذكران قيل : بضع .

⁂ والصواب فى البضع : من الثلاث إلى التسع ، إلى العشر ، ولا يكون دون الثلاث ، وكذلك مازاد على العقد إلى المئة ، وما زاد على المئة فلا يكون فيه بضع .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ ، يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ . (٤٣)

⁂ يعنى جلّ ذكره بقوله : وقال ملك مصر (إنّى أرَى) فى المنام (سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ) من البقر (عِجافٌ) . وقال : إنى أرى ، ولم يذكر أنه رأى فى منامه ولا فى غيره ، لتعارف العرب بينها فى كلامها إذا قال القائل منهم : أرى أنى أفعل كذا : وكذا أنه خبر عن رؤيته ذلك فى منامه ، وإن لم يذكر النوم ، وأخرج الخبر جلّ ثناؤه على ما قد جرى به استعمال العرب ذلك بينهم . (وَسَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ) يقول : وأرى سبع سنبلات خضر فى منامى (وَأُخَرَ) يقول : وسبعا أخر من السنبل (يابِساتٍ يَأيُّها المَلأُ) يقول : يا أيها الأشراف من رجالى وأصحابى (أفْتُونِي فِي رُؤْيايَ) فاعْبُرُوها (إنْ كُنْتُمْ للرُّؤْيا) عَبَرَة .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، عن أسباط ، عن السدىّ ، قال : إن الله أرى الملك فى منامه رؤيا هالته ، فرأى سبع بقرات سمان ، يأكلهن سبع عجاف ، وسبع سنبلات خضر ، وأخر يابسات ، فجمع السحرةَ والكهنةَ والحُزاةَ ، والقافةَ ، فقصها عليهم (فقالُوا أضْغاثُ أحْلامٍ ، وَما نَحْنُ بتَأْوِيلِ الأحْلامِ بِعالِمِينَ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ثم إن الملك الرَّيَّان بن الوليد ، رأى رؤياه التى رأى ، فهالته ، وعرف أنها رؤيا واقعة ، ولم يدر ما تأويلها ؟ فقال للملأ حوله من أهل مملكته (إنّى أرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجافٌ) . . . إلى قوله (بعالِمِينَ) .

القول فى تأويل قوله تعالى

قَالُوٓا۟ أَضْغَـٰثُ أَحْلَـٰمٍ ۖ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَـٰمِ بِعَـٰلِمِينَ (٤٤)

يقول تعالى ذكره : قال الملأ الذين سألهم ملك مصر عن تعبير رؤياه : رؤياك هذه أضغاث أحلام ، يعنون أنها أخلاط رؤيا كاذبة ، لاحقيقة لها ، وهى جمع ضِغْث ، والضِّغْث : أصله الحُزْمة من الحشيش ، يُشَبَّهُ بها الأحلام المختلطة ، التى لاتأويل لها ، والأحلام جمع حُلْم ، وهو ما لم يصدُق من الرؤيا ، ومن الأضغاث قول ابن مقبل :

خَوْدٌ كأنَّ فِراشَها وُضِعَتْ بِهِ ... أضْغاثُ رَيْحانٍ غَـدَاةَ شَمالِ [١]

ومنه قول الآخر :

يَحْمِى ذِمارَ جَنِينٍ قَلَّ مانِعُـهُ ... طاوٍ كَضِغْثِ الخَلا فى البَطنِ مُكْتَمِنُ [٢]

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ) يقول : مشتبهة .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ) كاذبة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : لما قصّ الملك رؤياه التى رأى على أصحابه ، قالوا : أضغاث أحلام : أى فعل الأحلام .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ) قال : أخلاط أحلام (وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، عن أبى مرزوق ، عن جويبر ، عن الضحاك ، قال : أضغاث أحلام : كاذبة .

قال : ثنى المحاربىّ ، عن جويبر ، عن الضحاك ، قالوا : أضغاث ، قال : كذب .

---

(١) البيت لابن مقبل . وقال فى اللسان : الخود : الفتاة الحسنة الخلق الشابة ، مالم تصر نصفا (بالتحريك) . وقيل الجارية الناعمة ، والجمع : خودات وخود (بضم الخاء فى الأخير) . و(فى اللسان : ضغث) : وأضغاث الأحلام : الرؤيا التى لا يصح تأويلها ، لاختلاطها . والضغث : الحلم الذى لا تأويل له ، ولا خير فيه . والضغث الحزمة من الحشيش ، أو كل ما ملأ الكف من النبات ، أو الحشيش المختلط . والشمال : الريح الباردة . يريد أن ريح فراشها بعد النوم ، كأنما وضع فيه صنوف من الريحان ، تذيع ريحها ريح الشمال اللطيفة .

(٢) فى (اللسان : ذ م ر) : الذمار : كل ما يلزم الإنسان حفظه وحياطته وحمايته والدفع عنه وإن ضيعه لزمه اللوم . وطاو : ضامر ، يريد أنه صغير ، والضغث الحزمة من الزرع والبقل ونحوه . والخلا : الرطب من الحشيش يختلى فى الربيع (كالبرسيم) فإذا يبس فهو حشيش ، يريد أن لا يزال طريا فى بطن أمه كحزمة الخلا فى لينه ، لم تصلب عظامه . والمكتمن : الخافى المضمر .

حُدثت عن الحسين بن الفرَج ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله : (أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ) : هى الأحلام الكاذبة .

وقوله (وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ) يقول : وما نحن بما تئول إليه الأحلام الكاذبة بعالمين . والباء الأولى التى فى التأويل : من صلة العالمين ، والتى فى العالمين : الباء التى تدخل فى الخبر مع «ما» التى بمعنى الجحد . ورفع أضغاث أحلام : لأن معنى الكلام : ليس هذه الرؤيا بشىء ، إنما هى أضغاث أحلام .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ : أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ (٤٥) يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ ، أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ ، وَسَبْعِ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ ، وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ (٤٦)

يقول تعالى ذكره : وقال الذى نجا من القتل من صاحبى السجن ، اللذين استعبرا يوسف الرؤيا وادّكر ؛ يقول : وتذكر ما كان نسى من أمر يوسف ، وذكر حاجته للملك ، التى كان سأله عند تعبيره رؤياه ، أن يذكرها له ، بقوله : (اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ ، بَعْدَ أُمَّةٍ) يعنى بعد حين .

كالذى حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن عاصم ، عن أبى رُزين ، عن ابن عباس (وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ) قال : بعد حين .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ؛ وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن عاصم ، عن أبى رُزين ، عن ابن عباس ، مثله .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثورىّ ، عن عاصم ، عن أبى رزين عن ابن عباس ، مثله .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا أبو بكر بن عياش (وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ) : بعد حين .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، قال : أخبرنا سفيان ، عن عاصم ، عن أبى رُزين قال (وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ) قال : بعد حين .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو نعيم ، قال : ثنا سفيان ، عن عاصم ، عن أبى رزين ، عن ابن عباس مثله .

قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ) يقول : بعد حين .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ) قال : ذكر بعد حين .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن (وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ) بعد حين .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، عن الحسن ، مثله .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عفانُ ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، قال : ثنا سعيد بن أبى عَروبة ، عن قتادة ، عن الحسن ، مثله .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ) : بعد حين .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن كثير (بَعْدَ أُمَّةٍ) : بعد حين . قال ابن جريج ، وقال ابن عباس : (بعدَ أُمَّةٍ) قال : بعد سنين .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، عن أسباط ، عن السدىّ (وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ) قال : بعد حين .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا الحِمَّانىّ ، قال : ثنا شريك ، عن سِماك ، عن عكرمة (وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ) أى بعد حِقْبة من الدهر .

وهذا التأويل على قراءة من قرأ (بَعْدَ أُمَّةٍ) بضمّ الألف ، وتشديد الميم ، وهى قراءة القرّاء فى أمصار الإسلام .

وقد رُوى عن جماعة من المتقدّمين : أنهم قرءوا ذلك (بَعْدَ أَمَهٍ) بفتح الألف ، وتخفيف الميم وفتحها ، بمعنى بعد نسيان . وذكر بعضهم أن العرب تقول من ذلك : أَمِهَ الرجلُ يأمَهُ أمَهاً : إذا نسى ، وكذلك تأوّله من قرأ ذلك كذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عفان ، قال : ثنا همام ، عن قتادة ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، أنه كان يقرأ (بَعْدَ أَمَهٍ) ويفسرها : بعد نِسيان .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا بَهْز بن أسد ، عن هَمَّام ، عن قتادة ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : أنه قرأ (بَعْدَ أَمَهٍ) يقول : بعد نسيان .

حدثنى أبو غسان مالك بن الخليل اليحمَدىّ ، قال : ثنا ابن أبى عدىّ ، عن أبى هارون الغنوىّ ، عن عكرمة أنه قرأ (بَعْدَ أَمَهٍ) والأَمَهُ : النسيان .

حدثنى يعقوب وابن وكيع ، قالا : ثنا ابن عُلَيَة ، قال : ثنا أبو هارون الغَنَوىّ ، عن عكرمة ، مثله .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عبد الوهاب ، قال : قال هارون ، وثنى أبو هارون الغنوىّ ، عن عكرمة (بَعْدَ أَمَهٍ) : بعد نسيان .

قال : ثنا عبد الوهاب ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن عكرمة (وَادَّكَرَ بَعْدَ أَمَهٍ) : بعد نسيان .

حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد ، قال: ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن ابن عباس : أى بعد نسيان .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ) قال : من بعد نسيانه .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو النعمان عارم ، قال : ثنا حماد بن زيد ، عن عبد الكريم أبى أمية المعلّم، عن مجاهد ، أنه قرأ (وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَهٍ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، عن أبى مرزوق ، عن جويبر ، عن الضحاك (وادَّكَرَ بَعْدَ أُمَهٍ) قال : بعد نسيان .

حُدِّثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَهٍ) يقول : بعد نسيان .

وقد ذكر فيها قراءة ثالثة، وهى ماحدثنى به المثنى ، قال: أخبرنا إسحاق، قال ثنا عبد الله بن الزُّبَير عن، سفيان، عن حميد، قال: قرأ مجاهد (وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمْهٍ) مجزومة الميم مخففة، وكأنّ قارئ ذلك كذلك، أراد به المصدر ، من قولهم : أمِهَ يَأْمَهُ أَمْهاً ، وتأويل هذه القراءة ، نظير تأويل من فتح الألف والميم.

وقوله (أنا أُنَبِّئُكُمْ بتَأْوِيلِهِ) يقول: أنا أخبركم بتأويله (فَأَرْسِلُونِ) يقول: فأطلقونى أمضى ، لآتيكم بتأويله من عند العالم به . وفى الكلام محذوف قد ترك ذكره، استغناء بما ظهر عما ترك، وذلك: فأرسلوه فأتى يوسف ، فقال له : يا يوسف ، يا أيها الصديق .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق[1] قال: (قالَ المَلِكُ) للملأ حوله (إنّى أرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمانٍ) . . . الآية ، وقالوا له ما قال ، سمع «نبو» من ذلك ماسمع ، ومسألتَه عن تأويلها ذكر يوسف ، وما كان عبر له ولصاحبه ، وما جاء من ذلك على ماقال من قوله ، قال (أنا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ) يقول الله تعالى (وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ) : أى حقبة من الدهر ، فأتاه فقال : يا يوسف ، إن الملك قد رأى كذا وكذا، فقصّ عليه الرؤيا، فقال فيها يوسف ما ذكر الله تعالى لنا فى الكتاب، فجاءهم مثْلَ فَلَق الصبح تأويلها، فخرج « نبو » من عند يوسف، بما أفتاهم به من تأويل رؤيا الملك، وأخبره بما قال . وقيل : إن الذى نجا منهما إنما قال : أرسلونى ، لأن السجن لم يكن فى المدينة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، عن أسباط ، عن السدىّ (وَقالَ الَّذِى نَجا مِنْهُما وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ ، أنا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ) قال ابن عباس: لم يكن السجن فى المدينة، فانطلق الساقى إلى يوسف ، فقال (أفْتِنا فِى سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمانٍ) . . . الآيات .

قوله (أفْتِنا فِى سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجافٌ ، وَسَبْعِ سُنْبُلاتٍ خُضْرٍ

(١) لعل صواب عبارة ابن إسحاق هو « عن ابن إسحاق قال: لما قال الملك : إنى أرى سبع ... الآية ، وقالوا له ما قالوا ، وسمع « نبو » من ذلك ماسمع ، ومسألته عن تأويلها ، ذكر يوسف . . . الخ » .

وأُخَرَ يابِساتٍ) فإن معناه : أفتنا فى سبع بقرات سِمان رُئِينَ فى المنام، يأكلهن سبع منها عجاف، وفى سبع سنبلات خضر رُئين أيضا، وسبع أخر منهن يابسات ؛ فأما السمان من البقر ، فإنها السنون المخصبة .

كما حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (أفْتِنا فى سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمانٍ ، يَأكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجافٌ) قال : أما السمان : فسنون منها مخصبة . وأما السبع العِجاف : فسنون مجدبة ، لاتنبت شيئا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (أفْتِنا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمانٍ) فالسمان المخاصيب ، والبقرات العجاف : هى السنون المُحُول الجُدُوب .

قوله (وَسَبْعِ سُنْبُلاتٍ خُضْرٍ وأُخَرَ يابساتٍ) أما الخضر : فهنّ السنون المخاصيب ، وأما اليابسات : فهنّ الجدوب المُحول . والعِجاف : جمع عَجِف ، وهى المهازيل .

وقوله (لَعَلِّى أرْجِعُ إلى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ) يقول : كى أرجع إلى الناس، فأخبرهم، لعلهم يعلمون : يقول : ليعلموا تأويل ما سألتك عنه من الرؤيا .

القول فى تأويل قوله تعالى

قَالَ: تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا، فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ ، إِلاَّ قَلِيلاً مِمَّا تَأْكُلُونَ (٤٧)

☆☆ يقول تعالى ذكره : قال يوسف لسائله عن رؤيا الملك (تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا) يقول : تزرعون هذه السبع السنين، كما كنتم تزرعون سائر السنين قبلها، على عادتكم فيما مضى، والدَّأَب[1] : العادة، ومن ذلك قول امرئ القيس :

كدَأبِكَ مِنْ أُمِّ الحُوَيْرِثِ قبلَها وجارَتِها أُمِّ الرَّبابِ بمأْسَلِ[2]

يعنى كعادتك منها .

وقوله (فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إلاَّ قَلِيلاً مِمَّا تَأْكُلُونَ) وهذا مشورة أشار بها نبىّ الله صلى الله عليه وسلم على القوم ، ورأى رآه لهم صلاحا يأمرهم باستبقاء طعامهم .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : قال لهم نبىّ الله يوسف (تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا) . . . الآية ، فإنما أراد نبىّ الله صلى الله عليه وسلم البقاء .

القول فى تأويل قوله تعالى

ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَاقَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلاَّ قَلِيلاً مِمَّا تُحْصِنُونَ (٤٨)

(١) الدأب ، بسكون الهمزة وفتحها : العادة والشأن .

(٢) البيت لامرئ القيس ، من معلقته المشهورة (مختار الشعر الجاهلى ، بشرح مصطفى السقا ، طبعة الحلبى ص ٢٤) وكدأبك ، يروى . « كدينك » أى عادتك وشأنك ، وأم الحويرث : أخت الحارث بن حصين بن ضمضم من كلب ، وهى امرأة حجر أبى امرئ القيس . ومأسل ، بفتح السين : جبل بعينه . وبكسر السين : ماء بعينه ، والرواية بالفتح .

⁂ يقول : ثم يجىء من بعد السنين السبع التى تزرعون فيها دأبا ، سنون سبع شداد : يقول : جُدوب قحطة[1] (يَأْكُلْنَ ما قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ) يقول : يؤكل فيهنّ ما قدمتم فى إعداد ما أعددتم لهنّ فى السنين السبعة الخصبة ، من الطعام والأقوات ، وقال جلّ ثناؤه (يَأْكُلْنَ) فوصف السنين بأنهنّ يأكلن ، وإنما المعنى : أن أهل تلك الناحية يأكلون فيهنّ ، كما قيل :

نَهارُكَ يا مَغْرُورُ سَهْوٌ وَغَفْلَةٌ ولَيْلُكَ نَوْمٌ والرَّدَى لكَ لازِمُ[2]

فوصف النهار بالسهو والغفلة ، والليل بالنوم ، وإنما يُسْهَى فى هذا ويُغْفَل فيه ، وينام فى هذا ، لمعرفة المخاطبين بمعناه ، والمراد منه : إلا قليلا مما تُحْصِنون : يقول : إلا يسيرا مما تُحْرِزُونه . والإحصان : التصيير فى الحصن ، وإنما المراد منه : الإحراز .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قوله (يَأْكُلْنَ ماقَدَّمْتُمْ لَهُنَّ) يقول : يأكلن ما كنتم اتخذتم فيهنّ من القوت (إلاَّ قَلِيلاً مِمَّا تُحْصِنُونَ) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (ثُمَّ يَأْتى مِنْ بَعْدِ ذلكَ سَبْعٌ شِدَادٌ) وهنّ الجدوب المحول (يَأْكُلْنَ ما قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ ، إلاَّ قَلِيلاً مِمَّا تُحْصِنُونَ) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (ثُمَّ يَأْتى مِنْ بَعْدِ ذلكَ سَبْعٌ شِدَادٌ) وهنّ الجدوب (يَأْكُلْنَ ما قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إلاَّ قَلِيلاً مِمَّا تُحْصِنُونَ) : مما تدّخرون .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، فى قوله (إلاَّ قَلِيلاً مِمَّا تُحْصِنُونَ) يقول : تَخْزُنون .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس (تُحْصِنُونَ) : تُحْرِزُون .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (يَأْكُلْنَ ما قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إلاَّ قَلِيلاً مِمَّا تُحْصِنُونَ) قال : مما ترفعون .

وهذه الأقوال فى قوله (تُحْصِنُونَ) وإن اختلفت ألفاظ قائليها فيه ، فإن معانيها متقاربة ، وأصل الكلمة وتأويلها على ما بيّنت .

القول فى تأويل قوله تعالى

ثُمَّ يَأْتى مِنْ بَعْدِ ذٰلِكَ عامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ (٤٩)

(١) يقال : عام قحط ، بسكون الحاء ، وبكسرها ؛ وقحيط أيضا .

(٢) الشاهد فى هذا البيت : إسناد السهو والغفلة إلى اليوم إسنادا مجازيا عقليا ، لأن السهو والغفلة إنما يقعان فى النهار ، ولا يقعان منه ، ولكن لما كان النهار هو الزمان الذى يقعان فيه ، فلهذه الملابسة الزمانية ، ساغ الإسناد إلى زمان الحدث . والعلاقة هى الزمانية .

⁂ وهذا خبر من يوسف عليه السلام للقوم ، عما لم يكن فى رؤيا ملكهم ، ولكنه من علم الغيب الذى آتاه الله ، دلالة على نبوّته ، وحجة على صدقه .

كما حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : ثم زاده الله علم سَنَةٍ لم يسألوه عنها ، فقال (ثُمَّ يَأْتى مِنْ بَعْدِ ذلكَ عامٌ فِيهِ يُغاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ) ويعنى بقوله (فيهِ يُغاثُ النَّاسُ) : بالمطر والغيث .

وبنحو ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (ثُمَّ يَأتى مِنْ بَعْدِ ذلكَ عامٌ فِيهِ يُغاثُ النَّاسُ) قال : فيه يغاثون بالمطر .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا محمد بن يزيد الواسطىّ ، عن جويبر ، عن الضحاك (فِيهِ يُغاثُ النَّاسُ) قال : بالمطر .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس (ثُمَّ يَأْتى مِنْ بَعْدَ ذلكَ عامٌ) قال : أخبرهم بشىء لم يسألوه عنه ، وكان الله قد علمه إياه ؛ عام فيه يغاث الناس بالمطر .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (فِيهِ يُغاثُ النَّاسُ) بالمطر .

وأما قوله (وَفِيهِ يَعْصِرُونَ) فإن أهل التأويل اختلفوا فى تأويله ، فقال بعضهم : معناه : وفيه يَعْصِرون العنب والسمسم ، وما أشبه ذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس (وَفِيهِ يَعْصِرَونَ) قال : الأعناب والدُّهن .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس (وَفِيهِ يَعْصِرُونَ) السِّمسم دُهْنا ، والعنب خمرا ، والزيتون زيتا .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (عامٌ فِيهِ يُغاثُ النَّاسُ ، وَفِيهِ يَعْصِرُونَ) يقول : يصيبهم غيث ، فيعصرون فيه العنب ، ويعصرون فيه الزيت ، ويعصرون من كلّ الثمرات .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَفِيهِ يَعْصِرُونَ) قال : يعصرون أعنابهم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، عن أسباط ، عن السدىّ (وَفِيهِ يَعْصِرُونَ) قال : العنب .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا محمد بن يزيد الواسطى ، عن جويبر ، عن الضحاك (وَفِيهِ يَعْصِرُونَ) قال : كانوا يعصرون الأعناب والثمرات .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَفِيهِ يَعْصِرُونَ) قال : يعصرون الأعناب والزيتون والثمار من الخصب ، هذا علم آتاه الله يوسف لم يسئل عنه .

وقال آخرون : معنى قوله (وَفِيهِ يَعْصِرُونَ) وفيه يحلبون .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى فضالة ، عن علىّ بن أبى طلحة ، عن ابن عباس (وَفِيهِ يَعْصِرُونَ) قال : فيه يحلبون .

حدثنى المثنى ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرحمن بن أبى حماد ، قال : ثنا الفرج بن فضالة ، عن علىّ بن أبى طلحة ، قال : كان ابن عباس يقرأ (وَفِيهِ تَعْصِرُونَ) بالتاء ، يعنى تحتلبون .

واختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأه بعض قرّاء أهل المدينة والبصرة والكوفة (وَفِيهِ يَعْصِرُونَ) بالياء ، بمعنى ماوصفت من قول من قال : عصر الأعناب والأدهان . وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفيين (وَفِيهِ تَعْصِرُونَ) بالتاء ، وقرأه بعضهم (وَفِيهِ يَعْصِرُونَ) بمعنى : يمطرون ، وهذه قراءة لا أستجيز القراءة بها ، لخلافها ماعليه من قرّاء الأمصار .

⁂ والصواب من القراءة فى ذلك أن لقارئه الخيار فى قراءته بأىّ القراءتين الأخريين شاء إن شاء ، بالياء ردّا على الخبر به عن الناس ، على معنى (فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ ، وَفِيهِ يَعْصِرُونَ) أعنابهم ، وأدهانهم ، وإن شاء بالتاء ردّا على قوله (إِلاَّ قَلِيلاً مِمَّا تُحْصِنُونَ) وخطابا به لمن خاطبه بقوله (يَأْكُلْنَ ما قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلاَّ قَلِيلاً مِمَّا تُحْصِنُونَ) لأنهما قراءتان مستفيضتان فى قِرَاءَةِ الأمصار باتفاق المعنى ، وإن اختلفت الألفاظ بهما . وذلك أن المخاطبين بذلك كان لاشكّ أنهم أغيثوا وعصروا : أغيث الناس الذين كانوا بناحيتهم وعصروا ، وكذلك كانوا إذا أغيث الناس بناحيتهم وعصروا ، أغيث المخاطبون وعصروا ، فهما متفقتا المعنى ، وإن اختلفت الألفاظ بقراءة ذلك . وكان بعض من لاعلم له بأقوال السلف من أهل التأويل ممن يفسر القرآن برأيه على مذهب كلام العرب ، يوجه معنى قوله (وَفِيهِ يَعْصِرُونَ) إلى : وفيه يَنْجون من الجدب والقحط بالغيث ، ويزعم أنه من العَصْر ، والعصْر التى بمعنى المنجاة من قول أبى زبيد الطائى :

صَادِيا يَسْتَغِيثُ غَيْرَ مُغَاثٍ　　وَلَقَدْ كانَ عُصْرَةَ المَنْجُودِ [1]

أى المقهور ، ومن قول لبيد :

(١) البيت لأبى زبيد الطائى : (اللسان : عصر) قال : وقال أبو عبيدة : هو فى العصر ، بالتحريك ، وهو المنجاة والعصرة والمعتصر والمعصر ، بفتح العين وتشديد الصاد المفتوحة ، قال لبيد . « وما كان وقافا بدار معصر » . وقال أبو زبيد : صاديا . . أى كان ملجأ المكروب .

فباتَ وأسْرَى القَوْمُ آخِرَ لَيْلِهِمْ وَما كانَ وَقّافا بغَيْرِ مُعَصَّرِ[1]

وذلك تأويل يكفى من الشهادة على خطئه خلافه قول جميع أهل العلم من الصحابة والتابعين . وأما القول الذى روى الفَرَج بن فضالة عن علىّ بن أبى طلحة ، فقول لامعنى له ، لأنه خلاف المعروف من كلام العرب ، وخلاف مايعرف من قول ابن عباس رضى الله عنهما .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَقَالَ ٱلْمَلِكُ : ٱئْتُونِى بِهِ ، فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ : مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّـٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ؟ إِنَّ رَبِّى بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ (٥٠)

يقول تعالى ذكره : فلما رجع الرسول الذى أرسلوه إلى يوسف ، الذى قال (أنا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ) فأخبرهم بتأويل رؤيا الملك عن يوسف ، علم الملك حقيقة ما أفتاه به من تأويل رؤياه ، وصحة ذلك ، وقال الملك : ائتونى بالذى عَبَر رؤياى هذه .

كالذى حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : فخرج «نبو» من عند يوسف بما أفتاهم به من تأويل رؤيا الملك ، حتى أتى الملك ، فأخبره بما قال ، فلما أخبره بما فى نفسه بمثل النهار ، وعرف أن الذى قال كائن ، كما قال ، قال ائتونى به .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدىّ ، قال : لما أتى الملكَ رسولُه ، قال : ائتونى به .

وقوله (فَلَمَّا جاءَهُ الرَّسُولُ) يقول : فلما جاءه رسول الملك يدعوه إلى الملك (قالَ ارْجِعْ إلى رَبِّكَ) يقول : قال يوسف للرسول : ارجع إلى سيدك (فاسألْهُ ما بالُ النِّسْوَةِ اللاَّتِى قَطَّعْنَ أيْدِيَهُنَّ) وأبى أن يخرج مع الرسول وإجابة الملك حتى يعرف صحة أمره عندهم مما كانوا قذفوه به من شأن النساء ، فقال للرسول : سل الملك ما شأن النسوة اللاتى قطعن أيديهن ، والمرأة التى سُجِنتُ بسببها .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (فَلَمَّا جاءَهُ الرَّسُولُ قالَ ارْجِعْ إلى رَبِّكَ ، فَاسْألْهُ ما بالُ النِّسْوَةِ اللاَّتِى قَطَّعْنَ أيْدِيَهُنَّ) والمرأة التى سجنت بسبب أمرها عما كان من ذلك .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدىّ ، قال : لما أتى الملك رسوله فأخبره (قالَ ائْتُونِى بِهِ) فلما أتاه الرسول ودعاه إلى الملك ، أبى يوسف الخروج معه ، وقال (ارْجِعْ إلى رَبِّكَ فاسألْهُ ما بالُ النِّسْوَةِ اللاَّتِى قَطَّعْنَ أيْدِيَهُنَّ) . . . الآية ، قال السدىّ ، قال ابن عباس :

(١) البيت للبيد . وقد أورد اللسان الشطر الثانى منه كما نقلناه فى الشاهد قبله . والرواية فيه : « بدار معصر » فى مكان : « بغير معصر » . ونقل التاج البيت كاملا ورواية الشطر الثانى كرواية اللسان .

لو خرج يوسف يومئذ قبل أن يعلم الملكُ بشأنه ، ما زالت فى نفس العزيز منه حاجة ، يقول : هذا الذى راود امرأته .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن رجل ، عن أبى الزناد ، عن أبى هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يَرْحَمُ اللهُ يُوسُفَ إنْ كانَ ذَا أناةٍ ، لَوْ كُنْتُ أنا المَحْبُوسَ ، ثُمَّ أُرْسِلَ إلىَّ ، لَخَرَجْتُ سَرِيعا ، إنْ كان لَحَلِيما ذَا أناةٍ » .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا محمد بن بشر ، قال : ثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو سلمة ، عن أبى هريرة قال : قال النبىّ صلى الله عليه وسلم : « لَوْ لَبِثْتُ فِى السِّجْنِ ما لَبِثَ يُوسُفُ ثُمَّ جاءَنى الدَّاعِى لأَجَبْتُهُ ، إذْ جاءَهُ الرَّسُولُ ، فَقالَ ارْجِعْ إلى رَبِّكَ ، فاسألْهُ ما بالُ النِّسْوَةِ اللاَّتِى قَطَّعْنَ أيْدِيَهُنَّ » . . . الآية .

حدثنى يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنى سليمان بن بلال ، عن محمد ابن عمرو ، عن أبى سلمة ، عن أبى هريرة ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم ، بمثله .

حدثنا زكريا بن أبان المقرئ ، قال : ثنا سعيد بن تليد ، قال : ثنا عبد الرحمن بن القاسم ، قال : ثنى بكر بن مُضَر ، عن عمرو بن الحارث ، عن يونس بن يزيد ، عن ابن شهاب ، قال : أخبرنى أبو سلمة بن عبد الرحمن ، وسعيد بن المسيب ، عن أبى هريرة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لَوْ لَبِثْتُ فِى السِّجْنِ ما لَبِثَ يُوسُفُ لَأَجَبْتُ الدَّاعِىَ » .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنى يونس ، عن ابن شهاب ، عن أبى سلمة بن عبد الرحمن ، وسعيد بن المسيب ، عن أبى هريرة ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم ، بمثله .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عفان بن مسلم ، قال : ثنا حماد ، عن محمد بن عمرو ، عن أبى سلمة عن أبى هريرة ، قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقرأ هذه الآية (ارْجِعْ إلى رَبِّكَ فاسألْهُ ما بالُ النِّسْوَةِ اللاَّتِى قَطَّعْنَ أيْدِيَهُنَّ ، إنَّ رَبِّى بكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ) . قال النبىّ صلى الله عليه وسلم لَوْ كُنْت أنا لَأَسْرَعْتُ الإجابَةَ ، وَما ابْتَغَيْتُ العُذْرَ » .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا الحجاج بن المنهال ، قال : ثنا حماد ، عن ثابت ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم ومحمد بن عمرو ، عن أبى سلمة ، عن أبى هريرة ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم « أنه قرأ (ارْجِعْ إلى رَبِّكَ فاسألْهُ ما بالُ النِّسْوَةِ اللاَّتِى قَطَّعْنَ أيْدِيَهُنَّ) . . . الآية ، فقال النبىّ صلى الله عليه وسلم لَوْ بُعِثْتُ إلىَّ لَأَسْرَعْتُ فِى الإجابَةِ ، وَما ابْتَغَيْتُ العُذْرَ » .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن عكرمة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَقَدْ عَجِبْتُ مِنْ يُوسُفَ وَصَبْرِهِ وكَرَمِهِ ، وَاللهُ يَغْفِرُ لَهُ ، حِينَ سُئِلَ عَنِ البَقَرَاتِ العِجافِ والسِّمانِ ، وَلَوْ كُنْتُ مَكانَهُ ، ما أخْبَرْتُهُمْ بِشَىْءٍ حتى أشْتَرِطَ أنْ يُخْرِجونى ، وَلَقَدْ عَجِبْتُ مِنْ يُوسُفَ وَصَبْرِهِ وكَرَمِهِ ،

واللهُ يَغْفِرُ لَهُ حِينَ أتاهُ الرَّسُولُ ، وَلَوْ كُنْتُ مَكانَهُ لَبادَرْتُهُمُ البابَ ، وَلَكِنَّهُ أرادَ أنْ يَكُونَ لَهُ العُذْرُ » .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (ارْجِعْ إلى رَبِّكَ فاسألْهُ ما بالُ النِّسْوَةِ) أراد نبيّ الله صلى الله عليه وسلم أن لايخرج حتى يكون له العذر .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (ارْجِعْ إلى رَبِّكَ فاسألْهُ ما بالُ النِّسْوَةِ اللاَّتِى قَطَّعْنَ أيْدِيَهُنَّ) قال : أراد يوسف العذر قبل أن يخرج من السجن .

وقوله (إنَّ رَبِّى بكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ) يقول : إن الله تعالى ذكره ذو علم بصنيعهنّ وأفعالهن التى فعلن بى ويفعلن بغيرى من الناس ، لايخفى عليه ذلك كله ، وهو من وراء جزائهنّ على ذلك . وقيل : إن معنى ذلك : أن سيدى إطفير العزيز زوج المرأة التى راودتنى عن نفسى ، ذوعلم ببراءتى مما قذفتنى به من السوء

القول فى تأويل قوله تعالى

قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَنْ نَّفْسِهِ ؟ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ ، مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوٓءٍ ، قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الْئَٰنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ ، أَنَا رَاوَدْتُّهُ عَن نَّفْسِهِ ، وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّٰدِقِينَ (٥١)

⁂ وفى هذا الكلام متروك ، قد استغنى بدلالة ماذكر عليه عنه ، وهو : فرجع الرسول إلى الملك من عند يوسف برسالته ، فدعا الملك النسوة اللاتى قطّعن أيديهن ، وامرأة العزيز ، فقال لهنّ (ما خَطْبُكُنَّ إذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ) ؟

كالذى حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، فلما جاء الرسول الملك من عند يوسف بما أرسله إليه جميع النسوة (وَقالَ ماخَطْبُكُنَّ إذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ)

ويعنى بقوله (ما خَطْبُكُنَّ) ما كان أمركنّ ، وما كان شأنكنّ إذ راودتنّ يوسف عن نفسه ، فأجبنه (فَقُلْنَ حاشَ لِلَّهِ ما عَلِمْنا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ ، قالَتِ امْرأةُ العَزِيزِ الآنَ حَصْحَصَ الحَقُّ) تقول : الآن تبين الحقّ ، وانكشف فظهر (أنا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ) وإن يوسف لمن الصادقين فى قوله (هِيَ ارَوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي) .

وبمثل ما قلنا فى معنى (الآنَ حَصْحَصَ الحَقُّ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس (الآنَ حَصْحَصَ الحَقُّ) قال : تبين .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (الآنَ حَصْحَصَ الحَقُّ) تبين .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبى جعفر ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (الآنَ حَصْحَصَ الحَقّ) الآن تبين الحق.

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة (الآنَ حَصْحَصَ الحَقُّ) قال : تبين .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة (الآنَ حَصْحَصَ الحَقُّ) قال : تبين .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، عن أسباط ، عن السدىّ ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا جويبر ، عن الضحاك ، مثله .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : قالت راعيل امرأة إطفير العزيز (الآنَ حَصْحَصَ الحَقُّ) : أى الآن برز الحقّ وتبين (أنا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ ، وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ) فيما كان قال يوسف ، مما ادّعت عليه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدىّ ، قال : قال الملك ائتونى بهنّ ، فقال : (ما خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ ؟ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ ، ما عَلِمْنا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ) ، ولكن امرأة العزيز أخبرتنا أنها راودته عن نفسه ، ودخل معها البيت ، وحلّ سراويله ، ثم شدّه بعد ذلك ، فلا تدرى ما بدا له ، فقالت امرأة العزيز : (الآنَ حَصْحَصَ الحَقُّ) .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (الآنَ حَصْحَصَ الحَقُّ) تبين . وأصل حصحص : حَصّ ؛ ولكن قيل : حصحص ، كما قيل : فكُبْكِبوا فى كبُّوا . وقيل : كفكف فى كفّ ، وَذَرْذَر فى ذرّ . وأصل الحصّ : استئصال الشىء ، يقال منه : حَصّ شعره : إذا استأصله جزّا ، وإنما أريد فى هذا الموضع : حصحص الحقّ : ذهب الباطل والكذب ، فانقطع ، وتبين الحقّ فظهر .

القول فى تأويل قوله تعالى

ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ ، وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ الْخَائِنِينَ (٥٢) *

⁂ يعنى بقوله (ذلكَ لِيَعْلَمَ أَنّى لَمْ أخُنْهُ بالغَيْبِ) هذا الفعل الذى فعلته ، من ردّى رسول الملك

إليه ، وتركى إجابته والخروج إليه ، ومسألتى إياه أن يسأل النِّسْوَة اللاتى قطَّعْنَ أيْدِيَهُن ، عن شأنهنّ إذ قطعن أيديهن ، إنما فعلته ليعلم أنى لم أخنه فى زوجته بالغيب : يقول : لم أركب منها فاحشة فى حال غيبته عنى ، وإذا لم يركب ذلك بمغيبه ، فهو فى حال مشهده إياه أحرى أن يكون بعيدا من ركوبه .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : يقول يوسف (ذلكَ لِيَعْلَمَ) إطفير سيده (أنّى لَمْ أخُنْهُ بالغَيْبِ) : أنى لم أكن لأخالفه إلى أهله من حيث لايعلمه .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (ذلكَ لِيَعْلَمَ أنّى لَمْ أخُنْهُ بالغَيْبِ) يوسف يقوله .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (ذَلكَ لِيَعْلَمَ أنّى لَمْ أخُنْهُ بالغَيْبِ) يوسف يقوله : لم أخن سيدى .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (ذلكَ لِيَعْلَمَ أنّى لَمْ أخُنْهُ بالغَيْبِ) قال يوسف يقوله .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (ذلكَ لِيَعْلَمَ أنّى لَمْ أخُنْهُ بالغَيْبِ) قال : هذا قول يوسف .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : ثنا هشيم ، عن إسماعيل بن سالم ، عن أبى صالح ، فى قوله (ذلكَ لِيَعْلَمَ أنّى لَمْ أخُنْهُ بالغَيْبِ) هو يوسف ، يقول : لم أخن الملك بالغيب .

وقوله (وأنَّ اللهَ لا يَهْدِى كَيْدَ الخائِنِينَ) يقول : فعلت ذلك ليعلم سيدى أنى لم أخنه بالغيب ، وأن الله لايهدى كيد الخائنين : يقول : وأن الله لايسدّد صنيع من خان الأمانات ، ولا يرشد فعالهم فى خيانتهموها ، واتصل قوله (ذلكَ لِيَعْلَمَ أنّى لَمْ أخُنْهُ بالغَيْبِ) بقول امرأة العزيز (أنا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ) المعرفة السامعين لمعناه ، كاتصال قول الله تعالى (وكذلكَ يَفْعَلُونَ) بقول المرأة (وجعلوا أعِزَّةَ أهْلِها أذِلَّة) ، وذلك أن قوله (وكذلكَ يَفْعَلُونَ) خبر مبتدأ ، وكذلك قول فرعون لأصحابه فى سورة الأعراف (فَمَاذَا تَأْمُرُونَ) وهو متصل بقول الملأ (يُرِيدُ أن يُخْرِجَكُمْ مِنْ أرْضِكُمْ) .

والله أعلم .

تمّ الجزء الثانى عشر من تفسير الإمام ابن جرير الطبرى

ويليه الجزء الثالث عشر

وأوّله : القول فى تأويل قوله تعالى (وَما أُبَرِّئُ نَفْسِى)

جامع البيان
عن
تأويل آي القرآن

« كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد » .
قرآن كريم

« ما أعلم على أديم الأرض أعلم من ابن جرير » .
محمد بن إسحاق بن خزيمة

تأليف

أبي جعفر محمد بن جرير الطبري
المتوفى سنة ٣١٠ هـ

الجزء الثالث عشر

الطبعة الثانية
١٣٧٣ هـ = ١٩٥٤ م

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر

فهارس الجزء الثالث عشر

من

جامع البيان ، عن تأويل آى القرآن

لأبى جعفر محمد بن جرير الطبرى

الفهرس الأول : للآيات المفسرة .

الفهرس الثانى : للموضوعات .

الفهرس الثالث : للقوافى .

١ — فهرس الآيات

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٥٣	وما أبرئ نفسى . . .	١
٥٤	وقال الملك ائتونى به . . .	٣
٥٥	قال اجعلنى على خزائن الأرض . . .	٤
٥٦	وكذلك مكنا ليوسف فى الأرض . . .	٦
٥٧	ولأجر الآخرة خير للذين آمنوا . . .	٧
٥٨	وجاء إخوة يوسف فدخلوا عليه . . .	٧
٥٩	ولما جهزهم بجهازهم قال ائتونى . . .	٨
٦٠	فإن لم تأتونى به فلا كيل لكم عندى . . .	٨
٦١	قالوا سنراود عنه أباه . . .	٨
٦٢	وقال لفتيانه اجعلوا بضاعتهم . . .	٨
٦٣	فلما رجعوا إلى أبيهم . . .	٩
٦٤	قال هل آمنكم عليه . . .	١٠
٦٥	ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم . . .	١١
٦٦	قال لن أرسله معكم . . .	١٢
٦٧	وقال يا بنىّ لاتدخلوا من باب . . .	١٣
٦٨	ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم . . .	١٤
٦٩	ولما دخلوا على يوسف . . .	١٥
٧٠	فلما جهزهم بجهازهم . . .	١٦
٧١	قالوا وأقبلوا عليهم . . .	١٨
٧٢	قالوا نفقد صواع الملك . . .	١٨
٧٣	قالوا تالله لقد علمتم . . .	٢١
٧٤	قالوا فما جزاؤه . . . ؟	٢٢
٧٥	قالوا جزاؤه من وجد فى رحله . . .	٢٢

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٧٦	فبدأ بأوعيتهم . . .	٢٣
٧٧	قالوا إن يسرق فقد سرق أخ له . . .	٢٨
٧٨	قالوا يا أيها العزيز . . .	٣١
٧٩	قال معاذ الله أن نأخذ . . .	٣٢
٨٠	فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا . . .	٣٢
٨١	ارجعوا إلى أبيكم . . .	٣٥
٨٢	واسأل القرية التى كنا فيها . . .	٣٧
٨٣	قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا . . .	٣٧
٨٤	وتولى عنهم وقال . . .	٣٨
٨٥	قالوا تالله تفتأ تذكر يوسف . . .	٤٠
٨٦	قال إنما أشكو بثى . . .	٤٥
٨٧	يا بنىّ اذهبوا فتحسسوا من يوسف . . .	٤٨
٨٨	فلما دخلوا عليه . . .	٤٩
٨٩	قال هل علمتم مافعلتم بيوسف . . .	٥٤
٩٠	قالوا أءنك لأنت يوسف . . .	٥٥
٩١	قالوا تالله لقد آثرك الله علينا . . .	٥٥
٩٢	قال لاتثريب عليكم اليوم . . .	٥٦
٩٣	اذهبوا بقميصى هذا . . .	٥٧
٩٤	ولما فصلت العير قال أبوهم . . .	٥٧
٩٥	قالوا تالله إنك لفى ضلالك القديم . . .	٦١
٩٦	فلما أن جاء البشير . . .	٦٢
٩٧	قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا . . .	٦٤
٩٨	قال سوف أستغفر لكم . . .	٦٤

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٩٩	فلما دخلوا على يوسف . . .	٦٥
١٠٠	ورفع أبويه على العرش . . .	٦٥
١٠١	ربّ قد آتيتنى من المُلك . . .	٧٢
١٠٢	ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك . . .	٧٥
١٠٣	وما أكثر الناس ولو حرصت . . .	٧٦
١٠٤	وما تسئلهم عليه من أجر . . .	٧٦
١٠٥	وكأين من آية فى السموات . . .	٧٦
١٠٦	وما يؤمن أكثرهم بالله . . .	٧٧
١٠٧	أفأمنوا أن تأتيهم غاشية . . .	٧٩
١٠٨	قل هذه سبيلى أدعو إلى الله . . .	٧٩
١٠٩	وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا . . .	٨٠
١١٠	حتى إذا استيأس الرسل . . .	٨١
١١١	لقد كان فى قصصهم عبرة . . .	٨٩

سورة الرعد

١	المرّ تلك آيات الكتاب . . .	٩١
٢	الله الذى رفع السموات . . .	٩٣
٣	وهو الذى مدّ الأرض . . .	٩٥
٤	وفى الأرض قطع متجاورات . . .	٩٦
٥	وإن تعجب فعجب قولهم	١٠٣
٦	ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة . . .	١٠٥
٧	ويقول الذين كفروا . . .	١٠٦
٨	الله يعلم ما تحمل كل أنثى . . .	١٠٩
٩	عالم الغيب والشهادة . . .	١١٣
١٠	سواء منكم من أسرّ القول . . .	١١٣
١١	له معقّبات من بين يديه . . .	١١٤
١٢	هو الذى يريكم البرق خوفا وطمعا . . .	١٢٣
١٣	ويسبح الرعد بحمده . . .	١٢٣

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
١٤	له دعوة الحقّ والذين يدعون . . .	١٢٨
١٥	ولله يسجد من فى السموات . . .	١٣١
١٦	قل من ربّ السموات والأرض . . .	١٣٢
١٧	أنزل من السماء ماء . . .	١٣٤
١٨	للذين استجابوا لربهم الحسنى . . .	١٣٨
١٩	أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك . . .	١٣٩
٢٠	الذين يوفون بعهد الله . . .	١٣٩
٢١	والذين يصلون ما أمر الله به . . .	١٣٩
٢٢	والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم . . .	١٤٠
٢٣	جنات عدن يدخلونها . . .	١٤١
٢٤	سلام عليكم بما صبرتم . . .	١٤١
٢٥	والذين ينقضون عهد الله . . .	١٤٣
٢٦	الله يبسط الرزق لمن يشاء . . .	١٤٣
٢٧	ويقول الذين كفروا . . .	١٤٤
٢٨	الذين آمنوا وتطمئنّ قلوبهم . . .	١٤٥
٢٩	الذين آمنوا وعملوا الصالحات . . .	١٤٥
٣٠	كذلك أرسلناك فى أمة قد خلت . . .	١٥٠
٣١	ولو أن قرآنا سيرت به الجبال . . .	١٥١
٣٢	ولقد استهزئ برسل من قبلك . . .	١٥٨
٣٣	أفمن هو قائم على كلّ نفس . . .	١٥٨
٣٤	لهم عذاب فى الحياة الدنيا . . .	١٦١
٣٥	مثل الجنة التى وعد المتقون . . .	١٦١
٣٦	والذين آتيناهم الكتاب يفرحون . . .	١٦٣
٣٧	وكذلك أنزلناه حكما عربيا . . .	١٦٤
٣٨	ولقد أرسلنا رسلا من قبلك . . .	١٦٥
٣٩	يمحو الله ما يشاء ويُثبت . . .	١٦٥
٤٠	وإما نرينك بعض الذى نعدهم . . .	١٧٢
٤١	أو لم يروا أنا تأتى الأرض . . .	١٧٢

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٤٢	وقد مكر الذين من قبلهم . . .	١٧٥
٤٣	ويقول الذين كفروا لست مرسلا . . .	١٧٦

تفسير سورة إبراهيم عليه السلام

١	الرّ كتاب أنزلناه إليك . . .	١٧٩
٢	الله الذى له ما فى السموات . . .	١٧٩
٣	الذين يستحبون الحياة الدنيا . . .	١٨٠
٤	وما أرسلنا من رسول . . .	١٨١
٥	ولقد أرسلنا موسى بآياتنا . . .	١٨٢
٦	وإذ قال موسى لقومه . . .	١٨٤
٧	وإذ تأذّن ربكم لئن شكرتم . . .	١٨٥
٨	وقال موسى : إن تكفروا . . .	١٨٦
٩	ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم . . .	١٨٧
١٠	قالت رسلهم أفى الله شكّ . . . ؟	١٩٠
١١	قالت لهم رسلهم إن نحن إلا بشر . . .	١٩٠
١٢	وما لنا ألا نتوكل على الله . . .	١٩١
١٣	وقال الذين كفروا لرسلهم . . .	١٩١
١٤	ولنسكننكم الأرض من بعدهم . . .	١٩١
١٥	واستفتحوا وخاب كلّ جبار عنيد . . .	١٩٣
١٦	من ورائه جهنم . . .	١٩٤
١٧	يتجرّعه ولا يكاد يسيغه . . .	١٩٤
١٨	مثل الذين كفروا بربهم . . .	١٩٦
١٩	ألم تر أن الله . . .	١٩٨
٢٠	وما ذلك على الله بعزيز . . .	١٩٨
٢١	وبرزوا لله جميعا . . .	١٩٩
٢٢	وقال الشيطان لما قُضى الأمر . . .	٢٠٠
٢٣	وأدخل الذين آمنوا . . .	٢٠٣
٢٤	ألم تر كيف ضرب الله مثلا . . .	٢٠٣

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٢٥	تؤتى أكلها كلّ حين بإذن ربها . . .	٢٠٣
٢٦	ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة . . .	٢١٠
٢٧	يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت . . .	٢١٣
٢٨	ألم تر إلى الذين بدّلوا نعمة الله . . .	٢١٩
٢٩	جهنم يصلونها وبئس القرار . . .	٢١٩
٣٠	وجعلوا لله أندادا . . .	٢٢٣
٣١	قل لعبادى الذين آمنوا . . .	٢٢٤
٣٢	الله الذى خلق السموات والأرض . . .	٢٢٥
٣٣	وسخر لكم الشمس والقمر . . .	٢٢٥
٣٤	وآتاكم من كلّ ما سألتموه . . .	٢٢٥
٣٥	وإذ قال إبراهيم ربّ اجعل . . .	٢٢٧
٣٦	ربّ إنهنّ أضللن كثيرا من الناس . . .	٢٢٧
٣٧	ربنا إنى أسكنت من ذرّيتى . . .	٢٢٩
٣٨	ربنا إنك تعلم ما نخفى وما نعلن . . .	٢٣٥
٣٩	الحمد لله الذى وهب لى على الكبر . . .	٢٣٥
٤٠	ربّ اجعلنى مقيم الصلاة . . .	٢٣٥
٤١	ربنا اغفر لى ولوالدىّ . . .	٢٣٦
٤٢	ولا تحسبنّ الله غافلا . . .	٢٣٦
٤٣	مهطعين مقنعى رءوسهم . . .	٢٣٦
٤٤	وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب . . .	٢٤١
٤٥	وسكنتم فى مساكن الذين ظلموا . . .	٢٤٣
٤٦	وقد مكروا مكرهم . . .	٢٤٤
٤٧	فلا تحسبنّ الله مُخلِف وعده . . .	٢٤٨
٤٨	يوم تبدّل الأرض غير الأرض . . .	٢٤٩
٤٩	وترى المجرمين يومئذ مُقَرَّنين . . .	٢٥٤
٥٠	سرابيلهم من قَطِران . . .	٢٥٤
٥١	ليجزى الله كلّ نفس ما كسبت . . .	٢٥٤
٥٢	هذا بلاغ للناس . . .	٢٥٨

٢ – فهرس الموضوعات

الصفحة

١ تأويل قوله تعالى « وما أبرئ نفسى » . . . الآية ، وسبب قول يوسف لها .

٤ منزلة يوسف عند الملك وتسليمه أموره إليه .

٧ الأسباب التى دعت إخوة يوسف لدخول مصر حتى عرفهم ولم يعرفوه .

١١ ما فعله يوسف بإخوته من الإكرام ليحملهم على العود إليه ثانيا .

١٣ ما كان يخشاه يعقوب على بنيه ، ولأجله أمرهم بالتفرّق فى الدخول .

١٥ ما أكرم به يوسف أخاه عند مجيئه .

٢٢ جزاء السارق فى شريعة يعقوب .

٢٨ ما فعله يوسف وسماه إخوته به سارقا .

٣٣ ذكر كبير إخوة يوسف ، وبيان أن كبيرهم فى العقل ، غير كبيرهم فى السنّ .

٣٩ فضيلة الاسترجاع .

٤٦ ما بلغه حزن يعقوب ، وما له عليه من الأجر .

٤٩ تأويل قوله تعالى «فلما دخلوا عليه» ... الآية .

٥٠ معنى مُزْجاة .

٥٣ شىء مما يتعلق بأمر الصدقة .

٥٧ المسافة التى شمّ منها يعقوب ريح يوسف .

٦٤ الوقت الذى أخّر يعقوب الاستغفار إليه .

٦٩ ما كان بين الرؤيا وتحققها من الأزمنة .

٧٣ ما جمعه الله ليوسف من العلم والملك ، وماسأله ربه من تعجيل موته .

الصفحة

٨٢ تأويل قوله تعالى « حتى إذا استيأس الرسل» . . . الآية ، وماكان عليه الرسل وأتباعهم.

٨٩ العبرة التى فى قصص يوسف وإخوته .

٩١ تفسير سورة الرعد

٩٣ تأويل قوله تعالى « الذى رفع السموات » . . . الآية ، وبيان أن السموات لاعمد لها ترى .

٩٧ تأويل قوله تعالى « وفى الأرض قطع » . . . الآية ، وما فى ذلك من الدلالة على واجب الوجود .

١٠٥ ما كانت تطلبه قريش من نزول العذاب .

١٠٩ تأويل قوله تعالى : « الله يعلم ما تحمل كلّ أنثى » . . . الآية ، والسبب فى زيادة الحمل ونقصه .

١١٥ الملائكة التى تتعاقب على الإنسان .

١٢٤ ما ينبغى أن يقال عند سماع الرعد .

١٢٦ ماتمّ لعامر بن الطفيل وأربد مع رسول الله.

١٣٤ تأويل قوله تعالى « أنزل من السماء ماء » . . . الآية ، وما فيها من الأمثال .

١٤٣ بيان أكبر الكبائر ، وأن منها قطيعة الرحم .

١٤٥ ما ورد فى شجرة طُوبَى .

١٥٥ تأويل قوله تعالى « ولا يزال الذين كفروا » . . . الآية ، وأن وعد الله هو فتح مكة .

الصفحة

١٦٥ تأويل قوله تعالى « يمحو الله ما يشاء» . . . الآية ، والاختلاف فى المحو والإثبات .

١٧٦ بيان أن بعض اليهود والنصارى كانوا مقرّين برسالته .

١٧٩ تفسير سورة إبراهيم عليه السلام

١٨٢ بيان أن الأيام يعبر بها عن النعم ، وذكر الشواهد .

١٨٧ بيان أنه مضت أمم لايعلمها إلا الله ، وقول النبىّ صلى الله عليه وسلم : كذب النسابون .

١٨٤ تأويل قوله تعالى « من ورائه جهنم » . . . الآية ، وحال أهل النار .

٢٠٠ بيان أن إبليس وعيسى يقومان خطيبين يوم القيامة ، وشفاعة النبىّ عليه الصلاة والسلام .

الصفحة

٢٠٣ تأويل قوله تعالى « وأدخل الذين آمنوا » . . . الآية ، وبيان الكلمة الطيبة وضدّها .

٢١٣ تثبيت المؤمن فى القبر وتزلزل الكافر .

٢١٩ من هم الذين بدّلوا نعمة الله من قريش ؟

٢٢٩ أمّ إسماعيل أوّل من سعى بين الصفا والمروة ، وما تمّ لها هى وابنها حين تركهما إبراهيم عليه السلام بمكة .

٢٣٦ تأويل قوله تعالى «إنما يؤخرهم ليوم» . . الآية .

٢٤٠ معنى كون الأفئدة هواء ، والشواهد فى ذلك .

٢٤٤ قصة الذى حاجّ إبراهيم فى ربه .

٢٤٩ بيان معنى تبدل الأرض يوم القيامة . . .

٢٥٤ تأويل قوله تعالى « وترى المجرمين » . . . الآية ومعنى الأصفاد . . . الخ ، والشواهد على ذلك .

٣ - فهرس القوافى

القافية	الصفحة
ا	
الثَّواءُ	١٨٥
هَواءُ	٢٤١
وتنكَؤُها	٩٤
مَجْراها	٢٥٦
ب	
أرْغَبُ	١٨٩
نَدَبُ	١٩٨
مُشَذَّبِ	٢٣٨
الذّيبِ	١٨٠
قَريبِ	١١٣
وتَعْقيبِ	١٢٢
عَوازِبِ	٥
الكواكِبِ	١٨٣
وحابا	٥٥
الصّعابا	٢٢٨
ث	
تُغيثُ	١١
ج	
النَّجِي	٣٣

القافية	الصفحة
ح	
قادِحُ	٤٢
والمُسُوحا	٢٥٦
فنَستريحَا	٢٤٢
د	
مُرْصَدُ	١٦٢
شُهُودُ	٣٣
لانقعُدِ	١٢١
باليدِ	١٢٩
النَّجُدِ	١٢٠ ، ١٢٦
بالصَّفَدِ	٢٥٥
والعَمَدِ	٩٣
المُسَرَّدِ	٨٧
بمَرْدودِ	٥٩
قائِدَا	٢٥٦
أفْنَدَا	٥٩
التفنيدا	٦١
ر	
مُرّ	١٢٢
مُنْهَمِرْ	١٦٢

القافية	الصفحة
بُورُ	٢١٩
الصَّدْرُ	٣٠
سائِرُ	١٠٤
مُكاسِرُهْ	٢٤١
بالفِهْرِ	٩٦
كافِرِ	١٦٣
العَمارا	٦٩
بقَيْصَرا	١٩٢
فنُعْذَرَا	١٩٢
س	
شَمْسا	١٩٧
أنْفُسَا	١٥٢
ض	
مَريضِ	٤٣
مُحْرَضَا	٤٣
ع	
تَرَفَّعُ	٤١
وتَقَطَّعُ	٤١
مُمَنَّعُ	٢٣٨
أجْمَعُ	٢٤٨
المَتاعُ	١٣٧

القافية	الصفحة
الوَقيعِ	٢٣٨
صَنَعا	١٩٢
مَدْفَعا	١٥٢
أطْمَعا	٢٣٨
مُضَاعا	١٩٧
ف	
كاسِفُ	١٩٧
ك	
عليكما	١٦٢
ل	
الكَسَلْ	٢٤٩
أنامِلُهْ	١٢٩
بعَسِيلِ	٢٤٨
المِحالِ	١٢٧
قالِى	٢٢٤
الهِلالِ	١٦٣
الشَّمالِ	١٦٣
أم عالِ	١٥٩
تنْبالِ	١٥٩
السِّرْبالِ	١٥٩
الليالى	١٥٩
مالِ	١٥٩
بالأصائلِ	١٣٢
وأوصالى	٤٢
سِرْبالى	٢٥٥
أرْمَلا	٥٠
والمِحالا	١٢٧
أطفالَها	٥٠
م	
المُزْدَحَمْ	٩٢
السَّقَمُ	٤٢
المظلومُ	١٢٢
زَعيمُ	٢١
أعْصَامُها	١٥٤
مَلْشَمُهْ	٢٢٨
زَهْدَمِ	١٥٣
صِرَمَا	٥٠
زَعِيما	٢١
ن	
دُونِى	١٩٤
دُونِي	١٢٩
هَجينِ	٨١
اليقينِ	٨١
المَلَوانِ	١٥٨
المتباطِنِ	١٥٨
نَدِينا	١٨٣
مُصَفَّدِينا	٢٥٤
ى	
والليالِيا	٩٤
آلِيا	٩٤
نائيا	١٥٣

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى تأويل قوله تعالى

* وَمَآ أُبَرِّئُ نَفسِى ، إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ، إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٥٣)

⁂ يقول يوسف صلوات الله عليه (وَما أُبَرِّئُ نَفْسِي) من الخطأ والزلل فأزكيها (إنَّ النَّفْسَ لأمَّارَةٌ بالسُّوءِ) يقول : إن النفوس نفوس العباد تأمرهم بما تهواه ، وإن كان هواها فى غير مافيه رضا الله (إلَّا ما رَحِمَ رَبّي) يقول إلا أن يرحم ربى من شاء من خلقه ، فينجيه من اتباع هواها ، وطاعته فيما تأمره به من السوء (إنَّ رَبّي غَفُورٌ رَحِيمٌ) . و « ما » فى قوله (إلَّا ما رَحِمَ رَبّي) فى موضع نصب ، وذلك أنه استثناء منقطع عما قبله ، كقوله (وَلا هُمْ يُنْقَذُونَ إلَّا رَحْمَةً مِنَّا) بمعنى : إلا أن يرحموا ، وأنْ إذا كانت فى معنى المصدر تضارع « ما » .

ويعنى بقوله (إنَّ رَبّي غَفُورٌ رَحِيمٌ) : إن الله ذو صفح عن ذنوب من تاب من ذنوبه ، بتركه عقوبته عليها ، وفضيحته بها ، رحيم به بعد توبته أن يعذّبه عليها . وذُكِر أن يوسف قال هذا القول ، من أجل أن يوسف لما قال (ذلكَ لِيَعْلَمَ أنّي لَمْ أخُنْهُ بالغَيْبِ) قال ملَك من الملائكة : ولا يوم هممت بها ؟ فقال يوسف حينئذ (وَما أُبَرِّئُ نَفْسِي ، إنَّ النَّفْسَ لأمَّارَةٌ بالسُّوءِ) . وقد قيل : إن القائل ليوسف : ولا يومَ هَمَمْتَ بها ، فحللت سراويلك ، هو امرأة العزيز ، فأجابها يوسف بهذا الجواب . وقيل : إن يوسف قال ذلك ابتداء من قِبَل نفسه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : لما جمع الملك النسوة ، فسألهن : هل (رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ ؟ قُلْنَ حاشَ لِلّهِ ما عَلِمْنا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ ، قالَتِ امْرأةُ العَزِيزِ الآنَ حَصْحَصَ الحَقُّ) . . . الآية ، قال يوسف (ذلكَ لِيَعْلَمَ أنّي لَمْ أخُنْهُ بالغَيْبِ) . قال : فقال له جبرئيل : ولا يومَ هَمَمْتَ بما هممت ، فقال (وَما أُبَرِّئُ نَفْسِي ، إنَّ النَّفْسَ لأمَّارَةٌ بالسُّوءِ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : لما جمع الملك النسوة ، قال لهن : أنتن راودتن يوسف عن نفسه ؟ ثم ذكر سائر الحديث ، مثل حديث أبي كريب ، عن وكيع .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عمرو ، قال : أخبرنا إسرائيل عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : لما جمع الملك النسوة ، قال : أنتنّ راودتنّ يوسف عن نفسه ، ثم ذكر نحوه ، غير أنه قال : فغمزه جبرائيل ، فقال : ولا حين هممت بها ؟ فقال يوسف (وَما أُبَرِّئُ نَفْسِي ، إنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بالسُّوءِ) .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ؛ وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن مسعر ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبير ، قال : لما قال يوسف (ذلكَ لِيَعْلَمَ أنِّي لَمْ أخُنْهُ بالغَيْبِ) ، قال جبرئيل ، أو ملك : ولا يومَ هممتَ بما هممت به ؟ فقال (وَما أُبَرِّئُ نَفْسِي ، إنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بالسُّوءِ) .

حدثنا عمرو بن علي ، قال : ثنا وكيع ، قال : ثنا مسعر ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبير بنحوه ، إلا أنه قال : قال له الملك : ولا حين هممت بها ؟ ولم يقل : أو جبرئيل ، ثم ذكر سائر الحديث مثله.

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا محمد بن بشر وأحمد بن بشير ، عن مسعر ، عن أبي حصين ، عن سعيد ابن جُبير (ذلكَ لِيَعْلَمَ أنِّي لَمْ أخُنْهُ بالغَيْبِ) ، قال : فقال له الملك ، أو جبرئيل : ولا حين هممت بها ؟ فقال يوسف : (وَما أُبَرِّئُ نَفْسِي ، إنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بالسُّوءِ) .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن أبي سنان ، عن ابن أبي الهُذيل ، قال : لما قال يوسف (ذلكَ لِيَعْلَمَ أنِّي لَمْ أخُنْهُ بالغَيْبِ) قال له جبرئيل : ولا يوم هممت بما هممت به ؟ فقال : (وَما أُبَرِّئُ نَفْسِي إنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بالسُّوءِ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن أبي سنان ، عن ابن أبي الهذيل ، بمثله .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عمرو ، قال : أخبرنا مسعر ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جُبير ، مثل حديث ابن وكيع ، عن محمد بن بشر وأحمد بن بشير ، سواء .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا العلاء بن عبد الجبار ، وزيد بن حباب ، عن حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن الحسن (ذلكَ لِيَعْلَمَ أنِّي لَمْ أخُنْهُ بالغَيْبِ) قال له جبرئيل : اذكر همك ، فقال : (وَما أُبَرِّئُ نَفْسِي ، إنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بالسُّوءِ) .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا عفان ، قال : ثنا حماد ، عن ثابت ، عن الحسن (ذلكَ لِيَعْلَمَ أنِّي لَمْ أخُنْهُ بالغَيْبِ) قال جبرئيل : يايوسف اذكر همك ، قال (وَما أُبَرِّئُ نَفْسِي ، إنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بالسُّوءِ) .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، عن إسماعيل بن سالم ، عن أبي صالح ، في قوله (ذلكَ لِيَعْلَمَ

أنى لَمْ أخُنْهُ بالغَيْبِ) قال : هذا قول يوسف ، قال : فقال له جبرئيل : ولا حين حللت سراويلك ؟ قال : فقال يوسف (وَما أُبَرِّئُ نَفْسِي ، إنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بالسوءِ) . . . الآية .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن إسماعيل بن سالم ، عن أبى صالح ، بنحوه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (ذلكَ لِيَعْلَمَ أنِّى لَمْ أخُنْهُ بالغَيْبِ) ذكر لنا أن الملك الذى كان مع يوسف ، قال له : اذكر ماهممت به ، قال نبىّ الله : (وَما أُبَرِّئُ نَفْسِي ، إنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بالسُّوءِ) .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : بلغنى أن الملك قال له حين قال ما قال : أتذكر همّك ؟ فقال : (وَما أُبَرِّئُ نَفْسِي ، إنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بالسُّوءِ ، إلاَّ ما رَحِمَ رَبِّى) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عكرمة ، قوله (ذلكَ لِيَعْلَمَ أنِّى لَمْ أخُنْهُ بالغَيْبِ) قال الملك : وطعن فى جنبه ، يا يوسف ، ولا حين هممت ؟ قال : فقال : (وَما أُبَرِّئُ نَفْسِي) .

ذكر من قال قائل ذلك له المرأة

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدىّ (ذلكَ لِيَعْلَمَ أنِّى لَمْ أخُنْهُ بالغَيْبِ) قال : قاله يوسف حين جىء به ليُعْلِم العزيز أنه لم يخنه بالغيب فى أهله ، (وأنَّ اللهَ لا يَهْدِى كَيْدَ الخائِنِينَ) فقالت امرأة العزيز : يايوسف ، ولا يوم حللت سراويلك ؟ فقال يوسف (وَما أُبَرِّئُ نَفْسِي إنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بالسُّوءِ) .

ذكر من قال قائل ذلك يوسف لنفسه ، من غير تذكير مذكِّر ذكَّره ، ولكنه تذكر ما كان سَلَفَ منه فى ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمّى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (ذَلكَ لِيَعْلَمَ أنِّى لَمْ أخُنْهُ بالغَيْبِ ، وأنَّ اللهَ لا يَهْدِى كَيْدَ الخائِنِينَ) هو قول يوسف لمليكه حين أراه الله عذره ، فذكَّره أنه قد همّ بها وهمّت به ، فقال يوسف (وَما أُبَرِّئُ نَفْسِي ، إنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بالسُّوءِ) . . . الآية .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَقالَ الْمَلِكُ : ائْتُونِى بِهِ أسْتَخْلِصْهُ لنَفْسِي ، فَلَمَّا كَلَّمَهُ قالَ : إنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنا مَكِينٌ أمِينٌ (٥٤)

⁂ يقول تعالى ذكره : وقال الملك : يعنى ملك مصر الأكبر ، وهو فيما ذكر ابن إسحاق : الوليد بن الريان .

حدثنا بذلك ابن حميد ، قال : ثنا سلمة عنه : حين تبين عذر يوسف ، وعرف أمانته وعلمه ، قال لأصحابه (ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي) يقول : أجعله من خلصائى دون غيرى .

وقوله (فَلَمَّا كَلَّمَهُ) يقول : فلما كلم الملك يوسف ، وعَرَف براءته ، وعظَم أمانته ، قال له : إنك يا يوسف لدينا مكين أمين : أى متمكن مما أردت ، وعرض لك من حاجةٍ قِبَلَنا ، لرفعة مكانك ومنزلتك لدينا ، أمين على ما أؤتمنت عليه من شىء .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدىّ ، قال : لما وَجَد الملك له عُذرا ، قال : (ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي) يقول : أتخذه لنفسى .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن أبى سنان ، عن ابن أبى الهُذَيل ، (قالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي) قال : قال له الملك : إنى أريد أن أُخَلِّصك لنفسى ، غير أنى آنف أن تأكل معى ، فقال يوسف : أنا أحقّ أن آنَف ، أنا ابن إسحاق ، أو أنا ابن إسماعيل « أبو جعفر شكّ » ، وفى كتابى : ابن إسحاق ذبيح الله ، ابن إبراهيم خليل الله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنى أبى ، عن سفيان ، عن أبى سنان ، عن ابن أبى الهُذَيل بنحوه ، غير أنه قال : أنا ابن إبراهيم خليل الله ابن إسماعيل ذبيح الله .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن أبى سنان ، عن عبد الله بن أبى الهذيل قال : قال العزيز ليوسف : مامن شىء إلا وأنا أحبّ أن تشركنى فيه ، إلا أنى أحبّ أن لاتشركنى فى أهلى وأن لايأكل معى عبدى ، قال : أتأنف أن آكل معك ؛ فأنا أحقّ أن آنَف منك ، أنا ابن إبراهيم خليل الله ، وابن إسحاق الذبيح ، وابن يعقوب الذى ابيضت عيناه من الحزن .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا سفيان بن عقبة ، عن حمزة الزيات ، عن ابن إسحاق ، عن أبى ميسرة ، قال : لما رأى العزيز لَبَق يوسف وكَيسَه وظَرْفه ، دعاه فكان يتغدى ويتعشى معه دون غلمانه ؛ فلما كان بينه وبين المرأة ماكان ، قالت له : تدنى هذا ، مُره فليتغدّ مع الغلمان ، قال له : اذهب فتغدّ مع الغلمان ، فقال له يوسف فى وجهه : ترغب أن تأكل معى ، أو تنكَف ؟ أنا والله يوسف بن يعقوب نبىّ الله ، ابن إسحاق ذبيح الله ، ابن إبراهيم خليل الله .

القول فى تأويل قوله تعالى

قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ ، إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ (٥٥)

⁂ يقول جلّ ثناؤه : قال يوسف للملك : اجعلنى على خزائن أرضك ، وهى جمع خِزانة ، والألف واللام دخلتا فى الأرض خلفا من الإضافة ، كما قال الشاعر :

والأحْلامُ غيرُ عَوَازِبِ[1]

وهذا من يوسف صلوات الله عليه مسألة منه للملك أن يوليه أمر طعام بلده وخراجها ، والقيام بأسباب بلده ، ففعل ذلك الملك به فيما بلغنى .

كما حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (اجْعَلْنِى على خَزَائِنِ الأرْضِ) قال : كان لفرعون خزائن كثيرة غير الطعام ، قال : فأسلم سلطانه كله إليه ، وجعل القضاء إليه ، أمره وقضاؤه نافذ .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا إبراهيم بن المختار ، عن شيبة الضبىّ ، فى قوله (اجْعَلْنِى على خَزَائِنِ الأَرْضِ) قال : على حفظ الطعام .

وقوله (إنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ) اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله ، فقال بعضهم : معنى ذلك : إنى حفيظ لما استودعتنى ، عليم بما وليتنى .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (إنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ) إنى حافظ لما استودعتنى ، عالم بما ولَّيتنى ، قال : قد فعلت .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ) يقول : حفيظ لما وليت ، عليم بأمره .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا إبراهيم بن المختار ، عن شيبة الضبى فى قوله (إنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ) يقول : إنى حفيظ لما استودعتنى ، عليم بسنى المجاعة .

وقال آخرون : إنى حافظ للحساب ، عليم بالألسن .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن الأشجعىّ (إنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ) : حافظ للحساب ، عليم بالألسن .

⁂ وأولى القولين عندنا بالصواب : قول من قال : معنى ذلك : إنى حافظ لما استودعتنى ، عالم بما

(١) هذا جزء من بيت للنابغة الذبيانى فى شعره (مختار الشعر الجاهلى ، بشرح مصطفى السقا ، طبعة الحلبى ص ١٦٢) والبيت بتمامه :

لَهُمْ شِيمَةٌ لم يُعْطِها اللهُ غيرَهُمْ ... منَ الجُودِ ، والأحْلامُ غيرُ عَوَازِبِ

وهو من قصيدة فى مدح بعض آل جفنة غساسنة الشام . والأحلام : جمع حلم بالكسر وهو العقل . وعوازب جمع عازب ، وهو الضال . والشاهد فيه نيابة أل عن المضاف إليه ، أى وأحلامهم .

أوليتنى ، لأن ذلك عقيب قوله (اجْعَلْنِي على خَزَائِنِ الأَرْضِ) ومسألته الملك استكفاءه خزائن الأرض ، فكان إعلامه بأن عنده خبرة فى ذلك ، وكفايته إياه ، أشبه من إعلامه حفظه الحساب ، ومعرفته بالألسن .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ ؛ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (٥٦)

يقول تعالى ذكره : وهكذا وطأنا ليوسف فى الأرض : يعنى أرض مصر (يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ) يقول : يتخذ من أرض مصر منزلا حيث يشاء ، بعد الحبس والضيق (نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ) من خلقنا ، كما أصبنا يوسف بها ، فمكنّا له فى الأرض بعد العبودة والإسار ، وبعد الإلقاء فى الجبّ (وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ) يقول : ولا نُبطل جزاء عمل من أحسن فأطاع ربه ، وعمل بما أمره وانتهى عما نهاه عنه ، كما لم نبطل جزاء عمل يوسف ، إذ أحسن فأطاع الله .

وكان تمكين الله ليوسف فى الأرض ، كما حدثنا ابن حميد ، ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : لما قال يوسف للملك (اجْعَلْنِي على خَزَائِنِ الأَرْضِ ، إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ) قال الملك : قد فعلت ، فولاه فيما يذكرون عمل إطفير ، وعزل إطفير عما كان عليه ، يقول الله (وكذلكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ ، يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ) ... الآية ، قال : فذكر لى ، والله أعلم ، أن إطفير هلك فى تلك الليالى ، وأن الملك الرَّيان بن الوليد زوّج يوسف امرأة إطفير راعيل ، وأنها حين دخلت عليه ، قال : أليس هذا خير مما كنت تريدين ؟ قال : فيزعمون أنها قالت : أيها الصدّيق لاتلُمنى ، فإنى كنت امرأة كما ترى حُسنا وجمالا ، ناعمة فى مُلك ودُنيا ، وكان صاحبى لايأتى النساء ، وكنتَ كما جعلك الله فى حُسنك وهيئتك ، فغلبتنى نفسى على ما رأيت ، فيزعمون أنه وجدها عَذْراء ، فأصابها ، فولدت له رجلين : أفراثيم بن يوسف ، وميشا بن يوسف .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدىّ (وكذلكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ ، يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ) قال : استعمله الملك على مصر ، وكان صاحب أمرها ، وكان يلى البيع والتجارة ، وأمرها كله ، فذلك قوله (وكذلكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ ، يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يشاءُ).

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ) قال : ملكناه فيما يكون فيها حيث يشاء من تلك الدنيا ، يصنع فيها ما يشاء ، فوّضت إليه . قال : ولو شاء أن يجعل فرعون من تحت يديه ، ويجعله فوقه لفعل .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عمرو ، قال : أخبرنا هشيم ، عن أبى إسحاق الكوفىّ ، عن مجاهد ، قال : أسلم الملك الذى كان معه يوسف .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٥٧)

يقول تعالى ذكره : ولثواب الله فى الآخرة خير للذين آمنوا : يقول : للذين صدّقوا الله ورسوله مما أعطى يوسف فى الدنيا من تمكينه له فى أرض مصر (وكانُوا يَتَّقُونَ) يقول : وكانوا يتقون الله فيخافون عقابه فى خلاف أمره ، واستحلال محارمه ، فيطيعونه فى أمره ونهيه .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ ، وَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ (٥٨)

يقول تعالى ذكره : (وَجاءَ إخْوَةُ يُوسُفَ ، فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ) يوسف ، (وَهُمْ) ليوسف (مُنْكِرُونَ) لايعرفونه .

وكان سبب مجيئهم يوسف فيما ذكر لى ، كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : لما اطمأنّ يوسف فى ملكه ، وخرج من البلاء الذى كان فيه ، وخلت السنون المخصبة ، التى كان أمرهم بالإعداد فيها للسنين التى أخبرهم بها أنها كائنة ، جَهَد الناس فى كلّ وجه ، وضربوا إلى مصر يلتمسون بها الميرة من كل بلدة ، وكان يوسف حين رأى ما أصاب الناس من الجهد ، قد أسا بينهم ، وكان لايحمل للرجل إلا بعيرا واحدا ، ولا يحمل للرجل الواحد بعيرين ، تقسيطا بين الناس ، وتوسيعا عليهم ، فقدم إخوته فيمن قدم عليه من الناس يلتمسون الميرة من مصر ، فعرفهم ، وهم له منكرون ، لما أراد الله أن يبلغ ليوسف عليه السلام ما أراد .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدىّ ، قال : أصاب الناس الجوع ، حتى أصاب بلاد يعقوب التى هو بها ، فبعث بنيه إلى مصر ، وأمسك أخا يوسف بنيامين ؛ فلما دخلوا على يوسف عرفهم وهم له منكرون ؛ فلما نظر إليهم ، قال : أخبرونى ما أمركم ؟ فإنى أُنكِر شأنكم ؟ قالوا : نحن قوم من أرض الشأم ، قال : فما جاء بكم ؟ قالوا : جئنا نمتار طعاما ، قال : كذبتم ، أنتم عيون ، كم أنتم ؟ قالوا : عشرة ، قال : أنتم عشرة آلاف ، كل رجل منكم أمير ألف ، فأخبرونى خبرَكم ، قالوا : إنا إخوة بنو رجل صِدّيق ، وإنا كنا اثنى عشر ، وكان أبونا يحبّ أخا لنا ، وإنه ذهب معنا البرية ، فهلك منا فيها ، وكان أحبنا إلى أبينا ، قال : فإلى من سكن أبوكم بعده ؟ قالوا : إلى أخ لنا أصغر منه ، قال : فكيف تخبرونى أن أباكم صدّيق ، وهو يحبّ الصغير منكم دون الكبير ، ائتونى بأخيكم هذا ، حتى أنظر إليه (فإنْ لَمْ تأْتُونِى بِهِ ، فَلا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِى ، وَلا تَقْرَبُونِ ، قالُوا سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أباهُ ، وإنَّا لَفاعِلُونَ) قال : فضعوا بعضكم رهينة حتى ترجعوا ، فوضعوا شمعون .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ) قال : لايعرفونه .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ قَالَ: ائْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ ،أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ، وَأَنَا خَيْرُ الْمُنزِلِينَ (٥٩)

يقول: ولما حمل يوسف لإخوته أباعرهم من الطعام ، فأوقر لكل رجل منهم بعيره ، قال لهم (ائْتُونِي بأخٍ لَكُمْ من أبيكُمْ) كيما أحمل لكم بعيرا آخر ، فتزدادوا به حِمْلَ بعير آخر (ألا تَرَوْنَ أنّى أوفِي الكَيْلَ) فلا أبخسه أحدا (وأنا خَيْرُ المُنْزِلِينَ) ، وأنا خير من أنزل ضيفا على نفسه من الناس بهذه البلدة ، فأنا أضيفكم .

كما حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وأنا خَيْرُ المُنْزِلِينَ) يوسف يقول : أنا خير من يضيف بمصر .

حدثنى ابن حميد ، قال: ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال: لما جَهَّز يوسف فيمن جَهَّز من الناس، حمل لكلّ رجل منهم بعيرا بعدتهم ، ثم قال لهم : (ائْتُونِي بأخٍ لَكُمْ مِنْ أبِيكُمْ) أجعل لكم بعيرا آخر ، أو كما قال (ألا تَرَوْنَ أنّى أُوفِي الكَيْلَ) : أى لاأبخس الناس شيئا (وأنا خَيْرُ المُنْزِلِينَ): أى خير لكم من غيرى، فإنكم إن أتيتم به، أكرمت منزلتكم، وأحسنت إليكم، وازددتم به بعيرا مع عِدَّتكم فإنى لاأعطى كل رجل منكم إلا بعيرا (فإنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي، وَلا تَقْرَبُونِ): لاتقربوا بلدى .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (ائْتُونِي بأخٍ لَكُمْ مِنْ أبِيكُمْ) يعنى بنيامين ، وهو أخو يوسف لأبيه وأمه .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ ، فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِي ، وَلَا تَقْرَبُونِ (٦٠)

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل يوسف لإخوته (فإنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ) بأخيكم من أبيكم (فَلا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي) يقول : فليس لكم عندى طعام أكيله لكم (وَلا تَقْرَبُونِ) يقول : ولا تقربوا بلادي .

وقوله (وَلا تَقْرَبُونِ) فى موضع جزم بالنهى ، والنون فى موضع نصب ، وكسرت لما حُذفت ياؤها ، والكلام : ولا تقربونى .

القول فى تأويل قوله تعالى

قَالُوا سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ ، وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ (٦١) وَقَالَ : لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ ، لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٦٢)

⁂ يقول تعالى ذكره : قال إخوة يوسف ليوسف إذ قال لهم : (ائْتُونِى بأخٍ لَكُمْ مِنْ أبِيكُم) ، (قالُوا سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أباهُ) ونسأله أن يخليه معنا ، حتى نجيء به إليك ، (وَإنَّا لَفاعِلُونَ) يعنون بذلك : وإنا لفاعلون ماقلنا لك أنا نفعله ، من مراودة أبينا عن أخينا منه ، ولنجتهدن .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن إبن سحاق (وَإنَّا لَفاعِلُونَ) لنجتهدنّ .

• قوله (وَقال لِفِتْيانِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِى رِحالِهِمْ) يقول تعالى ذكره : وقال يوسف لِفتيانه : وهم غلمانه .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَقالَ لِفِتْيانِهِ) : أى لغلمانه : (اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِى رِحالِهِمْ) يقول : اجعلوا أثمان الطعام الذى أخذتموها منهم فى رحالهم . والرحال : جمع رحل ، وذلك جمع الكثير ، فأما القليل من الجمع منه ، فهو أرحُل ، وذلك جمع ما بين الثلاثة إلى العشرة .

وبنحو الذي قلنا فى معنى البضاعة ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِى رِحالِهِمْ) : أى أوراقهم[1] .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ثم أمر ببضاعتهم التى أعطاهم بها ما أعطاهم من الطعام ، فجعلت فى رحالهم وهم لايعلمون .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدىّ ، قال : وقال لفتيته وهو يكيل لهم : اجعلوا بضاعتهم فى رحالهم ، لعلهم يعرفونها إذا انقلبوا إلى أهلهم ، لعلهم يرجعون إلىّ .

فإن قال قائل : ولأىّ علة أمر يوسف فتيانه أن يجعلوا بضاعة إخوته فى رحالهم ؟ قيل : يحتمل ذلك أوجها : أحدها أن يكون خشى ألا يكون عند أبيه دراهم ، إذ كانت السّنة سَنة جدب وقحط ، فيضرّ أخذ ذلك منهم به ، وأحبّ أن يرجع إليه ، أو أراد أن يتسع بها أبوه وإخوته ، مع حاجتهم إليه ، فردّه عليهم من حيث لايعلمون سبب ردّه ، تكرّما وتفضلا . والثالث : وهو أن يكون أراد بذلك ألا يخلفوه الوعد فى الرجوع ، إذا وجدوا فى رحالهم ثمن طعام قد قبضوه ، وملكه عليهم غيرهم ، عِوَضا من طعامهم ، ويتحرّجوا من إمساكهم ثمن طعام قد قبضوه ، حتى يؤدّوه على صاحبه ، فيكون ذلك أدعى لهم إلى العود إليه .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَىٰ أَبِيهِمْ ، قَالُوا : يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ ، فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ ، وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (٦٣)

⁂ يقول تعالى ذكره : فلما رجع إخوة يوسف إلى أبيهم ، قالوا (يا أبانا مُنِعَ مِنَّا الكَيْلُ ، فأرْسِلْ

(١) جمع ورق بالتحريك ، وهو الفضة . يريد ثمن القمح الذى اشتراه إخوة يوسف (اللسان) .

معنا أخانا نَكْتَلْ) يقول : مُنع منا الكيل فوق الكيل الذى كيل لنا، ولم يُكَل لكل رجل منا إلا كيل بعير ، فأرسل معنا أخانا بنيامين يكتل لنفسه كيل بعير آخر ، زيادة على كيل أبا عرنا (وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) من أن يناله مكروه فى سفره .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدىّ : فلما رجعوا إلى أبيهم قالوا : يا أبانا ، إن ملك مصر أكرمنا كرامة ما، لو كان رجل من ولد يعقوب ما أكرمنا كرامته ، وإنه ارتهن شمعون وقال : ائتونى بأخيكم هذا الذى عكف عليه أبوكم ، بعد أخيكم الذي هلك ، فإن لم تأتونى به فلا تقربوا بلادى . قال يعقوب (هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلاَّ كَمَا أَمِنْتُكُمْ على أخيهِ مِنْ قَبْلُ ، فاللهُ خَيْرٌ حافِظاً، وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ) قال : فقال لهم يعقوب : إذا أتيتم ملك مصر فأقرئوه منى السلام : وقولوا : إن أبانا يصلّى عليك ، ويدعوالك بما أوليتنا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : خرجوا حتى قدموا على أبيهم ، وكان منزلهم فيما ذكرلى بعض أهل العلم ، بالعَرَبات من أرض فلسطين بغَوْر الشام . وبعض يقول : بالأولاج [1] من ناحية الشِّعب أسفل من حِسْمَى ، وكان صاحب بادية ، له شاءٌ وإبل ، فقالوا : يا أبانا ، قدمنا على خير رجل أنزلنا ، فأكرم منزلنا ، وكال لنا فأوفانا ، ولم يبخسنا ، وقد أمرنا أن نأتيه بأخ لنا من أبينا ، وقال : إن أنتم لم تفعلوا فلا تقربُنّى ، ولا تدخلُن بلدى ، فقال لهم يعقوب (هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلاَّ كَمَا أَمِنْتُكُمْ على أخيهِ مِنْ قَبْلُ ، فاللهُ خَيْرٌ حافِظاً وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ) .

واختلفت القراء فى قراءة قوله (نَكْتَلْ) ، فقرأ ذلك عامة قرّاء أهل المدينة ، وبعض أهل مكة والكوفة : (نَكْتَلْ) بالنون ، بمعنى : نكتل نحن وهو . وقرأ ذلك عامة قرّاء أهل الكوفة (يَكْتَلْ) بالياء ، بمعنى يكتل هو لنفسه ، كما نكتال لأنفسنا .

⁂ والصواب من القول فى ذلك : أنهما قراءتان معروفتان ، متفقتا المعنى ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب الصواب ، وذلك أنهم إنما أخبروا أباهم ، أنه مُنِعَ منهم زيادة الكيل على عدد رءوسهم ، فقالوا (يا أبانَا مُنِعَ مِنَّا الكَيْلُ) ثم سألوه أن يرسل معهم أخاهم ، ليكتال لنفسه ، فهو إذن اكتال لنفسه ، واكتالوا هم لأنفسهم ، فقد دخل الأخ فى عَدَدهم ، فسواء كان الخبر بذلك عن خاصة نفسه ، أو عن جميعهم بلفظ الجميع ، إذ كان مفهوما معنى الكلام ، ومما أريد به .

القول فى تأويل قوله تعالى

قَالَ : هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ ، فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا ، وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ (٦٤)

(١) العربات : جمع عربة ، وهى بلدة فى فلسطين نقله صاحب التاج عن صاحب المراصد . والأولاج : جمع ولجة ، بالتحريك . قال البكرى : موضع بالرمل معروف اهـ وهو قريب من أجأ فى بلاد طيىء ، جنوبى الشام .

⁂ يقول تعالى ذكره: قال أبوهم يعقوب : هل آمنكم على أخيكم من أبيكم، الذى تسألونى أن أرسله معكم، إلا كما أمنتكم على أخيه يوسف من قبل ؟ يقول : من قبله .

واختلفت القراء فى قراءة قوله (فاللهُ خَيْرٌ حافِظا) فقرأ ذلك عامة قرّاء أهل المدينة وبعض الكوفيين والبصريين : (فاللهُ خَيْرٌ حِفْظا) بمعنى : والله خيركم حفظا . وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفيين وبعض أهل مكة (فاللهُ خَيْرٌ حافِظاً) بالألف ، على توجيه الحافظ إلى أنه تفسير للخير ، كما يقال : هو خير رجلا ، والمعنى : فالله خيركم حافظا ، ثم حذفت الكاف والميم .

⁂ والصواب من القول فى ذلك: أنهما قراءتان مشهورتان متقاربتا المعنى ، قد قرأ بكلّ واحدة منهما أهل علم بالقرآن ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب ، وذلك أن من وصف الله بأنه خيرهم حفظا ، فقد وصفه بأنه خيرهم حافظا ، ومن وصفه بأنه خيرهم حافظا فقد وصفه بأنه خيرهم حفظا . (وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ) يقول : والله أرحم راحم بخلقه ، يرحم ضَعْفِى على كبر سنى ، ووحدتى بفقد ولدى ، فلا يضيعه ، ولكنه يحفظه، حتى يردّه علىّ لرحمته .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ ، قَالُوا : يَا أَبَانَا مَا نَبْغِى ، هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا، وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ، ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ (٦٥)

⁂ يقول تعالى ذكره : ولما فتح إخوة يوسف متاعهم ، الذى حملوه من مصر من عند يوسف ، وجدوا بضاعتهم ، وذلك ثمن الطعام الذى اكتالوه منه ، ردّت إليهم (قالُوا : يا أبانا مانَبْغى هَذِهِ بِضاعَتُنا رُدَّتْ إلَيْنا) يعنى أنهم قالوا لأبيهم : ماذا نبغى ؟ هذه بضاعتنا ردّت إلينا ، تطييبا منهم لنفسه ، بما صنع بهم فى ردّ بضاعتهم إليه ، وإذا وُجِّه الكلام إلى هذا المعنى كانت « ما » استفهاما فى موضع نصب بقوله : (نَبْغِى) ، وإلى هذا التأويل كان يوجهه قتادة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (ما نَبْغى) يقول : ما نبغى وراء هذا ، إن بضاعتنا رُدّت إلينا ، وقد أُوفى لنا الكيل .

وقوله (وَنَمِيرُ أهْلَنا) يقول : ونطلب لأهلنا طعاما، فنشتريه لهم ، يقال منه: مَارَ فلان أهله يَمِيرَهم مَيْرا ، ومنه قول الشاعر :

بَعَثْتُكَ مائِرًا فَمَكَثْتَ حَوْلاً مَتَى يَأْتى غِياثُكَ مَنْ تُغِيثُ [1]

(وَنَحْفَظُ أخانا) الذى ترسله معنا (وَنَزْدادُ كَيْلَ بَعِيرٍ) يقول : ونزداد على أحمالنا الطعام حِمْل بعير يكال لنا ما حمل بعير آخر من إبلنا (ذلكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ) يقول : هذا حِمل يسير .

(١) المائر : اسم فاعل من ماره، يقال : مار عياله وأهله يميرهم ميرا ، وامتارلهم : جلب لهم الطعام . والميرة بالكسر : الطعام يمتاره الإنسان ، وهم يمتارون لأنفسهم ، ويميرون غيرهم . والميار : جالب الميرة .

كما حدثنى الحارث ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج (وَنَزْدادُ كَيْلَ بَعِيرٍ) قال : كان لكل رجل منهم حمل بعير ، فقالوا : أرسل معنا أخانا نزداد حمل بعير .

وقال ابن جريج : قال مجاهد (كَيْلَ بَعِيرٍ) حمل حمار ، قال : وهى لغة ، قال القاسم : يعنى مجاهد : أن الحمار يقال له فى بعض اللغات : بعير .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَنَزْدادُ كَيْلَ بَعِيرٍ) يقول : حمل بعير .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (وَنَزْدادُ كَيْلَ بَعِيرٍ) نَعُدّ به بعيرا مع إبلنا (ذلكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ) .

القول فى تأويل قوله تعالى

قَالَ : لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقاً مِّنَ اللهِ لَتَأْتُنَّنِى بِهِ إِلاَّ أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ ، فَلَمَّآ ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ ، قَالَ : اللهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ (٦٦)

يقول تعالى ذكره : قال يعقوب لبنيه : لن أرسل أخاكم معكم إلى ملك مصر (حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقاً مِنَ اللهِ) يقول : حتى تعطون مؤثقا من الله ، بمعنى الميثاق ، وهو مايوثق به من يمين وعهد (لَتَأْتُنَّنِى بِهِ) يقول لتأتنى : بأخيكم (إلاَّ أنْ يُحاطَ بكُمْ) يقول : إلا أن يحيط بجميعكم ما لاتقدرون معه على أن تأتونى به .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ) قال : عهدَهم .

حدثنى المثنى ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد مثله

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (إلاَّ أنْ يُحاطَ بِكُمْ) : إلا أن تهلكوا جميعا .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد .

قال : وحدثنا إسحاق ، قال : أخبرنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة (إلاَّ أنْ يُحاطَ بِكُمْ) قال : إلا أن تُغلَبوا ، حتى لاتطيقوا ذلك .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قوله (إلاَّ أنْ يُحاطَ بكُمْ) : إلا أن يصيبكم أمر يذهب بكم جميعا ، فيكون ذلك عذرا لكم عندى .

وقوله (فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ) يقول : فلما أعطوه عهودهم ، قال يعقوب : (اللهُ على ما نَقُول) أنا وأنتم (وَكِيلٌ) . يقول : هو شهيد علينا بالوفاء بما نقول جميعا .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَقَالَ : يَٰبَنِىَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَٰحِدٍ ، وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ ، وَمَآ أُغْنِى عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ، إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ، عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ، وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ (٦٧)

يقول تعالى ذكره : قال يعقوب لبنيه لما أرادوا الخروج من عنده إلى مصر ليمتاروا الطعام : يا بَنىّ لاتدخلوا مصر من طريق واحد ، وادخلوا من أبواب متفرّقة . وذُكر أنه قال ذلك لهم ، لأنهم كانوا رجالا لهم جمال وهيبة ، فخاف عليهم العين إذا دخلوا جماعة من طريق واحد ، وهم ولد رجل واحد ، فأمرهم أن يفترقوا فى الدخول إليها .

كما حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا يزيد الواسطىّ ، عن جويبر ، عن الضحاك (لاتَدْخُلُوا مِنْ بابٍ وَاحِدٍ ، وَادْخُلُوا مِنْ أبْوَابٍ مُتَفَرّقَةٍ) قال : خاف عليهم العين .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يا بَنِىّ لاتَدْخُلُوا منْ بابٍ واحدٍ) : خشى نبىّ الله صلى الله عليه وسلم العينَ على بنيه ، كانوا ذوى صورة وجمال .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَادْخُلُوا مِنْ أبْوَابٍ مُتَفَرّقَةٍ) قال : كانوا قد أوتوا صورةً وجمالا ، فخشى عليهم أنفسُ الناس .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَقالَ : يا بَنِىَّ لاتَدْخُلُوا منْ بابٍ واحدٍ ، وَادْخُلُوا منْ أبْوَابٍ مُتَفَرّقَةٍ) قال : رهِب يعقوب عليه السلام عليهم العين .

حُدثت عن الحسين بن الفرَج ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : أخبرنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول ، فى قوله : (لاتَدْخُلُوا منْ بابٍ وَاحدٍ) خَشِى يعقوب على ولده العين .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا زيد بن الحباب ، عن أبى معشر ، عن محمد بن كعب (لاتَدْخُلُوا مِنْ بابٍ وَاحدٍ) قال : خشى عليهم العين .

قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدىّ ، قال : خاف يعقوب صلى الله عليه وسلم على بنيه العين ، فقال : (يا بَنِىَّ لاتَدْخُلُوا منْ بابٍ وَاحدٍ) فيقال : هؤلاء لرجل واحد ، ولكن ادخلوا من أبواب متفرّقة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : لما أجمعوا الخروج ، يعنى ولد يعقوب قال يعقوب : (يا بَنِيَّ لاتَدْخُلُوا مِنْ بابٍ وَاحِدٍ وادْخُلُوا مِنْ أبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ) خشى عليهم أعين الناس لهيبتهم ، وأنهم لرجل واحد .

وقوله : (وَما أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ مِنْ شَيْءٍ) يقول : وما أقدر أن أدفع عنكم من قضاء الله الذى قد قضاه عليكم من شىء صغير ولا كبير ، لأن قضاءه نافذ فى خلقه (إنِ الحُكْمُ إلاَّ لِلهِ) يقول : ما القضاء والحكم إلا لله ، دون ما سواه من الأشياء ، فإنه يحكم فى خلقه بما يشاء ، فينفذ فيهم حكمه ، ويقضى فيهم ، ولا يُرَدّ قضاؤه (عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ) يقول : على الله توكلت ، فَوَثقت به فيكم ، وفى حفظكم علىّ ، حتى يردّكم إلىّ وأنتم سالمون معافَون ، لاعلى دخولكم مصر إذا دخلتموها من أبواب متفرّقة (وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ المُتَوَكِّلُونَ) يقول : وإلى الله فليفوّض أمورَهم المفوّضون .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَّا كَانَ يُغْنِي عَنْهُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا ، وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ (٦٨)

يقول تعالى ذكره : ولما دخل ولد يعقوب من حيث أمرهم أبوهم ، وذلك دخولهم مصر من أبواب متفرّقة (ما كانَ يُغْنِي) دخولهم إياها كذلك (عَنْهُمْ مِنَ) قضاء (اللهِ) الذى قضاه فيهم فحتمه (مِنْ شَيْءٍ إلاَّ حاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاها) إلا أنهم قضوا وطرا ليعقوب بدخولهم ، لامن طريق واحد ، خوفا من العين عليهم ، فاطمأنت نفسه أن يكونوا أُتُوا من قبل ذلك ، أو نالهم من أجله مكروه .

كما حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (إلَّا حاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاها) خيفة العين على بنيه .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (إلاَّ حاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاها) قال : خشية العين عليهم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قوله (إلَّا حاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاها) قال : ما تخوّف على بنيه من أعين الناس ، لهيبتهم وعِدَّتهم .

وقوله (وإنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْناهُ) يقول تعالى ذكره : وإن يعقوب لذو علم لتعليمنا إياه .

وقيل معناه : وإنه لذو حفظ لما استودَعْنا صدرَه من العلم .

واختلف عن قتادة فى ذلك ، فحدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله : (وَإنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْناهُ) : أى مما علمناه .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن الزبير ، عن سفيان ، عن ابن أبى عَرُوبة ، عن قتادة (وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ) قال : إنه لعامل بما علم .

قال المثنى ، قال إسحاق ، قال عبد الله ، قال سفيان : إنه لذو علم مما علمناه ، وقال : من لايعمل لايكون عالما (وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لايَعْلَمُونَ) يقول جلّ ثناؤه : ولكن كثيرا من الناس غير يعقوب ، لايعلمون مايعلمه ، لأنا حرّمناه ذلك ، فلم يعلمه .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ، قَالَ: إِنِّى أَنَا أَخُوكَ، فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ(٦٩)

يقول تعالى ذكره : ولما دخل ولد يعقوب على يوسف (آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ) يقول : ضمّ إليه أخاه لأبيه وأمه ، وكلٌّ أخوه لأبيه .

كما حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدىّ (وَلَمَّا دَخَلُوا على يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ) قال : عرف أخاه ، فأنزلهم منزلا ، وأجرى عليهم الطعام والشراب ؛ فلما كان الليل جاءهم بمُثُل ، فقال : لينم كلّ أخوين منكم على مِثال[1] ؛ فلما بقى الغلام وحده ، قال يوسف : هذا ينام معى على فراشى ، فبات معه ، فجعل يوسف يشُمّ ريحه ، ويضمه إليه ، حتى أصبح ، وجعل رُوبيل يقول : ما رأينا مثل هذا ، أريحونا منه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : لما دخلوا ، يعنى ولد يعقوب على يوسف ، قالوا : هذا أخونا ، الذى أمرتنا أن نأتيك به ، قد جئناك به ، فذكر لى أنه قال لهم : قد أحسنتم وأصبتم ، وستجدون ذلك عندى ، أو كما قال ، ثم قال : إنى أراكم رجالا ، وقد أردت أن أكرمكم ، ودعا ضافته[2] فقال : أنزل كل رجلين على حدة ، ثم أكرمهما وأحسن ضيافتهما ، ثم قال : إنى أرى هذا الرجل الذى جئتم به ليس معه ثانٍ ، فسأضمه إلىّ ، فيكون منزله معى ، فأنزلهم رجلين رجلين ، فى منازل شتى ، وأنزل أخاه معه ، فآواه إليه ، فلما خلا به (قَالَ: إِنِّى أَنَا أَخُوكَ) أنا يوسف (فَلَا تَبْتَئِسْ) بشىء فعلوه بنا فيما مضى ، فإن الله قد أحسن إلينا ، ولا تُعلمهم شيئا مما أعلمتك ، يقول الله : (وَلَمَّا دَخَلُوا على يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ ، قَالَ إِنِّى أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلَمَّا دَخَلُوا على يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ) ضمه إليه وأنزله ، وهو بنيامين .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا إسماعيل بن عبد الكريم ، قال : ثنى عبد الصمد بن معقل قال : سمعت وهب بن منبه ، يقول : وسئل عن قول يوسف (وَلَمَّا دَخَلُوا على يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ ، قَالَ إِنِّى أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) كيف أجابه حين أُخذ بالصُّواع ؟ وقد كان أخبره أنه أخوه ، وأنتم تزعمون أنه لم يزل متنكرا لهم يكايدهم ، حتى رجعوا ، فقال : إنه لم يعترف له

(١) المثال : الفراش ينام عليه ، جمعه مثل .

(٢) ضافته : يظهر أنه جمع ضائف وهم الموكلون بالضيوف من ضافة يضيفه : إذا نزل به ضيفا .

بالنسبة ، ولكنه قال : أنا أخوك مكان أخيك الهالك (فَلا تَبْتَئِسْ بِمَا كانُوا يَعْمَلُونَ) يقول : لايحزنك مكانه .

وقوله (فَلا تَبْتَئِسْ) يقول : فلا تستكِن ولا تحزن ، وهو فلا تفتعل من البؤس ، يقال منه : ابتأس يبتئس ابتئاسا .

وبنحو ما قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَلا تَبْتَئِسْ) يقول : فلا تحزن ، ولا تيأس .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا إسماعيل بن عبد الكريم ، قال : ثنى عبد الصمد ، قال : سمعت وهب بن منبه يقول : (فَلا تَبْتَئِسْ) يقول : لايحْزُنك مكانه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدىّ (فَلا تَبْتَئِسْ بِمَا كانُوا يَعْمَلُونَ) يقول : لاتحزن على ما كانوا يعملون .

فتأويل الكلام إذن : فلا تحزن ولا تستكن لشىء سلف من إخوتك إليك، فى نفسك وفى أخيك من أمك ، وما كانوا يفعلون قبل اليوم بك .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجِهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ، ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ (٧٠)

⁂ يقول : ولما حَمَّل يوسف إبل إخوته ماحَمَّلها من الميرة، وقضى حاجتهم ، كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ) يقول : لما قضى لهم حاجتهم ووفاهم كيلهم .

وقوله (جَعَلَ السِّقَايَةَ فِى رَحْلِ أَخِيهِ) يقول : جعل الإناء الذى يكيل به الطعام فى رحل أخيه ، والسقاية : هى المَشْرَبة ، وهى الإناء الذى كان يشرب فيه الملك ، ويكيل به الطعام .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عفان ، قال : ثنا عبد الواحد ، عن يونس ، عن الحسن أنه كان يقول : الصُّواع والسقاية سواء : هو الإناء الذى يشرب فيه .

قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد: السقاية والصُّواع شئ واحد، كان يشرب فيه يوسف .

قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قال : السقاية : الصُّواع الذى يشرب فيه يوسف .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (جَعَلَ السِّقَايَةَ) قال : مَشْرَبَة الملك .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (السِّقَايَةَ فِى رَحْلِ أخِيهِ) وهو إناء الملك ، الذى كان يشرب فيه .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (قالُوا : نَفْقِدُ صُوَاعَ المَلِكِ ، وَلِمَنْ جاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ) وهى السقاية التى كان يشرب فيها الملك يعنى مَكُّوكه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله (جَعَلَ السِّقَايَةَ) وقوله (صُوَاعَ المَلِكِ) قال : هما شىء واحد ، السقاية والصواع شىء واحد يشرب فيه يوسف .

حُدِّثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله : (جَعَلَ السِّقَايَةَ فِى رَحْلِ أخِيهِ) : هو الإناء الذى كان يشرب فيه الملك .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (جَعَلَ السِّقَايَةَ فِى رَحْلِ أخِيهِ) قال : السقاية : هو الصُّواع ، وكان كأسا من ذهب فيما يذكرون .

قوله (فِى رَحْلِ أخِيهِ) فإنه يعنى : فى متاع أخيه ابن أمه وأبيه ، وهو بنيامين ، وكذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فِى رَحْلِ أخِيهِ) : أى فى متاع أخيه ، وقوله (ثُمَّ أذَّنَ مُؤَذِّنٌ) يقول : ثم نادى مناد ، وقيل : أعلم مُعْلِم (أيَّتُها العِيرُ) : وهى القافلة فيها الأحمال (إنَّكُمْ لَسارِقُونَ) .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدىّ (فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِى رَحْلِ أخِيهِ) والأخ لا يشعر ، فلما ارتحلوا أذّن مؤذّن قبل أن ترتحل العير : (إنَّكُمْ لَسارِقُونَ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال (ثُمَّ جَهَّزَهُمْ بِجَهازِهِمْ) وأكرمهم وأعطاهم وأوفاهم ، وحمل لهم بعيرا بعيرا ، وحمل لأخيه بعيرا باسمه ، كما حمل لهم ، ثم أمر بسقاية الملك ، وهو الصُّواع ، وزعموا أنها كانت من فضة ، فجُعلت فى رحل أخيه بنيامين ، ثم أمهلهم ، حتى إذا انطلقوا وأمعنوا من القرية ، أمر بهم فأُدركوا ، فاحتُبِسوا ، ثم نادى مناد (أيَّتُها العِيرُ إنَّكُمْ لَسارِقُونَ) قفوا ،

وانتهى إليهم رسوله ، فقال لهم فيما يذكرون : ألم نكرم ضيافتكم ، ونوفكم كيلكم ، ونحسن منزلتكم ، ونفعل بكم ما لم نفعل بغيركم ، وأدخلناكم علينا فى بيوتنا ومنازلنا ؟ أو كما قال لهم : قالوا : بلى ، وماذاك ؟ قال : سقاية الملك فقدناها ، ولا نتهم عليها غيركم ، (قالوا : تالله لَقَدْ عَلِمْتُمْ ما جِئْنا لِنُفْسِدَ فِي الأَرْضِ ، وَما كُنَّا سارِقِينَ) .

وقوله (أيَّتُها العِيرُ) قد بيَّنا فيما مضى معنى العير ، وهو جمع لاواحد له من لفظه . وحُكى عن مجاهد أن عير بنى يعقوب كانت حميرا .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن الزبير ، عن سفيان ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (أيَّتُها العِيرُ) قال : كانت حميرا .

حدثنى الحرث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا سفيان ، قال : ثنى رجل ، عن مجاهد ، فى قوله (أيَّتُها العِيرُ إنَّكُمْ لَسارِقُونَ) قال : كانت العير حميرا .

القول فى تأويل قوله تعالى

قَالُوا : وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ (٧١) قَالُوا : نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ، وَلِمَنْ جَآءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ (٧٢)

يقول تعالى ذكره : قال بنو يعقوب لما نودوا (أيَّتُها العِيرُ إنَّكُمْ لَسارِقُونَ) وأقبلوا على المنادى ومن بحضرتهم يقولون لهم (ماذَا تَفْقِدُونَ) : ما الذى تفقدون (قالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ المَلِكِ) يقول : فقال لهم القوم : نفقد مَشْرَبة الملك .

واختلفت القراء فى قراءة ذلك ، فذُكر عن أبى هريرة أنه قرأه (صَاعَ المَلِكِ) بغير واو ، كأنه وجهه إلى الصاع الذى يكال به الطعام . ورُوى عن أبى رجاء أنه قرأه (صَوْعَ المَلِكِ) ، ورُوى عن يحيى بن يعمر أنه قرأه (صَوْغَ المَلِكِ) بالغين ، كأنه وجهه إلى أنه مصدر من قولهم صاغ يصوغ صوغا . وأما الذى عليه قرّاء الأمصار : فصُواع الملك ، وهى القراءة التى لاأستجيز القراءة بخلافها ، لإجماع الحجة عليها ، والصُّواع : هو الإناء الذى كان يوسف يكيل به الطعام ، وكذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبى بشر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس فى هذا الحرف (صُوَاعَ المَلِكِ) قال : كهيئة المَكُّوك . قال : وكان للعباس مثله فى الجاهلية ، يشرب فيه .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن شعبة ، عن أبى بشر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، فى قوله (صُوَاعَ المَلِكِ) قال : كان من فضة مثل المَكُّوك . وكان للعباس منها واحد فى الجاهلية .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع . وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن شريك ، عن سماك ، عن عكرمة ، فى قوله (قالُوا نَفْقِد صُوَاعَ المَلِكِ) قال : كان من فضة .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، عن أبى بشر ، عن سعيد بن جبير ، أنه قرأ (صُوَاعَ المَلِكِ) قال وكان إناءه الذى يشرب فيه ، وكان إلى الطول ما هو .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا سويد بن عمرو ، عن أبى عوانة ، عن أبى بشر ، عن سعيد بن جبير (صُوَاعَ المَلِكِ) قال : المَكُّوك الفارسىّ .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا الحجاج بن المنهال ، قال : ثنا أبوعوانة ، عن أبى بشر ، عن سعيد بن جبير قال : (صُوَاعَ المَلِكِ) قال : هو المَكُّوك الفارسىّ الذى يلتقى طرفاه ، كانت تشرب فيه الأعاجم .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مَغْراء ، عن جويبر ، عن الضحاك ، فى قوله (صُوَاعَ المَلِكِ) قال : إناء الملك الذى كان يشرب فيه .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا يحيى : يعنى ابن عباد ، قال : ثنا شعبة ، عن أبى بشر ، عن سعيد ابن جُبير ، عن ابن عباس ، قال : (صُوَاعَ المَلِكِ) : مَكُّوك من فضة يشربون فيه . وكان للعباس واحد فى الجاهلية .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (صُوَاعَ المَلِكِ) : إناء الملك الذى يشرب فيه .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا سعيد بن منصور ، قال : ثنا أبوعوانة ، عن أبى بشر ، عن سعيد ابن جبير ، فى قوله (صُوَاعَ المَلِكِ) قال : هو المَكُّوك الفارسىّ ، الذى يلتقى طَرَفاه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قال : الصواع : كان يشرب فيه يوسف .

حدثنا محمد بن معمر البحرانى ، قال : ثنا عبد الصمد بن عبد الوارث ، قال : ثنا صدقة بن عباد ، عن أبيه عن ابن عباس (صُوَاعَ المَلِكِ) قال : كان من نُحاس .

وقوله (وَلِمَنْ جاء بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ) يقول : ولمن جاء بالصواع حمل بعير من الطعام .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلِمَنْ جاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ) يقول : وِقْر بعير .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله تعالى (حِمْلُ بَعِيرٍ) قال : حِمْل طعام[1] ، وهى لغة .

حدّثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ؛

(١) أى حمل حمار من طعام . . . الخ ، ويقال لما يحمل الميرة من الدواب : عير ، إبلا أو حميرا أو بغالا .

قال : وحدثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قوله (حِمْلُ بَعِيرٍ) قال : حمل طعام ، وهي لغة .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قال : قوله (حِمْلُ بَعِيرٍ) قال : حمل حمار .

وقوله (وأنا بِهِ زَعِيمٌ) يقول : وأنا بأن أوفيه حمل بعير من الطعام إذا جاءني بصواع الملك كفيل . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (وأنا بِهِ زَعِيمٌ) يقول : كفيل .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وأنا بِهِ زَعِيمٌ) الزعيم : هو المؤذن الذي قال (أيَّتُها العِيرُ) .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا محمد بن بكر وأبو خالد الأحمر ، عن ابن جريج ، قال : بلغني عن مجاهد ، ثم ذكر نحوه .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مهديّ ، قال : ثنا عبد الواحد بن زياد ، عن ورقاء بن إياس ، عن سعيد بن جبير (وأنا بِهِ زَعِيمٌ) قال : كفيل .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وأنا بِهِ زَعِيمٌ) : أي وأنا به كفيل .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وأنا بِهِ زَعِيمٌ) قال : كفيل .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو خالد الأحمر ، عن جويبر ، عن الضحاك (وأنا بِهِ زَعِيمٌ) قال : كفيل .

حُدِّثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك ، فذكر مثله .

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، عن سفيان ، عن رجل ، عن مجاهد (وأنا بِهِ زَعِيمٌ) قال ، كفيل .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال لهم الرسول : إنه من جاءنا به فله حمل بعير ، وأنا به كفيل بذلك ، حتى أؤدّيه إليه ، ومن الزعيم الذي بمعنى الكفيل قول الشاعر :

فلَسْتُ بآمِرٍ فيها بِسَلْمٍ ولكنِّى على نَفْسى زعِيمُ [١]

وأصل الزعيم فى كلام العرب : القائم بأمر القوم ، وكذلك الكفيل والحَميل ، ولذلك قيل : رئيس القوم زعيمهم ، ومُدَبِّرهم ، يقال منه : قد زعم فلان زَعامة وزعاما ؛ومنه قول ليلى الأخيلية :

حتى إذَا بَرَزَ اللِّوَاءُ رأيْتَهُ تحتَ اللِّوَاءِ على الخَمِيسِ زَعِيما [٢]

القول فى تأويل قوله تعالى

قَالُوا : تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِى الْأَرْضِ ، وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ (٧٣)

يقول تعالى ذكره : قال إخوة يوسف (تاللهِ) يعنى : والله ، وهذه التاء فى تالله إنما هى واو قلبت تاء ، كما فعل ذلك فى التورية ، وهى من وريّت ، والتراث ، وهى من ورثت ، والتخمة ، وهى من الوخامة ، قُلبت الواو فى ذلك كله تاء ، والواو فى هذه الحروف كلها من الأسماء ، وليست كذلك فى تالله ، لأنها إنما هى واو القسم ، وإنما جعلت تاء لكثرة ماجرى على ألسن العرب فى الأيمان فى قولهم والله ، فخصت فى هذه الكلمة بأن قلبت تاء ، ومن قال ذلك فى اسم الله ، فقال : تالله لم يقل تالرحمن وتالرحيم ، ولا مع شىء من أسماء الله ، ولا مع شىء مما يقسم به ، ولا يقال ذلك إلا فى تالله وحده .

وقوله (لَقَدْ عَلِمْتُمْ ما جِئْنا لِنُفْسِدَ فِي الأرْضِ) يقول : لقد علمتم ماجئنا لنعصىَ الله فى أرضكم ، كذلك كان يقول جماعة من أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس ، فى قوله (قالُوا تاللهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ ما جِئْنا لِنُفْسِدَ فِي الأرْضِ) يقول : ماجئنا لنعصىَ فى الأرض .

فإن قال قائل : وما كان أعلم من قيل له (لَقَدْ عَلِمْتُمْ ما جِئْنا لِنُفْسِدَ فِي الأرْضِ) بأنهم لم يجيئوا لذلك ، حتى استجاز قائلو ذلك أن يقولوه ؟ قيل : استجازوا أن يقولوا ذلك لأنهم فيما ذكر ردّوا البضاعة التى وجدوها فى رحالهم ، فقالوا : لو كنا سرّاقا لم نردّ عليكم البضاعة التى وجدناها فى رحالنا . وقيل : إنهم كانوا قد عرفوا فى طريقهم ومسيرهم أنهم لايظلمون أحدا ، ولا يتناولون ما ليس لهم ، فقالوا ذلك حين قيل لهم (إنَّكُمْ لَسارِقُونَ) .

---

(١) البيت للمؤسى الأزدى ، قاله أبو عبيدة فى مجاز القرآن (١ : ٣١٥) واستشهد به على أن « زعيم » بمعنى كفيل . وبعد البيت بيت آخر ، وهو :

بغَزْوٍ مِثْلِ وَلْغِ الذئبِ حَتَّى ينوء بصاحِبِى ثأْرٌ مُنِيمُ

(٢) البيت فى « اللسان : زعم » شاهد على أن « الزعيم بمعنى السيد الرئيس » . قال : وزعيم القوم رئيسهم وسيدهم . وقيل : رئيسهم المتكلم عنهم ومدرههم ، والجمع زعماء . والزعامة : السيادة والرياسة ، وقد زعم زعامة ، قال : حتى إذا رفع اللواء ... الخ البيت .

القول فى تأويل قوله تعالى

قَالُوا: فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ (٧٤) قَالُوا: جَزَاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ، فَهُوَ جَزَاؤُهُ، كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ (٧٥)

يقول تعالى ذكره : قال أصحاب يوسف لإخوته: فما ثواب السَّرَق إن كنتم كاذبين فى قولكم (ماجِئْنا لِنُفْسِدَ فِي الأَرْضِ ، وَما كُنَّا سارِقِينَ . قالُوا : جَزَاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ ، فَهُوَ جَزَاؤُهُ). يقول جلّ ثناؤه : وقال إخوة يوسف : ثواب السَّرَق : مَنْ وُجد فى متاعه السَّرَق ، فهو جزاؤه، يقول: فالذى وجد ذلك فى رحله ، ثوابه بأن يُسْلَم بسرقته إلى من سرق منه ، حتى يسترقه (كَذلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ) يقول : كذلك نفعل بمن ظلم ، ففعل ما ليس له فعله ، من أخذه مال غيره سَرَقا .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال: ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (فَهُوَ جَزَاؤُهُ) : أى سُلِّم به (كَذلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ) : أى كذلك نصنع بمن سَرَق منا .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرزّاق ، عن معمر ، قال : بلغنا ، فى قوله (قالُوا فَما جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كاذِبِينَ) أخبروا يوسف بما يُحْكَم فى بلادهم: أنه من سَرَق أُخِذ عبدا، فقالوا (جَزَاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ ، فَهُوَ جَزَاؤُهُ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدىّ ، (قالُوا فَما جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كاذِبِينَ ؟ قالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ ، فَهُوَ جَزَاؤُهُ): تأخذونه فهو لكم .

ومعنى الكلام : قالوا : ثواب السَّرَق الموجود فى رحله ، كأنه قيل : ثوابه استرقاق الموجود فى رحله ، ثم حذف استرقاق ، إذ كان معروفا معناه ، ثم ابتدئ الكلام فقيل : هو جزاؤه (كَذلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ) .

وقد يحتمل وجها آخر : أن يكون معناه: قالوا: ثواب السَّرَق الذى يوجد السَّرَق فى رحله، فالسارق جزاؤه ، فيكون جزاؤه الأوّل مرفوعا بجملة الخبر بعده ، ويكون مرفوعا بالعائد من ذكره فى هو ، وهو : رافع جزاؤه الثانى .

ويحتمل وجها ثالثا : وهو أن تكون « مَنْ » جزائية ، وتكون مرفوعة بالعائد من ذكره، فى الهاء التى فى رحله ، والجزاء الأوّل مرفوعا بالعائد من ذكره فى وُجِد ، ويكون جواب الجزاء الفاء فى « فهو » ، والجزاء الثانى مرفوع بهو ، فيكون معنى الكلام حينئذ: قالوا: جزاء السَّرَق من وُجد السَّرَق فى رحله ، فهو ثوابه ، يُسْتَرَقّ ويستعبد .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ، ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَآءِ أَخِيهِ ، كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ، مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِى دِينِ الْمَلِكِ إِلَّآ أَنْ يَشَآءَ اللَّهُ ، نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ، وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ (٧٦) ۞

۞ يقول تعالى ذكره : ففتّش يوسف أوعيتهم ورحالهم ، طالبا بذلك صُواع الملك ، فبدأ فى تفتيشه بأوعية إخوته من أبيه ، فجعل يفتشها وعاء وعاء ، قبل وعاء أخيه من أبيه وأمه ، فإنه أخّر تفتيشه ، ثم فتش آخرها وعاء أخيه ، فاستخرج الصواع من وعاء أخيه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ) : ذُكر لنا أنه كان لاينظر فى وعاء ، إلا استغفر الله ، تأثما مما قذفهم به ، حتى بقى أخوه ، وكان أصغر القوم ، قال : ما أرى هذا أخذ شيئا ، قالوا : بلى فاستبره[1] ، ألا وقد علموا حيث وضعوا سقايتهم ، ثم استخرجها من وعاء أخيه .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن مَعْمر ، عن قتادة ، قال : فاستخرجها من وعاء أخيه ، قال : كان كلما فتح متاعا استغفر تائبا مما صنع ، حتى بلغ متاع الغلام ، فقال : ما أظنّ هذا أخذ شيئا ، قالوا : بلى ، فاستبره .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، عن أسباط ، عن السدىّ ، قال (فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ) فلما بقى رَحْل الغلام ، قال : ماكان هذا الغلام ليأخذه ، قالوا : والله لايُتْرك حتى تنظر فى رحله ، لنذهب وقد طابت نفسك ، فأدخل يده ، فاستخرجها من رحله .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : لما قال الرسول لهم (وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وأنا بِهِ زَعِيمٌ) قالوا : ما نعلمه فينا ولا معنا ، قال : لستم ببارحين حتى أفتش أمتعتكم ، وأُعْذِر فى طلبها منكم ، فبدأ بأوعيتهم وعاء وعاء ، يفتشها وينظر ما فيها ، حتى مرّ على وعاء أخيه ففتشه ، فاستخرجها منه ، فأخذ برقبته ، فانصرف به إلى يوسف ، يقول الله (كذلكَ كِدْنا لِيُوسُفَ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : ذُكِر لنا أنه كان كلما بَحَث متاع رجل منهم استغفر ربه تأثما ، قد علم أين موضع الذى يطلب ، حتى إذا بقى أخوه وعلم أن بغيته فيه ، قال : لا أرى هذا الغلام أخذه ، ولا أبالى أن لاأبحث متاعه ، قال إخوته : إنه أطيب لنفسك ، وأنفسنا أن تستبرئ متاعه أيضا ، فلما فتح متاعه ، استخرج بغيته منه ، قال الله (كذلكَ كِدْنا لِيُوسُفَ) .

(١) أصله : استبرئه ، أى اطلب براءته بتفتيشه ، ثم خفف الهمزة ، وحذفها للأمر .

واختلف أهل العربية فى الهاء والألف اللتين فى قوله (ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعاءِ أخِيهِ) فقال بعض نحوِّيى البصرة: هى من ذكر الصواع ، قال : وأنث ، وقد قال (وَلِمَنْ جاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ) لأنه عنى الصُّواع ، قال : والصواع مذكر ، ومنهم من يؤنث الصواع ، وعنى هاهنا السقاية ، وهى مؤنثة قال : وهما اسمان لواحد ، مثل الثوب والملحفة ، مذكر ومؤنث لشىء واحد .

وقال بعض نحوِّيى الكوفة فى قوله (ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعاءِ أخِيهِ) ذهب إلى تأنيث السرقة ، قال : وإن لم يكن الصواع فى معنى الصاع ، فلعل هذا التأنيث من ذلك ، قال : وإن شئت جعلته لتأنيث السقاية ، قال : والصواع : ذَكَر ، والصاع يؤنث ويذكر ، فمن أنثه قال : ثلاث أَصْوُع ، مثل ثلاث أَدْوُر ، ومن ذكّره قال : أصواع مثل أبواب .

وقال آخر منهم : إنما أُنث الصواع حين أنث ، لأنه أريدت به السقاية ، وذُكِّر حين ذُكِّر ، لأنه أريد به الصواع ، قال : وذلك مثل الحِوَان والمائدة ، وسِنان الرمح وعاليته ، وما أشبه ذلك من الشىء الذى يجتمع فيه اسمان : أحدهما مذكر ، والآخر مؤنث .

وقوله (كَذلِكَ كِدْنا لِيُوسُفَ) يقول : هكذا صنعنا ليوسف ، حتى يُخْلِّص أخاه لأبيه وأمه من إخوته لأبيه ، بإقرار منهم أنّ له أنْ يأخذه منهم ، ويحتبسه فى يديه ، ويحول بينه وبينهم ، وذلك أنهم قالوا إذ قيل لهم : (ما جَزاؤُهُ إنْ كُنْتُمْ كاذِبِينَ) جزاء من سرق الصواع : أن من وجد ذلك فى رحله فهو مُسْتَرَقٌّ به ، وذلك كان حكمهم فى دينهم ، فكاد الله ليوسف كما وصف لنا ، حتى أخَذ أخاهُ منهم ، فصار عنده بحكمهم ، وصنع الله له .

وقوله (ما كانَ لِيَأْخُذَ أخاهُ فِي دِينِ المَلِكِ إلاَّ أنْ يَشاءَ اللهُ) يقول : ما كان يوسف ليأخذ أخاه فى حكم ملك مصر وقضائه وطاعته منهم ، لأنه لم يكن من حكم ذلك الملك وقضائه أن يُسْتَرقّ أحد بالسرق ، فلم يكن ليوسف أخذ أخيه فى حكم ملك أرضه ، إلا أن يشاء الله بكيده الذى كاده له ، حتى أَسْلَمَ مَنْ وُجد فى وعائه الصُّواع إخوتُه ورفقاؤه ، بحكمهم عليه ، وطابت أنفسهم بالتسليم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (ما كانَ لِيَأْخُذَ أخاهُ فِي دِينِ المَلِكِ) إلا فعلةً كادها الله له ، فاعتلّ بها يوسف .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (كَذلِكَ كِدْنا لِيُوسُفَ) كادها الله له ، فكانت عِلَّة ليوسف .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (لِيَأْخُذَ أخاهُ فِي دِينِ المَلِكِ إلاَّ أنْ يَشاءَ اللهُ) قال : إلا فعلة كادها الله ، فاعتلّ بها يوسف .

قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (كذلكَ كِدْنا لِيُوسُفَ) قال : صنعنا .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدىّ (كذلكَ كِدْنا لِيُوسُفَ) يقول : صنعنا ليوسف .

حُدِّثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (كذلكَ كِدْنا لِيُوسُفَ) يقول : صنعنا ليوسف .

واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله (ما كانَ لِيَأْخُذَ أخاهُ فى دِينِ المَلِكِ) فقال بعضهم : ما كان ليأ خذ أخاه فى سلطان الملك .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، (ما كانَ لِيَأْخُذَ أخاهُ فِى دِينِ المَلِكِ) يقول : فى سلطان الملك .

حُدِّثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ ، يقول : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (ما كانَ لِيَأْخُذَ أخاهُ فِى دِينِ المَلِكِ) يقول : فى سلْطان الملك .

وقال آخرون : معنى ذلك : فى حكمه وقضائه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (ما كانَ لِيَأْخُذَ أخاهُ فِى دِينِ المَلِكِ إلاَّ أنْ يَشاءَ اللهُ) يقول : ما كان ذلك فى قضاء الملك : أن يستعبد رجلا بسرقة .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (فِى دِينِ المَلِكِ) قال : لم يكن ذلك فى دين الملك ، قال : حكمه .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو صالح محمد بن ليث المروزى ، عن رجل قد سماه ، عن عبد الله بن المبارك ، عن أبى مودود المدينىّ ، قال : سمعت محمد بن كعب القُرَظِىّ يقول (قالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِى رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ ؛ كذلكَ كِدْنا لِيُوسُفَ ما كانَ لِيَأْخُذَ أخاهُ فِى دِينِ المَلِكِ) قال : دين الملك لايؤخذ به من سرق أصلا ، ولكن الله كاد لأخيه ، حتى تكلموا ماتكلموا به ، فأخذهم بقولهم ، وليس فى قضاء الملك .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، عن معمر ، قال : بلغه فى قوله (ما كانَ لِيَأْخُذَ أخاهُ فِى دِينِ المَلِكِ) قال : كان حكم الملك أن من سرق ضوعف عليه الغُرم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدىّ (ما كانَ لِيَأْخُذَ أخاهُ فِى دِينِ المَلِكِ) يقول : فى حكم الملك .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (ما كانَ لِيَأْخُذَ أخاهُ فِى دِينِ المَلِكِ) : أى بظلم ، ولكن الله كاد ليوسف ليضمّ إليه أخاه .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (ما كانَ ليأْخُذَ أخاهُ فِى دِينِ المَلِكِ) قال : ليس فى دين الملك أن يؤخذ السارق بسرقته ، قال : وكان الحكم عند الأنبياء يعقوب وبنيه : أن يؤخذ السارق بسرقته عبدا يُسترقّ .

وهذه الأقوال وإن اختلفت ألفاظ قائليها فى معنى دين الملك ، فمتقاربة المعانى ، لأن من أخذه فى سلطان الملك عامله بعمله ، فيريناه[1] أخذه إذا لم يغيره ، وذلك منه حكم عليه ، وحكمه عليه قضاؤه ، وأصل الدِّين : الطاعة ، وقد بيَّنت ذلك فى غير هذا الموضع بشواهده ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .

وقوله (إلاَّ أنْ يَشاءَ اللهُ) ، كما حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدىّ (إلاَّ أنْ يَشاءَ اللهُ) ولكن صَنَعنا له ، بأنهم قالوا : (فَهُوَ جَزَاؤُهُ).

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (إلاَّ أنْ يَشاءَ اللهُ) إلا بعلة كادها الله ، فاعتلّ بها يوسف .

وقوله (نَرْفَعُ دَرَجاتٍ مَنْ نَشاءُ) اختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأه بعضهم (نَرْفَعُ دَرَجاتِ مَنْ نَشاءُ) بإضافة الدرجات إلى «مَنْ» بمعنى : نرفع منازل من نشاء رفع منازله ومراتبه فى الدنيا ، بالعلم ، على غيره ، كما رفعنا مرتبة يوسف فى ذلك ، ومنزلته فى الدنيا ، على منازل إخوته ومراتبهم . وقرأ ذلك آخرون (نَرْفَعُ دَرَجاتٍ مَنْ نَشاءُ) بتنوين الدرجات ، بمعنى : نرفع من نشاء مراتب ودرجات فى العلم على غيره ، كما رفعنا يوسف ، فمَن على هذه القراءة نصب ، وعلى القراءة الأولى خفض . وقد بيَّنا ذلك فى سورة الأنعام .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جريج ، قوله (نَرْفَعُ دَرَجاتٍ مَنْ نَشاءُ) يوسف وإخوته أُوتوا علما ، فرفعنا يوسف فوقهم فى العلم .

وقوله (وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ) يقول تعالى ذكره : وفوق كل عالم مَنْ هو أعلم منه ، حتى ينتهى ذلك إلى الله تعالى ، وإنما عَنَى بذلك أن يوسف أعلم إخوته ، وأن فوق يوسف من هو أعلم من يوسف ، حتى ينتهى ذلك إلى الله تعالى .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا أبوعامر العَقَدىّ ، قال : ثنا سفيان ، عن عبد الأعلى الثعلبىّ ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، أنه حدّث بحديث ، فقال رجل عنده (وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ) فقال ابن عباس : بئسما قلت ، إن الله هو عليم ، وهو فوق كلّ عالم .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ؛ وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن عبد الأعلى ،

(١) كذا وردت هذه الكلمة فى الأصل المخطوط ، وفيها غموض .

عن سعيد بن جبير ، قال : حدث ابن عباس بحديث ، فقال رجل عنده : الحمد لله (وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ) فقال ابن عباس : العالم الله ، وهو فوق كلّ عالم .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثورىّ ، عن عبد الأعلى ، عن سعيدبن جبير ، قال : كنا عند ابن عباس ، فحدّث حديثا ، فتعجب رجل فقال : الحمد لله (وفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ) فقال ابن عباس : بئسما قلت : الله العليم[1] ، وهو فوق كل عالم .

حدثنا الحسن بن محمد وابن وكيع ، قالا : ثنا عمرو بن محمد ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن سالم ، عن عكرمة ، عن ابن عباس (وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ) قال : يكون هذا أعلم من هذا ، وهذا أعلم من هذا ، والله فوق كل عالم .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا سعيد بن منصور ، قال : أخبرنا أبو الأحوص ، عن عبد الأعلى عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس (وَفَوْقَ كلّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ) قال : الله الخبير العليم فوق كلّ عالم.

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبيد الله ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن عبد الأعلى ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس (وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ) قال : الله فوق كلّ عالم .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ؛ وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى عن أبى معشر ، عن محمد بن كعب ، قال : سأل رجل عليا عن مسئلة ، فقال فيها ، فقال الرجل : ليس هكذا ، ولكن كذا وكذا ، قال علىّ : أصبت وأخطأت (وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ) .

حدثنى يعقوب وابن وكيع ، قالا : ثنا ابن عُلَيَة ، عن خالد ، عن عكرمة ، فى قوله (وَفَوْقَ كُلِّ ذِى علْمٍ عَلِيمٌ) قال : علم الله فوق كلّ أحد .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن نمير ، عن نصر ، عن عكرمة ، عن ابن عباس (وَفَوْقَ كُلِّ ذِى علْمٍ عَلِيمٌ) قال : الله عزّ وجلّ .

حدثنا ابن وكيع ، ثنا يعلى بن عبيد ، عن سفيان ، عن عبد الأعلى ، عن سعيد بن جبير (وَفَوْقَ كُلِّ ذِى علْمٍ عَلِيمٌ) قال : الله أعلم من كلّ أحد .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن ابن شبرمة ، عن الحسن ، فى قوله (وَفَوْقَ كُلِّ ذِى علْمٍ عَلِيمٌ) قال : ليس عالم إلا فوقه عالم حتى ينتهى العلم إلى الله .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عاصم ، قال : ثنا جويرية ، عن بشير الهجيمى ، قال : سمعت الحسن قرأ هذه الآية يوما (وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ) ، ثم وقف فقال : إنه والله ما أمسى على ظهر الأرض عالم إلا فوقه من هو أعلم منه ، حتى يعود العلم إلى الذى علمه .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا علىّ ، عن جرير ، عن ابن شُبْرُمة ، عن الحسن (وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ) قال : فوق كل عالم عالم ، حتى ينتهى العلم إلى الله .

(١) لعل هذه الرواية أظهر من التى قبلها ، فإن ابن عباس فهم من كلام الرجل أنه هو العليم ، فرد عليه القول بأن العليم هو الله ، أما من عداه فيوصف بأنه عالم ، لاعليم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ) حتى ينتهى العلم إلى الله ، منه بدئ ، وتعلمت العلماء ، وإليه يعود . فى قراءة عبد الله (وَفَوْقَ كُلِّ عالِمٍ عَلِيمٌ) .

قال أبو جعفر : إن قال لنا قائل : وكيف جاز ليوسف أن يجعل السقاية فى رحل أخيه ، ثم يسرق قوما أبرياء من السَّرَق ، ويقول (أَيَّتُهَا العِيرُ إِنَّكُمْ لَسارِقُونَ) ؟ قيل : إن قوله (أَيَّتُهَا العِيرُ إِنَّكُمْ لَسارِقُونَ) إنما هو خبر من الله عن مؤذّن أذّن به ، لاخبر عن يوسف . وجائز أن يكون المؤذّن أذن بذلك أنْ فَقَدَ الصواع ، ولايعلم بصنيع يوسف . وجائز أن يكون كان أذن المؤذن بذلك عن أمر يوسف ، واستجاز الأمر بالنداء بذلك ، لعلمه بهم أنهم قد كانوا سرقوا سرقة فى بعض الأحوال ، فأمر المؤذن أن يناديهم بوصفهم بالسَّرَق ، ويوسف يعنى ذلك السرق ، لاسرقهم الصواع . وقد قال بعض أهل التأويل : إن ذلك كان خطأ من فعل يوسف ، فعاقبه الله بإجابة القوم إياه (إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ) وقد ذكرنا الرواية فيما مضى بذلك .

القول فى تأويل قوله تعالى

* قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ ، فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ ، قَالَ : أَنْتُمْ شَرٌّ مَكَانًا ، وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ (٧٧)

يقول تعالى ذكره (قالُوا إِنْ يَسْرِقَ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ من قَبْلُ) يعنون أخاه لأبيه وأمه ، وهو يوسف .

كما حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ) ليوسف .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ) قال : يعنى يوسف .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ) قال : يوسف .

وقد اختلف أهل التأويل فى السَّرَق الذى وصفوا به يوسف ، فقال بعضهم : كان صنما لجده أبى أمه ، كسره وألقاه على الطريق .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أحمد بن عمرو البصرى ، قال : ثنا العيص بن الفضل ، قال : ثنا مسعر ، عن أبى حصين ، عن سعيد بن جبير (إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ) قال : سرق يوسف صنما لجدّه أبى أمه ، كسره وألقاه فى الطريق ، فكان إخوته يعيبونه بذلك .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ) ذكر أنه سرق صنما لجدّه أبى أمه ، فعيروه بذلك .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ) : أرادوا بذلك عيب نبىّ الله يوسف ، وسرقته التى عابوه بها صنم كان لجدّه أبى أمه ، فأخذه ، إنما أراد نبىّ الله بذلك الخير ، فعابوه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، فى قوله (إِنْ يَسْرِقْ فقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ من قَبْلُ) قال : كانت أم يوسف أمرت يوسف يسرق صنما لخاله يعبده ، كانت مسلمة

وقال آخرون فى ذلك ما حدثنا به أبو كريب ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : سمعت أبى ، قال : كان بنو يعقوب على طعام اضطرّ يوسف إلى عَرْق[1] ، فخبأه ، فعيروه بذلك (إن يَسْرِقْ ، فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ) .

وقال آخرون فى ذلك بما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة عن ابن إسحاق ، عن عبد الله بن أبى نجيح ، عن مجاهد أبى الحجاج ، قال : كان أول ما دخل على يوسف من البلاء فيما بلغنى ، أن عمته ابنة إسحاق ، وكانت أكبر ولد إسحاق ، وكانت إليها منطقة إسحاق ، وكانوا يتوارثونها بالكبر ، فكان من اختصّ بها ممن وليها كان له سلما لاينازع فيه ، يصنع فيه ما شاء ، وكان يعقوب حين ولد له يوسف ، كان قد حضنته عمته ، فكان معها وإليها ، فلم يحب أحد شيئا من الأشياء حبها إياه ، حتى إذا ترعرع وبلغ سنوات ، وقعت نفس يعقوب عليه ، أتاها فقال : ياأخية سلمى إلىّ يوسف ، فوالله ما أقدر على أن يغيب عنى ساعة ، فقالت : والله ما أنا بتاركته ، والله ما أقدر أن يغيب عنى ساعة ، قال : فوالله ما أنا بتاركه ، قالت : فدعه عندى أياما أنظر إليه ، وأسكن عنه ، لعل ذلك يسلينى عنه ، أو كما قالت ؛ فلما خرج من عندها يعقوب عمدت إلى منطقة إسحاق فحزمتها على يوسف من تحت ثيابه ، ثم قالت : لقد فقدت منطقة إسحاق ، فانظروا من أخذها ومن أصابها فالتمست ثم قالت : اكشفوا أهل البيت ، فكشفوهم ، فوجدوها مع يوسف ، فقالت والله إنه لى لسلم أصنع فيه ما شئت . قال : وأتاها يعقوب فأخبرته الخبر ، فقال لها : أنت وذاك إن كان فعل ذلك فهو سلم لك . ما أستطيع غير ذلك ، فأمسكته ، فماقدر عليه يعقوب حتى ماتت قال : فهو الذى تقول إخوة يوسف حين صنع بأخيه ماصنع حين أخذه (إِنْ يَسْرِقْ فقَدْ سرَقَ لَهُ أَخٌ من قَبْلُ).

قال ابن حميد ، قال ابن إسحاق : لما رأى بنو يعقوب ما صنع إخوة يوسف ، ولم يشكوا أنه سرق ، قالوا أسفا عليهم ، لما دخل عليهم فى أنفسهم تأنيبا له (إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ) فلما سمعها يوسف (قالَ أَنْتُمْ شَرٌّ مَكانا) سرّا فى نفسه (وَلَمْ يُبْدِها لَهُمْ - واللهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ) .

وقوله (فَأَسَرَّها يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِها لَهُمْ ، قالَ أَنْتُمْ شَرٌّ مَكانا ، وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ) يعنى بقوله : فأسرّها : فأضمرها ، وقال : فأسرّها : فأنث ، لأنه عنى بها الكلمة ، وهى

(١) العرق ، بفتح العين ، وإسكان الراء : العظم إذا أخذ عنه معظم اللحم ، وبقى عليه لحوم رقيقة طيبة فيؤكل لحمه ، ويتمشش عظمه ، والعرق أيضا : القدرة من اللحم (اللسان) .

أنتم شرّ مكانا ، والله أعلم بما تصفون ، ولو كانت جاءت بالتذكير كان جائزا ، كما قيل (تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الغَيْبِ ـ و ـ ذلكَ مِنْ أَنْبَاءِ القُرَى) ، وكنى عن الكلمة ، ولم يجر لها ذكر متقدّم ، والعرب تفعل ذلك كثيرا ، إذا كان مفهوما المعنى المراد عند سامعى الكلام ، ، وذلك نظير قول حاتم الطائى :

أماوِيَّ ما يُغْنِى الثَّرَاءُ عَنِ الفَتَى إذَا حَشْرَجَتْ يَوْما وَضَاقَ بِها الصَّدْرُ[1]

يريد : وضاق بالنفس الصدر ، فكنى عنها ، ولم يجر لها ذكر ، إذ كان فى قوله : إذا حشرجت يوما ، دلالة لسامع كلامه على مراده بقوله : وضاق بها . ومنه قول الله (ثُمَّ إنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هاجَرُوا مِنْ بَعْدِ ما فُتِنُوا، ثُمَّ جاهَدُوا وَصَبَرُوا، إنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِها لَغَفُورٌ رَحِيمٌ) فقال : من بعدها ، ولم يجر قبل ذلك ذكر لاسم مؤنث .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَأَسَرَّها يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِها لَهُمْ) أما الذى أسرّ فى نفسه فقوله (أَنْتُمْ شَرٌّ مَكانا ، وَاللهُ أَعْلَمُ بِما تَصِفُونَ) .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (فَأَسَرَّها يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ ، وَلَمْ يُبْدِها لَهُمْ ، قالَ أَنْتُمْ شَرٌّ مَكانا ، وَاللهُ أَعْلَمُ بِما تَصِفُونَ) قال هذا القول .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، (فَأَسَرَّها يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِها لَهُمْ) يقول : أسرّ فى نفسه قوله (أَنْتُمْ شَرٌّ مَكانا ، وَاللهُ أَعْلَمُ بِما تَصِفُونَ) .

وقوله (وَاللهُ أَعْلَمُ بِما تَصِفُونَ) يقول : والله أعلم بما تكذبون فيما تصفون به أخاه بنيامين .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد، قوله (أَنْتُمْ شَرٌّ مَكانا ، وَاللهُ أَعْلَمُ بِما تَصِفُونَ) يقولون : يوسف يقوله .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد مثله .

حدثنى المثنى ، قال : أخبرنا إسحاق، قال: ثنا عبد الله ، عن ورقاء، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد مثله.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد ، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (وَاللهُ أَعْلَمُ بِما تَصِفُونَ): أى بما تكذبون .

---

(١) البيت فى (اللسان : حشرج) قال : الحشرجة : تردد صوت النفس ، وهو الغرغرة فى الصدر عند الموت . تمثلت بالبيت أم المؤمنين عائشة بنت أبى بكر ودخلت على أبيها عند موته قائلة :

لعمرك ما يغنى الثراء ولا الغنى إذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر

والبيت لحاتم يخاطب زوجه ماوية . والشاهد فيه : أن الضمير فى حشرجت ليس له مرجع مذكور فى الكلام .

فمعنى الكلام إذن : فأسرّها يوسف فى نفسه ولم يبدها لهم ، قال : أنتم شرّ عند الله منزلا ممن وصفتموه بأنه سرق ، وأخبث مكانا بما سلف من أفعالكم ، والله عالم بكذبكم ، وإن جهله كثير ممن حضر من الناس .

وذُكر أن الصواع لما وُجد فى رحل أخى يوسف تلاوم القوم بينهم ، كما حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدىّ ، قال : لما استخرجت السرقة من رحل الغلام انقطعت ظهورهم ، وقالوا : يا بنى راحيل ، مايزال لنا منكم بلاء حتى أخذت هذا الصواع ، فقال بنيامين : بل بنو راحيل الذين لايزال لهم منكم بلاء ، ذهبتم بأخى فأهلكتموه فى البرّية ، وضع هذا الصواع فى رحلى الذى وضع الدراهم فى رحالكم ، فقالوا : لاتذكر الدراهم فنؤخذ بها ؛ فلما دخلوا على يوسف دعا بالصواع ، فنقر فيه ، ثم أدناه من أذنه ، ثم قال : إن صواعى هذا ليخبرنى أنكم كنتم اثنى عشر رجلا ، وأنكم انطلقتم بأخ لكم فبعتموه ؛ فلما سمعها بنيامين ، قام فسجد ليوسف ، ثم قال : أيها الملك سل صواعك هذا عن أخى أحىّ هو ؟ فنقره ، ثم قال : هو حىّ ، وسوف تراه ، قال : فاصنع بى ماشئت ، فإنه إن علم بى سوف يستنقذنى ، قال : فدخل يوسف فبكى ، ثم توضأ ، ثم خرج فقال بنيامين : أيها الملك إنى أريد أن تضرب صواعك هذا فيخبرك بالحقّ ، فسله من سرقه ، فجعله فى رحلى ، فنقره فقال : إن صواعى هذا غضبان ، وهو يقول : كيف تسألنى عن صاحبى ، وقد رؤيت مع من كنت ، قال : وكان بنو يعقوب إذا غضبوا لم يطاقوا ، فغضب روبيل ، فقال : أيها الملك ، والله لتتركنا ، أو لأصيحنّ صيحة لايبقى بمصر امرأة حامل إلا ألقت ما فى بطنها ، وقامت كلّ شعرة فى جسد روبيل ، فخرجت من ثيابه ، فقال يوسف لابنه : قم إلى جنب روبيل فمسه ؛ وكان بنو يعقوب إذا غضب أحدهم فمسه الآخر ذهب غضبه ، فمرّ الغلام إلى جنبه فمسه ، فذهب غضبه ، فقال روبيل : من هذا ؟ إن فى هذا البلد لبزرا من بزر يعقوب ، فقال يوسف من يعقوب ؟ فغضب روبيل فقال : يا أيها الملك لاتذكر يعقوب ، فإنه سرىّ الله ، ابن ذبيح الله ، ابن خليل الله ، قال يوسف : أنت إذن كنت صادقا .

القول فى تأويل قوله تعالى

قَالُوا : يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا ، فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ ، إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (٧٨)

يقول تعالى ذكره : قالت إخوة يوسف ليوسف (يا أيُّها العَزِيزُ) يا أيها الملك (إنَّ لَهُ أبا شَيْخا كَبِيرًا) كلفا بحبه ، يعنون يعقوب (فَخُذْ أحَدنا مَكانَهُ) يعنون فخذ أحدا منا بدلا من بنيامين ، وخلّ عنه (إنَّا نَرَاكَ مِنَ المُحْسِنِينَ) يقولون : إنا نراك من المحسنين فى أفعالك .

وقال محمد بن إسحاق فى ذلك ، ما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (إنَّا نَرَاكَ مِنَ المُحْسِنِينَ) إنا نرى ذلك منك إحسانا إن فعلت .

القول فى تأويل قوله تعالى

قَالَ : مَعَاذَ اللهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَعَنَا عِنْدَهُ ، إِنَّا إِذًا لَّظَالِمُونَ (٧٩)

يقول تعالى ذكره : قال يوسف لإخوته (مَعَاذَ اللهِ) أعوذ بالله ، وكذلك تفعل العرب فى كل مصدر وضعته موضع يَفْعُل ويَفْعِل ، فإنها تنصب كقولهم : حمدًا لله وشكرا له ، بمعنى : أحمد الله وأشكره ؛ والعرب تقول فى ذلك : معاذ الله ، ومعاذة الله ، فتدخل فيه هاء التأنيث كما يقولون : ما أحسن معناه هذا الكلام ، وعوذ الله ، وعوذة الله ، وعياذ الله ؛ ويقولون : اللهمّ عائذا بك ، كأنه قيل : أعوذ بك عائذا ، أو أدعوك عائذا (أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ) يقول : أستجير بالله من أن نأخذ بريئا بسقيم ؛

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (قالَ مَعَاذَ اللهُ أَنْ نَأْخُذَ إِلاَّ مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ ، إِنَّا إِذًا لَظَالِمُونَ) يقول : إن أخذنا غير الذى وجدنا متاعنا عنده ، إنا إذا نفعل ما ليس لنا فعله ، ونجور على الناس .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدىّ (قالُوا يا أَيُّها العَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبا شَيْخا كَبِيرًا ، فَخُذْ أَحَدَنا مَكانَهُ ، إِنَّا نَرَاكَ مِنَ المُحْسِنِينَ ، قالَ مَعَاذَ اللهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلاَّ مَنْ وَجَدْنا مَتاعَنا عِنْدَهُ ، إِنَّا إِذًا لَظالِمُونَ) قال يوسف : إذا أتيتم أباكم فأقرئوه السلام ، وقولوا له : إن ملك مصر يدعو لك أن لاتموت حتى ترى ابنك يوسف ، حتى يعلم أن فى أرض مصر صدّيقين مثله .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا ، قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ اللهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِى يُوسُفَ ، فَلَنْ أَبْرَحَ الأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِى أَبِى أَوْ يَحْكُمَ اللهُ لِى ، وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ (٨٠)

يعنى تعالى ذكره (فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ) فلما يئسوا منه من أن يخلى يوسف عن بنيامين ، ويأخذ منهم واحدا مكانه ، وأن يجيبهم إلى ماسألوه من ذلك ، وقوله (اسْتَيْأَسُوا) استفعلوا ، من يئس الرجل من كذا ييأس .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ) يئسوا منه ورأوا شدّته فى أمره .

وقوله (خَلَصُوا نَجِيًّا) يقول بعضهم لبعض : يتناجون ، لايختلط بهم غيرهم ، والنجىّ جماعة القوم المنتجين يسمى به الواحد والجماعة ، كما يقال : رجل عدل ، ورجال عدل ، وقوم زور وفطر ، وهو

مصدر من قول القائل : نجوت فلانا أنجوه نجيا ، جعل صفة ونعتا . ومن الدليل على أن ذلك كما ذكرنا قول الله تعالى (وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا) فوصف به الواحد ، وقال فى هذا الموضع : خَلَصوا نَجِيا ، فوصف به الجماعة ويجمع النَّجِىّ أنجية ، كما قال لبيد :

وشَهِدْتُ أَنْجِيَةَ الأُفاقَةِ عالِيا كَعْبِى وأَرْدَافُ المُلُوكِ شُهُودُ [١]

وقد يقال للجماعة من الرجال : نجوى ، كما قال جلّ ثناؤه (وَإِذْ هُمْ نَجْوَى) وقال (ما يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاثَةٍ) وهم القوم الذين يتناجون ، وتكون النجوى أيضا مصدرا ، كما قال الله (إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ) تقول منه : نجوت أنجو نجوى ، فهى فى هذا الموضع : المناجاة نفسها ، ومنه قول الشاعر :

بُنَىَّ بَدَا خِبٌّ نَجْوَى الرِّجالِ فَكُنْ عِنْدَ سِرِّكَ خَبَّ النَّجِى [٢]

فالنجوى والنجىّ فى هذا البيت بمعنى واحد ، وهو المناجاة ، وقد جمع بين اللغتين .

وبنحو الذى قلنا فى تأويل قوله (خَلَصُوا نَجِيًّا) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدىّ (فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا) وأخلص لهم شمعون وقد كان ارتهنه ، خَلَوْا بينهم نجيا : يتناجون بينهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (خَلَصُوا نَجِيًّا) خلصوا وحدهم نجيا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (خَلَصُوا نَجِيًّا) : أى خلا بعضهم ببعض ، ثم قالوا : ماذا ترون .

وقوله (قالَ كَبِيرُهُمْ) اختلف أهل العلم فى المعنىّ بذلك ، فقال بعضهم : عنى به كبيرهم فى العقل والعلم ، لا فى السنّ ، وهو شمعون ، قالوا : وكان روبيل أكبر منه فى الميلاد .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ،

---

(١) البيت للبيد ، استشهد به أبو عبيدة فى (مجاز القرآن ١ : ٣١٥) قال فى معنى قوله تعالى (خلصوا نجيا) : أى اعتزلوا نجيا يتناجون . والنجى : يقع لفظه على الواحد والجمع أيضا . وقد يجمع ، فيقال : نجى وأنجية ، وقال لبيد : « وشهدت أنجية » . . . البيت . والشاهد فيه أن فاعل حشرجت ضمير تقديره هى راجع إلى النفس المفهومة من السياق . والنفس مؤنثة ، فلذلك أنث الفعل بالتاء . وانظره فى (اللسان : أفق) .

(٢) البيت للصلتان العبدى : قثم بن خبية ، أورده صاحب الخزانة مع عدة أبيات له (١ : ٣٠٨) وأورد المقطوعة أبو تمام فى الحماسة ، وعدتها تسعة أبيات وقال التبريزى فى شرح البيت (٣ : ١١٢) : الخب : المكر بكسر الخاء ، والخب بفتحها : المكار . والنجوى مصدر ، وهو مستعمل . فيما يتحدث فيه اثنان ، على طريق السر والكتمان . فيقول : إذا ناجيت صاحبا لك . فكن خبا فيما تودعه من سرك فإن نجوى الرجال إذا بدا خبها عادت وبالا . والنجى : يقع على الواحد والجمع ، وكذلك النجوى ؛ وفى القرآن : وإذ هم نجوى . اهـ .

فى قول الله تعالى (قالَ كَبيرُهُمْ) قال : هو شمعون الذى تخلف ، وأكبر منه ، وأكبر منهم فى الميلاد روبيل .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (قالَ كَبيرُهُمْ) : شمعون الذى تخلف ، وأكبر منه فى الميلاد روبيل .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنى المثنى ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن الزبير ، عن سفيان ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (قالَ كَبيرُهُمْ) قال : شمعون : الذى تخلف ، وأكبرهم فى الميلاد : روبيل .

وقال آخرون : بل عَنَى به كبيرهم فى السنّ ، وهو روبيل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (قالَ كَبيرُهُمْ) وهو روبيل أخو يوسف ، وهو ابن خالته ، وهو الذى نهاهم عن قتله .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (قالَ كَبيرُهُمْ) قال : رُوبيل ، وهو الذى أشار عليهم أن لايقتلوه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدىّ (قالَ كَبيرُهُمْ) فى العلم [1] (أنَّ أباكُمْ قَدْ أخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقا مِنَ اللهِ ، وَمِنْ قَبْلُ ما فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ ، فَلَنْ أبْرَحَ الأرْضَ) . . . الآية ، فأقام روبيل بمصر ، وأقبل التسعة إلى يعقوب فأخبروه الخبر ، فبكى وقال : يا بنىّ ماتذهبون مرّة إلا نقصتم واحدا ، ذهبتم مرّة فنقصتم يوسف ، وذهبتم الثانية فنقصتم شمعون ، وذهبتم الآن فنقصتم روبيل .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (فَلَمَّا اسْتَيْأسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا) قال : ماذا ترون ؟ فقال رُوبيل كما ذُكر لى ، وكان كبير القوم (أَلَمْ تَعْلَمُوا أنَّ أباكُمْ قَدْ أخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقا مِنَ اللهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إلاَّ أنْ يُحاطَ بِكُمْ ، وَمِنْ قَبْلُ ما فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ) . . . الآية

☆☆ وأولى الأقوال فى ذلك بالصحة : قول من قال : عنى بقوله (قالَ كَبيرُهُمْ) رُوبيل لإجماع جميعهم على أنه كان أكبرهم سنا ، ولا تفهم العرب فى المخاطبة إذا قيل لهم : فلان كبير القوم مطلقا ، بغير وصل ، إلا أحد معنيين ، إما فى الرياسة عليهم والسؤدد ، وإما فى السنّ ، فأما فى العقل فإنهم إذا أرادوا ذلك وصلوه ، فقالوا : هو كبيرهم فى العقل ، فأما إذا أطلق بغير صلته بذلك ، فلا يفهم إلا ماذكرت . وقد قال أهل التأويل لم يكن لشمعون ، وإن كان قد كان من العلم والعقل بالمكان الذى جعله الله به ، على إخوته رياسة وسؤدد ، فيعلم بذلك أنه عنى بقوله (قالَ كَبيرُهُمْ) ، فإذا كان ذلك كذلك ، فلم يبق إلا الوجه الآخر ، وهو الكبر فى السنّ ، وقد قال الذين ذكرنا جميعا ، رُوبيل كان أكبر القوم سنا ، فصحّ بذلك القول الذى اخترناه .

وقوله (أَلَمْ تَعْلَمُوا أنَّ أباكُمْ قَدْ أخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقا مِنَ اللهِ) يقول : ألم تعلموا أيها

(١) لعله فى السن ، تأمل .

القوم أن أباكم يعقوب قد أخذ عليكم عهود الله ومواثيقه ، لنأتينه به جميعا ، إلا أن يُحاط بكم ، ومن قبل فعلتكم هذه تفريطكم فى يوسف : يقول : أو لم تعلموا من قبل هذا تفريطكم فى يوسف . وإذا صرف تأويل الكلام إلى هذا الذى قلناه ، كانت « ما » حينئذ فى موضع نصب . وقد يجوز أن يكون قوله (وَمِنْ قَبْلُ ما فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ) خبرا مبتدأ ، ويكون قوله (أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَباكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقا مِنَ اللهِ) خبرا متناهيا ، فتكون « ما » حينئذ فى موضع رفع ، كأنه قيل : ومن قبل هذا تفريطكم فى يوسف ، فتكون « ما » مرفوعة بمن قبل هذا ، ويجوز أن تكون « ما » التى تكون صلة فى الكلام ، فيكون تأويل الكلام : ومن قبل هذا تفريطكم [1] فى يوسف .

وقوله (فَلَنْ أَبْرَحَ الأَرْضَ) التى أنا بها ، وهى مصر فأفارقها (حتى يَأْذَنَ لى أبى) بالخروج منها.

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (فَلَنْ أَبْرَحَ الأَرْضَ) التى أنا بها اليوم (حتى يَأْذَنَ لى أبى) بالخروج منها .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قال شمعون (لَنْ أَبْرَحَ الأَرْضَ حتى يَأْذَنَ لى أبى ، أَوْ يَحْكُمَ اللهُ لى وَهُوَ خَيْرُ الحاكِمِينَ) .

وقوله (أَوْ يَحْكُمَ اللهُ لى) : أو يقضىَ لى ربى بالخروج منها ، وترك أخى بنيامين ، وإلا فانى غير خارج (وَهُوَ خَيْرُ الحاكِمِينَ) يقول : والله خير من حكم ، وأعدل من فصل بين الناس .

وكان أبو صالح يقول فى ذلك بما حدثنى الحسين بن يزيد السبيعىّ ، قال : ثنا عبد السلام بن حرب ، عن إسماعيل بن أبى خالد ، عن أبى صالح فى قوله (حتى يَأْذَنَ لى أبى أَوْ يَحْكُمَ اللهُ لى) قال : بالسيف ، وكأن أبا صالح وجه تأويل قوله (أَوْ يَحْكُمَ اللهُ لى) إلى : أو يقضىَ الله لى بحرب مَنْ منعنى من الانصراف بأخى بنيامين إلى أبيه يعقوب ، فأحاربه .

القول فى تأويل قوله تعالى

ارْجِعُوا إِلَىٰ أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ ۖ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا ۖ وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ (٨١)

☆ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل رُوبيل لإخوته حين أخذ يوسف أخاه بالصواع الذى استخرج من وعائه (ارْجِعُوا) إخوتى (إلى أَبِيكُمْ) يعقوب ، (فَقُولُوا) له (يا أَبانا إنَّ ابْنَكَ) بنيامين (سَرَقَ) ؛ والقراء على قراءة هذا الحرف بفتح السين والراء والتخفيف (إنَّ ابْنَكَ سَرَقَ) . ورُوى عن ابن عباس (إن ابْنَكَ سُرِّقَ) بضم السين وتشديد الراء ، على وجه ما لم يسمّ فاعله ، بمعنى : أنه سُرِّق (وَما شَهِدْنا إلاَّ بِما عَلِمْنا) .

(١) هذا مصدر صريح ، مأخوذ من ما المصدرية والفعل الماضى « مافرطتم » .

واختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معناه : وما قلنا : إنه سَرَق إلا بظاهر علمنا بأن ذلك كذلك ، لأن صوَاع الملك أصيب فى وعائه ، دون أوعية غيره .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (ارْجِعُوا إلى أبِيكُمْ) فإنى ما كنتَ راجعا حتى يأتينى أمره (فقُولُوا يا أبانَا إنَّ ابْنَكَ سَرَقَ ، وَما شَهِدْنا إلاَّ بِمَا عَلِمْنا) : أى قد وُجِدَت السرقة فى رحله ، ونحن ننظر لاعلم لنا بالغيب (وَما كُنَّا للغَيْبِ حافِظِينَ) .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : وما شهدنا عند يوسف بأن السارق يؤخذ بسرقته إلا بما علمنا .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : قال لهم يعقوب عليه السلام : مايدرى هذا الرجل أن السارق يؤخذ بسرقته إلا بقولكم ؟ فقالوا : (ماشَهِدْنا إلاَّ بما عَلِمْنا) لم نشهد أن السارق يؤخذ بسرقته ، إلا وذلك الذى علمنا . قال : وكان الحكم عند الأنبياء يعقوب وبنيه : أن يؤخذ السارق بسرقته عبدا فيسترقّ .

وقوله (وَما كُنَّا للغَيْبِ حافِظِينَ) يقول : وما كنا نرى أن ابنك يَسْرِق ويصير أمرنا إلى هذا ، وإنما قلنا (وَنَحْفَظُ أخانا) : مما لنا إلى حفظه منه السبيل .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسين بن الحريت أبوعمار المروزىّ ، قال : ثنا الفضل بن موسى ، عن الحسن بن واقد ، عن يزيد ، عن عكرمة (وَما كُنَّا للغَيْبِ حافِظِينَ) قال : ما كنا نعلم أن ابنك يسرق .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَما كُنَّا للغَيْبِ حافِظِينَ) لم نشعر أنه سيسرق .

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَما كُنَّا للغَيْبِ حافِظِينَ) قال : لم نشعر أنه سيسرق .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَما كُنَّا للغَيْبِ حافِظِينَ) قال : لم نشعر أنه سيسرق .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد وأبوسفيان ، عن معمر ، عن قتادة (وَما كُنَّا للغَيْبِ حافِظِين) قال : ما كنا نظنّ ولا نشعر أنه سيسرق .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَما كُنَّا للغَيْبِ حافِظِينَ) قال : ما كنا نرى أنه سيسرق .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَما كُنَّا للغَيْبِ حافِظِينَ) قال : ما كنا نظنّ أن ابنك يسرق .

⁂ وأولى التأويلين بالصواب عندنا فى قوله (وَما شَهِدْنا إلاَّ بِمَا عَلِمْنا) : قول من قال : وما شهدنا بأن ابنك سرق ، إلا بما علمنا من رؤيتنا للصواع فى وعائه ، لأنه عقيب قوله (إنَّ ابْنَكَ سَرَقَ) ، فهو بأن يكون خبرا عن شهادتهم بذلك ، أولى من أن يكون خبرا عما هو منفصل .

وذكر أن الغيب فى لغة حمير : هو الليل بعينه .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَسْئَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِى كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِى أَقْبَلْنَا فِيهَا ، وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ، (٨٢)

⁂ يقول : وإن كنت متهما لنا لاتصدّقنا على مانقول من أن ابنك سرق ، فاسأل القرية التى كنا فيها ، وهى مصر ، يقول : سل من فيها من أهلها (والعيرَ التى أقْبَلْنا فيها) وهى القافلة التى كنا فيها ، التى أقبلنا منها معها ، عن خبر ابنك ، وحقيقة ما أخبرناك عنه من سرقه ، فإنك تخبرُ مصداق ذلك (وإنَّا لَصَادِقونَ) فيما أخبرناك من خبره .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (واسأَلِ القَرْيَةِ التى كُنَّا فيها) وهى مصر .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس : (وَاسأَلِ القَرْيَةَ التى كُنَّا فيها) قال : يعنون مصر .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : قد عرف رُوبيل فى رجع قوله لإخوته أنهم أهل تُهَمة عند أبيهم ، لما كانوا صنعوا فى يوسف ، وقولهم له (اسأَلِ القَرْيَةَ التى كُنَّا فِيها ، والعِيرَ التى أقْبَلْنا فِيها) فقد علموا ماعلمنا ، وشهدوا ماشهدنا إن كنت لاتصدقنا (وَإنَّا لَصَادِقُونَ) .

القول فى تأويل قوله تعالى

قَالَ : بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ، عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا ، إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٨٣)

⁂ قال أبو جعفر : فى الكلام متروك ، وهو : فرجع إخوة بنيامين إلى أبيهم ، وتخلّف روبيل ، فأخبروه خبره ، فلما أخبروه أنه سرق قال (بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أنْفُسُكُمْ أمْرًا) يقول : بل زيّنت لكم أنفسكم أمرا هممتم به وأردتوه (فصَبْرٌ جَمِيلٌ) يقول : فصبرى على ما نالنى من فقد ولدى صبر جميل لاجزع

فيه ولا شكاية ، عسى الله أن يأتيني بأولادي جميعا ، فيردّهم عليّ (إنَّهُ هُوَ العَلِيمُ) بوحدتي وبفقدهم وحزني عليهم ، وصدق مايقولون من كذبه (الحَكِيمُ) في تدبيره خلقه .

وبنحو ما قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ) يقول : زينت ، وقوله (عَسَى اللهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا) يقول : بيوسف وأخيه وروبيل .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : لما جاءوا بذلك إلى يعقوب ، يعني بقول روبيل لهم اتهمهم ، وظنّ أن ذلك كفعلتهم بيوسف ، ثم قال (بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا) : أي بيوسف وأخيه وروبيل .

القول في تأويل قوله تعالى

وَتَوَلَّى عَنْهُمْ ، وَقَالَ : يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ ، فَهُوَ كَظِيمٌ (٨٤)

⁂ يعني تعالى ذكره بقوله (وَتَوَلَّى عَنْهُمْ) وأعرض عنهم يعقوب (وَقَالَ يا أسَفا على يُوسُفَ) يعني : ياحزنا عليه ، يقال : إن الأسف هو أشدّ الحزن والتندم ، يقال منه : أسفت على كذا آسف عليه أسفا ، يقول الله جلّ ثناؤه : وابيضت عينا يعقوب من الحزن (فَهُوَ كَظِيمٌ) يقول : فهو مكظوم على الحزن ، يعني أنه مملوء منه ممسك عليه ، لايبينه صرف المفعول منه إلى فعيل .

ومنه قوله (والكاظِمِينَ الغَيْظَ) وقد بيّنا معناه بشواهده فيما مضى .

وبنحو ما قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ما قلنا في تأويل قوله (وَقَالَ يا أسَفَا على يُوسُفَ)

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (وَتَوَلَّى عَنْهُمْ) أعرض عنهم ، وتتامّ حزنه ، وبلغ مجهوده حين لحق بيوسف أخوه ، وهيج عليه حزنه على يوسف ، فقال (يا أسَفَا على يُوسُفَ ، وابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الحُزْنِ ، فَهُوَ كَظِيمٌ) .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يا أسَفَا على يُوسُفَ) يقول : ياحزني على يوسف .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (يا أسَفَا على يُوسُفَ) : يا حزنا .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (يا أسَفَا على يُوسُفَ) : ياجزعاه .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (يا أسَفَا على يُوسُفَ) ياجزعاه حزنا .

حدثنى المثنى ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (يا أسَفَا على يُوسُفَ) قال : ياجزعا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يا أسَفَا على يُوسُفَ) أى حزناه .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (يا أسَفَا على يُوسُفَ) قال : ياحزناه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا محمد بن حميد المَعْمَرى ، عن معمر ، عن قتادة نحوه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس (وَقالَ يا أسَفَا على يُوسُفَ) [1] .

حدثنا أبوكريب ، قال : ثنا وكيع ؛ وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن أبى حجيرة ، عن الضحاك (يا أسَفَا على يُوسُفَ) قال : ياحَزَنا على يوسف .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أبى مرزوق ، عن جويبر ، عن الضحاك (يا أسَفَا) ياحزناه.

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : ثنى هشيم ، قال : أخبرنا جويبر عن الضحاك (يا أسَفَا) ياحزنا على يوسف .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق قال : أخبرنا الثورىّ ، عن سفيان العصفرىّ ، عن سعيد بن جبير ، قال : لم يعط أحد غير هذه الأمة الاسترجاع ، ألا تسمعون إلى قول يعقوب (يا أسَفَا على يُوسُفَ) .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبونعيم ، قال : ثنا سفيان ، عن سعيد بن جبير ، نحوه .

ذكر من قال ماقلنا فى تأويل قوله تعالى (وَابْيَضَّتْ عَيْناهُ مِنَ الحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ) .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (فهُوَ كَظِيمٌ) قال : كظيم الحزن .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (فَهُوَ كَظِيمٌ) قال : كظيم الحزن .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، نحوه .

حدثنى المثنى ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (فَهُوَ كَظِيمٌ) قال : الحزن .

---

(١) لعله ترك المتن اختصارا أو اكتفاء بما تقدم عنه بسند محمد بن سعد .

حدثنى المثنى ، قال : أخبرنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (فَهُوَ كَظِيمٌ) مكمود .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (فَهُوَ كَظِيمٌ) قال : كظيم على الحزن .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن جويبر ، عن الضحاك ، فى قوله (فَهُوَ كَظِيمٌ) قال : الكظيم : الكميد .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا المحاربى ، عن جويبر ، عن الضحاك ، فى قوله (فَهُوَ كَظِيمٌ) قال كميد .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا جويبر ، عن الضحاك ، فى قوله (كَظِيمٌ) قال : كميد .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ ، فَهُوَ كَظِيمٌ) يقول : يردّد حزنه فى جوفه ولم يتكلم بسوء .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (فَهُوَ كَظِيمٌ) قال : كظيم على الحزن فلم يقل بأسا .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا الحسين بن الحسن ، قال : ثنا ابن المبارك ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، فى قوله (وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ) قال : كظيم على الحزن فلم يقل إلا خيرا .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن يمان ، عن يزيد بن زُرَيع ، عن عطاء الخراسانىّ (فَهُوَ كَظِيمٌ) قال : مكروب

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدىّ (فَهُوَ كَظِيمٌ) قال : من الغيظ .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ » قال : الكظيم : الذى لايتكلم ، بلغ به الحزن حتى كان لايكلمهم .

القول فى تأويل قوله تعالى

قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَؤُا تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ (٨٥)

يعنى تعالى ذكره : قال ولد يعقوب الذين انصرفوا إليه من مصر له حين قال (يا أسَفَا على يُوسُفَ) تالله لاتزال تذكر يوسف .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : (تَفْتَؤُ) : تَفْتَرُّ من حبه .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (تَفْتَؤُ) : ما تَفْتُر من حبه ، كذا قال الحسن فى حديثه ، وهو غلط ، إنما هو : تَفْتَرُّ من حبه ، تزال تذكر يوسف .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن نُمير ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (قالُوا تاللهِ تَفْتَؤُ تَذْكُرُ يُوسُفَ) قال : لاتَفْتَرّ من حبه .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (تَفْتَؤُ) : تفتر من حبه .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (تاللهِ تَفْتَؤُ تَذْكُرُ يُوسُفَ) قال : لاتزال تذكر يوسف .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ؛ وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قالُوا (تاللهِ تَفْتَؤُ تَذْكُرُ يُوسُفَ) قال : لاتزال تذكر يوسف ، قال : لاتفتر من حبه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (تَفْتَؤُ تَذْكُرُ يُوسُفَ) قال : لاتزال تذكر يوسف .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (تَفْتَؤُ تَذْكُرُ يُوسُفَ) قال : لاتزال تذكر يوسف [1] .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (تَفْتَؤُ تَذْكُرُ يُوسُفَ) قال : لا تزال تذكر يوسف . يقال منه : ما فَتِئْت أقول ذاك ، وما فَتَأْت لغة ، أَفْتِئ وأَفْتَأُ فَتْأً وفُتُوءا . وحكى أيضا ما أفتأت به ؛ ومنه قول أوس بن حَجَر :

فما فَتِئَتْ حتى كأنَّ غُبارها سُرادِقُ يَوْمٍ ذى رِياحٍ تَرفَّعُ [2]

وقول الآخر :

فما فَتِئَتْ خَيْلٌ تَثُوبُ وتَدَّعِى ويَلْحَقُ مِنها لاحِقٌ وتَقَطَّعُ [3]

بمعنى : فما زالت ، وحذفت « لا » من قوله (تَفْتَؤُ) وهى مرادة فى الكلام ، لأن اليمين إذا كان ما بعدها خبرا لم يصحبها الجحد ، ولم تسقط اللام التى يجاب بها الأيمان ، وذلك كقول القائل : والله لآتينك ، وإذا كان مابعدها مجحودا ، تلقيت بما أو بلا ؛ فلما عُرِف موقعها حذفت من الكلام ، لمعرفة السامع بمعنى الكلام ، ومنه قول امرئ القيس :

(١) كذا فى النسخ وهو مكرر سندا ومتنا باللفظ والمعنى .

(٢) البيت لأوس بن حجر التميمى . من قصيدة له فى وصف الخيل ، منها ثلاثة أبيات فى كتاب « المعانى الكبير لابن قتيبة ص ١٠٠٢ » . وهو شاهد مثل الذى قبله ، على أن معنى ما فتئت : ما زالت .

(٣) البيت لأوس بن حجر التميمى أيضا ، استشهد به أبو عبيدة فى مجاز القرآن (١ : ٣١٦) على أن معنى « فمافتئت » : فما زالت .

فقُلْتُ يَمِينُ اللهِ أبْرَحُ قاعِـدًا ولو قَطَّعُوا رأسِي لَدَيْكِ وأوْصَالِي[1]

فحذفت « لا » من قوله : أبرح قاعدا ، لما ذكرتُ من العلة ، كما قال الآخر :

فَلا وأبِي دَهْماءَ زَالَتْ عَزِيزَةً على قومِها ما فَتَّلَ الزَّنْدَ قادِحُ[2]

يريد : لازالت .

وقوله (حتى تَكُونَ حَرَضًا) يقول : حتى تكون دَنِف الجسم ، مخبول العقل . وأصل الحَرَض : الفساد فى الجسم والعقل ، من الحزن أو العشق ؛ ومنه قول العَرْجِيّ :

إنى امْرُؤٌ لَجَّ بى حُبٌّ فأحْرَضَنى حتى بُلِيتُ وحتى شَفَّنى السَّقَمُ[3]

يعنى بقوله : فأحرضنى : أذابنى فتركنى مُحْرَضًا ، يقال منه : رجل حَرَض ، وامرأة حَرَض ، وقوم حَرَض ، ورجلان حَرَض ، على صورة واحدة للمذكر والمؤنث ، وفى التثنية والجمع . ومن العرب من يقول للذكر : حارض ، وللأنثى حارضة ، فإذا وصف بهذا اللفظ ثنى وجمع وذكر وأنث ، ووُحِّد حَرَض بكل حال ، ولم يدخله التأنيث ، لأنه مصدر ، فاذا أخرج على فاعل على تقدير الأسماء ، لزمه مايلزم الأسماء من التثنية والجمع والتذكير والتأنيث . وذكر بعضهم سماعا رجل مُحْرَض : إذا كان وجعا ، وأنشد فى ذلك بيتا .

---

(١) البيت لامرئ القيس ، من شعره فى (مختار الشعر الجاهلى ، بشرح مصطفى السقا ، طبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بالقاهرة ، ص ٣٨) . أبرح : أى لا أبرح بإضمار حرف النفى ، لدلالة المعنى عليه ، لأن الفعل بعد القسم غير مؤكد ، ولو كان الكلام إثباتا ، لوجب توكيد الفعل بالنون . ومثله فى القرآن « تالله تفتأ تذكر يوسف » أى لاتفتأ . حذف منه حرف النفى ، كما حذف فى قول امرئ القيس : « يمين الله أبرح » أى لا أبرح . والأوصال : جمع وصل ، بالكسر ، وهو كل عضو ينفصل من آخر .

(٢) أورد البيت البغدادى فى خزانة الأدب الكبرى (٤ : ٤٥ – ٤٧) ولم يعرف قائله ولا تتمة الشعر . وهو شاهد على أنه قد فصل بالجار والمجرور أعنى الجملة القسمية ، وهو « وأبى دهماء ، بين « لا » النافية ، وبين « زالت » . وهذا الفصل لا يجيزه النحاة ، ويعتبرون ما جاء منه شاذا ، إلا ابن هشام فى باب الجملة الاعتراضية فقد قال : ويفصل بين حرف النفى ، ومنفيه ، كقوله فلا وأبى دهماء زالت عزيزة . وقال الفراء فى معانى القرآن (الورقة ١٥٦ من مصورة الجامعة رقم ٢٤٠٥٩) : قالوا « تالله تفتأ تذكر يوسف » معناها : لا تزال تذكر يوسف . ولا قد يضمر مع الأيمان ، لأنها إذا كانت خبرا : لا يضمر فيها لا ، لم تكن إلا بلام ؛ ألا ترى أنك تقول والله لآتينك ، لا يجوز أن تقول : والله آتيك ، إلا أن تكون تريد لا ، فلما تبين موضعها ، وفارقت الخبر أضمرت . قال امرؤ القيس : « فقلت يمين الله أبرح » . . . البيت . وأنشدنى بعضهم : « فلا وأبى دهماء . زالت عزيزة . . . » البيت ، يريد لا زالت . وقد تبع المؤلف الفراء فى قوله . وقال ابن الملا الحلبى (الخزانة ٤ : ٤٦) يجوز أن تكون لا فى البيت ردا ، وحرف النفى محذوفا ولا اعتراض . انتهى . وقد رد شارح كافية ابن الحاجب محمد بن الحسن الإستراباذى هذا الجواز (٢ : ٢٩٥ طبع الشركة الصحافية العثمانية بالقسطنطينية سنة ١٣١٠ هـ) قال : وقوله : « فلا وأبى دهماء زالت عزيزة » شاذ ، وليس مما حذف منه حرف النفى ، كما فى قوله تعالى : « تالله تفتأ تذكر يوسف » بتأويل لا وأبى دهماء لا زالت ، لأن حذفها لم يسمع إلا من مضارعاتها ، وإنما جاز حذفها لعدم اللبس ، إذ قد تقرر أنها لا تكون ناقصة إلا معها . قال :

تَنْفَكُّ تَسْمَعُ ما حَيِيـتَ بهالكٍ حَتَّى تَكُونَهْ

ويحذف منها كثيرا فى جواب القسم ، كقوله تعالى : « تالله تفتأ تذكر يوسف » لأن حذف حرف النفى فى جواب القسم ثابت فى غير هذه الأفعال أيضا ، نحو والله أقوم : أى لا أقوم ، فكيف بها . اهـ .

ودهماء : اسم امرأة ، أقسم الشاعر بوالدها ، وجملة « لا زالت عزيزة » جواب القسم . وفتل الزند أو تفتيله عند الاقتداح مفصل فى الخزانة (٤ : ٤٧) فراجعه .

(٣) البيت للعرجى عبد الله بن عمر بن عبد الله (انظره فى اللسان : حرض) . وذكره أبو عبيدة شاهدا على أن معنى أحرضنى : أذابنى (مجاز القرآن : ١ : ٣١٧) . وقال فى اللسان : أحرضه الحب : أى أفسده ، وأنشد للعرجى . . . البيت . أى أذابنى .

طَلَبَتْهُ الخَيْلُ يَوْما كامِلا ولَوَ ٱلْفَتْهُ لأَضْحَى مُحْرَضَا[1]

وذُكر أن منه قول امرئ القيس :

أرَى المَرْءَ ذا الأذْوَادِ يُصْبِحُ مُحْرَضًا كإحْرَاضِ بَكْرٍ فى الدّيارِ مَرِيضِ[2]

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (حتى تَكُونَ حَرَضًا) يعنى : الجهد فى المرض البالى .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (حتى تَكُونَ حَرَضًا) قال : دون الموت .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن فضيل ، عن ليث ، عن مجاهد (حتى تَكُونَ حَرَضًا) قال : الحرض : مادون الموت .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (حتى تَكُونَ حَرَضًا) حتى تبلى أو تهرم .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (حتى تَكُونَ حَرَضًا) : حتى تكون هرما .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أبى بكر الهُذَلىّ ، عن الحسن (حتى تَكُونَ حَرَضًا) قال : هرما .

قال : ثنا المحاربىّ ، عن جويبر ، عن الضحاك ، قال : الحَرَض : الشىء البالى .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن جويبر ، عن الضحاك ، فى قوله (حتى تَكُونَ حَرَضًا) قال : الحَرَض : الشىء البالى الفانى .

---

(١) البيت فى تفسير الشوكانى (طبع شركة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بالقاهرة ٣ : ٤٦) ولم ينسبه إلى قائله . وهو شاهد على أن الحرض : الفاسد العقل والجسم . وأحرضه الهم : أسقمه . والمحرض : الذائب من الهم .

(٢) البيت لامرئ القيس (مختار الشعر الجاهلى ، بشرح مصطفى السقا . طبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بالقاهرة ص ٦٥). والأذواد : جمع ذود ، وهو الثلاثة إلى العشرة من الإبل . والمحرض الذى قارب الهلاك . وقال فى اللسان : حرضه المرض وأحرضه : إذا أشفى منه على شرف الموت ، وأحرض هو نفسه كذلك ، وقال الأزهرى : المحرض : الهالك مرضا ، الذى لاحى فيرجى ، ولا ميت فييوءس منه ؛ قال امرؤ القيس . . . البيت ، ويروى محرضا (بكسر الراء) .

قال : ثنا سُويد بن نصر ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن أبى معاذ ، عن عبيد بن سليمان ، عن الضحاك (حتى تَكُونَ حَرَضًا) الحَرَض : البالى .

حُدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، عن الضحاك يقول فى قوله (حتى تَكُونَ حَرَضًا) : هو البالى المندثر .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدىّ (حتى تَكُونَ حَرَضًا) باليا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : لما ذكر يعقوبُ يوسف ، قالوا : يعنى ولده الذين حضروه فى ذلك الوقت ، جهلا وظلما : (تاللهِ تَفْتَؤُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حتى تَكُونَ حَرَضًا) أى تكون فاسدا لاعقل لك (أَوْ تَكُونَ مِنَ الهَالِكِينَ) .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (حتى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الهَالِكِينَ) قال : الحَرَض الذى قد رُدّ إلى أرذل العمر ، حتى لايعقِل ، أو تهلك ، فتكون هالكا قبل ذلك .

وقوله (أَوْ تَكُونَ مِنَ الهَالِكِينَ) يقول : أو تكون ممن هلك بالموت .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن فضيل ، عن ليث ، عن مجاهد (أَوْ تَكُونَ مِنَ الهَالِكِينَ) قال : الموت .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (أَوْ تَكُونَ مِنَ الهَالِكِينَ) : من الميتين .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا المحاربىّ ، عن جويبر ، عن الضحاك (أَوْ تَكُونَ مِنَ الهَالِكِينَ) قال : الميتين .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن جويبر ، عن الضحاك ، مثله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن عون ، عن أبى بكر الهذلىّ ، عن الحسن (أَوْ تَكُونَ مِنَ الهَالِكِينَ) قال : الميتين .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (أَوْ تَكُونَ مِنَ الهَالِكِينَ) قال أو تموت .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (أَوْ تَكُونَ مِنَ الهَالِكِينَ) قال : من الميتين .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدىّ (أَوْ تَكُونَ مِنَ الهَالِكِينَ) قال : من الميتين .

القول فى تأويل قوله تعالى

قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ، وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَالَا تَعْلَمُونَ (٨٦)

يقول تعالى ذكره : قال يعقوب للقائلين له من ولده (تاللهِ تَفْتَؤُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حتى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الهَالِكِينَ) لست إليكم أشكو بثى وحزنى ، وإنما أشكو ذلك إلى الله .

ويعنى بقوله (إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّى) ما أشكو همى (وَحُزْنِى) إلا (إلى اللهِ) .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج (إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّى) قال ابن عباس : بثى : همى .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : قال يعقوب : عن علم بالله (إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّى وَحُزْنِى إلى اللهِ ، وأَعْلَمُ مِنَ اللهِ ما لا تَعْلَمُونَ) لما رأى من فظاظتهم وغلظتهم وسوء لفظهم به : لم أشك ذلك إليكم (وأَعْلَمُ مِنَ اللهِ ما لا تَعْلَمُونَ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن عوف ، عن الحسن (إنما أَشْكُو بَثِّى وحُزْنِى إلى اللهِ) قال : حاجتى وحزنى إلى الله .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا هَوْذَة بن خليفة ، قال : ثنا عوف ، عن الحسن ، مثله . وقيل : إن البثّ أشدّ الحزن ، وهو عندى من بثّ الحديث ، وإنما يراد منه : إنما أشكو خبرى الذى أنا فيه من الهمّ ، وأبثّ حديثى وحزنى إلى الله .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، عن عوف ، عن الحسن (إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّى) قال : حزنى .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، عن عوف ، عن الحسن (إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّى وَحُزْنِى) قال : حاجتى .

وأما قوله (وأَعْلَمُ مِنَ اللهِ ما لا تَعْلَمُونَ) فإن ابن عباس كان يقول فى ذلك فيما ذكر عنه ماحدثنى به محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، فى قوله (وأَعْلَمُ مِنَ اللهِ ما لا تَعْلَمُونَ) يقول : أعلم أن رؤيا يوسف صادقة ، وأنى سأسجد له .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدىّ (قالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّى وحُزْنِى إلى اللهِ ، وأَعْلَمُ مِنَ اللهِ ما لا تَعْلَمُونَ) قال : لما أخبروه بدعاء الملك ، أحست نفس يعقوب ، وقال : ما يكون فى الأرض صِدّيق إلا نبىّ ، فطمع ، قال : لعله يوسف .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (قالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّى وَحُزْنِى إلى اللهِ) الآية ، ذُكِر لنا أن نبىّ الله يعقوب لم ينزل به بلاء قطّ إلا أتى حسنُ ظنه بالله من ورائه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عيسى بن يزيد ، عن الحسن ، قال : قيل : ما بلغ وجد يعقوب على ابنه ؟ قال : وَجْدَ سبعينَ ثَكْلَى ، قال : فما كان له من الأجر ، قال : أجر مِئة شهيد ، قال : وما ساء ظنه بالله ساعة من ليل ولا نهار .

حدثنا به ابن حميد مرّة أخرى ، قال : ثنا حكام ، عن أبى معاذ ، عن يونس ، عن الحسن ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم ، مثله .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن المبارك بن مجاهد ، عن رجل من الأزد ، عن طلحة بن مصَرِّف الإيامى ، قال : ثلاثة لاتذكرهن ، واجتنب ذكرهن : لاتشك مرضك ، ولا تشك مصيبتك ، ولا تزكّ نفسك . قال : وأنبئت أن يعقوب بن إسحاق دخل عليه جار له ، فقال له : يا يعقوب ، مالى أراك قد انهشمت وفنيت ، ولم تبلغ من السنّ مابلغ أبوك ، قال : هَشَمَنى وأفنانى ما ابتلانى الله به ، من همّ يوسف وذكره ، فأوحى الله إليه : يا يعقوب ، أتشكونى إلى خلقى ؟ فقال : ياربّ خطيئة أخطأتها ، فاغفرها لى ، قال : فإنى قد غفرت لك ، وكان بعد ذلك إذا سئل ، قال (إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّى وحُزْنِى إلى اللهِ ، وأَعْلَمُ مِنَ اللهِ ما لاتَعْلَمُونَ) .

حدثنا عمرو بن علىّ ، قال : ثنى مؤمل بن إسماعيل ، قال : ثنا سفيان ، عن حبيب بن أبى ثابت ، قال : بلغنى أن يعقوب كَبِر حتى سقط حاجباه على وجنتيه ، فكان يرفعهما بخرقة ، فقال له رجل : مابلغ بك ما أرى ؟ قال : طول الزمان ، وكثرة الأحزان ، فأوحى الله إليه : يا يعقوب تشكونى ؟ قال : خطيئة فاغفرها .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا ثور بن يزيد ، قال : دخل يعقوب على فرعون وقد سقط حاجباه على عينيه ، فقال : مابلغ بك هذا يا إبراهيم ؟ فقالوا : إنه يعقوب ، فقال : ما بلغ بك هذا يا يعقوب ؟ قال : طول الزمان ، وكثرة الأحزان ، فقال الله : يا يعقوب أتشكونى ؟ فقال : يا ربّ خطيئة أخطأتها ، فاغفرها لى .

حدثنا عمرو بن علىّ ، قال : ثنا عبد الوهاب ، قال : ثنا هشام ، عن ليث بن أبى سليم ، قال : دخل جبرئيل على يوسف السجن ، فعرفه ، فقال : أيها الملك الحسن وجهُه ، الطيبة ريحُه ، الكريمُ على ربه ، ألا تخبرنى عن يعقوب : أحىّ هو ؟ قال : نعم ، قال : أيها الملك الحسن وجهه ، الطيبة ريحه ، الكريم على ربه ، فما بلغ من حزنه ؟ قال : حزن سبعين مُثْكَلة ، قال : أيها الملك الحسن وجهه ، الطيبة ريحه ، الكريم على ربه ، فهل فى ذلك من أجر ؟ قال : أجر مئة شهيد .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن ليث بن أبى سليم ، عن مجاهد ، قال : حُدِّثت أن جبرئيل أتى يوسف صلى الله عليهما وسلم وهو بمصر فى صورة رجل ؛ فلما رآه يوسف عرفه ،

فقام إليه ، فقال : أيها الملك الطيب ريحه ، الطاهر ثيابه ، الكريم على ربه ، هل لك بيعقوب من علم ؟ قال : نعم ، قال : أيها الملك الطاهر ثيابه ، الكريم على ربه ، فكيف هو؟ قال : ذهب بصره ، قال : أيها الملك الطاهر ثيابه ، الكريم على ربه ، وما الذى أذهب بصره ؟ قال : الحزن عليك ؟ قال : أيها الملك الطيب ريحه ، الطاهر ثيابه ، الكريم على ربه ، فما أُعطِى على ذلك ؟ قال : أجر سبعين شهيدا .

حدثنى يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال أبو شريح : سمعت من يحدّث أن يوسف سأل جبرئيل ، مابلغ من حزن يعقوب ؟ قال : حُزْنَ سبعين ثَكْلَى ، قال : فما بلغ أجره ؟ قال : أجر سبعين شهيدا .

قال أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنى نافع بن يزيد ، عن عبيد الله بن أبى جعفر ، قال : دخل جبرئيل على يوسف فى البئر أو فى السجن ، فقال له يوسف : ياجبرئيل ، ما بلغ حزن أبى ؟ قال حزن سبعين ثكلى ، قال : فما بلغ أجره من الله ، قال : أجر مئة شهيد .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا إسماعيل بن عبد الكريم ، قال : ثنى عبد الصمد بن معقل ، قال : سمعت وهب بن منبه يقول : أتى جبرئيل يوسف بالبشرى وهو فى السجن ، فقال : هل تعرفنى أيها الصِّدّيق ، قال : أرى صورة طاهرة ، وروحا طيبة ، لاتشبه أرواح الخاطئين ، قال : فإنى رسول ربّ العالمين ، وأنا الروح الأمين ، قال : فما الذى أدخلك على مُدْخَل المذنبين ، وأنت أطيب الطيبين ، ورأس المقرَّبين ، وأمين ربّ العالمين ؟ قال : ألم تعلم يا يوسف أنّ الله يطهر البيوت بطهر النبيين ، وأن الأرض التى يدخلونها هى أطهر الأرضين ، وأن الله قد طهر بك السجن وما حوله ياطهر الطاهرين وابن المطهرين؟ إنما يتطهر بفضل طهرك وطهر آبائك الصالحين المخلصين ، قال : كيف لى باسم الصدّيقين ، وتعدّنى من المخلصين ، وقد أدخلت مدخل المذنبين ، وسميت بالضالّين المفسدين ، قال : لم يفتتن قلبك ، ولم تطع سيدتك فى معصية ربك ، ولذلك سماك الله فى الصدّيقين ، وعدّك من المخلصين ، وألحقك بآبائك الصالحين ، قال : لك علم بيعقوب أيها الروح الأمين ؟ قال : نعم ، وهبه الله الصبر الجميل ، وابتلاه بالحزن عليك ، فهو كظيم ، قال : فما قدر حزنه ؟ قال : حزن سبعين ثكلى ، قال : فماذا له من الأجر يا جبرئيل ؟ قال : قدر مئة شهيد .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن ليث ، عن ثابت البُنَانِىّ ، قال : دخل جبرئيل على يوسف فى السجن ، فعرفه يوسف ، قال : فأتاه فسلم عليه ، فقال : أيها الملك الطيب ريحه ، الطاهر ثيابه ، الكريم على ربه ، هل لك من علم بيعقوب ؟ قال : نعم ، قال : أيها الملك الطيِّب ريحه ، الطاهر ثيابه ، الكريم على ربه ، هل تدرى ما فعل ؟ قال : ابيضت عيناه ، قال : أيها الملك الطيب ريحه ، الطاهر ثيابه ، الكريم على ربه ، ممّ ذاك ؟ قال : من الحزن عليك ، قال : أيها الملك الطيب ريحه ، الطاهر ثيابه ، الكريم على ربه ، وما بلغ من حزنه ؟ قال : حزن سبعين مُثْكَلَة ، قال : أيها الملك الطيب ريحه ، الطاهر ثيابه ، الكريم على ربه ، هل له على ذلك من أجر ؟ قال : نعم أجر مئة شهيد .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدىّ ، قال : أتى جبرئيل يوسف وهو فى السجن فسلم عليه ، وجاء فى صورة رجل حسن الوجه ، طيب الريح ، نقىّ الثياب ، فقال له يوسف : أيها الملك الحسن وجهه ، الكريم على ربه ، الطيب ريحه ، حدثنى كيف يعقوب ؟ قال : حزين عليك حزنا شديدا ، قال : وما بلغ من حزنه ؟ قال : حزن سبعين مُثْكَلة ، قال : فما بلغ من أجره ؟ قال : أجر سبعين أو مئة شهيد ، قال يوسف : فإلى من أَوَى بعدى ؟ قال : إلى أخيك بنيامين ، قال : فترانى ألقاه أبدا ؟ قال : نعم ، فبكى يوسف لما لَقِىَ أبوه بعده ، ثم قال : ما أبالى ما لقيت إن الله أرانيه .

قال : ثنا عمرو بن محمد ، عن إبراهيم بن يزيد ، عن عمرو بن دينار ، عن عكرمة ، قال : أتى جبرئيل يوسف وهو فى السجن ، فسلم عليه ، فقال له يوسف : أيها الملك الكريم على ربه ، الطيب ريحه ، الطاهر ثيابه ، هل من علم بيعقوب ؟ قال : نعم ما أشدّ حزنه ! قال : أيها الملك الكريم على ربه ، الطيب ريحه ، الطاهر ثيابه ، ماذا له من الأجر ؟ قال : أجر سبعين شهيدا ، قال : أفترانى لاقيه ؟ قال : نعم ، قال : فطابت نفس يوسف .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن ليث ، عن سعيد بن جبير ، قال : لما دخل يعقوب على الملك وحاجباه قد سقطا على عينيه ، قال الملك : ما هذا ؟ قال : السنون والأحزان أو الهموم والأحزان ، فقال ربه يا يعقوب لم تشكونى إلى خلقى ، ألم أفعل بك وأفعل ؟

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثورىّ ، عن عبد الرحمن بن زياد ، عن مسلم بن يسار يرفعه إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم قال : « مَنْ بَثَّ لَمْ يَصْبِرْ » ثم قرأ (إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّى وحُزْنِى إلى الله) .

حدثنى عمرو بن عبد الحميد الآمُلى ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن هشام ، عن الحسن ، قال : كان منذ خرج يوسف من عند يعقوب إلى يوم رجع ثمانون سنة ، لم يفارق الحزنُ قلبه ، يبكى حتى ذهب بصره ، قال الحسن : والله ما على الأرض يومئذ خليقة أكرم على الله من يعقوب صلى الله عليه وسلم .

القول فى تأويل قوله تعالى

يَٰبَنِيَّ ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ ، وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ، إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ (٨٧)

يقول تعالى ذكره ، حين طمع يعقوب فى يوسف ، قال لبنيه : يابنىّ اذهبوا إلى الموضع الذى جئتم منه ، وخلّفتم أخويكم به (فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ) يقول : التمسوا يوسف . وتعرّفوا من خبره وأصل التحسس : التفعل من الحسّ (وأخيه) يعنى بنيامين (وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللهِ) يقول : ولا تقنطوا من أن يروّح الله عنا مانحن فيه ، من الحزن على يوسف وأخيه ، بفَرَج من عنده ، فيريحنيهما

(إنَّهُ لايَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ) يقول : لا يقْنَط من فَرَجه ورحمته ، ويقطع رجاءه منه (إلاَّ القَوْمُ الكافِرُونَ) يعنى : القوم الذين يجحدون قدرته على ماشاء تكوينه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدىّ (يا بَنِىَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وأخِيهِ) بمصر (وَلا تَيْأَسُوا مِن رَوْحِ اللهِ) قال : من فرَج الله أن يردّ يوسف .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله : (وَلا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللهِ) أى من رحمة الله .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة نحوه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ثم إن يعقوب قال لبنيه ، وهو على حسن ظنه بربه ، مع الذى هو فيه من الحزن : يا بنىّ اذهبوا إلى البلاد التى منها جئتم (فتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وأخِيهِ ، وَلا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللهِ) : أى من فرجه (إنَّهُ لايَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ إلاَّ القَوْمُ الكافِرُونَ) .

حُدِّثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (وَلا تَيْأَسُوا من رَوْحِ اللهِ) يقول : مِن رحمة الله .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَلا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللهِ) قال : من فرج الله ، يَفْرُج عنكم الغمّ الذى أنتم فيه .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ ، قَالُوا : يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ ، وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ ، فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ ، وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا ، إِنَّ اللهَ يَجْزِى الْمُتَصَدِّقِينَ (٨٨)

❊ وفى الكلام متروك قد استغنى بذكر ماظهر عما حذف ؛ وذلك فخرجوا راجعين إلى مصر حتى صاروا إليها ، فدخلوا على يوسف ، (فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قالُوا يا أيُّها العَزِيزُ مَسَّنا وأهْلَنا الضُّرُّ) : أى الشدّة من الجدب والقحط (وَجِئْنا بِبِضَاعَةٍ مُزْجاةٍ) .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : وخرجوا إلى مصر راجعين إليها ببضاعة مُزْجاة : أى قليلة ، لاتبلغ ما كانوا يتبايعون به ، إلا أن يُتَجاوز لهم فيها ، وقد رأوا ما نزل بأبيهم ، وتتابع البلاء عليه فى ولده وبصره ، حتى قدموا على يوسف (فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قالُوا يا أيُّها العَزِيزُ) ، رجاء أن يرحمهم فى شأن أخيهم (مَسَّنا وأهْلَنا الضُّرُّ) ، وعَنَى بقوله (وَجِئْنا ببِضَاعَةٍ مُزْجاةٍ)

بدراهم أو ثمن لايجوز فى ثمن الطعام، إلا لمن يتجاوز فيها ، وأصل الإزجاء : السوق بالدفع ، كما قال النابغة الذبيانى :

وَهَبَّتِ الرِّيحُ مِنْ تِلْقاءِ ذى أُرُلٍ تُزْجِى مَعَ اللَّيلِ مِن صُرَّادها صِرَمَا[1]

يعنى تسوق وتدفع ؛ ومنه قول أعشى بنى ثعلبة :

الوَاهِبُ المِئَةَ الهِجانَ وعَبْـدَها عُوذًا تُزَجِّى خَلْفَها أطْفالَهَا[2]

وقول حاتم :

لِيَبْكِ على مِلْحانَ ضَيْفٌ مُدَفَّعٌ وأرْمَلَةٌ تُزْجِى مَعَ اللَّيلِ أرْمَلا[3]

يعنى أنها تسوقه بين يديها، على ضعف منه عن المشى وعجز . ولذلك قيل (بِبِضَاعَةٍ مُزْجاةٍ) لأنها غير نافقة ، وإنما تجوز تجويزا على نفع[4] من آخذيها . وقد اختلف أهل التأويل فى البيان عن تأويل ذلك، وإن كانت معانى بيانهم متقاربة .

ذكر أقوال أهل التأويل فى ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ؛ وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس (بِبِضَاعَةٍ مُزْجاةٍ) قال : ردية زُيوف ، لاتنفُق حتى يوضع منها .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عمرو بن محمد العنقزي ، قال : ثنا إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس، فى قوله (وَجِئْنا بِبِضَاعَةٍ مُزْجاةٍ) قال: الردية التى لاتنفُق حتى يُوضَع منها .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن عثمان بن أبى سليمان ، عن ابن أبى مليكة ، عن ابن عباس (وَجِئْنا بِبِضَاعَةٍ مُزْجاةٍ) قال : خَلَق الغِرارة والحبل والشىء .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن عيينة ، عن عثمان بن أبى سليمان عن ابن أبى مليكة ، قال : سمعت ابن عباس ، وسئل عن قوله (وَجِئْنا بِبِضَاعَةٍ مُزْجاةٍ) قال : رثة المتاع : الحبل والغِرارة والشىء .

---

(١) البيت فى شعر النابغة الذبيانى (مختار الشعر الجاهلى ، بشرح مصطفى السقا ، طبعة الحلبى ص ١٧٠) وهو البيت التاسع فى القصيدة . وذو أرل : جبل بأرض غطفان فى مهب الشمال ، . وتلقاءه : قبالته . وتزجى : تسوق . والصراد : سحاب بارد لا ماء فيه . . والصرم : جمع صرمة ، وهى قطع السحاب وأصلها : القطعة من الإبل . يقول : إذا هبت الريح من عند ذى أرل كانت شمالا ، وهى أشد الرياح بردا ، وأقلها خيرا . والبيت شاهد على أن الإزجاء السوق بالدفع .

(٢) البيت لأعشى بنى ثعلبة ، ميمون ، وهو الأعشى الأكبر ، وهو فى ديوانه طبع القاهرة بشرح الدكتور محمد حسين (ص ٢٩) وهو من قصيدة يمدح بها قيس بن معد يكرب ، ومطلعها : « رحلت سمية غدوة أجمالها » . والهجان : جمع هجين ، وهو الأبيض الكريم ، يقال إبل هجان . والعوذ : الحديثات النتاج ، وزجى الشىء : دفعه برفق . يقول : إن الممدوح يهب المئة من الإبل وعبدها ، تتبعها أطفالها ، تسعى خلفها .

(٣) البيت فى (اللسان : رمل) أنشده ابن برى شاهدا على أن الأرمل المرأة التى لا زوج لها . واستشهد به المؤلف على أن معنى الإزجاء السوق والدفع .

(٤) لعله على دفع .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن عيينة ، عن عثمان بن أبى سليمان ، عن ابن أبى مليكة ، عن ابن عباس ، مثله .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَجِئْنا بِبِضَاعَةٍ مُزْجاةٍ) قال : البضاعة : الدراهم ، والمزْجاة : غير طائل .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن ابن أبى زياد ، عمن حدثه ، عن ابن عباس ، قال : كاسدة غير طائل .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا أبو بكر بن عياش ، قال : ثنا أبو حصين ، عن سعيد بن جبير وعكرمة (وَجِئْنا بِبِضَاعَةٍ مُزْجاةٍ) قال : سعيد ناقصة . وقال عكرمة : دراهم فُسُول .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو بكر بن عياش ، عن أبى حصين ، عن سعيد بن جبير وعكرمة مثله .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ؛ وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن إسرائيل ، عن أبى حصين عن سعيد بن جبير وعكرمة (وَجِئْنا بِبِضَاعَةٍ مُزْجاةٍ) قال أحدهما : ناقصة . وقال الآخر : ردية .

وبه قال : ثنا أبى عن سفيان ، عن يزيد بن أبى زياد ، عن عبد الله بن الحارث ، قال : كان سمنا وصوفا .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا على بن عاصم ، عن يزيد بن أبى زياد قال : سأل رجل عبد الله بن الحارث وأنا عنده ، عن قوله (وَجِئْنا بِبِضَاعَةٍ مُزْجاةٍ) قال : قليلة ، متاع الأعراب : الصوف والسمن .

حدثنا إسحاق بن زياد القطان أبو يعقوب البصرى ، قال : ثنا محمد بن إسحاق البلخى ، قال : ثنا مروان ابن معاوية الفزارى ، عن مروان بن عمرو العذرى ، عن أبى إسماعيل ، عن أبى صالح ، فى قوله (وَجِئْنا بِبِضَاعَةٍ مُزْجاةٍ) قال : الصنوبر والحبة الخضراء .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن يزيد بن الوليد ، عن إبراهيم ، فى قوله (وَجِئْنا بِبِضَاعَةٍ مُزْجاةٍ) قال : قليلة ، ألا تسمع قوله : فأوقر ركابنا ، وهم يقرءون كذلك .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا مغيرة ، عن إبراهيم ، أنه قال : ما أراها إلا القليلة ، لأنها فى مصحف عبد الله : وأوقر ركابنا ، يعنى قوله : مُزْجاة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن القعقاع بن يزيد ، عن إبراهيم ، قال : قليلة ، ألم تسمع إلى قوله : وأوقر ركابنا .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، عن أبى بكر الهذلى ، عن سعيد بن جبير والحسن (بِضَاعَةٍ مُزْجاةٍ) قال سعيد : الردية . وقال الحسن : القليلة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن يزيد ، عن عبد الله بن الحارث ، قال : متاع الأعراب ، سمن وصوف .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن أبيه ، عن عطية ، قال : دراهم ليست بطائل .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : (مُزْجاةٍ) قال : قليلة .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (مُزْجاةٍ) : قال : قليلة .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

قال : ثنا قَبيصة بن عقبة ، قال : ثنا سفيان ، عن يزيد بن أبى زياد ، عن عبد الله بن الحارث (وَجِئْنا بِبِضَاعَةٍ مُزْجاةٍ) قال : شىء من صوف ، وشىء من سمن .

قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن منصور ، عن الحسن ، قال : قليلة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا محمد بن بكر ، عن ابن جريج ، عمن حدثه ، عن مجاهد (مُزْجاةٍ) قال : قليلة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو بكر بن عياش ، عن أبى حصين ، عن عكرمة ، قال : ناقصة .

وقال سعيد بن جبير : فُسول .

قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبى بكر ، عن سعيد بن جبير (وَجِئْنا بِبِضَاعَةٍ مُزْجاة) قال : ردية .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا المحاربى ، عن جويبر ، ظن الضحاك ، قال : كاسدة لاتنفُق .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن جويبر ، عن الضحاك ، قال كاسدة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبدة ، عن جويبر ، عن الضحاك ، قال : كاسدة غير طائل .

حُدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (بِبِضَاعَةٍ مُزْجاةٍ) يقول : كاسدة غير نافقة .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد الزبيرى ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبى حصين ، عن سعيد بن جبير (وَجِئْنا بِبِضَاعَةٍ مُزْجاةٍ) قال : الناقصة ، وقال عكرمة : فيها تجوّز .

قال : ثنا إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : الدراهم الردية التى لاتجوز إلا بنقصان .

قال : ثنا إسرائيل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قال : الدراهم الرُّذال ، التى لاتجوز إلا بنقصان .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدىّ ، قال : دراهم فيها جواز .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَجِئْنا بِبِضَاعَةٍ مُزْجاةٍ) : أى يسيرة .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، مثله .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَجِئْنا بِبِضَاعَةٍ مُزْجاةٍ) قال : المزجاة : القليلة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (وَجِئْنا بِبِضَاعَةٍ مُزْجاةٍ) : أى قليلة لاتبلغ ما كنا نشترى به منك ، إلا أن تتجاوز لنا فيها .

وقوله (فَأَوْفِ لَنَا الكَيْلَ) بها ، وأعطنا بها ما كنت تعطينا قبل بالثمن الجيد ، والدراهم الجائزة ، الوافية التى لاتردّ .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (فَأَوْفِ لَنَا الكَيْلَ) : أى أعطنا ما كنت تعطينا قبل ، فإن بضاعتنا مزجاة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدىّ (فَأَوْفِ لَنَا الكَيْلَ) قال : كما كنت تعطينا بالدراهم الجياد .

وقوله (وَتَصَدَّقْ عَلَيْنا) يقول تعالى ذكره : قالوا : وتفضل علينا بما بين سعر الجياد والردية ، فلا تنقصنا من سعر طعامك لردىّ بضاعتنا (إنَّ اللهَ يَجْزِى المُتَصَدِّقِينَ) يقول : إن الله يثيب المتفضلين على أهل الحاجة بأموالهم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدىّ (وَتَصَدَّقْ عَلَيْنا) قال : تفضل بما بين الجياد والردية .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبى بكر ، عن سعيد بن جبير (فَأَوْفِ لَنَا الكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنا) لاتنقُصْنا من السعر من أجل ردىّ دراهمنا .

واختلفوا فى الصدقة ، هل كانت حلالا للأنبياء قبل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، أو كانت حراما ؟ فقال بعضهم : لم تكن حلالا لأحد من الأنبياء عليهم السلام .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبى بكر ، عن سعيد بن جبير ، قال : ما سأل نبىّ قط الصدقة ، ولكنهم قالوا (جِئْنا بِبِضاعَةٍ مُزْجاةٍ ، فَأَوْفِ لَنَا الكَيْلَ ، وَتَصَدَّقْ عَلَيْنا) : لاتنقصنا من السعر .

ورُوى عن ابن عيينة ما حدثنى به الحارث ، قال : ثنا القاسم ، قال : يحكى عن سفيان بن عيينة أنه سئل : هل حرمت الصدقة على أحد من الأنبياء قبل النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فقال : ألم تسمع قوله : (فَأَوْفِ لَنَا الكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنا ، إنَّ اللهَ يَجْزِى المُتَصَدِّقِينَ) .

قال الحارث ، قال القاسم : يذهب ابن عيينة إلى أنهم لم يقولوا ذلك إلا والصدقة لهم حلال، وهم أنبياء ، فإن الصدقة إنما حرمت على محمد صلى الله عليه وسلم ، لا عليهم .

وقال آخرون : إنما عنى بقوله (وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا) وتصدّق علينا بردّ أخينا إلينا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا) قال : ردّ إلينا أخانا ، وهذا القول الذى ذكرناه ، عن ابن جريج ، وإن كان قولا له وجه ، فليس بالقول المختار فى تأويل قوله (وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا) لأن الصدقة فى المتعارف : إنما هى إعطاء الرجل ذا الحاجة بعض أملاكه ابتغاء ثواب الله عليه ، وإن كان كل معروف صدقة ، فتوجيه تأويل كلام الله إلى الأغلب من معناه فى كلام من نزل القرآن بلسانه أولى وأحرى .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال مجاهد .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا مروان بن معاوية ، عن عثمان بن الأسود ، قال : سمعت مجاهدا ، وسئل : هل يكره أن يقول الرجل فى دعائه : اللهمّ تصدّق علىّ ؟ فقال : نعم ، إنما الصدقة لمن يبغى الثواب .

القول فى تأويل قوله تعالى

قَالَ : هَلْ عَلِمْتُمْ مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَٰهِلُونَ ؟ (٨٩)

ذُكِر أن يوسف صلوات الله وسلامه عليه، لما قال له إخوته (يا أيُّها العَزِيزُ مَسَّنا وأهْلَنا الضُّرُّ وَجِئْنا بِبِضَاعَةٍ مُزْجاةٍ ، فَأَوْفِ لَنا الكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنا ، إنَّ اللهَ يَجْزِى المُتَصَدّقِين) أدركته الرقة ، وباح لهم بما كان يكتمهم من شأنه .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق، قال: ذُكر لى أنهم لما كلموه بهذا الكلام غلبته نفسه ، فارفضّ دمعه باكيا ، ثم باح لهم بالذى يكتم منهم ، فقال (هَلْ عَلِمْتُمْ ما فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وأخِيهِ إذْ أنْتُمْ جاهِلُونَ) ، ولم يعن بذكر أخيه، ماصنعه هو فيه حين أخذه ، ولكن للتفريق بينه وبين أخيه ، إذ صنعوا بيوسف ماصنعوا .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (فَلَمَّا دَخَلوا عَلَيْهِ قالُوا يا أيُّها العَزِيزُ مَسَّنا وأهْلَنا الضُّرُّ) . . . الآية ، قال : فرحمهم عند ذلك ، فقال لهم : (هَلْ عَلِمْتُمْ مافَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وأخِيهِ إذْ أنْتُمْ جاهِلُونَ) ؟

فتأويل الكلام : هل تذكرون مافعلتم بيوسف وأخيه ، إذ فرّقتم بينهما ، وصنعتم ماصنعتم ، إذ أنتم جاهلون ، يعنى فى حال جهلكم بعاقبة ماتفعلون بيوسف ، وما إليه صائر أمره وأمركم ؟

القول فى تأويل قوله تعالى

قَالُوا أَإِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ ، قَالَ : أَنَا يُوسُفُ وَهٰذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا، إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (٩٠)

يقول تعالى ذكره : قال إخوة يوسف له حين قال لهم ذلك يوسف : (إِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ) . فقال : نعم (أنا يُوسُفُ وَهَذَا أخِي قَدْ مَنَّ اللهُ عَلَيْنا) بأن جمع بيننا بعد ما فرّقتم بيننا (إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ) يقول : إنه من يتق الله فيراقبه بأداء فرائضه ، واجتناب معاصيه . ويصبر : يقول : ويكفّ نفسه ، فيحبسها عما حرم الله عليه من قول أو عمل ، عند مصيبة نزلت به من الله (فإنَّ اللهَ لا يُضِيعُ أجْرَ المُحْسِنِينَ) يقول : فإن الله لا يبطل ثواب إحسانه ، وجزاء طاعته إياه ، فيما أمره ونهاه .

وقد اختلف القرّاء فى قراءة قوله (إِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ) فقرأ ذلك عامة قرّاء الأمصار (أئِنَّكَ) على الاستفهام . وذُكر أن ذلك فى قراءة أبىّ بن كعب (أوَ أنْتَ يُوسُفُ) . ورُوى عن ابن محيصن أنه قرأ (إِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ) على الخبر ، لا على الاستفهام .

والصواب من القراءة فى ذلك عندنا ، قراءة من قرأه بالاستفهام ، لإجماع الحجة من القرّاء عليه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : لما قال لهم ذلك ، يعنى قوله (هَلْ عَلِمْتُمْ ما فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وأخِيهِ إذْ أنْتُمْ جاهِلُونَ)؟ كَشَفَ الغطاء فعرفوه ، فقالوا (أئِنَّكَ لأَنْتَ يُوسُفُ) . . . الآية .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى من سمع عبد الله بن إدريس يذكر ، عن ليث ، عن مجاهد ، قوله (إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ) يقول : من يتق معصية الله ويصبر على السجن .

القول فى تأويل قوله تعالى

قَالُوا : تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا، وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ (٩١)

يقول جلّ ثناؤه : قال إخوة يوسف له : تالله لقد فضلك الله علينا ، وآثرك بالعلم والحلم والفضل ، (وَإِنْ كُنَّا لَخاطِئِينَ) يقول : وما كنا فى فعلنا الذى فعلنا بك ، فى تفريقنا بينك وبين أبيك وأخيك ، وغير ذلك من صنيعنا الذى صنعنا بك ، إلا خاطئين : يعنون مُخْطئين ، يقال منه : خَطِئَ فلان يَخْطَأ خَطأ وخِطْأ ، وأخطأ يخطئ إخطاء ؛ ومن ذلك قول أمية بن الأسكر :

وإنَّ مُهاجِرَيْنِ تَكَنَّفاهُ لَعَمْرُ اللهِ قَدْ خَطِئا وَحابا[1]

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

---

(١) البيت لأمية بن الأسكر الليثى . ويقال فيه : الأشكر : بالشين ، وهو شاعر مخضرم ، أدرك الإسلام وأسلم والبيت من شعر له فى ابنه كلاب الذى لقى طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام ، فسألهما : أى الأعمال أفضل فى الإسلام ؛ فقالا : الجهاد ، فسأل عمر ، فأغزاه فى جيش ، وكان أبوه كبر وضعف ، فطالت غيبته عنه ، فقال : « وإن مهاجرين » . . . الخ . والبيت =

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدىّ ، قال : لما قال لهم يوسف (أنا يُوسُفُ وَهَـٰذَا أخى) اعتذروا إليه ، وقالوا (تاللهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللهُ عَلَيْنا وَإِنْ كُنَّا لَخاطِئِينَ) فيما كنا صنعنا بك .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (تاللهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللهُ عَلَيْنا) وذلك بعد ما عرّفهم أنفسهم ، يقول : جعلك الله رجلا حليما .

القول فى تأويل قوله تعالى

قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ ، يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ ، وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (٩٢)

يقول تعالى ذكره : قال يوسف لإخوته (لاتَثْرِيبَ) يقول : لاتغيير عليكم ولا إفساد لما بينى وبينكم من الحُرْمة ، وحقّ الأخوّة ، ولكن لكم عندى الصفح والعفو .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (لاتَثْرِيبَ عَلَيْكُمْ) لم يثرِّب عليهم أعمالهم .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن الزُّبير ، قوله (لاتَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ) قال : قال سفيان : لاتعيير عليكم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (قالَ لاتَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ) : أى لاتأنيب عليكم اليوم عندى فيما صنعتم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدىّ ، قال : اعتذروا إلى يوسف ، فقال (لاتَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ) يقول : لاأذكر لكم ذنبكم .

وقوله (يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ) وهذا دعاء من يوسف لإخوته ، بأن يغفر الله لهم ذنبهم ، فيما أتوا إليه ، وركبوا منه من الظلم ؛ يقول : عفا الله لكم عن ذنبكم وظلمكم ، فستره عليكم (وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ) يقول : والله أرحم الراحمين ممن تاب من ذنبه ، وأناب إلى طاعته ، بالتوبة من معصيته .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ) حين اعترفوا بذنبهم .

= استشهد به أبو عبيدة فى مجاز القرآن عند قوله تعالى (إنه كان حوبا كبيرا) أى إثما ، لأن الرواية فى البيت « وحابا » بالحاء ، لا بالخاء . واستشهد به مرة ثانية عند قوله تعالى : « وإن كنا لخاطئين » قال : مجازه : وإن كنا خاطئين . وتزاد اللام المفتوحة للتوكيد والتثبيت . وخطئت وأخطأت : واحد . قال امرؤ القيس : « ياهند هند إذ خطئن كاهلا » أى أخطأن . وقال أمية بن الأسكر : « وإن مهاجرين . . . الخ » .

القول فى تأويل قوله تعالى

اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ (٩٣)

قال أبو جعفر : ذكر أن يوسف صلى الله عليه وسلم لما عرّف نفسه إخوته ، سألهم عن أبيهم ، فقالوا ذهب بصره من الحزن ، فعند ذلك أعطاهم قميصه ، وقال لهم (اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا) .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدىّ ، قال : قال لهم يوسف : ما فعل أبى بعدى؟ قالوا : لما فاته بنيامين عمى من الحزن قالَ (اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هذَا، فَأَلْقُوهُ على وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا ، وأْتُونِى بأَهْلِكُمْ أجمَعِينَ) .

وقوله (يَأْتِ بَصِيرًا) يقول : يَعُدْ بصيرا . (وأْتُونِى بأَهْلِكُمْ أجمَعِينَ) يقول : وجيئونى بجميع أهلكمَ .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ : إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ (٩٤)

يقول تعالى ذكره : ولما فصلت عير بنى يعقوب من عند يوسف ، متوجهة إلى يعقوب ، قال أبوهم يعقوب : (إنّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ) ذكر أن الريح استأذنت ربها فى أن تأتى يعقوب بريح يوسف قبل أن يأتيه البشير ، فأذن لها ، فأتته بها .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثنى أبوشريح ، عن أبى أيوب الهوزنى ، حدثه ، قال : استأذنت الريح أن تأتى يعقوب بريح يوسف ، حين بعث بالقميص إلى أبيه ، قبل أن يأتيه البشير ، ففعل ، قال يعقوب (إنّى لأجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلا أنْ تُفَنِّدُونِ) .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن إسرائيل ، عن أبى سنان ، عن ابن أبى الهذيل ، عن ابن عباس ، فى قوله (وَلَمَّا فَصَلَتِ العِيرُ قالَ أَبُوهُمْ إنّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلا أنْ تُفَنِّدُونِ) قال : هاجت ريح ، فجاءت بريح يوسف من مسيرة ثمان ليال ، فقال : (إنّى لَأجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلا أنْ تُفَنِّدُونِ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن إسرائيل ، عن أبى سنان ، عن ابن أبى الهذيل ، عن ابن عباس (وَلَمَّا فَصَلَتِ العِيرُ) قال : هاجت ريح ، فجاءت بريح قميص يوسف من مسيرة ثمان ليال .

حدثنى أبوالسائب ، قال : ثنا ابن فضيل ، عن ضرار ، عن ابن أبى الهذيل ، قال : سمعت ابن عباس يقول : وجد يعقوب ريح يوسف ، وهو منه على مسيرة ثمان ليال .

حدثنا ابن وكيع والحسن بن محمد ، قالا : ثنا سفيان بن عيينة ، عن أبى سنان ، عن ابن أبى الهذيل ،

قال : كنت إلى جنب ابن عباس ، فسئل : من كم وجد يعقوب ريح القميص ؟ قال : من مسيرة سبع ليال أو ثمان ليال .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن أبى سنان ، عن أبى الهذيل ، قال : قال لى أصحابى : إنك تأتى ابن عباس ، فسله لنا ، قال : فقلت : ما أسأله عن شىء ، ولكن أجلس خلف السرير ، فيأتيه الكوفيون فيسألون عن حاجتهم وحاجتى ، فسمعته يقول : وجد يعقوب ريح قميص يوسف من مسيرة ثمان ليال ، قال ابن أبى الهذيل : فقلت : ذاك كمكان البصرة من الكوفة .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا علىّ بن عاصم ، عن ضرار بن مرّة ، عن عبد الله بن أبى الهذيل ، قال : سمعت ابن عباس يقول : وجد يعقوب ريح قميص يوسف من مسيرة ثمان ليال ، قال : فقلت فى نفسى : هذا كمكان البصرة من الكوفة .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ؛ وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن أبى سنان ، عن ابن أبى الهذيل ، عن ابن عباس ، فى قوله (إنّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ) قال : وجد ريح قميص يوسف من مسيرة ثمان ليال ، قال : قلت له : ذاك كما بين البصرة إلى الكوفة ، واللفظ لحديث أبى كريب .

حدثنا الحسين بن محمد ، قال : ثنا عاصم وعلىّ ، قالا : أخبرنا شعبة ، قال : أخبرنى أبوسنان ، قال : سمعت عبد الله بن أبى الهذيل ، عن ابن عباس فى هذه الآية (إنّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ) قال : وجد ريحه من مسيرة ما بين البصرة إلى الكوفة .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا آدم العسقلانى ، قال : ثنا شعبة ، قال : ثنا أبوسنان ، قال : سمعت عبد الله ابن أبى الهذيل يحدث عن ابن عباس ، مثله .

قال : ثنا أبونعيم ، قال : ثنا سفيان ، عن أبى سنان ، عن عبد الله بن أبى الهذيل ، قال : كنا عند ابن عباس فقال (إنّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ) قال : وجد ريح قميصه من مسيرة ثمان ليال .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزّاق ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن أبى سنان ، عن عبد الله ابن أبى الهذيل ، قال : سمعت ابن عباس يقول (وَلَما فَصَلَتِ العِيرُ) قال : لما خرجت العير هاجت ريح ، فجاءت يعقوبَ بريح قميص يوسف ، فقال (إنّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلا أنْ تُفَنِّدُونِ) قال : فوجد ريحه من مسيرة ثمان ليال .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن ، ذكر لنا أنه كان بينهما يومئذ ثمانون فرسخا ، يوسف بأرض مصر ، ويعقوب بأرض كنعان ، وقد أتى لذلك زمان طويل .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (إنّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ) قال : بلغنا أنه كان بينهم يومئذ ثمانون فرسخا ، وقال (إنّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ) وكان قد فارقه قبل ذلك سبعا وسبعين سنة .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن أبى سنان ، عن عبد الله بن أبى الهذيل عن ابن عباس ، فى قوله (إنّى لأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ) قال : وجد ريح القميص من مسيرة ثمانية أيام .

قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبى سنان ، عن عبد الله بن أبى الهذيل ، عن ابن عباس ، قوله (وَلَمَّا فَصَلَتِ العِيرُ) قال : فلما خرجت العير هبَّت ريح ، فذهبت بريح قميص يوسف إلى يعقوب ، فقال (إنّى لأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ) قال : ووجد ريح قميصه من مسيرة ثمانية أيام .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق قال : لما فصلت العير من مصر استروح يعقوب ريح يوسف ، فقال لمن عنده من ولده : (إنّى لأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أنْ تُفَنِّدُونِ) .

وأما قوله (لَوْلَا أنْ تُفَنِّدُونِ) فإنه يعنى : لولا أن تُعَنِّفُونى - وتُعَجِّزونى - وتَلُومونى - وتكذّبونى ؛ ومنه قول الشاعر :

ياصاحِبَىَّ دَعا لَوْمى وتَفْنِيدِى فلَيْس ما فاتَ من أمْرِى بمَرْدودِ [١]

ويقال : أفند فلانا الدهر ، وذلك إذا أفسده ؛ ومنه قول ابن مقبل :

دَعِ الدَّهرَ يَفْعَلْ ما أراد فإنَّه إذا كُلِّفَ الإفْنادَ بالنَّاس أفْنَدا [٢]

☆ واختلف أهل التأويل فى معناه ، فقال بعضهم : معناه : لولا أن تسفهونى .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن أبى سنان ، عن ابن أبى الهذيل ، عن ابن عباس (لَوْلَا أنْ تُفَنِّدُونِ) قال : تسفهون .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ؛ وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن إسرائيل ، عن أبى سنان عن ابن أبى الهذيل ، عن ابن عباس ، مثله .

وبه قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن خصيف ، عن مجاهد (لَوْلَا أنْ تُفَنِّدُونِ) قال : تسفهون .

حدثنى المثنى وعلىّ بن داود ، قالا : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (لَوْلَا أنْ تُفَنِّدُونِ) يقول : تجهّلون .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبى سنان ، عن عبد الله بن أبى الهذيل ، عن ابن عباس (لَوْلَا أنْ تُفَنِّدُونِ) قال : لولا أن تسفهون .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ؛ وحدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو نعيم ، قالا : جميعا ، ثنا سفيان ، عن خَصِيف ، عن مجاهد (لَوْلَا أنْ تُفَنِّدُونِ) قال : لولا أن تسفهون .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا الحمّانى ، قال : ثنا شريك ، عن أبى سنان ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس وسالم ، عن سعيد (لَوْلَا أنْ تُفَنِّدُونِ) قال : أحدهما تسفهون ، وقال الآخر : تكذّبون .

---

(١) البيت لهانىء بن شكيم العدوى ، استشهد به أبو عبيدة فى (مجاز القرآن ١ : ٣١٨) على أن معنى تفندون : تسفهونى وتعجزونى وتلومونى . والبيت فى القرطبى (٩ : ٢٦٠) وفى رواية أبى عبيدة : « ما فات من أمر » .

(٢) الفند ، بالتحريك : الخرف وإنكار العقل من الهرم والمرض . وأفنده الكبر : إذا أوقعه فى الفند .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا عبد الملك بن أبى سليمان ، عن عطاء (لَوْلا أنْ تُفَنِّدُونِ) قال : لولا أن تكذّبون ، لولا أن تسفهون .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يزيد بن هارون ، عن عبد الملك ، عن عطاء ، قال : تسفهون .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (لَوْلا أنْ تُفَنِّدُونِ) يقول : لولا أن تسفهون .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (لَوْلا أنْ تُفَنِّدونِ) يقول : لولا أن تسفهون .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن أبى سنان ، عن عبد الله ابن أبى الهذيل ، قال : سمعت ابن عباس يقول (لَوْلا أنْ تُفَنِّدُونِ) يقول : تسفهون .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد، قوله (لَوْلا أنْ تُفَنِّدُونِ) قال : ذهب عقله .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (لَوْلا أنْ تُفَنِّدُونِ) قال : قد ذهب عقله .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ؛ وحدثنى المثنى قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (لَوْلا أنْ تُفَنِّدُونِ) قال : قد ذهب عقله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (لَوْلا أنْ تُفَنِّدُونِ) قال : لولا أن تقولوا : ذهب عقلك .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة، عن ابن إسحاق (لَوْلا أنْ تُفَنِّدُونِ) يقول: لولا أن تضعفونى.

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (لَوْلا أنْ تُفَنِّدُونِ) قال : الذى ليس له عقل ذلك المفند ، يقولون لايعقل .

وقال آخرون : معناه : لولا أن تكذّبون .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا سويد بن عمرو الكلبى ، عن شريك ، عن سالم (لَوْلا أنْ تُفَنِّدُونِ) قال : تكذبون .

قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدىّ ، قال : لولا أن تهرّمون وتكذّبون .

قال : ثنا محمد بن بكر ، عن ابن جريج ، قال : بلغنى عن مجاهد ، قال : تكذّبون .

قال : ثنا عبدة وأبوخالد ، عن جويبر ، عن الضحاك ، قال : لولا أن تكذّبون .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ ، يقول : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (لَوْلا أنْ تُفَنِّدُونِ) تكذّبون .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عمرو ، قال : أخبرنا هشيم ، عن عبد الملك ، عن عطاء ، فى قوله (لَوْلا أنْ تُفَنِّدُونِ) قال : تسفهون أو تكذّبون .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (لَوْلا أنْ تُفَنِّدُونِ) يقول : تكذّبون .

وقال آخرون : معناه : تهرمون .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا إسرائيل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (لَوْلا أنْ تُفَنِّدُونِ) قال : لولا أن تهرِّمون .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبيد الله ، عن إسرائيل ، عن أبى يحيى ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن ، قال : تُهرِّمون .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا أبو الأشهب ، عن الحسن (لَوْلا أنْ تُفَنِّدُونِ) قال : تهرمون .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن أبى الأشهب وغيره ، عن الحسن ، مثله .

وقد بيّنا أن أصل التفنيد : الإفساد ، وإذا كان ذلك كذلك فالضعف والهرم والكذب ، وذهاب العقل وكل معانى الإفساد تدخل فى التفنيد ، لأن أصل ذلك كله الفساد ، والفساد فى الجسم : الهرم وذهاب العقل والضعف ، وفى الفعل الكذب ، واللوم بالباطل ، ولذلك قال جرير بن عطية :

يا عاذلىَّ دَعا المَلامَ وأقْصِرَا طالَ الهَوَى وأطلْتُما التَّفْنِيدا[1]

يعنى الملامة ، فقد تبين إذ كان الأمر على ماوصفنا أن الأقوال التى قالها مَن ذكرنا قوله فى قوله (لَوْلا أنْ تُفَنِّدُونِ) على اختلاف عباراتهم عن تأويله ، متقاربة المعانى ، محتمل جميعها ظاهر التنزيل ، إذ لم يكن فى الآية دليل على أنه معنىّ به بعض ذلك دون بعض .

القول فى تأويل قوله تعالى

قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ (٩٥)

يقول تعالى ذكره : قال الذين قال لهم يعقوب من ولده (إنّى لأَجِدُ رِيح يُوسُفَ لَوْلا أنْ

(١) البيت لجرير بن عطية بن الخطفى . ومعنى أقصرا : قالا الملام ، وكفا عن لومكما . والتفنيد : اللوم بالباطل .

تُفَنِّدُونِ) تالله أيها الرجل ، إنك من حبّ يوسف وذكره ، لفى خطئك وزلك القديم لاتنساه ، ولا تتسلى عنه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (إِنَّكَ لَفِى ضَلَالِكَ القَدِيمِ) يقول : خطئك القديم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (قالوا تالله إنك لَفِى ضَلَالِكَ القَدِيمِ) أى من حبّ يوسف لا تنساه ولا تسلاه ، قالوا لوالدهم كلمة غليظة لم يكن ينبغى لهم أن يقولوها لوالدهم ولا لنبىّ الله صلى الله عليه وسلم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدىّ (قالُوا تالله إِنَّكَ لَفِى ضَلَالِكَ القَدِيمِ) قال : فى شأن يوسف .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : قال سفيان (تالله إنك لَفِى ضَلَالِكَ القَدِيمِ) قال : من حبك ليوسف .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن سفيان ، نحوه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج (قالُوا تالله إِنَّكَ لَفِى ضَلَالِكَ القَدِيمِ) قال : فى حبك القديم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (قالُوا تالله إِنَّكَ لَفِى ضَلَالِكَ القَدِيمِ) أى إنك لمن ذكر يوسف فى الباطل الذى أنت عليه .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (تالله إِنَّكَ لَفِى ضَلَالِكَ القَدِيمِ) قال : يعنون : حزنه القديم على يوسف ، وفى ضلالك القديم : لفى خطئك القديم .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَلَمَّا أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا ، قَالَ : لَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٩٦)

يقول تعالى ذكره : فلما أن جاء يعقوبَ البشيرُ من عند ابنه يوسف ، وهو المبشر برسالة يوسف ، وذلك بريد فيما ذكر كان يوسف يردّه إليه ، وكان البريد فيما ذكر والبشير يهوذا بن يعقوب أخا يوسف لأبيه.

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (فَلَمَّا أَنْ جاءَ البَشِيرُ أَلْقاهُ على وَجْهِهِ) يقول : البشير : البريد .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا جويبر عن الضحاك (فَلَمَّا أنْ جاءَ البَشِيرُ) قال : البريد .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا محمد بن يزيد الواسطى ، عن جويبر ، عن الضحاك (فَلَمَّا أنْ جاءَ البَشِيرُ) قال : البريد .

قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (فَلَمَّا أنْ جاءَ البَشِيرُ) قال : يهوذا بن يعقوب .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : (البَشِيرُ) قال : يهوذا بن يعقوب .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قال : يهوذا ابن يعقوب .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قال : هو يهوذا ابن يعقوب .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج (فَلَمَّا أنْ جاءَ البَشِيرُ) قال : يهوذا بن يعقوب كان البشير .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن الزبير ، عن سفيان ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (فَلَمَّا أنْ جاءَ البَشِيرُ) قال : هو يهوذا بن يعقوب .

قال سفيان : وكان ابن مسعود يقرأ : وجاء البشير من بين يدى العير .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا المحاربى ، عن جويبر ، عن الضحاك (فَلَمَّا أنْ جاءَ البَشِيرُ) قال : البريد هو يهوذا بن يعقوب .

قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدىّ ، قال : قال يوسف (اذْهَبُوا بقَمِيصِى هَذَا فألْقُوهُ على وَجْهِ أبى يَأْتِ بَصِيرًا ، وأْتُونِى بأهْلِكُمْ أجْمَعِينَ) قال يهوذا : أنا ذهبت بالقميص ملطخا بالدم إلى يعقوب ، فأخبرته أن يوسف أكله الذئب ، وأنا أذهب اليوم بالقميص وأخبره أنه حىّ ، فأفرحه كما أحزنته ، فهو كان البشير .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا هشيم ، عن جويبر ، عن الضحاك (فَلَمَّا أنْ جاءَ البَشِيرُ) قال : البريد .

وكان بعض أهل العربية من أهل الكوفة يقول : «أن» فى قوله (فَلَمَّا أنْ جاءَ البَشِيرُ) وسقوطها بمعنى واحد ، وكان يقول هذا فى لما وحتى خاصة ، ويذكر أن العرب تدخلها فيهما أحيانا ، وتسقطها أحيانا ، كما قال جلّ ثناؤه (وَلَمَّا أنْ جاءَتْ رُسُلُنا) ، وقال فى موضع آخر (وَلَمَّا جاءَتْ رُسُلُنا)

وقال : هى صلة لاموضع لها فى هذين الموضعين ، يقال : حتى كان كذا وكذا ، وحتى أن كان كذا وكذا .

وقوله (أَلْقَاهُ على وَجْهِهِ) يقول : ألقى البشير قميص يوسف على وجه يعقوب .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (فَلَمَّا أَنْ جاءَ البَشِيرُ) ألقى القميص على وجهه.

وقوله (فارْتَدَّ بَصِيرًا) يقول : رجع وعاد مبصرا بعينيه بعد ما قد عمى (قالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّى أَعْلَمُ مِنَ اللهِ ما لاتَعْلَمُونَ) يقول عزّ وجلّ : قال يعقوب لمن كان بحضرته حينئذ من ولده : ألم أقل لكم يابنىّ إنى أعلم من الله أنه سيردّ علىّ يوسف ، ويجمع بينى وبينه ، وكنتم لاتعلمون أنتم من ذلك ما كنت أعلمه ، لأن رؤيا يوسف كانت صادقة ، وكان الله قد قضى أن أخرّ أنا وأنتم له سجودا فكنت موقنا بقضائه .

القول فى تأويل قوله تعالى

قَالُوا : يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا ، إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ (٩٧) قَالَ : سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّى ، إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٩٨)

⁂ يقول تعالى ذكره : قال ولد يعقوب الذين كانوا فرّقوا بينه وبين يوسف : ياأبانا سل لنا ربك يعف عنا ، ويستر علينا ذنوبنا التى أذنبناها فيك ، وفى يوسف ، فلا يعاقبنا بها فى القيامة (إِنَّا كُنَّا خاطِئِينَ) فيما فعلنا به ، فقد اعترفنا بذنوبنا ، قال (سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّى) يقول جل ثناؤه : قال يعقوب : سوف أسأل ربى أن يعفو عنكم ذنوبكم التى أذنبتموها فىّ وفى يوسف .

ثم اختلف أهل التأويل فى الوقت الذى أخر الدعاء إليه يعقوب لولده بالاستغفار لهم من ذنبهم ، فقال بعضهم : أخر ذلك إلى السحر .

ذكر من قال ذلك

حدثنى أبو السائب ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : سمعت عبد الرحمن بن إسحاق ، يذكر ، عن محارب ابن دثار ، قال : كان عمّ لى يأتى المسجد ، فسمع إنسانا يقول : اللهمّ دعوتنى فأجبت ، وأمرتنى فأطعت وهذا سحر ، فاغفر لى ، قال : فاستمع الصوت فإذا هو من دار عبد الله بن مسعود ، فسأل عبد الله عن ذلك ، فقال : إن يعقوب أخّر بنيه إلى السحر بقوله (سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّى) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن فضيل ، عن عبد الرحمن بن إسحاق ، عن محارب بن دثار ، عن عبد الله ابن مسعود (سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّى) قال : أخرهم إلى السحر .

قال : ثنا أبو سفيان الحميرىّ ، عن العوام ، عن إبراهيم التيمىّ فى قول يعقوب لبنيه (سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّى) قال : أخرهم إلى السَّحر .

قال : ثنا عمرو ، عن خلاد الصفّار ، عن عمرو بن قيس (سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّى) قال : فى صلاة الليل .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج (سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّى) قال : أخّر ذلك إلى السَّحَر .

وقال آخرون : أخّر ذلك إلى ليلة الجمعة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا سليمان بن عبد الرحمن أبو أيوب الدمشقىّ ، قال : ثنا الوليد ، قال : أخبرنا ابن جُرَيج ، عن عطاء وعكرمة ، عن ابن عباس ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّى) يقول : حتى تأتى ليلة الجمعة ، وهو قول أخى يعقوب لبنيه .

حدثنا أحمد بن الحسن الترمذىّ ، قال : ثنا سليمان بن عبد الرحمن الدمشقىّ ، قال : ثنا الوليد بن مسلم ، قال : أخبرنا ابن جريج ، عن عطاء وعكرمة مولى ابن عباس ، عن ابن عباس ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «قَدْ قالَ أخِى يَعْقُوبُ : سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّى ، يَقُولُ حتى تَأْتِىَ لَيْلَةُ الجُمُعَةِ » .

وقوله (إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ) يقول : إن ربّى هو الساتر على ذنوب التائبين إليه من ذنوبهم ، الرحيم بهم أن يعذّبهم بعد توبتهم منها .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ ، وَقَالَ : ٱدْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ (٩٩) وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا ، وَقَالَ : يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَىَ مِن قَبْلُ ، قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ، وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ ، مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ، إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ، إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ (١٠٠)

يقول جلّ ثناؤه : فلما دخل يعقوبُ وولده وأهلوهم على يوسف (آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ) يقول : ضمّ إليه أبويه ، فقال لهم (ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شاءَ اللهُ آمِنِينَ) .

فإن قال قائل : وكيف قال لهم يوسف : (ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شاءَ اللهُ آمِنِينَ) بعد ما دخلوها ، وقد أخبر الله عزّ وجلّ عنهم أنهم لما دخلوها على يوسف ، وضمّ إليه أبويه ، قال لهم هذا القول ؟ قيل : قد اختلف أهل التأويل فى ذلك ؛ فقال بعضهم : إن يعقوب إنما دخل على يوسف هو وولده ، وآوى يوسف

أبويه إليه قبل دخول مصر ، قالوا : وذلك أن يوسف تلقى أباه ، تكرمة له ، قبل أن يدخل مصر ، فآواه إليه ، ثم قال له ولمن معه : (ادْخُلُوا مِصْرَ إنْ شاءَ اللهُ آمِنِينَ) بها ، قبل الدخول .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدىّ ، فحملوا إليه أهلهم وعيالهم ، فلما بلغوا مصر ، كلم يوسف الملك الذى فوقه ، فخرج هو والملوك يتلقونهم ، فلما بلغوا مصر (قال : ادْخُلُوا مِصْرَ إنْ شاءَ اللهُ آمِنِينَ ، فَلَمَّا دَخَلُوا على يُوسُفَ آوَى إلَيْهِ أبَوَيْهِ) .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا جعفر بن سليمان ، عن فرقد السبخىّ ، قال : لما ألقى القميص على وجهه ارتدّ بصيرا ، وقال : ائتونى بأهلكم أجمعين ، فحُمل يعقوب وإخوة يوسف ؛ فلما دنا أُخبر يوسف أنه قد دنا منه ، فخرج يتلقاه ؛ قال : وركب معه أهل مصر ، وكانوا يعظمونه ؛ فلما دنا أحدهما من صاحبه ، وكان يعقوب يمشى وهو يتوكأ على رَجل من ولده يقال له يهوذا ، قال : فنظر يعقوب إلى الخيل والناس ، فقال : يا يهوذا ، هذا فرعون مصر ؟ قال : لا ، هذا ابنك ؛ قال : فلما دنا كل واحد منهما من صاحبه ، فذهب يوسف يبدؤه بالسلام ، فمنع من ذلك ، وكان يعقوب أحقّ بذلك منه وأفضل ، فقال : السلام عليك يا ذاهب الأحزان عنى ؛ هكذا قال : « يا ذاهب الأحزان عنى » .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : قال حجاج : بلغنى أن يوسف والملك خرجا فى أربعة آلاف يستقبلون يعقوب وبنيه .

قال : وحدثنى من سمع جعفر بن سليمان يحكى ، عن فرقد السبخىّ ، قال : خرج يوسف يتلقى يعقوب ، وركب أهل مصر مع يوسف ، ثم ذكر بقية الحديث ، نحو حديث الحارث ، عن عبد العزيز .

وقال آخرون : بل قوله (إنْ شاءَ اللهُ) استثناء من قول يعقوب لبنيه (أسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبّى) قال : وهو من المؤخر الذى معناه التقديم ، قالوا : وإنما معنى الكلام : قال : أستغفر لكم ربى إن شاء الله ، إنه هو الغفور الرحيم (فَلَمَّا دَخَلُوا على يُوسُفَ آوَى إلَيْهِ أبَوَيْهِ وقالَ : ادْخلوا مصْر) ورفع أبويه.

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج (قالَ سَوْفَ أسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبّى) إن شاء الله آمنين ، وبين ذلك ما بينه من تقديم القرآن ، يعنى ابن جريج ، وبين ذلك ما بينه من تقديم القرآن ، أنه قد دخل بين قوله (سَوْفَ أسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبّى ، وبين قوله (إنْ شاءَ اللهُ) من الكلام ما قد دخل ، وموضعه عنده أن يكون عقيب قوله : (سَوْفَ أسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبّى) .

⁂ والصواب من القول فى ذلك عندنا : ما قاله السُّدىّ ، وهو أن يوسف قال ذلك لأبويه ومن معهما من أولادهما وأهاليهم ، قبل دخولهم مصر حين تلقاهم ، لأن ذلك فى ظاهر التنزيل كذلك ، فلادلالة تدلّ على صحة ما قال ابن جريج ، ولا وجه لتقديم شىء من كتاب الله عن موضعه ، أو تأخيره عن مكانه ، إلا بحجة واضحة .

وقيل : عُنِى بقوله (آوَى إلَيْهِ أبَوَيْهِ) : أبوه وخالته ، وقال الذين قالوا هذا القول : كانت أمّ يوسف قد ماتت قبلُ . وإنما كانت عند يعقوب يومئذ خالته أخت أمه ، كان نكحها بعد أمه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدىّ (فَلَمَّا دَخَلُوا على يُوسُفَ آوَى إلَيْهِ أبَوَيْهِ) قال : أبوه وخالته .

وقال آخرون : بل كان أباه وأمه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (فَلَمَّا دَخَلُوا على يُوسُفَ آوَى إلَيْهِ أبَوَيْهِ) قال : أباه وأمه .

⁂ وأولى القولين فى ذلك بالصواب : ما قاله ابن إسحاق ، لأن ذلك هو الأغلب فى استعمال الناس ، والمتعارف بينهم فى أبوين ، إلا أن يصحّ ما يقال من أن أم يوسف كانت قد ماتت قبل ذلك ، بحجة يجب التسليم لها ، فيسلَّم حينئذ لها .

وقوله : (وَقالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إنْ شاءَ اللهُ آمِنِينَ) مما كنتم فيه فى باديتكم من الجدب والقحط .

وقوله : (وَرَفَعَ أبَوَيْهِ على العَرْشِ) يعنى : على السرير .

كما حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدىّ (وَرَفَعَ أبَوَيْهِ على العَرْشِ) قال : السرير .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا محمد بن يزيد الواسطىّ ، عن جويبر ، عن الضحاك ، قال : العرش : السرير .

قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله ، (وَرَفَعَ أبَوَيْهِ على العَرْشِ) قال : السرير .

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنى المثنى قال : أخبرنا أبو حذيفة قال : ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ؛ وحدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنى المثنى ، قال : أخبرنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ؛ وحدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَرَفَعَ أبَوَيْهِ على العَرْشِ) قال : سريره .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (عَلَى العَرْشِ) قال : على السرير .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ على العَرْشِ) يقول : رفع أبويه على السرير .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : قال سفيان (وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ على العَرْشِ) قال : على السرير .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ على العَرْشِ) قال : مجلسه .

حدثنى ابن عبد الرحيم البرقىّ ، قال : ثنا عمرو بن أبى سلمة ، قال : سألت زيد بن أسلم ، عن قول الله تعالى (وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ على العَرْشِ) فقلت : أبَلَغك أنها خالته ؟ قال : قال ذلك بعض أهل العلم ، يقولون : إن أمه ماتت قبل ذلك ، وإن هذه خالته .

وقوله (وخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا) يقول : وخرّ يعقوبُ وولده وأمه ليوسف سجدا .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، (وخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا) يقول : رفع أبويه على السرير ، وسجدا له ، وسجد له إخوته .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : تَحَمَّلَ ، يعنى يعقوب بأهله حتى قدموا على يوسف ؛ فلما اجتمع إلى يعقوب بنوه ، دخلوا على يوسف ؛ فلما رأوه وقعوا له سجودا ، وكانت تلك تحية الملوك فى ذلك الزمان ، أبوه وأمه وإخوته :

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا) وكانت تحية من قبلكم ، كان بها يحيّ بعضهم بعضا ، فأعطى الله هذه الأمة السلام ، تحية أهل الجنة ، كرامة من الله تبارك وتعالى عَجَّلَها لهم ، ونعمة منه .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا) قال : وكانت تحية الناس يومئذ أن يسجد بعضهم لبعض .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو إسحاق ، قال : قال سفيان (وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا) قال : كانت تحية فيهم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج (وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا) أبواه وإخوته ، كانت تلك تحيتهم ، كما تصنع ناس اليوم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا المحاربىّ ، عن جويبر ، عن الضحاك (وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا) قال : تحية بينهم .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله (وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا) قال : قال ذلك السجود تشرفة ، كما سجدت الملائكة لآدم تشرفة ، ليس بسجود عبادة .

وإنما عنى من ذكر بقوله : إن السجود كان تحية بينهم ، أن ذلك كان منهم على الخُلُق ، لاعلى وجه العبادة من بعضهم لبعض ؛ ومما يدلّ على أن ذلك لم يزل من أخلاق الناس قديما على غير وجه العبادة من بعضهم لبعض ، قول أعشى بنى ثعلبة :

فَلَمَّا أتانا بُعَيْدَ الكَرَى　　سَجَدْنا لَهُ وَرَفَعْنا العَمارَا[1]

وقوله (يا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ ، قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا) يقول جلّ ثناؤه : قال يوسف لأبيه : يا أبت ، هذا السجود الذى سجدت أنت وأمى وإخوتى لى (تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ) يقول : ما آلت إليه رؤياى التى كنت رأيتها ، وهى رؤياه التى كان رآها قبل صنيع إخوته به ماصنعوا ، أن أحد عشر كوكبا والشمس والقمر له ساجدون (قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا) يقول : قد حققها ربى لمجىء تأويلها على الصحة .

وقد اختلف أهل العلم فى قدر المدّة التى كانت بين رؤيا يوسف وبين تأويلها ، فقال بعضهم : كانت مدة ذلك أربعين سنة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر ، عن أبيه ، قال : ثنا أبوعثمان ، عن سلمان الفارسىّ ، قال : كان بين رؤيا يوسف إلى أن رأى تأويلها أربعون سنة .

حدثنى يعقوب بن برهان ويعقوب بن إبراهيم ، قالا : ثنا ابن عُلَيَة ، قال : ثنا سليمان التيمىّ ، عن أبى عثمان النهدىّ ، قال : قال عثمان : كانت بين رؤيا يوسف وبين أن رأى تأويله ، قال : فذكر أربعين سنة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن عُلَيَة ، عن التيمىّ ، عن أبى عثمان ، عن سلمان ، قال : كان بين رؤيا يوسف وتأويلها أربعون سنة .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبونعيم ، قال : ثنا سفيان ، عن أبى سنان ، عن عبد الله بن شدّاد ، قال : رأى تأويل رؤياه بعد أربعين عاما .

قال : ثنا سفيان ، عن سليمان التيمىّ ، عن أبى عثمان ، عن سلمان ، مثله .

حدثنى أبو السائب ، قال : ثنا ابن فضيل ، عن ضرار ، عن عبد الله بن شداد أنه سمع قوما يتنازعون

---

(١) البيت للأعشى الأكبر ميمون ، وهو أعشى بنى ثعلبة (ديوانه طبع القاهرة بشرح الدكتور محمد حسين ص ٥١) وهو من قصيدته التى مطلعها : « أزمعت من آل ليلى ابتكارا » يمدح قيس بن معد يكرب ، وكان قد صحبه فى بعض غاراته . بمكان اسمه لعلع ، وتعرض للأسر ، حتى أنقذ بدخول الممدوح عليهم آخر الليل مظفرا ، فسجدوا له شكرا وتعظيما ، رافعين أيديهم بالعمار ، وهو الريحان ، وذلك من تحية الملوك . على جهة التكريم لا العبادة .

فى رؤيا رآها بعضهم وهو يصلى، فلما انصرف سألهم عنها ، فكتموه، فقال : أما إنه جاء تأويل رؤيا يوسف بعد أربعين عاما .

حدثنا أبو كريب، قال : ثنا وكيع ؛ وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن إسرائيل ، عن ضرار بن مرّة أبى سنان ، عن عبد الله بن شدّاد ، قال : كان بين رؤيا يوسف وتأويلها أربعون سنة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن فضيل وجرير ، عن أبى سنان ، قال : سمع عبد الله بن شدّاد قوما يتنازعون فى رؤيا ، فذكر نحو حديث أبى السائب ، عن ابن فُضَيل .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن سليمان التيمى ، عن أبى عثمان ، عن سلمان ، قال : رأى تأويل رؤياه بعد أربعين عاما .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : أخبرنا ابن عيينة ، عن أبى سنان ، عن عبد الله بن شداد ، قال : وقعت رؤيا يوسف بعد أربعين سنة ، وإليها تنتهى أيضا الرؤيا .

قال : ثنا معاذ بن معاذ ، قال : ثنا سليمان التيمىّ ، عن أبى عثمان، عن سلمان، قال : كان بين رؤيا يوسف ، وبين أن رأى تأويلها أربعون سنة .

قال : ثنا عبد الوهاب بن عطاء ، عن سليمان التيمىّ ، عن أبى عثمان ، عن سلمان ، قال : كان بين رؤيا يوسف وبين عبارتها أربعون سنة .

قال : حدثنا سعيد بن سليمان ، قال : ثنا هشيم ، عن سليمان التيمىّ، عن أبى عثمان ، عن سلمان ، قال: كان بين رؤيا يوسف ، وبين أن رأى تأويلها أربعون سنة .

قال : ثنا عمرو بن محمد العنقزىّ ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبى سنان ، عن عبد الله بن شدّاد ، قال : كان بين رؤيا يوسف وبين تعبيرها أربعون سنة .

وقال آخرون : كانت مدة ذلك ثمانين سنة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا عمرو بن علىّ ، قال : ثنا عبد الوهاب الثقفى ، قال : ثنا هشام ، عن الحسن ، قال : كان منذ فارق يوسف يعقوب إلى أن التقيا ، ثمانون سنة، لم يفارق الحزن قلبه ، ودموعه تجرى على خدّيه، وما على وجه الأرض يومئذ عبد أحبّ إلى الله من يعقوب .

حدثنا ابن حميد ، قال: ثنا سلمة ، عن أبى جعفر، حسن بن فَرْقَد ، قال: كان بين أن فقد يعقوب يوسف إلى يومَ رُدّ عليه ، ثمانون سنة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا حسن بن علىّ ، عن فضيل بن عياض ، قال : سمعت أنه كان بين فراق يوسف حِجر يعقوب إلى أن التقيا ، ثمانون سنة .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا داود بن مهران ، قال : ثنا عبد الواحد بن زياد ، عن يونس ، عن

الحسن ، قال : أُلقِى يوسف فى الجبّ وهو ابن سبع عشرة سنة ، وكان بين ذلك وبين لقائه يعقوب ثمانون سنة ، وعاش بعد ذلك ثلاثا وعشرين سنة ، ومات وهو ابن عشرين ومئة سنة .

قال : ثنا سعيد بن سليمان ، قال : ثنا هشيم ، عن يونس ، عن الحسن ، نحوه ، غير أنه قال : ثلاث وثمانون سنة .

قال : ثنا داود بن مهران ، قال : ثنا ابن عُلَيّة ، عن يونس ، عن الحسن ، قال : أُلقِىَ يوسف فى الجبّ وهو ابن سبع عشرة سنة ، وكان فى العبودية وفى السجن وفى الملك ثمانين سنة ، ثم جمع الله عزّ وجلّ شمله ، وعاش بعد ذلك ثلاثا وعشرين سنة .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا مبارك بن فضالة ، عن الحسن ، قال : أُلقِى يوسف فى الجبّ ، وهو ابن سبع عشرة ، فغاب عن أبيه ثمانين سنة ، ثم عاش بعد ما جمع الله له شمله ، ورأى تأويل رؤياه ثلاثا وعشرين سنة ، فمات وهو ابن عشرين ومئة سنة .

حدثنا مجاهد ، قال : ثنا يزيد ، قال : أخبرنا هشيم ، عن الحسن ، قال : غاب يوسف ، عن أبيه فى الجبّ وفى السجن حتى التقيا ثمانين عاما ، فما جفت عينا يعقوب ، وما على الأرض أحد أكرم على الله من يعقوب .

وقال آخرون : كانت مدة ذلك : ثمان عشرة سنة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حُميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ذُكر لى - والله أعلم - أن غيبة يوسف عن يعقوب كانت ثمان عشرة سنة ، قال : وأهل الكتاب يزعمون أنها كانت أربعين سنة أو نحوها ، وأن يعقوب بقى مع يوسف بعد أن قدم عليه مصر ، سبع عشرة سنة ، ثم قبضه الله إليه .

وقوله (وَقَدْ أَحْسَنَ بِى إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ) يقول جلّ ثناؤه مخبرا عن قيل يوسف : وقد أحسن الله بى فى إخراجه إياى من السجن الذى كنت فيه محبوسا ، وفى مجيئه بكم من البدو ، وذلك أن مسكن يعقوب وولده فيما ذكر ، كان ببادية فلسطين كذلك .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : كان منزل يعقوب وولده فيما ذكر لى بعض أهل العلم بالعربات ، من أرض فلسطين ثغور الشام ، وبعض يقول بالأولاج من ناحية الشعب ، وكان صاحبَ بادية ، له إبل وشاء .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، قال : أخبرنا شيخ لنا أن يعقوب كان ببادية فلسطين .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَقَدْ أَحْسَنَ بِى إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ) وكان يعقوب وبنوه بأرض كنعان ، أهل مواش وبرية .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج (وَجَاء بِكُمْ مِنَ الْبَدو)

وقال : كانوا أهل بادية وماشية ، والبدو مصدر من قول القائل : بدا فلان : إذا صار بالبادية يبدو بدوا . وذُكر أن يعقوب دخل مصر هو ومن معه من أولاده وأهاليهم وأبنائهم يوم دخلوها ، وهم أقلّ من مئة ، وخرجوا منها يوم خرجوا منها وهم زيادة على ستّ مئة ألف .

ذكر الرواية بذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا زيد بن الحُباب وعمرو بن محمد ، عن موسى بن عبيدة ، عن محمد بن كعب القُرَظيّ ، عن عبد الله بن شدّاد ، قال : اجتمع آل يعقوب إلى يوسف بمصر وهم ستة وثمانون إنسانا ، صغيرهم وكبيرهم ، وذكرهم وأنثاهم ، وخرجوا من مصر يوم أخرجهم فرعون وهم ستّ مئة ألف و نَيّف .

قال : ثنا عمرو ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن أبي عبيدة ، عن عبد الله ، قال : خرج أهل يوسف من مصر وهم ستّ مئة ألف وسبعون ألفا ، فقال فرعون : إن هؤلاء لشرذمة قليلون .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن إسرائيل والمسعوديّ ، عن أبي إسحاق ، عن أبي عبيدة ، عن ابن مسعود ، قال : دخل بنو إسرائيل مصر وهم ثلاثة وستون إنسانا ، وخرجوا منها وهم ستّ مئة ألف ، قال إسرائيل فى حديثه : ستّ مئة ألف وسبعون ألفا .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن مسروق ، قال : دخل أهل يوسف مصر وهم ثلاث مئة وتسعون من بين رجل وامرأة .

وقوله (مِنْ بَعْدِ أنْ نَزَغَ الشَّيْطانُ بَيْنِي وبينَ إخْوَتِي) يعنى : من بعد أن أفسد ما بينى وبينهم ، وجهل بعضنا على بعض ، يقال منه : نزغ الشيطان بين فلان وفلان ، ينزِغ نَزْغا ونزوغا .

وقوله (إنَّ رَبّي لَطِيفٌ لِمَا يَشاءُ) يقول : إن ربى ذو لُطف وصنع لما يشاء ، ومن لطفه وصنعه أنه أخرجنى من السجن ، وجاء بأهلى من البدو ، بعد الذى كان بينى وبينهم من بُعد الدار ، وبَعد ما كنت فيه من العبودة والرقّ والإسار .

كالذى حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إنَّ رَبّي لَطِيفٌ لِمَا يَشاءُ) لَطَف بيوسف وصنع له ، حتى أخرجه من السجن ، وجاء بأهله من البدو ، ونزع من قلبه نَزْغ الشيطان وتحريشه على إخوته .

وقوله (إنَّهُ هُوَ العَلِيمُ) بمصالح خلقه ، وغير ذلك لايخفى عليه مبادى الأمور وعواقبها (الحَكِيمُ) فى تدبيره .

القول فى تأويل قوله تعالى

* رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ، فَاطِرَ السَّمَوَٰتِ وَالْأَرْضِ ، أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، تَوَفَّنِي مُسْلِماً ، وَأَلْحِقْنِي بِالصَّٰلِحِينَ (١٠١)

يقول تعالى ذكره : قال يوسف بعد ما جمع الله له أبويه وإخوته ، وبسط عليه من الدنيا ما بسط من الكرامة ، ومكنه فى الأرض ، متشوّقا إلى لقاء آبائه الصالحين (رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِى مِنَ الْمُلْكِ) يعنى : من ملك مصر (وَعَلَّمْتَنِى مِنْ تَأْوِيلِ الأحادِيثِ) يعنى من عبارة الرؤيا ، تعديدا لنعم الله ، وشكرا له عليها (فاطِرَ السَّمَوَاتِ والأرْضِ) يقول : يا فاطر السموات والأرض ، ياخالقها وبارئها . (أنتَ وَلِيِّى فى الدُّنيا والآخِرَةِ) : يقول : أنت ولىى فى دنياى على من عادانى وأرادنى بسوء بنصرك ، وتغذونى فيها بنعمتك ، وتَلِينى فى الآخرة بفضلك ورحمتك (تَوَفَّنِى مُسْلِما) يقول : اقبضنى إليك مسلما ، (وأَلْحِقْنِى بالصَّالِحِينَ)يقول : وألحقنى بصالح آبائى إبراهيم وإسحاق ومن قبلهم من أنبيائك ورسلك .

وقيل : إنه لم يتمنّ أحد من الأنبياء الموت قبل يوسف .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِى مِنَ الْمُلْكِ وعَلَّمْتَنِى مِنْ تَأْوِيلِ الأحادِيثِ) . . . الآية ، قال ابن عباس : يقول : أوّل نبىّ سأل الله الموت يوسف .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس ، قوله (رب قد آتَيْتَنِى مِنَ الْمُلْكِ) . . . الآية ، قال : اشتاق إلى لقاء ربه ، وأحبّ أن يلحق به وبآبائه ، فدعا الله أن يتوفاه ، ويلحقه بهم ، ولم يسأل نبىّ قَطُّ الموت غير يوسف ، فقال (رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِى مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِنْ تَأْوِيلِ الأحادِيثِ) . . . الآية ، قال ابن جريج : فى بعض القرآن من الأنبياء من قال : تَوَفَّنى .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (تَوَفَّنِى مُسْلِما وأَلْحِقْنِى بالصَّالِحِينَ) لما جمع شملَه ، وأقرّ عينه ، وهو يومئذ مغموس فى نعيم الدنيا وملكها وغضارتها ، فاشتاق إلى الصالحين قبله . وكان ابن عباس يقول : ما تمنى نبىّ قَطُّ الموت قبل يوسف .

حدثنى المثنى ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : أخبرنا عبد الله بن الزُّبير ، عن سفيان ، عن ابن أبى عَرُوبة عن قتادة ، قال : لما جمع ليوسف شمله ، وتكاملت عليه النعم ، سأل لقاء ربه فقال (رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِى مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِنْ تَأْوِيلِ الأحادِيثِ ، فاطِرَ السَّمَوَاتِ والأرْضِ ، أنْتَ وَلِيِّى فِى الدُّنْيا والآخِرَةِ ، تَوَفَّنِى مُسْلِما ، وأَلْحِقْنِى بالصَّالِحِينَ) قال قتادة : ولم يتمنّ الموت أحد قطُّ ، نبىّ ولا غيره ، إلا يوسف .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا هشام ، قال : ثنا الوليد بن مسلم ، قال : ثنى غير واحد ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، أن يوسف النبىّ صلى الله عليه وسلم لما جمع بينه وبين أبيه وإخوته ، وهو يومئذ ملك مصر ، اشتاق إلى الله وإلى آبائه الصالحين إبراهيم وإسحاق ، قال (رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِى مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى ،

مِنْ تَأْوِيلِ الأحاديثِ ، فاطِرَ السَّمَوَاتِ والأرْضِ ، أنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيا والآخِرَةِ ، تَوَفَّنِي مُسْلِما ، وأَلْحِقْنِي بالصَّالِحِينَ) .

حدثني المثنى ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا هشام ، عن مسلم بن خالد ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله (وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الأحاديثِ) قال : العبارة .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ ، يقول : أخبرنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (تَوَفَّنِي مُسْلِما ، وأَلْحِقْنِي بالصَّالِحِينَ) يقول : توفني على طاعتك ، واغفر لي إذا توفيتني .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : قال يوسف حين رأى ما رأى من كرامة الله وفضله عليه وعلى أهل بيته حين جمع الله له شمله ، وردّه على والده ، وجمع بينه وبينه فيما هو فيه من الملك والبهجة (يا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَها رَبِّي حَقًّا) . . . إلى قوله (إنَّهُ هُوَ العَلِيمُ الحَكِيمُ) ثم ارعوى يوسف ، وذكر أن ما هو فيه من الدنيا بائد وذاهب ، فقال (رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ المُلْكِ ، وعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الأحاديثِ ، فاطِرَ السَّمَوَاتِ والأرْضِ ، أنْتَ وَلِيِّي في الدنيا والآخِرَةِ ، تَوَفَّنِي مُسْلِما ، وأَلْحِقْنِي بالصَّالِحِينَ) وذكر أن بني يعقوب الذين فعلوا بيوسف مافعلوا ، استغفر لهم أبوهم ، فتاب الله عليهم وعفا عنهم ، وغفر لهم ذنبهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن صالح المرِّي ، عن يزيد الرقاشي ، عن أنس بن مالك ، قال : إن الله تبارك وتعالى بما جمع ليعقوب شمله ، وأقرّ عينه ، خلا ولدُه نجيا ، فقال بعضهم لبعض : ألستم قد علمتم ماصنعتم ، وما لقي منكم الشيخ ، وما لقي منكم يوسف ؟ قالوا : بلى ، قال : فيغرُّكم عفوهما عنكم ، فكيف لكم بربكم ؟ فاستقام أمرهم على أن أتوا الشيخ ، فجلسوا بين يديه ، ويوسف إلى جنب أبيه قاعد ، قالوا : يا أبانا أتيناك في أمر لم نأتك في أمر مثله قَطُّ ، ونزل بنا أمر لم ينزل بنا مثله ، حتى حركوه ، والأنبياء أرحم البرية ، فقال : مالكم يا بَنِيّ ؟ قالوا : ألست قد علمت ما كان منا إليك ، وما كان منا إلى أخينا يوسف ؟ قال : بلى ، قالوا : أفلستما قد عفوتما ؟ قالا : بلى ، قالوا : فإنّ عفوكما لايغني عنا شيئا إن كان الله لم يعف عنا ، قال : فما تريدون يا بنيّ ، قالوا : نريد أن تدعوَ الله لنا ، فإذا جاءك الوحي من عند الله بأنه قد عفا عما صنعنا ، قرّت أعيننا ، واطمأنت قلوبنا ، وإلا فلا قرّة عين في الدنيا لنا أبدا . قال : فقام الشيخ ، واستقبل القبلة ، وقام يوسف خلف أبيه ، وقاموا خلفهما أذلة خاشعين ، قال : فدعا وأمّن يوسف ، فلم يجب فيهم عشرين سنة ، قال صالح المُرِّيّ : يخيفهم . قال : حتى إذا كان رأس العشرين ، نزل جبرئيل صلى الله عليه وسلم على يعقوب عليه السلام ، فقال : إن الله تبارك وتعالى بعثني إليك ، أبشرك بأنه قد أجاب دعوتك في ولدك ، وأنه قد عفا عما صنعوا ، وأنه قد اعتقد مواثيقهم من بعدك على النبوّة .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا جعفر بن سليمان ، عن أبى عمران الجَونىّ ، قال : والله لو كان قتل يوسف مضى ، لأدخلهم الله النار كلهم ، ولكن الله جلّ ثناؤه أمسك نفس يوسف ، ليبلغ فيه أمره ورحمة لهم ، ثم يقول والله ما قصّ الله نبأهم يعيرهم بذلك ، إنهم لأنبياء من أهل الجنة ، ولكنّ الله قصّ علينا نبأهم ، لئلا يَقْنَط عبده .

وذُكر أن يعقوب تُوُفى قبل يوسف ، وأوصى إلى يوسف ، وأمره أن يدفنه عند قبر أبيه إسحاق .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدىّ ، قال : لما حضر الموتُ يعقوبَ ، أوصى إلى يوسف أن يدفنه عند إبراهيم وإسحاق ، فلما مات نفخ فيه المرّ ، وحمله إلى الشام ، قال : فلما بلغوا إلى ذلك المكان أقبل عيص أخو يعقوب ، فقال : غلبنى على الدعوة ، فوالله لايغلبنى على القبر ، فأبى أن يتركهم أن يدفنوه ، فلما احتبسوا قال هشام بن دار بن يعقوب وكان هشام أصمّ لبعض أخوته : ماالحدّى لايدفن ؟ قالوا : هذا عمك يمنعه ، قال : أرونيه أين هو ؟ فلما رآه رفع هشام يده ، فوجأ بها رأس العيص وجأة ، سقطت عيناه على فخذ يعقوب ، فدفنا فى قبر واحد .

القول فى تأويل قوله تعالى

ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ، وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓاْ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ (١٠٢)

يقول تعالى ذكره : هذا الخبر الذى أخبرتك به من خبر يوسف ووالده يعقوب وإخوته وسائر ما فى هذه السورة (مِنْ أنْباءِ الغَيْبِ) يقول : من أخبار الغيب الذى لم تشاهده ، ولم تعاينه ، ولكنا (نُوحِيهِ إلَيْكَ) ونعرفكه ، لنثبت به فؤادك ، ونشجع به قلبك ، وتصبر على ما نالك من الأذى من قومك فى ذات الله ، وتعلم أن من قبلك من رسل الله إذ صبروا على ماناالهم فيه ، وأخذوا بالعفو ، وأمروا بالعرف ، وأعرضوا عن الجاهلين ، فازوا بالظفر ، وأيدوا بالنصر ، ومُكّنوا فى البلاد ، وغَلَبوا من قصدوا من أعدائهم وأعداء دين الله ، يقول الله تبارك وتعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، فبهم يا محمد فتأسّ ، وآثارهم فقصّ (وَما كُنْتَ لَدَيْهِمْ إذْ أجْمَعُوا أمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ) يقول : وما كنت حاضرا عند إخوة يوسف ، إذ أجمعوا ، واتفقت آراؤهم ، وصحّت عزائمهم ، على أن يُلْقُوا يوسف فى غيابة الجبّ ، وذلك كان مكرهم الذى قال الله عزّ وجلّ وهم يمكرون .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَما كُنْتَ لَدَيْهِمْ) ، يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم يقول : ما كنت لديهم وهم يلقونه فى غيابة الجبّ وهم يمكرون : أى بيوسف .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء الخراسانىّ ، عن

ابن عباس (وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ) . . . الآية ، قال : هم بنو يعقوب .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ (١٠٣)

يقول جلّ ثناؤه : وما أكثر مشركى قومك يا محمد ، ولو حرصت على أن يؤمنوا بك فيصدّقوك ، ويتبعوا ما جئتهم به من عند ربك ، بمصدّقيك ولا متبعيك .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَمَا تَسْئَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ، إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ (١٠٤)

يقول تعالى ذكره لمحمد صلى الله عليه وسلم : وما تسأل يا محمد هؤلاء الذين ينكرون نبوّتك ، ويمتنعون من تصديقك ، والإقرار بما جئتهم به من عند ربك على ما تدعوهم إليه من إخلاص العبادة لربك ، وهجر عبادة الأوثان ، وطاعة الرحمن ، من أجر ، يعنى : من ثواب وجزاء منهم ، بل إنما ثوابك وأجر عملك على الله . يقول : ما تسألهم على ذلك ثوابا ، فيقولوا لك : إنما تريد بدعائك إيانا إلى اتباعك ، لننزل لك عن أموالنا إذا سألتنا ذلك ، وإذ كنت لاتسألهم ذلك ، فقد كان حقا عليهم أن يعلموا أنك إنما تدعوهم إلى ماتدعوهم إليه ، اتباعا منك لأمر ربك ، ونصيحة منك لهم ، وأن لايستغشوك .

وقوله (إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ) يقول تعالى ذكره : ما هذا الذى أرسلك به ربك يامحمد من النبوّة والرسالة ، إلا ذكر ، يقول : إلا عظة وتذكير للعالمين ، ليتعظوا ويتذكروا به .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَكَأَيِّنْ مِنْ ءَايَةٍ فِى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ (١٠٥)

يقول جلّ وعزّ : وكم من آية فى السموات والأرض لله ، وعبرة وحجة ، وذلك كالشمس والقمر والنجوم ونحو ذلك من آيات السموات ، وكالجبال والبحار والنبات والأشجار ، وغير ذلك من آيات الأرض . (يَمُرُّونَ عَلَيْهَا) يقول : يعاينونها ، فيمرّون بها معرضين عنها ، لايعتبرون بها ، ولا يفكرون فيها ، وفيما دلت عليه من توحيد ربها ، وأن الألوهة لاتبتغى إلا للواحد القهار ، الذى خلقها وخلق كلّ شىء ، فدبرها .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا) وهى فى مصحف عبد الله : يمشون عليها ، السماء والأرض آيتان عظيمتان .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ (١٠٦)

يقول تعالى ذكره : وما يقر أكثر هؤلاء الذين وصف عزّ وجلّ صفتهم بقوله (وكأيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ والأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ) بالله ، أنه خالقه ورازقه ، وخالق كلّ شىء ، إلا وهم به مشركون فى عبادتهم الأوثان والأصنام ، واتخاذهم من دونه أربابا ، وزعمهم أن له ولدا ، تعالى الله عما يقولون .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمران بن عيينة ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس (وَما يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ باللهِ) . . . الآية ، قال : من إيمانهم إذا قيل لهم مَنْ خلق السماء ، ومن خلق الأرض ، ومن خلق الجبال ؟ قالوا : الله ، وهم مشركون .

حدثنا هناد ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن سماك ، عن عكرمة ، فى قوله (وَما يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ باللهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ) قال : تسألهم من خلقهم ، ومن خلق السموات والأرض ، فيقولون : الله ، فذلك إيمانهم بالله ، وهم يعبدون غيره .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن عامر وعكرمة (وَما يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ باللهِ) . . . الآية ، قالا : يعلمون أنه ربهم ، وأنه خلقهم ، وهم مشركون به .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن عامر وعكرمة بنحوه .

قال : ثنا ابن نمير ، عن نصر ، عن عكرمة (وَما يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ باللهِ إلاَّ وَهُمْ مُشْرِكُونَ) : قال : من إيمانهم إذا قيل لهم : من خلق السموات ؟ قالوا : الله ؛ وإذا سئلوا : من خلقهم ؟ قالوا : الله ، وهم يشركون به بعد .

قال : ثنا أبو نعيم ، عن الفضيل بن يزيد الثُّمالىّ ، عن عكرمة ، قال : هو قول الله (وَلَئِنْ سألْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ والأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ) فإذا سئلوا عن الله وعن صفته ، وصفوه بغير صفته ، وجعلوا له ولدا ، وأشركوا به .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَما يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ باللهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ) إيمانهم قولهم : الله خالقنا ويرزقنا ويميتنا .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَما يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ باللهِ إلاَّ وَهُمْ مُشْرِكُونَ) فإيمانهم قولهم : الله خالقنا ، ويرزقنا ويميتنا .

حدثنى المثنى ، قال : أخبرنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَما يُؤْمِنُ

أكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ) إيمانهم قولهم : الله خالقنا ، ويرزقنا ويميتنا ، فهذا إيمان مع شرك عبادتهم غيره .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَما يُؤْمِنُ أكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ) قال : إيمانهم قولهم : الله خالقنا ، ويرزقنا ويميتنا .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا هانئ بن سعيد وأبو معاوية ، عن حجاج ، عن القاسم ، عن مجاهد ، قال يقولون : الله ربنا ، وهو يرزقنا وهم يشركون به بعد .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قال : إيمانهم قولهم : الله خالقنا ويرزقنا ويميتنا .

قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو تميلة ، عن أبي حمزة ، عن جابر ، عن عكرمة ومجاهد وعامر ، أنهم قالوا فى هذه الآية (وَما يُؤْمِنُ أكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ) قال : ليس أحد إلا وهو يعلم أن الله خلقه وخلق السموات والأرض ، فهذا إيمانهم ، ويكفرون بما سوى ذلك .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَما يُؤْمِنُ أكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ) فى إيمانهم هذا ، إنك لست تلقى أحدا منهم إلا أنبأك أن الله ربه ، وهو الذى خلقه ورزقه ، وهو مشرك فى عبادته .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وما يُؤْمِنُ أكْثَرُهُمْ بِاللهِ) . . . الآية ، قال : لا تسأل أحدا من المشركين مَن ربك إلا قال : ربى الله ، وهو يشرك فى ذلك .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَما يُؤْمِنُ أكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ) يعنى النصارى ، يقول : ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ، ليقولنّ الله ، ولئن سألتهم من خلقهم ؟ ليقولنّ الله ، ولئن سألتهم من يرزقكم من السماء والأرض ؟ ليقولنّ الله ، وهم مع ذلك يشركون به ، ويعبدون غيره ، يسجدون للأنداد دونه .

حدثنى المثنى ، قال : أخبرنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن جويبر ، عن الضحاك ، قال : كانوا يشركون به فى تلبيتهم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن نمير ، عن عبد الملك ، عن عطاء (وَما يُؤْمِنُ أكْثَرُهُمْ بِاللهِ) . . . الآية ، قال : يعلمون أن الله ربهم ، وهم يشركون به بعد .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن عبد الملك ، عن عطاء ، فى قوله (وَما يُؤْمِنُ أكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ) قال : يعلمون أن الله خالقهم ورازقهم ، وهم يشركون به .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال سمعت ابن زيد يقول (وَما يُؤْمِنُ أكْثَرُهُمْ بِاللهِ) . . . الآية ، قال : ليس أحد يعبد مع الله ، غيره إلا وهو مؤمن بالله ، ويعرف أن الله ربه ، وأن الله

خالقه ورازقه ، وهو يشرك به ، ألا ترى كيف قال إبراهيم (أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون ، فإنهم عدو لى إلا رب العالمين) قد عرف أنهم يعبدون ربّ العالمين مع ما يعبدون ، قال : فليس أحد يشرك به إلا وهو مؤمن به ، ألا ترى كيف كانت العرب تلبّى ، تقول : لبيك اللهم لبيك ، لاشريك لك ، إلا شريك هو لك ، تملكه وما ملك . المشركون كانوا يقولون هذا .

القول فى تأويل قوله تعالى

أَفَأَمِنُوٓا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَٰشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ ٱللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (١٠٧)

يقول جلّ ثناؤه : أفأمن هؤلاء الذين لايقرّون بأن الله ربهم إلا وهم مشركون فى عبادتهم إياه غيره ، (أن تأتيهم غاشية من عذاب الله) تغشاهم من عقوبة الله وعذابه ، على شركهم بالله ، أو تأتيهم القيامة فجاة وهم مقيمون على شركهم وكفرهم بربهم ، فيخلدهم الله عزّ وجلّ فى ناره ، وهم لايدرون بمجيئها وقيامها .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (أن تأتيهم غاشية من عذاب الله) قال : تغشاهم .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (غاشية من عذاب الله) قال : تغشاهم .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (أفأمنوا أن تأتيهم غاشية من عذاب الله) : أى عقوبة من عذاب الله .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (غاشية من عذاب الله) قال : غاشية واقعة تغشاهم من عذاب الله .

القول فى تأويل قوله تعالى

قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ، وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ (١٠٨)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (قل) يا محمد (هذه) الدعوة التى أدعو إليها ،

والطريقة التى أنا عليها من الدعاء إلى توحيد الله، وإخلاص العبادة له، دون الآلهة والأوثان، والانتهاء إلى طاعته، وترك معصيته (سَبِيلى) وطريقتى ودعوتى (أدْعُو إلى اللهِ) وحده لاشريك له (على بَصِيرَةٍ) بذلك، ويقين علم منى به (أنَا وَ) يدعو إليه على بصيرة أيضا (مَنِ اتَّبَعَنِى) وصدّقنى، وآمن بى. (وَسُبْحانَ اللهِ) يقول له تعالى ذكره: وقل تنزيها لله وتعظيما له، من أن يكون له شريك فى ملكه، أو معبود سواه فى سلطانه (وَما أنا مِنَ المُشْرِكِينَ) يقول: وأنا برىء من أهل الشرك به، لست منهم، ولا هم منى.

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى، قال: أخبرنا إسحاق، قال: ثنا ابن أبى جعفر، عن أبيه، عن الربيع بن أنس، فى قوله (قُلْ هَذِهِ سَبِيلى أدْعُو إلى اللهِ على بَصِيرةٍ) يقول: هذه دعوتى.

حدثنى يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، فى قوله (قُلْ هَذِهِ سَبِيلى أدْعُو إلى اللهِ على بَصِيرَةٍ) قال: هذه سبيلى، هذا أمرى وسنّتى ومنهاجى. (أدْعُو إلى اللهِ على بَصِيرَةٍ أنا وَمَنِ اتَّبَعَنِى) قال: وحقّ الله وعلى من اتبعه أن يدعو إلى ما دعا إليه، ويذكر بالقرآن والموعظة، وينهى عن معاصى الله.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنى حجاج، عن أبى جعفر، عن الربيع بن أنس، قوله (قُلْ هَذِهِ سَبِيلى): هذه دعوتى.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، عن أبى جعفر، عن الربيع (قُلْ هَذِهِ سَبِيلى) قال: هذه دعوتى.

القول فى تأويل قوله تعالى

وَمَآ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالاً نُّوحِى إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ الْقُرَى ، أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِى الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ؟ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا ، أَفَلَا تَعْقِلُونَ ؟ (١٠٩)

يقول تعالى ذكره (وَما أرْسَلْنا) يا محمد (مِنْ قَبْلِكَ إلاَّ رِجالاً) لانساء، ولا ملائكة (نُوحِى إلَيْهِمْ) آياتنا، بالدعاء إلى طاعتنا، وإفراد العبادة لنا (مِنْ أهْلِ القُرَى) يعنى من أهل الأمصار، دون أهل البوادى.

كما حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (وَما أرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ إلاَّ رِجالاً نُوحِى إلَيْهِمْ مِنْ أهْلِ القُرَى) لأنهم كانوا أعلم وأحلم من أهل العمود.

وقوله (أفَلَمْ يَسِيروا فى الأرْضِ) يقول تعالى ذكره : أفلم يسر هؤلاء المشركون الذين يكذبونك يامحمد ، ويجحدون نبوّتك ، ويُنكرون ماجئتهم به من توحيد الله ، وإخلاص الطاعة والعبادة له فى الأرض . (فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) إذ كذّبوا رسلنا ، ألم نُحِلّ بهم عقوبتنا ، فنهلكهم بها ، وننج منها رسلنا وأتباعنا ، فيتفكروا فى ذلك ويعتبروا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جريج ، قوله (وَما أرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ إلاَّ رِجالاً نُوحِي إلَيْهِمْ) قال : إنهم قالوا : ما أنزل الله على بشر من شىء . قال : وقوله (وَما أكْثَرُ النّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ — وَما تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أجْرٍ) ، وقوله (وكأيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ والأرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْها) ، وقوله (أفَأمِنُوا أنْ تَأْتِيَهُمْ غاشِيَةٌ مِنْ عَذَابِ اللهِ) ، وقوله (أفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأرْضِ فَيَنْظُرُوا) من أهلكنا ؟ قال : فكل ذلك قال لقريش : أفلم يسيروا فى الأرض ، فينظروا فى آثارهم ، فيعتبروا ويتفكروا .

وقوله (وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ) يقول تعالى ذكره : هذا فعلنا فى الدنيا بأهل ولايتنا وطاعتنا ، إن عقوبتنا إذا نزلت بأهل معاصينا والشرك بنا ، أنجيناهم منها ، وما فى الدار الآخرة لهم خير ، وترك ذكر ماذكرنا اكتفاء بدلالة قوله (وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا) عليه ، وأضيفت الدار إلى الآخرة ، وهى الآخرة ، لاختلاف لفظهما ، كما قيل : (إنَّ هذا لَهُوَ حَقُّ اليَقِينِ) وكما قيل : أتيتك عامَ الأوّلِ ، وبارحةَ الأولى ، وليلةَ الأولى ، ويومَ الخميس ، وكما قال الشاعر :

أتَمْدَحُ فَقْعَسا وتَذُمُّ عَبْسا ... ألا لِلّهِ أُمُّكَ مِنْ هَجِينِ

ولَوْ أقْوَتْ عَلَيْكَ دِيارُ عَبْسٍ ... عَرَفْتَ الذُّلَّ عِرْفانَ اليَقِينِ[1]

يعنى عرفانا به يقينا .

فتأويل الكلام : ولَلدّار الآخرة خير للذين اتقوا الله بأداء فرائضه ، واجتناب معاصيه .

وقوله (أفَلا تَعْقِلُونَ) يقول : أفلا يعقل هؤلاء المشركون بالله حقيقة ما نقول لهم ، ونخبرهم به من سوء عاقبة الكفر ؟ وغبّ ما يصير إليه حال أهله ، مع ما قد عاينوا ورأوا وسمعوا ، مما حلّ بما قبلهم من الأمم الكافرة ، المكذّبة رسلَ ربها .

القول فى تأويل قوله تعالى

حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا ، فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ ، وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ (١١٠)

(١) البيتان مما رواه الفراء عن بعضهم فى معانى القرآن (ص ١٥٧ مصورة جامعة القاهرة رقم ٢٤٠٥٩) قال : أضيف الدار إلى الآخرة ، وهى الآخرة ؛ وقد تضيف العرب الشىء إلى نفسه إذا اختلف لفظه ، كقوله : إن هذا لهو حق اليقين . والحق هو اليقين ، وجميع الأيام تضاف إلى أنفسها ، لاختلاف لفظها ، وكذلك شهر ربيع ، والعرب تقوله فى كلامها ، أنشدنى بعضهم : أتمدح .... البيتين . قال : وإنما معناه عرفانا يقينا .

⁂ يقول تعالى ذكره : وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا يُوحَى إليهم من أهل القُرى، فدعَوْا من أرسلنا إليهم ، فكذّبوهم، وردّوا ما أتوا به من عند الله ، حتى إذا استيأس الرسل الذين أرسلناهم إليهم، منهم أن يؤمنوا بالله ، ويصدّقوهم فيما أتوهم به من عند الله ، وظنّ الذين أرسلناهم إليهم من الأمم المكذّبة، أن الرسل الذين أرسلناهم، قد كَذَبوهم، فيما كانوا أخبروهم عن الله، من وعده إياهم نصرَهم عليهم، جاءهم نصرنا . وذلك قول جماعة من أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو السائب سَلْم بن جُنادة ، قال: ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن مسلم ، عن ابن عباس ، فى قوله (حتى إذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا) قال : لما أيست الرسل أن يستجيب لهم قومهم ، وظنّ قومهم أن الرسل قد كَذَبوهم ، جاءهم النصر على ذلك ، فننجى من نشاء .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا أبو معاوية الضرير ، قال : ثنا الأعمش ، عن مسلم ، عن ابن عباس بنحوه ، غير أنه قال فى حديثه ، قال : أيست الرسل ، ولم يقل : لما أيست .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير (حتى إذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ) أن يُسلم قومُهم، وظنّ قوم الرسل أن الرسل قد كَذَبوا، جاءهم نصرنا .

حدثنا ابن بشار ، قال: ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن أبى الضحى ، عن ابن عباس ، مثله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمران بن عيينة ، عن عطاء ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس (حتى إذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا) قال : حتى إذا استيأس الرسل من قومهم، وظنّ قومُهم أن الرسل قد كَذَبوا (جاءَهُمْ نَصْرُنا) .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن حصين ، عن عمران السلمىّ ، عن ابن عباس (حتى إذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا) أيس الرسل من قومهم أن يصدّقوهم ، وظنّ قومهم أن الرسل قد كَذَبتهم .

حدثنا عمرو بن عبد الحميد ، قال : ثنا جرير ، عن حصين ، عن عمران بن الحارث السلمىّ ، عن عبد الله بن عباس ، فى قوله (حتى إذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ) قال : استيأس الرسل من قومهم أن يستجيبوا لهم (وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا) قال : ظنّ قومهم أنهم جاءوهم بالكذب .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : سمعت حصينا ، عن عمران بن الحارث ، عن ابن عباس (حتى إذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ) من أن يستجيب لهم قومهم ، وظنّ قومهم أن قد كَذَبوهم ، (جاءهُمْ نَصْرُنا) .

حدثنى أبو حصين عبد الله بن أحمد بن يونس ، قال : ثنا عبثر ، قال : ثنا حصين ، عن عمران بن الحارث ، عن ابن عباس ، فى هذه الآية (حتى إذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ) قال : استيأس الرسل من

قومهم أن يؤمنوا ، وظنّ قومهم أن الرسل قد كذَبوهم فيما وعدوا وكُذّبوا (جاءَهُمْ نَصْرُنا) .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا ابن أبى عدىّ ، عن شعبة ، عن حصين ، عن عمران بن الحارث ، عن ابن عباس ، قال : (حتى إذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ) من نصر قومهم (وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا) ظنّ قومهم أنهم قد كذَبوهم .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا محمد بن الصباح ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا حصين ، عن عمران بن الحارث ، عن ابن عباس ، فى قوله (حتى إذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ) قال : من قومهم أن يؤمنوا بهم ، وأن يستجيبوا لهم ، وظنّ قومهم أن الرسل قد كذَبوهم (جاءَهُمْ نَصْرُنا) يعنى الرسل .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن حصين ، عن عمران بن الحارث ، عن ابن عباس بمثله سواء .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عبد الوهاب بن عطاء ، عن هارون ، عن عباد القرشىّ ، عن عبد الرحمن بن معاوية ، عن ابن عباس (وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا) خفيفة ، وتأويلها عنده : وظنّ القوم أن الرسل قد كذَبوا .

حدثنا أبو بكر ، قال : ثنا طَلْق بن غنام ، عن زائدة ، عن الأعمش ، عن مسلم ، عن ابن عباس ، قال (حتى إذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ) من قومهم أن يصدّقوهم ، وظنّ قومهم أن قد كذَبتهم رسلهم ، (جاءَهُمْ نَصْرُنا) .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (حتى إذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وظَنّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا) يعنى : أيس الرسل من أن يتبعهم قومهم ، وظنّ قومهم أن الرسل قد كذَبوا ، فينصر الله الرسل ، ويبعث العذاب .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله (حتى إذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا ، جاءَهُمْ نَصْرُنا) حتى إذا استيأس الرسل من قومهم أن يطيعوهم ويتبعوهم ، وظنّ قومهم أن رسلهم كذَبوهم (جَاءهُمْ نَصْرُنا) .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا محمد بن فُضيل ، عن حصين ، عن عمران بن الحارث ، عن ابن عباس (حتى إذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ) من قومهم (وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا) قال : فما أبطأ عليهم إلا من ظنّ أنهم قد كذَبوا .

قال : ثنا آدم العسقلانىّ ، قال : ثنا شعبة ، قال : أخبرنا حصين بن عبد الرحمن ، عن عمران بن الحارث قال : سمعت ابن عباس يقول (وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا) خفيفة . وقال ابن عباس : ظنّ القوم أن الرسل قد كذَبوهم ، خفيفة

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن عطاء ، عن سعيد بن جبير ، فى قوله (حتى إذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ) من قومهم ، وظنّ قومهم أن الرسل قد كذَبوهم .

قال : ثنا محمد بن فضيل ، عن خصيف ، قال : سألت سعيد بن جبير ، عن قوله (حتى إذا استيأس الرسل) من قومهم ، وظن الكفار أنهم هم كذبوا .

حدثني يعقوب والحسن بن محمد قالا : ثنا إسماعيل بن علية ، قال : ثنا كلثوم بن جبر ، عن سعيد ابن جبير ، قوله (حتى إذا استيأس الرسل) من قومهم أن يؤمنوا ، وظن قومهم أن الرسل قد كذبتهم .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عارم أبو النعمان ، قال : ثنا حماد بن زيد ، قال : ثنا شعيب ، قال : ثني إبراهيم بن أبي حمزة الجزري ، قال : سأل فتى من قريش سعيد بن جبير ، فقال له : يا أبا عبد الله كيف تقرأ هذا الحرف ؟ فإني إذا أتيت عليه تمنيت أن لا أقرأ هذه السورة (حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا) قال : نعم ، حتى إذا استيأس الرسل من قومهم أن يصدقوهم ، وظن المرسل إليهم أن الرسل كذبوا ، قال : فقال الضحاك بن مزاحم : ما رأيت كاليوم قط رجلا يدعى إلى علم ، فيتلكأ ، لو رحلت في هذه إلى اليمن كان قليلا .

حدثني المثنى ، قال : ثنا الحجاج ، قال : ثنا ربيعة بن كلثوم ، قال : ثني أبي ، أن مسلم بن يسار ، سأل سعيد بن جبير ، فقال : يا أبا عبد الله ، آية بلغت مني كل مبلغ (حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا) فهذا الموت أن تظن الرسل أنهم قد كذبوا ، أو نظن أنهم قد كذبوا ، مخففة ؟ قال : فقال سعيد بن جبير : يا أبا عبد الرحمن ، حتى إذا استيأس الرسل من قومهم أن يستجيبوا لهم ، وظن قومهم أن الرسل كذبتهم (جاءهم نصرنا ، فنجي من نشاء ، ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين) قال : فقام مسلم إلى سعيد ، فاعتنقه ، وقال : فرج الله عنك كما فرجت عني .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا يحيى بن عباد ، قال : ثنا وهيب ، قال : ثنا أبو المعلى العطار ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس (حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا) قال : استيأس الرسل من إيمان قومهم ، وظن قومهم أن الرسل قد كذبوهم ما كانوا يخبرونهم ويبلغونهم .

قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (حتى إذا استيأس الرسل) أن يصدقهم قومهم ، وظن قومهم أن الرسل قد كذبوا ، جاء الرسل نصرنا .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثني المثنى ، قال : ثنا الحجاج ، قال : ثنا حماد ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، في هذه الآية (حتى إذا استيأس الرسل) من قومهم ، وظن قومهم أن الرسل قد كذبت .

قال : ثنا حماد ، عن كلثوم بن جبر ، قال : قال لي سعيد بن جبير : سألني سيد من ساداتكم عن هذه الآية ، فقلت : استيأس الرسل من قومهم ، وظن قومهم أن الرسل قد كذبت .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا) قال : استيأس الرسل أن يؤمن قومهم بهم ، وظن قومهم المشركون

أن الرسل قد كُذِبوا ماوعدهم الله من نصره إياهم عليهم وأُخْلِفُوا ، وقرأ (جاءَهُمْ نَصْرُنا) قال: جاء الرسلَ النصرُ حينئذ ، قال : وكان أبي يقرؤها : كَذَبوا .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عبد الوهاب بن عطاء ، عن سعيد ، عن أبي المتوكل ، عن أيوب ابن أبي صفوان ، عن عبد الله بن الحارث ، أنه قال (حتى إذَا اسْتَيْأَسَ الرسُلُ) من إيمان قومهم، (وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا) وظنّ القوم أنهم قد كَذَبوهم فيما جاءوهم به .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عبد الوهاب ، عن جويبر ، عن الضحاك ، قال : ظنّ قومهم أن رسلهم قد كذبوهم فيما وعدوهم به .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا محمد بن فضيل ، عن حجش بن زياد الضَّبّيّ ، عن تميم ابن حَذْلم ، قال: سمعت عبد الله بن مسعود يقول فى هذه الآية: (حتى إذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا) قال : استيأس الرسل من إيمان قومهم أن يؤمنوا بهم ، وظنّ قومهم حين أبطأ الأمر ، أنهم قد كُذِبوا بالتخفيف .

حدثنا أبو المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي المعلّى ، عن سعيد بن جبير ، فى قوله (حتى إذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ) قال : استيأس الرسل من نصر قومهم ، وظنّ قوم الرسل أن الرسل قد كذبوهم .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا عمرو بن ثابت ، عن أبيه ، عن سعيد بن جبير (حتى إذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ) أن يصدّقوهم ، وظنّ قومهم أن الرسل قد كذبوهم .

قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا إسرائيل ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس (حتى إذَا اسْتَيْأَسَ الرسُلُ) أن يصدّقهم قومهم ، وظنّ قومهم أن الرسل قد كذبوهم .

حُدِّثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك فى قوله (حتى إذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ) يقول : استيأسوا من قومهم أن يجيبوهم، ويؤمنوا بهم، (وظَنُّوا) : يقول : وظنّ قوم الرسل أن الرسل قد كذبوهم الموعد .

⁂ والقراءة على هذا التأويل الذى ذكرنا فى قوله (كُذِبُوا) بضم الكاف ، وتخفيف الذال ، وذلك أيضا قراءة بعض قرّاء أهل المدينة ، وعامّة قرّاء أهل الكوفة .

وإنما اخترنا هذا التأويل ؛ وهذه القراءة لأن ذلك عقيب قوله (وَما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ إلا رِجالاً نُوحِي إلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ القُرَى ،أفَلَمْ يَسِيرُوا فى الأرْضِ ، فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) فكان ذلك دليلا على أن إياس الرسل، كان من إيمان قومهم الذين أهلكوا ، وأن المضمر فى قوله (وظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا) إنما هو من ذكر الذين من قبلهم من الأمم الهالكة ، وزاد ذلك وضوحا أيضا إتباع الله فى سياق الخبر عن الرسل وأممهم قوله (فَنُجِّيَ مَنْ نَشاءُ) إذ الذين أهلكوا هم الذين ظنوا أن الرسل قد كَذَبتهم ، فكذّبوهم ظنا منهم أنهم قد كَذَبوهم .

وقد ذهب قوم ممن قرأ هذه القراءة إلى غير التأويل الذى اخترنا ، ووجهوا معناه إلى : حتى إذا استيأس الرسل من إيمان قومهم ، وظنت الرسل أنهم قد كُذِبوا فيما وُعِدوا من النصر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن محمد، قال : ثنا عثمان بن عمر ، قال : ثنا ابن جريج ، عن ابن أبى مُلَيكة ، قال : قرأ ابن عباس (حتى إذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا) قال : كانوا بشرا ضَعُفوا ويئسوا

قال : ثنا حجاج بن محمد ، عن ابن جريج ، قال : أخبرنى ابن أبى مليكة ، عن ابن عباس ، قرأ (وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا) خفيفة . قال ابن جريج : أقول كما يقول : أخلفوا ؛ قال عبد الله : قال لى ابن عباس : كانوا بشرا ، وتلا ابن عباس (حتى يَقُولَ الرَّسُولُ والَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللهِ ؟ ألا إنَّ نَصْرَ اللهِ قَرِيب) قال ابن جريج : قال ابن أبى مليكة : ذهب بها إلى أنهم ضعفوا، فظنُّوا أنهم أُخلفوا .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن أبى الضحى ، عن مسروق عن عبد الله ، أنه قرأ (حتى إذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا) مخففة ، قال عبد الله : هو الذى تكره .

قال : ثنا أبو عامر ، قال : ثنا سفيان ، عن سليمان ، عن أبى الضحى ، عن مسروق ، أن رجلا سأل عبد الله بن مسعود (حتى إذا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلَ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا) قال : هو الذى تكره ، مخففة .

قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبى بشر ، عن سعيد بن جبير ، أنه قال فى هذه الآية (حَتَّى إذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا) قلت : كُذِبوا، قال : نعم، ألم يكونوا بشرا؟

حدثنا الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا إسرائيل ، عن سماك، عن عِكْرِمة ، عن ابن عباس، فى قوله (حتى إذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا) قال : كانوا بشرا قد ظنوا . وهذا تأويل .

⁂ وقول غيره من أهل التأويل : أولى عندى بالصواب ، وخلافه من القول أشبه بصفات الأنبياء والرسل، إن جاز أن يرتابوا بوعد الله إياهم ، ويشكّوا فى حقيقة خبره، مع معاينتهم من حجج الله وأدلته ما لا يعاينه المرسَل إليهم ، فيعذروا فى ذلك إن المرسل إليهم لأولى فى ذلك منهم بالعذر، وذلك قول إن قاله قائل لا يخفى أمره، وقد ذُكر هذا التأويل الذى ذكرناه أخيرا عن ابن عباس لعائشة، فأنكرته أشدّ النكرة فيما ذُكر لنا .

ذكر الرواية بذلك عنها رضوان الله عليها

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عثمان بن عمر ، قال : ثنا ابن جريج ، عن ابن أبى مليكة، قال : قرأ ابن عباس (حتى إذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا) فقال : كانوا بشرا ضَعُفوا ويئسوا ؛ قال ابن أبى مليكة : فذكرت ذلك لعروة، فقال : قالت عائشة : مَعَاذ الله ، ما حدّث اللهُ

رسوله شيئا قطُّ إلا علم أنه سيكون قبل أن يموت ، ولكن لم يزل البلاء بالرسل ، حتى ظنّ الأنبياء أن من تبعهم قد كذبوهم ، فكانت تقرؤها قد كذِّبوا ، تثقّلها .

قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قال : أخبرنى ابن أبى مليكة ، أن ابن عباس قرأ (وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا) خفيفة ؛ قال عبد الله : ثم قال لى ابن عباس : كانوا بشرا ، وتلا ابن عباس (حتى يَقُولَ الرسُولُ والَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللهِ ، ألا إنَّ نَصْرَ اللهِ قَرِيبٌ) قال ابن جريج : قال ابن أبى مليكة ، يذهب بها إلى أنهم ضعفوا ، فظنوا أنهم أُخْلِفُوا . قال ابن جريج : قال ابن أبى مليكة : وأخبرنى عروة عن عائشة ، أنها خالفت ذلك وأبَتْه ، وقالت : ما وعد الله محمدا صلى الله عليه وسلم من شىء إلا وقد علم أنه سيكون ، حتى مات ، ولكنه لم يزل البلاء بالرسل ، حتى ظنوا أن من معهم من المؤمنين قد كَذَبوهم . قال ابن أبى مليكة فى حديث عروة : كانت عائشة تقرؤها (وظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا) مثقّلة للتكذيب .

قال : ثنا سليمان بن داود الهاشمىّ ، قال : ثنا إبراهيم بن سعد ، قال : ثنى صالح بن كيسان ، عن ابن شهاب ، عن عروة ، عن عائشة قال : قلت لها قوله (حتى إذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبوا) قال : قالت عائشة : لقد استيقنوا أنهم قد كُذِّبوا ، قلت : كُذِبوا ؟ قالت : مَعاذ الله ، لم تكن الرسل تظنّ يوما ، إنما هم أتباع الرسل ، لما استأخر عنهم الوحى ، واشتدّ عليهم البلاء ، ظنّت الرسل أن أتباعهم قد كَذَّبوهم . (جاءَهُمْ نَصْرُنا) .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الزهرىّ ، عن عروة ، عن عائشة ، قالت : حتى إذا استيأس الرسل ممن كذبهم من قومهم أن يصدّقوهم ، وظنت الرسل أن من قد آمن من قومهم قد كَذَّبوهم ، جاءهم نصر الله عند ذلك .

فهذا ما روى فى ذلك عن عائشة ، غير أنها كانت تقرأ (كُذِّبُوا) بالتشديد ، وضمّ الكاف ، بمعنى ماذكرنا عنها ، من أن الرسل ظنت بأتباعها الذين قد آمنوا بهم ، أنهم قد كَذَّبوهم ، فارتدّوا عن دينهم ، استبطاء منهم للنصر .

وقد بيّنا أن الذى نختار من القراءة فى ذلك والتأويل غيره فى هذا الحرف خاصة .

وقال آخرون ممن قرأ قوله (كُذِّبُوا) بضم الكاف وتشديد الذال ، معنى ذلك : حتى إذا استيأس الرسل من قومهم أن يؤمنوا بهم ويصدّقوهم ، وظنت الرسل : بمعنى واستيقنت أنهم قد كذَّبهم أممُهم ، جاءت الرسلَ نُصْرَتُنا ؛ وقالوا : الظنّ فى هذا بمعنى : العلم ، من قول الشاعر :

فَظَنُّوا بِأَلْفَىْ فارِسٍ مُتَلَبِّبٍ سَرَاتُهُمُ فى الفارِسِيِّ المُسَرَّدِ [1]

(١) البيت لدريد بن الصمة الجشمى (اللسان : ظن) ورواية الشطر الأول فيه : « فقلت لهم ظنوا بألفى مدجج » واستشهد بالبيت على أن الظن قد يوضع موضع العلم . ثم قال بعد البيت : أى استيقنوا ، وإنما يخوف عدوه باليقين لا بالشك . قال : وكذلك قوله عز وجل : « وظنوا أنهم قد كذبوا » أى علموا ، يعنى الرسل أن قومهم قد كذبوهم ، فلا يصدقونهم . و « كذبوا » بالتشديد : هى =

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن ، وهو قول قتادة (حتى إذا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ) من إيمان قومهم (وظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا) : أى استيقنوا أنه لاخير عند قومهم ، ولا إيمان ، جاءهم نصرنا .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (حتى إذا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ) قال : من قومهم (وظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا) قال : وعلموا أنهم قد كُذِّبوا (جاءَهُمْ نَصْرنا) . وبهذه القراءة كانت تقرأ عامة قرّاء المدينة والبصرة والشام ، أعنى بتشديد الذال من كُذِّبوا ، وضمّ كافها .

⁂ وهذا التأويل الذى ذهب إليه الحسن وقتادة فى ذلك ، إذا قرئ بتشديد الذال وضمّ الكاف ، خلاف لما ذكرنا من أقوال جميع من حكينا قوله من الصحابة ، لأنه لم يوجِّه الظنّ فى هذا الموضع منهم أحد إلى معنى العلم واليقين ، مع أن الظنّ إنما استعمله العرب فى موضع العلم ، فيما كان من علم أدرك من جهة الخبر ، أو من غير وجه المشاهدة والمعاينة ؛ فأما ما كان من علم أدرك من وجه المشاهدة والمعاينة ، فإنها لاتستعمل فيه الظنّ ، لاتكاد تقول : أظُنُّنى حَيّا ، وأظنى إنسانا ، بمعنى : أعلَمُنى إنسانا ، وأعْلَمُنى حيا ، والرسل الذين كذّبتهم أممهم ، لاشكّ أنها كانت لأممها شاهدة ، ولتكذيبها إياها منها سامعة ، فيقال فيها : ظنّت بأممها أنها كذبتها .

ورُوىَ عن مجاهد فى ذلك قول هو خلاف جميع ما ذكرنا من أقوال الماضين ، الذين سمينا أسماءهم ، وذكرنا أقوالهم ، وتأويل خلاف تأويلهم ، وقراءة غير قراءة جميعهم ، وهو أنه فيما ذكر عنه ، كان يقرأ (وظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كَذَبُوا) بفتح الكاف والذال وتخفيف الذال .

ذكر الرواية عنه بذلك

حدثنى أحمد بن يوسف ، قال : ثنا أبو عبيد ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، أنه قرأها (كَذَبُوا) بفتح الكاف بالتخفيف .

وكان يتأوّله كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد استيأس الرسل أن تعذّب قومهم ، وظنّ قومهم أن الرسل قد كَذَبوا ، جاءهم نصرنا ، قال : جاء الرسلَ نصرُنا ؛ قال مجاهد : قال فى المؤمن (فَلَمَّا جاءَتْهُمْ رُسُلُنا بالبَيِّناتِ ، فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ العِلْمِ) قال : قولهم نحن أعلم منهم ، ولن نعذّب ، وقوله (وَحاقَ بِهِمْ ما كانُوا به يَسْتَهْزِئُونَ) قال : حاق بهم ماجاءت به رسلهم من الحقّ .

= قراءة أبى عمرو وابن كثير ونافع وابن عامر ، وبه قرأت عائشة ، وفسرته على ما ذكرناه . ورواية الديوان (شعراء النصرانية : ٧٥٦) كرواية اللسان . والمدجج : التام السلاح . والمتلبب : المتحزم بالسلاح وغيره . وسراتهم : خيارهم . والمسرد : المتتابع الحلق فى النسج

وهذه القراءة لاأستجيز القراءة بها ، لإجماع الحجة من قرّاء الأمصار على خلافها ، ولو جازت القراءة بذلك لاحتمل وجها من التأويل ، وهو أحسن مما تأوّله مجاهد ، وهو حتى إذا استيأس الرسل من عذاب الله قومَها المكذّبة بها ، وظنت الرسلُ أن قومها قد كَذَّبوا وافتروا على الله بكفرهم بها . ويكون الظنّ موجها حينئذ إلى معنى العلم ، على ما تأوّله الحسن وقتادة .

وأما قوله (فَنُجِّيَ مَنْ نَشاءُ) فإن القرّاء اختلفت فى قراءته ، فقرأه عامة قرّاء أهل المدينة ومكة والعراق (فَنُنَجِّي مَنْ نَشاءُ) بنونين ، بمعنى : فننجى نحن من نشاء من رسلنا ، والمؤمنين بنا ، دون الكافرين الذين كذّبوا رسلنا ، إذا جاء الرسلَ نصرُنا . واعتلّ الذين قرءوا ذلك كذلك ، أنه إنما كُتب فى المصحف بنون واحدة ، وحكمه أن يكون بنونين ، لأن إحدى النونين حرف من أصل الكلمة ، من أنجى يُنجى ، والأخرى النون التى تأتى لمعنى الدلالة على الاستقبال ، من فعل جماعة مخبرة عن أنفسها ، لأنهما حرفان ، أعنى النونين من جنس واحد ، يخفى الثانى منهما عن الإظهار فى الكلام ، فحذفت من الخط ، واجتزئ بالمثبتة من المحذوفة ، كما يفعل ذلك فى الحرفين اللّذين يدغم أحدهما فى صاحبه ، وقرأ ذلك بعض الكوفيين على هذا المعنى ، غير أنه أدغم النون الثانية وشدّد الجيم ، وقرأه آخر منهم بتشديد الجيم ، ونصب الياء ، على معنى فعل ذلك به ، من نجيته أنجيه . وقرأ ذلك بعض المكيين (فَنَجا مَنْ نَشاءُ) بفتح النون والتخفيف ، من نجا من عذاب الله من نشاء ينجو .

⁂ والصواب من القراءة فى ذلك عندنا : قراءة من قرأه (فَنُنَجِّي مَنْ نَشاءُ) بنونين ، لأن ذلك هو القراءة التى عليها القرأة فى الأمصار ، وماخالفه ممن قرأ ذلك ببعض الوجوه التى ذكرناها ، فمنفرد بقراءته عما عليه الحجة مجمعة من القرّاء ، وغير جائز خلاف ما كان مستفيضا بالقراءة فى قرأة الأمصار .

وتأويل الكلام : فننجى الرسل ، ومن نشاء من عبادنا المؤمنين ، إذا جاء نصرنا .

كما حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (فَنُنَجِّي مَنْ نَشاءُ) فننجّى الرسل ومن نشاء (وَلا يُرَدُّ بَأْسُنا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ) وذلك أن الله تبارك وتعالى بعث الرسل ، فدعَوا قومهم ، وأخبروهم أنه من أطاع نجا ، ومن عصاه عُذّب وغَوَى ، وقوله (وَلا يُرَدُّ بَأْسُنا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ) يقول : ولا تردّ عقوبتنا وبطشنا بمن بطشنا به من أهل الكفر بنا ، عن القوم الذين أجرموا ، فكفروا بالله ، وخالفوا رسله ، وما أتَوهم به من عنده .

القول فى تأويل قوله تعالى

لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ، مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ ، وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (١١١)

⁂ يقول تعالى ذكره : لقد كان فى قصص يوسف وإخوته عبرة لأهل الحجا والعقول ، يعتبرون بها ،

وموعظة يتعظون بها، وذلك أن الله جلّ ثناؤه، بعد أن ألقى يوسف فى الجبّ ليهلك، ثم بيع بيع العبيد، بالخسيس من الثمن، وبعد الإسار والحبس الطويل، ملّكه مصر، ومكّن له فى الأرض، وأعلاه على من بغاه سوءا من إخوته، وجمع بينه وبين والديه وإخوته بقدرته، بعد المدّة الطويلة، وجاء بهم إليه من الشُّقّة النائية البعيدة، فقال جلّ ثناؤه للمشركين من قريش، من قوم نبيه محمد صلى الله عليه وسلم: لقد كان لكم أيُّها القوم فى قَصَصهم عبرة لو اعتبرتم به؛ إن الذى فعل ذلك بيوسف وإخوته، لا يتعذّر عليه أن يفعل مثله بمحمد صلى الله عليه وسلم، فيخرجه من بين أظهركم، ثم يظهره عليكم، ويمكن له فى البلاد، ويؤيده بالجند والرجال، من الأتباع والأصحاب، وإن مرّت به شدائد، وأتت دونه الأيام والليالى، والدهور والأزمان.

وكان مجاهد يقول: معنى ذلك: لقد كان فى قصصهم عبرة ليوسف وإخوته.

ذكر الرواية بذلك

حدثنا محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد، فى قوله (لَقَدْ كانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ) ليوسف وإخوته.

حدثنا الحسن بن محمد، قال: ثنا شبابة، قال: ثنا ورقاء، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد: عبرة ليوسف وإخوته.

حدثنى المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد، مثله.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنى حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، قوله (لَقَدْ كانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبابِ) قال: يوسف وإخوته.

⁂ وهذا القول الذى قاله مجاهد، وإن كان له وجه يحتمله التأويل، فإن الذى قلنا فى ذلك أولى به، لأن ذلك عقيب الخبر عن نبينا صلى الله عليه وسلم، وعن قومه من المشركين، وعقيب تهديدهم ووعيدهم، على الكفر بالله وبرسوله محمد صلى الله عليه وسلم، ومنقطع عن خبر يوسف وإخوته، ومع ذلك أنه خبر عامّ عن جميع ذوى الألباب، أن قصصهم لهم عبرة، وغير مخصوص بعضٌ به دون بعض، فإذا كان الأمر على ماوصفت فى ذلك، فهو بأن يكون خبرا عن أنه عبرة لغيرهم أشبه. والرواية التى ذكرناها عن مجاهد، رواية ابن جريج أشبه به أن تكون من قوله، لأن ذلك موافق القول الذى قلناه فى ذلك.

وقوله (ما كانَ حَدِيثا يُفْتَرَى) يقول تعالى ذكره: ما كان هذا القول حديثا يُختلَق ويُتَكَذَّب ويتخرّص.

كما حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (ما كانَ حَدِيثا يُفْتَرَى) والفرية: الكذب (ولكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ) يقول: ولكنه تصديق الذى بين يديه، من كتب الله التى أنزلها قبله على أنبيائه، كالتوراة والإنجيل والزبور، ويصدّق ذلك كله، ويشهد عليه، أن جميعه حقّ من عند الله.

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ) والفرقان تصديق الكتب التى قبله ، ويشهد عليها .

وقوله (وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ) يقول تعالى ذكره : وهو أيضا تفصيل كلّ ما بالعباد إليه حاجة ، من بيان أمر الله ونهيه ، وحلاله وحرامه ؛ وطاعته ومعصيته .

وقوله (وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) يقول تعالى ذكره: وهو بيان أمره ، ورشاد من جَهِلَ سبيل الحقّ ، فعمِى عنه ، إذا تبعه فاهتدى به من ضلالته ، ورحمة لمن آمن به ، وعمل بما فيه ، ينقذه من سخط الله وأليم عذابه ، ويورثه فى الآخرة جِنانه ، والخلود فى النعيم المقيم (لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) يقول : لقوم يصدّقون بالقرآن ، وبما فيه من وعد الله ووعيده ، وأمره ونهيه ، فيعملون بما فيه من أمره ، وينتهون عما فيه من نهيه .

آخر تفسير سورة يوسف .

أول تفسير السورة التى يذكر فيها الرعد

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى تأويل قوله تعالى

الٓمٓرٰ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ ، وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ (١)

⁂ قال أبو جعفر : قد بينا القول فى تأويل قوله (الرٓ وَالٓمٓرٰ) ونظائرهما من حروف المعجم ، التى افتتح بها أوائل بعض سور القرآن فيما مضى ، بما فيه الكفاية من إعادتها ، غير أنا نذكر من الرواية ما جاء خاصا به كلّ سورة افتُتِح أوّلها بشىء منها . فمما جاء من الرواية فى ذلك فى هذه السورة عن ابن عباس ، من نقل أبى الضحى مسلم بن صبيح وسعيد بن جبير عنه ، التفريق بين معنى ما ابتدئ به أوّلها ، مع زيادة الميم التى فيها ، على سائر سور ذوات الراء ، ومعنى ما ابتدئ به أخواتها ، مع نقصان ذلك منها عنها .

ذكر الرواية بذلك عنه

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا عبد الرحمن ، عن هشيم ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس (الٓمٓرٰ) قال : أنا الله أرى .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا شريك ، عن عطاء بن السائب ، عن أبى الضحى ، عن ابن عباس ، قوله (الٓمٓرٰ) قال : أنا الله أرى .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو نعيم الفضل بن دُكَين ، قال : ثنا سفيان ، عن مجاهد (الٓمٓرٰ) : فواتح يفتتح بها كلامه .

وقوله (تِلْكَ آياتُ الكِتابِ) يقول تعالى ذكره : تلك التى قصصت عليك خبرَها ، آياتُ الكتاب الذى أنزلته ، قبل هذا الكتاب الذى أنزلته إليك ، إلى من أنزلته إليه من رسلى قبلك .

وقيل : عنى بذلك : التوراة والإنجيل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (الٓمٓرٰ تِلْكَ آياتُ الكِتابِ) الكتب التى كانو قبل القرآن .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو نعيم ، قال : ثنا سفيان ، عن مجاهد (تِلْكَ آياتُ الكتابِ) قال : التوراة والإنجيل .

وقوله (والَّذِى أُنْزِلَ إلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الحَقُّ) فاعمل بما فيه ، واعتصم به .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو نعيم الفضل بن دُكين ، قال : ثنا سفيان ، عن مجاهد (والَّذِى أُنْزِلَ إلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الحَقُّ) قال : القرآن .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (والَّذِى أُنْزِلَ إلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الحَقُّ) : أى هذا القرآن .

وفى قوله (وَالَّذِى أُنْزِلَ إلَيْكَ) وجهان من الإعراب : أحدهما الرفع ، على أنه كلام مبتدأ ، فيكون مرفوعا بالحقّ والحقّ به . وعلى هذا الوجه تأويل مجاهد وقتادة ، الذى ذكرنا قبل عنهما . والآخَر : الخفض على العطف به على الكتاب ، فيكون معنى الكلام حينئذ : تلك آيات التوراة والإنجيل والقرآن ، ثم يبتدئ الحقّ بمعنى ذلك الحقّ ، فيكون رفعه بمضمر من الكلام ، قد استغنى بدلالة الظاهر عليه منه . ولو قيل : معنى ذلك : تلك آيات الكتاب الذى أنزل إليك من ربك الحقّ ، وإنما أدخلت الواو فى « والذى » ، وهو نعت للكتاب ، كما أدخلها الشاعر فى قوله :

إلى المَلِكِ القَرْمِ وابنِ الهُمامِ وَلَيْثِ الكَتِيبَةِ فى المُزْدَحَمْ[1]

---

(١) البيت من شواهد الفراء فى معانى القرآن (مصورة جامعة القاهرة رقم ٢٤٠٥٩ ص ١٥٧) قال : وقوله (والذى أنزل إليك من ربك الحق) . فوضع الذى رفع تستأنفه على الحق ، وترفع كل واحد بصاحبه . وإن شئت جعلت (الذى) فى موضع خفض ، تريد : تلك آيات الكتاب ، وآيات الذى أنزل إليك من ربك ، فيكون خفضا ، ثم ترفع الحق ، أى ذلك هو الحق ، كقوله فى البقرة : (وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون ، الحق من ربك) فترفع على إضمار ذلك الحق ، أو هو الحق : وإن شئت جعلت (الذى) خفضا ، فخفضت الحق ، فجعلته من صفة الذى ، ويكون الذى نعتا للكتاب ، مردودا عليه ، وإن كانت فيه الواو ، كما قال الشاعر : (إلى الملك ... الخ) فعطف الواو ، وهو يريد واحدا . ومثله فى الكلام : أتانا هذا الحديث عن أبى حفص والفاروق ، فأنت تريد عمر بن الخطاب اهـ . والقرم بفتح القاف : السيد . والهمام : الملك العظيم الهمة ، والسيد الشجاع السخى . والكتيبة : جماعة الخيل إذا أغارت ، من المئة إلى الألف . والمزدحم : محل الازدحام . يقال : ازدحم القوم وتزاحموا : أى تضايقوا ، وأراد به المعركة .

فعطف بالواو، وذلك كله من صفة واحد ، كان مذهبا من التأويل، ولكن ذلك إذا تؤوّل كذلك، فالصواب من القراءة فى الحقّ الخفض ، على أنه نعت للذى .

وقوله (وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ) من مشركى قومك لايصدّقون بالحقّ الذى أنزل إليك من ربك ، ولا يقرّون بهذا القرآن ، وما فيه من محكم آيه .

القول فى تأويل قوله تعالى

اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ، ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ، وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى ، يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ، يُفَصِّلُ الْآيَاتِ ، لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ (٢)

يقول تعالى ذكره : الله يا محمد هو الذى رفع السموات السبع بغير عمد ترونها ، فجعلها للأرض سقفا مسموكا ، والعمد جمع عمود ، وهى السوارى ، وما يُعْمد به البناء ، كما قال النابغة :

وخَيِّسِ الجِنَّ أنى قدْ أذِنْتُ لهُمْ يَبْنُونَ تَدْمُرَ بالصُّفَّاحِ والعَمَدِ (١)

وجمع العمود : عمد ، كما جمع الأديم : أدم ، ولو جمع بالضم فقيل : عُمد ، جاز ، كما يجمع الرسول : رُسُل ، والشكُور : شُكُر .

واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله (رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا) فقال بعضهم : تأويل ذلك : الله الذى رفع السموات بعمَد لاترونها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أحمد بن هشام ، قال : ثنا معاذ بن معاذ ، قال : ثنا عمران بن حدَير ، عن عكرمة ، قال : قلت لابن عباس : إن فلانا يقول : إنها على عَمَد ، يعنى السماء ، قال : فقال : اقرأها بغير عَمَد تَرَونها : أى لاترونها .

حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح ، قال : ثنا معاذ بن معاذ ، عن عمران بن حُدَير ، عن عِكرمة ، عن ابن عباس ، مثله .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عفان ، قال : ثنا حماد ، قال : ثنا حميد ، عن الحسن بن مسلم ، عن مجاهد ، فى قوله (بغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا) قال : بعمد لاترونها .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا الحجاج ، قال : ثنا حماد ، عن حميد ، عن الحسن بن مسلم ، عن مجاهد ، فى قول الله (بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا) قال : هى لاترونها .

(١) البيت للنابغة الذبيانى زياد بن معاوية (مختار الشعر الجاهلى ، بشرح مصطفى السقا طبعة الحلبى ص ١٥٢) . استشهد به أبو عبيدة فى (مجاز القرآن ١ : ٣٢٠) على أن معنى العمد : السوارى والدعائم ، وما يعمد البناء . ومعنى خيس : ذلل . وتدمر مدينة فى البرية بين الشام والعراق . والصفاح : حجارة عراض .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد بغير عمد [١] يقول : عمد .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن الحسن وقتادة ، قوله (اللهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا) قال قتادة : قال ابن عباس : بعَمَد ، ولكن لاترونها .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا شريك ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قوله (رَفَعَ السمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا) قال : ما يدريك لعلها بعمد لاترونها . ومن تأوّل ذلك كذلك ، قصد مذهب تقديم العرب الجحد من آخر الكلام إلى أوّله ، كقول الشاعر :

ولا أرَاها تَزَالُ ظَالِمَةً تُحْدِثُ لِي نَكْبَةً وتَنْكَؤُها [٢]

يريد : أراها لاتزال ظالمة ، فقدم الجحد عن موضعه من تزال ، وكما قال الآخر :

إذَا أعْجَبَتْكَ الدَّهْرَ حالٌ من امْرِئٍ فَدَعْهُ وَوَاكِلْ حالَه واللَّيَالِيا

يَجِئْنَ على ما كانَ مِنْ صَالِحٍ بِهِ وإنْ كانَ فِيما لا تَرَى النَّاسُ آلِيا [٣]

يعني : وإن كان فيما يرى الناس لايألو .

وقال آخرون : بل هي مرفوعة بغير عمد .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن خلف العسقلانيّ ، قال : أخبرنا آدم ، قال : ثنا حماد بن سلمة ، عن إياس بن معاوية ، في قوله (رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا) قال : السماء مقببة على الأرض مثل القبة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا) قال : رَفَعها بغير عمد .

⁂ وأولى الأقوال في ذلك بالصحة ، أن يقال كما قال الله تعالى (اللهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا) فهي مرفوعة بغير عمد نراها ، كما قال ربنا جلّ ثناؤه ، ولا خبر بغير ذلك ، ولا حجة يجب التسليم لها بقول سواه .

وأما قوله (ثُمَّ اسْتَوَى على العَرْشِ) فإنه يعني : علا عليه .

⁂ وقد بيّنا معنى الاستواء ، واختلاف المختلفين فيه ، والصحيح من القول فيما قالوا فيه ، بشواهده فيما مضى

---

(١) لعله : يقول عمد لاترونها .

(٢) البيت من شواهد الفراء (معاني القرآن مصورة جامعة القاهرة رقم ٢٤٠٥٩ ص ١٥٧) قال : وقال الآخر : ولا أراها ... البيت . ومعناها : أراها لا تزال . ويقال : نكأ القرحة ينكؤها نكئا : قشرها قبل أن تبرأ ، فنديت . والبيت كالشاهد الذي بعده ، على أن العرب قد تقدم الجحد من آخر الكلمة إلى أولها ، يكون ذلك جائزا . اهـ . يريد تقدمه على موضعه المتأخر .

(٣) البيتان من شواهد الفراء في معاني القرآن (مصورة الجامعة رقم ٢٤٠٥٩ ص ١٥٧) قال : والعرب قد تقدم الجحد من آخر الكلمة إلى أولها ، يكون ذلك جائزا . أنشدني بعضهم : إذا أعجبتك . . . . الخ البيتين . معناه : وإن كان فيما يرى الناس لايألو .

بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .

وقوله (وسَخَّرَ الشَّمْسَ والقَمَرَ) يقول : وأجرى الشمس والقمر فى السماء ، فسخرهما فيها لمصالح خلقه ، وذللهما لمنافعهم ، ليعلموا بجريهما فيها عدد السنين والحساب ، ويفصلوا به بين الليل والنهار .

وقوله (كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُسَمًّى) يقول جلّ ثناؤه : كل ذلك يجرى فى السماء لأجل مسمى : أى لوقت معلوم ، وذلك إلى فناء الدنيا ، وقيام القيامة التى عندها تكوّر الشمس ، ويُخسف القمر ، وتنكدر النجوم ؛ وحذف ذلك من الكلام لفهم السامعين من أهل لسان من نزل بلسانه القرآن معناه ، وأن « كلٌّ » لابدّ لها من إضافة إلى ما تحيط به .

وبنحو الذى قلنا فى قوله (لِأَجَلٍ مُسَمًّى) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَسَخَّرَ الشَّمْسَ والقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُسَمًّى) قال : الدنيا .

وقوله (يُدَبِّرُ الأَمْرَ) يقول تعالى ذكره : يقضى الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها أمورَ الدنيا والآخرة كلها ، ويدبر ذلك كله وحده بغير شريك ولا ظهير ولا معين ، سبحانه !

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (يُدَبِّرُ الأَمْرَ) : يقضيه وحده .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، بنحوه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، بنحوه .

وقوله (يُفَصِّلُ الآيَاتِ) يقول : يفصل لكم ربكم آيات كتابه ، فيبينها لكم احتجاجا بها عليكم أيها الناس (لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ) يقول : لتوقنوا بلقاء الله ، والمعاد إليه ، فتصدّقوا بوعده ووعيده ، وتنزجروا عن عبادة الآلهة والأوثان ، وتخلصوا له العبادة إذا تيقنتم ذلك .

وبنحو ما قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ) وأن الله تبارك وتعالى إنما أنزل كتابه ، وأرسل رسله ، لنؤمن بوعده ، ونستيقن بلقائه .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ، وَمِنْ كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ، جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ، يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ، إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٣)

⁂ يقول تعالى ذكره : والله الذى مدّ الأرض ، فبسطها طولا وعرضا . وقوله (وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ) يقول جلّ ثناؤه : وجعل فى الأرض جبالا ثابتة ؛ والرواسى : جمع راسية ، وهى الثابتة ، يقال منه : أرسيت الوتد فى الأرض : إذا أثبتّه ، كما قال الشاعر :

بِهِ خالِدَاتٌ ما يَرِمْنَ وهامِدٌ وأشْعَثُ أرْسَتْهُ الوَلِيدَةُ بالفِهْرِ [1]

يعنى : أثبتته .

وقوله (وأنهارًا) يقول : وجعل فى الأرض أنهارا من ماء . وقوله (ومِنْ كُلّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ) فمِن فى قوله (وَمِنْ كُلّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ) من صلة جعل الثانى ، لا الأول . ومعنى الكلام : وجعل فيها زوجين اثنين من كلّ الثمرات ، وعنى بزوجين اثنين : من كل ذَكَرٍ اثنان ، ومن كل أنثى اثنان ، فذلك أربعة ، من الذكور اثنان ، ومن الإناث اثنان ، فى قول بعضهم . وقد بيّنا فيما مضى أن العرب تسمى الاثنين زوجين ، والواحد من الذكور زوجا لأنثاه ، وكذلك الأنثى الواحدة زوجا وزوجة لذكرها ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع . ويزيد ذلك إيضاحا قول الله عزّ وجلّ (وأنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ والأُنْثَى) فسمى الاثنين الذكر والأنثى زوجين . وإنما عنى بقوله (مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ) : نوعين وضربين .

وقوله (يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهارَ) يقول : يجلّل الليل النهار ، فيلبسه ظلمته ، والنهار الليل بضيائه .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهارَ) : أى يلبس الليلَ النهار .

وقوله (إنَّ فِي ذلكَ لآياتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) يقول تعالى ذكره : إن فيما وصفت وذكرت ، من عجائب خلق الله وعظيم قدرته ، التى خلق بها هذه الأشياء ، لَدلالاتٍ وحججا وعظات ، لقوم يتفكرون فيها ، فيستدلون ويعتبرون بها ، فيعلمون أن العبادة لا تصلح ولا تجوز ، إلا لمن خلقها ودبّرها ، دون غيره من الآلهة والأصنام ، التى لا تقدر على ضرّ ولا نفع ، ولا لشىء غيرها إلا لمن أنشأ ذلك ، فأحدثه من غير شىء تبارك وتعالى ، وأن القدرة التى أبدع بها ذلك ، هى القدرة التى لا يتعذّر عليه إحياء من هلك من خلقه ، وإعادة ما فَنِى منه ، وابتداع ما شاء ابتداعه بها .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَفِي الأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ ، صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ ،

(١) البيت للأحوص (اللسان : رسا) . والشطر الأول فيه : « سوى خالدات ما يرمن وهامد » بجر خالدات وهامد . ورواية المؤلف كراوية أبى عبيدة فى مجاز القرآن (١ : ٣٢١) . واستشهد به على أن الرواسى : الجبال الثابتات ، يقال : أرسيت الوتد : أى أثبته فى الأرض .

يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ ، وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ، إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٤)

⁂ يقول تعالى ذكره : (وفِى الأرْضِ قِطَعٌ مُتَجاوِرَاتٌ) : وفى الأرض قطع منها متقاربات متدانيات ، يقرب بعضها من بعض بالجوار ، وتختلف بالتفاضل ، مع تجاورها ، وقرب بعضها من بعض ، فمنها قطعة سَبِخة ، لاتنبت شيئا ، فى جوار قطعة طيبة ، تنبت وتنفع .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد (وفِى الأرْضِ قِطَعٌ مُتَجاوِرَاتٌ) قال : السَّبِخة والعَذِية ، والمالح والطيب .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد ، قوله (وفِى الأرْضِ قِطَعٌ مُتَجاوِرَاتٌ) قال : سباخ وعُذُوبة .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو نعيم ، قال : ثنا سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا سعيد بن سليمان ، قال : ثنا إسحاق بن سليمان ، عن أبى سنان ، عن ابن عباس فى قوله (وفِى الأرْضِ قِطَعٌ مُتَجاوِرَاتٌ) قال : العَذِية والسَّبِخة .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : (وفِى الأرْضِ قِطَعٌ مُتَجاوِرَاتٌ) يعنى : الأرض السَّبِخة ، والأرض العَذية ، يكونان جميعا متجاورات ، نفضل بعضها على بعض فى الأُكل .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس : (قِطَعٌ مُتَجاوِرَاتٌ) العَذِية والسَّبِخة ، متجاورات جميعا ، تنبت هذه ، وهذه إلى جنبها لاتنبت .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (قِطَعٌ مُتَجاوِراتٌ) طيبها : عَذِيُها ، وخبيثها : السباخ .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، بنحوه .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وفِى الأرْضِ قِطَعٌ مُتَجاوِرَاتٌ) قرى قربت متجاورات بعضها من بعض .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وفِى الأرْضِ قِطَعٌ مُتَجاوِرَاتٌ) قال : قُرًى متجاورات .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا هشيم ، عن أبى إسحاق الكوفىّ ، عن الضحاك ، فى قوله (قِطَعٌ مُتَجاوِرَاتٌ) قال : الأرض السَّبِخة بينها الأرض العَذِية .

حُدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (وفِي الأرْضِ قِطَعٌ مُتَجاوِرَاتٌ) يعنى الأرض السَّبِخة والأرض العَذِية ، متجاورات بعضها عند بعض .

حدثنا الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا إسرائيل ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ، فى قوله (وفِي الأرْضِ قِطَعٌ مُتَجاوِرَاتٌ) قال : الأرض تنبت حُلوا ، والأرض تنبت حامضا ، وهى متجاورة (تُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ) .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا إسرائيل ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس (وفى الأرْضِ قِطَعٌ مُتَجاوِراتٌ) قال : يكون هذا حلوا ، وهذا حامضا ، وهو يُسْقى بماء واحد ، وهنّ متجاورات .

حدثنى عبد الجبار بن يحيى الرملىّ ، قال : ثنا ضَمْرة بن ربيعة ، عن ابن شوذب فى قوله (وفِي الأرْضِ قِطَعٌ مُتَجاوِرَاتٌ) قال : عَذِية ومالحة .

وقوله (وَجَنَّاتٌ مِنْ أعْنابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ ، صِنْوَانٌ وغيرُ صِنْوَانٍ ، يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ ، ونُفَضّلُ بَعْضَهَا على بَعْضٍ فى الأُكُلِ) يقول تعالى ذكره . وفى الأرض مع القطع المختلفات المعانى منها ، بالملوحة والعذوبة ، والخبيث والطيب ، مع تجاورها وتقارب بعضها من بعض ، بساتينُ من أعناب وزرع ونخيل أيضا ، متقاربة فى الخلقة ، مختلفة فى الطعوم والألوان ، مع اجتماع جميعها على شِرْب واحد ، فمِنْ طيِّبٍ طعمُه منها ، حَسَنٍ منظره طيبة رائحته ، ومِن حامض طعمه ، ولا رائحة له .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، فى قوله (وَجَنَّاتٌ مِنْ أعْنابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ ، صِنْوَانٌ وغيرُ صِنْوَانٍ) قال : مجتمع وغير مجتمع (يُسْقَى بِمَاءٍ واحِدٍ ، ونُفَضّلُ بَعْضَهَا على بَعْضٍ فى الأُكُلِ) قال : الأرض الواحدة يكون فيها الخَوْخ والكمثرى والعنب الأبيض والأسود ، وبعضها أكثر حملا من بعض ، وبعضه حلو ، وبعضه حامض ، وبعضه أفضل من بعض .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله : (وَجَنَّاتٌ) قال : وما معها .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ؛ قال المثنى ، وثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ) فقرأ ذلك عامة قرّاء أهل المدينة والكوفة (وَزَرْعٍ وَنَخِيلٍ) بالخفض ، عطفا بذلك على الأعناب ، بمعنى : وفى الأرض قطع متجاورات ، وجنّات من أعناب

ومن زرع ونخيل . وقرأ ذلك بعض قرّاء أهل البصرة (وزَرْعٌ وَنَخِيلٌ) بالرفع ، عطفا بذلك على الجنات ، بمعنى : وفى الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب ، وفيها أيضا زرع ونخيل .

والصواب من القول فى ذلك أن يقال : إنهما قراءتان متقاربتا المعنى . وقرأ بكلّ واحدة منهما قرّاء مشهورون ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب ، وذلك أن الزرع والنخل إذا كانا فى البساتين ، فهما فى الأرض ، وإذا كانا فى الأرض ، فالأرض التى هما فيها جنة ، فسواء وصفا بأنهما فى بستان أو فى أرض .

وأما قوله (وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وغيرُ صِنْوَانٍ) فإن الصِنْوان : جمع صِنْو ، وهى النخلات يجمعهن أصل واحد ، لايفرّق فيه بين جميعه واثنيه إلا بالإعراب فى النون ، وذلك أن تكون نونه فى اثنيه مكسورة بكل حال ، وفى جميعه متصرّفة فى وجوه الإعراب ، ونظيره القِنْوان : واحدها قِنْو .

وبنحو الذى قلنا فى معنى الصِّنوان ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن أبى إسحاق ، عن البراء (صِنْوَانٌ) قال : المجتمع (وغيرُ صِنْوَانٍ) : المتفرّق .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا الحسين ، عن أبى إسحاق ، عن البراء ، قال : (صِنْوَانٌ) : هى النخلة التى إلى جنبها نخلات إلى أصلها (وغيرُ صِنْوَانٍ) : النخلة وحدها .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا سفيان ، عن أبى إسحاق ، عن البراء بن عازب (صِنْوَانٌ وغيرُ صِنْوَانٍ) قال : الصنوان : النخلتان أصلهما واحد (وغيرُ صِنْوَانٍ) النخلة والنخلتان المتفرّقتان .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، ، قال : ثنا شعبة ، عن أبى إسحاق ، قال : سمعت البراء يقول فى هذه الآية ، قال : النخلة يكون لها النخلات (وغيرُ صِنْوَانٍ) النخل المتفرّق .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عمرو بن الهيثم أبو قَطَن ، ويحيى بن عباد وعفان ، واللفظ لفظ أبى قَطَن ، قال : ثنا شعبة ، عن أبى إسحاق ، عن البراء ، فى قوله (صِنْوٌانٌ وغيرُ صِنْوَانٍ) قال : الصنوان : النخلة إلى جنبها النخلات (وغيرُ صِنْوَانٍ) : المتفرّق .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبى إسحاق ، عن البراء فى قوله (صِنْوَانٌ وغيرُ صِنْوَانٍ) قال : الصنوان : النخلات الثلاث والأربع ، والثنتان أصلهنّ واحد ، وغير صنوان : المتفرّق .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان وشريك ، عن أبى إسحاق ، عن البراء فى قوله (صِنْوَانٌ وغيرُ صِنْوَانٍ) قال : النخلتان يكون أصلهما واحد ، وغير صنوان : المتفرّق .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (صِنْوَانٌ) يقول : مجتمع .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،

قوله (وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وغيرُ صِنْوَانٍ) يعنى بالصنوان: النخلة يخرج من أصلها النخلات ، فيحمل بعضه ، ولا يحمل بعضه ، فيكون أصله واحدا ، ورءوسه متفرّقة .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا إسرائيل ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، فى قوله (صِنْوَانٌ وغيرُ صِنْوَانٍ) النخيل فى أصل واحد ، وغير صنوان : النخيل المتفرّق .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن عطاء ، عن سعيد بن جبير (وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وغيرُ صِنْوَانٍ) قال : : مجتمع ، وغير مجتمع .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا النفيلىّ ، قال : ثنا زهير ، قال : ثنا أبو إسحاق ، عن البرَاء ، قال : الصنوان : ما كان أصله واحدا وهو متفرّق ، وغير صنوان : الذى نبت وحده .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (صِنْوَانٌ) النخلتان وأكثر فى أصل واحد (وَغيرُ صِنْوَانٍ) وحدها .

حدثنا المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (صِنْوَانٌ) : النخلتان أو أكثر فى أصل واحد (وغيرُ صِنْوَانٍ) واحدة .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سلمة بن نبيط ، عن الضحاك (صِنْوَانٌ وغيرُ صِنْوَانٍ) قال : الصنوان : المجتمع أصله واحد ، وغير صنوان : المتفرّق أصله .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن جويبر ، عن الضحاك ، فى قوله (صِنْوَانٌ وغيرُ صِنْوَانٍ) قال : الصنوان : المجتمع الذى أصله واحد ، وغير صنوان : المتفرّق .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وغَيرُ صِنْوَانٍ) أما الصنوان : فالنخلتان والثلاث أصولهنّ واحدة ، وفروعهنّ شتّى ، وغير صنوان : النخلة الواحدة .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (صِنْوَانٌ وغيرُ صِنْوَانٍ) قال : صنوان : النخلة التى يكون فى أصلها نخلتان وثلاث أصلهنّ واحد .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب قال : قال ابن زيد فى قوله (وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وغيرُ صِنْوَانٍ) قال : الصنوان : النخلتان أو الثلاث يكنّ فى أصل واحد ، فذلك يعدّه الناس صنوانا .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، قال : حدثنى رجل ، أنه كان بين عمر ابن الخطاب وبين العباس قول ، فأسرع إليه العباس ، فجاء عمر إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ، ألم تر عباسا فعل بى وفعل ، فأردت أن أجيبه ، فذكرت مكانه منك ، فكففت ، فقال « يَرْحَمُكَ اللهُ ، إنَّ عَمَّ الرَّجُلِ صِنْوُ أبِيهِ » .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة (صِنْوَانٌ) :

النخلة التى يكون فى أصلها نخلتان وثلاث أصلهنّ واحد ؛ قال : فكان بين عمر بن الخطاب وبين العباس رضى الله عنهما قول ، فأسرع إليه العباس ، فجاء عمر إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا نبىّ الله ، ألم تر عباسا فعل بى وفعل ؟ فأردت أن أجيبه ، فذكرت مكانه منك ، فكففت عند ذلك ، فقال : « يَرْحَمُكَ اللهُ ، إنَّ عَمَّ الرَّجُلِ صِنْوُ أبِيهِ » .

قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن عيينة ، عن داود بن شابور ، عن مجاهد ، أن النبىّ صلى الله عليه وسلم ، قال : « لاتُؤْذُونِي فِي العَبَّاسِ ، فإنَّهُ بَقِيَّةُ آبائِي ، وإنَّ عَمَّ الرَّجُلِ صِنْوُ أبِيهِ »

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا حجاج ، عن عطاء وابن أبى مليكة « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعمر : يا عُمَرُ أما عَلِمْتَ أنَّ عَمَّ الرَّجُلِ صِنْوُ أبِيهِ » ،

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : أخبرنى القاسم بن أبى بَزّة ، عن مجاهد (صِنْوَانٌ) قال : فى أصل واحد ثلاث نخلات ، كمثل ثلاثة بنى أمّ وأب يتفاضلون فى العمل ، كما يتفاضل ثمر هذه النخلات الثلاث فى أصل واحد . قال ابن جريج : قال مجاهد : كمثل صالح بنى آدم وخبيثهم أبوهم واحد .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا حجاج بن محمد ، عن ابن جريج ، قال : أخبرنى إبراهيم بن أبى بكر بن عبد الله ، عن مجاهد ، نحوه .

حدثنى القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبى بكر بن عبد الله ، عن الحسن ، قال : هذا مثل ضربه الله لقلوب بنى آدم كانت الأرض فى يد الرحمن طينة واحدة ، فسَطَحها وبطَحَها ، فصارت الأرض قطعا متجاورات ، فينزل عليها الماء من السماء ، فتخرج هذه زهرتها وثمرها وشجرها ، وتخرج نباتها ، وتحيى مواتها ، وتخرج هذه سَبَخها ومِلْحها وخَبَثها ، وكلتاهما تسقى بماء واحد ، فلو كان الماء مالحا ، قيل : إنما استسبخت هذه من قبل الماء ، كذلك الناس خلقوا من آدم ، فينزل عليهم من السماء تذكرة ، فترقّ قلوب ، فتخشع وتخضع ، وتقسو قلوب ، فتلهو وتسهو وتجفو ؛ قال الحسن : والله ماجالس القرآنَ أحدٌ إلا قام من عنده بزيادة أو نقصان ، قال الله (وَنُنَزِّلُ مِنَ القُرآنِ ماهُو شِفاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ، ولا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إلاَّ خَسارًا) .

وقوله (تُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ) اختلفت القرّاء فى قوله (تُسْقَى) ، فقرأ ذلك عامّة قرّاء أهل المدينة والعراق ، من أهل الكوفة والبصرة (تُسْقَى) بالتاء ، بمعنى : تسقى الجنات والزرع والنخيل . وقد كان بعضهم يقول : إنما قيل تسقى بالتاء لتأنيث الأعناب . وقرأ ذلك بعض المكيين والكوفيين (يُسْقَى) بالياء . وقد اختلف أهل العربية فى وجه تذكيره إذا قرئ كذلك ، وإنما ذلك خبر عن الجنات والأعناب والنخيل والزرع ، أنها تسقى بماء واحد ، فقال بعض نحويّ البصرة : إذا قرئ ذلك بالتاء ، فذلك على الأعناب كما ذكروا الأنعام فى قوله (ما فِي بُطُونِهِ) وأنّث بعد فقال (وَعَلَيْها وَعلى الفُلْكِ تُحْمَلُونَ) فمن قال : (يُسْقَى) بالياء جعل الأعناب مما تذكر وتؤنث ، مثل الأنعام . وقال بعض نحويّ الكوفة : من

قال (تُسْقَى) ذهب إلى تأنيث الزرع والجنات والنخيل ، ومن ذكّر ذهب إلى أن ذلك كله يسقى بماء واحد ، وأكله مختلف ، حامض وحلو ، ففى هذا آية .

وأعجب القراءتين إلىّ أن أقرأ بها : قراءة من قرأ ذلك بالتاء (تُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ)، على أن معناه : تسقى الجنات والنخل والزرع بماء واحد ، لمجىء تسقى بعد ما قد جرى ذكرها ، وهى جماع من غير بنى آدم، وليس الوجه الآخر بممتنع ، على معنى يسقى ذلك بماء واحد : أى جميع ذلك يسقى بماء واحد عذب ، دون المالح.

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (تُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ) ماء السماء كمثل صالح بنى آدم وخبيثهم ، أبوهم واحد .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد (تُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ) قال : ماء السماء .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عمرو ، قال : أخبرنا هشيم ، عن أبى إسحاق الصوفىّ ، عن الضحاك (تُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ) قال : ماء المطر .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، قرأه ابن جريج ، عن مجاهد (تُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ) قال : ماء السماء كمثل صالح بنى آدم وخبيثهم ، أبوهم واحد .

قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ؛ وحدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، بنحوه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، نحوه .

حدثنا عبد الجبار بن يحيى الرملىّ ، قال : ثنا ضَمْرة بن ربيعة ، عن ابن شَوْذَب (تُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ) قال : بماء السماء .

وقوله (وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا على بَعْضٍ فِى الأُكُلِ) اختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأه عامة قرّاء المكيين والمدنيين والبصريين ، وبعض الكوفيين ، ونفضل بالنون بمعنى ، ونفضل نحن بعضها على بعض فى الأكل . وقرأته عامّة قرّاء الكوفيين : ويفضل بالياء ، ردا على قوله (يُغْشِى اللَّيْلَ النَّهارَ) ويفضل بعضها على بعض، وهما قراءتان مستفيضتان بمعنى واحد ، فبأيّهما قرأ القارئ فمصيب ، غير أن الياء أعجبهما إلىّ فى القراءة ، لأنه فى سياق كلام ابتداؤه (اللهُ الَّذى رَفَعَ السَّمَوَاتِ) فقراءته بالياء إذ كان كذلك أولى .

ومعنى الكلام : أن الجنات من الأعناب والزرع والنخيل ، الصنوان وغير الصنوان ، تسقى بما واحد عذب لاملح ، ويخالف الله بين طعوم ذلك، فيفضل بعضها على بعض فى الطعم ، فهذا حلو ، وهذا حامض.

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن عطاء ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس (وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا على بَعْضٍ فِي الأُكُلِ) قال : الفارسىّ والدَّقَل والحلو والحامض .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير (وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا على بَعْضٍ فِي الأُكُلِ) قال : الأرض الواحدة يكون فيها الخوخ والكمثرى ، والعنب الأبيض والأسود ، وبعضها أكثر حملا من بعض ، وبعضه حلو ، وبعضه حامض ، وبعضه أفضل من بعض .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عارم أبو النعمان ، قال : ثنا حماد بن زيد ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد ابن جبير (وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا على بَعْضٍ فِي الأُكُلِ) قال : بَرْنِىّ وكذا وكذا ، وهذا بعضه أفضل من بعض .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، فى قوله (وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا على بَعْضٍ فِي الأُكُلِ) قال : هذا حامض ، وهذا حلو ، وهذا مزّ .

حدثنى محمود بن خداش ، قال : ثنا سيف بن محمد بن أحمد ، عن سفيان الثورىّ ، قال : ثنا الأعمش عن أبى صالح ، عن أبى هريرة ، قال : قال النبىّ صلى الله عليه وسلم فى قوله (وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الأُكُلِ) قال : الدَّقَل والفارسىّ ، والحلو والحامض .

حدثنا أحمد بن الحسن الترمذىّ ، قال : ثنا سليمان بن عبد الله الرقى ، قال : ثنا عبيد الله بن عمر الرَّقِّىّ ، عن زيد بن أبى أنيسة ، عن الأعمش ، عن أبى صالح ، عن أبى هريرة ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فى قوله (وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا على بَعْضٍ فِي الأُكُلِ) قال : الدَّقَل والفارسىّ ، والحلو والحامض .

وقوله (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) يقول تعالى ذكره : إن فى مخالفة الله عزّ وجلّ بين هذه القطع الأرض المتجاورات وثمار جناتها وزروعها على ماوصفنا وبينا ، لدليلا واضحا ، وعبرة لقوم يعقلون اختلاف ذلك ، أن الذى خالف بينه على هذا النحو الذى خالف بينه ، هو المخالف بين خلقه فيما قسم لهم من هداية وضلال ، وتوفيق وخذلان ، فوفق ، هذا وخذل هذا ، وهدى ذا ، وأضلّ ذا ، ولو شاء لسوّى بين جميعهم ، كما لو شاء سوّى بين جميع أُكُل ثمار الجنة ، التى تشرب شربا واحدا ، وتُسقَى سقيا ، وهى متفاضلة فى الأكل .

القول فى تأويل قوله تعالى

* وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ : أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ؟ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ ، وَأُولَئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ ، وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٥)

⁂ يقول تعالى ذكره : وإن تعجب يا محمد من هؤلاء المشركين المتخذين ما لايضرّ ولا ينفع آلهة يعبدونها من دونى ، فعَجَب قولهم (أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا) وبلينا فعدمنا (أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ) : إنا لمجدّد إنشاؤنا

وإعادتنا خلقا جديدا كما كنا قبل وفاتنا ؟ تكذيبا منهم بقدرة الله ، وجحودا للثواب والعقاب ، والبعث بعد الممات .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ) إن عجبت يا محمد فعجب (قَوْلُهُمْ أَئِذَا كُنَّا تُرَابا أَئِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ) عجب الرحمن تبارك وتعالى من تكذيبهم بالبعث بعد الموت .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا إبراهيم ، قال : قال ابن زيد فى قوله (وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ) قال : إن تعجب من تكذيبهم ، وهم قد رأوا من قدرة الله وأمره ، وما ضرب لهم من الأمثال ، فأراهم من حياة الموتى فى الأرض الميتة ، إن تعجب من هذه ، فتعجب من قولهم : (أَئِذَا كُنَّا تُرَابا أَئِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ) أولا يرون أنا خلقناهم من نطفة ، فالخلق من نطفة أشدّ أم الخلق من تراب وعظام ؟

واختلف فى وجه تكرير الاستفهام فى قوله (أَئِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ) بعد الاستفهام الأوّل فى قوله (أَئِذَا كُنَّا تُرَابا) أهل العربية ، فقال بعض نحويّ البصرة : الأوّل ظرف ، والآخر هو الذى وقع عليه الاستفهام ، كما تقول : أيوم الجمعة زيد منطلق ؟ قال : ومن أوقع استفهاما آخر على قوله : أئذا متنا وكنا ترابا ؟ جعله ظرفا لشىء مذكور قبله ، كأنهم قيل لهم تبعثون ، فقالوا : أئذا كنا ترابا ؟ ثم جعل هذا استفهاما آخر ، قال : وهذا بعيد . قال : وإن شئت لم تجعل فى قولك : أئذا استفهاما ، وجعلت الاستفهام فى اللفظ على أئنا كأنك قلت : أيوم الجمعة أعبد الله منطلق ، وأضمر نفيه ، فهذا موضع قد ابتدأت فيه أئذا ، وليس بكبير فى الكلام لو قلت اليوم : أئن عبد الله منطلق لم يحسُن ، وهو جائز ، وقد قالت العرب ماعلمت إنه لصالح ، تريد : إنه لصالح ما علمت ، وقال غيره : أئذا جزاء وليست بوقت ، وما بعدها جواب لها إذا لم يكن فى الثانى استفهام ، والمعنى له ، لأنه هو المطلوب ، وقال : ألا ترى أنك تقول : إن تقم يقوم زيد ويقم ، مَنْ جزَم فلأنه وقع موقع جواب الجزاء ، ومن رَفَع فلأن الاستفهام له ، واستشهد بقول الشاعر :

حَلَفْتُ لَه إِنْ تُدْلِجِ اللَّيْلَ لا يَزَلْ أمامَكَ بَيْتٌ مِنْ بُيُوتِى سائِرُ [1]

فجزم جواب اليمين ، لأنه وقع موقع جواب الجزاء ، والوجه الرفع ، قال : فهكذا هذه الآية ، قال : ومن أدخل الاستفهام ثانية ، فلأنه المعتمد عليه ، وترك الجزء الأوّل .

وقوله (أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ) يقول تعالى ذكره : هؤلاء الذين أنكروا البعث ، وجحدوا الثواب والعقاب (وَقَالُوا أَئِذَا كُنَّا تُرَابا أَئِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ) هم الذين جحدوا قدرة ربهم ، وكذّبوا رسوله ، وهم الذين فى أعناقهم الأغلال يوم القيامة فى نار جهنم ، فأولئك أصحاب النار : يقول : هم سكان النار يوم القيامة ، هم فيها خالدون : يقول : هم فيها ماكثون أبدا ، لايموتون فيها ، ولا يخرجون منها .

(١) البيت ينسب للراعى ، وقد تقدم الاستشهاد به فى الجزء الرابع ص ١١٤ من هذه الطبعة ، فانظره ثمة .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثُلَاتُ ، وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ ، وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ (٦)

يقول تعالى ذكره : ويستعجلونك يا محمد مشركو قومك ، بالبلاء والعقوبة ، قبل الرخاء والعافية ، فيقولون : (اللَّهُمَّ إنْ كانَ هذَا هُوَ الحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ ، فَأمْطِرْ عَلَيْنا حِجارَةً مِنَ السَّماءِ ، أوِ ائْتِنا بِعَذَابٍ أليمٍ) وهم يعلمون ماحلّ بمن خلا قبلهم من الأمم التى عصت ربها ، وكذّبت رسلها ، من عقوبات الله ، وعظيم بلائه ، فمن بين أمة مُسِخت قِرَدة ، وأخرى خنازير ، ومن بين أمة أهلكت بالرجْفَة ، وأخرى بالخسف ، وذلك هو المُثلات التى قال الله جلّ ثناؤه (وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ المَثُلاتُ) والمَثُلات : العقوبات المنكِّلات ، والواحدة منها : مَثُلة ، بفتح الميم ، وضمّ الثاء ، ثم تجمع مَثُلات ، كما واحدة الصَّدُقات صَدُقَة ، ثم تجمع صَدُقات . وذكر أن تميما من بين العرب تضم الميم والثاء جميعا من المَثُلات ، فالواحدة على لغتهم منها مُثْلة ، ثم تجمع على مُثُلات ، مثل غُرُفة وغُرُفات ، والفعل منه : مَثَلْتَ به أمْثُل مَثْلا ، بفتح الميم ، وتسكين الثاء ، فإذا أردت أنك أقصصته من غيره ، قلت : أمْثلته من صاحبه أُمْثِله إمثالا ، وذلك إذا أقصصته منه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ المَثُلاتُ) : وقائع الله فى الأمم ، فيمن خلا قبلكم .

وقوله (وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الحَسَنَةِ) وهم مشركو العرب ، استعجلوا بالشرّ قبل الخير ، وقالوا : (اللَّهُمَّ إنْ كانَ هذَا هُوَ الحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأمْطِرْ عَلَيْنا حِجارَةً مِنَ السَّماءِ أوِ ائْتِنا بِعَذَابٍ أليمٍ) .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الحَسَنَةِ) قال : بالعقوبة قبل العافية (وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ المَثُلاتُ) قال : العقوبات .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (المَثُلات) قال : الأمثال .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد . وحدثنى المُثَنَّى قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ

المَثُلاتُ) قال : المَثُلات : الذى مَثَّل الله فى الأمم ، من العذاب الذى عذّبهم ، تولّت المَثُلات من العذاب ، قد خلَت من قبلهم ، وعرفوا ذلك ، وانتهى إليهم ما مَثَّل الله بهم ، حين عصَوه وعصَوا رسله .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا سليم ، قال : سمعت الشعبىّ يقول فى قوله (وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ المَثُلاتُ) قال : القردَة والخنازير : هى المثلات .

وقوله (وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ على ظُلْمِهِمْ) يقول تعالى ذكره : وإن ربك يامحمد لذو ستر على ذنوب من تاب من ذنوبه من الناس ، فتارك فضيحتَه بها فى موقف القيامة ، وصافحٌ له عن عقابه عليها ، عاجلا وآجلا . على ظلمهم : يقول : على فعلهم مافعلوا من ذلك بغير إذن لهم بفعله . (وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ العِقابِ) لمن هلك مُصِرّا على معاصيه فى القيامة ، إن لم يُعَجِّل له ذلك فى الدنيا ، أو يجمعهما له فى الدنيا والآخرة . وهذا الكلام وإن كان ظاهرُه ظاهرَ خبر ، فإنه وعيد من الله ، وتهديد للمشركين من قوم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إن هم لم ينيبوا ويتوبوا من كفرهم ، قبل حلول نقمة الله بهم .

حدثنى علىّ بن داود ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ بن أبى طلحة ، عن ابن عباس (وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ) يقول : ولكن ربك .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ ، إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ ، وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ (٧)

يقول تعالى ذكره (وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا) يا محمد من قومك (لَوْلا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ) : هلا أنزل على محمد آية من ربه ، يعنون : علامة وحُجة له على نبوّته ، وذلك قولهم (لَوْلا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ ، أَوْ جاءَ مَعَهُ مَلَكٌ !) يقول الله له : يامحمد (إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ) لهم ، تنذرهم بأس الله أن يَحِلّ بهم على شركهم (وَلِكُلِّ قَوْمٍ هادٍ) يقول : ولكلّ قوم إمام يأتمون به ، وهادٍ يتقدّمهم ، فيهديهم إما إلى خير ، وإما إلى شرّ ، وأصله من هادى الفَرَس ، وهو عنقه الذى يهدى سائر جسده .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل على اختلاف منهم فى المعنىّ بالهادى فى هذا الموضع ، فقال : بعضهم هو رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ) هذا قول مشركى العرب ، قال الله (إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ ، وَلِكُلِّ قَوْمٍ هادٍ) : لكلّ قوم داعٍ يدعوهم إلى الله .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن السُّدّىّ ، عن عكرمة ومنصور ، عن أبى الضحى : (إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هادٍ) قالا : محمد هو المنذر ، وهو الهاد .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن السدىّ ، عن عكرمة ، مثله .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا سفيان ، عن أبيه ، عن عكرمة ، مثله .

وقال آخرون : عُنِى بالهادى فى هذا الموضع : الله .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير (إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هادٍ) قال : محمد المنذر ، والله الهادى .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا سفيان ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير (إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هادٍ) قال : محمد المنذر ، والله الهادى .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا الأشجعىّ ، عن سفيان ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير (إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ) قال : أنت يا محمد منذر ، والله الهادى .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن عبد الملك ، عن قيس ، عن مجاهد فى قوله (إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هادٍ) قال : المنذر : النبىّ صلى الله عليه وسلم (وَلِكُلِّ قَوْمٍ هادٍ) قال : الله هادى كلّ قوم .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ ، وَلِكُلِّ قَوْمٍ هادٍ) يقول : أنت يا محمد منذر ، وأنا هادى كل قوم .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول : (إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ ، وَلِكُلِّ قَوْمٍ هادٍ) المنذر : محمد صلى الله عليه وسلم ، والهادى : الله عزّ وجل .

وقال آخرون : الهادى فى هذا الموضع ، معناه : نبىّ .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد ، قال : المنذر : محمد صلى الله عليه وسلم ، (وَلِكُلِّ قَوْمٍ هادٍ) قال : نبىّ .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن محمد بن عبد الرحمن ، عن القاسم بن أبى بزّة ، عن مجاهد فى قوله (إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ ، وَلِكُلِّ قَوْمٍ هادٍ) قال : نبىّ .

قال : ثنا جرير ، عن ليث ، عن مجاهد ، عن عبد الملك ، عن قيس ، عن مجاهد ، مثله

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا أسباط بن محمد ، عن عبد الملك ، عن قيس ، عن مجاهد ، فى قوله (إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ ، وَلِكُلِّ قَوْمٍ هادٍ) قال : لكلّ قوم نبىّ ، والمنذر : محمد صلى الله عليه وسلم .

قال : ثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنى عبد الملك ، عن قيس ، عن مجاهد ، فى قول الله (وَلِكُلِّ قَوْمٍ هادٍ) قال : نبىّ .

قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَلِكُلِّ قَوْمٍ هادٍ) يعنى : لكلّ قوم نبىّ .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَلِكُلِّ قَوْمٍ هادٍ) قال : نبىّ .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَلِكُلِّ قَوْمٍ هادٍ) قال : نبىّ يدعوهم إلى الله .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَلِكُلِّ قَوْمٍ هادٍ) قال : لكلّ قوم نبىّ ، الهادى : النبىّ صلى الله عليه وسلم ، والمنذر أيضا : النبىّ صلى الله عليه وسلم ، وقرأ (وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خَلاَ فِيها نَذِيرٌ) وقال (نَذِيرٌ مِنَ النُّذُرِ الأُولى) قال : نبىّ من الأنبياء .

وقال آخرون : بل عُنِى به : ولكلّ قوم قائد .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا جابر بن نوح ، عن إسماعيل بن أبى خالد ، عن أبى صالح (إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هادٍ) قال : إنما أنت يا محمد منذر ، ولكلّ قوم قادة .

قال : ثنا الأشجعىّ ، قال : ثنى إسماعيل أو سفيان ، عن إسماعيل بن أبى خالد ، عن أبى صالح : (وَلِكُلِّ قَوْمٍ هادٍ) قال : لكلّ قوم قادة .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، عن أبى العالية (إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ ، وَلِكُلِّ قَوْمٍ هادٍ) قال : الهادى : القائد ، والقائد : الإمام ، والإمام : العمل .

حدثنى الحسن ، قال : ثنا محمد ، وهو ابن يزيدَ ، عن إسماعيل ، عن يحيى بن رافع ، فى قوله (إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ ، وَلِكُلِّ قَوْمٍ هادٍ) قال : قائد .

وقال آخرون : هو علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أحمد بن يحيى الصوفىّ ، قال : ثنا الحسن بن الحسين الأنصارىّ ، قال : ثنا معاذ بن مسلم ، ثنا الهروىّ ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : لما نزلت (إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هادٍ) وضع صلى الله عليه وسلم يده على صدره ، فقال « أنا المُنْذِرُ ، وَلِكُلِّ قَوْمٍ هادٍ ، وأومأ بيده إلى منكب علىّ ، فقال : أنت الهادى يا علىّ ، بك يهتدى المهتدون بعدى » .

وقال آخرون : معناه : لكلّ قوم داع .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَلِكُلِّ قَوْمٍ هادٍ) قال : داع . وقد بيّنت معنى الهداية ، وأنه الإمام المتبع الذى يقدُم القوم ، فإذا كان ذلك

كذلك ، فجائز أن يكون ذلك هو الله ، الذى يهدى خلقه ، ويَتْبعُ خلقُه هداه ، ويأتمون بأمره ونهيه ، وجائز أن يكون نبىّ الله الذى تأتمّ به أمته ، وجائز أن يكون إماما من الأئمة يؤتمّ به ، ويتبع منهاجَه وطريقته أصحابه ، وجائز أن يكون داعيا من الدُّعاة إلى خير أو شرّ .

⁂ وإذا كان ذلك كذلك ، فلا قول أولى فى ذلك بالصواب ، من أن يقال كما قال جلّ ثناؤه : إن محمدا هو المنذر مَن أُرْسِل إليه بالإنذار ، وإن لكلّ قوم هاديا يهديهم ، فيتبعونه ويأتمون به .

القول فى تأويل قوله تعالى

اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ ، وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ، وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ (٨)

⁂ يقول تعالى ذكره : وإن تعجب فعجب قولهم : (أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا أَئِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ) منكرين قدرة الله على إعادتهم خَلقا جديدا بعد فنائهم وبلائهم ، ولا ينكرون قدرته على ابتدائهم وتصويرهم فى الأرحام ، وتدبيرهم وتصريفهم فيها حالاً بعد حال ، فابتدأ الخبر عن ذلك ابتداء ، والمعنى فيه ماوصف ، فقال جلّ ثناؤه (اللهُ يَعْلَمُ ما تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَما تَغِيضُ الأَرْحامُ وَما تَزْدَادُ) يقول : وما تنقص الأرحام من حملها فى الأشهر التسعة ، بإرسالها دم الحيض ، وما تزداد فى حملها على الأشهر التسعة ، لتمام ما نقص من الحمل فى الأشهر التسعة ، بإرسالها دم الحيض (وكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ) لايجاوز شىء من قَدَره عن تقديره ، ولا يقصر أمر أراده ، فدبره عن تدبيره ، كما لايزداد حمل أنثى على ماقدر له من الحمل ، ولا يقصر عما حدّ له من القَدْر . والمِقدار : مفعال من القدر .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنى يعقوب بن ماهانَ ، قال : ثنا القاسم بن مالك ، عن داود بن أبى هند ، عن عكرمة عن ابن عباس ، فى قوله (يَعْلَمُ ما تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَما تَغِيضُ الأَرْحامُ) قال : ما رأت المرأة من يوم دماً على حملها ، زاد فى الحمل يوما .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله : (اللهُ يَعْلَمُ ما تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَما تَغِيضُ الأَرْحامُ) يعنى السِّقط (وَما تَزْدَادُ) يقول : ما زادت الرحم فى الحمل على ماغاضت ، حتى ولدته تماما ، وذلك أن من النساء من تحمل عشرة أشهر ، ومنهنّ من تحمل تسعة أشهر ، ومنهنّ من تزيد فى الحمل ، ومنهنّ من تنقص ، فذلك الغَيْض ، والزيادة التى ذكر الله ، وكلّ ذلك بعلمه .

حدثنا سعيد بن يحيى الأموىّ ، قال : ثنا عبد السلام ، قال : ثنا خَصِيف ، عن مجاهد ، أو سعيد بن جبير فى قول الله ، (وَما تَغِيضُ الأَرْحامُ) قال : غيضها : دون التسعة ، والزيادة : فوق التسعة .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا أبو بشر ، عن مجاهد ، أنه قال : الغيض : ما رأت

الحامل من الدم فى حَمْلها، فهو نقصان من الولد ، والزيادة: مازاد على التسعة أشهر ، فهو تمام للنقصان، وهو زيادة .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا عبد الصمد ، قال : ثنا شعبة ، عن أبى بشر ، عن مجاهد ، فى قوله: (وَما تَغِيضُ الأَرْحامُ وَما تَزْدَادُ) قال : ما ترى من الدم ، وما تزداد على تسعة أشهر .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبى بشر ، عن مجاهد ، أنه قال (يَعْلَمُ ما تَغِيضُ الأَرْحامُ وَما تَزْدَادُ) قال : ما زاد على التسعة الأشهر ؛ وما تغيض الأرحام : قال : الدم تراه المرأة فى حَمْلها .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون والحجاج بن المنهال ، قالا : ثنا هشيم ، عن أبى بشر ، عن مجاهد ،فى قوله: (وَما تَغِيضُ الأَرْحامُ وَما تَزْدَادُ) قال :الغَيْض : الحامل ترى الدم فى حملها ، فهو الغيض ، وهو نقصان من الولد ، وما زاد على تسعة أشهر ، فهو تمام لذلك النقصان ، وهى الزيادة .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا عبد السلام ، عن خَصِيف ، عن مجاهد (وَما تَغِيضُ الأَرْحامُ وَما تَزْدَادُ) قال : إذا رأت دون التسعة ، زاد على التسعة مثل أيام الحيض .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَما تَغِيضُ الأَرْحامُ) قال : خروج الدم (وَما تَزْدَادُ) قال : استمساك الدم .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَما تَغِيضُ الأَرْحامُ) إراقة المرأة ، حتى يَحبس الولد (وَما تَزْدَادُ) قال : إن لم تُهْرِق المرأة تمّ الولد وعَظُم .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا شعبة ، عن جعفر ، عن مجاهد ، فى قوله (وَما تَغِيضُ الأَرْحامُ وَما تَزْدَادُ) قال : المرأة ترى الدم ، وتحمل أكثر من تسعة أشهر .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا محمد بن الصَّباح ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا أبو بشر ، عن سعيد بن جبير ، فى قوله (وَما تَغِيضُ الأَرْحامُ) قال : هى المرأة ترى الدم فى حملها .

قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله: (وَما تَغِيضُ الأَرْحامُ وَما تَزْدَادُ) إهراق الدم ، حتى يَحبس الولد . وتزداد : إن لم تهرق المرأة تمّ الولد وعظم .

قال : ثنا الحكم بن موسى ، قال : ثنا هقل ، عن عثمان بن الأسود ، قال : قلت لمجاهد : امرأتى رأت دما ، وأرجو أن تكون حاملا ، قال أبو جعفر : هكذا هو فى الكتاب ، فقال مجاهد: ذاك غَيْض الأرحام ، (يَعْلَمُ ما تَغِيضُ الأَرْحامُ وَما تَزْدادُ ، وكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدارٍ) الولد لايزال يقع فى النقصان ما رأت الدم ، فإذا انقطع الدم وقع فى الزيادة ، فلا يزال حتى يتمّ ، فذلك قوله (وَما تَغِيضُ الأَرْحامُ وَما تَزْدَادُ ، وكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدارٍ).

قال : ثنا محمد بن الصباح ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا أبو بشر ، عن مجاهد ، فى قوله (وَما

تَغِيضُ الأَرْحامُ وَما تَزْدَادُ) قال : الغَيْض : الحامل ترى الدم فى حملها ، وهو الغَيض ، وهو نقصان من الولد ، فما زادت على التسعة الأشهر ، فهى الزيادة ، وهو تمام للولادة .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا عبد الوهاب ، قال : ثنا داود ، عن عكرمة فى هذه الآية (اللهُ يعلَمُ ما تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَما تَغِيضُ الأَرْحامُ) قال : كلما غاضت بالدم ، زاد ذلك فى الحمل .

قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا داود ، عن عكرمة ، نحوه .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا عباد بن العوّام ، عن عاصم ، عن عكرمة (وَما تَغِيضُ الأَرْحامُ) قال : غيض الرحم : الدم على الحمل ، كلما غاض الرحم من الدم يوما ، زاد فى الحمل يوما ، حتى تستكمل وهى طاهرة .

قال : ثنا عباد ، عن سعيد ، عن يَعْلى بن مسلم ، عن سعيد بن جبير ، مثله .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا الوليد بن صالح ، قال : ثنا أبو يزيدَ ، عن عاصم ، عن عكرمة فى هذه الآية (وَما تَغِيضُ الأَرْحامُ) قال : هو الحيض على الحمل (وَما تَزْدَادُ) قال : فلها بكلّ يوم حاضت على حملها ، يوم تزداده فى طهرها ، حتى تستكمل تسعة أشهر طاهرا .

قال : ثنا يزيد بن هارون ، قال : أخبرنا عمران بن حُدَير ، عن عكرمة ، فى قوله (وَما تَغِيضُ الأَرْحامُ وَما تَزْدَادُ) قال : ما رأت الدم فى حملها ، زاد فى حملها .

حدثنا عبد الحميد بن بيان ، قال : أخبرنا إسحاق ، عن جويبر ، عن الضحاك ، فى قوله (وَما تَغِيضُ الأَرْحامُ وَما تَزْدَادُ) ما تغيض أقلّ من تسعة ، وما تزداد : أكثر من تسعة .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا ابن المبارك ، عن الحسن بن يحيى ، قال : سمعت الضحاك يقول : قد يُولد المولود لسنتين ، قد كان الضحاك وُلِد لسنتين ، والغَيْض : مادون التسعة ، وما تزداد : فوق تسعة أشهر .

قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن جويبر ، عن الضحاك (وَما تَغِيضُ الأَرْحامُ وَما تَزْدادُ) قال : دون التسعة ، وما تزداد : قال : فوق التسعة .

قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن جويبر ، عن الضحاك ، قال : وُلِدتْ لسنتين .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا سويد بن نصر ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن الحسن بن يحيى ، قال : ثنا الضحاك أن أمه حملته سنتين ، قال (وَما تَغِيضُ الأَرْحامُ) قال : ماتنقص من التسعة (وَما تَزْدادُ) قال : مافوق التسعة .

قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن جويبر ، عن الضحاك ، فى قوله (اللهُ يَعْلَمُ ما تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَما تَغِيضُ الأَرْحامُ) قال : كلّ أنثى من خلق الله .

قال : ثنا هشيم ، عن جويبر ، عن الضحاك ، ومنصور عن الحسن ، قالا : الغَيْض ما دون التسعة الأشهر .

قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن داود بن عبد الرحمن ، عن ابن جريج ، عن جميلة بنت سعد ، عن عائشة ، قالت : لايكون الحمل أكثر من سنتين ، قدرَ ما يتحوّل ظلُّ مِغْزل .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا فضيل بن مرزوق ، عن عطية العوفيّ (وَما تَغِيضُ الأَرْحامُ) قال : هو الحمل لتسعة أشهر وما دون التسعة (وَما تَزْدَادُ) قال : على التسعة .

قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا عمرو بن ثابت عن أبيه ، عن سعيد بن جبير (وَما تَغِيضُ الأَرْحامُ) قال : حيض المرأة على ولدها .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَما تَغِيضُ الأَرْحام وَما تَزْدَادُ) لى قال : الغيض : السِّقْط ؛ وما تزداد : فوق التسعة الأشهر .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن سعيد بن جبير : إذا رأت المرأة الدم على الحمل ، فهو الغيض للولد ، يقول : نقصان فى غذاء الولد ، وهو زيادة فى الحمل .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيدُ ، قال: ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (اللهُ يَعْلَمُ ما تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَما تَغِيضُ الأَرْحامُ وَما تَزْدَادُ) قال : كان الحسن يقول : الغيضوضة أن تضع المرأة لستة أشهر أو لسبعة أشهر ، أو لما دون الحدّ . قال قتادة : وأما الزيادة ، فما زاد على تسعة أشهر .

حدثنى الحارث ، قال: ثنا عبد العزيز ، قال: ثنا قيس ، عن سالم الأفطس ، عن سعيد بن جبير ، قال : غيض الرحم : أن ترى الدم على حملها ، فكلّ شىء رأت فيه الدم على حملها ، ازدادت على حملها مثل ذلك .

قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا حماد بن سلمة ، عن قيس بن سعد ، عن مجاهد ، قال : إذا رأت الحاملُ الدم كان أعظم للولد .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله : (وَما تَغِيضُ الأَرْحامِ وَما تَزْدَادُ) الغيض : النقصان من الأجل ، والزيادة : ما زاد على الأجل وذلك أن النساء لايلدن لعِدّة واحدة ، يولد المولود لستة أشهر فيعيش ، ويُولد لسنتين فيعيش ، وفيما بين ذلك . قال : وسمعت الضحاك يقول : وُلِدتْ لسنتين ، وقد نبتت ثناياىَ .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَما تَغِيضُ الأَرْحامُ) قال : غَيض الأرحام : الإهراقة التى تأخذ النساء على الحمل ، وإذا جاءت تلك الإهراقة ، لم يعتدّ بها من الحمل ، ونقص ذلك حملها ، حتى يرتفع ذلك ؛ وإذا ارتفع استقبلت عِدّة مستقبلة تسعة أشهر ؛ وأما ما دامت ترى الدم ، فإن الأرحام تغيض وتنقص ، والولد يَرِقّ ، فإذا ارتفع ذلك الدم ، ربا الولد ، واعتدّت حين يرتفع عنها ذلك الدم ، عِدّة الحمل تسعة أشهر ، وما كان قبله فلا تعتدّ به ، هو هِراقة ، يُبْطل ذلك أجمع أكتع .

وقوله (وكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ) حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله (وكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ) إى والله ، لقد حفظ عليهم رزقهم وآجالهم ، وجعل لهم أجلا معلوما .

القول فى تأويل قوله تعالى

عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ (٩)

⁂ يقول تعالى ذكره : والله عالم ما غاب عنكم وعن أبصاركم فلم تَرَوْه ، وماشاهدتموه فعاينتم بأبصاركم ؛ لايخفى عليه شىء ، لأنهم خلقه وتدبيره . الكبير : الذى كلّ شىء دونه . المتعال : المستعلى على كلّ شىء بقدرته ، وهو المتفاعل ، من العلوّ ، مثل المتقارب من القرب ، والمتدانى من الدنوّ .

القول فى تأويل قوله تعالى

سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ ، وَمَنْ جَهَرَ بِهِ ، وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌ بِٱلنَّهَارِ (١٠)

⁂ يقول تعالى ذكره : معتدلٌ عند الله منكم أيها الناس ، الذى أسر القول ، والذى جهر به ، والذى (هُوَ مُسْتَخْفٍ باللَّيْلِ) فى ظلمته بمعصية الله (وَسارِبٌ بالنَّهارِ) يقول : وظاهر بالنهار فى ضوئه ، لايخفى عليه شىء من ذلك ، سواء عنده سرُّ خلقه وعلانيتهم ، لأنه لايستسرّ عنده شىء ولا يخفى ، يقال منه : سَرَب يَسْرُب سُروباً إذا ظهر ، كما قال قيس بن الخطيم :

أنّى سَرَبْتِ وكنتِ غيرَ سَرُوبِ وتَقَرُّبُ الأحْلامِ غيرُ قَرِيبِ[1]

يقول : كيف سريت بالليل بعد هذا الطريق ، ولم تكونى تبرزين وتظهرين . وكان بعضهم يقول : هو السالك فى سِرْبه : أى فى مذهبه ومكانه .

واختلف أهل العلم بكلام العرب فى السرب ، فقال بعضهم : هو آمن فى سَرَبه ، بفتح السين ، وقال بعضهم : هو آمن فى سِربه بكسر السين .

وبنحو ما قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ القَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ ، وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ باللَّيْلِ وَسارِبٌ بالنَّهارِ) يقول : هو صاحب رِيبة مستخف بالليل ، وإذا خرج بالنهار أرى الناس أنه برىء من الإثم .

(١) البيت لقيس بن الخطيم (اللسان : سرب) قال : سربت الإبل سروبا : أى مضت فى الأرض ظاهرة حيث شاءت . والسارب : الذاهب على وجهه فى الأرض . قال قيس بن الخطيم : أنى سربت ... الخ . قال ابن برى : رواه : ابن دريد : سربت بباء موحدة ، لقوله : وكنت غير سروب . ومن رواه « سريت ، بالياء باثنتين ، فمعناه : كيف سريت ليلا ، وأنت لا تسرين نهارا ؟ وقال أبوعبيدة (مجاز القرآن ١ : ٣٢٣) فى قوله : وسارب بالنهار : مجازه : سالك فى سربه ، أى فى مذاهبه ، وأينما توجه . ومنه : انسرب فلان . وظاهر أن المؤلف وجه البيت على الرواية الثانية « سريت » بالياء ، ثم استدرك فوجهه على الأولى .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس : (وَسارِبٌ بالنَّهارِ) : ظاهر .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا ابن أبى عدىّ ، عن عوف ، عن أبى رجاء ، فى قوله (سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ القَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ ، وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ باللَّيْلِ وَسارِبٌ بالنَّهارِ) قال : إن الله أعلم بهم ، سواء من أسرّ القول ، ومن جهر به ، ومن هومستخفٍ بالليل ، وساربٌ بالنهار .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا علىّ بن عاصم ، عن عوف ، عن أبى رجاء (سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ القَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ ، وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ باللَّيْلِ وَسارِبٌ بالنَّهارِ) قال : من هو مستخف فى بيته ، وساربٌ بالنهار : ذاهب على وجهه ، علمُه فيهم واحد .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ القَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ) يقول : السرّ والجهر عنده سواء (وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ باللَّيْلِ ، وَسارِبٌ بالنَّهارِ) أما المستخفى فى بيته ، وأما السارب : الخارج بالنهار ، حيثما كان المستخفى غيبه الذى يغيب فيه ، والخارج عنده سواء .

قال : ثنا الحمّانىّ ، قال : ثنا شريك ، عن خَصيف ، فى قوله (مُسْتَخْفٍ باللَّيْلِ) قال : راكب رأسه فى المعاصى (وَسارِبٌ بالنَّهارِ) قال : ظاهر بالنهار .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ القَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ) كلّ ذلك عنده تبارك وتعالى سواء ، السرّ عنده علانية ، قوله (وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ باللَّيْلِ ، وَسارِبٌ بالنَّهارِ) : أى فى ظلمة الليل ، وسارب : أى ظاهر بالنهار .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبوأحمد ، قال : ثنا شريك ، عن خَصيف ، عن مجاهد وعكرمة (وَسارِبٌ بالنَّهارِ) قال : ظاهر بالنهار ، ومَن فى قوله (مَنْ أَسَرَّ القَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ ، وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ باللَّيلِ) رفع الأولى منهنّ بقوله سواء ، والثانية معطوفة على الأولى ، والثالثة على الثانية .

القول فى تأويل قوله تعالى

لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ، إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ، وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ ، وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ (١١)

اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معناه : لله تعالى ذكره مُعَقِّبات ، قالوا الهاء فى قوله : « له » من ذكر اسم الله ، والمعقِّبات : التى تتعقّب على العبد ، وذلك أن ملائكة الليل إذا صَعِدت بالنهار ، أعقبتها ملائكة النهار ، فإذا انقضى النهار ، صعدت ملائكة النهار ، ثم أعقبتها ملائكة الليل ، وقالوا : قيل معقِّبات ، والملائكة : جمع مَلَك ، مذكر غير مونث ، وواحد الملائكة معقِّب ، وجماعتها مُعقِّبة ، ثم جمع

جمعه ، أعنى جمع معقب بعد ما جمع معقبة . وقيل : معقبات ، كما قيل : أبناوات سعد ، ورجالات بنى فلان ، جمع رجال .

وقوله (مِنْ بينِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ) يعنى بقوله (مِنْ بينِ يَدَيْهِ) من قدّام هذا المستخفى بالليل ، والسارب بالنهار (وَمِنْ خَلْفِهِ) : من وراء ظهره .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن منصور ، يعنى ابن زاذان ، عن الحسن فى هذه الآية (لَهُ مُعَقِّباتٌ مِنْ بينِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ) قال : الملائكة .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إبراهيم بن عبد السلام بن صالح القُشَيرىّ ، قال : ثنا علىّ بن جرير ، عن حماد بن سلمة ، عن عبد الحميد بن جعفر ، عن كنانة العدوىّ ، قال : دخل عثمان بن عفّانَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : « يا رسول الله ، أخبرنى عن العبد كم معه من ملَك ؟ قال : مَلَكٌ على يَمينِكَ ، على حَسَناتِكَ ، وَهُوَ أميرٌ على الَّذى على الشِّمالِ ، فإذَا عَمِلْتَ حَسَنَةً كُتِبَتْ عَشْرًا ، وَإذَا عَمِلْتَ سَيِّئَةً ، قالَ الَّذى على الشِّمالِ للَّذى على اليَمينِ : اكْتُبْ ، قالَ : لا ، لَعَلَّهُ يَسْتَغْفِرُ اللهَ وَيَتُوبُ ، فإذَا قالَ ثَلاثا ، قالَ : نَعَم اكْتُبْ ، أرَاحَنا اللهُ مِنْهُ ، فَبِئْسَ القَرِينُ ، ما أقَلَّ مُرَاقَبَتَهُ للهِ ، وأقَلَّ اسْتِحْياءَهُ مِنَّا ، يَقُولُ اللهُ (ما يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ) وَمَلَكانِ مِنْ بينِ يَدَيْكَ وَمِنْ خَلْفِكَ ، يَقُولُ اللهُ (لَهُ مُعَقِّباتٌ مِنْ بينِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ ، يَحْفَظُونَهُ مِنْ أمْرِ اللهِ) ، وَمَلَكٌ قابِضٌ على ناصِيَتِكَ ، فإذَا تَوَاضَعْتَ للهِ رَفَعَكَ ، وإذَا تَجَبَّرْتَ على اللهِ قَصَمَكَ ؛ ومَلَكانِ على شَفَتَيْكَ لَيْسَ يَحْفَظانِ عَلَيْكَ إلاَّ الصَّلاةَ على مُحَمَّدٍ ؛ وَمَلَكٌ قائمٌ على فِيكَ ، لا يَدَعُ الحَيَّةَ تَدْخُلُ فِى فِيكَ ؛ وَمَلَكانِ على عَيْنَيْكَ ، فَهَؤُلاءِ عَشْرَةُ أمْلاكٍ على كُلِّ آدَمِىٍّ ، يَنْزِلُونَ مَلائِكَةُ اللَّيْلِ على مَلائِكَةِ النَّهارِ ، فَهَؤُلاءِ عِشْرُونَ مَلَكاً على كُلِّ آدَمِىٍّ ، وَإبْلِيسُ بالنَّهارِ ، وَوَلَدُهُ باللَّيْلِ » .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (لَهُ مُعَقِّباتٌ مِنْ بينِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ) الملائكة (يَحْفَظُونَهُ مِنْ أمْرِ اللهِ .)

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

قال : ثنا عمرو بن عَوْن ، قال : أخبرنا هشيم ، عن عبد الملك ، عن قيس ، عن مجاهد ، فى قوله (لَهُ مُعَقِّباتٌ مِنْ بينِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ) قال : مع كلّ إنسان حفظة يحفظونه من أمر الله .

قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (لَهُ مُعَقِّباتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أمْرِ اللهِ) فالمعقبات هنّ من أمر الله ، وهى الملائكة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس (يَحْفَظُونَهُ مِنْ أمْرِ اللهِ) قال : ملائكة يحفظونه من بين يديه ومن خلفه ، فإذا جاء قَدَره خَلّوا عنه .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس (لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللهِ) فإذا جاء القدر خَلَّوا عنه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن إبراهيم فى هذه الآية ، قال : الحفظة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم (لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللهِ) قال : ملائكة .

حدثنا أحمد بن حازم ، قال : ثنا يَعْلَى ، قال : ثنا إسماعيل بن أبى خالد ، عن أبى صالح ، فى قوله (لَهُ مُعَقِّبَاتٌ) قال : ملائكة الليل يَعقُبون ملائكة النهار .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ) هذه ملائكة الليل ، يتعاقبون فيكم بالليل والنهار ، وذُكر لنا أنهم يجتمعون عند صلاة العصر وصلاة الصبح ، وفى قراءة أبىّ بن كعب : له معقِّبات من بين يديه ، ورقيب من خلفه ، يحفظونه من أمر الله .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قوله (لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ) قال : ملائكة يتعاقبونه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس (لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ) قال : الملائكة . قال ابن جريج : معقِّبات : قال : الملائكة تَعَاقبُ الليل والنهار ، وبلَغَنا أن النبىّ صلى الله عليه وسلم قال « يجتمعون فيكم عند صلاة العصر وصلاة الصبح » وقوله (يَحْفَظُونَهُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ) قال ابن جريج : مثل قوله (عَنِ اليَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ) قال : الحسنات من بين يديه ، والسيئات من خلفه ، الذى عن يمينه يكتب الحسنات ، والذى عن شماله يكتب السيئات .

حدثنا سَوّار بن عبد الله ، قال : ثنا المعتمر بن سليمان ، قال : سمعت ليثا يحدّث عن مجاهد أنه قال : مامن عبد إلا له ملَك مُوَكَّل بحِفظه نومه ويقظته ، من الجنّ والإنس والهوامّ ، فما منها شىء يأتيه يريده إلا قال : وراءَك ، إلا شيئا يأذن الله فيه ، فيصيبه .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ) قال : يعنى الملائكة .

وقال آخرون : بل عنى بالمعقِّبات فى هذا الموضع : الحرس الذى يتعاقب على الأمير .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو هشام الرفاعىّ ، قال : ثنا ابن يمان ، قال : ثنا سفيان عن حبيب بن أبى ثابت ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس (لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ) قال : ذلك مَلِك من ملوك الدنيا ، له حرس ، من دونه حرس .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،

قوله (لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ) يعنى : ولىّ السلطان يكون عليه الحرس .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن شَرْقىّ : أنه سمع عكرمة يقول فى هذه الآية (لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ) قال : هؤلاء الأمراء .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا عمرو بن نافع ، قال : سمعت عكرمة يقول (لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ) قال : المواكب من بين يديه ومن خلفه .

حُدِّثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول ، فى قوله (لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللهِ)، قال : هو السلطان المحروس من أمر الله ، وهم أهل الشرك .

⁂ وأولى التأويلين فى ذلك بالصواب : قول من قال : الهاء فى قوله (لَهُ مُعَقِّبَاتٌ) مَن ذكر من التى فى قوله (وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ) وأن المعقبات من بين يديه ، ومن خلفه ، هى حَرَسه وجَلاوزته كما قال ذلك من ذكرنا قوله .

وإنما قلنا ذلك أولى التأويلين بالصواب : لأن قوله (لَهُ مُعَقِّبَاتٌ) أقرب إلى قوله (وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ) منه إلى عالم الغيب ، فهى لقربها منه أولى بأن تكون من ذكره ، وأن يكون المعنىّ بذلك هذا ، مع دلالة قول الله (وَإِذَا أَرَادَ اللهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلا مَرَدَّ لَهُ) على أنهم المعنيُّون بذلك ، وذلك أنه جلّ ثناؤه ذكر قوما أهل معصية له وأهل ريبة ، يستخفون بالليل ، ويظهرون بالنهار ، ويمتنعون عند أنفسهم بحرس يحرسهم ، ومَنَعَة تمنعهم من أهل طاعته ، أن يحولوا بينهم وبين ما يأتون من معصية الله ، ثم أخبر أن الله تعالى ذكره إذا أراد بهم سوءا لم ينفعهم حرسهم ، ولا يدفع عنهم حِفْظُهم .

وقوله (يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللهِ) اختلف أهل التأويل فى تأويل هذا الحرف على نحو اختلافهم فى تأويل قوله (لَهُ مُعَقِّبَاتٌ) فمن قال : المعقبات هى الملائكة ، قال : الذين يحفظونه من أمر الله هم أيضا الملائكة ؛ ومن قال : المعقبات هى الحرس والجلاوزة من بنى آدم ، قال : الذين يحفظونه من أمر الله هم أولئك الحرس .

واختلفوا أيضا فى معنى قوله (مِنْ أَمْرِ اللهِ) فقال بعضهم : حِفْظهم إياه من أمره . وقال بعضهم : يحفظونه من أمر الله بأمر الله .

ذكر من قال : الذين يحفظونه هم الملائكة ، ووَجَّهَ قوله : بأمر الله ، إلى معنى : أن حفظها إياه من أمر الله

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللهِ) يقول : بإذن الله ، فالمعقبات : هى من أمر الله ، وهى الملائكة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير (يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللهِ) قال : الملائكة : الحَفَظة ، وحِفْظهم إياه : من أمر الله .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا محمد بن عبيد ، قال : ثنى عبد الملك ، عن ابن عبيد الله ، عن مجاهد ، فى قوله (لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللهِ) قال : الحَفَظَة : هم من أمر الله .

قال : ثنا علىّ ، يعنى ابن عبد الله بن جعفر ، قال : ثنا سفيان ، عن عمرو ، عن ابن عباس (لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ) رُقباء (وَمِنْ خَلْفِهِ) من أمر الله (يَحْفَظُونَهُ) .

قال : ثنا عبد الوهاب ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن الجارود ، عن ابن عباس (لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ) رقيب (وَمِنْ خَلْفِهِ) .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا إسرائيل ، عن خَصِيف ، عن مجاهد (لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللهِ) قال : الملائكة من أمر الله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس (يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللهِ) قال : الملائكة من أمر الله .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن إبراهيم (لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللهِ) قال : الحَفَظة .

ذكر من قال : عُنِى بذلك : يحفظونه بأمر الله

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (يَحْفَظُونَهُ مِن أَمْرِ اللهِ) : أى بأمر الله .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللهِ) . وفى بعض القراءات : بأمر الله .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن عبد الملك ، عن قيس ، عن مجاهد فى قوله (لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ) قال : مع كلّ إنسان حفظة يحفظونه من أمر الله .

ذكر من قال : تحفظه الحرس من بنى آدم من أمر الله

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنا أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللهِ) يعنى : ولىّ السلطان يكون عليه الحرس ، يحفظونه من بين يديه ومن خلفه ، يقول الله عزّ وجلّ : يحفظونه من أمرى ، فإنى إذا أردت بقوم سوءا فلا مردّ له ، وما لهم من دونه من والٍ .

حدثنى أبو هريرة الضبعىّ ، قال : ثنا أبو قتيبة ، قال : ثنا سعيد ، عن شَرْقىّ ، عن عكرمة : (يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللهِ) قال : الجلاوزة .

وقال آخرون : معنى ذلك : يحفظونه من أمر الله ، وأمر الله ، الجنّ ومن يبغى أذاه ومكروهه قبل مجىء قضاء الله ، فإذا جاء قضاؤه خلّوا بينه وبينه .

ذكر من قال ذلك

حدثنى أبو هريرة الضُّبَعىّ ، قال : ثنا أبو داود ، قال : ثنا ورقاء ، عن منصور ، عن طلحة ، عن إبراهيم (يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللهِ) قال : من الجنّ .

حدثنا سَوّار بن عبد الله ، قال : ثنا المعتمر ، قال : سمعت ليثا يحدّث عن مجاهد ، أنه قال : ما من عبد إلا له ملَك موكل يحفظه فى نومه ويقظته من الجنّ والإنس والهوامّ ، فما منهم شىء يأتيه يريده ، إلا قال : وراءَك ، إلا شيئا يأذن الله فيصيبه .

حدثنا الحسن بن عرفة ، قال : ثنا إسماعيل بن عياش ، عن محمد بن زياد الألهانىّ ، عن يزيد بن شُرَيح ، عن كعب الأحبار ، قال : لو تجلّى لابن آدم كلُّ سهل وحَزْن ، لرأى على كلّ شىء من ذلك شياطين ، لولا أن الله وَكّل بكم ملائكة يذُبُّون عنكم فى مطعمكم ومشربكم وعوراتكم ، إذنْ لتُخُطِّفتم .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيّة ، قال : ثنا عُمارة بن أبى حفصة ، عن أبى مُجَلِّز ، قال : جاء رجل من مُراد إلى علىّ رضى الله عنه ، وهو يصلّى ، فقال : احترس ، فإن ناسا من مُرادٍ يريدون قتلك ، فقال : إن مع كل رجل مَلَكين يحفظانه مما لم يقدَّر ، فإذا جاء القدر خَلّيا بينه وبينه ، وإن الأجل جُنَّة حصينة .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عبد الوهاب ، عن الحسن بن ذَكوان ، عن أبى غالب ، عن أبى أُمامة قال : ما من آدمىّ إلا ومعه مَلَك موكّل يذود عنه ، حتى يُسْلِمه للذى قُدِّر له .

وقال آخرون : معنى ذلك : يحفظون عليه من الله .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج (يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللهِ) قال : يحفظون عليه ، من الله .

⁂ قال أبو جعفر : يعنى ابنُ جريج بقوله : يحفظون عليه : الملائكةَ الموكّلة بابن آدم ، بحفظ حسناته وسيئاته ، وهى المعقّبات عندنا ، تحفظ على ابن آدم حسناتِه وسيئاته ، من أمر الله . وعلى هذا القول يجب أن يكون معنى قوله : (مِنْ أَمْرِ اللهِ) أن الحفظة من أمر الله ، أو تحفظ بأمر الله ، ويجب أن تكون الهاء التى فى قوله (يَحْفَظُونَهُ) وُحِّدت وذُكِّرت ، وهى مراد بها الحسنات والسيئات ، لأنها كناية عن ذُكِّر مَنْ الذى هو مستخف بالليل ، وسارب بالنهار ، وأن يكون المستخفى بالليل ، أقيم ذكره مُقام الخبر عن سيئاته وحسناته ، كما قيل (وَاسْئَلِ القَرْيَةَ التى كُنَّا فيها ، والعيرَ التى أقْبَلْنا فيها) .

وكان عبد الرحمن بن زيد يقول فى ذلك خلاف هذه الأقوال كلها .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ باللَّيْلِ ، وَسارِبٌ بالنَّهارِ) قال : أتى عامرُ بن الطفيل ، وأَرْبَدُ بن رَبيعة[1] ، إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عامر : ما تجعل لى إن أنا اتبعتك ؟ قال : أنتَ فارِسٌ أُعْطِيكَ أعِنَّةَ الخَيْلِ ، قال : لا ، قال فَمَا تَبغِى ؟ قال : لى الشرقُ ، ولك الغرب ، قال : لا ، قال : فلى الوَبَر ، ولك المدَر ، قال : لا ، قال :

(١) أربد بن قيس : أخو لبيد بن ربيعة الشاعر المشهور لأمه . هلك قبل أخيه لبيد ، فبكاه بكاءا شديدا .

لأملأنها عليك إذنْ خيلا ورجالا ، قال : يَمْنَعُكَ اللهُ ذَاكَ ، وَأَبْناءُ قَيْلة ، يريد الأوس والخزرج . قال فخرجا ، فقال عامر لأربَد : إن كان الرجل لنا لممكنا[1] ، لو قتلناه ما انتطحت فيه عنزان ، ولرضُوا بأن نعقِله لهم ، وأحبوا السِّلم ، وكرهوا الحرب ، إذا رأوا أمرا قد وقع . فقال الآخر : إن شئت . فتشاورا ، وقال : ارجع وأنا أشغله عنك بالمجادلة ، وكن وراءه ، فاضربه بالسيف ضربة واحدة ، فكانا كذلك ، واحد وراء النبيّ صلى الله عليه وسلم ، والآخر قال : اقصُصْ علينا قَصَصَك ، قال : ما يقول قرآنُك ، فجعل يجادله ويستبطئه ، حتى قال : مالك أَحْشَمْت ؟ قال : وضعت يدى على قائم سيفى فيبست ، فما قدرتُ على أن أُحْلِيَ ولا أُمِرّ ولا أحرّكها ، قال : فخرجا ؛ فلما كانا بالحرّة سمع بذلك سعدُ بن مُعاذ وأُسيد بن حُضَير ، فخرجا إليهما ، على كل واحد منهما لأمْتُه ورمحه بيده ، وهو متقلد سيفه ، فقالا : لعامر بن الطفيل : يا أعور يا خبيث ، يا أملَخ ، أنت الذى تشترط على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لولا أنك فى أمان من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مارمت المنزل ، حتى ضربتُ عنقك ، ولكن لا تستبقين ، وكان أشدّ الرجلين عليه أُسيد بن الحُضَير ، فقال : لو كان أبوه حيا لم يفعل بى هذا ، ثم قال لأربد : اخرج أنت يا أربد إلى ناحية عَذِية ، وأخرج أنا إلى نجد ، فنجمع الرجال ، فنلتقى عليه ، فخرج أربد ، حتى إذا كان بالرقْم ، بعث الله سحابة من الصيف فيها صاعقة فأحرقته . قال : وخرج عامر ، حتى إذا كان بواد يقال له الجرير ، أرسل الله عليه الطاعون ، فجعل يصيح : يا آل عامر ، أَغُدة كغُدّة البَكْر تقتلنى ، يا آل عامر أَغُدّة كغُدة البَكْر تقتلنى ، وموتٌ أيضا فى بيت سَلُولية ، وهى امرأة من قيس ، فذلك قول الله (سَوَاءٌ مِنكُمْ مَنْ أَسَرَّ القَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ) فقرأ حتى بلغ (يَحْفَظُونَهُ) تلك المعقّبات من أمر الله ، هذا مقدّم ومؤخر ؛ لرسول الله صلى الله عليه وسلم معقبات يحفظونه من بين يديه ومن خلفه ، تلك المعقبات من أمر الله ، وقال لهذين : (إنَّ اللهَ لا يُغَيِّرُ ما بِقَوْمٍ حتى يُغَيِّرُوا ما بِأَنْفُسِهِمْ) فقرأ حتى بلغ (وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِها مَنْ يَشاءُ) . . . الآية ، فقرأ ، حتى بلغ (وَما دُعاءُ الكافِرِينَ إلاَّ فِي ضَلالٍ) قال : وقال لَبيد فى أخيه أربَدَ ، وهو يبكيه :

أَخْشَى على أَرْبَدَ الحُتُوفَ وَلا ... أَرْهَبُ نَوْءَ السِّماكِ والأَسَدِ

فَجَّعَنِى الرَّعْدُ والصَّواعِقُ بالْـ ... ـفارِسِ يومَ الكَرِيهَةِ النَّجُدِ[2]

☆ قال أبو جعفر : وهذا القول الذى قاله ابن زيد فى تأويل هذه الآية ، قول بعيد من تأويل الآية ، مع خلافه أقوال مَن ذكرنا قوله من أهل التأويل ، وذلك أنه جعل الهاء فى قوله (لَهُ مُعَقِّباتٌ) من ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يجر له فى الآية التى قبلها ، ولا فى التى قبل الأخرى ذِكر ، إلا أن يكون أراد أن يردّها على قوله (إنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هادٍ ، لَهُ مُعَقِّباتٌ) فإن كان أراد ذلك ، فذلك

(١) إن (بسكون النون) مخففة من إن (بتشديدها) . وهى هنا غير عاملة يريد : إنه كان ممكنا لو أردنا قتله .

(٢) البيتان للبيد فى رثاء أخيه أربد (اللسان : صعق) . قال : يقال : أصعقته الصاعقه ، تصعقه : إذا أصابته ، وهى الصواعق والصواقع . ويقال للبرق إذا أحرق إنسانا أصابته صاعقة . وقال لبيد يذكر أخاه أربد : فجعنى . . . الخ . وقال أبو زيد : الصاعقة تسقط من السماء فى رعد شديد . وفى سيرة ابن هشام (٤ : ٢١٣ – ٢١٦) خبر هلاك أربد وعامر ، وما قاله زيد بن أسلم فى تأويل الآية ، ورواه عنه بنوه .

بعيد لما بينهما من الآيات ، بغير ذكر الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . وإذا كان كذلك ، فكونها عائدة على « مَن » التى فى قوله (وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ) أقرب ، لأنه قبلها والخبر بعدها عنه . فإذ كان ذلك كذلك ، فتأويل الكلام : سواء منكم أيها الناس من أسرّ القول ومن جهَر به ، عند ربكم ، ومن هو مستخف بفسقه وريبته فى ظلمة الليل ، وساربٌ : يذهب ويجىء فى ضوء النهار ، ممتنعا بجنده وحَرَسه الذين يتعقبونه من أهل طاعة الله ، أن يُحَولوا بينه وبين مايأتى من ذلك ، وأن يقيموا حدّ الله عليه ، وذلك قوله (يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللهِ) وقوله (إنَّ اللهَ لايُغَيِّرُ ما بِقَوْمٍ حتى يُغَيِّرُوا ما بِأَنْفُسِهِمْ) يقول تعالى ذكره : إن الله لايغير ما بقوم من عافية ونعمة ، فيزيل ذلك عنهم ويهلكهم ، حتى يغيروا ما بأنفسهم من ذلك ، بظلم بعضهم بعضا ، واعتداء بعضهم على بعض ، فتحلّ بهم حينئذ عقوبته وتغييره . وقوله (وَإذَا أَرَادَ اللهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلا مَرَدَّ لَهُ) يقول : وإذا أراد الله بهؤلاء الذين يستخفُون بالليل ، ويَسْرُبون بالنهار ، لهم جند ومَنَعَة من بين أيديهم ومن خلفهم ، يحفظونهم من أمر الله ، هلاكا وخزيا فى عاجل الدنيا ، فلا مَرَدّ له : يقول : فلا يقدر على ردّ ذلك عنهم أحد غير الله . يقول تعالى ذكره (وَما لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ) يقول : وما لهؤلاء القوم - والهاء والميم فى « لهم » من ذكر القوم الذين فى قوله (وَإذَا أَرَادَ اللهُ بِقَوْمٍ سُوءًا) - من دون الله من وال : يعنى : من والٍ يليهم ، ويلى أمرهم وعقوبتهم . وكان بعض أهل العلم بكلام العرب يقول : السُّوء : الهَلَكة ، ويقول : كلّ جُذام وبرص وعَمًى وبلاء عظيم فهو سُوء ، مضموم الأوّل ، وإذا فتح أوله فهو مصدر سُؤْت ، ومنه قولهم : رجل سَوْء .

واختلف أهل العربية فى معنى قوله (وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسارِبٌ بِالنَّهارِ) فقال بعض نحويّ أهل البصرة : معنى قوله (وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ) : ومن هو ظاهر بالليل ، من قولهم : خَفَيْتُ الشيءَ : إذا أظهرته ، وكما قال امرؤ القيس :

فإنْ تَكْتُمُوا الدّاءَ لاَنَخْفِهِ وإنْ تَبْعَثُوا الحَرْبَ لانَقْعُدِ (١)

وقال : وقد قُرِئَ (أكادُ أَخْفِيها) بمعنى : أظهرها . وقال فى قوله (وَسارِبٌ بِالنَّهارِ) السارب : هو المتوارى ، كأنه وجَّهَه إلى أنه صار فى السَّرَب بالنهار مستخفيا . وقال بعض نحويّ البصرة والكوفة : إنما معنى ذلك : ومن هو مستخفٍ : أى مستتر بالليل ، من الاستخفاء ، وساربٌ بالنهار : وذاهب بالنهار ،

(١) البيت لامرئ القيس فى شعره : مختار الشعر الجاهلى ، بشرح مصطفى السقا ، طبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده (ص ١٣٢) وفيه : فإن تدفنوا الداء . . . الخ يقول : إن تتركوا ما بيننا وبينكم من عداوة ، لا نخفه ، أى لانظهره ، يقال : خفاه : إذا أظهره . وأخفاه إذا ستره . وإن تهيجوا الحرب من مرقدها ، فإنا لانقعد عن حربكم ، جبنا ولاخوفا . وفى (اللسان : خفا) : خفا البرق خفوا : لمع ، وخفى الشىء خفيا وخفيا (على فعول) : أظهره واستخرجه . يقال : خفى المطر الفأر : إذا أخرجهن من أنفاقهن ، قال امرؤ القيس يصف فرسا :

خفاهن من أنفاقهن كأنما خفاهن ودق من سحاب مركب

ومن قولهم : سَرَبَت الإبل إلى المراعى ، وذلك ذهابها إلى المراعى ، وخروجها إليها . وقيل : إن السروب بالعشىّ ، والسروح بالغداة .

واختلفوا أيضا فى تأنيث معقبات ، وهى صفة لغير الإناث ، فقال بعض نحوّيى البصرة : إنما أنثت لكثرة ذلك منها ، نحو : نَسّابة وعلامة ، ثم ذُكّر : لأن المعنى مذكر ، فقال : يحفظونه . وقال بعض نحوّيى الكوفة : إنما هى ملائكة مُعَقِّبة ، ثم جمعت معقبات ، فهو جمع جمع ، ثم قيل : يحفظونه ، لأنه للملائكة ، وقد تقدّم قولنا فى معنى المستخفى بالليل ، والسارب بالنهار . وأما الذى ذكرناه عن نحوّيى البصريين فى ذلك فقول - وإن كان له فى كلام العرب وجه - خلافٌ لقول أهل التأويل ، وحَسْبُه من الدلالة على فساده ، خروجه عن قول جميعهم . وأما المعقبات ، فإن التعقيب فى كلام العرب العَوْد بعد البدء ، والرجوع إلى الشىء بعد الانصراف عنه ، من قول الله تعالى (وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ) : أى لم يرجع ، وكما قال سلامة بن جندل :

وكَرَرْنا الخَيْلَ فى آثارِها رُجُعاً كُسَّ السَّنابِكِ مِنْ بدْءٍ وتَعقِيبِ [1]

يعنى : فى غزو ثان عَقَّبوا ؛ وكما قال طرفة :

وَلَقَدْ كُنْتُ عَلَيْكَمْ عاتِبا فَعَقَبْتُمْ بِذَنُوبٍ غَيْرِ مُرْ [2]

يعنى بقوله : عَقَبتم : رجعتم ، وأتاها التأنيث عندنا ، وهى من صفة الحَرَس الذى يحرسون المستخفى بالليل ، والسارب بالنهار ، لأنه عُنِى بها حَرَس معقبة ، ثم جمعت المعقبة ، فقيل : معقبات ، فذلك جمع جمع المعقِّب ، والمعقب : واحد المعقبة ، كما قال لبيد :

حتى تَهَجَّرَ فى الرَّواحِ وَهاجَها طَلَبَ المُعَقِّبِ حَقَّهُ المَظْلُومُ [3]

والمعقبات جمعها ، ثم قال : يحفظونه ، فردّ الخبر إلى تذكير الحرس والجند .

وأما قوله (يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللهِ) فإن أهل العربية اختلفوا فى معناه ، فقال بعض نحوّيى الكوفة : معناه : له معقبات من أمر الله يحفظونه ، وليس من أمره [4] ، إنما هو تقديم وتأخير ، قال : ويكون

---

(١) البيت فى ديوانه (طبع بيروت سنة ١٩١٠ ص٨) ورواية الشطر الأول فيه : « وكرنا خيلنا أدراجها رجعا » . . الخ وقوله أدراجها : أى رجوعها من حيث جاءت فى طريقها . وكس السنابك : جمع أكس ، وهو الذى تحاتت سنابكه وذهبت ، فقصرت . والسنابك جمع سنبك ، بضم أوله : مقدم الحافر . والبدء : ابتداء الشىء . والتعقيب : الرجوع والعطف ، والبدء والتعقيب كالغدو والرواح .

(٢) البيت لطرفة بن العبد البكرى ، من رائيته المقيدة ، التى مطلعها : « أصحوت اليوم أم شاقتك هر » : (ديوانه طبع شالون بفرنسا سنة ١٩٠٠ ص ٦٨ ، وطبع روسيا سنة ١٩٠٩ ص ٧٥ ، ومختار الشعر الجاهلى طبعة الحلبى بالقاهرة ص ٣٣٤) . وقوله : عاتبا : أى واجدا . وعقبتم : عطفتم ورجعتم . والذنوب بفتح الذال : الدلو ، ضربها مثلا للحظ الذى نال منهم ، وغير مر : أى لم يمطلوا به ولا منوا ، فيكون مرا ، أى عقبتم عتبى عليكم بعطاء حلو .

(٣) هذا البيت من شواهد النحاة (خزانة الأدب الكبرى للبغدادى ١ : ٣٣٤) قال : التهجر : السير فى الهاجرة ، وهى نصف النهار ، وحتى : بمعنى إلى . والرواح : اسم للوقت من زوال الشمس إلى الليل ، وهو نقيض الغدو . وهاجها : أزعجها . وطلب : مصدر تشبيهى ، أى هاج هذا المسحل أنشاه لطلب الماء طلبا حثيثا ، كطلب المعقب ، وهو اسم فاعل من التعقيب ، وهو الذى يطلب حقه مرة بعد مرة ، أو هو الذى يطلب الدين من الغريم ، يقال : عقب فى الأمر : إذا تردد فى طلبه مجدا .

(٤) أى : وليس يحفظونه من أمره ، بتعليق الجار والمجرور بالفعل .

يحفظونه ذلك الحفظ من أمر الله وبإذنه ، كما تقول للرجل : أجبتك من دعائك إياى ، وبدعائك إياى .

وقال بعض نحويّ البصريين : معنى ذلك : يحفظونه عن أمر الله ، كما قالوا : أطعمنى من جوع وعن جوع ، وكسانى عن عُرْى ومن عُرْى .

⁂ وقد دللنا فيما مضى على أن أولى القول بتأويل ذلك : أن يكون قوله (يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللهِ) من صفة حَرَس هذا المستخفى بالليل ، وهى تحرسه ظنا منها أنها تدفع عنه أمر الله ، فأخبر تعالى ذكره ، أن حرسه ذلك لا يغنى عنه شيئا إذا جاء أمره ، فقال (وَإِذَا أَرَادَ اللهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلا مَرَدَّ لَهُ ، وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ) .

القول فى تأويل قوله تعالى

هُوَ الَّذِى يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ (١٢) وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ ، وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ ، وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِى اللهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ (١٣)

⁂ يقول تعالى ذكره (هُوَ الَّذِى يُرِيكُمُ الْبَرْقَ) يعنى أن الربّ هو الذى يُرى عباده البرْق . وقوله (هُوَ) كناية اسمه جلّ ثناؤه ، وقد بيّنا معنى البرق فيما مضى ، وذكرنا اختلاف أهل التأويل فيه ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع . وقوله (خَوْفًا) يقول : خوفا للمسافر من أذاه .

وذلك أن البرق : الماء فى هذا الموضع ، كما حدثنى المثنى ، قال : ثنا حجاج ، قال : ثنا حماد ، قال : أخبرنا موسى بن سالم أبو جهضم ، مولى ابن عباس ، قال : كتب ابن عباس إلى أبى الجَلْد يسأله عن البرق ، فقال : البرق : الماء .

وقوله (وَطَمَعًا) يقول : وطمعا للمقيم أن يمطر فينتفع .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (هُوَ الَّذِى يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا) يقول : خوفا للمسافر فى أسفاره ، يخاف أذاه ومشقته ، وطمعا للمقيم ، يرجو بَرَكته ومنفعته ، ويطمع فى رزق الله .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (خَوْفًا وَطَمَعًا) خوفا للمسافر ، وطمعا للمقيم .

وقوله (وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ) : ويثير السحاب الثقال بالمطر ، ويبدئه ، يقال منه : أنشأ الله السحاب : إذا أبدأه ، ونشأ السحاب : إذا بدأ ، ينشأ نشئًا ، والسحاب فى هذا الموضع وإن كان فى لفظ واحد ، فإنها جمع ، واحدتها سحابة ، ولذلك قال : الثقال ، فنعتها بنعت الجمع ، ولو كان جاء : السحاب الثقيل كان جائزا ، وكان توحيدا للفظ السحاب ، كما قيل (جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ نَارًا) .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَيُنْشِئُ السَّحابَ الثِّقالَ) قال : الذى فيه الماء .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (وَيُنْشِئُ السَّحابَ الثِّقالَ) قال : الذى فيه الماء .

وقوله (وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ) قال أبو جعفر : وقد بيَّنا معنى الرعد فيما مضى بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .

وذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا سمع صوت الرعد ، قال ـ كما حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا كثير بن هشام ، قال : ثنا جعفر ، قال : بلغنا أن النبيّ صلى الله عليه وسلم كان إذا سمع صوت الرعد الشديد ، ـ قال « اللَّهُمَّ لا تَقْتُلْنا بِغَضَبِكَ ، وَلا تُهْلِكْنا بِعَذابِكَ ، وَعافِنا قَبْلَ ذلكَ » .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبيه ، عن رجل ، عن أبي هريرة ، رفع الحديث « أنه كان إذا سمع الرعد قال : سُبْحانَ مَنْ يُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ » .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا مسعدة بن اليسع الباهليّ ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن عليّ رضى الله عنه ، كان إذا سمع صوت الرعد ، قال : سبحان من سبحتَ له .

قال : ثنا إسماعيل بن عُلَيَة ، عن الحكم بن أبان ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، أنه كان إذا سمع الرعد ، قال : سبحان الذى سبحتَ له .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا يعلى بن الحارث ، قال : سمعت أبا صخرة يحدّث عن الأسود بن يزيدَ ، أنه كان إذا سمع الرعد ، قال : سبحان من سبحتَ له ، أو سبحان الذى يسبح الرعد بحمده ، والملائكة من خيفته .

قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا ابن عُلَيَة ، عن ابن طاوس ، عن أبيه ، وعبد الكريم ، عن طاوس ، أنه كان إذا سمع الرعد ، قال : سبحان من سبحتَ له .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ميسرة ، عن الأوزاعيّ ، قال : كان ابن أبي زكريا يقول : من قال حين يسمع الرعد : سبحان الله وبحمده ، لم تصبه صاعقة .

ومعنى قوله (وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ) ويعظم اللهَ الرعدُ ويمجده ، فيثنى عليه بصفاته ، وينزّهه مما أضاف إليه أهل الشرك به ، ومما وصفوه به ، من اتخاذ الصاحبة والولد ، تعالى ربنا وتقدّس .

وقوله (مِنْ خِيفَتِهِ) يقول : وتسبح الملائكة من خيفة الله ورهبته .

وأما قوله (وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِها مَنْ يَشاءُ) فقد بيّنا معنى الصاعقة فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته ، بما فيه الكفاية من الشواهد ، وذكرنا ما فيها من الرواية .

وقد اختلف فيمن أنزلت هذه الآية؟ فقال بعضهم : نزلت فى كافر من الكفار ، ذَكَرَ الله تعالى وتقدس ، بغير ما ينبغى ذكره ، فأرسل عليه صاعقة أهلكته .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عفانُ ، قال : ثنا أبانُ بن يزيد ، قال : ثنا أبو عمران الجونىّ ، عن عبد الرحمن بن صُحار العبدىّ ، أنه بلغه أن نبىّ الله صلى الله عليه وسلم بعث إلى جبار يدعوه ، فقال : أرأيتم ربكم ، أذهبٌ هو ، أم فضة هو ، أم لؤلؤ هو ؟ قال : فبينما هو يجادلهم ، إذ بعث الله سحابة فرعدت ، فأرسل الله عليه صاعقة ، فذهبت بقَحْف رأسه ، فأنزل الله هذه الآية (وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِها مَنْ يَشاءُ ، وَهُمْ يُجادِلُونَ فِى اللهِ ، وهُوَ شَدِيدُ المِحالِ) .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق بن سليمان ، عن أبى بكر بن عياش ، عن ليث ، عن مجاهد ، قال : « جاء يهودى إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فقال : أخبرنى عن ربك ، من أىّ شىء هو ؟ من لؤلؤ أو من ياقوت ؟ فجاءت صاعقة فأخذته ، فأنزل الله (وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِها مَنْ يَشاءُ ، وَهُمْ يُجادِلُونَ فِى اللهِ ، وَهُوَ شَدِيدُ المِحالِ) .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا الحِمَّانىّ ، قال : ثنا أبو بكر بن عياش ، عن ليث ، عن مجاهد ، مثله .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن هاشم ، قال : ثنا سيف ، عن أبى رَوق ، عن أبى أيوب ، عن علىّ ، قال : جاء رجل إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فقال : يامحمد حدثنى ، مَنْ هذا الذى تدعو إليه ؟ أياقوت هو ، أذهب هو ، أم ماهو ؟ قال : فنزلت على السائل الصاعقة فأحرقته ، فأنزل الله (وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ) . . . الآية .

حدثنا محمد بن مرزوق ، قال : ثنا عبد الله بن عبد الوهاب ، قال : ثنى علىّ بن أبى سارة الشيبانىّ ، قال : ثنا ثابت البُنَانىّ ، عن أنس بن مالك ، قال « بَعَثَ النبىّ صلى الله عليه وسلم مرّة رجلا إلى رجل من فراعنة العرب : أن ادعه لى ، فقال : يا رسول الله ، إنه أعتى من ذلك ، قال : اذهب إليه فادعه ، قال : فأتاه ، فقال : رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يدعوك ، فقال : مَنْ رسولُ الله ؟ وما اللهُ ؟ أمن ذهب هو ، أم من فضة ، أم من نحاس ؟ قال : فأتى الرجلُ النبىّ صلى الله عليه وسلم فأخبره ، فقال : ارْجِعْ إلَيْهِ فادْعُهُ ، قال : فأتاه فأعاد عليه ، وردّ عليه مثل الجواب الأوّل ، فأتى النبىّ صلى الله عليه وسلم فأخبره ، فقال : ارْجِعْ إلَيْهِ فادْعُهُ ، قال : فرجع إليه ، فبينما هما يتراجعان الكلام بينهما ، إذ بعث الله سحابة بحِيال رأسه ، فرعدت ، فوقعت منها صاعقة ، فذهبت بقحَفْ رأسه ، فأنزل الله (وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِها مَنْ يَشاءُ ، وَهُمْ يُجادِلُونَ فِى اللهِ ، وَهُوَ شَدِيدُ المِحالِ) » .

وقال آخرون : نزلت فى رجل من الكفار أنكر القرآن ، وكذّب النبىّ صلى الله عليه وسلم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : ذُكر لنا أن رجلا أنكر القرآن ، وكذّب النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فأرسل الله عليه صاعقة فأهلكته ، فأنزل الله عزّ وجلّ فيه (وَهُمْ يُجادِلُونَ فِي اللهِ ، وَهُوَ شَدِيدُ المِحالِ) .

وقال آخرون : نزلت فى أربَدَ أخى لَبيد بن ربيعة ، وكان همّ بقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم هو وعامر بن الطفيل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : نزلت ، يعنى قوله (وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِها مَنْ يَشاءُ) فى أربدَ أخى لبيد بن ربيعة ، لأنه قَدِم أربد وعامر ابن الطفيل بن مالك بن جعفر ، على النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فقال عامر : يامحمد أُسلِم وأكون الخليفة من بعدك ؟ قال : لا ، قال : فأكون على أهل الوبَر وأنت على أهل المدر ؟ قال : لا ، قال : فماذاك ؟ قال : أعطيك أعنَّة الخيل تقاتل عليها ، فإنك رجل فارس ، قال : أوليست أعنة الخَيل بيدى ، أما والله لأملأنها عليك خيلا ورجالا من بنى عامر ، وقال لأربد : إما أن تكفينيه وأضربه بالسيف ، وإما أن أكفيكه وتضربه بالسيف ، قال أربد : أكفيكه[1] وأضربه ، فقال الطفيل : يامحمد إن لى إليك حاجة ، قال ادْنُ ، فلم يزل يدنو ، ويقول النبيّ صلى الله عليه وسلم ، ادْن ، حتى وضع يديه على ركبتيه ، وحنى عليه ، واستلّ أربد السيف ، فاستلّ منه قليلا ؛ فلما رأى النبيّ صلى الله عليه وسلم بريقه ، تعوّذ بآية كان يتعوّذ بها ، فيبست يد أربد على السيف ، فبعث الله عليه صاعقة فأحرقته ، فذلك قول أخيه :

أخْشَى على أرْبَدَ الحُتُوفَ ولا ... أرْهَبُ نَوْءَ السِّماكِ والأسَدِ

فَجَّعَنِى البَرْقُ والصَّوَاعِقُ بالْـ ... ـفارِسِ يوْمَ الكَرِيهَةِ النَّجُدِ[2]

وقد ذكرت قبلُ خبر عبد الرحمن بن زيد بنحو هذه القصة .

وقوله (وَهُمْ يُجادِلُونَ فِي اللهِ) يقول : وهؤلاء الذين أصابهم الله بالصواعق ، أصابهم فى حال خصومتهم فى الله عزّ وجلّ لرسوله صلى الله عليه وسلم .

وقوله (وَهُوَ شَدِيدُ المِحالِ) يقول تعالى ذكره : والله شديدة مماحلته فى عقوبة من طغى عليه وعتا ، ونمادى فى كفره ، والمِحال : مصدر من قول القائل : ماحلتُ فلانا ، فأنا أماحله مماحلة ومحالا ، وفَعَلْتُ منه : مَحَلْتُ أمْحَل مَحْلا : إذا عَرَّض رجل رجلا لما يهلكه ؛ ومنه قوله : « وماحِلٌ مُصَدِّق »[3] ؛ ومنه قول أعشى بنى ثعلبة :

(١) لعله : اكفنيه ، كما تدل عليه بقية القصة .

(٢) البيتان للبيد ، وقد تقدم الاستشهاد بهما قريبا فى هذا الجزء من التفسير .

(٣) هذا جزء من حديث رواه ابن عباس : « إن هذا القرآن شافع مشفع ، وما حل مصدق » . قال أبو عبيدة : جعله يمحل بصاحبه إذا لم يتبع ما فيه ، أو إذا هو ضيعه . وقال ابن الأثير : أى خصم مجادل مصدق .

فَرْعُ نَبْعٍ يَهْتَزُّ فِي غُصُنِ المَجْـــدِ غزيرُ النَّدَى شَدِيدُ المِحالِ[1]

هكذا كان يُنشده مَعْمر بن المثنى ، فيما حُدثت على عليّ بن المغيرة عنه . وأما الرواة بعدُ فإنهم ينشدونه :

فَرْعُ فَرْعٍ يَهْتَزُّ فِي غُصُنِ المَجْـــدِ كثيرُ النَّدَى عَظِيمُ المِحالِ

وفسَّر ذلك مَعمر بن المثنى ، وزعم أنه عنى به العقوبة والمكر والنكال ؛ ومنه قول الآخر :

وَلَبَّسَ بينَ أقْوَامٍ فَكُلٌّ أعدَّ له الشَّغازِبَ والمِحالا[2]

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن هاشم ، قال : ثنا سيف ، عن أبى رَوْق ، عن أبى أيوب ، عن علىّ رضى لله عنه (وَهُوَ شَدِيدُ المِحالِ) قال : شديد الأخذ .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبى يحيى ، عن مجاهد (وَهُوَ شَدِيدُ المِحالِ) قال : شديد القوّة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَهُوَ شَدِيدُ المِحالِ) أى القوّة والحيلة .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الحسن (شَدِيدُ المِحالِ) يعنى : الهلاك ، قال : إذا محل فهو شديد . وقال قتادة : شديد الحيلة[3] .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا رجل ، عن عكرمة (وَهُمْ يُجادِلُونَ فِى اللهِ وَهُوَ شَدِيدُ المِحالِ) قال : المحال : جدال أربَدَ ، وهو شديد المحال ، قال : ما أصاب أربدَ من الصاعقة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج (وَهُوَ شَدِيدُ المِحالِ) قال : قال ابن عباس : شديد الحَوْل .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَهُوَ شَدِيدُ المِحالِ) قال : شديد القوّة . المحال : القوّة . والقول الذى ذكرناه عن قتادة فى تأويل المحال أنه الحيلة ، والقول الذى ذكره ابن جريج ، عن ابن عباس يدلان على أنهما كانا يقرآن (وَهُوَ شَدِيدُ المَحالِ) بفتح الميم ، لأن الحيلة لا يأتى مصدرها محالا بكسر الميم ، ولكن قد يأتى على تقدير المَفْعَلة منها ، فيكون محالة ،

(١) البيت لأعشى بنى ثعلبة ميمون بن قيس (ديوانه ص ٧ طبع القاهرة بشرح الدكتور محمد حسين) وهو من لاميته المطولة التى مطلعها : « ما بكاء الكبير بالأطلال » يمدح بها الأسود بن المنذر اللخمى . يقول إنه فرع فى غصون المجد غزير الندى ، وهو مع ذلك شديد النكال بأعدائه . والنبع : شجر تتخذ منه القسى ، ولمن أغصانه السهام ، ينبت فى قلل الجبال . والمحال : العقوبة والمكر ، والنكال . ومعمر بن المثنى : هو أبو عبيدة البصرى . وعلى بن المغيرة : هو الأثرم .

(٢) البيت لذى الرمة (اللسان : محل) . قال : والمحال : المكر بالحق ، وفلان يماحل عن الإسلام : أى يماكر ويدافع والمماحلة : المماكرة والمكايدة ، ومنه قوله تعالى : « شديد المحال » . اهـ . وفى « اللسان : شغزب » : والشغزبية : ضرب من الحيلة فى الصراع ، وهى أن تلوى برجله رجلك ، تقول : شغزبته شغزبة ، وأخذته بالشغزبية ، قال ذو الرمة : « ولبس بين أقوامى فكل » . . . . الخ . وقال أبو عبيدة فى مجاز القرآن (١ : ٣٢٦) والشغزبة : الالتواء . اهـ .

(٣) قال ابن قتيبة : وأصل المحال الحيلة . ورد عليه أبو منصور الأزهرى فقال : قول القتيبى غلط فاحش ، وكأنه توهم أن ميم المحال : ميم مفعل (بالكسر) ، وأنها زائدة ، وليس كما توهمه . (اللسان : محل) .

ومن ذلك قولهم : المرء يعجز لا محالة ، والمحالة فى هذا الموضع : المفعلة من الحيلة . فأما بكسر الميم ، فلا تكون إلا مصدرا ، من ماحلت فلانا أماحله محالا ، والمماحلة بعيدة المعنى من الحيلة ، ولا أعلم أحدا قرأه بفتح الميم .

فإذ كان ذلك كذلك ، فالذى هو أولى بتأويل ذلك : ما قلنا من القول .

القول فى تأويل قوله تعالى

لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ ، وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ ، وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَالٍ (١٤)

يقول تعالى ذكره : لله من خلقه الدعوة الحق ، والدعوة هى الحق ، كما أضيفت الدار إلى الآخرة فى قوله (وَلَدَارُ الآخِرَةِ) وقد بيّنا ذلك فيما مضى ، وإنما عنى بالدعوة الحقّ : توحيد الله ، وشهادة أن لا إله إلا الله .

وبنحو الذى قلنا ، تأوّله أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس (دَعْوَةُ الحَقّ) قال : لا إله إلا الله .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (لَهُ دَعْوَةُ الحَقّ) قال : شهادة أن لا إله إلا الله .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن هاشم ، قال : ثنا سيف ، عن أبى رَوْق ، عن أبى أيوب ، عن علىّ رضى الله عنه (لَهُ دَعْوَةُ الحَقّ) قال : التوحيد .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (لَهُ دَعْوَةُ الحَقّ) قال : لا إله إلا الله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس ، فى قوله (لَهُ دَعْوَةُ الحَقّ) قال : لا إله إلا الله .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (لَهُ دَعْوَةُ الحَقّ) : لا إله إلا الله ، ليست تنبغى لأحد غيره ، لا ينبغى أن يقال : فلان إله بنى فلان .

وقوله (وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ) يقول تعالى ذكره : والآلهة التى يدعونها المشركون أربابا وآلهة . وقوله (مِنْ دُونِهِ) يقول : من دون الله ، وإنما عنى بقوله (مِنْ دُونِهِ) الآلهة ، أنها مقصرة عنه ، وأنها لا تكون إلها ، ولا يجوز أن يكون إلها إلا الله الواحد القهار ؛ ومنه قول الشاعر :

أتُوعِدُنِى وَرَاءَ بَنِى رِياحٍ كَذَبْتَ لَتَقْصُرُنَّ يَداكَ دُونِى[1]

يعنى : لتقصرنّ يداك عنى .

وقوله (لايَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَىْءٍ) يقول : لاتجيب هذه الآلهة التى يدعوها هؤلاء المشركون آلهة، بشىء يريدونه، من نفع أو دفع ضرّ ، إلا كباسط كفيه إلى الماء : يقول: لاينفع داعى الآلهة دعاؤه إياها إلا كما ينفع باسطَ كفيه إلى الماء ، بسطُه إياهما إليه، من غير أن يرفعه إليه فى إناء، ولكن ليرتفع إليه بدعائه إياه ، وإشارته إليه ، وقبضه عليه ، والعرب تضرب لمن سعى فيما لايدركه مثلا بالقابض على الماء . قال بعضهم :

فإنّى وَإيّاكُمْ وَشَوْقا إلَيْكُمُ كقابِضِ ماءٍ لَمْ تَسِقْهُ أناملُهْ[2]

يعنى بذلك : أنه ليس فى يده من ذلك ، إلا كما فى يد القابض على الماء ، لأن القابض على الماء لاشىء فى يده . وقال آخر :

فأصْبَحْتُ مِمّا كانَ بَيْنِى وبَيْنَها مِنَ الوُدّ مِثْلَ القابِضِ المَاءَ بالْيَدِ[3]

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا سيف ، عن أبى روق ، عن أبى أيوب ، عن علىّ رضى الله عنه، فى قوله (إلاّ كَباسِطِ كَفَّيْهِ إلى المَاءِ لِيَبْلُغَ فاهُ ، وَما هُوَ بِبالِغِهِ) قال : كالرجل العطشان يمدّ يده إلى البئر ، ليرتفع الماء إليه ، وما هو ببالغه .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (كَباسِطِ كَفَّيْهِ إلى الماءِ) يدعو الماء بلسانه ، ويشير إليه بيده ، ولا يأتيه أبدا .

قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قال : أخبرنى الأعرج ، عن مجاهد (لِيَبْلُغَ فاهُ) يدعوه ليأتيه ، وما هو بآتيه ، كذلك لايستجيب من هو دونه .

---

(١) البيت لجرير (ديوانه طبعة الصاوى بالقاهرة ص ٥١٧) وهو من شواهد أبى عبيدة فى مجاز القرآن (١ : ٣٢٦) قال فى شرح قوله تعالى : « والذين يدعون من دونه » مجازه : والذين يدعون غيره من دونه ، أى يقصرون عنه . و « يدعون » من الدعاء . ومجاز « دونه » مجاز « عنه » . قال : أتوعدنى وراء . . . . الخ البيت ، « دونى » : أى عنى .

(٢) البيت لضابئ بن الحارث البرجمى، قال أبو عبيدة فى مجاز القرآن (١ : ٣٢٧) عند تفسير قوله تعالى : « إلا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه » : مجازه : إن الذى يبسط كفه ليقبض على الماء ، حتى يؤديه إلى فيه ، لا يتم له ذلك . ولم تسقه أنامله : أى تجمعه . . . . . الخ . قال : يقول : ليس من يدى فى ذلك شىء ، كما أنه ليس فى يد القابض على الماء شىء . ومعنى : لم تسقه : لم تحمله (اللسان : وسق) . وفى الخزانة (٤١ : ٨٠) لم تطعه .

(٣) وهذا الشاهد أيضا من شواهد أبى عبيدة فى مجاز القرآن (١ : ٣٢٧) . وهو فى معنى الشاهد الذى قبله . يقول : لم أظفر من حب هذه الحبيبة إلا بمثل مايظفر به من يقبض على الماء بيده . أى أنه لم ينل من حبها شيئا ، كما أن القابض على الماء، لا يجمع فى يده منه شيئا .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إلى المَاءِ) يدعو الماء بلسانه ، ويشير إليه بيده ، فلا يأتيه أبدا .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ؛ قال : وثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا وَرْقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثل حديث الحسن ، عن حجاج ، قال ابن جريج : وقال الأعرج ، عن مجاهد (لِيَبْلُغَ فاهُ) قال : يدعوه لأن يأتيه ، وما هو بآتيه ، فكذلك لايستجيب من هو دونه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَالذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ ، إلا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إلى المَاءِ لِيَبْلُغَ فاهُ وَمَا هُوَ بِبالِغِهِ) وليس ببالغه حتى يتمزّع عنقه ، ويهلك عطشا . قال الله تعالى (وَمَا دُعاءُ الكافِرِينَ إلاَّ فِي ضَلالٍ) : هذا مَثَلُ ضربه الله : أى هذا الذى يدعو من دون الله هذا الوَثَن وهذا الحجر ، لايستجيب له بشىء أبدا ، ولا يسوق إليه خيرا ، ولا يدفع عنه سوءا ، حتى يأتيه الموت ، كمثل هذا الذى بسط ذراعيه إلى الماء ليبلغ فاه ، ولا يبلغ فاه ، ولا يصل إليه ذلك ، حتى يموت عطشا .

وقال آخرون : معنى ذلك : والذين يدعون من دونه لايستجيبون لهم بشىء ، إلا كباسط كفيه إلى الماء ، ليتناول خياله فيه ، وما هو ببالغ ذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ بن أبى طلحة ، عن ابن عباس ، قوله (كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إلى المَاءِ لِيَبْلُغَ فاهُ) فقال : هذا مثل المشرك مع الله غيرَه ، فمثله كمثل الرجل العطشان الذى ينظر إلى خياله فى الماء من بعيد ، فهو يريد أن يتناوله ، ولا يقدر عليه .

وقال آخرون فى ذلك ما حدثنى به محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لايَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ) ... إلى (وَمَا دُعاءُ الكافِرِينَ إلاَّ فِي ضَلالٍ) يقول : مَثَلُ الأوثان الذين يُعبَدون من دون الله ، كمثل رجل قد بلغه العطش ، حتى كَرَبه الموت ، وكفّاه فى الماء قد وضعهما لايبلغان فاه . يقول الله : لاتستجيب الآلهة ، ولا تنفع الذين يعبدونها ، حتى يبلغ كفًّا هذا فاه ، وما هما ببالغتين فاه أبدا .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لايَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إلاَّ كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إلى المَاءِ لِيَبْلُغَ فاهُ وَمَا هُوَ بِبالِغِهِ) قال : لاينفعونهم بشىء إلا كما ينفع هذا بكفّيه ، يعنى بسطهما إلى ما لاينال أبدا .

وقال آخرون فى ذلك : ما حدثنا به محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (إلاَّ كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إلى المَاءِ لِيَبْلُغَ فاهُ) وليس الماء ببالغ فاه ما قام باسطا كفيه لايقبضهما (وَمَا

هُوَ بِبالِغِهِ ، وما دُعاءُ الكافِرِينَ إلاّ فِي ضَلالٍ) قال : هذا مثل ضربه الله لمن اتخذ من دون الله إلها أنه غير نافعة ، ولا يدفع عنه سوءا ، حتى يموت على ذلك .

وقوله (وَما دُعاءُ الكافِرِينَ إلاّ فِي ضَلالٍ) يقول : وما دعاء من كفر بالله ما يدعو من الأوثان والآلهة إلا فى ضلال : يقول : إلا فى غير استقامة ولا هُدًى ، لأنه يشرك بالله .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَلِلّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوٰتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلٰلُهُم بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ (١٥)

يقول تعالى ذكره : فإن امتنع هؤلاء الذين يدعون من دون الله الأوثان والأصنام لله شركاء، من إفراد الطاعة والإخلاص بالعبادة له ، فلله يسجد من فى السموات من الملائكة الكرام ، ومن فى الأرض من المؤمنين به طوعا ، فأما الكافرون به ، فإنهم يسجدون له كَرْها حين يُكرهون على السجود .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَلِلّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ والأَرْضِ طَوْعا وكَرْها) فأما المؤمن فيسجد طائعا ، وأما الكافر فيسجد كارها .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن سفيان ، قال : كان ربيع بن خيثم إذا تلا هذه الآية (وَلِلّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ والأَرْضِ طَوْعا وكَرْها) قال : بلى يا رباه .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَلِلّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ والأَرْضِ طَوْعاً وكَرْها) قال : من دخل طائعا ، هذا طوعا ، وكرها : من لم يدخل إلا بالسيف .

وقوله (وَظِلالُهُمْ بالغُدُوِّ والآصَالِ) يقول : ويسجد أيضا ظلال كلّ من سجد لله طوعا وكرها ، بالغدوات والعشايا ، وذلك أن ظل كلّ شخص، فإنه يفىء بالعشىّ، كما قال جلّ ثناؤه (أوَلَمْ يَرَوْا إلى ما خَلَقَ اللهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّؤُ ظِلالُهُ عَنِ اليَمِينِ والشَّمائِلِ سُجَّدًا لِلّهِ وَهُمْ داخِرُونَ) .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال جماعة من أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس، قوله (وَظِلالُهُمْ بالغُدُوِّ والآصالِ) يعنى : حين يفىء ظلّ أحدهم عن يمينه أو شماله .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن الزبير ، عن سفيان ، قال فى تفسير مجاهد (وَلِلّهِ يَسْجُدُ مَنْ فى السَّمَوَاتِ والأَرْضِ طَوْعاً وكَرْهاً وَظِلالُهُمْ بالغُدُوِّ والآصَالِ) قال : ظلّ المؤمن يسجد طوعا ، وهو طائع ، وظلّ الكافر يسجد طوعا [1] وهو كاره .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله (وَظِلالُهُمْ بالغُدُوِّ والآصَالِ) قال : ذكر أن ظلال الأشياء كلها تسجد له، وقرأ « سُجَّدًا لِلّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ » قال : تلك الظلال

(١) كذا فى الأصل المخطوط رقم ١٠٠ تفسير بدار الكتب المصرية . وفى الدر المنثور عن مجاهد : يسجد كرها وهو كاره .

تسجد لله ، والآصال : جمع أُصُل ، والأُصُل : جمع أصيل ، والأصيل : هو العشيّ ، وهو ما بين العصر إلى مغرب الشمس ؛ قال أبو ذؤيب :

لَعَمْرِى لَأَنْتَ البَيْتُ أُكْرِمُ أَهْلَهُ وأَقْعُدُ فى أفْيائِهِ بالأَصَائِلِ [1]

القول فى تأويل قوله تعالى

قُلْ : مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ، قُلِ : ٱللَّهُ ، قُلْ : أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ؟ قُلْ : هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ، أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ؟ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ؟ قُلِ : ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ، وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ (١٦)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد لهؤلاء المشركين بالله : مَنْ ربّ السموات والأرض ومدبرها ، فإنهم سيقولون الله ، وأمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يقول : الله ، فقال له : قل يا محمد : ربُّها الذى خلقها وأنشأها ، هو الذى لاتصلح العبادة إلا له ، وهو الله ، ثم قال : فإذا أجابوك بذلك ، فقل لهم : أفاتخذتم من دون ربّ السموات والأرض أولياء ، لاتملك لأنفسها نفعا تجلبه إلى نفسها ، ولا ضرّا تدفعه عنها ، وهى إذ لم تملك ذلك لأنفسها ، فمن ملكه لغيرها أبعد ، فعبدتموها وتركتم عبادة من بيده النفع والضرّ ، والحياة والموت ، وتدبير الأشياء كلها ، ثم ضرب لهم جلّ ثناؤه مثلا ، فقال (قُلْ هَلْ يَسْتَوِى الأَعْمَى والبَصِيرُ) .

القول فى تأويل قوله تعالى

قُلْ هَلْ يَسْتَوِى الأَعْمَى والبَصِيرُ ، أَمْ هَلْ تَسْتَوِى الظُّلُماتُ والنُّورُ ، أم جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ ، فَتَشابَهَ الخَلْقُ عَلَيْهِمْ ، قُلِ : اللهُ خالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ، وَهُوَ الوَاحِدُ القَهّارِ .

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين عبدوا من دون الله ، الذى بيده نفعهم وضرّهم ، ما لاينفع ولا يضرّ ، هل يستوى الأعمى الذى لايبصر شيئا ، ولا يهتدى لمحجّة يسلكها ، إلا بأن يهدى ، والبصير الذى يهدى الأعمى لمحجة الطريق الذى لايبصر ، إنهما لاشكّ لغير مستويين ، يقول : فكذلك لايستوى المؤمن الذى يبصر الحقّ فيتبعه ، ويعرف الهدى فيسلكه ؛ وأنتم أيها المشركون ، الذين لاتعرفون حقا ، ولا تبصرون رشدا .

(١) البيت لأبى ذؤيب الهذلى (اللسان : أصل) قال : الأصيل : العشى ، والجمع : أصل وأصلان ، مثل بعير وبعران ، وآصال وأصائل ، كأنه جمع أصيلة . وقال الزجاج : آصال : جمع أصل . فهو على هذا جمع الجمع ، ويجوز أن يكون أصل واحدا كطنب . واستشهد به أبو عبيدة فى مجاز القرآن (١ : ٣٢٨) عند قوله تعال « بالعشى والآصال » قال : واحدها : أصل ، وواحد الأصل : أصيل ، وهو مابين العصر إلى مغرب الشمس ؛ وقال أبو ذؤيب . . . البيت .

وقوله (أَمْ هَلْ تَسْتَوِى الظُّلُماتُ والنُّورُ) يقول تعالى ذكره : وهل تستوى الظلمات التى لاتُرَى فيها الحجّة فتُسْلك، ولا يُرى فيها السبيلُ فيركب، والنور الذى يبصَرُ به الأشياء، ويجلو ضوءُه الظلام ؟ يقول : إن هذين لاشكّ لغير مستويين، فكذلك الكفر بالله، إنما صاحبه منه فى حَيْرة، يضرب أبدا فى غَمْرة، لايرجع منه إلى حقيقة ، والإيمان بالله صاحبه منه فى ضياء، يعمل على علم بربه ، ومعرفة منه بأن له مثيبا يثيبه على إحسانه ، ومعاقبا يعاقبه على إساءته ، ورازقا يرزقه ، ونافعا ينفعه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (قُلْ : هَلْ يَسْتَوِى الأعْمَى والبَصِيرُ ، أمْ هَلْ تَسْتَوِى الظُّلُماتُ والنُّورُ) : أما الأعمى والبصير ، فالكافر والمؤمن ؛ وأما الظلمات والنور ، فالهُدى والضلالة .

وقوله (أمْ جَعَلُوا لِلهِ شُرَكاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ ، فَتَشابَهَ الخَلْقُ عَلَيْهِمْ) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد لهؤلاء المشركين : أخلق أوثانكم التى اتخذتموها أولياء من دون الله ، كخلق الله، فاشتبه عليكم أمرها فيما خَلَقت وخَلَق الله، فجعلتموها له شركاء من أجل ذلك، أم إنما بكم الجهل والذهاب عن الصواب ؟ فإنه لايشكل على ذى عقل أن عبادة ما لايضرّ ولا ينفع من الفعل جهل ، وأن العبادة إنما تصلح للذى يُرجَى نفعه ، ويخشى ضرّه ، كما أن ذلك غير مُشكل خطؤه وجهل فاعله، كذلك لايُشكل جهل من أشرك فى عبادة من يرزقه ويكفله ويَمونه، من لايقدر له على ضرر ولا نفع .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال بعض أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (أمْ جَعَلُوا لِلهِ شُرَكاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ) حملهم ذلك على أن شَكُّوا فى الأوثان .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (أمْ جَعَلُوا لِلهِ شُرَكاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ ، فَتَشابَهَ الخَلْقُ عَلَيْهِمْ)، خَلَقوا كخلقه، فحملهم ذلك على أن شَكُّوا فى الأوثان .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن كثير : سمعت مجاهدا يقول : (أمْ جَعَلُوا لِلهِ شُرَكاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ ، فَتَشابَهَ الخَلْقُ عَلَيْهِمْ) ضربت مثلا .

وقوله (قُلِ : اللهُ خالِقُ كُلِّ شَيْءٍ) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل لهؤلاء

المشركين إذا أقرّوا لك أن أوثانهم التى أشركوها فى عبادة الله لاتخلق شيئا ، فالله خالقكم وخالق أوثانكم ، وخلق كلّ شىء ، فما وجه إشراككم ما لاتخلق ولاتضرّ .

وقوله (وَهُوَ الوَاحِدُ القَهَّارُ) يقول : وهو الفرد الذى لاثانى له ، القهار الذى يستحقّ الألوهة والعبادة ، لاالأصنام والأوثان ، التى لاتضرّ ولا تنفع .

القول فى تأويل قوله تعالى

أَنْزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا ، فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ، وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُ ، كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ ، فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ، وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ، كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ (١٧)

⁂ قال أبو جعفر : وهذا مَثَل ضربه الله للحقّ والباطل ، والإيمان به والكفر . يقول تعالى ذكره : مثل الحقّ فى ثباته ، والباطل فى اضمحلاله ، مثل ماء أنزله الله من السماء إلى الأرض (فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا) يقول : فاحتملته الأودية بملئها ، الكبير بكبره ، والصغير بصغره (فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا) يقول : فاحتمل السيل الذى حدث عن ذلك الماء ، الذى أنزله الله من السماء ، زَبدا عاليا فوق السيل ، فهذا أحد مَثَلَى الحقّ والباطل ، فالحقّ هو الماء الباقى الذى أنزله الله من السماء ، والزَّبَد الذى لاينتفع به هو الباطل . والمثل الآخر (وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ) يقول جلّ ثناؤه : ومثل آخر للحقّ والباطل ، مثل فضة أو ذهب يُوقِد عليها الناس فى النار ، طَلَبَ حِلْيَة يتخذونها أو متاع ، وذلك من النحاس والرَّصاص والحديد ، يُوقَد عليه ، ليتخذ منه متاع ينتفع به (زَبَدٌ مِثْلُهُ) يقول تعالى ذكره : ومما يوقدون عليه من هذه الأشياء زَبَد مثله ، بمعنى : مثل زَبَد السيل ، لاينتفع به ، ويذهب باطلا ، كما لاينتفع بزبد السيل ، ويذهب باطلا . ورفع الزبد بقوله (وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى النَّارِ) ومعنى الكلام : ومما يوقدون عليه فى النار زبد مثل زبد السيل فى بطول زبده ، وبقاء خالص الذهب والفضة ، يقول الله تعالى (كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللهُ الحَقَّ وَالبَاطِلَ) يقول : كما مَثّل الله الإيمان والكفر فى بطول الكفر ، وخيبة صاحبه عند مجازاة الله ، بالباقى النافع من ماء السيل ، وخالص الذهب والفضة ، كذلك يمثل الله الحقّ والباطل (فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً) يقول : فأما الزَّبَد الذى علا السيل ، والذهب والفضة والنحاس والرصاص ، عند الوقود عليها ، فيذهب بدفع الرياح ، وقذف الماء به ، وتعلقه بالأشجار وجوانب الوادى ، (وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ) من الماء والذهب والفضة والرصاص والنحاس ، فالماء يمكث فى الأرض ، فتشربه ، والذهب والفضة تمكث للناس ، (كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ) يقول : كما مثل هذا المثل للإيمان والكفر ، كذلك يمثل الأمثال .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ ماءً فَسالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِها) فهذا مثل ضربه الله احتملت منه القلوب على قدر يقينها وشكها ، فأما الشكّ فلا ينفع معه العمل ، وأما اليقين فينفع الله به أهله ، وهو قوله (فأمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفاءً) ، وهو الشكّ (وأمَّا ماينفعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ) وهو اليقين ، كما يجعل الحلىُ فى النار ، فيؤخذ خالصه ، ويترك خبثه فى النار ، فكذلك يقبل الله اليقين ، ويترك الشكّ .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله (أَنْزَلَ مِنَ السماء ماءً فَسالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِها ، فاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَداً رَابِياً) يقول : احتمل السيل ما فى الوادى من عُود ودِمْنة . (ومِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ) فهو الذهب والفضة والحلية والمتاع والنحاس والحديد ، وللنحاس والحديد خَبَثٌ ، فجعل الله مثل خبثه كزبد الماء (فأمَّا ما يَنْفَعُ النَّاسَ) فالذهب والفضة ، وأما ما ينفع الأرض ، فما شربت من الماء فأنبتت ، فجعل ذلك مثل العمل الصالح يبقى لأهله ، والعمل السيئ يضمحلّ عن أهله ، كما يذهب هذا الزبد ، فكذلك الهُدَى والحقّ جاء من عند الله ، فمن عمل بالحقّ كان له ، وبقى كما يبقى ماينفع الناسَ فى الأرض ، وكذلك الحديدُ لايستطاع أن يجْعَل منه سكين ولاسيف حتى يُدْخَل فى النار ، فتأكل خَبَثَه ، فيخرج جيده ، فينتفع به ، فكذلك يضمحلّ الباطل إذا كان يوم القيامة ، وأقيم الناس ، وعرضت الأعمال ، فيريح الباطل ويهلك ، وينتفع أهل الحقّ بالحقّ ، ثم قال (ومِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النارِ ابْتِغاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتاعٍ زَبَدٌ مِثْلُه) .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيَّة ، عن أبى رجاء ، عن الحسن ، فى قوله (أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ ماءً فَسالَتْ أَوْدِيَةٌ) . . . إلى (أَوْ مَتاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ) فقال : ابتغاء حلية : الذهب والفضة ، أو متاع : الصُّفْر والحديد ، قال : كما أوقد على الذهب والفضة والصُّفْر والحديد ، فخلص خالصه ، قال (كَذلِكَ يَضْرِبُ اللهُ الحَقَّ والباطِلَ ، فأمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفاءً ، وأمَّا ما يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ) ، كذلك بقاء الحقّ لأهله فانتفعوا .

حدثنا الحسن بن محمد الزَّعفرانىّ ، قال : ثنا حجاج بن محمد ، قال : قال ابن جريج : أخبرنى عبدالله ابن كثير ، أنه سمع مجاهدا يقول (أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ ماءً فَسالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِها) قال : ما أطاقت مَلأَها (فاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَداً رَابِيا) قال : انقضى الكلام ، ثم استقبل فقال (وَمِمَّا تُوقِدُونَ[1] عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ) قال : المتاع : الحديد والنحاس والرَّصاص وأشباهه . زَبَد مثله ، قال : خَبَثُ ذلك مثل زبد السيل . قال (وأمَّا ما يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ ، وأمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفاءً) قال : فذلك مَثَل الحقّ والباطل .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عبد الله بن كثير ، عن

(١) قرأ « يوقدون » بالياء : حميد ، وابن محيصى ، والأعمش ، وحمزة ، والكسائى ، وحفص ؛ وقرأ الباقون بالتاء المثناة الفوقية .

مجاهد أنه سمعه يقول ، فذكر نحوه . وزاد فيه : قال : قال ابن جريج : قال مجاهد : قوله (فأمَّا الزَّبَدُ فيَذْهَبُ جُفاءً) قال : جُمودا فى الأرض (وأمَّا ما يَنْفَعُ النَّاسَ فيَمْكُثُ فِى الأرْضِ) يعنى الماء وهما مَثَلان : مثل الحقّ والباطل .

حدثنا الحسن ، قال : ثناشبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (زَبَدًا رَابِياً) السيل مثل خَبَثَ الحديد والحلية (فيَذْهَبُ جُفاءً) جمودا فى الأرض (ومِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى النَّارِ ابْتِغاءَ حِلْيَةٍ أوْ مَتاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ) الحديد والنحاس والرَّصاص وأشباهه . وقوله (وأمَّا ما يَنْفَعُ النَّاسَ فيَمْكُثُ فِى الأرْضِ) إنما هما مثلان للحقّ والباطل .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ؛ قال : وثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، يزيد أحدهما على صاحبه فى قوله : (فَسالَتْ أوْدِيَةٌ بِقَدَرِها) قال : بملئها (فاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيا) قال : الزبد : السيل (ابْتِغاءَ حِلْيَةٍ أوْ مَتاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ) قال : خبث الحديد والحلية (فأمَّا الزَّبَدُ فيَذْهَبُ جُفاءً) قال : جمودا فى الأرض (وأمَّا ماينفعُ الناس فيَمْكُثُ فِى الأرْضِ) قال : الماء ، وهما مثلان للحقّ والباطل .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (أنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَسالَتْ أوْدِيَةٌ بِقَدَرِها) الصغير بصغره ، والكبير بكبره (فاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رابيا) ، أى عاليا . (ومِما يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى النَّارِ ابْتِغاءَ حِلْيَةٍ أوْ مَتاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ ، كذلكَ يَضْرِبُ اللهُ الحَقَّ والباطلَ ، فأمَّا الزَّبَدُ فيَذْهَبُ جُفاءً) والجفاء : ما يتعلق بالشجر (وأمَّا ما يَنْفَعُ النَّاسَ فيَمكُثُ فِى الأرْضِ) : هذه ثلاثة أمثال ، ضربها الله فى مَثَل واحد . يقول : كما اضمحلّ هذا الزبد ، فصار جُفاء لاينتفع به ، ولا تُرجَى بركته ، كذلك يضمحلّ الباطل عن أهله ، كما اضمحلّ هذا الزبد ، وكما مكث هذا الماء فى الأرض ، فأمرعت هذه الأرض ، وأخرجت نباتها ، كذلك يبقى الحقّ لأهله ، كما بقى هذا الماء فى الأرض ، فأخرج الله به ما أخرج من النبات . قوله (ومِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى النَّارِ) . . . الآية ، كما يبقى خالص الذهب والفضة ، حين أدخل النار وذهب خَبَثَه ، كذلك يبقى الحقّ لأهله . قوله (أوْ مَتاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ) يقول : هذا الحديد والصُّفْر الذى ينتفع به ، فيه منافع : يقول : كما يبقى خالص هذا الحديد وهذا الصُّفْر ، حين أدخل النار وذهب خبثه ، كذلك يبقى الحقّ لأهله ، كما بقى خالصهما .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال ثنا : محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (فَسالَتْ أوْدِيَةٌ بِقَدَرِها) الكبير بقدره ، والصغير بقدره (زَبَدًا رَابِيا) قال : ربا فوق الماء الزبد (ومِما يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى النَّارِ) قال : هو الذهب إذا أدخل النار ، بقى صفوه ، ونُفِى ماكان من كدره ، وهذا مثل ضربه الله للحق والباطل (فأمَّا الزَّبَدُ فيَذْهَبُ جُفاءً) يتعلق بالشجر ، فلا يكون شيئا ، مثل الباطل . (وأمَّا ما يَنْفَعُ النَّاسَ فيَمْكُثُ فِى الأرْضِ) وهذا يخرج النبات ، وهو مثل الحقّ (أوْ مَتاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ) قال : المتاع : الصُّفْر والحديد .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا هَوْذة بن خليفة ، قال : ثنا عوف ، قال : بلغنى فى قوله (أنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَسالَتْ أوْدِيَةٌ بِقَدَرِها) قال : إنما هو مثل ضربه الله للحقّ والباطل ، (فَسالَتْ أوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا) الصغير على قدره ، والكبير على قدره ، وما بينهما على قدره (فاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيا) يقول : عظيما ، وحيث استقرّ الماء يذهب الزبد جُفاء ، فتطير به الريح ، فلا يكون شيئا ، ويبقى صريح الماء ، الذى ينفع الناس ، منه شرابهم ونباتهم ومنفعتهم (أوْ مَتاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ) ومثل الزبد كل شىء يوقد عليه فى النار ، الذهب والفضة والنحاس والحديد ، فيذهب خَبَثه ، ويبقى ماينفع فى أيديهم ، والخبث والزَّبَد مثل الباطل ، والذى ينفع الناس مما تحصّل فى أيديهم مما ينفعهم ، المال الذى فى أيديهم .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى النَّارِ ابْتِغاءَ حِلْيَةٍ أوْ مَتاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ) قال : هذا مثل ضربه الله للحقّ والباطل ، فقرأ (أنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَسالَتْ أوْدِيَةٌ بِقَدَرِها ، فاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيا) هذا الزبد لاينفع (أو متاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ) هذا لاينفع أيضا ، قال : وبقى الماء فى الأرض ، فنفع الناس ، وبقى الحَلْىُ الذى صلح من هذا ، فانتفع الناس به (فأمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفاءً ، وأمَّا ما يَنْفَعُ النَّاسُ فَيَمْكُثُ فى الأرْضِ ، كذلكَ يَضْرِبُ اللهُ الأمْثالَ) وقال : هذا مثل ضربه الله للحقّ والباطل .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس : (أوْدِيَةٌ بِقَدَرِها) قال : الصغير بصغره ، والكبير بكبره .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا طلحة بن عمرو ، عن عطاء : ضرب الله مثلا للحقّ والباطل ، فضرب مثل الحقّ ، كمثل السيل الذى يمكث فى الأرض ، وضرب مثل الباطل ، كمثل الزَّبَد الذى لاينفع الناس ، وعنى بقوله (رَابِيا) : عاليا منتفخا ، من قولهم : ربا الشىء يربُو رُبُوّا فهو راب ، ومنه قيل للنشَز من الأرض كهيئة الأكمة رابية ؛ ومنه قول الله تعالى (اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ) ، وقيل للنحاس والرصاص والحديد فى هذا الموضع : المتاع ، لأنه يُستمتع به ، وكلّ مايتمتع به الناس فهو متاع ؛ كما قال الشاعر :

تَمَتَّعْ يا مُشَعَّثُ إنَّ شَيْئا سَبَقْتَ بِهِ المَماتَ هُوَ المَتاعُ[1]

وأما الجُفاء فإنى حُدّثت عن أبى عُبيدة مَعْمَرِ بن المُثَنَّى قال : قال أبو عمرو بن العلاء ، يقال : قد أجفأتِ القِدرُ ، وذلك إذا غَلَتْ فانصبّ زَبَدُها ، أو سكنت فلا يبقى منه شىء[2] . وقد زعم بعض أهل العربية من أهل البصرة ، أن معنى قوله (فَيَذْهَبُ جُفاءً) تَنْشَفُهُ الأرض ، وقال : يقال : جفا الوادى وأجفى فى معنى نَشِف ، وانجفى الوادى : إذا جاء بذلك الغُثاء ، وغَثَى الوادى ، فهو يَغْثَى غَثْيا وغَثَيانا ؛ وذَكَر عن

(١) البيت للمشعث العامرى ، ذكره المرزبانى فى معجم الشعراء ، فى مقطوعة له يخاطب نفسه . وذكره أبو عبيدة فى مجاز القرآن (١ : ٣٢٨) شاهدا على معنى المتاع فى قوله تعالى « أومتاع زبد مثله » . وأورده صاحب (اللسان : متع) شاهدا على معنى المتاع ؛ قال : والمتاع : كل ماينتفع به من عروض الدنيا قليلها وكثيرها . وكذلك أنشده صاحب تاج العروس : (متع).

(٢) نقله فى مجاز القرآن (١ : ٣٢٩) والقرطبى (٩ : ٣٠٥) .

العرب أنها تقول: جَفَأْتُ القدرَ أجْفَؤُها: إذا أخرجت جُفاءَها، وهو الزَّبَد الذى يعلوها، وأجْفَأْتُها إجْفاءً لغة. قال: وقالوا: جَفَأتُ الرجل جَفْئاً: صرعته.

وقيل: (فَيَذْهَبُ جُفاءً) بمعنى جَفْئاً، لأنه مصدر من قول القائل: جَفَأَ الوادى غُثاءه، فخَرَجَ مَخرَج الاسم وهو مصدر، كذلك تفعل العرب فى مصدر كلّ ما كان من فعل شىء اجتمع بعضه إلى بعض كالقُماش والدُّقاق والحُطام والغُثاء، تخرجه على مذهب الاسم، كما فعلت ذلك فى قولهم: أعطيته عطاء، بمعنى الإعطَاء، ولو أريد من القُماش المصدر على الصحة لقيل[1]: قد قَمَشْته قَمْشا.

القول فى تأويل قوله تعالى

لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَىٰ، وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ، أُولَٰئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ (١٨)

يقول تعالى ذكره: أما الذين استجابوا لله فآمنوا به حين دعاهم إلى الإيمان به، وأطاعوه، فاتبعوا رسوله وصدّقوه فيما جاءهم به من عند الله، فإن لهم الحسنى، وهى الجنة.

كذلك حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَى) وهى الجنة.

وقوله (وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعا وَمِثْلَهُ مَعَهُ، لافْتَدَوْا بِهِ) يقول تعالى ذكره: وأما الذين لم يستجيبوا له حين دعاهم إلى توحيده والإقرار بربوبيته، ولم يطيعوه فيما أمرهم به، ولم يتبعوا رسوله، فيصدّقوه فيما جاءهم به من عند ربهم، فلو أنّ لهم ما فى الأرض جميعا من شىء، ومثله معه ملكا لهم ثم مثل ذلك، وقُبِل ذلك منهم بدلا من العذاب الذى أعدّه الله لهم فى نار جهنم وعوضا، لافتدوا به أنفسهم منه؛ يقول الله (أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الحِسابِ) يقول: هؤلاء الذين لم يستجيبوا لله لهم سوء الحساب: يقول: لهم عند الله أن يأخذهم بذنوبهم كلها، فلا يغفر لهم منها شيئا، ولكن يعذّبهم على جميعها.

كما حدثنا الحسن بن عرفة، قال: ثنا يونس بن محمد، قال: ثنا عون، عن فَرقدٍ السَّبَخِىّ، قال: قال لنا شهر بن حَوْشَب (سُوءُ الحِسابِ): أن لا يتجاوز لهم عن شىء.

حدثنى يعقوب، قال: ثنا ابن عُلَيَة، قال: ثنى الحجاج بن أبى عثمان، قال: ثنى فَرْقَدٍ السبَخِىّ، قال: قال إبراهيم النخعىّ: يا فرقد، أتدرى ماسوء الحساب؟ قلت: لا، قال: هو أن يحاسب الرجل بذنبه كله، لا يُغفر له منه شىء.

وقوله (وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ) يقول: ومسكنهم الذى يسكنونه يوم القيامة جهنم. (وَبِئْسَ المِهادُ): يقول: وبئس الفِراش والوِطاء جهنم، التى هى مأواهم يوم القيامة.

(١) هذا القول للفراء فى معانى القرآن (الصفحة ١٥٩). وفى (اللسان: جفأ).

القول فى تأويل قوله تعالى

* أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ؟ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا ٱلْأَلْبَٰبِ (١٩)

⁂ يقول تعالى ذكره : أهذا الذى يعلم أن الذى أنزله الله عليك يا محمد حقّ ، فيؤمن به ويصدّق ، ويعمل بما فيه ، كالذى هو أعمى ، فلا يعرف مَوْقع حجة الله عليه به ، ولا يعلم ما ألزمه الله من فرائضه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا إسحاق ، قال : ثنا هشام ، عن عمرو ، عن سعيد ، عن قتادة فى قوله (أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الحَقُّ) قال : هؤلاء قوم انتفعوا بما سمعوا من كتاب الله ، وعقلوه ووَعَوه ، قال الله (كَمَنْ هُوَ أَعْمَى) قال : عن الخير فلا يبصره . وقوله (إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الألْبابِ) يقول : إنما يتعظ بآيات الله ، ويعتبر بها ذووالعقول ، وهى الألباب ، واحدها : لُبّ .

القول فى تأويل قوله تعالى

ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ، وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ، (٢٠) وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ ، وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ، وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ (٢١)

⁂ يقول تعالى ذكره : إنما يتعظ ويعتبر بآيات الله أولو الألباب ، الذين يوفون بوصية الله التى أوصاهم ، (ولا ينقضُونَ الميثاقَ) ولا يخالفون العهد الذى عاهدوا الله عليه إلى خلافه ، فيعملوا بغير ما أمرهم به ، ويخالفوا إلى ما نهى عنه .

وقد بيّنا معنى العهد والميثاق فيما مضى بشواهده ، فأغنى عن إعادته فى هذا الموضع .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا هشام ، عن عمرو ، عن سعيد ، عن قتادة ، قال (إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الألْبابِ) ، فبين من هم ، فقال (الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللهِ وَلا يَنْقُضُونَ المِيثاقَ) ، فعليكم بوفاء العهد ، ولا تنقضوا هذا الميثاق ، فإن الله تعالى قد نهى وقدّم فيه أشدّ التقدمة ، فذكره فى بضع وعشرين موضعا ، نصيحة لكم ، وتقدمة إليكم ، وحُجّة عليكم ، وإنما يعظم الأمر بما عظّمه الله به عند أهل الفهم والعقل ، فعظّموا ما عظم الله . قال قتادة : وذُكر لنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول فى خطبته : « لاإيمانَ لِمَنْ لاأمانَةَ لَهُ ، وَلا دِينَ لِمَنْ لاعَهْدَ لَه » .

وقوله (وَالَّذِينَ يَصِلُونَ ما أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ) يقول تعالى ذكره : والذين يصلون الرحم التى أمرهم الله بوصلها ، فلا يقطعونها (وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ) يقول : ويخافون الله فى قطعها أن يقطعوها ، فيعاقبهم على قطعها ، وعلى خلافهم أمره فيها . وقوله (وَيَخافُونَ سُوءَ الحِسابِ) يقول : ويحذرون مناقشة الله إياهم فى الحساب ، ثم لايصفح لهم عن ذنب ، فهم لرهبتهم ذلك جادّون فى طاعته ، محافظون على حدوده .

كما حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عفان ، قال : ثنا جعفر بن سليمان ، عن عمرو بن مالك ، عن أبى الجوزاء [1] ، فى قوله (الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخافُونَ سُوءَ الحِسابِ) قال : المناقشة بالأعمال .

قال : ثنا عفان ، قال : ثنا حماد ، عن فرقد ، عن إبراهيم ، قال : سوء الحساب أن يحاسب من لايغفر له .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَيَخافُونَ سُوءَ الحِسابِ) قال : فقال : وما سوء الحساب ؟ قال : الذى لاجواز فيه .

حدثنى ابن سنان القزّاز ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن الحجاج ، عن فرقد ، قال : قال لى إبراهيم : تدرى ما سوء الحساب ؟ قلت : لاأدرى ، قال : يحاسب العبد بذنبه كله لايغفر له منه شىء .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ، وَأَقَامُوا الصَّلَوٰةَ، وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً، وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ، أُولَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ (٢٢)

يقول تعالى ذكره (وَالَّذِينَ صَبَرُوا) على الوفاء بعهد الله ، وترك نقض الميثاق ، وصلة الرحم (ابْتِغاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ) ويعنى بقوله (ابْتِغاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ) طلب تعظيم الله ، وتنزيها له أن يخالف فى أمره ، أو يأتى أمرا كره إتيانه فيعصيه به (وأقامُوا الصَّلاةَ) يقول : وأدّوا الصلاة المفروضة بحدودها فى أوقاتها (وأنْفقُوا مِمَّا رَزَقْناهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً) يقول : وأدّوا من أموالهم زكاتها المفروضة ، وأنفقوا منها فى السبل التى أمرهم الله بالنفقة فيها ، سرّا فى خفاء ، وعلانية فى الظاهر .

كما حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وأقامُوا الصَّلاةَ) يعنى الصلوات الخمس (وأنْفقُوا مِمَّا رَزَقْناهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً) يقول الزكاة .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : الصبر الإقامة ، قال : وقال الصبر فى هاتين ، فصبرٌ لله على ما أحبّ وإن ثقل على الأنفس والأبدان ، وصبر عما يكره وإن نازعت إليه الأهواء ، فمن كان هكذا فهو من الصابرين ، وقرأ (سَلامٌ عَلَيْكُمْ بِما صَبَرْتُمْ ، فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ).

وقوله (وَيَدْرَءُونَ بالحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ) يقول : ويدفعون إساءة من أساء إليهم من الناس ، بالإحسان إليهم .

---

(١) فى الأصل المخطوط رقم ١٠٠ تفسير (ج ١٣ ص ١٥٤ ظ) أبى الحفنا ، وهو تحريف من الناسخ ، لأن عمرو بن مالك النكرى ، بضم النون أبو يحى البصرى ، يروى عن أبى الجوزا ، لاأبى الحفنا ، كما فى خلاصة الخزرجى .

كما حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَيَدْرَءُونَ بالحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ) قال : يدفعون الشرّ بالخير ، لايكافئون الشرّ بالشرّ ، ولكن يدفعونه بالخير .

وقوله (أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ) يقول تعالى ذكره : هؤلاء الذين وصفنا صفتهم ، هم الذين لهم عُقبى الدار ، يقول : هم الذين أعقبهم الله دار الجنان ، من دارهم التى لو لم يكونوا مؤمنين كانت لهم فى النار ، فأعقبهم الله من تلك هذه . وقد قيل : معنى ذلك : أولئك الذين لهم عَقِيب طاعتهم ربهم فى الدنيا دار الجنان .

القول فى تأويل قوله تعالى

جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا ، وَمَنْ صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ، وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّنْ كُلِّ بَابٍ (٢٣) سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ ، فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ (٢٤)

يقول : جنات عدن ترجمة عن عقبى الدار ، كما يقال : نعم الرجل عبد الله ، فعبد الله هو الرجل المقول له : نعم الرجل ؛ وتأويل الكلام : أولئك لهم عقيب طاعتهم ربهم ، الدار التى هى جنات عدن .

وقد بيّنا معنى قوله : عدن ، وأنه بمعنى الإقامة التى لاظَعْن معها .

وقوله (وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبائِهِمْ وأزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ) يقول تعالى ذكره : جنات عدن يدخلها هؤلاء الذين وَصَفْتُ صفتهم ، وهم الذين يوفون بعهد الله ، والذين يصلون ما أمر الله به أن يُوصَل ، ويخشون ربهم ، والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم ، وأقاموا الصلاة ، وفعلوا الأفعال التى ذكرها جلّ ثناؤه فى هذه الآيات الثلاث (وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبائِهِمْ وأزْوَاجِهِمْ) وَهِيَ نِساؤهُمْ وأهلوهم وذرّياتهم ، وصلاحهم إيمانهم بالله ، واتباعهم أمره ، وأمر رسوله عليه الصلاة والسلام .

كما حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبائِهِمْ) قال : من آمن فى الدنيا .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ؛ وثنا إسحاق قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله (وَمَنْ صَلُحَ مِنْ آبائِهِمْ) قال : من آمن من آبائهم وأزواجهم وذرّياتهم .

وقوله (وَالمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بابٍ ، سَلامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ) يقول ، تعالى ذكره : وتدخل الملائكة على هؤلاء الذين وصف جلّ ثناؤه صفتهم فى هذه الآيات الثلاث ، فى جنات عَدْن ، من كلّ باب منها ، يقولون لهم : سلام عليكم بما صبرتم على طاعة ربكم فى الدنيا (فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ) . وذكر أن لجنات عدن خمسة آلاف باب .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا علىّ بن جرير ، قال : ثنا حماد بن سلمة ، عن يعلى بن

عطاء ، عن نافع بن عاصم ، عن عبد الله بن عمرو ، قال : « إن فى الجنة قصرا يقال له عدن ، حوله البروج والمروج ، فيه خمسة آلاف باب ، على كلّ باب خمسة آلاف حِبَرَة ، لايدخله إلا نبىّ أو صدّيق أو شهيد » .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مَغْراء ، عن جويبر ، عن الضحاك ، فى قوله (جَنَّاتُ عَدْنٍ) قال : مدينة الجنة ، فيها الرسل والأنبياء والشهداء ، وأئمة الهدى ، والناس حولهم بعدد الجنات حولها . وحذف من قوله (وَالمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلّ بابٍ ، سَلامٌ عَلَيْكُمْ) ، يقولون : اكتفاء بدلالة الكلام عليه ، كما حذف ذلك من قوله (وَلَوْ تَرَى إذِ المُجْرِمُونَ ناكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ : رَبَّنا أبْصَرْنا) .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن بقية بن الوليد ، قال : ثنى أرطاة ابن المنذر ، قال : سمعت رجلا من مشيخة الجند يقال له أبو الحجاج ، يقول : جلست إلى أبى أُمامة ، فقال : « إن المؤمن ليكون مُتكئا على أريكته إذا دخل الجنة ، وعنده سِماطان من خدم ، وعند طَرَف السِّماطين سور ، فيُقبِل المَلَك يستأذن ، فيقول للذى يليه : ملك يستأذن ، ويقول الذى يليه : ملك يستأذن ، ويقول الذى يليه للذى يليه ملك يستأذن ، حتى يبلغ المؤمن ، فيقول : ائذنوا ، فيقول : أقربهم إلى المؤمن ائذنوا ، ويقول الذى يليه للذى يليه ائذنوا ، فكذلك حتى يبلغ أقصاهم الذى عند الباب ، فيفتح له ، فيدخل فيسلم ثم ينصرف » .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن إبراهيم بن محمد ، عن سهل بن أبى صالح ، عن محمد بن إبراهيم ، قال : « كان النبىّ صلى الله عليه وسلم يأتى قبور الشهداء على رأس كلّ حول ، فيقول : السَّلامُ عَلَيْكُمْ بِما صَبَرْتُمْ ، فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ، وأبو بكر وعمر وعثمان » .

وأما قوله (سَلامٌ عَلَيْكُمْ بِما صَبَرْتُمْ) فإن أهل التأويل قالوا فى ذلك ، نحو قولنا فيه .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرزّاق ، عن جعفر بن سليمان ، عن أبى عمران الجَوْنىّ أنه تلا هذه الآية (سَلامٌ عَلَيْكُمْ بِما صَبَرْتُمْ) قال : على دينكم .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (سَلامٌ عَلَيْكُمْ بِما صَبَرْتُمْ) قال : حين صبروا لله بما يحبه الله فقدّموه ، وقرأ (وَجَزاهُمْ بِما صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا) حتى بلغ (وكانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا) وصبروا عما كره الله ، وحرّم عليهم ، وصبروا على ماثقُل عليهم ، وأحبه الله ، فسلم عليهم بذلك ، وقرأ (وَالمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلّ بابٍ ، سَلامٌ عَلَيْكُمْ بِما صَبَرْتُمْ ، فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ) .

وأما قوله (فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ) فإن معناه : إن شاء الله كما حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال ثنا عبد الرزاق ، عن جعفر ، عن أبى عمران الجَوْنىّ فى قولهم (فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ) قال : الجنة من[1] النار .

(١) من هنا : للبدل ، أى الجنة بدل النار .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ، وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ، وَيُفْسِدُونَ فِى الْأَرْضِ، أُولَـٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ، وَلَهُمْ سُوٓءُ الدَّارِ (٢٥)

يقول تعالى ذكره (وَ) أما (الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللهِ) ونقضهم ذلك ، خلافهم أمر الله ، وعملهم بمعصيته (مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ) يقول : من بعد ما وثقوا على أنفسهم لله . أن يعملوا بما عهد إليهم ، (وَيَقْطَعُونَ ما أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ) يقول : ويقطعون الرحم التى أمرهم الله بوصلها (وَيُفْسِدُونَ فِى الأَرْضِ) فسادهم فيها : عملهم بمعاصى الله (أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ) يقول : فهؤلاء لهم اللعنة ، وهى البُعد من رحمته ، والإقصاء من جنانه (وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ) يقول : ولهم ما يسوءهم فى الدار الآخرة .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قال أكبر الكبائر : الإشراك بالله ، لأن الله يقول (وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ)، ونقض العهد، وقطيعة الرحم، لأن الله تعالى يقول (أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ ، وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ): يعنى : سوء العاقبة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جريج ، فى قوله (وَيَقْطَعُونَ ما أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ) قال : بلغنا أن النبىّ صلى الله عليه وسلم قال : « إِذَا لَمْ تَمْشِ إلى ذِى رَحِمِكَ بِرِجْلِكَ ، وَلَمْ تُعْطِهِ مِنْ مالِكَ ، فَقَدْ قَطَعْتَهُ » .

حدثنى محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن عمرو بن مُرّة ، عن مصعب ابن سعد ، قال : سألت أبى عن هذه الآية (قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمالاً الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى الحَياةِ الدُّنْيا) أهم الحَرُورية ؟ قال : لا ، ولكن الحرورية (الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ ، وَيَقْطَعُونَ ما أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ ، وَيُفْسِدُونَ فِى الأَرْضِ ، أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ ، وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ) فكان سعد يسميهم الفاسقين .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا أبو داود ، قال : ثنا شعبة ، عن عمرو بن مرّة ، قال : سمعت مصعب بن سعد ، قال : كنت أمسك على سعد المصحف ، فأتى على هذه الآية ، ثم ذكر نحو حديث محمد بن جعفر .

القول فى تأويل قوله تعالى

اللهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ، وَفَرِحُوا بِالْحَيٰوةِ الدُّنْيَا ، وَمَا الْحَيٰوةُ الدُّنْيَا فِى الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ (٢٦)

يقول تعالى ذكره : الله يُوَسِّع على من يشاء من خلقه فى رزقه ، فيبسط له منه ، لأن منهم من لا يصلحه

إلا ذلك (وَيَقْدِرُ) يقول : ويقتر على من يشاء منهم فى رزقه وعيشه ، فيضيقه عليه ، لأنه لا يصلحه إلا الإقتار (وَفَرِحُوا بالحَيَاةِ الدُّنْيا) يقول تعالى ذكره : وفرح هؤلاء الذين بسط لهم فى الدنيا من الرزق على كفرهم بالله ، ومعصيتهم إياه ، بما بسط لهم فيها ، وجهلوا ما عند الله لأهل طاعته ، والإيمان به فى الآخرة ، من الكرامة والنعيم ، ثم أخبر جلّ ثناؤه عن قدر ذلك فى الدنيا ، فيما لأهل الإيمان به عنده فى الآخرة ، وأعلم عباده قلته ، فقال (وَمَا الحَيَاةُ الدُّنْيا فى الآخِرَةِ إلاَّ مَتَاعٌ) يقول : وما جميع ما أعطى هؤلاء فى الدنيا من السعة ، وبسط لهم فيها من الرزق ورَغَد العيش ، فيما عند الله لأهل طاعته فى الآخرة ، إلا متاع قليل ، وشىء حقير ذاهب .

كما حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (إلاَّ مَتَاعٌ) قال : قليل ذاهب .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد . قال : وثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَمَا الحَيَاةُ الدُّنْيا فى الآخِرَةِ إلاَّ مَتَاعٌ) قال : قليل ذاهب .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن الأعمش ، عن بكير بن الأخنس ، عن عبد الرحمن بن سابط فى قوله (وَفَرِحُوا بالحَيَاةِ الدُّنْيا ، وَمَا الحَيَاةُ الدُّنْيا فِى الآخِرَةِ إلاَّ مَتَاعٌ) قال : كزاد الراعى ، يزوّده أهله الكفّ من التمر ، أو الشىء من الدقيق ، أو الشىء يشرب عليه اللبن .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ ، قُلْ : إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ ، وَيَهْدِى إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ (٢٧)

يقول تعالى ذكره : ويقول لك يا محمد مشركو قومك : هلا أنزل عليك آية من ربك ، إما مَلَكٌ يكون معك نذيرا ، أو يُلْقَى إليك كنز ، فقل : إن الله يُضِلّ منكم من يشاء أيها القوم ، فيخذله عن تصديقى ، والإيمان بما جئته به من عند ربى ، ويهدى إليه من أناب ، فرجع إلى التوبة من كفره ، والإيمان به ، فيوفقه لاتباعى وتصديقى به ، على ما جئته به من عند ربه ، وليس ضلال من يضلّ منكم ، بأن لم يُنْزَلّ على آية من ربى ، ولا هداية من يهتدى منكم بأنها أنزلت علىّ ، وإنما ذلك بيد الله ، يوفّق من يشاء منكم للإيمان ، ويَخْذُل من يشاء منكم ، فلا يؤمن . وقد بيّنت معنى الإنابة فى غير موضع من كتابنا هذا بشواهده ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَيَهْدِى إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ) : أى من تاب وأقبل .

القول فى تأويل قوله تعالى

الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ ، أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ (٢٨) الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُوا الصَّلِحَتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَئَابٍ (٢٩)

⁂ يقول تعالى ذكره : ويهدى إليه من أناب بالتوبة . الذين آمنوا ؛ والذين آمنوا فى موضع نصب ، ردّ على من ، لأن الذين آمنوا هم من أناب ، ترجم بها عنها .

وقوله (وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللهِ) يقول : وتسكن قلوبهم وتستأنس بذكر الله .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللهِ) يقول : سكنت إلى ذكر الله ، واستأنست به .

وقوله (أَلا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ القُلُوبُ) يقول : ألا بذكر الله تسكن وتستأنس قلوب المؤمنين . وقيل : إنه عَنَى بذلك قلوب المؤمنين من أصحاب رسول الله ، صلى الله عليه وسلم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (أَلا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ القُلُوبُ) لمحمد وأصحابه .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ؛ وحدثنى المثنى قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (أَلا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ القُلُوبُ) قال : لمحمد وأصحابه .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا أحمد بن يونس ، قال : ثنا سفيان بن عيينة فى قوله (وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللهِ) قال : هم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم .

وقوله (الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ) الصالحات من الأعمال ، وذلك العمل بما أمرهم ربهم ، (طُوبَى لَهُمْ) وطُوبَى : فى موضع رفع بالهُم . وكان بعض أهل البصرة والكوفة يقول ذلك رفع ، كما يقال فى الكلام : وَيْلٌ لعمرو ، وإنما أوثر الرفع فى طُوبَى لحسن الإضافة فيه بغير لام ، وذلك أنه يقال فيه طوباك ، كما يقال : ويْلَك ووَيْبَك ، ولولا حسن الإضافة فيه بغير لام ، لكان النصب فيه أحسن وأفصح ، كما النصب فى قولهم : تَعْسا لزيد ، وبُعدا له وسحقا ، أحسن إذ كانت الإضافة فيها بغير لام لاتحسن .

وقد اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله (طُوبَى لَهُمْ) فقال بعضهم : معناه : نِعْمَ ما لَهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنى جعفر بن محمد البروزى[1] من أهل الكوفة ، قال : ثنا أبو زكريا الكلبىّ ، عن عمرو بن نافع ، قال : سئل عكرمة ، عن طوبى لهم ، قال : نِعْمَ ما لَهم .

(١) لم أعثر على هذا الراوى ولانسبته فى تهذيب التهذيب ولا فى الأنساب للسمعانى ، ولعل فى لفظ النسبة تحريفا .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا عمرو بن نافع ، عن عكرمة ، فى قوله (طُوبَى لَهُمْ) قال : نِعْم ما لَهم .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنى عمرو بن نافع ، قال : سمعت عكرمة ، فى قوله (طُوبَى لَهُمْ) قال : نِعْم ما لَهم .

وقال آخرون : معناه : غِبْطةٌ لهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو هشام ، قال : ثنا أبو خالد الأحمر ، عن جويبر ، عن الضحاك (طُوبَى لَهُمْ) قال : غِبْطة لهم .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مَغْراء ، عن جويبر ، عن الضحاك ، مثله .

قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن جُوَيبر ، عن الضحاك ، مثله .

وقال آخرون : معناه : فَرَح وقرّة عين .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ بن داود والمثنى بن إبراهيم ، قالا : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (طُوبَى لَهُمْ) يقول : فَرَح وقرّة عين .

وقال آخرون : معناه : حُسْنَى لهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (طَوبَى لَهُمْ) يقول : حُسْنَى لهم ، وهى كلمة من كلام العرب .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (طُوبَى لَهُمْ) هذه كلمة عربية ، يقول الرجل : طُوبَى لك : أى أصبت خيرا .

وقال آخرون : معناه : خير لهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو هشام ، قال : ثنا ابن يمان ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم ، قال : خير لهم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن إبراهيم ، فى قوله (طُوبَى لَهُمْ) قال : الخير والكرامة التى أعطاهم الله .

وقال آخرون (طُوبَى لَهُمْ) : اسم من أسماء الجنة ، ومعنى الكلام : الجنة لهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن أشعث ، عن جعفر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس (طُوبَى لَهُمْ) قال : اسم الجنة بالحبشية .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد بن مشجوع فى قوله (طُوبَى لَهُمْ) قال طوبى : اسم الجنة بالهندية .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا داود بن مهران ، قال : ثنا يعقوب ، عن جعفر بن أبى المُغيرة ، عن سعيد بن مشجوع ، قال : اسم الجنة بالهندية : طُوبَى .

حدثنا أبو هشام ، قال : ثنا ابن يمان ، قال : ثنا سفيان ، عن السدىّ ، عن عكرمة (طُوبَى لَهُمْ) قال : الجنة .

قال : ثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (طُوبَى لَهُمْ) قال : الجنة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ) قال : لما خلق الله الجنة وفرغ منها قال (الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ) وذلك حين أعجبته .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا شريك ، عن ليث ، عن مجاهد (طُوبَى لَهُمْ) قال الجنة .

وقال آخرون : (طُوبَى لَهُمْ) : شجرة فى الجنة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا قرة بن خالد ، عن موسى بن سالم ، قال : قال ابن عباس (طُوبَى لَهُمْ) : شجرة فى الجنة .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الأشعث بن عبد الله ، عن شَهْر بن حَوْشب ، عن أبى هريرة (طُوبَى لَهُمْ) : شجرة فى الجنة يقول لها : تفتقى لعبدى عما شاء ، فتتفتق له عن الخيل بسروجها وَلُجُمها ، وعن الإبل بأزمَّتها ، وعما شاء من الكسوة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن شهر بن حوشب ، قال : طوبى : شجرة فى الجنة ، كلّ شجر الجنة منها ، أغصانها من وراء سُور الجنة .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا سويد بن نصر ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن معمر ، عن الأشعث بن عبد الله ، عن شهر بن حوشب ، عن أبى هريرة ، قال : فى الجنة شجرة يقال لها طُوبَى ، يقول الله لها : تفتقى ، فذكر نحو حديث ابن عبد الأعلى ، عن ابن ثور .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عبد الجبار ، قال : ثنا مروان ، قال : أخبرنا العلاء ، عن شمر بن عطية ، فى قوله (طُوبَى لَهُمْ) قال : هى شجرة فى الجنة يقال لها طوبى .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن سفيان ، عن منصور ، عن حسان أبى الأشرس ، عن مُغيث بن سُمَىّ ، قال : طُوبَى : شجرة فى الجنة ، ليس فى الجنة دار إلا فيها غصن

منها، فيجىء الطائر فيقع، فيدعوه فيأكل من أحد جنبيه قديدا، ومن الآخر شواء، ثم يقول: طِرْ فيطير.

قال: ثنا أبو صالح، قال: ثنى معاوية، عن بعض أهل الشام، قال: إن ربك أخذ لؤلؤة فوضعها على راحتيه، ثم دَمْلجها بين كفيه، ثم غرسها وسط أهل الجنة، ثم قال لها: امتدّى حتى تبلغى مرضاتى، ففعلت، فلما استوت تفجّرت من أصولها أنهار الجنة، وهى طُوبَى.

حدثنا الفضل بن الصبّاح، قال: ثنا إسماعيل بن عبد الكريم الصنعانى، قال: ثنى عبد الصمد بن مَعْقِل، أنه سمع وهبا يقول: إن فى الجنة شجرة يقال لها: طُوبَى، يسير الراكب فى ظلها مئة عام لا يقطعها، زهرها رِياط، وورقها بُرُود، وقُضبانها عَنبر، وبَطْحاؤها ياقوت، وترابها كافور، ووحلها مسك، يخرج من أصلها أنهار الخمر واللبن والعسل، وهى مجلس لأهل الجنة، فبينا هم فى مجلسهم إذ أتتهم ملائكة من ربهم، يقودون نُجُبا مزمومة بسلاسل من ذهب، وجوهها كالمصابيح من حسنها، ووبرها كخزّ المِرْعِزَّى من لينه، عليها رحال ألواحها من ياقوت، ودفوفها من ذهب، وثيابها من سندس واستبرق، فينيخونها ويقولون: إن ربنا أرسلنا إليكم، لتزوروه وتسلّموا عليه، قال: فيركبونها، قال: فهى أسرع من الطائر، وأوطأ من الفِراش، نُجُبا من غير مَهْنة، يسير الرجل إلى جنب أخيه وهو يكلمه ويناجيه، لا تصيب أذن راحلة منها أذن صاحبتها، ولا بَرْك راحلة بَرْك صاحبتها، حتى إن الشجرة لتتنحّى عن طرقهم، لئلا تفرّق بين الرجل وأخيه. قال: فيأتون إلى الرحمن الرحيم، فيسفر لهم عن وجهه الكريم، حتى ينظروا إليه، فإذا رأوه قالوا: اللهمّ أنت السلام ومنك السلام، وحقّ لك الجلال والإكرام، قال: فيقول تبارك وتعالى عند ذلك: أنا السلام، ومنى السلام، وعليكم حقّت رحمتى ومحبتى، مرحبا بعبادى الذين خَشُونى بغيب، وأطاعوا أمرى، قال: فيقولون: ربنا إنا لم نعبدْك حقّ عبادتك، ولم نقدّرك حقّ قدْرِك، فأذن لنا بالسجود قدّامك، قال: فيقول الله: إنها ليست بدار نصَب ولا عبادة، ولكنها دار مُلك ونعيم، وإنى قد رَفَعت عنكم نَصَب العبادة، فسلونى ما شئتم، فإن لكلّ رجل منكم أمنيته، فيسألونه، حتى إن أقصرهم أمنية ليقول: ربّ تنافس أهل الدنيا فى دنياهم، فتضايقوا فيها، ربّ فآتنى كلّ شىء كانوا فيه من يوم خلقتها إلى أن انتهت الدنيا، فيقول الله: لقد قَصَّرت بك اليوم أمنيتك، ولقد سألتَ دون منزلتك، هذا لك منى، وسأتحفك بمنزلتى، لأنه ليس فى عطائى نَكَد ولا تَصْرِيد، قال: ثم يقول: اعرضوا على عبادى ما لم تبلغ أمانيُّهم، ولم يخطر لهم على بال، قال: فيَعرضون عليهم، حتى يقضوهم أمانيهم التى فى أنفسهم، فيكون فيما يعرضون عليهم براذينُ مقرنة، على كلّ أربعة منها سرير من ياقوتة واحدة، على كلّ سرير منها قُبة من ذهب، مُفْرَغة، فى كل قبة منها فُرُش من فُرُش الجنة مُظاهَرة، فى كل قبة منها جاريتان من الحُور العِين، على كلّ جارية منهنّ ثوبان من ثياب الجنة، ليس فى الجنة لون إلا وهو فيهما، ولا ريحٌ طيبة إلا قد عَبِقتا به، يَنفُذ ضوءُ وجوههما غِلَظَ القبة، حتى يظنّ من يراهما أنهما من دون القبة، يرى مخهما من فوق سُوقهما كالسلك الأبيض من ياقوتة حمراء، يريان له من الفضل على صحابته كفضل الشمس على الحجارة أو أفضل، ويَرى هو لهما مثل ذلك، ثم يدخل إليهما فيحييانه ويقبّلانه ويعانقانه، ويقولان له:

والله ماظننا أن الله يخلق مثلك، ثم يأمر الله الملائكة، فيسيرون بهم صفا فى الجنة، حتى ينتهى كلّ رجل منهم إلى منزلته التى أُعدّت له » .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا على بن جرير ، عن حماد ، قال : شجرة فى الجنة دار كل مؤمن غُصْن منها .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن حسّان بن أبى الأشرس ، عن مُغيث بن سُمَىّ ، قال : طُوبَى : شجرة فى الجنة، لو أن رجلا ركب قَلُوصا : جَذَعا أوجَذَعة، ثم دار بها، لم يبلغ المكان الذى ارتحل منه، حتى يموت هَرَما، ومامن أهل الجنة منزل إلا فيه غصن من أغصان تلك الشجرة، متدلّ عليهم، فإذا أرادوا أن يأكلوا من الثمرة ، تدلى إليهم ، فيأكلون منه ما شاءوا ، ويجىء الطير ، فيأكلون منه قديدا وشواء ماشاءوا ، ثم يطير .

وقد رُوى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر بنحو ماقال من قال : هى شجرة .

ذكر الرواية بذلك

حدثنى سليمان بن داود القُومَسِىّ ، قال : ثنا أبوتَوْبة الربيع بن نافع ، قال : ثنا معاوية بن سلام ، عن زيد ، أنه سمع أبا سلام ، قال : ثنا عامر بن زيد البِكَالى ، أنه سمع عُتْبة بن عبد السلام يقول : « جاء أعرابىّ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ، إن فى الجنة فاكهة ؟ قال : نَعَمْ ، فيها شَجَرَةٌ تُدْعَى طُوبَى ، هِىَ تُطابِقُ الفِرْدَوْسَ ، قال : أىَّ شجر أرضنا تُشْبه ؟ قال : لَيْسَتْ تُشْبِهُ شَيْئا مِنْ شَجَرِ أرْضِكَ ، وَلكِنْ أتَيْتَ الشَّامَ ؟ فقال : لا يا رسول الله ، فقال : فإنَّها تُشْبِهُ شَجَرَةً تُدْعَى الجُوزَةَ ، تَنْبُتُ على ساقٍ وَاحِدَةٍ ، ثُمَّ يَنْتَشِرُ أعْلاها ، قال : ما عظم أصلها ؟ قال : لَوِ ارْتَحَلَتْ جَذَعَةٌ مِنْ إبِلِ أهْلِكَ ما أحاطَتْ بأصلها حتى تَنْكَسِرَ تَرْقُوَتاها هَرَما » .

حدثنا الحسن بن شبيب ، قال : ثنا محمد بن زياد الجَرِيرِىّ ، عن فُرات بن أبى الفرات ، عن معاوية ابن قُرَّة ، عن أبيه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « (طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مآبٍ) : شَجَرَةٌ غَرَسَها اللهُ بِيَدِهِ ، وَنَفَخَ فِيها مِنْ رُوحِهِ بالحُلِىِّ والحُلَلِ ، وَإنَّ أغْصَانَها لَتُرَى مِنْ وَرَاءِ سُوْرِ الجَنَّةِ » .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنى عمرو بن الحارث ، أن دَرّاجا حدثه أن أبا الهيثم حدثه ، عن أبى سعيد الخُدرىّ ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « أن رجلا قال له : يا رسول الله ما طُوبَى ؟ قال : شَجَرَةٌ فِى الجَنَّةِ ، مَسِيرَةُ مِئَةِ سَنَةٍ ، ثِيابُ أهْلِ الجَنَّةِ تَخْرُجُ مِنْ أكمامِها »

⁂ فعلى هذا التأويل الذى ذكرنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الرواية به ، يجب أن يكون القول فى رفع قوله (طُوبَى لَهُمْ) خلافُ القول الذى حكينا ه عن أهل العربية فيه ، وذلك أن الخبر عن رسول

الله صلى الله عليه وسلم ، أن طُوبى اسم شجرة فى الجنة ، فإذا كان كذلك فهو اسم لمعرفة ، كزيد وعمرو . وإذا كان ذلك كذلك ، لم يكن فى قوله (وَحُسْنُ مآبٍ) إلا الرفع عطفا به على طوبى .

وأما قوله (وَحُسْنُ مآبٍ) فإنه يقول : وحُسن منقلَب .

كما حدثنى المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن جويبر ، عن الضحاك : (وَحُسْنُ مآبٍ) قال : حسن مُنقلب .

القول فى تأويل قوله تعالى

كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ لِّتَتْلُوَا۟ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ ، قُلْ : هُوَ رَبِّى ، لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ، عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ، وَإِلَيْهِ مَتَابِ (٣٣)

⁂ يقول تعالى ذكره : هكذا أرسلناك يا محمد فى جماعة من الناس ، يعنى إلى جماعة قد خلت من قبلها جماعات على مثل الذى هم عليه ، فمضت (لِتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِى أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ) يقول : لتبلغهم ما أرسلتك به إليهم ، من وحيى الذي أوحيته إليك (وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ) يقول : وهم يجحدون وحدانية الله ، ويكذّبون بها . (قُلْ هُوَ رَبِّى) يقول : إن كَفَر هؤلاء الذين أرسلتك إليهم يامحمد بالرحمن ، فقل أنت : الله ربى (لاإِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ) يقول : وإليه مرجعى وأوبتى ، وهو مصدر من قول القائل : تبت مَتابا وتَوبة .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ) : ذُكر لنا أن نبىّ الله صلى الله عليه وسلم زمن الحُدَيْبِيَة ، حين صالح قريشا ، كتب : هذا ماصالح عليه محمد رسول الله ، فقال مشركو قريش : لئن كُنتَ رسول الله ثم قاتلناك ، لقد ظلمناك ، ولكن اكتب : هذا ماصالح عليه محمد بن عبد الله ، فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : دَعْنا يا رسول الله نقاتلهم ، فقال : لا ، ولكِنِ اكْتُبُوا كما يُرِيدُونَ ؛ إنّى مُحمد بْنُ عَبْدِ اللهِ . فلما كتب الكاتب : بسم الله الرحمن الرحيم ، قالت قريش : أما الرحمن فلا نعرفه ، وكان أهل الجاهلية يكتبون : باسمك اللهمّ ، فقال أصحابه : يا رسول الله ، دعنا نقاتلهم ، قال : لا ، ولكِنِ اكْتُبُوا كَمَا يُرِيدُونَ » .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قال : قوله (كذلكَ أَرْسَلْناكَ فِى أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ) . . . الآية ، قال : هذا لما كاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشا فى الحديبية ، كتب : بسم الله الرحمن الرحيم ، قالوا : لاتكتب الرحمن ، وما ندرى ما الرحمن ؟ ولا نكتب إلا : باسمك اللهمّ ، قال الله : (وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ ، قُلْ هُوَ رَبِّى ، لاإِلَهَ إِلاَّ هُوَ) . . . الآية .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ، أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ، أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ، بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا، وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا۟ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ وَعْدُ ٱللَّهِ، إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ (٣١)

اختلف أهل التأويل فى معنى ذلك ، فقال بعضهم : معناه : وهم يكفرون بالرحمن (وَلَوْ أَنَّ قُرآنا سُيِّرَتْ بِهِ الجِبالُ) أى يكفرون بالله ، ولو سير لهم الجبال بهذا القرآن ، وقالوا : هو من المؤخر الذى معناه التقديم ، وجعلوا جواب لو مقدّما قبلها ، وذلك أن الكلام على معنى قيلهم : ولو أن هذا القرآن سُيِّرت به الجبال ، أو قُطِّعت به الأرض ، لكفروا بالرحمن .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَلَوْ أَنَّ قُرآنا سُيِّرَتْ بِهِ الجبالُ ، أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ ، أَوْ كُلِّمَ بِهِ المَوْتَى) قال : هم المشركون من قريش ، قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم « لو وَسَّعتَ لنا أودية مكة ، وسَيَّرت جبالها ، فاحترثناها ، وأحييت من مات منا ، أو قُطِّع به الأرض ، أو كلم به الموتى ، فقال الله تعالى (وَلَوْ أَنَّ قُرآنا سُيِّرَتْ بِهِ الجبالُ ، أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ ، أَوْ كُلِّمَ بِهِ المَوْتَى ، بَلْ لِلهِ الأَمْرُ جَميعا) .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَلَوْ أَنَّ قُرآناً سُيِّرَتْ بِهِ الجبالُ ، أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ ، أَوْ كُلِّمَ بِهِ المَوْتَى) قول كفار قريش لمحمد : سيّر جبالنا ، تتسع لنا أرضنا ، فإنها ضيقة ، أو قرّب لنا الشأم ، فإنا نتجر إليها ، أو أخرج لنا آباءنا من القبور نكلمهم ، فقال الله تعالى (وَلَوْ أَنَّ قُرآناً سُيِّرَتْ بِهِ الجِبالُ ، أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ ، أَوْ كُلِّمَ بِهِ المَوْتَى) .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، بنحوه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، نحوه .

قال ابن جريج : وقال عبد الله بن كثير ، قالوا : لو فَسَحْت عنا الجبال ، أو أجريت لنا الأنهار ، أو كلمت به الموتى ، فنزل ذلك . قال ابن جريج ، وقال ابن عباس : قالوا : سَيِّر بالقرآن الجبال ، قَطِّع بالقرآن الأرض ، أخرج به موتانا .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن كثير ، : قالوا : لو فَسَحْتَ عنا الجبال ، أو أجريت لنا الأنهار ، أو كلمت به الموتى ، فنزل (أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا) .

وقال آخرون : بل معناه (وَلَوْ أَنَّ قُرآناً سُيِّرَتْ بِهِ الجِبالُ) كلام مبتدأ ، منقطع عن قوله

(وَهُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ هُمْ كَافِرُونَ) قال : وجواب لو محذوف ، استغنى بمعرفة السامعين المرادَ من الكلام، عن ذكر جوابها ، قالوا : والعرب تفعل ذلك كثيرا ، ومنه قول امرئ القيس :

فَلَوْ أَنَّهَا نَفْسٌ تَمُوتُ سَرِيحَةً ولَكِنَّهَا نَفْسٌ تُقَطِّعُ أَنْفُسَا[1]

وهو آخر بيت فى القصيدة[2] ، فترك الجواب ، اكتفاء بمعرفة سامعه مراده ، وكما قال الآخر :

فَأُقْسِمُ لَوْ شَيْءٌ أَتَانَا رَسُولُهُ سِوَاكَ ، وَلَكِنْ لَمْ نَجِدْ لَكَ مَدْفَعَا[3]

ذكر من قال نحو معنى ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الجِبَالُ ، أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ ، أَوْ كُلِّمَ بِهِ المَوْتَى): ذُكر لنا أن قُريشا قالوا : إن سَرَّك يامحمد اتباعك ، أو أن نتبعك ، فسير لنا جبال تِهامة ، أو زد لنا فى حَرَمنا ، حتى نتخذ قطائع نحترف فيها ، أو أحْيِ لنا فلانا وفلانا ، ناسا ماتوا فى الجاهلية ، فأنزل الله تعالى (وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الجِبَالُ ، أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ ، أَوْ كُلِّمَ بِهِ المَوْتَى) يقول : لو فعل هذا بقرآن قبل قرآنكم ، لفعل بقرآنكم .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة أن كفّار قريش قالوا للنبىّ صلى الله عليه وسلم : أذهِب عنا جبال تِهامة ، حتى نتخذها زرعا ، فتكون لنا أرضين ، أوأحْيِ لنا فلانا وفلانا يخبروننا : حقّ ما تقول ؟ فقال الله (وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الجِبَالُ ، أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ ، أَوْ كُلِّمَ بِهِ المَوْتَى ؛ بَلْ لِلَّهِ الأَمْرُ جَمِيعًا) يقول : لو كان فعل ذلك بشىء من الكتب فيما مضى كان ذلك .

حُدِّثت عن الحسين بن الفَرَج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله : (وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الجِبَالُ) الآية . . . قال : قال كفار قريش لمحمد صلى الله عليه وسلم : سيِّر لنا الجبال ، كما سُخِّرت لداود ، أوقطِّع لنا الأرض ، كما قُطِّعت لسليمان ، فاغتدى

(١) البيت لامرىء القيس فى ديوانه (مختار الشعر الجاهلى بشرح مصطفى السقا ، طبعة الحلبى ص٨٦) وفيه جميعة : فى موضع سريحة . والسريحة : السهلة كما ، فى اللسان ، والسريعة ، وقال شارحه : جميعة : قال فى اللسان إنما أراد جميعا . فبالغ بإلحاق الهاء . وحذف الجواب للعلم به ، كأنه قال : لغنيت واستراحت . ويجوز أن تكون « لو » هنا للتمنى ، فلا تحتاج إلى جواب . ويروى : سوية ، بدل جميعة ، يقول : لو أنى أموت بدفعة لاسترحت ، ولكن نفسى لما بها من المرض تقلع شيئا فشيئا . وفى الديوان أيضا : تسافط ، أى تتساقط ، فى موضع : تقطع .

(٢) ليس البيت آخر بيت فى القصيدة ، ولكن بعده ثلاثة أبيات . (انظر مختار الشعر) .

(٣) البيت لامرىء القيس (خزانة الأدب الكبرى للبغدادى ٤ : ٢٢٧) شاهد على أن الجواب فيه محذوف ، وهو جواب القسم ، لاجواب لو ، عملا بمقتضى الضابط فى اجتماع قسم وشرط . وتقدير الجواب كما ذكره الفراء وغيره : لو أتانا رسول سواك لدفعناه ، بدليل قوله « مدفعا » . وفيه أن الجواب مذكور فى البيت الذى بعده ، وهو : « إذن لرددناه ولو طال مكثه » ، وعلى هذا يكون قوله : « ولكن لم نجد لك مدفعا » جملة اعتراضية . وعذرهم فى تقدير الجواب ، أن هذا البيت ساقط فى أكثر الروايات ، وقد ذكره الزجاجى فى أماليه الصغرى والكبرى ، فى جملة أبيات ثمانية رواها عن المبرد من قصيدة لامرىء القيس ، ورواية البيت الخامس فيها :

وَجَدَّكَ لَوْ شَيْءٌ أَتَانَا رَسُولُهُ سِوَاكَ وَلَكِنْ لَمْ نَجِدْ لَكَ مَدْفَعَا

بها شهرا ، وراح بها شهرا، أو كلم لنا الموتى ، كما كان عيسى يكلمهم ، يقول : لم أُنزل بهذا كتابا ، ولكن كان شيئا أعطيته أنبيائى ورسلى .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَلَوْ أَنَّ قُرْآناً سُيِّرَتْ بِهِ الجِبالُ) . . . الآية ، قال : قالوا للنبىّ صلى الله عليه وسلم : إن كنت صادقا فسيّر عنا هذه الجبال ، واجعلها حروثا ، كهيئة أرض الشام ومصر والبُلْدان ، أو ابعث موتانا فأخبرهم ، فإنهم قد ماتوا على الذى نحن عليه ، فقال الله تعالى (وَلَوْ أَنَّ قُرْآناً سُيِّرَتْ بِهِ الجِبالُ ، أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ ، أَوْ كُلِّمَ بِهِ المَوْتَى) : لم يصنع ذلك بقرآن قطُّ ولا كتاب ، فيصنع ذلك بهذا القرآن .

القول فى تأويل قوله تعالى

(أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشاءُ اللهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعاً) :

اختلف أهل المعرفة بكلام العرب فى معنى قوله : (أَفَلَمْ يَيْأَسِ) فكان بعض أهل البصرة يزعم أن معناه : ألم يعلم ويتبيّن[1] ، ويستشهد لقيله ذلك ببيت سحيم بن وَثِيل الرياحىّ :

أَقُولُ لَهُمْ بِالشِّعْبِ إِذْ يَأْسِرُونَنِى أَلَمْ تَيْأَسُوا أَنِّى ابنُ فَارِسِ زَهْدَمِ [1]

ويُروى : ييسرونى ، فمن رواه : ييسرونى فإنه أراد : يقسمونى ، من الميسر ، كما يقسم الجَزور . ومن رواه : يأسرونى ، فإنه أراد : الأسر . وقال : عنى بقوله : ألم تيأسوا : ألم تعلموا . وأنشدوا أيضا فى ذلك :

أَلَمْ يَيْأَسِ الأَقْوَامُ أَنِّى أنا ابْنُهُ وإِنْ كُنتُ عَنْ أَرْضِ العَشِيرَةِ نائيا[2]

وفسروا قوله : ألم ييأس : ألم يعلم ويتبين . وذُكر عن ابن الكلبىّ أن ذلك لغة لحىّ من النخَع ، يقال لهم :

(١) البيت : لسحيم بن وثيل الرياحى اليربوعى . وقيل إنه لولده جابر بن سحيم ، بدليل قوله فيه : « إنى ابن فارس زهدم » ، وزهدم : فرس سحيم . قال : يئس ييئس ويأس (بكسر العين فى الماضى ، وبكسرها أوفتحها فى المضارع) : يقول : ألم تعلموا ، وعلى هذا استشهد به المؤلف هنا . وقوله ييسرونى : من أيسار الجزور ، أى يجتزونى ويقتسمونى . ويروى يأسرونى ، كرواية المؤلف ، من الأسر . وأما قوله ييسرونى ، فإنما ذكر ذلك ، لأن كان قد وقع عليه سباء ، فضربوا عليه بالميسر ، يتحاسبون على قسمة فدائه . وزهدم : فرس . ويروى أنى ابن قاتل زهدم ، وهو رجل من عبس . فعلى هذا يصح أن يكون الشعر لسحيم . قال صاحب اللسان : وقال القاسم بن معن : يئست بمعنى علمت : لغة هوازن . وقال الكلبى : هى لغة وهبيل : حى من النخع ، وهم رهط شريك . وفى الصحاح : فى لغة النخع ، وفى التنزيل « أفلم ييأس الذين آمنوا . . . . » أى أفلم يعلم . وقال أهل اللغة : أفلم يعلم الذين آمنوا علما يئسوا معه ، أن يكون غير ماعلموه . وقيل معناه : أفلم ييأس الذين آمنوا من إيمان هؤلاء الذين وصفهم الله بأنهم لا يؤمنون . قال أبو عبيد : كان ابن عباس يقرأ : أفلم يتبين الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا . قال ابن عباس : كتب الكاتب : « أفلم ييئس الذين آمنوا » وهو ناعس . : وقال الفراء فى معانى القرآن (الورقة ١٥٩ من مصورة الجامعة رقم ٢٤٠٥٩) : قال المفسرون : ييأس : يعلم ، وهو فى المعنى على تفسيرهم ، لأن الله قد أوقع إلى المؤمنين ، أنه لو يشاء الله لهدى الناس جميعا ، فقال : أفلم ييئسوا علما ، يقول : يؤيسهم العلم ، فكان فيهم العلم مضمرا ، كما تقول فى الكلام : قد يئست منك ألا تفلح علما ، كأنك قلت علمته علما . وقال الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس قال : ييئس فى معنى يعلم : لغة للنخع . قال : ولم نجدها فى العربية إلا على ما فسرت . اهـ . وقال أبو عبيدة فى مجاز القرآن (١ : ٣٣٢) : « أفلم ييئس الذين آمنوا » مجازه : ألم يعلم ويتبين ؟

(٢) هذا الشاهد فى معنى الشاهد قبله ، على أن « ألم ييأس » : بمعنى ألم يعلم ويتبين . وفى الإتقان (١ : ١٢٢) أن البيت لمالك ابن عوف ، وصدره فيه : « لقد يئس الأقوام أنى أنا ابنه » .

وَهْبيل ، تقول : ألم تيأس كذا ، بمعنى : ألم تعلمه . وذُكر عن القاسم بن معن أنها لغة هوازن ، وأنهم يقولون : يَئِست كذا : علمت .

وأما بعض الكوفيين فكان ينكر ذلك ، ويزعم أنه لم يسمع أحدا من العرب يقول : يئست بمعنى : علمت ، ويقول : هو فى المعنى وإن لم يكن مسموعا يئست بمعنى علمت ، يتوجه إلى ذلك أن الله قد أوقع إلى المؤمنين ، أنه لوشاء لهدَى الناس جميعا ، ففال : أفلم ييأسوا علما ، يقول : يؤيسهم العلم ، فكان فيه العلم مضمرا ، كما يقال : قد يئست منك ألا تفلح علما ؛ كأنه قيل : علمته علما ، قال : وقول الشاعر :

حتى إذا يَئِسَ الرماةُ وأرْسَلُوا غُضْفًا دَواجِنَ قافِلا أعْصامُها [١]

معناه : حتى إذا يئسوا من كلّ شىء مما يمكن ، إلا الذى ظهر لهم ، أرسلوا ، فهو فى معنى ، حتى إذا علموا أن ليس وجه إلا الذى رأوا ، وانتهى علمهم ، فكان ماسواه يأسا .

وأما أهل التأويل ، فإنهم تأوّلوا ذلك بمعنى : أفلم يعلم ويتبين .

ذكر من قال ذلك منهم

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، عن أبى إسحاق الكوفىّ ، عن مولًى يخبر أن عليا رضى الله عنه كان يقول : أفلم يتبين الذين آمنوا .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عبد الوهاب ، عن هارون ، عن حنظلة ، عن شهر بن حوشب ، عن ابن عباس (أفَلَمْ يَيْأَس) يقول : أفلم يتبين .

حدثنا أحمد بن يوسف ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا يزيد ، عن جرير ، بن حازم ، عن الزبير بن الحارث ، أو يَعْلى بن حكيم ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، أنه كان يقرؤها (أفَلَمْ يَتَبَيَّنِ الَّذِينَ آمَنُوا) قال : كتب الكاتب الأخرى وهو ناعس .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا حجاج بن محمد ، عن ابن جريج ، قال فى القراءة الأولى : زعم ابن كثير وغيره : أفلم يتبين .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (أفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا) يقول : ألم يتبين .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية بن صالح ، عن علىّ ، عن ابن عباس قوله : (أفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا) يقول : يعلم .

---

(١) البيت للبيد فى معلقته (شرح المعلقات السبع للزوزنى ص ١٣٦) : قال : الغضف من الكلاب : المسترخية الآذان ، والغضف (بالتحريك) : استرخاء الأذن ، يقال : كلب أغضف ، وكلبة غضفاء ، وهو مستعمل فى غير الكلاب استعماله فيها . والدواجن : المعلمات . والقفول : اليبس . وأعصامها : بطونها ، وقيل : بل سواجيرها ، وهى قلائدها من الحديد . يقول : حتى إذا يئس الرماة من البقرة ، وعلموا أن سهامهم لاتنالها ، وأرسلوا كلابا مسترخية الآذان معلمة ، ضوامر البطون ، أو يابسة السواجير . اهـ . وقال الفراء فى معانى القرآن (الورقة ١٥٩) معناه : حتى إذا يئسوا من كل شى مما يمكن ، إلا الذى ظهر لهم ، أرسلوا ، فهو معنى : حتى إذا علموا أن ليس وجه إلا الذى رأوا ، أرسلوا ، كان ماوراءه يأسا . اهـ .

حدثنا عمران بن موسى ، قال : ثنا عبد الوارث ، قال : ثنا ليث ، عن مجاهد ، فى قوله (أفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا) قال : أفلم يتبين .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، فى قوله : (أفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا) قال : ألم يتبين الذين آمنوا ؟

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (أفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا) قال : ألم يعلم الذين آمنوا؟

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (أفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا) قال : ألم يعلم الذين آمنوا ؟

⁂ والصواب من القول فى ذلك ، ما قاله أهل التأويل : إن تأويل ذلك : أفلم يتبين ويعلم ؟ لإجماع أهل التأويل على ذلك ، والأبيات التى أنشدناها فيه .

فتأويل الكلام إذن : ولو أن قرآنا سوى هذا القرآن ، كان سُيِّرت به الجبال ، لسيّر بهذا القرآن ، أو قُطِّعت به الأرض ، لقطِّعت بهذا ، أو كُلِّم به الموتى ، لكُلِّم بهذا ، ولو يفعل بقرآن قبل هذا القرآن لفُعل بهذا . (بَلْ لِلهِ الأمْرُ جَميعا) يقول : ذلك كله إليه وبيده ، يَهْدِى من يشاء إلى الإيمان ، فيوفقه له ، ويضلّ من يشاء ، فيخذله ، أفلم يتبين الذين آمنوا بالله ورسوله ، إذ طمعوا فى إجابتى من سأل نبيهم ، من تسيير الجبال عنهم ، وتقريب أرض الشام عليهم ، وإحياء موتاهم ، أن لو يشاء الله لهدَى الناس جميعا إلى الإيمان به ، من غير إيجاد آية ، ولا إحداث شىء مما سألوا إحداثه ؟ يقول تعالى ذكره : فما معنى محبتهم ذلك ، مع علمهم بأن الهداية والإهلاك إلىّ وبيدى ، أنزلت آية أو لم أنزلها ، أهدى من أشاء بغير إنزال آية ، وأُضِلّ من أردت مع إنزالها .

القول فى تأويل قوله تعالى

(وَلا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قارِعَةٌ ، أوْ تَحُلُّ قَرِيباً مِنْ دَارِهِمْ ، حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللهِ ، إنَّ اللهَ لا يُخْلِفُ المِيعادَ) .

⁂ يقول تعالى ذكره : ولا يزال يامحمد الذين كفروا من قومك ، تُصيبهم بما صنعوا من كفرهم بالله ، وتكذيبهم إياك ، وإخراجهم لك من بين أظهرهم ، قارعة ، وهى مايَقْرعهم من البلاء والعذاب والنقَم ، بالقتل أحيانا ، وبالحروب أحيانا ، والقَحْط أحيانا ، أو تحلّ أنت يامحمد ، يقول : أو تنزل أنت قريبا من دارهم ، بجيشك وأصحابك ، حتى يأتىَ وعد الله ، الذى وعدك فيهم ، وذلك ظهورك عليهم ، وفتحك أرضهم ، وقهرك إياهم بالسيف . (إنَّ اللهَ لا يُخْلِفُ المِيعادَ) يقول : إن الله منجزك يامحمد ما وعدك من الظهور عليهم ، لأنه لايخلف وعده .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو داود ، قال : ثنا المسعودىّ ، عن قتادة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، فى قوله (وَلا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قارِعَةٌ) قال : سَرِيَّة (أَوْ تَحُلُّ قَرِيباً مِنْ دَارِهِمْ) قال محمد : حتى يأتىَ وعد الله ، قال : فتح مكة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن المسعودىّ ، عن قتادة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس بنحوه ، غير أنه لم يذكر سَرِيَّة .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا أبو قَطَن ، قال : ثنا المسعودى ، عن قتادة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، أنه تلا هذه الآية (وَلا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قارِعَةٌ): قال : القارعة : السَّرِيَّة (أَوْ تَحُلُّ قَرِيباً مِنْ دَارِهِمْ) قال : هو محمد صلى الله عليه وسلم (حَتَّى يَأْتِىَ وَعْدُ اللهِ) قال : فتح مكة .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو غسانَ ، قال : ثنا زهير ، أن خَصِيفا حدثهم ، عن عكرمة ، فى قوله (وَلا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قارِعَةٌ ، أَوْ تَحُلُّ قَرِيباً مِنْ دَارِهِمْ) قال : نزلت بالمدينة فى سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم : أو تحلّ أنت يا محمد قريباً من دارهم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن النضر بن عربىّ ، عن عكرمة (وَلا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قارِعَةٌ) قال : سرية (أَوْ تَحُلُّ قَرِيباً منْ دَارِهِمْ) قال : أنت يا محمد .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَلا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قارِعَةٌ) يقول : عذاب من السماء ، ينزل عليهم (أَوْ تَحُلُّ قَرِيباً مِنْ دَارِهِمْ)يعنى : نزول رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم ، وقتاله إياهم .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قارِعَةٌ): تُصاب منهم سَرِية ، أو تُصاب منهم مصيبة ، أو يحلّ محمد قريبا من دارهم . وقوله (حَتَّى يَأْتِىَ وَعْدُ اللهِ) قال : الفتح .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا الحجاج ، قال : ثنا حماد بن زيد ، عن عبد الله بن أبى نجيح (أَوْ تَحُلُّ قَرِيباً مِنْ دَارِهِمْ) يعنى : النبىّ صلى الله عليه وسلم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، نحو حديث الحسن عن شبابة .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا قيس ، عن خَصِيف ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : قارعة ، قال : السرايا .

قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا عبد الغفار ، عن منصور ، عن مجاهد ، (قارِعَةٌ) قال : مصيبة من

محمد (أَوْ تَحُلُّ قَرِيباً مِنْ دَارِهِمْ) قال : أنت يا محمد (حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللهِ) قال : الفتح .

قال : ثنا إسرائيل ، عن خصيف ، عن مجاهد (قَارِعَةٌ) قال : كتيبة .

قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا عمرو بن ثابت ، عن أبيه ، عن سعيد بن جبير (تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ) قال : سرية (أَوْ تَحُلُّ قَرِيباً مِنْ دَارِهِمْ) قال : أنت يا محمد .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ) : أى بأعمالهم أعمال السوء ، وقوله (أَوْ تَحُلُّ قَرِيباً مِنْ دَارِهِمْ) أنت يا محمد (حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللهِ) ووعد الله : فتح مكة .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن مَعْمر ، عن قتادة (قَارِعَةٌ) قال : وقيعة (أَوْ تَحُلُّ قَرِيباً مِنْ دَارِهِمْ) قال : يعنى : النبىّ صلى الله عليه وسلم ، يقول : أو تحلّ أنت قريبا من دارهم .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا محمد بن طلحة ، عن طلحة ، عن مجاهد (تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ) قال : سرية .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد (تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ) قال : السرايا : كان يبعثهم النبىّ صلى الله عليه وسلم (أَوْ تَحُلُّ قَرِيبا مِنْ دارِهِمْ) أنت يا محمد (حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللهِ) قال : فتح مكة .

قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا إسرائيل ، عن بعض أصحابه ، عن مجاهد (تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ) قال : كتيبة .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَلا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ) قال : قارعة من العذاب .

وقال آخرون : معنى قوله (أَوْ تَحُلُّ قَرِيباً مِنْ دَارِهِمْ) تحلّ القارعة قريبا من دارهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : قال الحسن (أَوْ تَحُلُّ قَرِيباً مِنْ دَارِهِمْ) قال : أو تحلّ القارعة قريبا من دارهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن ، قال (أَوْ تَحُلُّ قَرِيباً مِنْ دَارِهِمْ) قال : أو تحلّ القارعة .

وقال آخرون فى قوله : (حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللهِ) هو يوم القيامة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا مُعَلَّى بن أسد ، قال : ثنا إسماعيل بن حكيم ، عن رجل قد سماه ، عن الحسن فى قوله (حتى يَأْتِيَ وَعْدُ اللهِ) قال : يوم القيامة .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّنْ قَبْلِكَ ، فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ، ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ، فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ؟ (٣٢)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : يامحمد إن يستهزئ هؤلاء المشركون من قومك ، ويطلبوا منك الآيات ، تكذيبا منهم ما جئتهم به ، فاصبر على أذاهم لك ، وامض لأمر ربك فى إعذارهم ، والإعذار إليهم ، فلقد استهزأت أمم من قبلك ، قد خلت فمضت برسل ، فأطلت لهم فى المَهَل ، ومددت لهم فى الأجَل ، ثم أحللت بهم عذابى ونقمتى ، حين تمادَوا فى غيهم وضلالهم ، فانظر كيف كان عقابى إياهم حين عاقبتهم ، ألم أُذقهم أليم العذاب ، وأجعلهم عبرة لأولى الألباب . والإملاء فى كلام العرب : الإطالة ، يقال منه : أمليت لفلان : إذا أطلت له فى المهل ، ومنه المُلاوة من الدهر ، ومنه قولهم : تملَّيت حينا ، ولذلك قيل لليل والنهار : المَلَوان ، لطولهما ، كما قال ابن مُقْبل :

ألا يا ديارَ الحَيّ بالسَّبُعانِ ألَحَّ عَلَيْها بالبِلَى المَلَوَانِ [١]

وقيل للخرق الواسع من الأرض : مَمَلا ، كما قال الشاعر :

فاخْضَلَّ منها كُلُّ بالٍ وعَيِّنٍ وجَفَّ الرَّوَايا بالمَلا المُتَباطِنِ [٢]

لطول ما بين طرفيه وامتداده .

القول فى تأويل قوله تعالى

أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ، وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَآءَ ، قُلْ : سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ بِظَٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ ، بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا عَنِ ٱلسَّبِيلِ ، وَمَنْ يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (٣٣)

يقول تعالى ذكره : أفالربّ الذى هو دائم لايبيد ولا يهلك ، قائم بحفظ أرزاق جميع الخلق ، متضمن لها ، عالم بهم وبما يكسبونه من الأعمال ، رقيب عليهم ، لايعزب عنه شىء أينما كانوا ، كمن هو هالك بائد ، لايسمع ولا يبصر ولا يفهم شيئا ، ولا يَدْفع عن نفسه ، ولا عمن يعبده ضرّا ، ولا يجلب إليهما نفعا ،

(١) البيت لتميم بن أبى بن مقبل (اللسان : ملا) استشهد به على أن الملوان طرفا النهار . واحدهما : ملا ، مقصور ، يقال : لا أفعله ما اختلف الملوان ، واستشهد به المؤلف ، على أن الملوين : الليل والنهار . وفى مجاز القرآن لأبى عبيدة (١ : ٣٣٣) ويقال لليل والنهار الملوان ، لطولهما ، وقال ابن مقبل . . . البيت . ويقال للخرق الواسع من الأرض : ملا مقصور ، قال : « ملا لاتخطاه العيون رغيب » .

(٢) البيت للطرماح بن حكيم (اللسان : عين) قال : وسقاء عين ، وعين (بفتح الياء المشددة وكسرها) والكسر أكثر ، كلاهما إذا سال ماؤه ، عن اللحيانى . وقيل : الجديد ، طائية ، قال الطرماح : فاخضل . . . البيت . واستشهد به المؤلف على أن الخرق الواسع من الأرض : يقال له ملا .

كلاهما سواء ؟ وحُذف الجواب فى ذلك ، فلم يُقَل . وقد قيل : (أَفَمَنْ هُوَ قائمٌ على كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ) ككذا وكذا ؟ اكتفاء بعلم السامع بما ذُكِر عما تُرِك ذكره ، وذلك أنه لما قال جلّ ثناؤه : (وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ) عُلم أن معنى الكلام كشركائهم التى اتخذوها آلهة ، كما قال الشاعر :

تَخَيَّرِى خُيِّرْتِ أُمَّ عالِ بينَ قَصِيرٍ شِبْرُهُ تِنْبالِ
أذَاكِ أمْ مُنْخَرِقُ السِّرْبالِ وَلا يَزالُ آخِرَ اللَّيالى
مُتْلِفَ مالٍ ومُفِيدَ مالِ [١]

ولم يقل وقد قال : «شِبْره تنبال» ، وبين كذا وكذا ، اكتفاء منه بقول : أَذاكَ أمْ مُنْخَرِق السِّرْبالِ ، ودلالة الخبر عن المنخرق السربال ، على مراده فى ذلك .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (أَفَمَنْ هُوَ قائمٌ على كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ) ذلكم ربكم تبارك وتعالى ، قائم على بنى آدم بأرزاقهم وآجالهم ، وحفظ عليهم - والله - أعمالهم .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (أَفَمَنْ هُوَ قائمٌ على كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ) [٢] .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (أَفَمَنْ هُوَ قائمٌ على كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ) يعنى بذلك نفسه . يقول : هو معكم أينما كنتم ، فلا يعمل عامل إلا وهو حاضر . ويقال : هم الملائكة الذين وُكلوا ببنى آدم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج (أَفَمَنْ هُوَ قائمٌ على كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ) على رزقهم ، وعلى طعامهم ، فأنا على ذلك قائم ، وهم عبيدى ، ثم جعلوا لى شركاء .

حُدِّثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (أَفَمَنْ هُوَ قائمٌ على كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ) : فهو الله قائم على كل نفس : بَرّ وفاجر ، يرزقهم ويكلؤهم ، ثم يُشرِك به منهم من أشرك .

وقوله (وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ ، أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لا يَعْلَمُ فِى الأَرْضِ ، أَمْ بِظاهِرٍ

(١) هذا الرجز : رواه الفراء فى معانى القرآن فى الورقتين (١٥٩ ، ١٦٠) شاهدا عند قوله تعالى : « أفمن هوقائم على كل نفس بما كسبت » قال : ترك جوابه ، ولم يقل ككذا وكذا ، لأن المعنى معلوم ، وقد بينه ما بعده ، إذ قال : وجعلوا لله شركاء » ، كأنه فى المعنى قال : شركاءهم الذين اتخذوهم ، ومثله قول الشاعر : تخيرى . . . الخ (الأبيات) كأنه قال : تخيرى بين كذا وبين منخرق السربال . فلما أن أتى به فى الذكر ، كفى من إعادة الإعراب عليه . ومعنى التنبال : القصير . والشبر بالفتح : قياس الشىء بالشبر . والسربال القميص . ومتلف مال : منفقه . ومفيد مال : كاسبه .

(٢) أى إلى آخر ما رواه عنه بشر بن معاذ ، فى الحديث الأول .

مِنَ القَوْلِ) يقول تعالى ذكره: أنا القائم بأرزاق هؤلاء المشركين ، والمدبِّر أمورهم ، والحافظ عليهم أعمالهم ، وجعلوا لى شركاء من خلقى ، يعبدونها دونى ، قل لهم : يا محمد : سَمُّوا هؤلاء الذين أشركتموهم فى عبادة الله ، فإنهم إن قالوا : آلهة ، فقد كذبوا ، لأنه لاإله إلا الواحد القهّار ، لاشريك له . (أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لايَعْلَمُ فِي الأَرْضِ) يقول : أتخبرونه بأن فى الأرض إلها ، ولا إله غيره فى الأرض ولا فى السماء .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حُدِّثت عن الحسين ، قال: سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال: سمعت الضحاك يقول فى قوله: (وَجَعَلُوا لِلهِ شُرَكَاءَ ، قُلْ سَمُّوهُمْ) ولو سَمَّوهم آلهة لكذبوا ، وقالوا فى ذلك غير الحقّ ، لأن الله واحد ليس له شريك ، قال الله (أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لايَعْلَمُ فِي الأَرْضِ ، أَمْ بِظَاهِرٍ مِنَ القَوْلِ)؟ يقول : لايعلم اللهُ فى الأرض إلهاً غيره .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَجَعَلُوا لِلهِ شُرَكَاءَ ، قُلْ سَمُّوهُمْ) والله خلقهم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال: ثنى حجاج، عن ابن جريج (وَجَعَلُوا لِلهِ شُرَكَاءَ قُلْ : سَمُّوهُمْ) ولو سَمَّوْهم كذبوا، وقالوا فى ذلك مالايعلم الله من إله غير الله ، فذلك قوله (أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لايَعْلَمُ فِي الأَرْضِ ، أَمْ بِظَاهِرٍ مِنَ القَوْلِ) مسموع ، وهو فى الحقيقة باطل لاصحة له .

وبنحو ما قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل ، غير أنهم قالوا : أم بظاهر ، معناه : أم بباطل ، فأتوا بالمعنى الذى تدلّ عليه الكلمة ، دون البيان عن حقيقة تأويلها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن محمد ،قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (بِظَاهِرٍ مِنَ القَوْلِ) بظنّ .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد مثله.

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن قتادة ، قوله (أَمْ بِظَاهِرٍ مِنَ القَوْلِ) والظاهر من القول : هو الباطل .

حُدِّثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله : (أَمْ بِظَاهِرٍ مِنَ القَوْلِ) يقول : أم بباطل من القول وكذب ، ولو قالوا ، قالوا الباطل والكذب .

وقوله (بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ): يقول تعالى ذكره : مالله من شريك فى السموات ولا فى الأرض ، ولكن زُين للمشركين الذين يدعون من دونه إلها مكرُهم ، وذلك افتراؤهم وكذبهم على الله، وكان مجاهد يقول : معنى المكر ههنا : القولُ ، كأنه قال : قولهم بالشرك بالله .

حدثنا المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ) قال : قولهم .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد مثله .

وأما قوله (وَصَدُّوا عَنِ السَّبِيلِ) فإن القرّاء اختلفت فى قراءته ، فقرأته عامّة قرّاء الكوفيين : (وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ) بضمّ الصاد ، بمعنى : وصَدَّهم الله عن سبيله ، لكفرهم به ، ثم جعلت الصاد مضمومة ، إذ لم يسمّ فاعله . وأما عامّة قرّاء الحجاز والبصرة ، فقرءوه بفتح الصاد ، على معنى أن المشركين هم الذين صَدُّوا الناس عن سبيل الله .

⁂ والصواب من القول فى ذلك عندى : أن يُقال : إنهما قراءتان مشهورتان ، قد قرأ بكلّ واحدة منهما أئمة من القرّاء ، متقاربتا المعنى ، وذلك أن المشركين بالله ، كانوا مصدودين عن الإيمان به ، وهم مع ذلك كانوا يَصُدّون غيرهم ، كما وصفهم الله به بقوله : (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ) .

وقوله (وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ) يقول تعالى ذكره : ومن أضله الله عن إصابة الحقّ والهدى ، بخذلانه إياه ، فما له أحد يَهْديه لإصابتهما ، لأن ذلك لا يُنال إلا بتوفيق الله ومعونته ، وذلك بيد الله وإليه ، دون كلّ أحد سواه .

القول فى تأويل قوله تعالى

لَهُمْ عَذَابٌ فِى الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا ، وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ ، وَمَا لَهُمْ مِنَ اللهِ مِنْ وَاقٍ (٣٤)

⁂ يقول تعالى ذكره لهؤلاء الكفّار الذين وصف صفتهم فى هذه السورة ، عذاب فى الحياة الدنيا ، بالقتل والإسار والآفات ، التى يصيبهم الله بها ، (وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ) يقول : ولتعذيب الله إياهم فى الدار الآخرة ، أشدّ من تعذيبه إياهم فى الدنيا وأشقّ ، إنما هو أفعل من المشقة . وقوله (وَمَا لَهُمْ مِنَ اللهِ مِنْ وَاقٍ) يقول تعالى ذكره : وما لهؤلاء الكفّار من أحد يقيهم من عذاب الله إذا عذّبهم ، لا حميم ولا ولىّ ولا نصير ، لأنه جلّ جلاله لا يعاده[1] أحد فيقهره ، فيخلصه من عذابه بالقهر ، ولا يشفع عنده أحد إلا بإذنه ، وليس يأذن لأحد فى الشفاعة لمن كفر به ، فمات على كفره قبل التوبة منه .

القول فى تأويل قوله تعالى

* مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِى وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهٰرُ ، أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا ، تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا ، وَعُقْبَى الْكٰفِرِينَ النَّارُ (٣٥)

⁂ اختلف أهل العلم بكلام العرب فى رافع المثل ، فقال بعض نحوىّ الكوفيين : الرافع للمثل قوله (تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهارُ) فى المعنى ، وقال : هو كما تقول : حِلْيَة فلان : أسْمَرُ كذا وكذا ، فليس الأسمر بمرفوع

(١) فى اللسان : العداد والبداد : المناهدة .

بالحلية ، إنما هو ابتداء : أى هو أسمر ، هو كذا . قال : ولو دخل أنّ فى مثل هذا كان صوابا . قال : ومثله فى الكلام : مَثَلُك أنك كذا ، وأنك كذا . وقوله (فَلْيَنْظُرِ الإنْسانُ إلى طَعامِهِ : أنَّا) من وجه : مَثَل الجنة التى وعد المتقون : فيها . ومن قال : أناصببنا الماء ، أظهر الاسم ، لأنه مردود على الطعام بالخفض ، ومستأنف : أى طعامه أنا صببنا ، ثم فعلنا . وقال : معنى قوله (مَثَلُ الجَنَّةِ) : صفات الجنة . وقال بعض نحوّيى البصريين : معنى ذلك : صفة الجنة ، قال : ومنه قول الله تعالى (وَلَهُ المَثَلُ الأعْلَى) معناه : ولله الصفة العُليا . قال : فمعنى الكلام فى قوله (مَثَلُ الجَنَّةِ التى وُعِدَ المُتَّقُونَ : تَجْرِى مِنْ تَحْتِها الأنهارُ) أو فيها أنهار . كأنه قال : وَصْف الجنة : صفة تجرى من تحتها الأنهار ، أوصفة فيها أنهار . والله أعلم . قال : ووجه آخر ، كأنه إذا قيل : مثل الجنة ، قيل : الجنة التى وعد المتقون . قال : وكذلك قوله (وَإنَّهُ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) ، كأنه قال : بالله الرحمن الرحيم ، والله أعلم . قال : وقوله : (على ما فَرَّطْتُ فِى جَنْبِ اللهِ) فى ذات الله ، كأنه عندنا قيل : فى الله ، قال وكذلك قوله (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَىْءٌ) إنما المعنى : ليس كشىء ، وليس مثله شىء ، لأنه لامثل له . قال : وليس هذا كقولك للرجل : ليس كمثلك أحد ، لأنه يجوز أن يكون له مِثْل ، والله لايجوز ذلك عليه . قال : ومثله قول لبيد :

إلى الحَوْلِ ثُمَّ اسْمُ السَّلامِ عَلَيْكُما[1]

قال : وفُسِّرَ لنا : أنه أراد : السلام عليكما ؛ قال أوس بن حَجَر :

وقَتْلَى كِرَامٍ كَمِثْلِ الجُذُوعِ تَغَشَّاهُمُ سَبَلٌ مُنْهَمِرْ[2]

قال : والمعنى عندنا : كالجذوع ، لأنه لم يرد أن يجعل للجذوع مثلا ، ثم يُشبه القتلى به . قال : ومثله قول أُميَّة :

زُحَلٌ وثَوْرٌ تَحْتَ رِجْلِ يَمِينِهِ والنَّسْرُ للأُخْرَى ، وَلَيْثٌ مُرْصَدُ[3]

---

(١) هذا شطر بيت للبيد بن ربيعة العامرى فى ديوانه ، وفى خزانة الأدب للبغدادى (٢ : ٣١٧ وما بعدها) من كلمة له يخاطب بها ابنتيه ، حين حضرته الوفاة ، قال :

تمنى ابنتاى أن يعيش أبوهما وما أنا إلا من ربيعة أو مضر
فقوما فقولا بالذى تعلمانه ولا تخمشا وجها ولا تحلقا شعر
وقولا هو المرء الذى لا صديقه أضاع ولا خان الخليل ولا غدر
إلى الحول ثم اسم السلام عليكما ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر

ويستشهد النحويون بالبيت ، على أن لفظ « اسم » مقحم عند بعض النحاة . قال ابن جنى فى الخصائص : هذا قول أبى عبيدة ؛ وكذلك قال فى باسم الله .

وقال السهيلى : لم يرد الشاعر إيقاع التسليم عليهما لحينه ، وإنما أراده بعد الحول ، فلو قال : ثم السلام عليكما ، لكان مسلما فى وقته ، الذى نطق به فى البيت ، فلذا ذكر الاسم ، وانظر تفصيل الكلام على البيت فى الخزانة . وقد استشهد به الطبرى على زيادة لفظ « اسم » كما قال أبو عبيدة .

(٢) تغشاهم : غطاهم ، والسبل : المطر . والمنهمر : الغزير . والبيت شاهد على أن لفظ « مثل » زائد . يريد : وقتلى كرام كالجذوع . ولم أجد البيت فى شعراء النصرانية .

(٣) البيت لأمية بن أبى الصلت الثقفى (ديوانه طبعة ليبسج ص ٢٩) وقد أشار فى هامشه إلى رواية الطبرى هذه ، وفى متنه « رجل » فى موضع « زحل » .

قال : فقال تحت رجل يمينه ، كأنه قال : تحت رجْله ، أو تحت رجله اليمنى ؛ قال : وقول لبيد :

أضَلَّ صِوَارَهُ وتَضَيَّفَتْهُ نَطوفٌ أمْرُها بِيَدِ الشِّمَالِ [١]

كأنه قال : أمرها بالشِّمال ، وإلى الشِّمال ؛ وقول لبيد أيضا :

حتى إذا أَلْقَتْ يَدًا فى كافرٍ [٢]

فكأنه قال : حتى وقعت فى كافر . وقال آخر منهم : هو من المكفوف عن خبره ، قال : والعرب تفعل ذلك .

قال : وله معنى آخر : للذين استجابوا لربهم الحسنى ، مَثَلُ الجنة ، موصول صفة لها على الكلام الأوّل .

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب : أن يقال ذكر المثل ، فقال مَثَل الجنة ، والمراد الجنة ، ثم وصفت الجنة بصفتها ، وذلك أن مثلها إنما هو صفتها ، وليست صفتها شيئا غيرها . وإذا كان ذلك كذلك ، ثم ذكر المثل ، فقيل : مثل الجنة ، ومثلها صفتها وصفة الجنة ، فكان وصفها كوصف المثل ، وكان كأن الكلام جرى بذكر الجنة ، فقيل : الجنة تجرى من تحتها الأنهار ، كما قال الشاعر :

أرَى مَرَّ السِّنِينَ أخَذْنَ مِنِّى كمَا أخَذَ السِّرارُ مِنَ الهِلالِ [٣]

فذكر المرّ ، ورجع فى الخبر إلى السنين .

وقوله (أُكُلُها دائمٌ وظِلُّها) يعنى : ما يؤكل فيها . يقول : هو دائم لأهلها ، لاينقطع عنهم ، ولا يزول ، ولا يبيد ، ولكنه ثابت إلى غير نهاية . وظلها : يقول : وظلها أيضا دائم ، لأنه لاشمس فيها .

(تِلكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا) يقول : هذه الجنة التى وصف جلّ ثناؤه ، عاقبة الذين اتقوا الله ، فاجتنبوا معاصيه ، وأدّوا فرائضه .

وقوله (وَعُقْبَى الكافِرِينَ النَّارُ) يقول : وعاقبة الكافرين بالله النار .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَالَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ ، وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُ ، قُلْ : إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِ ، إِلَيْهِ أَدْعُوا ، وَإِلَيْهِ مَئَابِ (٣٦)

---

(١) البيت للبيد فى ديوانه (رواية الطوسى طبعة فينا سنة ١٨٨٠) قال فى (١ : ١١٢) . أضل هذا الناشط بقرة . وتضيفته : نزلت به . ونطوف : سحابة تنطف بالماء ، أمرها بيد الشمال : أراد البرد والمطر . قال أبو عمرو : نطوف : سحابة تسيل قليلا قليلا . والصوار : قطيع بقر الوحش . يقول : أضله فلم يدر كيف أخذ ، وبقى فردا . وقوله تضيفته نطوف : هذا مثل ، أى نزلت به منزل الضيف نطوف سائلة ، وهى سحابة تمطر ، أمرها بيد الشمال ، بإذن الله .

(٢) هذا صدر بيت للبيد بن ربيعة ، من معلقته المشهورة (جمهرة أشعار العرب لمحمد بن أبى الخطاب القرشى ص ٧٢) وتمامه : « وأجن عورات الثغور ظلامها » . وقال الزوزنى فى شرحه للمعلقات السبع : الكافر : الليل ، سمى به لكفره الأشياء ، أى لستره ، والكفر : الستر . والإجنان الستر أيضا . والثغر : موضع المخافة ، والجمع : الثغور ، وعورته : أشد مخافة . يقول : حتى إذا ألقت الشمس يدها فى الليل ، أى ابتدأت فى الغروب ، وعبر عن هذا المعنى بإلقاء اليد ، لأن من ابتدأ بالشىء قيل ألقى يده فيه ، وستر الظلام مواضع المخافة . والضمير الذى بعد ظلامها : للعورات . وتحرير المعنى : حتى إذا غربت الشمس ، وأظلم الليل .

(٣) البيت سبق الاستشهاد به وشرحه ، فى الجزء الثانى عشر من هذه الطبعة ، فراجعه ثمة (١٢ : ١٥٧) .

* يقول تعالى ذكره : والذين أنزلنا إليهم الكتاب ممن آمن بك واتبعك يا محمد (يَفْرَحُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ) منه (وَمِنَ الأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ) يقول : ومن أهل الملل المتحزّبين عليك ، وهم أهل أديان شتى ، من يُنكر بعض ما أنزل إليك ، فقل لهم (إِنَّمَا أُمِرْتُ) أيها القوم (أَنْ أَعْبُدَ اللهَ) وحده ، دون ماسواه (وَلا أُشْرِكَ بِهِ) : فأجعل له شريكا فى عبادتى ، فأعبد معه الآلهة والأصنام ، بل أخلص له الدين حنيفا مسلما (إِلَيْهِ أَدْعُو) يقول : إلى طاعته ، وإخلاص العبادة له ، أدعو الناس (وَإِلَيْهِ مَآبِ) يقول : وإليه مَصِيري ، وهو مَفْعَل ، من قول القائل : آب يئوب أوبا و مَآبا .

وبنحو ما قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ) أولئك أصحاب محمد ، صلى الله عليه وسلم ، فرحوا بكتاب الله وبرسوله وصدّقوا به . قوله (وَمِنَ الأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ) يعنى اليهود والنصارى .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَمِنَ الأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ) قال : من أهل الكتاب .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد مثله .

حدثنى القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله (وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ ، وَمِنَ الأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ) من أهل الكتاب ، والأحزاب : أهل الكُتب ، تفريقهم لحزبهم . قوله (وَإِنْ يَأْتِ الأَحْزَابُ) قال : لتحزّبهم على النبىّ صلى الله عليه وسلم . قال ابن جريج ، وقال عن مجاهد (يُنْكِرُ بَعْضَهُ) قال : بعض القرآن .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَإِلَيْهِ مَآبِ) : وإليه مصير كلّ عبد .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ) قال : هذا مَن آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل الكتاب ، فيفرحون بذلك ، وقرأ (وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ لا يُؤْمِنُ بِهِ) ، وفى قوله (وَمِنَ الأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ) قال : الأحزاب : الأمم اليهود والنصارى والمجوس ، منهم من آمن به ، ومنهم من أنكره .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ، وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ، مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا وَاقٍ (٣٧)

⁂ يقول تعالى ذكره : وكما أنزلنا عليك الكتاب يا محمد ، فأنكره بعض الأحزاب ، كذلك أيضا أنزلنا الحكم والدين حكما عربيا ، وجعل ذلك عربيا ، ووصفه به ، لأنه أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم وهو عربىّ ، فنسب الدين إليه ، إذ كان عليه أُنزل ، فكذّب به الأحزاب ، ثم نهاه جلّ ثناؤه عن ترك ما أنزل إليه ، واتباع الأحزاب ، وتهدّده على ذلك إن فعله ، فقال : ولئن اتبعت يامحمد أهواءهم ، أهواء هؤلاء الأحزاب ، ورضاهم ومحبتهم ، وانتقلت من دينك إلى دينهم ، مالك مَنْ يقيك عذاب الله إن عذّبك على اتباعك أهواءهم ، ومالك من ناصر ينصرك ، فيستنقذك من الله إن هو عاقبك ، يقول : فاحذر أن تتبع أهواءهم .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً ، وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ ، لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ (٣٨)

⁂ يقول تعالى ذكره (وَلَقَدْ أَرْسَلْنا) يا محمد (رُسُلاً مِنْ قَبْلِكَ) إلى أمم قد خلَت من قبل أمتك ، فجعلناهم بشَرا مثلك ، لهم أزواج : ينكحون . وذرّية : أنسلوهم ، ولم نجعلهم ملائكة لايأكلون ولا يشربون ، ولا يَنكِحون ، فنجعلَ الرسول إلى قومك من الملائكة مثلهم ، ولكن أرسلنا إليهم بشرا مثلهم ، كما أرسلنا إلى مَن قبلهم من سائر الأمم بشرا مثلهم . (وَما كانَ لِرَسُولٍ أنْ يَأْتِيَ بآيَةٍ إلاّ بإذْنِ اللهِ) : يقول تعالى ذكره : وما يقدر رسول أرسله الله إلى خلقه ، أن يأتى أمته بآية وعلامة ، من تسيير الجبال ، ونقل بلدة من مكان إلى مكان آخر ، وإحياء الموتى ، ونحوها من الآيات ، إلا بإذن الله ، يقول : إلا بأمر الله الجبالَ بالسير ، والأرضَ بالانتقال ، والميتَ بأن يحيا (لِكُلّ أجَلٍ كِتابٌ) يقول : لكلّ أجَل : أَمْرٍ قضاه الله . كتاب : قد كتبه ، فهو عنده . وقد قيل : معناه : لكل كتاب أنزله الله من السماء أجل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق بن يوسف ، عن جُويبر ، عن الضحاك ، فى قوله (لِكُلّ أجَلٍ كِتابٌ) يقول : لكلّ كتاب ينزل من السماء أجل ، فيمحو الله من ذلك مايشاء ويثبت ، وعنده أم الكتاب .

⁂ قال أبو جعفر : وهذا على هذا القول ، نظير قول الله : (وجاءَتْ سَكْرَةُ المَوْت بالحَقّ) وكان أبو بكر رضى الله عنه يقول : (وَجاءَتْ سَكْرَةُ الحَقّ بالمَوْتِ) ؛ وذلك أن سكرة الموت تأتى بالحقّ ، والحقّ يأتى بها ، فكذلك الأجل له كتاب ، وللكتاب أجل .

القول فى تأويل قوله تعالى

يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ ، وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ (٣٩)

⁂ اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك ، فقال بعضهم : يمحو الله ما يشاء من أمور عباده ، فيغيّره ، إلا الشقاء والسعادة ، فإنهما لايغيران .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا بحر بن عيسى ، عن ابن أبي ليلى ، عن المنهال ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، في قوله (يَمْحُو اللهُ ما يَشاءُ وَيُثْبِتُ، وَعِنْدَهُ أُمُّ الكِتابِ) قال : يدبر الله أمر العباد ، فيمحو ما يشاء ، إلا الشقاءَ والسعادة والموت .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا ابن أبي ليلى ، عن المنهال بن عمرو ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، في قوله (يَمْحُوا اللهُ ما يَشاءُ وَيُثْبِتُ، وَعِنْدَهُ أُمُّ الكِتابِ) قال: كلّ شيء غير السعادة والشقاء ، فإنهما قد فُرِغ منهما .

حدثني عليّ بن سهل ، قال : ثنا يزيدُ ، وحدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، عن سفيان ، عن ابن أبي ليلى ، عن المنهال ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس يقول (يَمْحُوا اللهُ ما يَشاءُ وَيُثْبِتُ ، وَعِنْدَهُ أُمُّ الكتابِ) قال : إلا الشقاء والسعادة ، والموت والحياة .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو نعيم الفضل بن دُكَين وقبيصة ، قالا : ثنا سفيان ، عن ابن أبي ليلى ، عن المنهال بن عمرو ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس مثله .

حدثنا عمرو بن عليّ ، قال : ثنا وكيع ، قال : ثنا ابن أبي ليلى ، عن المنهال بن عمرو ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قوله (يَمْحُوا اللهُ ما يَشاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الكِتابِ) قال : قال ابن عباس : إلا الحياة والموت ، والشقاء والسعادة .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن ابن أبي ليلى ، عن المنهال بن عمرو ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، في قوله (يَمْحُوا اللهُ ما يَشاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الكتابِ) قال : يقدر الله أمر السنة في ليلة القدر ، إلا الشقاء والسعادة ، والموت والحياة .

حدثنا عمرو بن عليّ ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، في قوله (يَمْحُوا اللهُ ما يَشاءُ وَيُثْبِتُ) قال : إلا الحياة والموت ، والسعادة والشقاوة ، فإنهما لا يتغيران .

حدثنا عمرو ، قال ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا معاذ بن عقبة ، عن منصور ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، مثله .

قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، قال : قلت لمجاهد : إن كنتَ كتبتني سعيدا فأثبتني ، وإن كنتَ كتبتني شقيا فامحني ، قال : الشقاء والسعادة قد فُرِغ منهما .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ؛ قال : ثنا سعيد بن سلمان ، قال : ثنا شريك ، عن منصور ، عن مجاهد (يَمْحُوا اللهُ ما يَشاءُ ويُثْبِتُ) قال : ينزل الله كلّ شيء في السنة في ليلة القدر ، فيمحو ما يشاء من الآجال والأرزاق والمقادير ، إلا الشقاء والسعادة ، فإنهما ثابتان .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، قال : سألت مجاهدا فقلت : أرأيت دعاء أحدنا

يقول : اللهمّ إن كان اسمى فى السعداء فأثبته فيهم ، وإن كان فى الأشقياء فامحُه منهم ، واجعله فى السعداء ، فقال : حسن . ثم أتيته بعد ذلك بحوْل أو أكثر من ذلك ، فسألته عن ذلك ، فقال (إنَّا أنْزَلْناهُ فِى لَيْلَةٍ مُبارَكَةٍ ، إنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ ، فِيها يُفْرَقُ كُلُّ أمْرٍ حَكِيمٍ) قال : يُقْضَى فى ليلة القدر ، مايكون فى السنة من رزق أو مصيبة ، ثم يقدّم مايشاء ، ويؤخّر مايشاء . فأما كتاب الشقاء والسعادة ، فهو ثابت لايُغَيَّر .

وقال آخرون : معنى ذلك : أن الله يمحو ما يشاء ويُثبت من كتاب سوى أمّ الكتاب الذى لايغير منه شىء .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا الحجاج ، قال : ثنا حماد ، عن سليمان التيمىّ ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : أنه قال فى هذه الآية : (يَمْحُوا اللهُ ما يَشاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الكتابِ) قال : كتابان : كتاب يمحو منه ما يشاء ويثبت ، وعنده أمّ الكتاب .

حدثنا عمرو بن علىّ ، قال : ثنا سهل بن يوسف ، قال : ثنا سليمان التيمىّ ، عن عكرمة ، فى قوله (يَمْحُوا اللهُ ما يَشاءُ ويُثْبِتُ ، وَعِنْدَهُ أُمُّ الكتابِ) قال : الكتاب كتابان ، كتاب يمحو الله منه ما يشاء ويثبت ، وعنده أمّ الكتاب .

قال : ثنا أبو عامر ، قال : ثنا حماد بن سلمة ، عن سليمان التيمىّ ، عن عكرمة ، عن ابن عباس بمثله .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر بن سليمان ، عن أبيه ، عن عكرمة ، قال : الكتاب كتابان (يَمْحُوا اللهُ مايَشاءُ ويُثْبِتُ ، وَعِنْدَهُ أُمُّ الكِتابِ) .

وقال آخرون : بل معنى ذلك أنه يمحو كلّ ما يشاء ، ويثبت كلّ ما أراد .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عَثّام ، عن الأعمش ، عن شقيق أنه كان يقول : اللهمّ إن كنتَ كتبتنا أشقياء ، فامحنا واكتبنا سعداء ، وإن كنتَ كتبتنا سعداء فأثبتنا ، فإنك تمحو ما تشاء وتثبت ، وعندك أمّ الكتاب .

حدثنا عمرو ، قال : ثنا وكيع ، قال : ثنا الأعمش ، عن أبى وائل ، قال : كان مما يَكْثُر أن يدعوَ بهؤلاء الكلمات : اللهمّ إن كنتَ كتبتنا أشقياء فامحنا ، واكتبنا سعداء ، وإن كنتَ كتبتنا سعداء فأثبتنا ، فإنك تمحو ما تشاء وتثبت ، وعندك أمّ الكتاب .

قال : ثنا معاذ بن هشام ، قال : ثنا أبى ، عن أبى حكيمة ، عن أبى عثمان النهدىّ ، أن عمر بن الخطاب قال : وهو يطوف بالبيت ويبكى : اللهمّ إن كنتَ كتبتَ علىّ شِقوة أو ذنبا فامحه ، فإنك تمحو ما تشاء وتثبت ، وعندك أمّ الكتاب ، فاجعله سعادة ومغفرة .

قال : ثنا معتمر ، عن أبيه ، عن أبى حكيمة ، عن أبى عثمان ، قال : وأحسبنى قد سمعته من أبى عثمان ، مثله .

قال : ثنا أبو عامر ، قال : ثنا قُرَّة بن خالد ، عن عِصْمة بن أبي حكيمة ، عن أبي عثمان النهدىّ ، عن عمر رضى الله عنه ، مثله .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا الحجاج ، قال : ثنا حماد ، قال : ثنا أبو حكيمة ، قال : سمعت أبا عثمان النهدىّ ، قال : سمعت عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول وهو يطوف بالكعبة : اللهمّ إن كنتَ كتبتنى فى أهل السعادة ، فأثبتنى فيها ، وإن كنتَ كتبتَ علىّ الذنب والشقوة ، فامحنى وأثبتنى فى أهل السعادة ، فإنك تمحو ما تشاء وتثبت ، وعندك أمّ الكتاب .

قال : ثنا الحجاج بن المنهال ، قال : ثنا حماد ، عن خالد الحذّاء ، عن أبى قِلابة ، عن ابن مسعود ، أنه كان يقول : اللهمّ إن كنتَ كتبتنى فى أهل الشقاء فامحنى ، وأثبتنى فى أهل السعادة .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (يَمْحُوا اللهُ ما يَشاءُ وَيُثْبِتُ ، وَعِنْدَهُ أُمُّ الكِتابِ) يقول : هو الرجل يعمل الزمانَ بطاعة الله ، ثم يعود لمعصية الله ، فيموت على ضلاله ، فهو الذى يمحو . والذى يثبت : الرجلُ يعمل بمعصية الله ، وقد كان سبق له خير ، حتى يموت وهو فى طاعة الله ، فهو الذى يثبت .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا شريك ، عن هلال بن حميد ، عن عبد الله بن حكيم ، عن عبد الله ، أنه كان يقول : اللهمّ إن كنتَ كتبتنى فى السعداء ، فأثبتنى فى السعداء ، فإنك تمحو ما تشاء وتثبت ، وعندك أُم الكِتابِ .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا الحجاج ، قال : ثنا حماد ، عن أبى حمزة ، عن إبراهيم ، أن كعبا قال لعمر رضى الله عنه : يا أمير المؤمنين ، لولا آية فى كتاب الله ، لأنبأتك ما هو كائن إلى يوم القيامة . قال : وما هى ؟ قال : قول الله (يَمْحُوا اللهُ ما يَشاءُ وَيُثْبِتُ ، وَعِنْدَهُ أُمُّ الكِتابِ) .

حُدِّثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، فى قوله (لِكُلِّ أجَلٍ كِتابٌ) . . . الآية ، يقول (يَمْحُوا اللهُ ما يَشاءُ) يقول : أنسخ ماشئتُ ، وأصنع من الأفعال ما شئت ، إن شئت زدت فيها ، وإن شئتُ نقصتُ .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عفان ، قال : ثنا همام ، قال : ثنا الكلبىّ ، قال (يَمْحُوا الله مايَشاءُ وَيُثْبِتُ) قال : يَمْحَى من الرزق ويزيد فيه ، ويَمْحَى من الأجل ، ويزيد فيه . قلت : من حدّثك قال : أبو صالح ، عن جابر بن عبد الله بن رِئاب الأنصارىّ ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فقدم الكلبىّ بعدُ ، فسُئل عن هذه الآية (يَمْحُوا اللهُ مايَشاءُ وَيُثْبِتُ) قال : يكتب القول كله ، حتى إذا كان يوم الخميس ، طرح منه كلّ شىء ليس فيه ثواب ، ولا عليه عقاب ، مثل قولك : أكلت ، شربت ، دخلت ، خرجت ، ونحو ذلك من الكلام ، وهو صادق ، ويُثبت ما كان فيه الثواب ، وعليه العقاب .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا عبد الوهاب ، قال : سمعت الكلبىّ ، عن أبى صالح نحوه ، ولم يجاوز أباصالح .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : أن الله ينسخ مايشاء من أحكام كتابه ، ويثبت مايشاء منها ، فلا ينسخه .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس (يَمْحُوا اللهُ مايَشاءُ) قال : من القرآن ، يقول يبدّل الله مايشاء ، فينسخه ، ويُثبت مايشاء ، فلا يبدّله (وَعِنْدَهُ أُمُّ الكِتابِ) يقول : وجملة ذلك عنده فى أمّ الكتاب : الناسخ والمنسوخ ، وما يُبدل وما يثبت ، كل ذلك فى كتاب .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يَمْحُوا اللهُ ما يَشاءُ ويُثْبِتُ) : هى مثل قوله (ما نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أوْ نُنْسِها نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْها أوْ مِثْلِها) ، وقوله (وَعِنْدَهُ أُمُّ الكِتابِ) : أى جملة الكتاب وأصله .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (يَمْحُوا اللهُ ما يَشاءُ وَيُثْبِتُ) ما يشاء ، وهو الحكيم (وَعِنْدَهُ أُمُّ الكِتابِ) وأصله .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (يَمْحُوا اللهُ ما يَشاءُ) بما ينزل على الأنبياء . (وَيُثْبِتُ) مايشاء : مما ينزل على الأنبياء ، قال (وَعِنْدَهُ أُمُّ الكِتابِ) لايغير ولا يبدّل .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جريج (يَمْحُوا اللهُ مايَشاءُ) قال : ينسخ ، قال (وَعِنْدَهُ أُمُّ الكِتابِ) قال : الذكر .

وقال آخرون : معنى ذلك ، أنه يمحو من قد حان أجله ، ويثبت من لم يجىء أجله إلى أجله .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا ابن أبى عدىّ ، عن عوف ، عن الحسن ، فى قوله (يَمْحُوا اللهُ مايشاءُ ويُثْبِتُ ، وَعِنْدَهُ أُمُّ الكِتابِ) يقول : يمحو من جاء أجله فذهب ، والمثبت الذى هو حىّ يجرى إلى أجله .

حدثنا عمرو بن علىّ ، قال : ثنا يحيى ، قال : ثنا عوف ، قال : سمعت الحسن (يَمْحُوا اللهُ مايَشاءُ) قال : من جاء أجله (وَيُثْبِتُ) قال : من لم يجىء أجله إلى أجله .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا هَوْذة ، قال : ثنا عوف ، عن الحسن ، نحو حديث ابن بشّار ؛ قال : ثنا عبد الوهاب بن عطاء ، قال : أخبرنا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن ، فى قوله (لِكُلِّ أجَلٍ كِتابٌ) قال : آجال بنى آدم فى كتاب . (يَمْحُوا اللهُ مايَشاءُ) من أجله ، (وَيُثْبِتُ ، وَعِنْدَهُ أُمُّ الكِتابِ) .

قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قول الله (يَمْحُوا اللهُ مايَشاءُ وَيُثْبِتُ) قالت قريش حين أُنزل (وَما كانَ لِرَسُولٍ أنْ يَأْتِىَ بِآيَةٍ إلاَّ بإذْنِ اللهِ) ما نراك يا محمد تملك من شىء ، ولقد فُرِغ من الأمر ، فأنزلت هذه الآية ، تخويفا ووعيدا لهم ، إنا إن شئنا أحدثنا له من

أمرنا ما شئنا ، ونحدث فى كلّ رمضان ، فنمحو ونُثبت ما نشاء من أرزاق الناس ومصائبهم ، وما نعطيهم ، وما نقسم لهم .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد نحوه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، نحوه .

وقال آخرون : معنى ذلك : ويغفر ما يشاء من ذنوب عباده ، ويترك ما يشاء فلا يغفر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عمرو ، عن عطاء ، عن سعيد ، فى قوله (يَمْحُوا اللهُ ما يَشاءُ وَيُثْبِتُ) قال : يُثبت فى البطن الشقاء والسعادة وكلّ شىء ، فيغفر منه مايشاء ، ويؤخر مايشاء .

⁂ وأولى الأقوال التى ذكرت فى ذلك بتأويل الآية ، وأشبهها بالصواب : القول الذى ذكرناه عن الحسن ومجاهد ، وذلك أن الله تعالى ذكره ، توعد المشركين الذين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الآيات ، بالعقوبة ، وتهدّدهم بها ، وقال لهم : (وَما كانَ لِرَسُولٍ أنْ يَأْتِيَ بآيَةٍ إلاّ بإذْنِ اللهِ ، لِكُلِّ أجَلٍ كِتابٌ) يُعْلمهم بذلك أن لقضائه فيهم أجلا مثبتا فى كتاب ، هم مؤخرون إلى وقت مجىء ذلك الأجل ، ثم قال لهم : فإذا جاء ذلك الأجل ، يجىء الله بما شاء ، ممن قد دنا أجله ، وانقطع رزقه ، أو حان هلاكه ، أو اتضاعه من رفعة ، أو هلاك مال ، فيقضى ذلك فى خلقه ، فذلك محوُه ؛ ويُثبت ماشاء ممن بقى أجله ورزقه وأكله ، فيتركه على ماهو عليه ، فلا يمحوه ، وبهذا المعنى جاء الأثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وذلك ما حدثنى محمد بن سهل بن عسكر ، قال : ثنا ابن أبى مريم ، قال : ثنا الليث بن سعد ، عن زيادة بن محمد ، عن محمد بن كعب القُرَظىّ ، عن فضالة بن عبيد ، عن أبى الدرداء ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنّ اللهَ يَفْتَحُ الذّكْرَ فِى ثَلاثِ ساعاتٍ يَبْقَيْنَ مِنَ اللّيْلِ ، فِى السّاعَةِ الأُولى مِنْهُنّ ، يَنْظُرُ فِى الكِتابِ الّذِى لا يَنْظُرُ فِيهِ أحَدٌ غَيْرُهُ ، فَيَمْحُو ما يَشاءُ وَيُثْبِتُ » ، ثم ذكر ما فى الساعتين الآخرتين .

حدثنا موسى بن سهل الرملىّ ، قال : ثنا آدم ، قال : ثنا الليث ، قال : ثنا زيادة بن محمد ، عن محمد بن كعب القُرظىّ ، عن فضالة بن عبيد ، عن أبى الدرداء ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنّ اللهَ يَنْزِلُ فِى ثَلاثِ ساعاتٍ يَبْقَيْنَ مِنَ اللّيْلِ ، يَفْتَحُ الذّكْرَ فِى السّاعَةِ الأُولى ، الّذِى لَمْ يَرَهُ أحَدٌ غَيْرُهُ ، يَمْحُو ما يَشاءُ وَيُثْبِتُ ما يَشاءُ » .

حدثنى محمد بن سهل بن عسكر ، قال : ثنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن جريج ، عن عطاء ، عن ابن عباس ، قال : إن لله لوحا محفوظا ، مسيرة خَمْس مِئة عام ، من درّة بيضاء ، لها دَفتان من ياقوت ، والدّفتان : لوحان لله ، كل يوم ثلاث مئة وستون لحظة ، يمحو ما يشاء ويثبت ، وعنده أمّ الكتاب .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، قال : ثنا المعتمر بن سليمان ، عن أبيه ، قال : ثنى رجل ، عن أبيه ، عن قيس بن عباد ، أنه قال : العاشر من رجب ، هو يوم يمحو الله فيه مايشاء .

القول فى تأويل قوله تعالى

(وَعِنْدَهُ أُمُّ الكِتابِ) :

اختلف أهل التأويل ، فى تأويل قوله (وَعِنْدَهُ أُمُّ الكِتابِ) فقال بعضهم : معناه : وعنده الحلال والحرام .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا مسلم بن إبراهيم ، قال : ثنا محمد بن عقبة ، قال : ثنا مالك بن دينار ، قال : سألت الحسن : قلت (أُمُّ الكِتابِ) قال : الحلال والحرام ، قال : قلت : فما الحمد لله ربّ العالمين ؟ قال : هذه أمّ القرآن .

وقال آخرون : معناه : وعنده حملة الكتاب وأصله .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَعِنْدَهُ أُمُّ الكِتابِ) قال : جملة الكتاب وأصله .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، مثله .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله : (وَعِنْدَهُ أُمُّ الكِتابِ) قال : كتاب عند ربّ العالمين .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق بن يوسف ، عن جويبر ، عن الضحاك (وَعِنْدَهُ أُمُّ الكِتابِ) قال : جملة الكتاب وعلمه ، يعنى بذلك ما ينسخ منه وما يثبت .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس (وَعِنْدَهُ أُمُّ الكِتابِ) يقول : وجملة ذلك عنده فى أمّ الكتاب : الناسخ والمنسوخ ، وما يبدّل ، وما يثبت ، كلّ ذلك فى كتاب .

وقال آخرون فى ذلك : ما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا معتمر بن سليمان ، عن أبيه ، عن شيبان ، عن ابن عباس ، أنه سأل كعبا عن أمّ الكتاب ، قال : علم الله ما هو خالق ، وما خلقه عاملون ، فقال لعلمه : كن كتابا ، فكان كتابا .

وقال آخرون : هو الذكر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج . قال أبو جعفر : لاأدرى فيه ابن جريج أم لا ، قال : قال ابن عباس (وَعِنْدَهُ أُمُّ الكِتابِ) قال : الذكر .

⁂ وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب : قول من قال : وعنده أصل الكتاب وجملته ، وذلك أنه تعالى ذكره أخبر أنه يمحو مايشاء ، ويثبت مايشاء ، ثم عقب ذلك بقوله (وَعِنْدَهُ أُمُّ الكِتابِ) فكان بَيِّنا أن معناه : وعنده أصل المثبَت منه والممحو ، وجملته فى كتاب لديه .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (وَيُثْبِتُ) فقرأ ذلك عامة قرّاء المدينة والكوفة (ويُثَبِّتُ)، بتشديد الباء، بمعنى : ويتركه ويقرّه على حاله ، فلا يمحوه . وقرأه بعض المكيين وبعض البصريين ، وبعض الكوفيين (وَيُثْبِتُ) بالتخفيف، بمعنى : يكتب . وقد بيّنا قبلُ أن معنى ذلك عندنا : إقراره مكتوبا ، وترك محوه على ما قد بيّنا ، فإذا كان ذلك كذلك، فالتثبيت به أولى ، والتشديد أصوب من التخفيف ، وإن كان التخفيف قد يحتمل توجيهه فى المعنى إلى التشديد ، والتشديد إلى التخفيف ، لتقارب معنييهما .

وأما المحْو ، فإن للعرب فيه لغتين : فأما مُضَر فإنها تقول : محوت الكتاب أمحوه محوا ، وبه التنزيل، ومحوته أمحاه محوا . وذُكر عن بعض قبائل ربيعة : أنها تقول : مَحَيْت أمحِي .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ، فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ، وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ (٤٠)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : وإما نرينك يا محمد فى حياتك بعض الذي نعد هؤلاء المشركين بالله، من العقاب على كفرهم، أو نتوفيّنك قبل أن نريك ذلك، فإنما عليك أن تنتهى إلى طاعة ربك، فيما أمرك به من تبليغهم رسالتَه ، لاطلبِ صلاحهم ولا فسادهم ، وعلينا محاسبتهم ، فمجازاتهم بأعمالهم ، إن خيرا فخير ، وإن شرّا فشرّ .

القول فى تأويل قوله تعالى

أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ، وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٤١)

اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معناه : أو لم ير هؤلاء المشركون من أهل مكة ، الذين يسألون محمدا الآيات، أنا نأتى الأرض ، فنفتحها له أرضا بعد أرض ، حَوَالى أرضهم ، أفلا يخافون أن نفتح له أرضهم ، كما فتحنا له غيرها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا محمد بن الصباح ، قال : ثنا هشيم ، عن حصين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، فى قوله (أَنَّا نَأْتِي الأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا) قال : أو لم يروا أنا نفتح لمحمد الأرض بعد الأرض .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله (أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا) يعنى بذلك : ما فتح الله على محمد ، يقول : فذلك نقصانها .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سلمة بن نُبيط ، عن الضحاك ، قال : ما تغلبت عليه من أرض العدوّ .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، قال : كان الحسن يقول فى قوله : (أوَلَمْ يَرَوْا أنَّا نَأْتِى الأرْضَ نَنْقُصُها مِنْ أطْرَافِها) فهو ظهور المسلمين على المشركين .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله : (أوَلَمْ يَرَوْا أنَّا نَأْتِى الأرْضَ نَنْقُصُها مِنْ أطْرَافِها) يعنى أن نبىّ الله صلى الله عليه وسلم كان يُنْتقص له ماحوله من الأرضين ، ينظرون إلى ذلك ، فلا يعتبرون ، قال الله فى سورة الأنبياء : (نَأْتِى الأرْضَ نَنْقُصُها مِنْ أطْرَافِها ، أفَهُمُ الغالِبُونَ ؟) بل نبىّ الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه هم الغالبون .

وقال آخرون : بل معناه : أو لم يروا أنا نأتى الأرض فنُخَرِّبها ، أوَ لايخافون أن نفعل بهم وبأرضهم مثل ذلك ، فنهلكهم ، ونُخْرِب أرضهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا علىّ بن عاصم ، عن حصين بن عبد الرحمن ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، فى قوله (أنَّا نَأْتِى الأرْضَ نَنْقُصُها مِنْ أطْرَافِها) قال : أوَلَمْ يَرَوْا إلى القرية تَخْرَب ، حتى يكون العمران فى ناحية .

قال : ثنا حجاج بن محمد ، عن ابن جريج ، عن الأعرج ، أنه سمع مجاهدا يقول (نَأْتِى الأرْضَ نَنْقُصُها من أطْرَافِها) قال : خرابها .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن الأعرج ، عن مجاهد ، مثله . قال : وقال ابن جريج : خرابُها وهلاكُ الناس .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبى جعفر الفراء ، عن عكرمة ، قوله (أوَلَمْ يَرَوْا أنَّا نَأْتِى الأرْضَ نَنْقُصُها مِنْ أطْرَافِها) قال : نخرّب من أطرافها .

وقال آخرون : بل معناه : ننقص من بركتها وثمرتها وأهلها ، بالموت .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (نَنْقُصُها مِنْ أطْرَافِها) يقول : نقصان أهلها وبركتها .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن ليث ، عن مجاهد ، فى قوله (نَنْقُصُها مِنْ أطْرافِها) قال : فى الأنفس وفى الثمرات ، وفى خراب الأرض .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن طلحة القناد ، عمن سمع الشعبىّ ، قال : لو كانت الأرض تنقص ، لضاق عليك حُشك ، ولكن تنقص الأنفس والثمرات .

وقال آخرون: معناه : أنا نأتى الأرض ننقصها من أهلها ، فنتطرّفهم ، بأخذهم بالموت .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن محمد ، قال: ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (نَنْقُصُها مِنْ أطْرافِها) قال : موت أهلها .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (أَلَمْ يَرَوْا أنَّا نَأْتِى الأرْضَ نَنْقُصُها مِنْ أطْرَافِها) قال : الموت .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا مسلم بن إبراهيم ، قال: ثنا هارون النحوىّ ، قال : ثنا الزُّبير بن الحارث عن عكرمة ، فى قوله (نَنْقُصُها مِنْ أطْرَافِها) قال : هو الموت ، ثم قال : لو كانت الأرض تنقص، لم نجد مكانا نجلس فيه .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال: ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (نَأْتِى الأرْضَ نَنْقُصُها مِن طَرَفَيْها) قال : كان عكرمة يقول : هو قبض الناس .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال: سئل عكرمة ، عن نقص الأرض قال : قَبْض الناس .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا جرير بن حازم ، عن يعلى بن حكيم ، عن عكرمة، فى قوله: (أوَلَمْ يَرَوْا أنَّا نَأْتِى الأرْضَ نَنْقُصُها مِنْ أطْرَافِها) قال: لو كان كما يقولون ، لما وجد أحدكم جُبّا يخرأ فيه .

حدثنا الفضل بن الصباح ، قال: ثنا إسماعيل بن عُلَيَة ، عن أبى رجاء ، قال: سئل عكرمة وأنا أسمع عن هذه الآية (أوَلَمْ يَرَوْا أنَّا نَأْتِى الأرْضَ نَنْقُصُها مِنْ أطْرافِها) قال : الموت .

وقال آخرون : ننقصها من أطرافها : بذهاب فقهائها وخيارها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا طلحة بن عمرو ، عن عطاء ، عن ابن عباس ، قال : ذهاب علمائها وفقهائها وخيارِ أهلها .

قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا عبد الوهاب ، عن مجاهد ، قال : موت العلماء .

⁂ وأولى الأقوال فى تأويل ذلك بالصواب : قول من قال (أوَلَمْ يَرَوْا أنَّا نَأْتِى الأرْضَ نَنْقُصُها مِنْ أطْرَافِها): بظهور المسلمين من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم عليها، وقهرهم أهلها ، أفلا يعتبرون بذلك، فيخافون ظهورهم على أرضهم ، وقهرهم إياهم ؟ وذلك أن الله توعد الذين سألوا رسوله الآيات من مُشركى قومه بقوله (وإمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِينَ نَعِدُهُمْ أوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ ، فإنَّما عَلَيْكَ البَلاغُ وَعَلَيْنا الحِسابُ)، ثم وبّخهم تعالى ذكره، بسوء اعتبارهم، بما يعاينون من فعل الله بضُرَبائهم من الكفار، وهم مع

ذلك يسألون الآيات ، فقال : (أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا) بقهر أهلها ، والغلبة عليها ، من أطرافها وجوانبها ، وهم لايعتبرون بما يرون من ذلك .

وأما قوله (وَاللهُ يَحْكُمُ لامُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ) يقول : والله هو الذى يحكم ، فينفذ حكمه ، ويقضى ، فيمضى قضاؤه ، وإذا جاء هؤلاء المشركين بالله من أهل مكة حكم الله وقضاؤه ، لم يستطيعوا ردّه ، ويعنى بقوله (لا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ) : لارادّ لحكمه ، والمعقّب فى كلام العرب : هو الذى يَكُرّ على الشىء ، وقوله (وَهُوَ سَرِيعُ الحِسابِ) يقول : والله سريع الحساب ، يحصى أعمال هؤلاء المشركين ، لايخفى عليه شىء وهو من وراء جزائهم عليها .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ ، وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ (٤٢)

يقول تعالى ذكره : قد مكر الذين من قبل هؤلاء المشركين من قريش من الأمم التى سلفت ، بأنبياء الله ورسله ، فلله المكر جميعا : يقول : فلله أسباب المكر جميعا ، وبيده وإليه ، لايضرّ مكر من مَكَر منهم أحدا ، إلا من أراد ضرّه به ، يقول : فلم يضرّ الماكرون بمكرهم إلا من شاء الله أن يضرّه ذلك ، وإنما ضرّوا به أنفسهم ، لأنهم أسخطوا ربهم بذلك على أنفسهم ، حتى أهلكهم ، ونجّى رسلَه . يقول . فكذلك هؤلاء المشركون من قريش ، يمكرون بك يامحمد ، والله مُنجيك من مكرهم ، ومُلحق ضُرّ مكرهم بهم دونك . . وقوله (يَعْلَمُ ما تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ) يقول : يعلم ربك يا محمد ، مايعمل هؤلاء المشركون من قومك ، ومايَسْعون فيه من المكر بك ، ويعلم جميع أعمال الخلق كلهم ، لايخفى عليه شىء منها (وَسَيَعْلَمُ الكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ) يقول : وسيعلمون إذا قدموا على ربهم يوم القيامة ، لمن عاقبة الدار الآخرة ، حين يدخلون النار ، ويدخل المؤمنون بالله ورسوله الجنة .

واختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته قرّاء المدينة ، وبعض أهل البصرة (وَسَيَعْلَمُ الكافرُ) على التوحيد . وأما قرّاء الكوفة فإنهم قرءوه (وَسَيَعْلَمُ الكُفَّارُ) على الجمع .

والصواب من القراءة فى ذلك : القراءة على الجمع : « وسيعلم الكفار » ، لأن الخبر جرى قبل ذلك عن جماعتهم ، وأتبع بعده الخبر عنهم ، وذلك قوله (وإمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ) وبعده قوله (وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلاً) ، وقد ذكر أنها فى قراءة ابن مسعود (وَسَيَعْلَمُ الكافِرُونَ) ، وفى قراءة أبىّ (وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا) ، وذلك كله دليل على صحة ما اخترنا من القراءة فى ذلك .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا، قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ، وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ (٤٣)

يقول تعالى ذكره (وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا) بالله من قومك يامحمد: (لَسْتَ مُرْسَلا)، تكذيبا منهم لك، وجحودا لنبوّتك، فقل لهم إذا قالوا ذلك : (كَفَى بالله)، يقول: قل حسبى الله . (شَهِيدًا)، يعنى شاهدا بينى وبينكم، علىّ وعليكم، بصدق وكذبكم . (وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الكِتابِ) فمَن إذا قرئ كذلك : فى موضع خفض، عطفا به على اسم الله، وكذلك قرأ به قَرَأَةُ الأمصار، بمعنى : والذين عندهم علم الكتب التى نزلت قبل القرآن كالتوراة والإنجيل . وعلى هذه القراءة ، فسَّر ذلك المفسرون .

ذكر الرواية بذلك

حدثنى على بن سعيد الكِندىّ ، قال : ثنا أبو محياه يحيى بن يعلى ، عن عبد الملك بن عمير ، عن ابن أخى عبد الله بن سلام ، قال: قال عبد الله بن سلام : نزلت فىّ (كَفَى بالله شَهِيدًا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ، وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الكِتابِ) .

حدثنا الحسين بن علىّ الصُّدَائىّ ، قال : ثنا أبو داود الطيالسىّ ، قال : ثنا شعيب بن صفوان ، قال : ثنا عبد الملك بن عمير ، أن محمد بن يوسف بن عبد الله بن سلام ، قال : قال عبد الله بن سلام : أنزل فىَّ (قُلْ كَفَى بالله شَهِيدًا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الكِتابِ) .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس، قوله (قُلْ كَفَى بالله شَهِيدًا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الكتابِ) فالذين عندهم علم الكتاب : هم أهل الكتاب ، من اليهود والنصارى .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا الأشجعىّ ، عن سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد (وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الكِتابِ) قال : هو عبد الله بن سلام .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : حدثنا هشيم ، قال : أخبرنا إسماعيل بن أبى خالد ، عن أبى صالح ، فى قوله (وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الكِتابِ) قال : رجل من الإنس ، ولم يسمِّه .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الكِتابِ) : عبد الله بن سلام .

قال : ثنا يحيى بن عباد ، قال: ثنا شعبة ، عن الحكم ، عن مجاهد (وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الكتابِ)[1].

حدثنا بشر، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة، قوله (وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا: لَسْتَ مُرْسَلا) قال: قول مشركى قريش (قُلْ: كَفَى بالله شَهِيدًا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ، وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ

(١) كذا فى الأصل رقم ١٠٠ بدار الكتب المصرية ، ولم يذكر لفظ الحديث .

الكتاب) أناس من أهل الكتاب ، كانوا يشهدون بالحق ، ويقرّون به ، ويعلمون أن محمدا رسول الله ، كما يحدّث أن منهم عبد الله بن سلام .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن قتادة (وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الكِتابِ) : قال كان منهم عبد الله بن سلام ، وسلمان الفارسىّ ، وتميم الدارىّ .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا عبد الوهاب ، عن سعيد ، عن قتادة (وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الكِتابِ) قال هو عبد الله بن سلام .

وقد ذُكر عن جماعة من المتقدمين ، أنهم كانوا يقرءونه (وَمِنْ عِنْدِهِ عُلِمَ الكِتابُ) بمعنى : من عند الله علم الكتاب .

ذكر من ذُكر ذلك عنه

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عبد الوهاب بن عطاء ، عن هارون ، عن جعفر بن أبى وحشية ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس (وَمِنْ عِنْدِهِ عُلِمَ الكِتابُ) يقول : من عند الله علم الكتاب .

حدثنى محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، عن شعبة ، عن الحكم ، عن مجاهد (وَمِنْ عِنْدِهِ عُلِمَ الكِتابُ) قال : من عند الله .

قال : ثنا ابن أبى عدىّ ، عن شعبة ، عن الحكم ، عن مجاهد (وَمِنْ عِنْدِهِ عُلِمَ الكِتابُ) قال : من عند الله علم الكتاب .

وقد حدثنا هذا الحديث الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا شعبة ، عن الحكم ، عن مجاهد (وَمِنْ عِنْدِهِ عُلِمَ الكِتابُ) قال : هو الله ، هكذا قرأ الحسن (وَمِنْ عِنْدِهِ عُلِمَ الكِتابُ) .

قال : ثنا شعبة ، عن منصور بن زاذان ، عن الحسن ، مثله .

قال : ثنا علىّ ، يعنى ابن الجَعْد ، قال : ثنا شعبة ، عن منصور بن زاذان ، عن الحسن (وَمِنْ عِنْدِهِ عُلِمَ الكِتابُ) قال : اللهُ . قال شعبة : فذكرت ذلك للحَكَم ، فقال : قال مجاهد مثله .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، قال : سمعت منصور بن زاذان يحدّث عن الحسن ، أنه قال فى هذه الآية (وَمِنْ عِنْدِهِ عُلِمَ الكِتابُ) قال : مِن عند الله .

قال : ثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا هَوذة ، قال : ثنا عوف ، عن الحسن (وَمِنْ عِنْدِهِ عُلِمَ الكِتابُ) قال : من عند الله علم الكتاب .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الحسن (وَمِنْ عِنْدِهِ عُلِمَ الكِتابُ) قال : من عند الله علم الكتاب ، هكذا قال ابن عبد الأعلى .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : كان الحسن يقرؤها (قُلْ كَفَى باللهِ شَهِيدًا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ، وَمِنْ عِنْدِهِ عُلِمَ الكِتابُ) يقول : من عند الله علم الكتاب ، وجملته

هكذا ، حدثنا به بشر : علم الكتاب ، وأنا أحسبه وَهَم فيه ، وأنه (وَمِنْ عِنْدِهِ عُلِمَ الكِتابُ) لأن قوله وجملته اسم ، لا يعطف باسم على فعل ماض .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا عبد الوهاب ، عن هارون (وَمِنْ عِنْدِهِ عُلِمَ الكِتابُ) يقول : من عند الله علم الكتاب .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا الحجاج بن المنهال ، قال : ثنا أبو عوانة ، عن أبى بشر ، قال : قلت لسعيد ابن جبير (وَمِنْ عِنْدِهِ عُلِمَ الكِتابُ) أهو عبد الله بن سلام ، قال : هذه السورة مكية ، فكيف يكون عبد الله بن سلام ؟ قال : وكان يقرؤها (وَمِنْ عِنْدِهِ عُلِمَ الكِتابُ) يقول : من عند الله .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا سعيد بن منصور ، قال : ثنا أبو عوانة ، عن أبى بشر ، قال : سألت سعيد ابن جبير ، عن قول الله (وَمِنْ عِنْدِهِ عُلِمَ الكِتابُ) أهو عبد الله بن سلام ، قال : فكيف وهذه السورة مكية ، وكان سعيد يقرؤها (وَمِنْ عِنْدِهِ عُلِمَ الكِتابُ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى عباد ، عن عوف ، عن الحسن وجويبر ، عن الضحاك ابن مزاحم ، قالا (وَمِنْ عِنْدِهِ عُلِمَ الكِتابُ) قال : من عند الله .

⁂ وقد رُوى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر بتصحيح هذه القراءة وهذا التأويل ، غير أن فى إسناده نظرا . وذلك ما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى عباد بن العوّام ، عن هارون الأعور ، عن الزهرىّ ، عن سالم بن عبد الله ، عن أبيه ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم ، أنه قرأ (وَمِنْ عِنْدِهِ عُلِمَ الكِتابُ) عند الله علم الكتاب ، وهذا خبر ليس له أصل عند الثقات من أصحاب الزهرىّ ، فإذا كان ذلك كذلك ، وكانت قرّاء الأمصار من أهل الحجاز والشام والعراق على القراءة الأخرى ، وهى : (وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الكِتابِ) : كان التأويل الذى على المعنى الذى عليه قرّاء الأمصار : أولى بالصواب ممن خالفه ، إذ كانت القراءة بما هم عليه مجمعون أحقّ بالصواب .

آخر تفسير سورة الرعد ، والحمد لله صادق الوعد .

تفسير سورة إبراهيم عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى تأويل قوله تعالى

الٓرٰ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ (١)

قال أبو جعفر الطبرىّ : قد تقدم منا البيان عن معنى قوله (الرّ) فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .

وأما قوله (كِتابٌ أنْزَلْناهُ إلَيْكَ) فإن معناه : هذا كتاب أنزلناه إليك يا محمد : يعنى القرآن . (لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُماتِ إلى النُّورِ) : يقول : لتهديهم به من ظلمات الضلالة والكفر ، إلى نور الإيمان وضيائه ، وتبصر به أهل الجهل والعمى ، سبل الرشاد والهُدى . وقوله (بإذْنِ رَبِّهِمْ) يعنى : بتوفيق ربهم لهم بذلك ، ولطفه بهم (إلى صراطِ العَزِيزِ الحَمِيدِ) يعنى : إلى طريق الله المستقيم ، وهو دينه الذى ارتضاه ، وشرعه لخلقه . والحميد : فعيل ، صُرِف من مفعول إلى فعيل ، ومعناه : المحمود بآلائه ، وأضاف تعالى ذكره : إخراج الناس من الظلمات إلى النور ، بإذن ربهم لهم بذلك ، إلى نبيه صلى الله عليه وسلم ، وهو الهادى خلقه ، والموفّق من أحبّ منهم للإيمان ، إذ كان منه دعاؤهم إليه ، وتعريفهم مالهم فيه وعليهم ، فبين بذلك صحة قول أهل الإثبات ، الذين أضافوا أفعال العباد إليهم كسبا ، وإلى الله جلّ ثناؤه إنشاء وتدبيرا ، وفساد قول أهل القَدَر ، الذين أنكروا أن يكون لله فى ذلك صنع .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، فى قوله (لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُماتِ إلى النُّورِ) : أى من الضلالة إلى الهُدى .

القول فى تأويل قوله تعالى

ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ، وَوَيْلٌ لِّلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ (٢)

اختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء المدينة والشام : (اللهُ الَّذِى لَهُ ما فِى السَّمَوَاتِ) : برفع اسم الله على الابتداء ، وتصيير قوله (الَّذِى لَهُ ما فِى السَّمَوَاتِ) خبره ، وقرأته عامّة قرّاء أهل العراق والكوفة والبصرة (اللهِ الَّذِى) : بخفض اسم الله ، على إتباع ذلك (العَزِيزِ الحَمِيدِ) ، وهما خفض .

وقد اختلف أهل العربية فى تأويله إذا قرئ كذلك ، فذكر عن أبى عمرو بن العلاء ، أنه كان يقرؤه

بالخفض، ويقول : معناه : بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد ، الذى له ما فى السموات ، ويقول : هو من المؤخر الذى معناه التقديم ، ويمثله بقول القائل : مررت بالظريف عبد الله ، والكلام الذى يوضع مكان الاسم النعت ، ثم يجعل الاسم مكان النعت ، فيتبع إعرابه إعراب النعت الذى وضع موضع الاسم ، كما قال بعض الشعراء :

لَوْ كُنْتَ ذَا نَبْلٍ وذَا شَزَيبِ ما خِفْتَ شَدَّاتِ الخَبِيثِ الذِّيبِ[1]

وأما الكسائىّ فإنه كان يقول فيما ذكر عنه : مَن خفض : أراد أن يجعله كلاما واحدا ، وأتبع الخفض الخفض ، وبالخفض كان يقرأ .

⁂ والصواب من القول فى ذلك عندى : أنهما قراءتان مشهورتان ، قد قرأ بكلّ واحدة منهما أئمة من القرّاء ، معناهما واحد ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب . وقد يجوز أن يكون الذى قرأه بالرفع ، أراد معنى مَن خفض فى إتباع الكلام بعضه بعضا ، ولكنه رفع لانفصاله من الآية التى قبله ، كما قال جلّ ثناؤه (إنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ المُؤْمِنِينَ أنْفُسَهُمْ وأمْوَالَهُمْ) ... إلى آخر الآية ؛ ثم قال (التَّائِبُونَ العابِدُونَ) . ومعنى قوله (اللهُ الَّذِى لَهُ ما فِى السَّمُوَاتِ وَما فِى الأرْضِ) الله الذى يملك جميع ما فى السموات وما فى الأرض ، يقول لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : أنزلنا إليك هذا الكتاب ، لتدعو عبادى إلى عبادة من هذه صفته ، ويدَعوا عبادة من لا يملك لهم ولا لنفسه ضرّا ولا نفعا ، من الآلهة والأوثان ، ثم توعد جلّ ثناؤه من كفر به ، ولم يستجب لدعاء رسوله إلى مادعاه إليه ، من إخلاص التوحيد له ، فقال (وَوَيْلٌ للكافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ) يقول : الوادى الذى يسيل من صديد أهل جهنم ، لمن جحد وحدانيته ، وعبد معه غيره ، من عذاب الله الشديد .

القول فى تأويل قوله تعالى

الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيٰوةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ ، وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللّٰهِ ، وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ، أُولٰٓئِكَ فِى ضَلٰلٍ بَعِيدٍ (٣)

⁂ يعنى جلّ ثناؤه بقوله (الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الحَيَاةَ الدُّنْيا على الآخِرَةِ) : الذين يختارون الحياة الدنيا ومتاعها ، ومعاصىَ الله فيها ، على طاعة الله ، ومايقربهم إلى رضاه ، من الأعمال النافعة فى الآخرة . (وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ) يقول : ويمنعون من أراد الإيمان بالله ، واتباع رسوله ، على ماجاء به من عند الله ، من الإيمان به واتباعه . (وَيَبْغُونَها عِوَجا) : يقول : ويلتمسون سبيل الله ، وهى دينه الذى ابتعث ، به رسوله . عِوَجا : تحريفا وتبديلا بالكذب والزور . والعوج ، بكسر العين وفتح الواو : فى الدين والأرض

(١) الشزيب : القضيب من الشجر قبل أن يصلح ، وجمعه : شزوب ، حكاه أبو حنيفة (اللسان : شزب) . والبيت شاهد للنعت الذى يتقدم على المنعوت ، فيعرب الاسم الذى بعده حينئذ بدلا . وقد مثل النحاة لذلك بهذه الآية : (إلى صراط العزيز الحميد الله) بخفض لفظ الله على البدل . قالوا : والأصل صراط الله العزيز الحميد . والله أعلم .

وكلّ ما لم يكن قائما ، فأما فى كل ما كان قائما كالحائط والرمح والسنّ ، فإنه يقال : بفتح العين والواو جميعا : عَوَج . يقول الله عزّ ذكره (أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ) يعنى : هؤلاء الكافرين الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة . يقول : هم فى ذهاب عن الحقّ بعيد ، وأخذ على غير هدى ، وجَوْر عن قصد السبيل .

وقد اختلف أهل العربية فى وجه دخول «على» فى قوله (على الآخِرَةِ) ، فكان بعض نحويّ البصرة يقول أوصل الفِعْل بعلى ، كما قيل فى ضربوه «فى» السيف ، يريد بالسيف ، وذلك أن هذه الحروف يوصل بها كلها ، وتحذف ، نحو قول العرب : نزلت زيدا ، ومررت زيدا ، يريدون : مررت به ، ونزلت عليه . وقال بعضهم : إنما أدخل ذلك ، لأن الفعل يؤدّى عن معناه [1] من الأفعال ، ففى قوله (يَسْتَحِبُّونَ الحَيَاةَ الدُّنْيَا على الآخِرَةِ) ولذلك أدخلت على . وقد بيّنت هذا ونظائره فى غير موضع من الكتاب بما أغنى عن الإعادة .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ، فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ ، وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٤)

يقول تعالى ذكره : وما أرسلنا إلى أمة من الأمم يا محمد من قبلك ، ومن قبل قومك ، رسولا إلا بلسان الأمة التى أرسلناه إليها ولغتهم ، ليبين لهم : يقول : ليفهمهم ما أرسله الله به إليهم من أمره ونهيه ، ليثبت حجة الله عليهم ، ثم التوفيق والخذلان بيد الله ، فيخذل عن قبول ما أتاه به رسوله من عنده من شاء منهم ، ويوفّق لقبوله من شاء ، ولذلك رفع فيُضلُّ ، لأنه أريد به الابتداء لا العطف على ماقبله ، كما قيل : لنبين لكم ، ونقرّ فى الأرحام ما نشاء ، وهو العزيز الذى لايمتنع مما أراده من ضلال أو هداية من أراد ذلك به ، والحكيم فى توفيقه للإيمان من وفقه له ، وهدايته له من هداه إليه ، وفى إضلاله من أضلّ عنه ، وفى غير ذلك من تدبيره .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَما أرْسَلْنا مِنْ رَسُولٍ إلاّ بِلِسانِ قَوْمِهِ) : أى بلغة قومه ما كانت ، قال الله عزّ وجلّ (لِيُبَيِّنَ لَهُمْ) الذى أرسل إليهم ليتخذ بذلك الحجة ، قال الله عزّ وجلّ (فَيُضِلّ اللهُ مَنْ يَشاءُ وَيَهْدِى مَنْ يَشاءُ ، وهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ) .

(١) يريد أن الفعل يتضمن معنى فعل آخر بمعناه ، فيكون مثله تعديا ولزوما ، والفعل « يستحبون» هنا : مضمن معنى «يختارون» كما قال أبو عبيدة فى مجاز القرآن (١ : ٣٣٥) أو معنى « يؤثرون » الحياة الدنيا على الآخرة . ولذلك عدى بعلى .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ، وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّـٰمِ ٱللَّهِ ، إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (٥)

⁂ يقول تعالى ذكره : ولقد أرسلنا موسى بأدلتنا وحججنا من قبلك يا محمد ، كما أرسلناك إلى قومك بمثلها من الأدلة والحجج .

كما حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح « ح »[1] ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن الأشيب ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد « ح » ؛ وحدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (وَلَقَدْ أَرْسَلْنا مُوسَى بآياتِنا) قال : بالبينات .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَلَقَدْ أَرْسَلْنا مُوسَى بآياتِنا) قال : التسع الآيات : الطوفان وما معه .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (أَرْسَلْنا مُوسَى بآياتِنا) قال : التسع البينات .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

وقوله (أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُماتِ إلى النُّورِ) كما أنزلنا إليك يا محمد هذا الكتاب ، لتخرج الناس من الظلمات إلى النور (بإذْنِ رَبِّهِمْ) . ويعنى بقوله (أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُماتِ إلى النُّورِ) : أى ادعُهم من الضلالة إلى الهُدى ، ومن الكفر إلى الإيمان .

كما حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله (وَلَقَدْ أَرْسَلْنا مُوسَى بآياتِنا : أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُماتِ إلى النُّورِ) يقول : من الضلالة إلى الهُدى .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا هشام ، عن عمرو ، عن سعيد ، عن قتادة ، مثله .

وقوله (وَذَكِّرْهُمْ بأيَّامِ اللهِ) يقول عزّ وجلّ : وعظهم بما سلف من نعمى عليهم فى الأيام التى خلت ، فاجْتَزِئْ بذكر الأيام من ذكر النعم التى عناها ، لأنها أيام كانت معلومة عندهم ، أنعم الله عليهم فيها نعما جليلة ، أنقذهم فيها من آل فرعون ، بعد ما كانوا فيما كانوا من العذاب المُهين ، وغرّق عدوّهم فرعون وقومه ، وأورثهم أرضهم وديارهم وأموالهم . وكان بعض أهل العربية يقول : معناه : خوّفهم بما نزل بعاد وثمود وأشباههم من العذاب ، وبالعفو عن الآخرين . قال : وهو فى المعنى كقولك : خذهم بالشدّة واللين . وقال آخرون منهم : قد وجدنا لتسمية النعم بالأيام ، شاهدا فى كلامهم ، ثم استشهد لذلك بقول عمرو بن كلثوم .

(١) « ح » : رمز عند المحدثين إلى تحويل الإسناد من راو إلى آخر ، لجمع الروايات المختلفة على أصل واحد .

وأيّامٍ لَنا غُـرٍّ طوَالٍ عَصَيْنا المَلْكَ فِيها أنْ نَدِينا[1]

وقال : فقد يكون إنما جعلها غرّا طوالا لإنعامهم على الناس فيها . وقال : فهذا شاهد لمن قال (وَذَكِّرْهُمْ بأيّامِ اللهِ) بنعم الله . ثم قال : وقد يكون تسميتها غرّا ، لعلوّهم على الملك وامتناعهم منه ، فأيامهم غرّ لهم ، وطوال على أعدائهم .

قال أبو جعفر : وليس للذى قال هذا القول ، من أن فى هذا البيت دليلا على أن الأيام معناها : النعم وجه ، لأن عمرو بن كلثوم إنما وصف ما وصف من الأيام بأنها غرّ ، لعزّ عشيرته فيها ، وامتناعهم على الملك ، من الإذعان له بالطاعة ، وذلك كقول الناس : ما كان لفلان قطّ يوم أبيض ، يعنون بذلك : أنه لم يكن له يوم مذكور بخير ، وأما وصفه إياها بالطول ، فإنها لاتوصف بالطول إلا فى حال شدّة ، كما قال النابغة :

كِلِينِى لَهَمٍّ يا أُمَيْمَةَ ناصِبِ وليْلٍ أُقاسِيهِ بَطِىءِ الكَوَاكِبِ[2]

فإنما وصفها عمرو بالطول لشدّة مكروهها على أعداء قومه ، ولا وجه لذلك غير ما قلت .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يحيى بن طلحة اليربوعىّ ، قال : ثنا فضيل بن عياض ، عن ليث ، عن مجاهد (وَذَكِّرْهُمْ بأيّامِ اللهِ) قال : بأنعم الله .

حدثنى إسحاق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد ، قال : ثنا يحيى بن يمان ، عن سفيان ، عن عبيد المكتب عن مجاهد (وَذَكِّرْهُمْ بأيّامِ اللهِ) قال : بنعم الله .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبوأحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن عبيد المكتب ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبوأحمد ، قال : ثنا عبثر ، عن حصين ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى « ح » ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (بأيّامِ اللهِ) قال : بنعم الله .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

---

(١) البيت لعمرو بن كلثوم التغلبى من معلقته (انظر شرح المعلقات السبع للزوزنى) قال : يقول : نخبرك بوقائع لنا مشاهير ، كالغر من الخيل ، عصينا الملك فيها ، كراهية أن نطيعه ونتذلل له . والأيام : الوقائع هنا ، والغر : بمعنى المشاهير ، كالخيل الغر ، لاشتهارها فيما بين الخيل ، وقوله أن ندين : كراهية أن ندين ، فحذف المضاف . هذا على قول البصريين . وقال الكوفيون : تقديره : أن لاندين ، فحذف لا : والبيت شاهد على أن الأيام المراد بها : النعم لا الشدائد . وقال التبريزى : إنما سمى الأيام غرا طوالا ، لعلوهم على الملك ، وامتناعهم منه ، لعزهم ، فأيامهم غرلهم ، طوال على أعدائهم .

(٢) البيت للنابغة الذبيانى فى ديوانه (مختار الشعر الجاهلى ، بشرح مصطفى السقا طبعة الحلبى ص ١٥٩) . وكلينى : دعينى ، وأميمة بالفتح ، والأحسن بالضم . قال الخليل : من عادة العرب أن تنادى المؤنث بالترخيم ، فلما لم يرخم هنا (بسبب الوزن) أجراها على لفظها مرخمة ، وأتى بها بالفتح . وناصب : متعب . وبطىء الكواكب : لاتغور كواكبه . وإنما كان الليل طويلا بطىء الكواكب ، لأن الشاعر كان فى حال كرب وشدة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنى المثنى ، قال : أخبرنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَذَكِّرْهُمْ بأيَّامِ اللهِ) قال : بالنعم التى أنعم بها عليهم : أنجاهم من آل فرعون ، وفلق لهم البحر ، وظلّل عليهم الغمام ، وأنزل عليهم المنّ والسلوى .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا حبيب بن حسان ، عن سعيد بن جبير (وَذَكِّرْهُمْ بأيَّامِ اللهِ) قال : بنعم الله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَذَكِّرْهُمْ بأيَّامِ اللهِ) ، يقول : ذكرهم بنعم الله عليهم .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَذَكِّرْهُمْ بأيامِ اللهِ) قال : بنعم الله .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قول الله (وَذَكِّرْهُمْ بأيَّامِ اللهِ) : قال : أيامه التى انتقم فيها من أهل معاصيه من الأمم ، خوّفهم بها ، وحذّرهم إياها ، وذكّرهم أن يصيبهم ما أصاب الذين من قبلهم .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا الحمّانىّ ، قال : ثنا محمد بن أبان ، عن أبى إسحاق ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، عن أُبَىّ ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم (وَذَكِّرْهُمْ بأيَّامِ اللهِ) قال : نعم الله .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، عن الثورىّ ، عن عبيد الله أو غيره ، عن مجاهد : (وَذَكِّرْهُمْ بأيَّامِ اللهِ) قال : بنعم الله (إنَّ فِى ذلكَ لآياتٍ لِكُلّ صَبَّارٍ شَكُورٍ) يقول : إن فى الأيام التى سلفت بنعمى عليهم ، يعنى على قوم موسى لآياتٍ ، يعنى : لعبرا ومواعظَ . لكل صبار شكور : يقول : لكلّ ذى صبر على طاعة الله ، وشكر له على ما أنعم عليه من نعمه .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا هشام ، عن عمرو ، عن سعيد ، عن قتادة ، فى قول الله عزّ وجلّ (إنَّ فِى ذلكَ لآياتٍ لِكُلّ صَبَّارٍ شَكُورٍ) قال : نِعْمَ العبد عبد إذا ابتلى صبر ، وإذا أُعطى شكر .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ ، وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ ، وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ، وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ (٦)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : واذكر يا محمد إذ قال موسى بن عمران لقومه من

بنى إسرائيل (اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ) التى أنعم بها عليكم (إذْ أنجاكُمْ منْ آلِ فِرْعونَ) يقول : حين أنجاكم من أهل دين فرعون وطاعته . (يَسُومُونَكُمْ سُوءَ العَذَابِ) : أى يذيقونكم شديد العذاب . (ويُذَبِّحُونَ أبْناءَكُمْ) ، وأدخلت الواو فى هذا الموضع ، لأنه أريد بقوله (وَيُذَبِّحُونَ أبْناءَكُمْ) الخبر عن أنّ آل فرعون ، كانوا يعذّبون بنى إسرائيل بأنواع من العذاب ، غير التذبيح وبالتذبيح . وأما فى موضع آخر من القرآن ، فإنه جاء بغير الواو : (يَسُومُونَكُمْ سُوءَ العَذَابِ ، يُذَبِّحُونَ أبْناءَكُمْ) فى موضع ؛ وفى موضع (يُقَتِّلُونَ أبْناءَكُمْ) ، ولم تدخل الواو فى المواضع التى لم تدخل فيها ، لأنه أريد بقوله (يُذَبِّحُونَ) وبقوله (يُقَتِّلُونَ) تبيينه صفات العذاب الذى كانوا يسومونهم ، وكذلك العمل فى كل جملة أريد تفصيلها ، فبغير الواو تفصيلها . وإذا أريد العطف عليها بغيرها وغير تفصيلها فالواو .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن الزُّبير ، عن ابن عيينة ، فى قوله (وَإذْ قالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ) : أيادىَ الله عندكم وأيامه .

وقوله (وَيَسْتَحْيُونَ نِساءَكُمْ) : يقول : ويبقون نساءكم ، فيتركون قتلهنّ ، وذلك استحياؤهم كان إياهنّ . وقد بينا ذلك فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع ، ومعناه : يتركونهم ، والحياة : هى الترك . ومنه الخبر الذى رُوِى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : « اقْتُلُوا شُيُوخَ المُشْرِكِينَ ، وَاسْتَحْيُوا شَرْخَهُمْ » بمعنى : استبقوهم فلا تقتلوهم . (وفِى ذَلِكُمْ بَلاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ) : يقول تعالى : وفيما يصنع بكم آل فرعون من أنواع العذاب ، بلاء لكم من ربكم عظيم : أى ابتلاء واختبار لكم من ربكم عظيم . وقد يكون البلاء فى هذا الموضع نعماء ، وقد يكون معناه : من البلاء الذى قد يصيب الناس فى الشدائد وغيرها .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ ، لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ، وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ (٧)

⁂ يقول جلّ ثناؤه : واذكروا أيضا حين آذنكم ربكم . وتأذّن : تفعّل من أذن ، والعرب ربما وضعت تفعّل موضع أفعل ، كما قالوا : أوعدته : وتوعّدته بمعنى واحد ، وآذن : أعلم ، كما قال الحارث بن حِلِّزة :

آذَنَتْنا بِبَيْنِها أسْماءُ رُبَّ ثاوٍ يُمَلُّ مِنْهُ الثَّواءُ [١]

يعنى بقوله : آذنتنا : أعلمتنا .

وذُكر عن ابن مسعود رضى الله عنه ، أنه كان يقرأ (وَإذْ تَأذَّنَ رَبُّكُمْ) : وإذ قال ربكم .

(١) البيت مطلع معلقة الحارث بن حلزة اليشكرى : انظر شرح الزوزنى للمعلقات السبع ، قال : الإيذان الإعلام (وهو محل الشاهد فى البيت) والبين : الفراق . والثواء والثوى : الإقامة ، والفعل : ثوى يثوى (كضرب يضرب) . يقول : أعلمتنا أسماء بمفارقتها إيانا ، أى بعزمها على فراقنا ، ثم قال : رب مقيم يمل إقامته ، ولم تكن أسماء منهم . يريد أنها وإن طالت إقامتها لم أملها .

حدثني بذلك الحارث ، قال : ثنى عبد العزيز ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش عنه ؛ حدثنى يونس قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ) : وإذ قال ربكم ذلك التأذّن .

وقوله (لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ) يقول : لئن شكرتم ربكم بطاعتكم إياه فيما أمركم ونهاكم، لأزيدنكم فى أياديه عندكم ، ونعمه عليكم . على ما قد أعطاكم من النجاة من آل فرعون ، والخلاص من عذابهم .

وقيل فى ذلك قول غيره ، وهو ما حدثنا الحسن بن محمد ، قال: ثنا الحسين بن الحسن ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، قال : سمعت علىّ بن صالح ، يقول فى قول الله عزّ وجلّ (لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكم): قال : أى من طاعتى .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا يزيدُ ، قال: أخبرنا ابن المبارك ، قال : سمعت علىّ بن صالح ، فذكر نحوه .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان (لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ) قال : من طاعتى .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا مالك بن مِغْوَل ، عن أبان بن أبى عياش ، عن الحسن ، فى قوله (لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ) قال : من طاعتى . ولا وجه لهذا القول يفهم ، لأنه لم يجر للطاعة فى هذا الموضع ذكر ، فيقال : إن شكرتمونى عليها زدتكم منها ، وإنما جرى ذكر الخبر عن إنعام الله على قوم موسى ، بقوله (وَإِذْ قالَ مُوسَى لقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ) ، ثم أخبرهم أن الله أعلمهم إن شكروه على هذه النعمة زادهم ، فالواجب فى المفهوم أن يكون معنى الكلام : زادهم من نعمه ، لامما لم يجر له ذكر من الطاعة ، إلا أن يكون أريد به : لئن شكرتم فأطعتمونى بالشكر ، لأزيدنكم من أسباب الشكر ما يعينكم عليه ، فيكون ذلك وجها .

وقوله (وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ) يقول : ولئن كفرتم أيها القوم نعمة الله ، فجحدتموها ، بترك شكره عليها ، وخلافه فى أمره ونهيه ، وركوبكم معاصيه (إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ) : أعذّبكم كما أعذّب من كفر بى من خلقى . وكان بعض البصريين يقول فى معنى قوله (وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ) وتأذّن ربكم . ويقول : إذ من حروف الزوائد ، وقد دللنا على فساد ذلك فيما مضى قبل .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنْ تَكْفُرُوٓا۟ أَنتُمْ وَمَنْ فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ (٨)

⁂ يقول تعالى ذكره (وَقالَ مُوسَى) لقومه (إِنْ تَكْفُرُوا) أيها القوم ، فتجحدوا نعمة الله التى أنعمها عليكم أنتم ، ويفعل فى ذلك مثل فعلكم (مَنْ فِى الأَرْضِ جَمِيعا ، فإِنَّ اللهَ لَغَنِىٌّ) عنكم وعنهم

من جميع خلقه ، لاحاجة به إلى شكركم إياه على نعمه عند جميعكم (حَمِيدٌ) ذو حمد إلى خلقه بما أنعم به عليهم .

كما حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن هاشم ، قال : أخبرنا سيف ، عن أبى رَوق عن أبى أيوب ، عن علىّ (فإنَّ اللهَ لَغَنِىٌّ) قال : غنىّ عن خلقه . (حَمِيدٌ) قال : مستحمِد إليهم .

القول فى تأويل قوله تعالى

أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ، وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ ، جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ ، فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِى أَفْوَاهِهِمْ ، وَقَالُوا : إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ ، وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ (٩)

⁂ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل موسى لقومه : ياقوم (أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ) : يقول : خبر الذين من قبلكم من الأمم التى مضت قبلكم . (قَوْمِ نُوحٍ وعادٍ وَثَمُودَ) وقوم عاد[1] ، فبين بهم عن الذين ، وعاد معطوف بها على قوم نوح (وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ) يعنى : من بعد قوم نوح وعاد وثمود (لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللهُ) يقول : لا يُحصِى عددهم ، ولا يعلم مبلغهم إلا الله .

كما حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبى إسحاق ، عن عمرو ابن ميمون (وَعادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللهُ) قال : كذب النسابون .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبى إسحاق ، عن عمرو بن ميمون ، عن عبد الله بن مسعود ، بمثل ذلك .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن أبى إسحاق ، عن عمرو بن ميمون ، قال : ثنا ابن مسعود ، أنه كان يقرؤها (وعادًا وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللهُ) ثم يقول : كذب النسابون .

حدثنى ابن المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عيسى بن جعفر ، عن سفيان ، عن أبى إسحاق ، عن عمرو بن ميمون ، عن عبد الله ، مثله .

وقوله (جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ) يقول : جاءت هؤلاء الأمم رسلهم الذين أرسلهم الله إليهم ، بدعائهم إلى إخلاص العبادة له ، بالبينات : يعنى بالحجج الواضحات ، والدلالات البينات الظاهرات ، على حقيقة ما دعوهم إليه من معجزات .

وقوله (فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِى أَفْوَاهِهِمْ) : اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معنى ذلك : فعضُّوا على أصابعهم ، تغيظا عليهم فى دعائهم إياهم إلى ما دعوهم إليه .

---

(١) قوله قوم عاد – لعله زائد من قلم ؤ الناسخ لأن عادا مذكورة فى الآية .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ومحمد بن المثنى ، قالا : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن أبي الأحوص ، عن عبد الله (فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ) قال : عضُّوا عليها تغيظا .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوريّ ، عن أبي إسحاق ، عن أبي الأحوص ، عن عبد الله ، في قوله (فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ) قال : غيظا هكذا (وعضّ يده).

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو نعيم ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن أبي الأحوص ، عن عبد الله (فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ) قال : عَضُّوها .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن رجاء البصريّ ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن أبي الأحوص ، عن عبد الله في قول الله عزّ وجلّ (فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ) قال : عضوا على أصابعهم .

حدثني المثنى ، قال : ثنا الحِمَّانيّ ، قال : ثنا شريك ، عن أبي إسحاق ، عن أبي الأحوص ، عن عبد الله (فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ) قال : عَضُّوا على أطراف أصابعهم .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي إسحاق ، عن هبيرة عن عبد الله ، أنه قال في هذه الآية (فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ) قال : أن يجعل إصبعه في فيه .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا أبو قطن ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي إسحاق ، عن هبيرة ، عن عبد الله في قول الله عزّ وجلّ (فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ) ، ووضع شعبة أطراف أنامله اليسرى على فيه .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا يحيى بن عبّاد ، قال : ثنا شعبة ، قال : أخبرنا أبو إسحاق ، عن هبيرة ، قال : قال عبد الله (فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ) قال : هكذا ، وأدخل أصابعه في فيه .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا عفان ، قال : ثنا شعبة ، قال أبو إسحاق : أنبأنا عن هبيرة ، عن عبد الله أنه قال في هذه الآية (فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ) قال أبو عليّ : وأرانا عفان ، وأدخل أطراف أصابع كفه مبسوطة في فيه ، وذكر أن شعبة أراه كذلك .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان وإسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن أبي الأحوص ، عن عبد الله (فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ) قال : عَضُّوا على أناملهم . وقال سفيان : عضوا غيظا .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ) ، فقرأ (عَضُّوا عَلَيْكُمُ الأَنَامِلَ مِنَ الغَيْظِ) قال : ومعنى (رَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ) قال : أدخلوا أصابعهم في أفواههم ، وقال : إذا اغتاظ الإنسان عضّ يده .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : أنهم لما سمعوا كتاب الله عجبوا منه ، ووضعوا أيديهم على أفواههم .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس

(فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ) قال : لما سمعوا كتاب الله عجبوا ، ورجعوا بأيديهم إلى أفواههم .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : أنهم كذبوهم بأفواههم .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد « ح » . وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ) قال : ردّوا عليهم قولهم وكذبوهم .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا بشر قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (جاءَتْهُمْ رسلُهُمْ بالبَيِّناتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ) يقول : قومهم كذّبوا رسلهم ، وردّوا عليهم ماجاءوا به من البيِّنات ، وردّوا عليهم بأفواههم ، وقالوا : (إِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنا إِلَيْهِ مُرِيبٍ) .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ) قال : ردّوا على الرسل ماجاءت به ، وكأن مجاهدا وجه قوله (فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ) إلى معنى : ردّوا أيادىَ الله التى لو قبلوها كانت أيادى ونعما عندهم ، فلم يقبلوها . ووجه قوله (فِي أَفْوَاهِهِمْ) إلى معنى : بأفواههم ، يعنى : بألسنتهم التى فى أفواههم . وقد ذُكر عن بعض العرب سماعا : أدخلك الله بالجنة ، يعنون فى الجنة ، وينشد هذا البيت :

وأَرْغَبُ فِيها عَنْ لَقِيطٍ وَرَهْطِهِ ... ولكِنَّنِى عَنْ سِنْبِسٍ لستُ أَرْغَبُ[1]

يريد : وأرغب فيها : يعنى « أرغب بها » عن لقيط ، ولا أرغب بها عن قبيلتى .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : أنهم كانوا يضعون أيديهم على أفواه الرسل ، ردّا عليهم قولهم ، وتكذيبا لهم . وقال آخرون : هذا مثل ، وإنما أريد أنهم كفوا عما أمروا بقبوله من الحقّ ، ولم يؤمنوا به ، ولم يسلموا ، وقال : يقال للرجل إذا أمسك عن الجواب ، فلم يجب : ردّ يده فى فمه . وذكر بعضهم أن العرب تقول : كلمت فلانا فى حاجة ، فردّ يده فى فيه : إذا سكت عنه ، فلم يجب ، وهذا أيضا قول لاوجه له ، لأن الله عزّ وجلّ ذكره ، قد أخبر عنهم أنهم قالوا : إنا كفرنا بما أرسلتم به ، فقد أجابوا بالتكذيب .

⁂ وأشبه هذه الأقوال عندى بالصواب فى تأويل هذه الآية : القول الذى ذكرناه عن عبد الله بن مسعود : أنهم ردّوا أيديهم فى أفواههم ، فعضّوا عليها غيظا على الرسل ، كما وصف الله عزّ وجلّ به إخوانهم من

(١) هذا البيت من شواهد الفراء أنشده إياه بعضهم (معانى القرآن مصورة جامعة القاهرة الورقة ١٦١) قال فى قوله تعالى : « فردوا أيديهم فى أفواههم » ، حاكيا قول بعض المفسرين : يقول : ردوا ما لوقبلوه لكان نعما وأيادى من الله . فى أفواههم : يقول : بأفواههم أى بألسنتهم . وقد وجدنا من العرب من يجعل « فى » فى موضع « الباء » ، فيقول : أدخلك الله بالجنة ، يريد : فى الجنة . قال : وأنشدنى بعضهم : وأرغب فيها . . . البيت . فقال : أرغب فيها ، يعنى بنتا له ، أى إنى أرغب بها عن لقيط .

المنافقين ، فقال (وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الأَنَامِلَ مِنَ الغَيْظِ) فهذا هو الكلام المعروف ، والمعنى المفهوم من ردّ اليد إلى الفم .

وقوله (وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ) : يقول عزّ وجلّ : وقالوا لرسلهم : إنا كفرنا بما أرسلكم به مَن أرسلكم ، من الدعاء إلى ترك عبادة الأوثان والأصنام ، وإنا لفى شكّ من حقيقة ماتدعوننا إليه ، من توحيد الله . مريب : يقول : يريبنا ذلك الشكّ : أى يوجب لنا الريبة والتهمة فيه ، يقال منه : أراب الرجل : إذا أتى بريبة ، يُريب إرابة .

القول فى تأويل قوله تعالى

* قَالَتْ رُسُلُهُمْ : أَفِى اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ ، يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّنْ ذُنُوبِكُمْ ، وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ، قَالُوٓا : إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا ، تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ، فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ (١٠)

⁂ يقول تعالى ذكره : قالت رسل الأمم التى أتتها رسلها : أفى الله أنه المستحقّ عليكم أيها الناس الألوهة والعبادة ، دون جميع خلقه ، شكّ ؟ وقوله (فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ) : يقول : خالق السموات والأرض . (يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ) يقول : يدعوكم إلى توحيده وطاعته ، (لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ) يقول : فيستر عليكم بعض ذنوبكم بالعفو عنها ، فلا يعاقبكم عليها . (وَيُؤَخِّرَكُمْ) يقول : ويُنْسِئَ فى آجالكم ، فلا يعاقبكم فى العاجل فيهلككم ، ولكن يؤخركم إلى الوقت الذى كتب فى أمّ الكتاب أنه يقبضكم فيه ، وهو الأجل الذى سمّى لكم ، فقالت الأمم لهم : (إِنْ أَنْتُمْ) أيها القوم (إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُنَا) فى الصورة والهيئة ، ولستم ملائكة ، وإنما تريدون بقولكم هذا الذى تقولون لنا : (أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا) يقول : إنما تريدون أن تصرفونا بقولكم ، عن عبادة ما كان يعبده من الأوثان آباؤنا . (فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ) يقول : فأتونا بحُجّة على ماتقولون ، تبين لنا حقيقته وصحته ، فنعلم أنكم فيما تقولون مُحقّون .

القول فى تأويل قوله تعالى

قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ : إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ، وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِ ، وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ، وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (١١)

⁂ يقول تعالى ذكره : قال[1] الأمم التى أتتهم الرسل لرسلهم[1] : (إِنْ نَحْنُ إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ) : صدقتم فى قولكم (إِنْ أَنْتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُنَا) ، فما نحن إلا بشر من بنى آدم إنس مثلكم ، (وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى

(١ - ١) كذا فى النسخ ، ولعل الأصل : قالت الرسل لأممهم التى أرسلوا إليها : إن نحن . . . الخ .

مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ) يقول : ولكن الله يتفضّل على من يشاء من خلقه ، فيهديه ويوفّقه للحقّ ، ويفضله على كثير من خلقه (وَما كانَ لَنا أنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطانٍ) يقول : وما كان لنا أن نأتيكم بحُجة وبرهان على ماندعوكم إليه (إلاَّ بإذْنِ اللهِ) : يقول : إلا بأمر الله لنا بذلك . (وَعلى الله فَلْيَتَوَكَّلِ المُؤْمِنُونَ) يقول : وبالله فليثق به من آمن به وأطاعه ، فإنا به نثق ، وعليه نتوكل .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله (فَأْتُونا بِسُلْطانٍ مُبِينٍ) قال : السلطان المبين : البرهان والبينة . وقوله (ما لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطانا) قال : بينة وبرهانا .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ؟ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ، وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ (١٢)

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل الرسل لأممها : (وَما لَنا أنْ لانَتَوَكَّلَ على اللهِ) فنثق به ، وبكفايته ودفاعه إياكم عنا . (وَقَدْ هدانا سُبُلَنا) : يقول : وقد بصّرنا طريق النجاة من عذابه ، فبيّن لنا . (وَلَنَصْبِرَنَّ على ما آذَيْتُمُونا) فى الله ، وعلى مانلقى منكم من المكروه فيه ، بسبب دعائنا إليكم إلى ماندعوكم إليه ، من البراءة من الأوثان والأصنام ، وإخلاص العبادة له . (وَعَلَى الله فَلْيَتَوَكَّلِ المَتَوَكِّلونَ) : يقول : وعلى الله فليتوكل من كان به واثقا من خلقه ، فأما من كان به كافرا ، فإن وليه الشيطان .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ ، أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ، فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ : لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ . (١٣) وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ، ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ (١٤)

يقول عزّ ذكره : وقال الذين كفروا بالله ، لرسلهم الذين أرسلوا إليهم ، حين دعوهم إلى توحيد الله ، وإخلاص العبادة له ، وفراق عبادة الآلهة والأوثان : (لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أرْضِنا) يعنون : من بلادنا ، فنطردكم عنها . (أوْ لَتَعُودُنَّ فى مِلَّتِنا) : يعنون : إلا أن تعودوا فى ديننا الذى نحن عليه من عبادة الأصنام . وأدخلت فى قوله (لَتَعُودُنَّ) لام ، وهو فى معنى شرط ، كأنه جواب لليمين .

وإنما معنى الكلام : : لنخرجنّكم من أرضنا ، أو تعودنّ فى ملتنا ، ومعنى « أو » ههنا معنى « إلا » أو معنى « حتى » كما يقال فى الكلام : لأضربنك أو تقرّ لى ، فمن العرب من يجعل مابعد « أو » فى مثل هذا الموضع عطفا على ماقبله : إن كان ماقبله جزما جزموه ، وإن كان نصبا نصبوه ، وإن كان فيه لام ، جعلوا فيه

لاما ، إذ كانت « أو » حرف نَسَق . ومنهم من ينصب ما بعد « أو » بكل حال ، ليعلم بنصبه أنه عن الأوّل منقطع عما قبله ، كما قال امرؤ القيس :

بَكَى صَاحِبِى لَمَّا رأى الدَّرْبَ دُونَهُ وأيْقَنَ أنَّا لاحِقَانِ بِقَيْصَرَا

فَقُلْتُ لَه : لا تَبْكِ عَيْنُكَ إنَّمَا نحاوِلُ مُلْكا أو نَمُوتَ فَنُعْذَرَا[1]

فنصب تموتَ فنعذرا ، وقد رفع نحاولُ ، لأنه أراد معنى : إلا أن نموت ، أو حتى نموت ، ومنه قول الآخر :

لا أسْتَطِيعُ نُزُوعاً عَنْ مَوَدَّتِها أوْيَصْنَعَ الحُبُّ بِى غيرَ الَّذِى صَنَعَا[2]

وقوله (فَأوْحَى إلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ) الذين ظلموا أنفسهم ، فأوجبوا لها عقاب الله بكُفرهم ، وقد يجوز أن يكون قيل لهم الظالمون ، لعبادتهم مَنْ لاتجوز عبادته من الأوثان والآلهة ، فيكون بوضعهم العبادة فى غير موضعها ، إذ كان ظلما ، سُموا بذلك ظالمين .

وقوله (وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الأرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ) : هذا وعد من الله مَن وَعَد من أنبيائه النصر على الكفرة به من قومه . يقول : لما تمادت أمم الرسل فى الكفر ، وتوعّدوا رسلهم بالوقوع بهم ، أوحى الله إليهم بإهلاك من كفر بهم من أممهم ، ووعدهم النصر ، وكلّ ذلك كان من الله وعيدا وتهديدا لمشركى قوم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، على كفرهم به ، وجراءتهم على نبيه ، وتثبيتا لمحمد صلى الله عليه وسلم ، وأمرا له بالصبر على مالقى من المكروه فيه ، من مشركى قومه ، كما صبر من كان قبله من أولى العزم من رسله ، ومعرِّفَهُ أن عاقبة أمر من كفر به الهلاك ، وعاقبته النصر عليهم (سُنَّةَ اللهِ فى الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الأرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ) : قال : وعدهم النصر فى الدنيا ، والجنة فى الآخرة .

وقوله (ذلكَ لِمَنْ خافَ مَقامِى وَخافَ وَعِيدِ) يقول جلّ ثناؤه : هكذا فعلى لمن خاف مَقَامَهُ بين يدىّ ، وخاف وعيدى ، فاتقانى بطاعته ، وتجنب سخطى ، أنصره على من أراد به سوءا ، وبغاه مكروها من أعدائى ، أُهلك عدوّه ، وأُخزيه وأُورثه أرضه وديارَه ، وقال (لِمَنْ خافَ مَقامِى) ومعناه : ماقلت ، من أنه لمن خاف مقامه بين يدىّ ، بحيث أقيمه هنالك للحساب ، كما قال (وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ

---

(١) البيتان لامرئ القيس ، يخاطب بهما صاحبه عمرو بن قميئة الشاعر ، وكان رحل معه إلى قيصر ، يستعين به على حرب بنى أسد ، الذين قتلوا أباه . (انظر مختار الشعر الجاهلى بشرح مصطفى السقا طبعة الحلبى ص٥٨) والدرب : المدخل بين جبلين ، والمراد الطريق بين بلاد العرب وبلاد الروم . يقول : لما رأى صاحبى أننا نسير فى الدرب الموصل إلى بلاد الروم ، (وكان امرؤ القيس طوى عنه خبر رحلته إلى قيصر) حن إلى بلاده وبكى ، إشفاقا من طول الرحلة .

والشاهد هنا فى البيت الثانى : أن الفعل «نموت» منصوب بأن بعد أو ، لأنها هنا بمعنى إلا . وهو مما قرره النحاة ، واستشهدوا عليه بهذا البيت وغيره . قال الفراء فى معانى القرآن (الورقة ١٦١-١٦٢) بعد أن أنشد البيتين ، ونسبهما إلى امرئ القيس ، فنصب آخره : نموت ، ورفع نحاول ؛ على معنى « إلا » . وفى إحدى القراءتين : « تقاتلونهم أو يسلموا » . والمعنى والله أعلم — تقاتلونهم حتى يسلموا .

(٢) وهذا البيت من شواهد الفراء (معانى القرآن للفراء مصورة الجامعة الورقة ١٦٢) قال : وقال الشاعر : لا أستطيع . . الخ ثم . قال بعده : وأنت قائل فى الكلام : لست لأبى إن لم أقتلك أو تسبقنى فى الأرض ، فتنصب « تسبقنى » وتجزمها .

أنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ) معناه : وتجعلون رزقى إياكم أنكم تكذبون ، وذلك أن العرب تضيف أفعالها إلى أنفسها ، وإلى ما أوقعت عليه ، فتقول : قد سررت برؤيتك ، وبرؤيتى إياك ، فكذلك ذلك .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَٱسْتَفْتَحُوا۟ ، وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ (١٥)

⁂ يقول تعالى ذكره : واستفتحت الرسل على قومها : أى استنصرت الله عليها . (وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ) يقول : هلك كل متكبر جائر ، حائد عن الإقرار بتوحيد الله ، وإخلاص العبادة له . والعنيد والعاند والعنود : بمعنى واحد ، ومن الجبار تقول : هو جبار بيِّن الجَبَرِية والجَبَروتية والجَبْرُوّة والجَبَرُوت .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَٱسْتَفْتَحُوا) قال : الرسل كلها ، يقول : استنصروا على أعدائهم ومعانديهم : أى على من عاند عن اتباع الحقّ وتجنبه .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، « ح » ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (وَٱسْتَفْتَحُوا) قال : الرسل كلها استنصروا (وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ) قال : معاند للحقّ مجانبه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

وقال ابن جريج : استفتحوا على قومهم .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (وَٱسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ) قال : كانت الرسل والمؤمنون يستضعفهم قومهم ، ويَقْهَرونهم ، ويكذّبونهم ، ويدعونهم إلى أن يعودوا فى ملّتهم ، فأبى الله عزّ وجلّ لرسله وللمؤمنين ، أن يعودوا فى ملّة الكفر ، وأمرهم أن يتوكّلوا على الله ، وأمرهم أن يستفتحوا على الجبابرة ، ووعدهم أن يسكنهم الأرض من بعدهم ، فأنجز الله لهم ما وعدهم ، واستفتحوا كما أمرهم أن يستفتحوا ، (وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ) .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا الحجاج بن المنهال ، قال : ثنا أبو عوانة ، عن المغيرة ، عن إبراهيم ، فى قوله (وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ) قال : هو الناكب عن الحقّ : أى الحائد عن اتباع طريق الحقّ .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا مطرف ، عن بشر ، عن هشيم ، عن مغيرة ، عن سماك ، عن إبراهيم (وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ) قال : الناكب عن الحقّ .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَاسْتَفْتَحُوا) يقول : استنصرت الرسل على قومها . قوله (وَخابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ) والجبار العنيد : الذى أبى أن يقول : لاإله إلا الله .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَاسْتَفْتَحُوا) قال : استنصرت الرسل على قومها (وَخابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ) يقول : بعيد عن الحقّ مُعرِض عنه .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، مثله ، وزاد فيه : معرض عنه : أبى أن يقول : لاإله إلا الله .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَخابَ كُلُ جَبارٍ عَنِيدٍ) قال : العنيد عن الحقّ ، الذى يَعْنُد عن الطريق ، قال : والعرب تقول : شرّ الإبل العنيد ، الذى يخرج عن الطريق .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَاسْتَفْتَحُوا وَخابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ) قال : الجبار : هو المتجبر .

وكان ابن زيد يقول فى معنى قوله : (وَاسْتَفْتَحُوا) خلاف قول هؤلاء ، ويقول : إنما استفتحت الأمم ، فأجيبت .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَاسْتَفْتَحوا) قال : استفتاحهم بالبلاء ، قالوا : اللهمّ إن كان هذا الذى أتى به محمد هو الحق من عندك ، فأمطر علينا حجارة من السماء ، كما أمطرتها على قوم لوط ، أو ائتنا بعذاب أليم ، قال : كان استفتاحهم بالبلاء ، كما استفتح قوم هود (ائْتِنا بِمَا تَعِدُنا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ) قال : فالاستفتاح : العذاب . قال : قيل لهم : إن لهذا أجلا ، حين سألوا الله أن ينزل عليهم ، فقال : بل نؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار ، فقالوا : لانريد أن نؤخّر إلى يوم القيامة ، ربنا عَجِّل لنا قِطّنا : عذابنا ، قبل يوم الحساب . وقرأ (وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالعَذَابِ وَلَوْلا أَجَلٌ مُسَمًّى لَجاءَهُمُ العَذَابُ) حتى بلغ (وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقول : ذُوقُوا ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) .

القول فى تأويل قوله تعالى

مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ ، (١٦) يَتَجَرَّعُهُ ، وَلا يَكَادُ يُسِيغُهُ ، وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ ، وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ، وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ (١٧)

يقول عزّ ذكره (مِنْ وَرَائِهِ) من أمام كلّ جبار (جَهَنَّمُ) يردونها . ووراء فى هذا الموضع : بمعنى أمام ، كما يقال : إن الموت من ورائك : أى قدامك ، وكما قال الشاعر :

أتُوعِدُنِي وَرَاءَ بَنِي رِياحٍ كَذَبْتَ لَتَقْصُرَنَّ يَدَاكَ دُونِي[1]

(١) البيت لجرير فى ديوانه ، وفى (مجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ٣٣٧) وقد استشهد به المؤلف فى هذا الجزء ص ١٢٩ على أن «دونى» بمعنى «عنى» . والشاهد هنا أن قوله « وراء بنى رياح» بمعنى أمامهم ، وذلك عند تفسير قوله تعالى : « من ورائه جهنم » قال : مجازه : قدامه وأمامه ؛ يقال : إن الموت من ورائك ، أى قدامك . وقال : أتوعدنى . . . . البيت .

يعنى : وراء بنى رياح : قدّام بنى رياح وأمامهم .

وكان بعض نحوّيى أهل البصرة يقول : إنما يعنى بقوله (مِنْ وَرَائِهِ) : أى من أمامه ، لأنه وراء ماهو فيه ، كما يقول لك : وكلّ هذا من ورائك : أى سيأتى عليك ، وهو من وراء ما أنت فيه ، لأن ما أنت فيه قد كان قبل ذلك ، وهو من ورائه . وقال : (وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْباً) : من هذا المعنى : أى كان وراءَ ماهم فيه : أمامَهم . وكان بعض نحوّيى أهل الكوفة يقول : أكثر مايجوز هذا فى الأوقات ، لأن الوقت يمرّ عليك ، فيصير خلفك إذا جُزته ، وكذلك كان وراءهم ملِك ، لأنهم يجوزونه ، فيصير وراءهم . وكان بعضهم يقول : هومن حروف الأضداد ، يعنى وراء : يكون قدّاما وخَلفا .

وقوله (وَيُسْقَى مِنْ ماءٍ صَدِيدٍ) يقول : ويُسقى من ماء ، ثم بين ذلك الماء جلّ ثناؤه ، وماهو ، فقال : هو صديد ، ولذلك ردّ الصديد فى إعرابه على الماء ، لأنه بيان عنه ، والصديد : هو القيح والدم . وكذلك تأوّله أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ؛ قال : ثنا ورقاء « ح » ؛ وحدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (مِنْ ماءٍ صَدِيدٍ) قال : قَيْح ودم .

حدثنا المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَيُسْقَى مِنْ ماءٍ صَدِيدٍ) والصديد : ما يسيل من دمه ولحمه وجلده .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، فى قوله (وَيُسْقَى مِنْ ماءٍ صَدِيدٍ) قال : ما يسيل من بين لحمه وجلده .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا هشام ، عمن ذكره ، عن الضحاك (وَيُسْقَى مِنْ ماءٍ صَدِيدٍ) قال : يعنى بالصديد : ما يخرج من جوف الكافر ، قد خالط القيحَ والدم .

وقوله (يَتَجَرَّعُهُ) يتحسّاه (وَلا يَكادُ يُسِيغُهُ) يقول : ولا يكاد يزدَرده من شدّة كراهته ، وهو يسيغه من شدّة العطش . والعرب تجعل «لايكاد» فيما قد فُعِل ، وفيما لم يُفْعَل . فأما ماقد فعل ، فمنه هذا ، لأن الله جلّ ثناؤه جعل لهم ذلك شرابا ؛ وأمّا ما لم يُفْعل ، وقد دخلت فيه «كاد» ، فقوله (حتى إذَا أخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاها) ، فهو لايراها .

وبنحو ما قلنا من أن معنى قوله (وَلا يَكادُ يُسِيغُهُ) وهو يسيغه ، جاء الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ذكر الرواية بذلك .

حدثنى محمد بن المثنى ، قال : ثنا إبراهيم أبو إسحاق الطالَقانىّ ، قال : ثنا ابن المبارك ، عن صفوان

ابن عمرو ، عن عبيد الله بن بسر ، عن أبى أمامة ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فى قوله (وَيُسْقَى مِنْ ماءٍ صَدِيدٍ يَتَجَرَّعُهُ) فإذَا شَرِبَهُ قَطَّعَ أمْعاءَهُ ، حتى يَخْرُجَ مِنْ دُبُرِهِ » يقول الله عزّ وجلّ : (وَسُقُوا ماءً حَمِيمًا ، فَقَطَّعَ أمْعاءَهُمْ) ، ويقول (وَإنْ يَسْتَغِيثُوا يُغاثُوا بِماءٍ كالمُهْلِ يَشْوِى الوُجُوهَ ، بِئْسَ الشَّرَابُ) .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا معمر ، عن ابن المبارك ، قال : ثنا صفوان بن عمرو ، عن عبيد الله بن بُسْر ، عن أبى أمامة ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فى قوله (وَيُسْقَى مِنْ ماءٍ صَدِيدٍ) فذكر مثله ، إلا أنه قال : (سُقُوا ماءً حَمِيما) .

حدثنى محمد بن خلف العَسْقلانى ، قال : ثنا حَيْوة بن شُرَيْح الحِمْصِىّ ، قال : ثنا بقية ، عن صفوان ابن عمرو ، قال : ثنى عبيد الله بن بسر ، عن أبى أمامة ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم ، مثله سواء .

وقوله (وَيَأْتِيهِ المَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكانٍ وَما هُوَ بِمَيِّتٍ) فإنه يقول : ويأتيه الموت من بين يديه ومن خلفه ، وعن يمينه وشماله ، ومن كلّ موضع من أعضاء جسده (وَماهُوَ بِمَيِّتٍ) ، لأنه لاتخرج نَفْسه ، فيموت فيستريح ، ولا يحيا ، لتعلق نفسه بالحناجر ، فلا ترجع إلى مكانها .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، فى قوله (يَتَجَرَّعُهُ وَلا يَكادُ يُسِيغُهُ ، وَيَأْتِيهِ المَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكانٍ وَما هُوَ بِمَيِّتٍ) قال : تعلق نفسه عند حنجرته ، فلا تخرج من فيه فيموت ، ولا ترجع إلى مكانها من جوفه ، فيجد لذلك راحة ، فتنفعه الحياة .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا يزيدُ بن هارون ، قال : ثنا العوّام بن حوشب ، عن إبراهيم التيمىّ قوله (وَيَأْتِيهِ المَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكانٍ) : قال : من تحت كلّ شعرة فى جسده . وقوله (وَمِنْ وَرائِهِ عَذابٌ غَلِيظٌ) يقول : ومن وراء ما هو فيه من العذاب ، يعنى أمامَه وقدامَه ، عذاب غليظ .

القول فى تأويل قوله تعالى

مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ أَعْمَـٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ، لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا۟ عَلَىٰ شَىْءٍ ، ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَـٰلُ ٱلْبَعِيدُ (١٨)

⁂ اختلف أهل العربية فى رافع مَثَل ، فقال بعض نحوّيى البصرة : إنما هو كأنه قال : ومما نقصّ عليكم (مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا) ، ثم أقبل يفسر كما قال : (مَثَلُ الجَنَّةِ) ، وهذا كثير . وقال بعض نحوّيى الكوفيين : إنما المَثَل للأعمال ، ولكن العرب تُقَدِّم الأسماء ، لأنها أعرف ، ثم تأتى بالخبر الذى تخبر عنه مع صاحبه . ومعنى الكلام : مثل أعمال الذين كفروا بربهم كرَماد ، كما قيل : (وَيَوْمَ القِيامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا على اللهِ : وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ) ومعنى الكلام : ويوم القيامة ترى وجوه الذين كذبوا على الله مسودّة ، قال : ولو خفض الأعمال جاز ، كما قال : (يَسْئَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الحَرامِ

قِتالٍ فِيهِ) . . . الآية . وقوله (مَثَلُ الجَنَّةِ الَّتِى وُعِدَ المُتَّقُونَ : تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الأَنهارُ) قال : فتجرى هو فى موضع الخبر ، كأنه قال : أن تجرىَ ، وأن يكون كذا وكذا ، فلو أدخل « أن » جاز ، قال : ومنه قول الشاعر :

ذَرِينِى إنَّ أمْرَكِ لَنْ يُطاعَا　　وَما أَلْفَيْتِنِى حِلْمِى مُضَاعَا[1]

قال : فالحلم منصوب بألفيتِ على التكرير ، قال : ولو رفعه كان صوابا ، قال : وهذا مثَل ضربه الله لأعمال الكفّار ، فقال : مثل أعمال الذين كفروا يوم القيامة ، التى كانوا يعملونها فى الدنيا ، يزعمون أنهم يريدون الله بها ، مثل رَماد عصفت الريح عليه فى يوم ريح عاصف ، فنسفته ، وذهبت به ، فكذلك أعمال أهل الكفر به يوم القيامة ، لايجدون منها شيئا ينفعهم عند الله ، فينجيهم من عذابه ، لأنهم لم يكونوا يعملونها لله خالصا ، بل كانوا يشركون فيها الأوثان والأصنام ، يقول الله عزّ وجلّ (ذلكَ هُوَ الضَّلالُ البَعِيدُ) : يعنى أعمالهم التى كانوا يعملونها فى الدنيا ، التى يشركون فيها مع الله شركاء ، هى أعمال عُملت على غير هدى واستقامة ، بل على جَوْر عن الهدى بعيد ، وأخذٍ على غير استقامة شديد . وقيل (فِى يَوْمٍ عاصِفٍ) : فوُصف بالعُصوف ، وهو من صفة الريح ، لأن الريح تكون فيه ، كما يقال : يوم بارد ، ويوم حارّ ، لأن البرد والحرارة يكونان فيه ؛ وكما قال الشاعر :

يَوْمَيْنِ غَيْمَيْنِ وَيَوْماً شَمْسا[2]

فوصف اليومين بالغيمين ، وإنما يكون الغيم فيهما ، وقد يجوز أن يكون أريد به فى يوم عاصف الريح ، فحُذفت الريح ، لأنها قد ذُكرت قبل ذلك ، فيكون ذلك نظير قول الشاعر :

إذَا جاءَ يَوْمٌ مُظْلِمُ الشَّمْسِ كاسِفُ[3]

يريد : كاسف الشمس ، وقيل : هو من نعت الريح خاصة ، غير أنه لما جاء بعد اليوم أتبع إعرابه ، وذلك أن العرب تتبع الخفض الخفض فى النعوت ، كما قال الشاعر :

---

(١) البيت لعدى بن زيد العبادى على الصحيح . كما قاله الفراء والزجاج وصاحب الحماسة البصرية . ونسبه سيبويه لرجل من خثعم أو بجيلة ، وهو شاهد عند النحاة على أن قوله « حلمى » بدل اشتمال من الياء فى « ألفيتنى » . قال ابن جنى فى إعراب الحماسة : إنما يجوز البدل من ضمير المتكلم وضمير المخاطب : إذا كان بدل البعض ، أو بدل الاشتمال . نحو قولك : عجبت منك عقلك ، وضربتك رأسك . وقال الفراء فى معانى القرآن (الورقة ١٦٣) فالحلم منصوب بالإلقاء على التكرير (البدل) ولو رفعته كان صوابا . قلت : وإنما يكون ذلك إذا رفع لفظ « مضاع » على أن الجملة من المبتدأ والخبر فى محل نصب مفعول ثان لألفيتنى . ولكن قوافى القصيدة مرفوعة ، فلا يجوز إذن غير القول الأول فى البيت .

(٢) البيت من الرجز أنشده الفراء فى معانى القرآن (مصورة الجامعة الورقة ١٦٣) عند قوله تعالى : « فى يوم عاصف » ، قال : فجعل العصوف تابعا لليوم فى إعرابه ، وإنما العصوف للريح ، وذلك جائز على جهتين : أحداهما : أن العصوف وإن كان للريح ، فإن اليوم يوصف به ، لأن الريح فيه تكون ، فجاز أن تقول : يوم بارد ويوم حار . وقد أنشدنى بعضهم : « يومين غيمين ويوما شمسا » ، فوصف اليومين بالغيمين ، وإنما يكون الغيم فيهما . والوجه الآخر : أن يريد فى يوم عاصف الريح ، فتحذف الريح ، لأنها قد ذكرت فى أول الكلمة ، كما قال الشاعر :

ويُضْحِكُ عِرْفانُ الدُّرُوعِ جُلُودَنا　　إذا جاءَ يَوْمٌ مُظْلِمُ الشمسِ كاسِفُ

يريد : كاسف الشمس .

(٣) هذا عجز بيت ، استشهد به الفراء على أن معناه : كاسف الشمس ، وذكرنا البيت كله فى الكلام على الشاهد الذى قبله .

تُرِيكَ سُنَّةَ وَجْهٍ غيرِ مُقْرِفَةٍ مَلْسَاءَ ليس بها خالٌ ولا نَدَبُ[1]

فخفض «غير» إتباعا لإعراب الوجه، وإنما هى من نعت السُّنَّة، والمعنى: سُنَّة وجه غيرَ مقرفة، وكما قالوا: هذا جُحرُ ضبٍّ خربٍ[2].

وبنحو الذى قلنا فى ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنى حجاج، عن ابن جريج، فى قوله (كَرَمادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ) قال: حملته الريح فى يوم عاصف.

حدثنى محمد بن سعد، قال: ثنى أبى، قال: ثنى عمى، قال: ثنى أبى، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله (مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عاصِفٍ): يقول: الذين كفروا بربهم، وعبدوا غيره، فأعمالهم يوم القيامة كرماد اشتدّت به الريح فى يوم عاصف، لايقدرون على شىء من أعمالهم ينفعهم، كما لايقدر على الرماد إذا أرسل عليه الريح فى يوم عاصف. وقوله (ذلكَ هُوَ الضَّلالُ البَعِيدُ): أى الخطأ البين، البعيد عن طريق الحقّ.

القول فى تأويل قوله تعالى

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ، إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ، وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ (٢٠)

يقول عزّ ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ألم تر يامحمد بعين قلبك، فتعلم أن الله أنشأ السموات والأرض بالحقّ، منفردا بإنشائها، بغير ظهير ولامعين. (إنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ): يقول: إن الذى تفرّد بخلق ذلك وإنشائه، من غير معين ولا شريك، إن هوشاء أن يُذْهِبَكم فيفنيكم، أذهبكم وأفناكم، ويأت بخلق آخر سواكم مكانكم، فيجدّد خلقهم (وَما ذلكَ على اللهِ بِعَزِيزٍ) يقول: وما إذهابكم وإفناوكم وإنشاء خلق آخر سواكم مكانكم، على الله بممتنع ولا متعذّر، لأنه القادر على ما يشاء.

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ خَلَقَ): فقرأ ذلك عامّة قرّاء أهل المدينة والبصرة وبعض الكوفيين: خَلَقَ: على فَعَلَ. وقرأته عامّة قرّاء أهل الكوفة: «خالق» على فاعل، وهما قراءتان مستفيضتان، قد قرأ بكل واحدة منهما أئمة من القرّاء متقاربتا المعنى، فبأيّهما قرأ القارئ فمصيب.

(١) البيت من شواهد الفراء. فى معانى القرآن (مصورة الجامعة ص ١٦٣ على) الخفض على المجاورة. قال فى الآية «ريح عاصف»: وإن نويت أن تجعل «عاصف» من نعت الريح خاصة، فلما جاء بعد اليوم أتبعته بإعراب اليوم، وذلك من كلام العرب: أن يتبعوا الخفض الخفض إذا أشبهه، قال الشاعر: تريك سنة وجه... البيت اهـ. وقال بعضهم سمعت الفراء قال: قلت لأبى ثروان وقد أنشدنى هذا البيت بخفض: كيف تقول: تريك سنة وجه غير مقرفة قال: تريك سنة وجه غير مقرفة. (بجر غير) قلت: فأنشد، فخفض غير، فأعدت القول عليه، فقال: الذى تقول أنت أجود مما أقول أنا. وكان إنشاده على الخفض.

(٢) يذهب ابن جنى فى تخريج هذا المثال. مذهبا لعله استمده من كلام الفراء، فيجعل خرب نعتا سببيا لضب المجرور، وفاعله محذوف، والتقدير: خرب جحره؛ وعليه فلا شذوذ فيه، كما قال فى الخصائص (طبعة جديدة بدار الكتب ١: ١٩١ - ١٩٢).

القول فى تأويل قوله تعالى

وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا ، فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا : إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا ، فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ؟ قَالُوا : لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ ، سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا ، مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ (٢١)

يعنى تعالى ذكره بقوله (وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا) وظهر هؤلاء الذين كفروا به يوم القيامة من قبورهم ، فصاروا بالبراز من الأرض جميعا ، يعنى كلهم . (فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا) : يقول : فقال التُّبَّاع منهم للمتبوعين ، وهم الذين كانوا يستكبرون فى الدنيا عن إخلاص العبادة لله ، واتباع الرسل الذين أرسلوا إليهم : (إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا) فى الدنيا ، والتَّبَع : جمع تابع ، كما الغَيَب جمع غائب ، وإنما عَنَوا بقولهم : إنا كنا لكم تبعا ، أنهم كانوا أتباعهم فى الدنيا ، يأتمرون لما يأمرونهم به ، من عبادة الأوثان ، والكفر بالله ، وينتهون عما نَهَوْهم عنه ، من اتباع رسل الله . (فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ) ؟ يعنون : فهل أنتم دافعون عنا اليوم من عذاب الله من شىء . وكان ابن جريج يقول نحو ذلك .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (وَقَالَ الضُّعَفَاءُ) قال : الأتباع . (لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا) : قال : للقادة .

وقوله (لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ) : يقول عزّ ذكره : قالت القادة على الكفر بالله لتبّاعها (لَوْ هَدَانَا اللَّهُ) يعنون : لو بَيَّن لنا شيئا ندفع به عذابه عنا اليوم . (لَهَدَيْنَاكُمْ) : لبيَّنا ذلك لكم ، حتى تدفعوا العذاب عن أنفسكم ، ولكنا قد جزعنا من العذاب ، فلم ينفعنا جزعُنا منه ، وصبرنا عليه . (سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا ، مَالَنَا مِنْ مَحِيصٍ) يعنون : مالهم من مَزَاغ يزوغون عنه ، يقال منه : حاص عن كذا : إذا زاغ عنه ، يَحِيص حَيْصا وحُيُوصا وحَيَصانا .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا سويد بن نصر ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن الحكم ، عن عمرو بن أبى ليلى أحد بنى عامر ، قال : سمعت محمد بن كعب القُرَظِىّ يقول : بلغنى ، أوذُكر لى ، أن أهل النار قال بعضهم لبعض : ياهؤلاء ، إنه قد نزل بكم من العذاب والبلاء ما قد تَرَوْن ، فهلمّ فلنصبر ، فلعلّ الصبر ينفعنا كما صبر أهل الدنيا على طاعة الله ، فنفعهم الصبر إذ صبروا ، قال : فيجمعون رأيهم على الصبر ، قال : فصبروا ، فطال صبرهم ، ثم جزعوا فنادَوا : (سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا ، مَالَنَا مِنْ مَحِيصٍ) : أى مَنْجًى .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ) : قال : إن أهل النار قال بعضهم لبعض : تعالَوا ، فإنما أدرك أهل الجنة الجنةَ ببكائهم وتضرّعهم إلى الله ، فتعالَوا نبكى ونتضرّع إلى الله ، قال : فبكَوا ، فلما رأوا ذلك لاينفعهم

قالوا: تعالوا، فما أدرك أهل الجنة الجنةَ إلا بالصبر، تعالَوا نصبر فصَبَروا صبرا لم يُر مثله، فلم ينفعهم ذلك، فعند ذلك قالوا: (سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَالَنَا مِنْ مَحِيصٍ).

القول فى تأويل قوله تعالى

وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ: إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ، وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ، وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي، فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ، مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ، إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ، إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٢)

⁂ يقول تعالى ذكره: وقال إبليس لما قُضِي الأمر، يعنى لما أُدخِل أهل الجنة الجنةَ، وأهل النار النار، واستقرّ بكلّ فريق منهم قَرارهم: إن الله وعدكم أيها الأتباع النار، ووعدتكم النُّصْرة، فأخلفتكم وعدى، ووفى الله لكم بوعده. (وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ): يقول: وما كان لى عليكم فيما وعدتكم من النصرة، من حجة تَثْبُت لى عليكم بصدق قولى. (إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ)، وهذا من الاستثناء المنقطع عن الأوّل، كما تقول: ما ضربته إلا أنه أحمق، ومعناه: ولكن دعوتكم (فَاسْتَجَبْتُمْ لِي) يقول: إلا أن دعوتكم إلى طاعتى ومعصية الله، فاستجبتم لدعائى (فَلَا تَلُومُونِي) على إجابتكم إياى (وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ): عليها. (مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ): يقول: ما أنا بمغيثكم (وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ) ولا أنتم بمغيثىّ من عذاب الله، فمنجّىَّ منه. (إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ): يقول: إنى جحدت أن أكون شريكا لله فيما أشركتمونى فيه من عبادتكم من قبلُ فى الدنيا. (إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ): يقول: إنّ الكافرين بالله لهم عذاب أليم من الله، مُوجع، يقال: أصرخت الرجل: إذا أغثته، إصراخا، وقد صرخ الصارخ يَصْرُخ، ويَصْرَخ قليلة[1]، وهو الصريخ والصراخ.

وبنحو الذى قلنا فى ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن المثنى، قال: ثنا عبد الأعلى، قال: ثنا داود، عن عامر فى هذه الآية (مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ، إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ) قال: خطيبان يقومان يوم القيامة: إبليس، وعيسى بن مريم؛ فأما إبليس فيقوم فى حزبه، فيقول: هذا القول؛ وأما عيسى عليه السلام فيقول (مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ: أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ، وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ، فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ، وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ).

(١) لعله يريد أن الفعل يصرخ بضم الراء، وأن فيه لغة قليلة بفتحها. ولم أجدها فى المعاجم التى بين أيدينا، ولا فى معانى القرآن للفراء، ولا فى مجاز القرآن لأبى عبيدة.

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن عُلَيَة ، عن داود ، عن الشعبىّ ، قال : يقوم خطيبان يوم القيامة : أحدهما عيسى ، والآخر إبليس ؛ فأما إبليس فيقوم فى حزبه فيقول : (إنَّ اللهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الحَقّ) ، فتلا داود حتى بلغ (بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ) فلا أدرى أتمّ الآية أم لا ؛ وأما عيسى عليه السلام فيقال له : (أَأَنْتَ قُلْتَ للنَّاسِ اتَّخِذُونِى وأُمِّىَ إلهَيْنِ مِنْ دُونِ اللهِ) ؟ فتلا حتى بلغ (إنَّكَ أَنْتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ) .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا علىّ بن عاصم ، عن داود بن أبى هند ، عن عامر ، قال : يقوم خطيبان يوم القيامة على رءوس الناس ، يقول الله عزّ وجلّ : ياعيسى بن مريم (أَأَنْتَ قُلْتَ للنَّاسِ اتَّخِذُونِى وأُمِّىَ إلهَيْنِ مِنْ دُونِ اللهِ ؟) . . . إلى قوله (هذَا يَوْمَ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ) قال : ويقوم إبليس فيقول : (وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إلاَّ أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِى ، فَلا تَلُومُونِى وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ ، ما أنا بِمُصْرِخِكُمْ ، وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِىَّ) ما أنا بمغيثكم ، وما أنتم بمغيثىّ .

حدثنا الحسين ، قال : ثنا سعيد بن منصور ، ، قال : ثنى خالد ، عن داود ، عن الشعبىّ ، فى قوله (ما أنا بِمُصْرِخِكُمْ ، وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِىَّ) قال : خطيبان يقومان يوم القيامة ؛ فأما إبليس فيقول هذا ؛ وأما عيسى فيقول : (ما قُلْتُ لَهُمْ إلاَّ ما أَمَرْتَنِى بِهِ) .

حدثنا المثنى ، قال : ثنا سويد بن نصر ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن رشدين بن سعد ، قال : أخبرنى عبد الرحمن بن زياد ، عن دُخَين الحَجْرى ، عن عقبة بن عامر ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ذكر الحديث ، قال (يقول عيسى : ذلِكُمُ النَّبِىُّ الأُمِّىُّ ، فَيَأْتُونَنِى ، فَيَأْذَنُ اللهُ لى أنْ أقُومَ ، فَيَثُورُ مِنْ مَجْلِسِى مِنْ أطْيَبِ رِيحٍ شَمَّها أحَدٌ ، حتى آتِىَ رَبِّى ، فَيُشَفِّعَنِى ، وَيَجْعَلَ لى نُورًا إلى نُورٍ ، مِنْ شَعْرِ رأسِى إلى ظُفْرِ قَدَمِى ، ثُمَّ يَقُولُ الكافِرُونَ قَدْ وَجَدَ المُؤْمِنُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَهُمْ ، فَقُمْ أنْتَ فاشْفَعْ لَنَا ، فإنَّكَ أنْتَ أضْلَلْتَنَا ، فَيَقُومُ ، فَيَثُورُ مِنْ مَجْلِسِهِ أنْتَنُ رِيحٍ شَمَّها أحَدٌ ، ثُمَّ يُعَظِّمُ نَحِيبُهُمْ ، وَيَقُولُ عِنْدَ ذلكَ : إنَّ اللهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الحَقّ ، وَوَعَدْتُكُمْ فأخْلَفْتُكُمْ . . . الآية) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن رجل ، عن الحسن ، فى قوله (وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ) قال : إذا كان يوم القيامة ، قام إبليس خطيبا على منبر من نار ، فقال (إنَّ اللهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الحَقّ ، وَوَعَدْتُكُمْ فأخْلَفْتُكُمْ) . . . إلى قوله (وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِىَّ) قال : بناصرىّ (إنِّى كَفَرْتُ بِمَا أشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ) قال : بطاعتكم إياى فى الدنيا .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك عمن ذكره ، قال : سمعت محمد بن كعب القُرَظِىّ ، قال : فى قوله (وَقَالَ الشَّيْطانُ لَمَّا قُضِىَ الأمْرُ : إنَّ اللهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الحَقّ) قال : قام إبليس يخطبهم ، فقال : (إنَّ اللهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الحَقّ) ... إلى قوله (ما أنا بِمُصْرِخِكُمْ) يقول : بمغنٍ عنكم شيئا (وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِىَّ ، إنِّى كَفَرْتُ بِمَا أشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ) قال :

فلما سمعوا مقالته مقتوا أنفسهم ، قال : فنُودوا : (لَمَقْتُ اللهِ أكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أنْفُسَكُمْ) ...الآية

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (ما أنا بِمُصْرِخِكُمْ وَما أنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ) : ما أنا بمغيثكم ، وما أنتم بمغيثيّ .

وقوله (إنّي كَفَرْتُ بِمَا أشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ) يقول : عصيت الله قبلكم .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَما أنا بِمُصْرِخِكُمْ وَما أنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ ، إنّي كَفَرْتُ بِمَا أشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ) قال : هذا قول إبليس يوم القيامة ، يقول : ما أنتم بنافعيّ ، وما أنا بنافعكم ، إني كفرت بما أشركتمون من قبل ، قال : شَرِكَتُه : عبادته .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسين قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (بِمُصْرِخِيَّ) قال : بمغيثيّ .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن أبي جعفر الرازيّ ، عن الربيع بن أنس ، قال : ما أنا بمنجيكم ، وما أنتم بمنجيّ .

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، قال خطيب السوء إبليس الصادق ، أفرأيتم صادقا لم ينفعه صدقه : (إنَّ اللهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الحَقّ ، وَوَعَدْتُكُمْ فأخْلَفْتُكُمْ ، وَما كانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطانٍ) أقهركم به (إلاَّ أنْ دَعَوْتُكُمْ فاسْتَجَبْتُمْ لِي) قال : أطعتموني (فَلا تَلُومُونِي وَلُومُوا أنْفُسَكُمْ) حين أطعتموني (ما أنا بِمُصْرِخِكُمْ) ما أنا بناصركم ولا مغيثكم (وَما أنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ) : وما أنتم بناصريّ ولا مغيثيّ لما بي (إنّي كَفَرْتُ بِمَا أشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ ، إنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أليمٌ) .

حدثني المثنى ، قال : ثنا سويد ، قال : ثنا ابن المبارك ، عن الحكم ، عن عمرو بن أبي ليلى ، أحد بني عامر ، قال : سمعت محمد بن كعب القُرَظيّ يقول (وَقالَ الشَّيْطانُ لَمَّا قُضِيَ الأمْرُ) قال : قام إبليس عند ذلك ، يعني : حين قال أهل جهنم : (سَوَاءٌ عَلَيْنا أجَزِعْنا أمْ صَبَرْنا مالَنا مِنْ مَحِيصٍ) ، فخطبهم فقال : (إنَّ اللهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الحَقّ ، وَوَعَدْتُكُمْ فأخْلَفْتُكُمْ) . . . إلى قوله (ما أنا بِمُصْرِخِكُمْ) يقول : بمغنٍ عنكم شيئا (وَما أنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ . إنّي كَفَرْتُ بِمَا أشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ) قال : فلما سمعوا مقالته مَقَتوا أنفسهم ، قال : فنُودوا : (لَمَقْتُ اللهِ أكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ) . . . الآية .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ۖ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ (٢٣) أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ ، أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ (٢٤) تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ، وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٥)

⁂ يقول عزّ ذكره : وأدخل الذين صَدقوا الله ورسوله، فأقرّوا بوحدانية الله، وبرسالة رسله ، وأن ماجاءت به من عند الله حقّ (وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) يقول: وعملوا بطاعة الله ، فانتهوا إلى أمر الله ونهيه . (جَنَّاتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ) : بساتين تجرى من تحتها الأنهار (خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ) : يقول : ادخلوها بأمر الله لهم بالدخول (تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلامٌ) وذلك إن شاء الله ، كما حدثنا القاسم، قال ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال: قوله (تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلامٌ) قال : الملائكة يسلمون عليهم فى الجنة .

وقوله (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ) : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ألم تر يامحمد بعين قلبك ، فتعلم كيف مثّل الله مَثَلا، وشبّه شَبَهها: كلمة طيبة ، ويعنى بالطيبة : الإيمان به جلّ ثناؤه ، كشجرة طيبة الثمرة ، وترك ذكر الثمرة استغناء بمعرفة السامعين عن ذكرها بذكر الشجرة . وقوله (أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى السَّمَاءِ) يقول عزّ ذكره : أصل هذه الشجرة ثابت فى الأرض ، وفرعها ، وهو أعلاها فى السماء : يقول : مرتفع علوا نحو السماء . وقوله (تُؤْتِى أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا) : يقول: تُطْعِم مايؤكل منها من ثمرها، كُلَّ حِينٍ بأمر ربها (وَيَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ) يقول : ويمثّل الله الأمثال للناس ، ويشبه لهم الأشباه (لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ) يقول : ليتذكروا حجة الله عليهم ، فيعتبروا بها ويتعظوا ، فينزجروا عما هم عليه من الكفر به إلى الإيمان .

وقد اختلف أهل التأويل فى المعنىّ بالكلمة الطيبة ، فقال بعضهم: عَنَى بها : إيمان المؤمن :

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (كَلِمَةً طَيِّبَةً) : شهادة أن لاإله إلا الله (كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ) وهو المؤمن . (أَصْلُهَا ثَابِتٌ) يقول : لاإله إلا الله ثابت فى قلب المؤمن (وَفَرْعُهَا فِى السَّمَاءِ) يقول : يرفع بها عمل المؤمن إلى السماء .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس

(كَلِمَةً طَيِّبَةً) قال: هذا مَثَل الإيمان ، فالإيمان : الشجرة الطيبة ، وأصله الثابت الذى لايزول الإخلاص لله ، وفرعه فى السماء ، فرعه : خشية الله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال مجاهد (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ) قال : كنخلة .

قال ابن جريج : وقال آخرون : الكلمة الطيبة أصلها ثابت فى ذات أصل فى القلب (وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ) تعرُج فلا تحجب ، حتى تنتهى إلى الله .

وقال آخرون : بل عُنِىَ بها المؤمن نفسه .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قالى : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ ، أَصْلُهَا ثابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ، تُؤْتِى أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِاذْنِ رَبِّهَا) ، يعنى بالشجرة الطيبة : المؤمن ، ويعنى بالأصل الثابت : فى الأرض ، وبالفرع فى السماء : يكون المؤمن يعمل فى الأرض ، ويتكلم ، فيبلغ عملُه وقولُه السماء ، وهو فى الأرض .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا فُضيل بن مرزوق ، عن عطية العَوْفىّ فى قوله (ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ) قال : ذلك مثل المؤمن ، لايزال يخرج منه كلام طيب ، وعمل صالح يصعد إليه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبى جعفر ، عن الربيع بن أنس ، قال : أصلها ثابت : فى الأرض ، وكذلك كان يقرؤها ، قال : ذلك المؤمن ضرب مثله ، قال : الإخلاص لله وحده وعبادته ، لاشريك له ، قال : (أَصْلُهَا ثابِتٌ) قال : أصل عمله ثابت فى الأرض (وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ) قال : ذكره فى السماء .

واختلفوا فى هذه الشجرة التى جعلت للكلمة الطيبة مَثَلا ، فقال بعضهم : هى النخلة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن معاوية بن قرة ، قال : سمعت أنس ابن مالك فى هذا الحرف (كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ) قال : هى النخلة .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا أبو قَطَن ، قال : ثنا شعبة ، عن معاوية بن قرة ، عن أنس ، مثله .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا شعبة ، عن معاوية بن قرة ، قال : سمعت أنس بن مالك يقول : (كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ) قال : النخل .

حدثنى يعقوب والحسن بن محمد ، قالا : ثنا ابن علية ، قال : ثنا شعيب ، قال : قال : خرجت مع أبى العالية ، نريد أنس بن مالك ، قال : فأتيناه ، فدعا لنا بقِنْو عليه رُطَب ، فقال : كلوا من هذه الشجرة ،

التى قال الله عزّ وجلّ (ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ ، أصْلُها ثابِتٌ ، وفَرْعُها فِى السَّماءِ) وقال الحسن فى حديثه : بقناع .

حدثنا خلاد بن أسلم ، قال : أخبرنا النضر بن شميل ، قال : أخبرنا حماد بن سلمة ، قال : أخبرنا شعيب بن الحَبْحاب ، عن أنس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أُتِى بقناع بُسْر ، فقال : مثل (كَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ) قال : هى النخلة .

حدثنا سوار بن عبد الله ، قال : ثنا أبى ، قال : ثنا حماد بن سلمة ، عن شعيب بن الحبحاب ، عن أنس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أُتى بقناع فيه بسر ، فقال : « مَثَلُ كَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ » قال : هى النخلة ، قال شعيب ، فأخبرت بذلك أبا العالية ، فقال : كذلك كانوا يقولون .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا حجاج ، قال : ثنا حماد بن سَلَمة ، عن شعيب بن الحَبْحاب ، قال : كنا عند أنس ، فأُتينا بطبق أو قِنْع عليه رطب ، فقال : كل يا أبا العالية ، فإن هذا من الشجرة التى ذكر الله عزّ وجلّ فى كتابه (ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ ، أصْلُها ثابِتٌ) .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا الحجاج بن المنهال ، قال : ثنا مَهْدىّ بن ميمون ، عن شعيب بن الحبحاب ، قال : كان أبو العالية يأتينى ، فأتانى يوما فى منزلى بعد ما صليت الفجر ، فانطلقت معه إلى أنس بن مالك ، فدخلنا معه إلى أنس بن مالك ، فجىء بطبق عليه رطب ، فقال أنس لأبى العالية : كل يا أبا العالية ، فإن هذه من الشجرة التى قال الله فى كتابه : (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أصْلُها ثابِتٌ) قال : هكذا قرأها يومئذ أنس .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا طلق ، قال : ثنا شريك ، عن السدىّ ، عن مرة ، عن عبد الله ، مثله .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا عبد الغفار بن القاسم ، عن جامع بن أبى راشد ، عن مُرّة بن شراحيل الهمدانىّ ، عن مسروق (كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ) قال : النخلة .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال ثنا عيسى « ح » ، وحدثنى الحارث قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء « ح » ؛ وحدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا إسرائيل ، عن السدىّ ، عن مُرّة ، عن عبد الله ، مثله .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا معلى بن أسد ، قال : ثنا خالد ، قال : أخبرنا حُصَين ، عن عكرمة ، فى قوله (كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ) قال : هى النخلة ، لاتزال فيها منفعة .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مَغْراء ، عن جويبر ، عن الضحاك ، فى قوله (كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ) قال : ضرب الله مثل المؤمن كمثل النخلة : تؤتى أكلها كلّ حين .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ) : كنا نحدّث أنها النخلة .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ) قال : يزعمون أنها النخلة .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (تُؤْتِى أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ) قال : هى النخلة .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا محمد بن عبيد ، قال : ثنا الأعمش ، عن المنهال بن عمرو ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، فى قوله (وَفَرْعُهَا فِى السَّمَاءِ) قال : النخلة .

قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا سعيد بن منصور ، قال : ثنا خالد ، عن الشيبانىّ ، عن عكرمة (تُؤْتِى أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ) قال : هى النخلة .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، قال : قال شعيب بن الحبحاب ، عن أنس بن مالك : الشجرة الطيبة : النخلة .

وقال آخرون : بل هى شجرة فى الجنة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عفان ، قال : ثنا أبوكدينة ، قال : ثنا قابوس بن أبى ظبيان ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، فى قول الله عزّ وجلّ (ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ ، أَصْلُهَا ثَابِتٌ ، وَفَرْعُهَا فِى السَّمَاءِ ، تُؤْتِى أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا) قال : هى شجرة فى الجنة .

⁂ وأَوَلَى القولين بالصواب فى ذلك : قول من قال : هى النخلة ، لصحة الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بما حدثنا به الحسن بن محمد ، قال : ثنا سفيان بن عيينة ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قال : صحبت ابن عمر إلى المدينة ، فلم أسمعه يحدّث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا حديثا واحدا ، قال : كنا عند النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فأُتى بجُمّار ، فقال : « مِنَ الشجَرِ شَجَرَةٌ مَثَلُهَا مَثَلُ الرَّجُلِ المُسْلِمِ » فأردت أن أقول : هى النخلة ، فإذا أنا أصغر القوم ، فسكتُّ .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا يزيدُ بن هارون ، قال : أخبرنا سليمان ، عن يوسف بن سَرْح ، عن رجل ، عن ابن عمر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « هَلْ تَدْرُونَ ما الشَّجَرَةُ الطَّيِّبَةُ ؟ قال ابن عمر : فأردت أن أقول : هى النخلة ، فمنعنى مكان عمر ، فقالوا : الله ورسوله أعلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هِىَ النَّخْلَةُ » .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا يحيى بن حماد ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا عبد الله بن دينار ، عن ابن عمر ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما لأصحابه : « إنَّ شَجَرَةً مِنَ الشَّجَرِ لا يُطْرَحُ وَرَقُهَا مَثَلُ المُؤْمِنِ » قال : فوقع الناس فى شجر البدو ، ووقع فى قلبى أنها النخلة ، فاستحييت ، حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هِىَ النَّخْلَةُ » .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا عاصم بن علىّ ، قال : ثنا عبد العزيز بن مسلم القِسْمِلِى[1] ، قال : ثنا عبد الله

(١) بتقديم الميم على اللام ، كما فى تاج العروس (قسمل : كزبرج) ، وفى الخلاصة ، بتقديم اللام على الميم ، ولعله خطأ مطبعى .

ابن دينار ، عن ابن عمر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً لا يَسْقُطُ وَرَقُها ، وهى مَثَلُ المُؤْمِنِ ، فَحَدِّثُونِى ما هِىَ » ؟ فذكر نحوه .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا علىّ ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، قال : ثنا عبيد الله ، قال : ثنى نافع ، عن عبد الله ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أخْبِرُونى بشَجَرَةٍ كَمَثَلِ الرَّجُلِ المُسْلِمِ ، تُؤْتِى أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ ، لا يَتَحاتُّ وَرَقُها ، قال : فوقع فى نفسى أنها النخلة ، فكرهت أن أتكلم ، وثَمَّ أبو بكر وعمر ، فلما لم يتكلموا ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هِىَ النَّخْلَةُ » .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا محمد بن الصباح ، قال : ثنا إسماعيل ، عن عبيد الله ، عن نافع ، عن ابن عمر ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم ، نحوه .

واختلف أهل التأويل فى معنى الحين ، الذى ذكر الله عزّ وجلّ فى هذا الموضع ، فقال (تُؤْتِى أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بإذْنِ رَبِّها) فقال بعضهم : معناه : تؤتى أكلها كل غداة وعشية .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا أبو معاوية ، قال : ثنا الأعمش ، عن أبى ظبيان ، عن ابن عباس ، قال : الحين : قد يكون غدوة وعشية .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا محمد بن عبيد ، قال : ثنا الأعمش ، عن أبى ظبيان ، عن ابن عباس فى قوله (تُؤْتِى أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بإذْنِ رَبِّها) قال : غُدوة وعشية .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن أبى ظبيان ، عن ابن عباس ، مثله .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن أبى عدىّ ، عن شعبة ، عن سليمان ، عن أبى ظبيان ، عن ابن عباس ، بمثله .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا طَلْق ، عن زائدة ، عن الأعمش ، عن أبى ظبيان ، عن ابن عباس مثله .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا علىّ بن الجعد ، قال : ثنا شعبة ، عن الأعمش عن أبى ظبيان ، عن ابن عباس ، فى قوله (تُؤْتِى أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بإذْنِ رَبِّها) قال : بكرة وعشيا .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا شريك ، عن الأعمش ، عن أبى ظبيان ، عن ابن عباس : (تُؤْتِى أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بإذْنِ رَبِّها) قال : بكرة وعشية .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، (تُؤْتِى أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بإذْنِ رَبِّها) قال : يُذْكر الله كلّ ساعة من الليل والنهار .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا عفان ، قال : ثنا أبو كدينة ، قال : ثنا قابوس ، عن أبيه ، عن ابن عباس (تُؤْتِى أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بإذْنِ رَبِّها) : قال : غدوة وعشية .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مَغْراء ، عن جويبر ، عن الضحاك ، فى قوله : (تُؤْتِى أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بإذْنِ رَبِّها) قال : المؤمن يطيع الله بالليل والنهار ، وفى كلّ حين .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس : (تُؤْتِى أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بإذْنِ رَبِّها) يصعد عمله أوّل النهار وآخره .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبى جعفر ، عن الربيع بن أنس (تُؤْتِى أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بإذْنِ رَبِّها) قال : يَصْعَد عمله غدوة وعشية .

حُدِّثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : أخبرنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله : (تُؤْتِى أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بإذْنِ رَبِّها) قال : تُخْرج ثمرتها كلّ حين ، وهذا مثل المؤمن يعمل كلّ حين كل ساعة من النهار ، وكلّ ساعة من الليل ، وبالشتاء والصيف ، بطاعة الله .

وقال آخرون : معنى ذلك : تؤتى أكلها كلّ ستة أشهر ، من بين صِرامها إلى حملها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا يحيى ، قال : ثنا سفيان ، عن طارق بن عبد الرحمن ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : الحِين : ستة أشهر .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيَة ، قال : أخبرنا أيوب ، قال : قال عكرمة : سئلت عن رجل حلف أن لايصنع كذا وكذا إلى حين ، فقلت : إن من الحِين حينا يدرك ، ومن الحين حينا لايدرك ، فالحِين الذى لايدرك قوله (ولَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ) والحِين ، الذى يُدْرَك (تُؤْتِى أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بإذْنِ رَبِّها) قال : وذلك من حين تُصْرَمُ النخلة إلى حين تطلع ، وذلك ستة أشهر .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن ابن الأصبهانىّ ، عن عكرمة ، قال : الحِين : ستة أشهر .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا سعيد بن منصور ، قال : ثنا خالد ، عن الشيبانىّ ، عن عكرمة ، فى قوله (تُؤْتِى أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بإذْنِ رَبِّها) قال : هى النخلة ، والحِين : ستة أشهر .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا كثير بن هشام ، قال : ثنا جعفر ، قال : ثنا عكرمة (تُؤْتِى أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ باذْنِ رَبِّها) قال : هو ما بين حمل النخلة إلى أن تُحْزر[1] .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا قبيصة بن عقبة ، قال : ثنا سفيان ، قال : قال عكرمة : الحِين : ستة أشهر .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا قيس ، عن طارق بن عبد الرحمن ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، أنه سئل عن رجل حلف أن لايكلم أخاه حِينا ، قال : الحِين : ستة أشهر ، ثم ذكر النخلة ما بين حملها إلى صِرامها ستة أشهر .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن طارق ، عن سعيد بن جبير (تُؤْتِى أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ) قال : ستة أشهر .

(١) تحرز ، بتقديم الزاى على الراء : أى يقدر ما عليها من التمر بالنظر إليها والحدس .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال (تُؤْتِى أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بإذْنِ رَبِّها) والحِين : ما بين السبعة والستة ، وهى تؤكل شتاء وصيفا .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، قال : قال الحسن : ما بين الستة الأشهر والسبعة : يعنى الحِين .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن عبد الرحمن بن الأصبهانىّ ، عن عكرمة قال : الحِين : ستة أشهر .

وقال آخرون : بل الحِين ههنا سَنَة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن أبى مكين ، عن عكرمة ، إن نَذَر أن يقطع يد غلامه أو يحبسه حِينا ، قال : فسألنى عمر بن عبد العزيز ، فقلت : لاتقطع يده ، ويحبسه سنة ، والحِين : سنة ، ثم قرأ (لَيَسْجُنُنَّهُ حتى حِينٍ) ، وقرأ (تُؤْتِى أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بإذْنِ رَبِّها) .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، قال : وزاد أبو بكر الهذلىّ ، عن عكرمة ، قال : قال ابن عباس : الحِين حينان : حين يعرف ، وحين لايعرف ؛ فأما الحين الذى لايعرف : (وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ) . وأما الحين الذى يُعْرَف ، فقوله (تُؤْتِى أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بإذْنِ رَبِّها) .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، قال : سألت حمادا والحكَم ، عن رجل حلف ألاَّ يكلم رجلا إلى حِين ، قالا : الحِين : سنة .

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى « ح » وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء « ح » ؛ وحدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنى ورقاء « ح » ؛ وحدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (كُلَّ حِينٍ) قال : كلّ سنة .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (تُؤْتِى أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ) قال : كلّ سنة .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سلام ، عن عطاء بن السائب ، عن رجل منهم ، أنه سأل ابن عباس ، فقال : حلفت ألاَّ أكلم رجلا حِينا ، فقرأ ابن عباس : (تُؤْتِى أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ) ، فالحِين : سنة .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا ابن عسيل ، عن عكرمة ، قال : أرسل إلىّ عمر بن عبد العزيز ، فقال : يا مولى ابن عباس ، إنى حلفت أن لاأفعل كذا وكذا حِينا ، فما الحِين الذى يعرف به ؟ قلت : إن من الحين حينا لايُدرك ، ومن الحين حين يُدرك ؛ فأما الحين الذى لايدرك ، فقول الله : (هَلْ أَتَى على الإنْسانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً) ، والله مايُدرَى كم أتى له إلى أن خُلِق . وأما الذى

يدرك فقوله (تُؤْتِى أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا)، فهو مابين العام إلى العام المقبل ، فقال : أصبت يا مولى ابن عباس : ما أحسن ما قلت !

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن عطاء ، قال : أتى رجل ابن عباس ، فقال : إنى نذرت أن لأكلم رجلا حينا ، فقال ابن عباس (تُؤْتِى أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ) ، فالحين : سنة .

وقال آخرون : بل الحين فى هذا الموضع : شهران .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا محمد بن مسلم الطائفىّ ، عن إبراهيم بن ميسرة ، قال : جاء رجل إلى سعيد بن المسيّب ، فقال : إنى حلفت أن لاأكلم فلانا حينا ، فقال : قال الله تعالى : (تُؤْتِى أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا) قال : هى النخلة ، لايكون منها أكلها إلا شهرين : فالحين شهران .

⁂ وأولى الأقوال فى ذلك عندى بالصواب : قول من قال : عُنِى بالحين فى هذا الموضع : غُدوة وعَشية ، وكلّ ساعة ، لأن الله تعالى ذكره ضرب ماتُؤْتى هذه الشجرة كلّ حين من الأُكُل ، لعمل المؤمن وكلامه مثلا ، ولا شكّ أن المؤمن يُرفع له إلى الله فى كلّ يوم صالح من العمل والقول ، لا فى كلّ سنة ، أوفى كلّ ستة أشهر ، أو فى كلّ شهرين . فإذا كان ذلك كذلك ، فلا شكّ أن المثل لايكون خِلافا للمُمَثَّل به فى المعنى . وإذا كان ذلك كذلك ، كان بيِّنا صحة ما قلنا .

فإن قال قائل : فأىّ نخلة تؤتى فى كلّ وقت أُكلا صيفا وشتاء ؟ قيل : أما فى الشتاء فإن الطلع من أكلها . وأما فى الصيف فالبلح والبُسر والرطب والتمر ، وذلك كله من أكُلِها .

وقوله (تُؤْتِى أُكُلَهَا) : فإنه كما حدثنا به محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (تُؤْتِى أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا) قال : يؤكل ثمرها فى الشتاء والصيف .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (تُؤْتِى أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ) قال : هى تؤكل شتاء وصيفا .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس (تُؤْتِى أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا) : يصعد عمله ، يعنى عمل المؤمن من أوّل النهار وآخره .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ (٢٦)

⁂ يقول تعالى ذكره : ومثل الشرك بالله ، وهى الكلمة الخبيثة ، كشجرة خبيثة .

اختلف أهل التأويل فيها أىّ شجرة هى ؟ فقال أكثرهم : هى الحنظل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن معاوية بن قُرة ، قال :

سمعت أنس بن مالك، قال فى هذا الحرف (وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ) قال: الشِّريان، فقلت : ما الشِّريان ؟ قال رجل عنده : الحنظل ، فأقرّ به معاوية .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : أخبرنا شعبة ، عن معاوية بن قرة ، قال : سمعت أنس بن مالك يقول : (وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ) قال : الحنظل .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا عمرو بن الهيثم ، قال : ثنا شعبة ، عن معاوية بن قرة ، عن أنس بن مالك ، قال : الشِّريان : يعنى الحنظل .

حدثنا أحمد بن منصور ، قال : ثنا نعيم بن حماد ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن ابن جريج ، عن الأعمش ، عن حبّان بن شعبة ، عن أنس بن مالك ، فى قوله (كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ) قال : الشِّريان ، قلت لأنس : ما الشِّريان ؟ قال : الحنظل .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيّة قال : ثنا شعيب ، قال : خرجت مع أبى العالية ، نريد أنس ابن مالك ، فأتيناه ، فقال (وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ) : تلكم الحنظل .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا إسماعيل بن إبراهيم ، عن شعيب بن الحَبْحاب ، عن أنس ، مثله .

حدثنا المثنى قال ثنا آدم العسقلانىّ ، قال : ثنا شعبة ، قال : ثنا أبو إياس ، عن أنس بن مالك ، قال : الشجرة الخبيثة : الشِّريان ، فقلت : وما الشريان ؟ قال : الحنظل .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا الحجاج ، قال : ثنا حماد ، عن شعيب ، عن أنس ، قال : تلكم الحنظل .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا الحجاج ، قال : ثنا مهدىّ بن ميمون ، عن شعيب ، قال: قال أنس: (وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ) . . . الآية ، قال : تلكم الحنظل ، ألم تروا إلى الرياح كيف تُصَفّقها يمينا وشمالا ؟

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ) : الحنظلة .

وقال آخرون : هذه الشجرة لم تخلق على الأرض .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن محمد الزعفرانىّ ، قال : : ثنا عفان ، قال : ثنا أبو كدينة ، قال : ثنا قابوس ، عن أبيه ، عن ابن عباس (وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الأَرْضِ ما لَهَا مِنْ قَرَارٍ) قال : هذا مثل ضربه الله ، ولم تُخلق هذه الشجرة على وجه الأرض .

وقد رُوى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بتصحيح قول من قال : هى الحنظلة، خبرٌ ، فإن صحّ فلا قول يجوز أن يقال غيره ، وإلا فإنها شجرة بالصفة التى وصفها الله بها .

ذكر الخبر الذى ذكرناه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

حدثنا سوار بن عبد الله ، قال : ثنا أبى ، قال : ثنا حماد بن سلمة ، عن شعيب بن الحبحاب ، عن

أنس بن مالك، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « (وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الأَرْضِ ما لَهَا مِنْ قَرَارٍ) قال : هى الحنظلة » قال شعيب : وأخبرت بذلك أبا العالية ، فقال : كذلك كانوا يقولون . وقوله (اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الأَرْضِ) يقول : استؤصلت ، يقال منه : اجتثثت الشيء أجتثه اجتثاثا : إذا استأصلته .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الأَرْضِ) قال : استؤصلت من فوق الأرض (ما لَهَا مِنْ قَرَارٍ) يقول : مالهذه الشجرة من قرار ، ولا أصل فى الأرض تنبت عليه وتقوم ، وإنما ضربت هذه الشجرة التى وصفها الله بهذه الصفة لكفر الكافر وشركه به مثلا ، يقول : ليس لكفر الكافر وعمله الذى هو معصية الله فى الأرض ثبات ، ولا له فى السماء مَصْعَد ، لأنه لايصعد إلى الله منه شيء .

وبنحو ما قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الأَرْضِ ما لَهَا مِنْ قَرَارٍ) : ضرب الله مثل الشجرة الخبيثة كمثل الكافر ، يقول : إن الشجرة الخبيثة اجتثت من فوق الأرض ، ما لها من قرار : يقول : الكافر لايقبل عمله ، ولا يصعد إلى الله ، فليس له أصل ثابت فى الأرض ، ولا فرع فى السماء . يقول : ليس له عمل صالح فى الدنيا ولا فى الآخرة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الأَرْضِ ، ما لَهَا مِنْ قَرَارٍ) قال قتادة : إن رجلا لقى رجلا من أهل العلم ، فقال : ما تقول فى الكلمة الخبيثة ؟ فقال : ما أعلم لها فى الأرض مستقرّا ، ولا فى السماء مَصْعَدا ، إلا أن تلزم عنق صاحبها ، حتى يوافىَ بها يوم القيامة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن أبى العالية ، أن رجلا خالجت الريحُ رداءه ، فلعنها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لاتَلْعَنْها فإنَّها مَأْمُورَةٌ ، وَإنَّهُ مَنْ لَعَنَ شَيْئا لَيْسَ لَهُ بأَهْلٍ ، رَجَعَتِ اللَّعْنَةُ على صَاحِبِها » .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبى جعفر ، عن الربيع بن أنس (وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ) قال : هذا الكافر ليس له عمل فى الأرض ، ولا ذكر فى السماء . (اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الأَرْضِ ما لَهَا مِنْ قَرَارٍ) قال : لايصعَد عمله إلى السماء ، ولايقوم على الأرض . فقيل : فأين تكون أعمالهم ، قال : يحملون أوزارهم على ظهورهم .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا فُضَيل بن مرزوق ، عن عطية العوفىّ (وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الأَرْضِ) قال : مثل الكافر : لايصعد له قول طيب ، ولا عمل صالح .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قال (وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ) وهى الشرك (كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ) يعنى الكافر ، قال (اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الأَرْضِ ، ما لَهَا مِنْ قَرَارٍ) يقول : الشرك ليس له أصل يأخذ به الكافر ، ولا برهان ، ولا يقبل الله مع الشرك عملا .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع (وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ) قال : مَثَل الشجرة الخبيثة مثل الكافر ، ليس لقوله ولا لعمله أصل ولا فرع ، ولا قوله ولا عمله يستقرّ على الأرض ، ولا يصعَد إلى السماء .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ ، يقول : أخبرنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول : ضرب الله مثل الكافر كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار : يقول : ليس لها أصل ولا فرع ، وليست لها ثمرة ، وليست فيها منفعة ، كذلك الكافر ليس بعمل خيرا ولا يقوله ، ولم يجعل الله فيه بركة ولا منفعة .

القول فى تأويل قوله تعالى

يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِى الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَفِى الْآخِرَةِ ، وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّٰلِمِينَ ، وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَآءُ (٢٧)

يعنى تعالى ذكره بقوله (يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا) يحقق الله أعمالهم وإيمانهم (بالقَوْلِ الثَّابِتِ) يقول : بالقول الحقّ ، وهو فيما قيل : شهادة أن لاإله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله .

وأما قوله (فِى الحَيَاةِ الدُّنْيا) فإن أهل التأويل اختلفوا فيه ، فقال بعضهم : : عنى بذلك أن الله يثبتهم فى قبورهم قبل قيام الساعة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى أبو السائب سَلْم بن جُنادة ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن سعد بن عبيدة ، عن البَرَاء بن عازب ، فى قوله (يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بالقَوْلِ الثَّابِتِ فِى الحَيَاةُ الدُّنْيا) قال : التثبيت فى الحياة الدنيا إذا أتاه الملكان فى القبر ، فقالا له : من ربُّك ؟ فقال : ربى الله ، فقالا له : ما دينك ؟ قال : دينى الإسلام ، فقالا له : من نبيك ؟ قال : نبيى محمد صلى الله عليه وسلم ، فذلك التثبيت فى الحياة الدنيا .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا جابر بن نوح ، عن الأعمش ، عن سعد بن عبيدة ، عن البراء بن عازب ، بنحو منه فى المعنى .

حدثنى عبد الله بن إسحاق الناقد الواسطىّ ، قال : ثنا وهب بن جرير ، قال : ثنا شعبة ، عن علقمة ابن مَرْثَد ، عن سعد بن عبيدة ، عن البراء ، قال : ذكر النبىّ صلى الله عليه وسلم المؤمن والكافر ، فقال : « إنَّ المُؤْمنَ إذا سُئلَ فى قَبْرِه قال : رَبّىَ اللهُ ، فذلك قوله (يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بالقَوْلِ الثَّابِتِ فِى الحَيَاةِ الدُّنْيا وفِى الآخِرَةِ) » .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا هشام بن عبد الملك ، قال : ثنا شعبة ، قال : أخبرنى علقمة بن مرثد قال : سمعت سعد بن عبيدة ، عن البراء بن عازب ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إنَّ المُسْلِمَ إذَا سُئِلَ فى القَبْرِ يَشْهَدُ أنْ لاإلَهَ إلاَّ اللهُ ، وأنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ » قال : فذلك قوله (يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالقَوْلِ الثَّابِتِ فِى الحَيَاةِ الدُّنْيا وفِى الآخِرَةِ) » .

حدثنى الحسن بن سَلَمة بن أبى كبشة ، ومحمد بن مَعْمَر البحرانىّ ، واللفظ لحديث بن أبى كبشة ، قالا : ثنا أبو عامر عبد الملك بن عمرو ، قال : ثنا عباد بن راشد ، عن داود بن أبى هند ، عن أبى نَضْرة ، عن أبى سعيد ، قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جنازة ، فقال : « يا أيُّها النَّاسُ ، إنَّ هَذِهِ الأُمَّةَ تُبْتَلَى فِى قُبُورِها ، فإذَا الإنْسانُ دُفِنَ وَتَفَرَّقَ عَنْهُ أصْحَابُهُ ، جاءَهُ مَلَكٌ بِيَدِهِ مِطْرَاقٌ ، فأقْعَدَهُ ، فقالَ : ماتَقُولُ فى هذَا الرَّجُلِ ؟ فإنْ كانَ مُؤْمِناً قالَ : أشْهَدُ أنْ لاإلَهَ إلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاشَرِيكَ لَهُ ، وأنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، فَيَقُولُ لَهُ : صَدَقْتَ ، فيُفْتَحُ لَهُ بابٌ إلى النَّارِ ، فَيُقالُ : هذَا مَنْزِلُكَ لَوْ كَفَرْتَ بِرَبِّكَ ؛ فَأمَّا إذْ آمَنْتَ بِهِ ، فإنَّ اللهَ أبْدَلَكَ بِهِ هَذَا ، ثُمَّ يُفْتَحُ لَهُ بابٌ إلى الجَنَّةِ ، فَيُرِيدُ أنْ يَنْهَضَ لَهُ ، فَيُقالُ لَهُ : اسْكُنْ ، ثُمَّ يُفْسَحُ لَهُ فى قَبْرِهِ ؛ وأمَّا الكافِرُ أوِ المُنافِقُ ، فَيُقالُ لَهُ : ما تَقُولُ فى هذَا الرَّجُلِ ؟ فَيَقُولُ : ما أدْرِى ، فَيُقالُ لَهُ : لادَرَيْتَ وَلا تَلَيْتَ وَلا اهْتَدَيْتَ ، ثُمَّ يُفْتَحُ لَهُ بابٌ إلى الجَنَّةِ ، فَيُقالُ لَهُ : هذَا كانَ مَنْزِلَكَ لَوْ آمَنْتَ بِرَبِّكَ ؛ فأمَّا إذْ كَفَرْتَ ، فإنَّ اللهَ أبْدَلَكَ هذَا ، ثُمَّ يُفْتَحُ لَهُ بابٌ إلى النَّارِ ، ثُمَّ يَقْمَعُهُ المَلَكُ بالمِطْرَاقِ قَمْعَةً يَسْمَعُهُ خَلْقُ اللهِ كُلُّهُمْ إلاَّ الثَّقَلَيْنِ » قال بعض أصحابه : يارسول الله ، ما منا أحد يقوم على رأسه ملك بيده مطراق ، إلا هيل عند ذلك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بالقَوْلِ الثَّابِتِ فِى الحَيَاةِ الدُّنْيا وفِى الآخِرَةِ ، وَيُضِلُّ اللهُ الظَّالِمِينَ ، وَيَفْعَلُ اللهُ ما يَشاءُ) » .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا أبو بكر بن عياش ، عن الأعمش ، عن المنهال ، عن زاذان ، عن البَرَاء ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « وذكر قبض رُوح المؤمن : فتُعادُ رُوحُهُ فى جَسَدِهِ ، وَيأتِيهِ مَلَكانِ فَيُجْلِسانِهِ فى قَبْرِهِ ، فَيَقُولانِ : مَنْ رَبُّكَ ؟ فَيَقُولُ : رَبِّىَ اللهُ ، فَيَقُولانِ : ما دِينُكَ ؟ فَيَقُولُ دِينِى الإسْلامُ ، فَيَقُولانِ لَهُ : ما هذَا الرَّجُلُ الَّذِى بُعِثَ فِيكُمْ ؟ فَيَقُولُ : هُوَ رَسُولُ اللهِ ، فَيَقُولانِ : مايُدْرِيكَ ؟ فَيَقُولُ : قَرَأتُ كِتابَ اللهِ ، فَآمَنْتُ بِهِ ،

وَصَدَّقْتُ ، فَيُنادِي مُنادٍ مِنَ السَّماءِ : أنْ صَدَقَ عَبْدِي ، قالَ : فذلكَ قَوْلُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ (يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بالقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الحَياةِ الدُّنْيا ، وفِي الآخِرَةِ) » .

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا أبو معاوية ، قال : ثنا الأعمش ، عن المنهال ، عن زاذان ، عن البراء ، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم ، بنحوه .

حدثنا ابن حُميد وابن وكيع ، قالا : ثنا جرير ، عن الأعمش ، عن المنهال ، عن زاذان ، عن البراء ، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم ، بنحوه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن نمير ، قال : ثنا الأعمش ، قال : ثنا المنهال بن عمرو ، عن زاذان ، عن البراء ، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم ، بنحوه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا الحكم بن بشير ، قال : ثنا عمرو بن قيس ، عن يونس بن خبّاب ، عن المنهال ، عن زاذان ، عن البراء بن عازب ، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم ، نحوه .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ؛ وحدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا سعيد بن منصور ، قال : ثنا مهديّ بن ميمون جميعا ، عن يونس بن خباب ، عن المنهال بن عمرو ، عن زاذان ، عن البراء بن عازب ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وذكر قبض رُوح المؤمن ، قال : فيَأْتِيهِ آتٍ فِي قَبْرِهِ ، فَيَقُولُ : مَنْ رَبُّكَ ، وَما دِينُكَ ، وَمَنْ نَبِيُّكَ ؟ فَيَقُولُ : رَبِّيَ اللهُ ، وَدِينِي الإسْلامُ ، وَنَبِيِّي مُحَمَّدٌ صَلَى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فَيَنْتَهِرُهُ ، فَيَقُولُ : مَنْ رَبُّكَ ، وَما دِينُكَ ؟ فَهِيَ آخِرُ فِتْنَةٍ تُعْرَضُ على المُؤْمِنِ ، فذلكَ حِينَ يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : (يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بالقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الحَياةِ الدُّنْيا وفِي الآخِرَةِ) ، فَيَقُولُ : رَبِّيَ اللهُ ، وَدِينِي الإسْلامُ ، وَنَبِيِّي مُحَمَّدٌ صَلَى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فَيُقالُ لَهُ : صَدَقْتَ » .

واللفظ لحديث ابن عبد الأعلى .

حدثنا محمد بن خَلَف العسقلانيّ ، قال : ثنا آدم ، قال : ثنا حماد بن سَلَمة ، عن محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة ، قال : تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم (يُثَبِّتُ الَّذِينَ آمَنُوا بالقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الحَياةِ الدنْيا وفِي الآخِرَةِ) قالَ : ذاكَ إذا قِيلَ فِي القَبْرِ : مَنْ رَبُّكَ ، وَما دِينُكَ ؟ فَيَقُولُ : رَبِّيَ اللهُ ، وَدِينِيَ الإسْلامُ ، وَنَبِيِّي مُحَمَّدٌ صَلَى اللهُ عَلَيهِ وسلَّمَ ، جاءَ بالبَيِّناتِ مِنْ عِنْدِ اللهِ ، فَآمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ . فَيُقالُ لَهُ : صَدَقْتَ ، على هَذا عِشْتَ ، وعَلَيهِ مِتَّ ، وَعَلَيهِ تُبْعَثُ » .

حدثنا مجاهد بن موسى ، والحسن بن محمد ، قالا : ثنا يزيدُ ، قال : أخبرنا محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة قال : « إنَّ المَيِّتَ لَيَسْمَعُ خَفْقَ نِعالِهِمْ حِينَ يُوَلُّونَ عَنْهُ مُدْبِرِينَ ، فإذا كانَ مُؤْمِنا ، كانَتِ الصَّلاةُ عِنْدَ رأسِهِ ، والزَّكاةُ عَنْ يَمِينِهِ ، وكانَ الصِّيامُ عَنْ يَسارِهِ ، وكانَ فِعْلُ الخَيْراتِ مِنَ الصَّدَقَةِ والصَّلاةِ والمَعْرُوفِ والإحْسانِ إلى النَّاسِ عِنْدَ رِجْلَيْهِ ،

فَيُؤْتَى مِنْ عِنْدِ رأسِهِ ، فَتَقُولُ الصَّلاةُ : ما قِبَلِي مَدْخَل ، فَيُؤْتَى عَنْ يَمِينِهِ ، فَتَقُولُ الزَّكاةُ : ما قِبَلِي مَدْخَل ، فَيُؤْتَى عَنْ يَسارِهِ ، فَيَقُولُ الصِّيامُ ما قِبَلِي مَدْخَل ، فَيُؤْتَى مِنْ عِنْدِ رِجْلَيْهِ ، فَيَقُولُ فِعْلُ الخَيْراتِ مِنَ الصَّدَقَةِ والصِّلَةِ والمَعْرُوفِ حُسْانِ إلى النَّاسِ : ما قِبَلِي مَدْخَل ، فَيُقالُ لَهُ : اجْلِسْ ، فَيَجْلِسُ ، قَدْ مُثِّلَتْ لَهُ الشمْسُ قَدْ دَنَتْ لِلغُرُوبِ ، فَيُقالُ لَهُ : أخْبِرْنا عَما نَسْأَلُكَ ، فَيَقُولُ : دَعُونِي حتى أُصَلِّيَ ، فَيَقُولُ : إنَّكَ ستَفْعَل ، فأخْبِرْنا عَمَّا نَسأَلُكَ عَنْه ، فَيَقُولُ : وَعَمَّ تَسألُونَ ؟ فَيُقالُ : أرأيْتَ هذا الرَّجُلَ الَّذِي كانَ فِيكُمْ ، ماذا تَقُولُ فِيهِ ؟ وَماذا تَشْهَدُ بِهِ عَلَيْهِ ؟ فَيَقُولُ : أمُحَمَّدٌ ؟ فَيُقالُ لَهُ : نَعَمْ ، فَيَقُولُ : أشْهَدُ أنَّهُ رَسُولُ اللهِ ، وأنَّهُ جاءَ بالبَيِّناتِ مِنْ عِنْدِ اللهِ ، فَصَدَّقْناهُ . فَيُقالُ لَهُ : على ذلكَ حَيِيتَ ، وَعلى ذلكَ مِتَّ ، وَعلى ذلكَ تُبْعَثُ إنْ شاءَ اللهُ ، ثُمَّ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِراعا ، وَيُنَوَّرُ لَهُ فِيهِ ، ثُمَّ يُفْتَحُ لَهُ بابٌ إلى الجَنَّةِ ، فَيُقالُ لَهُ : انْظُرْ إلى ما أعَدَّ اللهُ لَكَ فِيها ، فَيَزْدادُ غِبْطَةً وَسُرُورًا ، ثُمَّ يُفْتَحُ لَهُ بابٌ إلى النَّارِ ، فَيُقالُ لَهُ : انْظُرْ ماصَرَفَ اللهُ عَنْكَ لَوْ عَصَيْتَهُ ، فَيَزْدادُ غِبْطَةً وَسُرُورًا ، ثُمَّ يُجْعَلُ نَسَمَهُ فِي النَّسَمِ الطَّيِّبِ ، وَهِيَ طَيْرٌ خُضْرٌ تُعَلَّقُ بِشَجَرِ الجَنَّةِ ، ويُعادُ جَسَدُهُ إلى مابُدِئَ مِنْهُ مِنَ التُّرابِ ، وَذلكَ قَوْلُ اللهُ تَعالى (يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بالقَوْلِ الثابِتِ فِي الحَياةِ الدُّنْيا وفِي الآخِرَةِ) » .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا أبوقَطَن ، قال : ثنا المسعودىّ ، عن عبد الله بن مخارق ، عن أبيه ، عن عبد الله ، قال : إن المؤمن إذا مات أُجلس فى قبره ، فيقال له : من ربك ؟ وما دينك ؟ ومن نبيك ؟ فيثبته الله ، فيقول : ربى الله ، ودينى الإسلام ، ونبيى محمد ؛ قال : فقرأ عبد الله (يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بالقَوْلِ الثَّابِتِ فى الحَياةِ الدُّنْيا وفِي الآخِرَةِ) .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا أبوخالد القرشىّ ، عن سفيان ، عن أبيه ؛ وحدثنا أحمد ، قال : ثنا أبوأحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن أبيه ، عن خيثمة ، عن البراء ، فى قوله (يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بالقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الحَياةِ الدُّنْيا) قال : عذاب القبر .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا عفان ، قال : ثنا شعبة ، عن علقمة بن مَرْثَد ، عن سعد بن عبيدة ، عن البراء ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فى قول الله تعالى (يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بالقَوْلِ الثابِتِ فِي الحَياةِ الدُّنْيا وفِي الآخِرَةِ) قال شعبة شيئا لم أحفظه ، قال : فى القبر .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بالقَوْلِ الثابِتِ) . . . إلى قوله (وَيُضِلُّ اللهُ الظَّالِمِينَ) قال : إن المؤمن إذا حضره الموت شهدته الملائكة ، فسلموا عليه ، وبشّروه بالجنة ، فإذا مات مشوا فى جنازته ، ثم

صلّوا عليه مع الناس ، فإذا دفن أجلس فى قبره ، فيقال له : من ربك ؟ فيقول : ربى الله ، ويقال له : من رسولك ؟ فيقول : محمد ، فيقال له : ما شهادتك ؟ فيقول : أشهد أن لاإله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله ، فيوسع له فى قبره مدّ بصره .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا حجاج ، قال : قال ابن جريج : سمعت ابن طاوس يخبر عن أبيه ، قال : لاأعلمه إلا قال : هى فى فتنة القبر فى قوله (يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بالقَوْلِ الثَّابِتِ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن العلاء بن المسيب ، عن أبيه ، أنه كان يقول فى هذه الآية : (يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بالقَوْلِ الثَّابِتِ فِى الحَيَاةِ الدنْيا وفِى الآخِرَةِ) : هى فى صاحب القبر .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن العوام ، عن المسيب بن رافع : (يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بالقَوْلِ الثَّابِتِ فِى الحَيَاةِ الدُّنْيا وفِى الآخِرَةِ) قال : نزلت فى صاحب القبر

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا عباد بن العوّام ، عن العلاء بن المسيب ، عن أبيه المسيب ابن رافع نحوه .

حدثنى المثنى ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرحمن بن سعد ، قال : أخبرنا أبو جعفر الرازىّ ، عن الربيع ، فى قول الله تعالى (يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بالقَوْلِ الثَّابِتِ فِى الحَيَاةِ الدُّنْيا وفِى الآخِرَةِ) قال : بلغنا أن هذه الأمة تُسْأل فى قبورها ، فيثبّت الله المؤمن فى قبره حين يُسْأل .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو ربيعة فهد ، قال : ثنا أبو عوانة ، عن الأعمش ، عن المنهال بن عمرو ، عن زاذان ، عن البراء بن عازب ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وذكر قبض روح المؤمن ، قال : فَتَرْجِعُ رُوحُهُ فِى جَسَدِهِ ، وَيَبْعَثُ اللهُ إلَيْهِ مَلَكَيْنِ شَدِيدَىِ الانْتِهارِ ، فَيُجْلِسانِهِ وَيَنْتَهِرانِهِ ، يَقُولانِ : مَنْ رَبُّكَ ؟ قال : فَيَقُولُ : اللهُ ، وَما دِينُكَ ؟ قال : الإسْلامُ ، قال : فَيَقُولانِ لَهُ : ماهذَا الرَّجُلُ أوِ النَّبِىُّ الَّذِى بُعِثَ فِيكُمْ ؟ فَيَقُولُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ ، قالَ : فَيَقُولانِ لَهُ : وَما يُدْرِيكَ ؟ قال : فَيَقُولُ : قَرَأْتُ كِتابَ اللهِ ، فآمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ ، فَذلكَ قَوْلُ اللهِ (يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بالقَوْلِ الثَّابِتِ فِى الحَيَاةِ الدُّنْيا وفِى الآخِرَةِ) .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بالقَوْلِ الثَّابِتِ فِى الحَيَاةِ الدُّنْيا وفِى الآخِرَةِ) : قال : نزلت فى الميت الذى يُسأل فى قبره عن النبىّ صلى الله عليه وسلم .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قول الله (يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بالقَوْلِ الثَّابِتِ فِى الحَيَاةِ الدُّنْيا وفِى الآخِرَةِ) قال : بلغنا أن هذه الأمة تُسأل فى قبورها ، فيثبت الله المؤمن حيث يُسأل .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا شريك ، عن إبراهيم بن مهاجر ، عن مجاهد (يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بالقَوْلِ الثَّابِتِ فِى الحَيَاةِ الدُّنْيا) قال : هذا فى القبر مخاطبته ، وفِى الآخِرَةِ مثل ذلك .

وقال آخرون : معنى ذلك : يثبت الله الذين آمنوا بالإيمان فى الحياة الدنيا ، وهو القول الثابت ، وفى الآخرة : المسألة فى القبر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن ابن طاوس ، عن أبيه (يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بالقَوْلِ الثَّابِتِ فِى الحَيَاةِ الدُّنْيا) قال : لاإله إلا الله (وفِى الآخِرَةِ) : المسألة فى القبر .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بالقَوْلِ الثَّابِتِ فِى الحَيَاةِ الدُّنْيا) أما الحياة الدنيا ، فيثبتهم بالخير والعمل الصالح ، وقوله (وَفِى الآخِرَةِ) : أى فى القبر .

⁂ والصواب من القول فى ذلك : ما ثبت به الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك ، وهو أن معناه : يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا ، وذلك تثبيته إياهم فى الحياة الدنيا ، بالإيمان بالله وبرسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، وفى الآخرة : بمثل الذى ثبتهم به فى الحياة الدنيا ، وذلك فى قبورهم حين يُسألون عن الذى هم عليه من التوحيد والإيمان برسوله صلى الله عليه وسلم .

وأما قوله (وَيُضِلُّ اللهُ الظَّالِمِينَ) فإنه يعنى أن الله لا يوفق المنافق والكافر فى الحياة الدنيا ، وفى الآخرة : عند المسألة فى القبر ، لما هُدِى له من الإيمان المؤمنُ بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال : أما الكافر فتنزل الملائكة إذا حضره الموت ، فيبسطون أيديهم ، والبسط : هو الضرب ، يضربون وجوههم وأدبارهم عند الموت ، فإذا أدخل قبره أقعد ، فقيل له : مَنْ ربك ، فلم يَرْجِع إليهم شيئا ، وأنساه الله ذكر ذلك ، وإذا قيل له : مَنِ الرسول الذى بعث إليك ، لم يهتد له ، ولم يرجع إليه شيئا ، يقول : (وَيُضِلُّ اللهُ الظَّالِمِينَ) .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا فهد بن عوف أبو ربيعة ، قال : ثنا أبو عوانة ، عن الأعمش ، عن المنهال ابن عمرو ، عن زاذان ، عن البراء ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وذكر الكافر حين تُقبض روحه ، قال : فتُعادُ رُوحُهُ فِى جَسَدِهِ ، قالَ : فيَأْتِيهِ مَلَكانِ شَدِيدَا الانْتِهارِ ، فَيُجْلِسانِهِ فَيَنْتَهِرانِهِ ، فَيَقُولانِ لَهُ مَنْ رَبُّكَ ؟ فَيَقُولُ : لاأدْرِى . قالَ : فَيَقُولانِ لَهُ : ما دِينُكَ ؟ فَيَقُولُ : لا أدْرِى ، قال : فَيُقالُ لَهُ : ما هذَا النَّبِىُّ الَّذِى بُعِثَ فِيكُمْ ؟ قال : فَيَقُولُ : سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ ذلكَ ، لاأدْرِى ، قال : فَيَقُولانِ : لادَرَيْتَ ! قالَ وذلكَ قولُ اللهِ (وَيُضِلُّ اللهُ الظَّالِمِينَ ، وَيَفْعَلُ اللهُ ما يَشاءُ) » .

وقوله (وَيَفْعَلُ اللهُ ما يَشاءُ) يعنى تعالى ذكره بذلك : وبيد الله الهداية والإضلال ، فلا تنكروا أيها الناس قُدرته ، ولا اهتداء من كان منكم ضالا ، ولاضلال من كان منكم مهتديا ، فإن بيده تصريف خلقه ، وتقليب قلوبهم ، يفعل فيهم ما يشاء .

القول فى تأويل قوله تعالى

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ (٢٨) جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ (٢٩)

⁂ يقول تعالى ذكره: ألم تنظر يا محمد (إلى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللهِ كُفْرًا) يقول: غيروا ما أنعم الله به عليهم من نعمه ، فجعلوها كُفرا به ، وكان تبديلهم نعمة الله كفرا فى نبىّ الله محمد صلى الله عليه وسلم ، أنعم الله به على قريش ، فأخرجه منهم ، وابتعثه فيهم رسولا ، رحمة لهم ، ونعمة منه عليهم ، فكفروا به ، وكذّبوه ، فبدّلوا نعمه الله عليهم به كفرا . وقوله (وأحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ البَوَارِ) يقول : وأنزلوا قومهم من مُشركى قريش دار البَوار ، وهى دار الهلاك ، يقال منه : بار الشىءُ يبور بَوْرا : إذا هلك وبطل ؛ ومنه قول ابن الزِّبَعرْى ، وقد قيل إنه لأبى سفيان بن الحارث بن عبد المطلب :

يا رَسُولَ المَلِيكِ إنَّ لِسانِى ... رَاتِقٌ ما فَتَقْتُ إذْ أنا بُورُ [١]

ثم ترجم عن دار البوار ، وما هى؟ فقيل (جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَها وَبِئْسَ القَرَارُ) يقول : وبئس المستقرّ هى جهنم لمن صلاها . وقيل : إن الذين بدّلوا نعمة الله كفرا : بنوأمية ، وبنومخزوم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار وأحمد بن إسحاق ، قالا : ثنا أبوأحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن علىّ بن زيد ، عن يوسف بن سعد ، عن عمر بن الخطاب ، فى قوله (أَلَمْ تَرَ إلى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللهِ كُفْرًا وأحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ البَوَارِ جَهَنَّمَ) قال : هما الأفجران من قريش : بنو المغيرة ، وبنو أمية ، فأما بنو المغيرة فكفيتموهم يوم بدر ؛ وأما بنوأمية فمتّعوا إلى حين .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبونعيم الفضل بن دكين ، قال : أخبرنا حمزة الزيات ، عن عمرو بن مرّة ، قال : قال ابن عباس لعمر رضى الله عنهما : يا أمير المؤمنين ! هذه الآية (الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللهِ كُفْرًا ، وأحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ البَوَارِ) قال : هم الأفجران من قريش : أخوالى وأعمامك ، فأما أخوالى فاستأصلهم الله يوم بدر ، وأما أعمامك ، فأملى الله لهم إلى حين .

(١) البيت (فى اللسان : بور) منسوب إلى عبد الله بن الزبعرى السهمى . قال : رجل بور ، وكذلك الاثنان والجمع والمؤنث ، وأنشد البيت شاهدا عليه . وفى سيرة ابن هشام : أنشد البيت ونسبه إلى ابن الزبعرى ، قاله من أبيات حين قدم على النبى صلى الله عليه وسلم ، وكان هاربا منه فى نجران . والراتق : الذى يصلح ما بلى أو تمزق من الثوب . وفتقت : يعنى : ما أحدث فى الدين من مقاومة النبى وهجائه بشعره ، وهو إثم يشبه الفتق فى الثوب ، والتوبة رتق له . وبور : هالك ، يقال رجل بور وبائر . وهو محل الشاهد =

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي إسحاق[1] ، عن عمرو ذي مرّ ، عن عليّ (وأحلّوا قومهم دار البوار) قال : الأفجران من قريش .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي إسحاق ، عن عمرو ذي مرّ ، عن عليّ ، مثله .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان وشريك ، عن أبي إسحاق ، عن عمرو ذي مرّ ، عن عليّ ، قوله (ألم تر إلى الذين بدّلوا نعمة الله كفرًا وأحلّوا قومهم دار البوار) قال : بنو المغيرة وبنو أمية ؛ فأما بنو المغيرة ، فقطع الله دابرهم يوم بدر ؛ وأما بنو أمية ، فمتّعوا إلى حين .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي إسحاق ، قال : سمعت عمرا ذا مرّ ، قال : سمعت عليا يقول في هذه الآية (ألم تر إلى الذين بدّلوا نعمة الله كفرًا ، وأحلّوا قومهم دار البوار) قال : الأفجران من بني أسد وبني مخزوم .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا شعبة ، عن القاسم بن أبي بزّة ، عن أبي الطفيل ، عن عليّ ، قال : هم كفار قريش ، يعني في قوله (وأحلّوا قومهم دار البوار جهنم) .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن القاسم بن أبي بزّة ، عن أبي الطفيل ، أنه سمع عليّ بن أبي طالب ، وسأله ابن الكوّاء عن هذه الآية (ألم تر إلى الذين بدّلوا نعمة الله كفرًا ، وأحلّوا قومهم دار البوار) قال : هم كفار قريش يوم بدر .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو النضر هاشم بن القاسم ، عن شعبة ، عن القاسم بن أبي بزّة ، قال : سمعت أبا الطفيل ، قال : سمعت عليا ، فذكر نحوه .

حدثنا أبو السائب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن إسماعيل بن سميع ، عن مسلم البطين ، عن أبي أرطاة ، عن عليّ في قوله (ألم تر إلى الذين بدّلوا نعمة الله كفرًا) قال : هم كفّار قريش . هكذا قال أبو السائب مسلم البطين ، عن أبي أرطاة .

حدثنا الحسن بن محمد الزعفرانيّ ، قال : ثنا أبو معاوية الضرير ، قال : ثنا إسماعيل بن سميع ، عن مسلم بن أرطاة ، عن عليّ ، في قوله تعالى (الذين بدّلوا نعمة الله كفرًا) قال : كفار قريش .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا يعقوب بن إسحاق ، قال : ثنا شعبة ، عن القاسم بن أبي بزة ، عن أبي الطفيل ، عن عليّ ، قال في قول الله (ألم تر إلى الذين بدّلوا نعمة الله كفرًا ، وأحلّوا قومهم دار البوار) قال : هم كفار قريش .

= عند المؤلف . وقال أبو عبيدة في مجاز القرآن : « دار البوار » : أي الهلاك والفناء ، ويقال منه : بار يبور ، ومنه قول عبد الله ابن الزبعرى . . . البيت .

(١) لعله هو عمرو بن مرة ، كما في ابن كثير في هذا الأثر .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا شعبة ، عن القاسم بن أبي بزة ، قال : سمعت أبا الطفيل يحدّث ، قال : سمعت عليا يقول فى هذه الآية : (أَلَمْ تَرَ إلى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللهِ كُفْرًا وأحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ البَوَارِ) قال : كفار قريش يوم بدر .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا الفضل بن دكين ، قال : ثنا بسام الصَّيرفىّ ، قال : ثنا أبو الطفيل عامر بن واثلة ، ذكر أن عليا قام على المنبر ، فقال : سلونى قبل ألاّ تسألونى ، ولن تسألوا بعدى مثلى ، فقام ابن الكوّاء فقال : من (الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللهِ كُفْرًا ، وأحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ البَوَارِ) قال : منافقو قريش .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا محمد بن عبيد ، قال : ثنا بسام ، عن رجل قد سماه الطنافسىّ ، قال : جاء رجل إلى علىّ ، فقال : يا أمير المؤمنين : من (الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللهِ كُفْرًا ، وأحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ البَوَارِ) ؟ قال : فى قريش .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا بسام الصيرفىّ ، عن أبى الطفيل ، عن علىّ أنه سُئل عن هذه الآية (الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللهِ كُفْرًا) قال : منافقو قريش .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عفان ، قال : ثنا حماد ، قال : ثنا عمرو بن دينار ، أن ابن عباس قال فى قوله : (وأحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ البَوَارِ) قال : هم المشركون من أهل بدر .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عبد الجبار ، قال : ثنا سفيان ، عن عمرو ، قال : سمعت عطاء يقول : سمعت ابن عباس يقول : هم والله أهل مكة (الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللهِ كُفْرًا ، وأحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ البَوَارِ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا صالح بن عمر ، عن مطرف بن طريف ، عن أبى إسحاق قال : سمعت عمرا ذا مرّ يقول : سمعت عليا يقول على المنبر : وتلا هذه الآية (أَلَمْ تَرَ إلى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللهِ كُفْرًا ، وأحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ البَوَارِ) قال : هما الأفجران من قريش ؛ فأما أحدهما : فقطع الله دابرهم يوم بدر ؛ وأما الآخر : فمُتِّعوا إلى حين .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثنا الحسن ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد قوله (بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللهِ كُفْرًا) قال : كفار قريش .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا عبد الوهاب ، عن مجاهد ، قال : كفار قريش .

حدثنا المثنى ، قال : ثنا أبو حُذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللهِ كُفْرًا) : كفار قريش .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن عيينة عن عمرو بن دينار ، عن عطاء ، قال : سمعت ابن عباس يقول : هم والله (الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللهِ كُفْرًا ، وأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ البَوَارِ) قريش ، أو قال : أهل مكة .

حدثنا ابن وكيع وابن بشار ، قالا : ثنا غُنْدر ، عن شعبة ، عن أبى بشر ، عن سعيد بن جبير فى هذه الآية (الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللهِ كُفْرًا ، وأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ البَوَارِ) قال : قتلى يوم بدر .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنى عبد الصمد ، قال : ثنا شعبة ، عن أبى بشر ، عن سعيد بن جبير (الَّذِين بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللهِ كُفْرًا ، وأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ البَوَارِ) قال : هم كفار قريش .

حدثنا محمد بن بشار ومحمد بن المثنى ، قالا : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا هشيم ، عن حُصَين ، عن أبى مالك وسعيد بن جبير ، قالا : هم قتلى بدر من المشركين .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن عمرو ، عن عطاء ، عن ابن عباس فى (الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللهِ كُفْرًا ، وأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ البَوَارِ) قال : هم والله أهل مكة ، قال أبو كريب : قال سفيان : يعنى كفارهم .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا الحجاج ، قال : ثنا حماد ، عن عمرو بن دينار ، عن ابن عباس ، فى قوله (وأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ البَوَارِ) قال : هم المشركون من أهل بدر .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون قال : أخبرنا هشيم ، عن إسماعيل بن أبى خالد ، عن أبى إسحاق ، عن بعض أصحاب علىّ ، عن علىّ ، فى قوله (أَلَمْ تَرَ إلى الذين بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللهِ كُفْرًا) قال : هم الأفجران من قريش من بنى مخزوم وبنى أمية ، أما بنو مخزوم ، فإن الله قطع دابرهم يوم بدر ؛ وأما بنو أمية فمُتِّعوا إلى حين .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا معلى بن أسد ، قال : أخبرنا خالد ، عن حصين ، عن أبى مالك ، فى قول الله : (أَلَمْ تَرَ إلى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللهِ كُفْرًا) قال : هم القادة من المشركين يوم بدر .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن حصين ، عن أبى مالك وسعيد ابن جبير ، قالا : هم كفار قريش ، من قُتل ببدر .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن جويبر ، عن الضحاك ، قال : هم كفار قريش ، مَن قُتل ببدر .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك ، يقول : فى قوله : (أَلَمْ تَرَ إلى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللهِ كُفْرًا) .. الآية ، قال : هم مشركو أهل مكة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة بن الفضل ، قال : أخبرنى محمد بن إسحاق ، عن بعض أصحابه ، عن

عطاء بن يسار ، قال : نزلت هذه الآية فى الذين قُتلوا من قريش (أَلَمْ تَرَ إلى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللهِ كُفْرًا ، وأحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ البَوَارِ) . . . الآية .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيدُ بن زريع ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (أَلَمْ تَرَ إلى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللهِ كُفْرًا ، وأحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ البَوَارِ) : كنا نُحَدَّث أنهم أهل مكة : أبو جهل وأصحابه الذين قتلهم الله يوم بدر ، قال الله : (جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ القَرَارُ) .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (وأحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ البَوَارِ) قال : هم قادة المشركين يوم بدر ، أحلوا قومهم دار البوار (جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا) .

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللهِ كُفْرًا ، وأحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ البَوَارِ) قال : هؤلاء المشركون من أهل بدر .

وقال آخرون فى ذلك ، بما حدثنى به محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى عن ابن عباس ، قوله (أَلَمْ تَرَ إلى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللهِ كُفْرًا ، وأحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ البَوَارِ ، جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا) فهو جَبَلة بن الأيهم ، والذين اتبعوه من العرب ، فلحقوا بالروم .

وبنحو الذي قلنا فى معنى قوله (وأحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ البَوَارِ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن جويبر ، عن الضحاك (وأحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ البَوَارِ) قال : أحلوا من أطاعهم من قومهم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن ابن عباس (دَارَ البَوَارِ) قال : الهلاك ، قال ابن جريج ، قال مجاهد (وأحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ البَوَارِ) قال : أصحاب بدر .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (دَارَ البَوَارِ) النار ، قال وقد بَيَّن الله ذلك وأخبرك به ، فقال (جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ القَرَارُ) .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (دَارَ البَوَارِ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا) : هى دارهم فى الآخرة .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ ، قُلْ تَمَتَّعُوا ، فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ (٣٠)

يقول تعالى ذكره : وجعل هؤلاء الذين بدّلوا نعمة الله كفرا لربهم أندادا ، وهى جماع نِدّ ، وقد بيّنت معنى الندّ ، فيما مضى بشواهده ، بما أغنى عن إعادته ، وإنما أراد أنهم جعلوا لله شركاء .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا) ، والأنداد : الشركاء . وقوله (لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ) : اختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامّة قرّاء

الكوفيين (ليُضِلُّوا) بمعنى : كى يضلوا الناس عن سبيل الله، بما فعلوا من ذلك . وقرأته عامة قرّاء أهل البصرة (ليَضِلُّوا) بمعنى : كى يضلّ جاعلو الأنداد لله عن سبيل الله . وقوله (قُلْ تَمَتَّعُوا) : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يامحمد لهم : تمتعوا فى الحياة الدنيا ، وعيدا من الله لهم ، لاإباحة لهم التمتع بها ، ولا أمرا على وجه العبادة ، ولكن توبيخا وتهدّدا ووعيدا ، وقد بين ذلك بقوله : (فإنَّ مَصِيرَكُمْ إلى النَّارِ) يقول : استمتعوا فى الحياة الدنيا ، فإنها سريعة الزوال عنكم ، وإلى النار تصيرون عن قريب ، فتعلمون هنالك غبّ تمتعكم فى الدنيا بمعاصى الله ، وكفركم فيها به .

القول فى تأويل قوله تعالى

قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَوٰةَ ، وَيُنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً ، مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ (٣١)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (قُلْ) يامحمد (لِعِبادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا) بك، وصدّقوا أن ما جئتهم به من عندى (يُقِيمُوا الصَّلاةَ) يقول : قل لهم : فليقيموا الصلوات الخمس المفروضة عليهم بحدودها ، ولينفقوا مما رزقناهم ، فخوّلناهم من فضلنا . (سرّا وعلانية) : فليؤدّوا ما أوجبت عليهم من الحقوق فيها سرّا وإعلانا . (مِنْ قَبْلِ أنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لا بَيْعٌ فِيهِ) يقول : لايقبل فيه فدية وعوض من نفس وجب عليها عقاب الله، بما كان منها من معصية ربها فى الدنيا، فيقبل منها الفدية ، وتترك فلا تعاقب ، فسمى الله جلّ ثناؤه الفدية عوضا ، إذ كان أخذ عوض من معتاض منه . وقوله (وَلا خِلالٌ) : يقول : وليس هناك مُخالّة خليل ، فيصفح عمن استوجب العقوبة عن العقاب لمخالّته ، بل هنالك العدل والقسط ، فالخلال مصدر من قول القائل : خاللت فلانا ، فأنا أخاله مخالة وخلالا ؛ ومنه قول امرئ القيس :

صرفْتُ الهَوَى عَنْهُنَّ مِنْ خَشْيَةِ الرَّدَى وَلَسْتُ بِمَقْلِيِّ الخِلالِ ولا قالِى[1]

وجزم قوله (يُقِيمُوا الصَّلاةَ) بتأويل الجزاء ، ومعناه : الأمر ، يراد قل لهم ليقيموا الصلاة .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس (قُلْ لِعِبادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلاةَ) يعنى الصلوات الخمس . (وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْناهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً) : يقول : زكاة أموالهم .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا هشام ، عن عمرو ، عن سعيد ، عن قتادة ، فى قوله (مِنْ قَبْلِ أنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لا بَيْعٌ فِيهِ وَلا خِلالٌ) قال قتادة : إن الله تبارك وتعالى قد علم أن فى الدنيا

(١) البيت لامرئ القيس (مختار الشعر الجاهلى ، بشرح مصطفى السقا ، طبعة الحلبى ص ٤٠) قال : الرد هنا : الفضيحة ، أى لم أنصرف عنهن لأنى قليتهن ، ولا لأنهن قلينى ، ولكن خشية الفضيحة والعار اه . والخلال هنا : مصدر خاله يخاله خلالا ومخالة ، بمعنى المصادقة ، وبه استشهد المؤلف على هذا المعنى . وفى (اللسان : خلل) وقوله تعالى : « لابيع فيه ولا خلال » قيل : هو مصدر خاللت ، وقيل : هو جمع خلة (بضم الخاء) كجلة وجلال . وفى مجاز القرآن لأبى عبيدة : مجازه : مبايعة فدية ، ولا مخالة خليل . وله موضع آخر أيضا ، تجعله جمع خلة بمنزلة جلة ، والجمع : جلال ؛ وقلة ، والجمع : قلال .

بيوعا وخلالا يتخالُّون بها فى الدنيا ، فينظر رجل من يخالل ، وعلام يصاحب ؟ فإن كان لله فليداوم ، وإن كان لغير الله ، فإنها ستنقطع .

القول فى تأويل قوله تعالى

اللَّهُ الَّذِى خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرٰتِ رِزْقًا لَكُمْ ، وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ ، وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهٰرَ (٣٢)

يقول تعالى ذكره : الله الذى أنشأ السموات والأرض من غير شىء أيها الناس ، وأنزل من السماء غيثا أحيا به الشجر والزرع ، فأثمرت رزقا لكم تأكلونه (وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ) : وهى السفن. (لِتَجْرِىَ فِى الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ) لكم تركبونها ، وتحملون فيها أمتعتكم من بلد إلى بلد . (وَسَخَّرَ لَكُمُ الأَنهَارَ) : ماؤها شراب لكم . يقول تعالى ذكره : الذى يستحقّ عليكم العبادة ، وإخلاص الطاعة له ، مَنْ هذه صفته ، لا من لا يقدر على ضرّ ولا نفع ، لنفسه ولا لغيره ، من أوثانكم ، أيها المشركون ، وآلهتكم .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن قال ثنا ورقاء ؛ وحدثنا الحسن بن محمد ، يعنى الزعفرانىّ ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثنى المثنى ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ؛ وحدثنى المثنىّ ، قال : ثنا أبو حُذيفة ، قال : ثنا شبل جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (وَسَخَّرَ لَكُمُ الأَنهَارَ) قال : بكلّ بلدة .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ، وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ (٣٣)

يقول تعالى ذكره : الله الذى خلق السموات والأرض ، وفعل الأفعال التى وصف . (وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالقَمَرَ) : يتعاقبان عليكم أيها الناسُ بالليل والنهار ، لصلاح أنفسكم ومعاشكم . (دَائِبَيْنِ) فى اختلافهما عليكم . وقيل : معناه : أنهما دائبان فى طاعة الله .

حدثنا خلف بن واصل ، عن رجل ، عن مقاتل بن حيان ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، فى قوله (وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالقَمَرَ دَائِبَيْنِ) قال : دءوبهما : فى طاعة الله .

وقوله (وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ) يختلفان عليكم باعتقاب ، إذا ذهب هذا ، جاء هذا بمنافعكم ، وصلاح أسبابكم ، فهذا لكم لتصرّفكم فيه لمعاشكم ، وهذا لكم للسكن ، تسكنون فيه ، ورحمة منه بكم .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَءَاتٰكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ، وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ، إِنَّ الْإِنسٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ (٣٤)

يقول تعالى ذكره: وأعطاكم مع إنعامه عليكم بما أنعم به عليكم، من تسخير هذه الأشياء التى سخرها لكم، والرزق الذى رزقكم، من نبات الأرض وغروسها، من كلّ شىء سألتموه، ورغبتم إليه، شيئا، وحذف الشىء الثانى، اكتفاء بما التى أضيفت إليها كلّ، وإنما جاز حذفه، لأن مِنْ تُبَعِّض مابعدها، فكفت بدلالتها على التبعيض من المفعول، فلذلك جاز حذفه، ومثله قوله تعالى: (وأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ) يعنى به: وأوتيت من كلّ شىء فى زمانها شيئا؛ وقد قيل: إن ذلك إنما قيل على التكثير، نحو قول القائل: فلان يعلم كلّ شىء، وأتاه كلُّ الناس، وهو يعنى بعضهم، وكذلك قوله (فَتَحْنا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ). وقيل أيضا: إنه ليس شىء إلا وقد سأله بعض الناس، فقيل (وآتاكُمْ مِنْ كُلِّ ما سألْتُمُوهُ) أى قد آتى بعضكم منه شيئا، وآتى آخر شيئا مما قد سأله. وهذ قول بعض نحوِيّى أهل البصرة.

وكان بعض نحوِيّى أهل الكوفة يقول: معناه: وآتاكم من كلّ ماسألتموه لو سألتموه، كأنه قيل: وآتاكم من كلّ سؤلكم، وقال: ألاترى أنك تقول للرجل: لم يسألك شيئا، والله لأعطينك سُؤْلك مابلغتْ مسألتك، وإن لم يسأل.

فأما أهل التأويل، فإنهم اختلفوا فى تأويل ذلك، فقال بعضهم: معناه: وآتاكم من كلّ مارغبتم إليه فيه.

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثنى الحارث، قال: ثنا الحسن قال: ثنا ورقاء؛ وحدثنى الحسن بن محمد، قال: ثنا شبابة، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبى نجيح عن مجاهد (مِنْ كُلِّ ما سألْتُمُوهُ)، ورغبتم إليه فيه.

حدثنى المثنى، قال: ثنا أبو حُذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد؛ وحدثنى المثنى، قال: ثنا عبد الله، عن ورقاء، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد؛ وحدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين قال: ثنى حجاج، عن ابن جُريج، عن مجاهد، مثله.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثَوْر، عن مَعْمر، عن الحسن: (وآتاكُمْ مِنْ كُلِّ ما سألْتُمُوهُ) قال: من كلّ الذى سألتموه.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: وآتاكم من كل الذى سألتموه، والذى لم تسألوه.

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن محمد، قال: ثنا خَلَف، يعنى ابن هشام، قال: ثنا محبوب، عن داود بن أبى هند، عن رُكانة بن هاشم (مِنْ كُلِّ ما سألْتُمُوه) قال: ما سألتموه وما لم تسألوه.

وقرأ ذلك آخرون (وآتاكُمْ مِنْ كُلٍّ ما سألْتُمُوهُ) بتنوين كلّ وترك إضافتها إلى « ما » بمعنى: وآتاكم من كلّ شىء لم تسألوه ولم تطلبوه منه، وذلك أن العباد لم يسألوه الشمس والقمر والليل والنهار، وخلق ذلك لهم من غير أن يسألوه.

ذكر من قال ذلك

حدثنى أبوحُصَين ، عبد الله بن أحمد بن يونُس ، قال : ثنا بَزِيع ، عن الضحاك بن مُزاحم ، فى هذه الآية : (وآتاكُمْ مِنْ كُلِّ ما سألْتُمُوهُ) قال : ما لم تسألوه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا عبيد ، عن الضحاك : أنه كان يقرأ (مِنْ كُلِّ ما سألْتُمُوهُ) ويفسره : أعطاكم أشياء ماسألتموها ولم تلتمسوها ، ولكنْ أعطيتكُم برحمتى وسعتى . قال الضحاك : فكم من شىء أعطانا الله ، ما سألناه ولا طلبناه .

حُدِّثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (وآتاكُمْ مِنْ كُلِّ ما سألْتُمُوهُ) يقول : أعطاكم أشياء ما طلبتموها ، ولا سألتموها ، صدق الله ، كم من شىء أعطاناه الله ما سألناه إياه ، ولا خطر لنا على بال .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وآتاكُمْ مِنْ كُلِّ ما سألْتُمُوهُ) قال : لم تسألوه من كلّ الذى آتاكم .

⁂ والصواب من القول فى ذلك عندنا : القراءة التى عليها قرّاء الأمصار ، وذلك إضافة « كل » إلى « ما » ، بمعنى : وآتاكم من سؤلكم شيئا ، على ما قد بيّنا قبل ، لإجماع الحجة من القرّاء عليها ، ورفضهم القراءة الأخرى .

القول فى تأويل قوله تعالى

(وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللهِ لا تُحْصُوهَا ، إنَّ الإنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ) :

⁂ يقول تعالى ذكره : وإن تعدّوا أيها الناس نعمة الله التى أنعمها عليكم ، لاتطيقوا إحصاء عددها ، والقيام بشكرها ، إلا بعون الله لكم عليها . (إنَّ الإنْسانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ) يقول : إن الإنسان الذى بدلّ نعمة الله كفرا لظلوم ؛ يقول : لَشاكر غيرَ من أنعم عليه ، فهو بذلك من فعله ، واضع الشكر فى غير موضعه ، وذلك أن الله هو الذى أنعم عليه بما أنعم ، واستحقّ عليه إخلاص العبادة له ، فعبد غيرهّ ، وجعل له أندادا ، ليضلّ عن سبيله ، وذلك هو ظلمه . وقوله (كَفَّارٌ) يقول : هو جَحُود نعمة الله التى أنعم بها عليه ، لصرفه العبادة إلى غير من أنعم عليه ، وتركه طاعة من أنعم عليه .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا يزيد بن هارون ، قال : ثنا مِسْعَر ، عن سعد بن إبراهيم ، عن طَلْق بن حبيب ، قال : إن حقّ الله أثقل من أن تقوم به العباد ، وإن نعم الله أكثر من أن تحصيهَا العباد ، ولكن أصبِحوا تَوّابين ، وأمسُوا توّابين .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا ، وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ (٣٥) رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ، فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ، وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٣٦)

⁂ يقول تعالى ذكره: واذكر يا محمد (إذْ قالَ إبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا البَلَدَ آمِنا): يعنى الحَرَم، بلدا آمنا أهله وسكانه (وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أنْ نَعْبُدَ الأصْنامَ) يقال منه : جَنَبْته الشرّ فأنا أَجْنُبُه جَنْبا، وجَنَّبته الشرّ ، فأنا أُجَنِّبُه تجنيبا ، وأجنبته ذلك، فأنا أُجْنِبه إجنابا . ومن جَنَبْتُ قول الشاعر :

وتَنْفُضُ مَهْدَهُ شَفَقا عَلَيْهِ وَتَجْنُبُهُ قَلائِصَنا الصِّعابَا[1]

ومعنى ذلك : أبعدْنى وبنىّ من عبادة الأصنام ، والأصنام : جمع صنم ، والصنم : هو التمثال المصوّر ، كما قال رُؤبة بن العجّاج فى صفة امرأة :

وَهْنانَةٌ كالزُّونِ يُجْلَى صَنَمُهْ تَضْحَكُ عن أشْنَبَ عَذْبٍ مَلْثَمُهْ[2]

وكذلك كان مجاهد يقول : حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حُذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح عن مجاهد (وَإذْ قالَ إبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هذَا البَلَدَ آمِنا، وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أنْ نَعْبُدَ الأصْنامَ)، قالَ : فاستجاب الله لإبراهيم دعوته فى ولده ، قال : فلم يَعبُد أحد من ولده صنما بعد دعوته . والصَّنَم : التمثال المصوّر ، ما لم يكن صنما فهو وثَن . قال : واستجاب الله له ، وجعل هذا البلد آمنا ، ورزق أهله من الثمرات ، وجعله إماما ، وجعل من ذرّيته من يقيم الصلاة ، وتقبّل دعاءه ، فأراه مناسِكَه ، وتاب عليه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن مُغيرة ، قال: كان إبراهيم التيمىّ يقصّ ويقول فى قَصَصه: من يأمن من البلاء بعد خليل الله إبراهيم ، حين يقول : (رَبِّ اجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أنْ نَعْبُدَ الأصْنامَ) .

وقوله (رَبِّ إنَّهُنَّ أضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ) يقول : يا ربّ إن الأصنام أضللن : يقول : أزللن كثيرا من الناس عن طريق الهُدى ، وسبيل الحقّ ، حتى عبدوهنّ ، وكفروا بك .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إنَّهُنَّ أضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ) يعنى : الأوثان .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا هشام ، عن عمرو ، عن سعيد ، عن قتادة (إنَّهُنَّ أضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ) قال : الأصنام .

وقوله (فَمَنْ تَبِعَنِي فإنَّهُ مِنِّي): يقول: فمن تبعنى على ما أنا عليه من الإيمان بك، وإخلاص العبادة لك ، وفراق عبادة الأوثان ، فإنه منى : يقول: فإنه مستنّ بسنّتى ، وعامل بمثل عملى . (وَمَنْ عَصَانِي

---

(١) البيت فى (مجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ٣٤٢) قال : جنبت الرجل الأمر ، وهو يجنب أخاه الشر ، وجنبته (بتشديد النون) واحد . وأنشد البيت . وشدده ذو الرمة فقال :

وشعر قد أرقت له بليل أجنبه المساند والمحالا

يريد أن المرأة تشفق على طفلها ، فتنفض فراشه، خوفا عليه مما يؤذيه ، ولا تركب به النوق الفتية ، وهى القلائص ، لأن نشاطها فى السير يؤذيه . وقال الفراء فى معانى القرآن : (الورقة ١٦٤) أهل الحجاز يقولون : جنبنى ، خفيفة ، وأهل نجد يقولون: أجنبنى شره ، وجنبنى شره .

(٢) البيت لرؤبة من أرجوزة له مطلعها : « قلت لزير لم تصله مريمه » . وقوله « وهنانة » : صفه لأروى فى البيت قبله ، وهو « إذ حب أروى همه وسدمه» . والزون : الصنم . وملثمه: مقبله . وقد شبه أروى بالصنم المجلو، فى البهاء والحسن . والوهنانة كما فى اللسان : الكسلى عن العمل تنعما . قال أبوعبيدة : الوهنانة التى فيها فترة .

فإنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) يقول : ومن خالف أمرى ، فلم يقبل منى ما دعوته إليه ، وأشرك بك ، فإنك غفور لذنوب المذنبين الخطّائين بفضلك ، رحيم بعبادك ، تعفو عمن تشاء منهم .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله (فَمَنْ تَبِعَنِى فانَّهُ مِنِى ، وَمَنْ عَصَانِى فإنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) : اسمعوا إلى قول خليل الله إبراهيم ، لاوالله ما كانوا طَعَّانين ولا لَعَّانين ، وكان يقال : إن من أشرّ عباد الله كلّ طَعَّان لَعَّان ، قال نبىّ الله ابن مريم عليه السلام : (إنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإنَّهُمْ عِبادُكَ ، وَإنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فإنَّكَ أنْتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ) .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أصبغ بن الفرج ، قال : أخبرنى ابن وهب ، قال : ثنا عمرو بن الحارث ، أن بكر بن سَوادة ، حدّثه عن عبد الرحمن بن جُبير ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا قول إبراهيم : (رَبِّ إنَّهُنَّ أضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ ، فَمَنْ تَبِعَنِى فإنَّهُ مِنِّى ، وَمَنْ عَصَانِى فإنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) . وقال عيسى (إنْ تُعَذِّبْهُمْ فإنَّهُمْ عِبادُكَ ، وَإنْ تَغْفِرْ لَهُمْ ، فإنَّكَ أنْتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ) ، فرفع يديه ، ثم قال : اللَّهُمَّ أُمَّتِى ، اللَّهُمَّ أُمَّتِى ، وبكى ، فقال الله تعالى : ياجبرئيل اذهب إلى محمد ، وربُّك أعلم ، فاسأله مايُبكيه ؟ فأتاه جبرئيل ، فسأله ، فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال ، قال : فقال الله : يا جبرئيل ، اذهب إلى محمد وقل له : إنا سنرضيك فى أمتك ولا نسوءُك .

القول فى تأويل قوله تعالى

رَبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ ، رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ، فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ ، وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ (٣٧)

⁂ وقال إبراهيم خليل الرحمن هذا القول ، حين أسكن إسماعيل وأمه هاجرَ — فيما ذُكِر — مكة .

كما حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، والحسن بن محمد ، قالا : ثنا إسماعيل بن ابرهيم ، عن أيوب ، قال : نبئت عن سعيد بن جُبير ، أنه حدث عن ابن عباس ، قال : إنّ أوّل من سعى بين الصَّفا والمروة لأمّ إسماعيل ؛ وإن أوّل ما أحدث نساء العرب جرّ الذيول ، لِمَن أمّ إسماعيل ، قال : لما فرّت من سارَة ، أرخت من ذيلها ، لتعفىَ أثرها ، فجاء بها إبراهيم ، ومعها إسماعيل ، حتى انتهى بهما إلى موضع البيت ، فوضعهما ثم رجع ، فاتبعته ، فقالت : إلى أىّ شىء تَكِلُنا ؟ إلى طعام تَكِلُنا ؟ إلى شراب تَكِلُنا ؟ فجعل لايردّ عليها شيئا ، فقالت : آللهُ أمرك بهذا ؟ قال : نعم . قالت : إذن لايضيعَنا . قال : فرجعت ومضى ، حتى إذا استوى على ثنية كَدَاء ، أقبل على الوادى فدعا ، فقال : (رَبِّ إنّى أسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غيرِ ذِى زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ المُحَرَّمِ ، رَبَّنا لِيُقِيمُوا الصَّلاةَ ، فاجْعَلْ أفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِى إلَيْهِمْ ، وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ : لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ) . قال : ومع الإنسانة شَنَّة فيها ماء ، فنفد الماء ، فعطشت

وانقطع لبنها ، فعطش الصبيّ ، فنظرت أىّ الجبال أدنى من الأرض ، فصعِدَت بالصفا ، فتسمعت هل تسمع صوتا ، أو ترى أنيسا ؟ فلم تسمع ، فانحدرت ، فلما أتت على الوادى سعت ، وما تريد السعى ، كالإنسان المجهود الذى يسعى وما يريد السعى ، فنظرت أىُّ الجبال أدنى من الأرض ، فصَعِدت المروة ، فتسمعت هل تسمع صوتا ، أو ترى أنيسا ؟ فسمعت صوتا ، فقالت : كالإنسان الذى يكذّب سمعه : صَهْ ، حتى استيقنت ، فقالت : قد أسمعتنى صوتك فأغثنى ، فقد هلكت وهلك من معى ، فجاء المَلَك ، فجاء بها ، حتى انتهى بها إلى موضع زَمْزم ، فضرب بقدمه ، ففارت عينا ، فعجِلت الإنسانة ، فجعلت فى شنّتها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رَحِمَ اللهُ أُمَّ إسْماعِيلَ ، لَوْلا أنَّها عَجِلَتْ ، لَكانَتْ زَمْزَمُ عَيْناً مَعِينا »[1] . وقال لها الملك : لاتخافى الظمأ على أهل هذا البلد ، فإنما هى عين لشرب ضيفان الله ، وقال : إن أبا هذا الغلام سيجىء ، فيبنيان لله بيتا هذا موضعه ، قال : ومرّت رُفْقة من جُرهُم تريد الشام ، فرأوا الطير على الجبل ، فقالوا : إن هذا الطير لعائف على ماء ، فهل علمتم بهذا الوادى من ماء ؟ فقالوا : لا ، فأشرفوا ، فإذا هم بالإنسانة ، فأتَوْها ، فطلبوا إليها أن ينزلوا معها ، فأذنت لهم ؛ قال : وأتى عليها ما يأتى على هؤلاء الناس من الموت ، فماتت ، وتزوّج إسماعيل امرأة منهم ، فجاء إبراهيم ، فسأل عن منزل إسماعيل ، حتى دُلّ عليه ، فلم يجده ، ووجد امرأة له ، فظة غليظة ، فقال لها : إذا جاء زوجك ، فقولى له : جاء هاهنا شيخ من صفته كذا وكذا ، وإنه يقول لك : إنى لا أرضى لك عَتَبة بابك ، فحوّلها ، وانطلق ؛ فلما جاء إسماعيل أخبرته ، فقال : ذاك أبى ، وأنت عتبة بابى ، فطلقَها وتزوّج امرأة أخرى منهم ، وجاء إبراهيم حتى انتهى إلى منزل إسماعيل ، فلم يجده ، ووجد امرأة له ، سهلة طليقة ، فقال لها : أين انطلق زوجك ؟ فقالت : انطلق إلى الصيد ، قال : فما طعامكم ؟ قالت : اللحم والماء . قال : اللهمّ بارك لهم فى لحمهم ومائهم ، اللهمّ بارك لهم فى لحمهم ومائهم ، ثلاثا ، وقال لها : إذا جاء زوجك فأخبريه ، قُولى : جاء ههنا شيخ من صفته كذا وكذا ، وإنه يقول لك : قد رضيت لك عتبة بابك ، فأثبتها ؛ فلما جاء إسماعيل أخبرته . قال : ثم جاء الثالثة ، فرفعا القواعد من البيت .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنى يحيى بن عباد ، قال : ثنا حماد بن سلمة ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : جاء نبىّ الله إبراهيم بإسماعيل وهاجَر ، فوضعهما بمكة فى موضع زمزم ؛ فلما مضى نادته هاجر : يا إبراهيم ، إنما أسألك ثلاث مرات : من أمرك أن تضعنى بأرض ليس فيها ضَرْع ولا زرع ، ولا أنيس ، ولا زاد ، ولا ماء ؟ قال : ربى أمرنى ، قالت : فإنه لن يضيِّعنا . قال : فلما قفا إبراهيم قال : (رَبنا إنَّكَ تَعْلَمُ ما نُخْفى وَما نُعْلِنُ) يعنى من الحزن (وَما يَخْفَى على اللهِ مِنْ شَيْءٍ فِى الأرْضِ وَلا فِى السَّماءِ) ، فلما ظمئ إسماعيل ، جعل يَدْحَض الأرض بعقبه ، فذهبت هاجر حتى علت الصفا ، والوادى يومئذ لاخ ، يعنى : عميق ، فصعدت الصفا ، فأشرفت لتنظر هل ترى شيئا ؟ فلم تر شيئا ؟ فانحدرت ، فبلغت الوادى ، فسعت فيه ، حتى خرجت منه ، فأتت المروة ، فصعدت ، فاستشرفت هل ترى شيئا ؟ فلم تر شيئا ، ففعلت ذلك سبع مرّات ، ثم جاءت من المروة إلى إسماعيل ، وهو يَدْحَض

(١) معينا : جارية سائحة على وجه الأرض .

الأرض بعقبه، وقد نبعت العين، وهى زمزم ، فجعلت تفحص الأرض بيدها عن الماء ، فكلما اجتمع ماء أخذته بقدحها ، وأفرغته فى سقائها ، قال : فقال النبىّ صلى الله عليه وسلم : « يرحمها الله لو تركتها لكانت عينا سائحة تجرى إلى يوم القيامة ». قال : وكانت جرهم يومئذ بواد قريب من مكة ؛ قال : ولزمت الطيرُ الوادىَ حين رأت الماء؛ فلما رأت جرهمُ الطير لزمت الوادى ، قالوا : ما لزمته إلا وفيه ماء ، فجاءوا إلى هاجر ، فقالوا : إن شئت كنا معك وآنسناك، والماء ماؤك ، قالت : نعم . فكانوا معها، حتى شبّ إسماعيل ، وماتت هاجر ، فتزوّج إسماعيل امرأة منهم ؛ قال : فاستأذن إبراهيم سارة أن يأتى هاجر ، فأذنت له، وشرطت عليه ألا ينزل ، فقدم إبراهيم وقد ماتت هاجر ، فذهب إلى بيت إسماعيل ، فقال لامرأته : أين صاحبك ؟ قالت : ليس هاهنا، ذهب يتصيّد، وكان إسماعيل يخرج من الحرم فيتصيد، ثم يرجع ، فقال إبراهيم : هل عندكِ ضيافة ؟ هل عندكِ طعام أو شراب ؟ قالت : ليس عندى ، وما عندى أحد . فقال إبراهيم : إذا جاء زوجك فأقرئيه السلام، وقولى له : فليغيّر عتبةَ بابه . وذهب إبراهيم ، وجاء إسماعيل ، فوجد ريح أبيه ، فقال لامرأته : هل جاءك أحد ؟ فقالت : جاءنى شيخٌ كذا وكذا ، كالمستخفة بشأنه ، قال : فما قال لك ؟ قالت : قال لى : أقرئى زوجك السلام، وقولى له : فليغير عتبة بابه ، فطلقها وتزوّج أخرى، فلبث إبراهيم ما شاء الله أن يلبث، ثم استأذن سارَة أن يزور إسماعيل، فأذنت له ، وشرطت عليه ألاّ ينزل ، فجاء إبراهيم حتى انتهى إلى باب إسماعيل ، فقال لامرأته : أين صاحبك ؟ قالت : ذهب يصيد ، وهو يجىء الآن إن شاء الله ، فانزل يرحمك الله ، قال لها : هل عندك ضيافة ؟ قالت : نعم ، قال : هل عندك خبز أو برّ أو تمر أو شعير ، قالت : لا ، فجاءت باللبن واللحم ، فدعا لهما بالبركة ، فلو جاءت يومئذ بخبز أو برّ أو شعير أو تمر، لكانت أكثر أرض الله برّا وشعيرا وتمرا ، فقالت له : انزل حتى أغسل رأسك، فلم ينزل، فجاءته بالمقام، فوضعته عن شقه الأيمن، فوضع قدمه عليه ، فبقى أثر قدمه عليه ، فغسلت شقّ رأسه الأيمن ، ثم حوّلت المقام إلى شقه الأيسر، فغسلت شقه الأيسر، فقال لها : إذا جاء زوجك فأقرئيه السلام ، وقولى له : قد استقامت عتبة بابك ؛ فلما جاء إسماعيل وجد ريح أبيه ، فقال لامرأته : هل جاءك أحد ؟ فقالت : نعم ، شيخ أحسن الناس وجها ، وأطيبه ريحا ، فقال لى : كذا وكذا ، وقلت له : كذا وكذا ، وغسلت رأسه ، وهذا موضع قدمه على المقام ؛ قال : وما قال لك ؟ قالت : قال لى : إذا جاء زوجك فأقرئيه السلام، وقولى له: قد استقامت عتبة بابك، قال: ذاكِ إبراهيم . فلبث ماشاء الله أن يلبث، وأمره الله ببناء البيت ، فبناه هو وإسماعيل ؛ فلما بنياه قيل : أذّن فى الناس بالحجّ ، فجعل لايمرّ بقوم إلا قال : أيها الناس إنه قد بُنِى لكم بيت فحُجُّوه ، فجعل لايسمعه أحد ، صخرةٌ ولا شجرةٌ ولاشىء ، إلا قال : لبيك اللهمّ لبيك . قال : وكان بين قوله : (ربّنا إنّى أسكنت من ذريّتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرّم) وبين قوله : (الحمد لله الذى وهب لى على الكبر إسماعيل وإسحاق) كذا وكذا عاما ، لم يحفظ عطاء .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد، عن قتادة ، قوله (ربّنا إنّى أسكنت من ذريّتى

بِوَادٍ غيرِ ذِى زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ)، وإنه بيت طهّره الله من السُّوء، وجعله قبلة ، وجعله حَرَمه ، اختاره نبىّ الله إبراهيم لولده .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (غيرِ ذِى زَرْعٍ) قال : مكة لم يكن بها زرع يومئذ .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : أخبرنى ابن كثير ، قال القاسم فى حديثه : قال أخبرنى عمرو بن كثير « قال أبو جعفر » : فغيرته أنا فجعلته : قال أخبرنى ابن كثير ، وأسقطت عمرا ، لأنى لاأعرف إنساناً يقال له عمرو بن كثير حدّث عنه ابن جريج ، وقد حدّث به معمر عن كثير بن كثير بن المطلب بن أبى وَدَاعة ، وأخشى أن يكون حديث ابن جريج أيضا عن كثير بن كثير ، قال : كنت أنا وعثمان بن أبى سليمان فى أناس ، مع سعيد بن جُبير ليلا ، فقال سعيد بن جُبير للقوم : سلونى قبل ألاّ تسألونى ، فسأله القوم فأكثروا ، وكان فيما سُئل عنه أن قيل له : أحقّ ماسمعنا فى المَقام ، فقال سعيد : ماذا سمعتم ؟ قالوا : سمعنا أن إبراهيم رسول الله حين جاء من الشام ، كان حلف لامرأته ألاّ ينزل مكة حتى يرجع ، فقُرّب له المَقام ، فنزل عليه ، فقال سعيد : ليس كذاكَ حدّثنا ابن عباس ، ولكنه حدثنا حين كان بين أمّ إسماعيل وسارَّة ما كان ، أقبل بإسماعيل ، ثم ذكر مثل حديث أيوب ، غير أنه زاد فى حديثه ، قال : قال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم : « وَلذلكَ طافَ النَّاسُ بينَ الصفا والمَرْوَة » . ثم حدث وقال : قال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم : « طَلَبُوا النُّزُولَ مَعَها وَقَدْ أحبَّتْ أُمّ إسْماعِيلَ الأنْسَ ، فَنَزَلُوا وَبَعَثُوا إلى أهْلِهِمْ فَقَدِمُوا ، وَطَعامُهُمُ الصَّيْدُ ، يَخْرُجُون مِنَ الحَرَمِ وَيَخْرُجُ إسْماعِيلُ مَعَهُمْ يَتَصَيَّدُ ؛ فَلَمَّا بَلَغَ أنْكَحُوهُ ، وَقَدْ تُوُفِّيَتْ أُمُّه قَبْلَ ذلكَ » ، قالَ : وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَمَّا دَعا لَهُما أنْ يُبارِكَ لَهُمْ فِى اللَّحْمِ والماءِ ، قال : لَهَا هَلْ مِنْ حَبّ أوْ غيرِهِ مِنَ الطَّعامِ ؟ قالَتْ : لا ، وَلَوْ وَجَدَ يَوْمَئِذٍ لَهَا حَبًّا لَدَعا لَهَا بالبَرَكَةِ فِيهِ » . قال ابن عباس : ثم لبث ما شاء الله أن يَلْبث ، ثم جاء فوجد إسماعيل قاعدا تحت دَوْحة ، إلى ناحية البئر ، يبرى نَبْلا له ، فسلم عليه ، ونزل إليه ، فقعد معه وقال : يا إسماعيل ، إن الله قد أمرنى بأمر ، قال إسماعيل : فأطع ربك فيما أمرك ، قال إبراهيم : أمرنى أن أبنى له بيتا ، قال إسماعيل ابن . قال ابن عباس : فأشار له إبراهيم إلى أكمة بين يديه ، مرتفعة على ماحولها ، يأتيها السيل من نواحيها ولا يركبها ، قال : فقاما يحفران عن القواعد ، يرفعانها ويقولان : (رَبَّنا تَقَبَّلْ مِنَّا إنَّكَ أنْتَ السَّمِيعُ العَلِيمُ) : ربنا تقبل منا إنك سميع الدعاء ، وإسماعيل يحمل الحجارة على رقبته ، والشيخ إبراهيم يبنى ، فلما ارتفع البنيان وشقّ على الشيخ تناوله ، قرّب إليه إسماعيل هذا الحجَر ، فجعل يقوم عليه ويبنى ، ويحوله فى نواحى البيت ، حتى انتهى . يقول ابن عباس : فذلك مقام إبراهيم وقيامه عليه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن شريك ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : (رَبَّنا إنّى أسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غيرِ ذِى زَرْعٍ) قال : أسكن إسماعيل وأمه مكة .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا شريك ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير : (إِنِّى أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غيرِ ذِى زَرْعٍ) قال : حين وضع إسماعيل .

قال أبو جعفر : فتأويل الكلام إذن : ربنا إنى أسكنت بعض ولدى بواد غير ذى زرع ، وفى قوله صلى الله عليه وسلم دليل على أنه لم يكن هنالك يومئذ ماء ، لأنه لو كان هنالك ماء ، لم يصفه بأنه غير ذى زرع ، عند بيتك الذى حرّمته على جميع خلقك أن يستحلّوه ،

وكان تحريمه إياه فيما ذُكر ، كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : ذُكر لنا أن عمر بن الخطاب قال فى خطبته : إن هذا البيت أوّل من وَلِيه أناس من طَسْم ، فعصَوا ربهم ، واستحلوا حُرمته ، واستخفُّوا بحقه ، فأهلكهم الله ؛ ثم وليهم أناس من جُرهُم ، فعصوا ربهم ، واستحلوا حرمته ، واستخفوا بحقه ، فأهلكهم الله ، ثم وليتموه معاشر قريش ، فلا تعصوا ربه ، ولا تستحلُّوا حرمته ، ولا تستخفوا بحقه ، فوالله لصلاةٌ فيه أحبّ إلىّ من مئة صلاة بغيره ، واعلموا أن المعاصى فيه على نحو من ذلك .

وقال (إِنِّى أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غيرِ ذِى زَرْعٍ) ولم يأت بما وقع عليه الفعل ، وذلك أن حظّ الكلام أن يقال : إنى أسكنت من ذريتى جماعة ، أو رجلا ، أو قوما ، وذلك غير [1] جائز مع « مِنْ » ، لدلالتها على المراد من الكلام ، والعرب تفعل ذلك معها كثيرا ، فتقول : قتلنا من بنى فلان ، وطعمنا من الكلأ ، وشربنا من الماء ؛ ومنه قول الله تعالى (أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنا مِنَ الماءِ ، أَوْ مِما رَزَقَكُمُ اللهُ) .

فإن قال قائل : وكيف قال إبراهيم حين أسكن ابنه مكة : (إِنِّى أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غيرِ ذِى زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ المُحَرَّمِ) وقد رَوَيتَ فى الأخبار التى ذكرتها : أن إبراهيم بنى البيت بعد ذلك بمدة ؟ قيل : قد قيل فى ذلك أقوال ، قد ذكرتها فى سورة البقرة ، منها أن معناه : عند بيتك المحرّم ، الذى كان قبل أن ترفعه من الأرض ، حين رفعته أيامَ الطوفان ؛ ومنها عند بيتك المحرّم الذى قد مضى فى سابق علمك أنه يحدث فى هذا البلد . وقوله (المُحَرَّمِ) على ماقاله قتادة : معناه : المحرّم : من استحلال حرمات الله فيه ، والاستخفاف بحقه . وقوله (رَبَّنا لِيُقِيمُوا الصَّلاةَ) يقول : فعلت ذلك ياربنا ، كى تُؤَدَّى فرائضك ، من الصلاة التى أوجبتها عليهم فى بيتك المحرّم . وقوله (فاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِى إِلَيْهِمْ) يخبر بذلك تعالى ذكره عن خليله إبراهيم ، أنه سأله فى دعائه أن يجعل قلوب بعض خلقه تنزع إلى مساكن ذريته ، الذين أسكنهم بواد غير ذى زرع ، عند بيته المحرّم ، وذلك منه دعاء لهم بأن يرزقهم حجّ بيته الحرام .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حَكّام بن سلم ، عن عمرو بن أبى قيس ، عن عطاء ، عن سعيد بن جبير : (أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِى إِلَيْهِمْ) ولو قال : أفئدة الناس تهوى إليهم ، لحجت اليهود والنصارى والمجوس ، ولكنه قال : أفئدة من الناس تهوى إليهم ، فهم المسلمون .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (فاجْعَلْ

(١) يريد أن من إذا كان معناها التبعيض ، كما فى الآية ، لم يجز ذكر المفعول بعدها ، لأنها حينئذ بمعنى المفعول ، أى أسكنت بعض ذريتى بواد غير ذى زرع .

أفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِى إلَيْهِمْ) قال : لو كانت أفئدة الناس ، لازدحمت عليه فارس والروم ، ولكنه أفئدة من الناس .

حدثنا ابن حميد وابن وكيع ، قالا : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد (فاجْعَلْ أفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِى إلَيْهِمْ) قال : لو قال أفئدة الناس تهوى إليهم ، لازدحمت عليهم فارس والروم .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا علىّ ، يعنى ابن الجعد ، قال : أخبرنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن الحكَم ، قال : سألت عكرمة عن هذه الآية : (فاجْعَلْ أفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِى إلَيْهِمْ) فقال : قلوبهم تهوى إلى البيت .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن شعبة ، عن الحكَم ، عن عكرمة وعطاء وطاوس (فاجْعَلْ أفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِى إلَيْهِمْ) البيت ، تهوى إليه قلوبهم : يأتونه .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا يحيى بن عباد ، قال : ثنا سعيد ، عن الحكم ، قال : سألت عطاء وطاوسا وعكرمة ، عن قوله (فاجْعَلْ أفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِى إلَيْهِمْ) قالوا : الحجّ .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا شبابة وعلىّ بن الجعد ، قالا : أخبرنا سعيد ، عن الحكم ، عن عطاء وطاوس وعكرمة ، فى قوله (فاجْعَلْ أفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِى إلَيْهِمْ) قال : هواهم إلى مكة : أن يحجّوا .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا آدم ، قال : ثنا شعبة ، عن الحكم ، قال : سألت طاوسا وعكرمة وعطاء ابن أبى رباح ، عن قوله (فاجْعَلْ أفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِى إلَيْهِمْ) فقالوا : اجعل هواهم الحجّ .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا يحيى بن عباد ، قال : ثنا حماد بن سلمة ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد ابن جبير ، عن ابن عباس ، قال : لو كان إبراهيم قال : فاجعل أفئدة الناس تَهْوِى إليهم لحجه اليهود والنصارى والناس كلهم ، ولكنه قال : (أفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِى إلَيْهِمْ) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فاجْعَلْ أفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِى إلَيْهِمْ) قال : تنزع إليهم .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا عبد الوهاب بن عطاء ، عن سعيد ، عن قتادة ، مثله .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، مثله .

وقال آخرون : إنما دعا لهم أن يَهْوَوُا السكنى بمكة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (فاجْعَلْ أفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِى إلَيْهِمْ) قال : إن إبراهيم خليل الرحمن ، سأل الله أن يجعل أناسا من الناس يهوَوْن سكنى أو سَكَنْ مكة .

وقوله (وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ) يقول تعالى ذكره : وارزقهم من ثمرات النبات والأشجار

ما رزقت سكان الأرياف والقرى، التى هى ذوات المياه والأنهار، وإن كنت أسكنتهم واديا غير ذى زرع ولا ماء، فرزقهم جلّ ثناؤه ذلك.

كما حدثنا المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا هشام، قال: قرأت على محمد بن مسلم الطائفىّ أن إبراهيم لما دعا للحرم (وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثمرات) نقل الله الطائف من فلسطين.

وقوله (لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ) يقول: ليشكروك على مارزقتهم، وتنعم به عليهم.

القول فى تأويل قوله تعالى

رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِى وَمَا نُعْلِنُ، وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْ شَىْءٍ، فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ (٣٨)

وهذا خبر من الله تعالى ذكره، عن استشهاد خليله إبراهيم إياه على مانوى وقصد، بدعائه وقيله: (رَبِّ اجْعَلْ هَـٰذَا البَلَدَ آمِنا، وَاجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَنْ نَعْبُدَ الأَصْنَامَ) ... الآية، وأنه إنما قصد بذلك رضا الله عنه، فى محبته أن يكون ولده من أهل الطاعة لله، وإخلاص العبادة له، على مثل الذى هو له، فقال: ربنا إنك تعلم ما تخفى قلوبنا عند مسألتنا ما نسألك، وفى غير ذلك من أحوالنا، وما نعلن من دعائنا، فنجهر به، وغير ذلك من أعمالنا، وما يخفى عليك يا ربنا من شىء، يكون فى الأرض ولا فى السماء، لأن ذلك كله ظاهر لك، متجلّ باد، لأنك مدبرّه وخالقه، فكيف يخفى عليك.

القول فى تأويل قوله تعالى

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ، إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ (٣٩)

يقول: الحمد لله الذى رزقنى على كبر من السنّ ولدا: إسماعيل وإسحاق. (إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ): يقول: إن ربى لسميع دعائى الذى أدعوه به، وقولى (اجْعَلْ هَـٰذَا البَلَدَ آمِنا، وَاجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَنْ نَعْبُدَ الأَصْنَامَ) وغير ذلك من دعائى ودعاء غيرى، وجميع مانطق به ناطق، لايخفى عليه منه شىء.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا ابن فضيل، عن ضرار بن مرّة، قال: سمعت شيخا يحدّث سعيد بن جبير، قال: بُشِّر إبراهيم بعد سبع عشرة ومئة سنة.

القول فى تأويل قوله تعالى

رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِى، رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ (٤٠)

يقول: ربّ اجعلنى مؤدّيا ما ألزمتنى من فريضتك التى فرضتها علىّ، من الصلاة. (وَمِنْ ذُرِّيَّتِى): يقول: واجعل أيضا من ذرّيتى مقيمى الصلاة لك (رَبَّنَا وتَقَبَّلْ دُعَاءِ) يقول: ربنا وتقبل عملى الذى أعمله لك، وعبادتى إياك، وهذا نظير الخبر الذى رُوِى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إنّ

الدُّعاءَ هُوَ العبادَةُ ، ثم قرأ (وَقالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ، إنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ داخِرِينَ) » .

القول فى تأويل قوله تعالى

رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ (٤١)

☆ وهذا دعاء من إبراهيم صلوات الله عليه لوالديه بالمغفرة ، واستغفار منه لهما ، وقد أخبر الله عزّ ذكره ، أنه لم يكن (اسْتِغْفارُ إبْراهِيمَ لأَبِيهِ إلاَّ عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَها إيّاهُ ، فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أنَّهُ عَدُوٌّ للهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ، إنَّ إبْراهِيمَ لأَوَّاهٌ حَلِيمٌ) .

وقد بيَّنا وقت تبرّئه منه فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته .

وقوله (وَلِلْمُؤْمِنِينَ) يقول : وللمؤمنين بك ، ممن تبعنى على الدين الذى أنا عليه ، فأطاعك فى أمرك ونهيك . وقوله (يَوْمَ يَقُومُ الحِسابُ) يعنى : يقوم الناس للحساب ، فاكتفى بذكر الحساب من ذكر الناس ، إذ كان مفهوما معناه .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَلاَ تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ ، إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ (٤٢) مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ ، لاَ يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ، وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ (٤٣)

☆ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ولا تحسبنّ الله يا محمد غافلا ، ساهيا عما يعمل هؤلاء المشركون من قومك ، بل هو عالم بهم وبأعمالهم ، محصيها عليهم ، ليجزيهم جزاءهم فى الحين الذى قد سبق فى علمه أنه يجزيهم فيه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا علىّ بن ثابت ، عن جعفر بن برقان ، عن ميمون بن مهران فى قوله (وَلا تَحْسَبَنَّ اللهَ غافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظّالِمُونَ) قال : هى وعيد للظالم ، وتعزية للمظلوم

القول فى تأويل قوله تعالى

(إنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأبصار) مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ ، لا يَرْتَدُّ إلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وأفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ) :

يقول تعالى ذكره : إنما يؤخر ربك يا محمد هؤلاء الظالمين الذين يكذّبونك ، ويجحدون نبوّتك ، ليوم تشخص فيه الأبصار . يقول : إنما يؤخّر عقابهم ، وإنزال العذاب بهم ، إلى يوم تشخص فيه أبصار الخلق ، وذلك يوم القيامة .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأبْصَارُ) شَخِصت فيه والله أبصارهم ، فلا ترتدّ إليهم .

وأما قوله (مُهْطِعِينَ) فإن أهل التأويل اختلفوا فى معناه ، فقال بعضهم : معناه : مسرعين .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا هاشم بن القاسم ، عن أبى سعيد المؤدّب ، عن سالم ، عن سعيد بن جبير : (مُهْطِعِينَ) قال : النَّسَلان ، وهو الحَبَب ، أو ما دون الحبب ، شكّ أبوسعيد ، يَخبُّون وهم ينظرون .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (مُهْطِعِينَ) قال : مسرعين .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (مُهْطِعِينَ) يقول : منطلقين عامدين إلى الداعى .

وقال آخرون : معنى ذلك : مديمى النظر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (مُهْطِعِينَ) يعنى بالإهطاع : النظر من غير أن يَطْرِف .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن سعيد بن مسروق ، عن أبى الضحى (مُهْطِعِينَ) قال : الإهطاع : التحميج الدائم الذى لا يَطْرِف .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن مغيرة ، عن أبى الخير بن تميم بن حَذْلَمَ ، عن أبيه ، فى قوله (مُهْطِعِينَ) قال : الإهطاع : التحميج .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا المحاربى ، عن جويبر ، عن الضحاك (مُهْطِعِينَ) قال : شدّة النظر الذى لا يطرف .

حدثنى المثنى ، قال : أخبرنا عمرو ، قال : أخبرنا هُشَيم ، عن جويبر ، عن الضحاك ، فى قوله : (مُهْطِعِينَ) قال : شدة النظر فى غير طَرْف .

حُدِّثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (مُهْطِعِينَ) الإهطاع : شدة النظر فى غير طَرْف .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثنى الحرث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حُذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (مُهْطِعِينَ) قال : مُديمى النظر .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

وقال آخرون : معنى ذلك : لايرفع رأسه .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (مُهْطِعِينَ) قال : المهطع الذى لايرفع رأسه . والإهطاع فى كلام العرب بمعنى الإسراع : أشهر منه بمعنى إدامة النظر ، ومن الإهطاع بمعنى الإسراع ، قول الشاعر :

وبمُهْطِعٍ سُرُحٍ كأنَّ زِمامَهُ فى رأسِ جِذْعٍ مِنْ أَوَالَ مُشَذَّبِ[1]

وقول الآخر :

بمُسْتَهْطِعٍ رَسْلٍ كأنَّ جَدِيلَهُ بقَيْدُومِ رَعْنٍ مِنْ صَوَامٍ مُمَنَّعُ[2]

وقوله (مُقْنِعِى رءُوسِهِمْ) يعنى رافعى : رءُوسهم . وإقناع الرأس : رفعه ؛ ومنه قول الشماخ :

يُباكِرْنَ العِضَاهَ بمُقْنَعاتٍ نَوَاجِذُهُنَّ كالحَدَإِ الوَقِيعِ[3]

يعنى : أنهنّ يباكرن العضاه برءوسهن مرفوعات إليها لتتناول منها ، ومنه أيضا قول الراجز :

أنْغَضَ نَحْوِى رأسَهُ وأقْنَعا كأنَّمَا أبْصَرَ شَيْئًا أطْمَعَا[4]

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ) قال : الإقناع : رفع رءوسهم .

---

(١) البيت أنشده ابن برى فى (اللسان : أول) ونسبه لأنيف بن جبلة . وروايته فيه :

أمَّا إذَا اسْتَقْبَلْتَهُ فَكأنَّهُ لِلْعَيْنِ جِذْعٌ مِنْ أَوَالَ مُشَذَّبُ

وفى معجم ما استعجم للبكرى : أول قرية بالبحرين ، وقيل جزيرة ، فإن كانت قرية فهى من قرى السيف (بكسر السين) ؛ يشهد لذلك قول ابن مقبل . وكأنها سفن بسيف أوال . والمهلع : (كما فى اللسان) ، الذى يديم النظر مع فتح العينين . وقيل : الذى يقبل على الشىء ببصره ، فلا يرفعه عنه ؛ والمهطع أيضا : المسرع الخائف ، لايكون إلا مع خوف . وقد فسر بالوجهين جميعا قوله تعالى : مهطعين إلى الداع . اه . وقال فى سرح : خيل سرح ، وناقة سرح فى سيرها : أى سريعة . وأورده المؤلف وأبو عبيدة فى مجاز القرآن (١ : ٣٤٢) شاهدا على أن المهطع : المسرع .

(٢) أورده صاحب أساس البلاغة (هطع) قال : وهو فى صفة ثور . ومتع : بالتاء : أى طويل ، من المتاع . وفيه « رضام » فى محل : صوام . وفى (اللسان : قدم) قال : وقيدوم الجبل : أنف يتقدم منه ، وأنشد البيت وقال : صوام (كسحاب) اسم جبل . وقيدوم كل شىء : مقدمه وصدره . والمستهطع : كالمهطع ، وهو المسرع . ورسل : سهل فيه لين . والجديل : حبل مفتول من أدم أو شعر ، يكون فى عنق البعير أو الناقة ، والجمع : جدل . والجديل أيضا : الزمام المجدول من أدم . والرعن : أنف الجبل . وصوام (كسحاب) : جبل قاله البكرى وصاحب اللسان . والممنع بالنون : المرتفع الذى لا يرتقى . وفى مجاز القرآن : الذى لايكلفك شيئا . بقيدوم : قدام . ورعن الجبل : أنفه ، وصؤام (بضم الصاد وهمز الواو) لم أجده كذلك ، وإنما هو صوام ، بفتح الصاد وبالواو ، بوزن سحاب .

(٣) البيت للشماخ بن ضرار (ديوانه ص ٥٦) والرواية فيه : يبادرن فى موضع يباكرن ، وهما بمعنى . قال شارحه : يبادرن من المبادرة ، والعضاه : جمع عضاهة . وهى أعظم الشجر . والمقنعات : جمع مقنع : يريد أفواه الإبل . والنواجذ : أقصى الأضراس . والحدأ : جمع حدأة ، وهى فأس ذات رأسين . والوقيع : المحدد بالميقعة ، وهى المطرقة التى يحدد بها . شبه أسنانها بفئوس قد حددت . والبيت فى وصف إبل حداد الأسنان . وقال أبو عبيدة فى مجاز القرآن (١ : ٣٤٣) فى تفسير « مقنعى رءوسهم » مجازه : رافعى رءوسهم . وأنشد بيت الشماخ ، ثم قال : أى برءوس مرفوعة إلى العضاه ، ليتناولن منه . والعضاه : كل شجرة ذات شوك . ونواجذهن : أضراسهن . والحدأ : الفأس ، وأراه الذى ليس له خلف ، وجمعها : حدأ . والوقيع : المرققة المحددة ، يقال : وقع حديدتك . والمطرقة يقال لها ميقعة . وفى (اللسان : حدأ) الحدأ : شبه فأس تنقر به الحجارة ، وهو محدد الطرف . والحدأة : الفأس ذات الرأسين ، والجمع حدأ ، كقصبة وقصب . وقال : شبه أسنانها بفئوس قد حددت .

(٤) أنغض رأسه : حركه كالمتعب . وأقنعه : رفعه . يقول : هز رأسه نحوى ، ورفعه يتأملنى ، كما يتأمل شيئا فيه مطمع له . وهو كالذى قبله شاهد على أن الإقناع : هو الرفع .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، وقال الحسن ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حُذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ) قال : رافعيها .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا أبو بكر ، عن أبى سعد ، قال : قال الحسن : وجوه الناس يوم القيامة إلى السماء ، لاينظر أحد إلى أحد .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن عثمان بن الأسود ، لانه سمع مجاهدا يقول فى قوله (مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ) قال : رافع رأسه هكذا ، لايرتدّ إليهم طَرْفُهم .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن جويبر ، عن الضحاك ، فى قوله (مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ) قال : رافعى رءوسهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ) قال : الإقناع : رفع رءوسهم .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ) قال : المُقْنِع : الذى يرفع رأسه ، شاخصا بصرُه ، لايطرِف .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، فى قوله (مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ) قال : رافعيها .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ) قال : المقنع الذى يرفع رأسه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا المحاربىّ ، عن جويبر ، عن الضحاك (مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ) قال : رافعى رءوسهم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا هاشم بن القاسم ، عن أبى سعيد ، عن سالم ، عن سعيد (مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ) قال : رافعى رءوسهم .

وقوله (لايَرْتَدُّ إلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ) يقول : لاترجع إليهم ، لشدّة النظر ، أبصارُهم .

كما حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله (لايَرْتَدُّ إلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ، وأفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ) قال : شاخصة أبصارهم .

وقوله (وأفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ) اختلف أهل التأويل فى تأويله ، فقال بعضهم : معناه : متخرّقة ، لاتعى من الخير شيئا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبى إسحاق ، عن مُرّة ، فى قوله (وأفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ) قال : متخرقة لاتعى شيئا .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا مالك بن مِغْوَل ، عن أبى إسحاق ، عن مرّة ، بمثل ذلك .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبى إسحاق ، عن مرّة ، مثله .

حدثنا محمد بن عمارة ، قال : ثنا سهل بن عامر ، قال : ثنا مالك وإسرائيل ، عن أبى إسحاق ، عن مرّة ، مثله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن أبى إسحاق ، عن مرّة (وأفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ) قال : متخرقة ، لاتعى شيئا من الخير .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا يحيى بن عباد ، قال : ثنا مالك ، يعنى ابن مِغْوَل ، قال : سمعت أبا إسحاق ، عن مرّة ، إلا أنه قال : لاتعى شيئا ، ولم يقل من الخير .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن أبى إسحاق ، عن مرّة ، مثله .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا مالك بن مِغول ، وإسرائيل عن أبى إسحاق ، عن مرّة (وأفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ) قال أحدهما : خَرِبة ، وقال الآخر : متخرقة ، لاتعى شيئا .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، (وأفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ) قال : ليس فيها شىء من الخير ، فهى كالخَرِبة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قال : ليس من الخير شىء فى أفئدتهم ، كقولك للبيت الذى ليس فيه شىء : إنما هو هواء .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال قال : ابن زيد فى قوله (وأفْئِدَتُهُمْ هَوَاء) قال : الأفئدة : القلوب . هواء ، كما قال الله ، ليس فيها عقل ولا منفعة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن أبى بكرة ، عن أبى صالح (وأفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ) قال : ليس فيها شىء من الخير .

وقال آخرون : إنها لاتستقرّ فى مكان ، تَرَدَّد فى أجوافهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع وأحمد بن إسحاق ، قالا : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا شريك ، عن سالم ، عن سعيد (وأفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ) قال : تمور فى أجوافهم ، ليس لها مكان تستقرّ فيه

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا هاشم بن القاسم ، عن أبى سعيد ، عن سالم ، عن سعيد بنحوه .

وقال آخرون : معنى ذلك : أنها خرجت من أماكنها ، فنشبت بالحُلوق .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع وأحمد بن إسحاق ، قالا : ثنا أبو أحمد الزُّبيرىّ ، عن إسرائيل ، عن سعيد ، عن مسروق ، عن أبى الضحى : (وأفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ) قال : قد بلغت حناجرهم .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن مَعْمر ، عن قتادة ، فى قوله (وأفْئِدَتُهُمْ هَوَاء) قال : هواء : ليس فيها شىء ، خرجت من صدورهم ، فنشبت فى حلوقهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وأفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ) انْتُزِعتْ ، حتى صارت فى حناجرهم ، لاتخرج من أفواههم ، ولا تعود إلى أمكنتها .

⁂ وأولى هذه الأقوال عندى بالصواب ، فى تأويل ذلك : قول من قال : معناه : أنها خالية ، ليس فيها شىء من الخير ، ولا تعقل شيئا ؛ وذلك أن العرب تسمى كلّ أجوف خاو : هواء ؛ ومنه قول حسّان بن ثابت :

ألا أبْلِغْ أبا سُفْيانَ عَنِّى فأنْتَ مُجَوَّفٌ نَخِبٌ هَوَاءُ [1]

ومنه قول الآخر :

ولا تَكُ مِنْ أخْدانِ كُلّ يَراعةٍ هَوَاءٍ كَسَقْبِ البانِ جُوفٍ مَكاسِرُهْ [2]

القول فى تأويل قوله تعالى

وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ ، فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ ، نُجِبْ دَعْوَتَكَ ، وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ ، أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلُ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ (٤٤)

⁂ يقول تعالى ذكره : وأنذر يامحمد الناس الذين أرسلتك إليهم داعيا إلى الإسلام ، ما هو نازل بهم ، يوم يأتيهم عذاب الله فى القيامة . (فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا) يقول : فيقول الذين كفروا بربهم ، فظلموا بذلك أنفسهم : (رَبَّنَا أخِّرْنا) : أى أخِّر عنا عذابك ، وأمهلنا (إلى أجَلٍ قَرِيبٍ ، نُجِبْ دَعْوَتَكَ) الحقّ ، فنؤمن بك ، ولا نشرك بك شيئا (وَنَتَّبِعِ الرُسُلَ) يقولون : ونصدّق رسلك ، فنتبعهم على ما دعوتنا إليه من طاعتك ، واتباع أمرك .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

---

(١) البيت لحسان ، كما فى (الديوان ص ٧) . وأبوسفيان : هو المغيرة بن الحارث بن عبد المطلب ، ابن عم النبى صلى الله عليه وسلم ، وكان يهجو النبى قبل أن يسلم . والمجوف : الخالى الجوف ، يريد به الجبان ، وكذلك النخب والهواء . وقال فى اللسان : النخب : الجبان ، كأنه منتزع الفؤاد ، أى لافؤاد له . وقال فى (هوى) : والهواء والخواء : واحد . وأورد البيت كرواية المؤلف .

(٢) البيت فى (اللسان : يرع) كرواية المؤلف . ونسبه ابن برى لكعب الأمثال (؟) وقال قبله : اليراعة واليراع : الجبان الذى لاعقل له ولا رأى ، مشتق من القصب . اه . أى على التشبيه بالقصب الأجوف . والهواء : الجبان المنتزع الفؤاد . والبان : شجر يسمو ويطول فى استواء ، وليس لخشبه صلابة ، والسقب : عمود الخباء ، وإذا اتخذ من شجر البان ، فإنه لايحتمل ، لقلة صلابته . وجوف : جمع أجوف ؛ والمكاسر : مواضع الكسر ، أى إذا كسر بان أنه أجوف ضعيف الاحتمال .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله (وأنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ العَذَابُ) قال : يوم القيامة (فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا : رَبَّنا أخِّرْنا إلى أجَلٍ قَرِيبٍ) قال : مدّة يعملون فيها من الدنيا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وأنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ العَذابُ) : يقول : أنذرهم فى الدنيا ، قبل أن يأتيهم العذاب .

وقوله (فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا) رفع عطفا على قوله (يَأْتِيهِمُ) فى قوله (يَوْمَ يَأْتِيهِمُ العَذَابُ) وليس بجواب للأمر ، ولو كان جوابا لقوله (وأنْذِرِ النَّاسَ) جاز فيه الرفع والنصب ، أما النصب فكما قال الشاعر :

يا نَاقَ سِيرِى عَنَقاً فَسِيحَا إلى سُلَيْمانَ فَنَسْتَرِيحَا [1]

والرفع على الاستئناف . وذُكر عن العلاء بن سَيَّابة ، أنه كان ينكر النصب فى جواب الأمر بالفاء ، قال الفراء وكان العلاء هو الذى علَّم مُعاذا وأصحابه .

القول فى تأويل قوله تعالى

(أوَلَمْ تَكُونُوا أقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلُ ما لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ) :

وهذا تقريع من الله تعالى ذكره للمشركين من قريش ، بعد أن دخلوا النار بإنكارهم فى الدنيا البعث بعد الموت ، يقول لهم : إذ سألوه رفع العذاب عنهم ، وتأخيرهم ، لينيبوا ويتوبوا . (أوَلَمْ تَكُونُوا) فى الدنيا (أقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلُ ما لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ) يقول : مالكم من انتقال من الدنيا إلى الآخرة ، وإنكم إنما تموتون ، ثم لاتُبعثون .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قال (أوَلَمْ تَكُونُوا أقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلُ) كقوله (وأقْسَمُوا باللهِ جَهْدَ أيْمانِهِمْ لا يَبْعَثُ اللهُ مَنْ يَمُوتُ بلى) ثم قال (ما لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ) قال : الانتقال من الدنيا إلى الآخرة .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثنى المثنى ، قال : ثنا

(١) هذا البيت من شواهد النحويين ، وهو لأبى النجم العجلى ، يخاطب ناقته فى سيره إلى سليمان بن عبد الملك . وناق : منادى مرخم ، أى يا ناقة ، وعنقا : منصوب على أنه نائب عن المصدر ، أى صفة مصدر محذوف ، أى سيرا عنقا ، وهو ضرب من سير الدابة والإبل ، وهو سير مسبطر . قال أبو النجم . . . وأنشد البيت . والفسيح : الواسع . نعت . والشاهد فى « فنستريحا » حيث نصب ، لأنه جواب الأمر بالفاء ، وهذا بلا خلاف ، إلا ما نقل عن العلاء بن سيابة ، أنه كان لا يجيز ذلك ، وهو محجوج به . (انظر فرائد القلائد للعينى : باب إعراب الفعل) . وقال الفراء فى معانى القرآن : (الورقة ١٦٤) ، وقوله « يأتيهم العذاب فيقول » : رفع ، تابع ليأتيهم ، وليس بجواب الأمر ، ولو كان جوابا لجاز نصبه ورفعه ، كما قال الشاعر : « يا ناق ... البيت » والرفع على الاستئناف ، والائتناف بالفاء فى جواب الأمر حسن . وكان شيخ لنا يقال له العلاء بن سيابة ، وهو الذى علم معاذا الهراء وأصحابه ، يقول : لا أنصب بالأمر .

أبو حذيفة ، قال : ثنا سلمة ؛ وحدثنى المثنى ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (ما لَكُمْ مِنْ زَوَال) قال : لاتموتون ، لقريش .

حدثنى القاسم ، قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن الحكم ، عن عمرو بن أبى ليلى ، أحد بنى عامر ، قال : سمعت محمد بن كعب القُرَظىّ يقول : بلغنى ، أو ذُكر لى ، أن أهل النار ينادُون : (رَبَّنا أخِّرْنا إلى أجَلٍ قَرِيبٍ ، نُجِبْ دَعْوَتَكَ ، وَنَتَّبِعِ الرسُلَ) فردّ عليهم (أوَلَمْ تَكُونُوا أقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلُ ما لَكُمْ مِنْ زَوَال ، وَسَكَنْتُمْ فِي مَساكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أنْفُسَهُمْ) . . . إلى قوله (لِتَزُولَ مِنْهُ الجبال) .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ، وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ ، وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ (٤٥)

يقول تعالى ذكره : وسكنتم فى الدنيا فى مساكن الذين كفروا بالله ، فظلموا بذلك أنفسهم ، من الأمم التى كانت قبلكم ، وتبين لكم كيف فعلنا بهم : يقول : وعلمتم كيف أهلكناهم حين عتَوا على ربهم ، وتمادَوا فى طغيانهم وكفرهم . (وَضَرَبْنا لَكُمُ الأمْثالَ) يقول : ومثّلنا لكم فيما كنتم عليه من الشرك بالله مقيمين : الأشباه ، فلم تنيبوا ولم تتوبوا من كفركم ، فالآن تسألون التأخير للتوبة ، حين نزل بكم ما قد نزل بكم من العذاب ، إن ذلك لغير كائن .

وبنحو ما قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَسَكَنْتُمْ فِي مَساكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أنْفُسَهُمْ) يقول : سكن الناس فى مساكن قوم نوح وعاد وثمود ، وقرون بين ذلك كثيرة ، ممن هلك من الأمم . (وتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنا بِهِمْ ، وَضَرَبْنا لَكُمُ الأمْثالَ) قد والله بعث رسله ، وأنزل كتبه ، ضرب لكم الأمثال ، فلا يصم فيها إلا أصمّ ، ولا يخيب فيها إلا الخائب ، فاعقلوا عن الله أمره .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَسَكَنْتُمْ فِي مَساكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أنْفُسَهُمْ ، وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنا بِهِمْ) قال : سكنوا فى قُراهم مَدْيَنَ والحِجْرِ والقرى التى عذّب الله أهلها ، وتبين لكم كيف فعل الله بهم ، وضربَ لهم الأمثال .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (الأمْثالَ) قال : الأشباه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ ، وَعِنْدَ اللهِ مَكْرُهُمْ ، وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ (٤٦)

⁂ يقول تعالى ذكره : قد مكر هؤلاء الذين ظلموا أنفسهم ، فسكنتم من بعدهم فى مساكنهم ، مكرهم .

وكان مكرهم الذى مكروا : ما حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا يحيى ، قال : ثنا سفيان ، قال : ثنا أبو إسحاق ، عن عبد الرحمن بن أبان[1] ، قال : سمعت عليا يقرأ (وَإِنْ كانَ مَكْرُهُمْ لَتَزُول مِنْهُ الجبال) قال : كان ملك فَرِه[2] أخذ فروخ النسور ، فعلفها اللحم ، حتى شبّت واستعلجت واستغلظت ، فقعد هو وصاحبه فى التابوت ، وربطوا التابوت بأرجل النسور ، وعلقوا اللحم فوق التابوت ، فكانت كلما نظرت إلى اللحم ، صعدت وصَعِدت ، فقال لصاحبه ما ترى؟ قال : أرى الجبال مثل الدخان ، قال : ماترى ؟ قال : ما أرى شيئا ، قال : ويحك صَوِّب صوِّب ، قال : فذلك قوله (وَإِنْ كانَ مَكْرُهُمْ لَتَزُولُ مِنْهُ الجِبالُ) .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبى إسحاق ، عن عبد الرحمن ابن واصل[1] ، عن علىّ بن أبى طالب ، مثل حديث يحيى بن سعيد ، وزاد فيه : وكان عبد الله بن مسعود يقرؤها (وَإِنْ كانَ مَكْرُهُمْ لَتَزُولُ مِنْهُ الجِبال) .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا محمد بن أبى عدىّ ، عن شعبة ، عن أبى إسحاق ، قال : ثنا عبد الرحمن بن واصل[1] : أن عليا قال فى هذه الآية : (وَإِنْ كانَ مَكْرُهُمْ لَتَزُولُ مِنْهُ الجِبالُ) قال : أخذ ذلك الذى حاجّ إبراهيم فى ربه نَسْرين صغيرين ، فربّاهما ، ثم استغلظا واستعلجا وشبّا ؛ قال : فأوثق رجل كلّ واحد منهما بوتد إلى تابوت ، وجوّعهما ، وقعد هو ورجل آخر فى التابوت ، قال : ورفع فى التابوت عصا على رأسه اللحم ، قال : فطارا ، وجعل يقول لصاحبه : انظر ماذا ترى ؟ قال : أرى كذا وكذا ، حتى قال : أرى الدنيا كأنها ذُباب ، فقال : صوّب العصا ، فصوّبها فهبطا ، قال : فهو قول الله تعالى : (وَإِنْ كانَ مَكْرُهُمْ لَتَزُولُ مِنْهُ الجِبالُ) قال أبو إسحاق : وكذلك فى قراءة عبد الله : (وَإِنْ كانَ مَكْرُهُمْ لَتَزُولُ مِنْهُ الجبالُ) .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَإِنْ كانَ مَكْرُهُمْ لَتَزُولُ مِنْهُ الجِبالُ) : مكر فارس . وزعم أن بختنصر خرج بنُسور ، وجعل له تابوتا يدخله ، وجعل رماحا فى أطرافها ، واللحم فوقها ، أراه قال : فَعَلَت تذهب نحو اللحم ، حتى انقطع بصره من الأرض وأهلها ، فنُودى : أيها الطاغية أين تريد ؟ ففرق ، ثم سمع الصوت فوقه ، فصوّب الرماح ، فتصوّبت النسور ، ففزعت الجبال من هدّتها ، وكادت الجبال أن تزول منه من حسّ ذلك ، فذلك قوله (وَإِنْ كانَ مَكْرُهُمْ لَتَزُولُ مِنْهُ الجِبالُ) .

---

(١) سيأتى (ص ٢٤٥) أن اسمه عبد الرحمن بن دانيل ، وقد نقل هذا الاسم القرطبى فى تفسيره (٩ : ٣٨٠) ولم أجده فى أسماء الرواة ولعل لفظتى « أبان ، وواصل » هنا تحريف عن « دانيل » .

(٢) الفره : البطر الأشر المتمادى فى غيه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جريج ، قال مجاهد (وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ ،وَعِنْدَ اللهِ مَكْرُهُمْ ، وَإِنْ كادَ مَكْرُهُمْ) كذا قرأها مجاهد (كادَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الجِبالُ) وقال : إن بعض من مضى جوّع نسورا ، ثم جعل عليها تابوتا فدخله ، ثم جعل رماحا فى أطرافها لحم ، فجعلت تَرَى اللحم ، فتذهب ، حتى انتهى بصره ، فنودى : أيها الطاغية : أين تريد ، فصوّب الرّماح ، فتصوّبت النسور ، ففزعت الجبال ، وظنّت أن الساعة قد قامت ، فكادت أن تزول ، فذلك قوله تعالى (وَإِنْ كانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الجِبالُ) .

قال ابن جريج ، أخبرنى عمرو بن دينار ، عن عكرمة ، عن عمر بن الخطاب ، أنه كان يقرأ (وَإِنْ كادَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الجِبالُ) .

حدثنى هذا الحديث أحمد بن يوسف ، قال : ثنا القاسم بن سلام ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، أنه كان يقرأ على نحو (لِتَزُولَ) بفتح اللام الأولى ، ورفع الثانية .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن أبى إسحاق ، عن عبد الرحمن بن دانيل[1] قال : سمعت عليا يقول ((وَإِنْ كانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الجبال) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن إسرائيل ، عن أبى إسحاق ، عن عبد الرحمن بن دانيل[1] ، قال : سمعت عليا يقول : وإنْ كانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ منْهُ الجبالُ) قال : ثم أنشأ علىّ يحدّث فقال : نزلت فى جبّار من الجبابرة، قال : لأنتهى حتى أعلم ما فى السماء ، ثم اتخذ نسورا، فجعل يطعمها اللحم، حتى غلظت واستعلجت واشتدّت ، وذكر مثل حديث شعبة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبوداود الحَضْرَمىّ ، عن يعقوب ، عن حفص بن حميد أو جعفر ، عن سعيد بن جبير (وَإِنْ كانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولُ مِنْهُ الجبالُ) قال: نُمرود صاحب النسور ، أمر بتابوت فجُعِل، وجعل معه رجلا ، ثم أمر بالنسور فاحتُمِل، فلما صعد قال لصاحبه: أىَّ شىء ترى ؟ قال: أرى الماء وجزيرة ، يعنى الدنيا ، ثم صعد فقال لصاحبه : أىَّ شىء ترى ؟ قال : مانزداد من السماء إلا بُعدا ، قال : اهبط ، وقال غيره : نودِى: أيها الطاغية أين تريد ؟ قال: فسمعت الجبال حفيف النسور ، فكانت ترى أنها أمر من السماء ، فكادت تزولُ ، فهو قوله (وَإِنْ كانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولُ مِنْهُ الجبال) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن أبى جعفر ، عن الربيع بن أنس ، أن أنسا كان يقرأ (وَإِنْ كَادَ مكْرُهُمْ لِتَزُولُ مِنْهُ الجبال) .

وقال آخرون : كان مكرهم : شركُهم بالله ، وافتراءَهم عليه .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس (وَإِنْ كانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الجِبال) يقول : شركهم ، كقوله (تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْه) .

(١) تقدمت الإشارة إليه فى (ص ٢٤٤) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا المحاربيّ ، عن جويبر ، عن الضحاك : (وَإِنْ كانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الجبال) قال : هو كقوله (وَقالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ، لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ، تَكادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ ، وَتَنْشَقُّ الأَرْضُ ، وَتَخِرُّ الجبالُ هَدًّا) .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن جويبر ، عن الضحاك ، فى قوله (وَإِنْ كانَ مَكْرُهُمْ) ثم ذكر مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، أن الحسن كان يقول : كان أهون على الله، وأصغر من أن تزول منه الجبال ، يصفهم بذلك . قال قتادة : وفى مصحف عبد الله بن مسعود (وَإِنْ كادَ مَكْرُهُمْ لَتَزُولُ مِنْهُ الجبالُ) ، وكان قتادة يقول عند ذلك : (تَكادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ ، وتَنْشَقُّ الأَرْضُ ، وَتَخِرُّ الجبالُ هَدًّا) : أى لكلامهم ذلك .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (وَإِنْ كانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الجبالُ) قال ذلك حين دَعَوْا لله وَلَدا . وقال فى آية أخرى (تَكادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ ، وَتَنْشَقُّ الأَرْضُ ، وَتَخِرُّ الجبالُ هَدًّا ، أَنْ دَعَوْا للرَّحْمَنِ وَلَدًا) .

حُدِّثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (وَإِنْ كانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الجبالُ) فى حرف ابن مسعود (وإِنْ كادَ مَكْرُهُمْ لَتَزُولُ مِنْهُ الجبال) هو مثل قوله (تَكادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ ، وتَنْشَقُّ الأَرْضُ ، وَتَخِرُّ الجبالُ هَدًّا) .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (لِتَزُولَ مِنْهُ الجبالُ) فقرأ ذلك عامّة قرّاء الحجاز والمدينة والعراق ماخلا الكسائىّ (وَإِنْ كانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الجبالُ) بكسر اللام الأولى، وفتح الثانية ، بمعنى : وما كان مكرهم لِتَزُولَ منه الجبال . وقرأه الكسائىّ : (وَإِنْ كانَ مَكْرُهُمْ لَتَزُولُ مِنْهُ الجبالُ) بفتح اللام الأولى، ورفع الثانية، على تأويل قراءة من قرأ ذلك (وَإِنْ كادَ مَكْرُهُمْ لَتَزُولُ مِنْهُ الجبالُ) من المتقدمين الذين ذكرت أقوالهم ، بمعنى : اشتدّ مكرهم حتى زالت منه الجبال، أو كادت تزول منه . وكان الكسائىّ يحدّث عن حمزة ، عن شبل عن مجاهد ، أنه كان يقرأ ذلك على مثل قراءته (وَإِنْ كانَ مَكْرُهُمْ لَتَزُولُ مِنْهُ الجبالُ) : برفع تزول .

حدثنى بذلك الحارث، عن القاسم، عنه .

⁂ والصواب من القراءة عندنا : قراءة من قرأه (وَإِنْ كانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الجبال) بكسر اللام الأولى ، وفتح الثانية ، بمعنى : وما كان مكرهم لِتَزُولَ منه الجبال .

وإنما قلنا : ذلك هو الصواب ، لأن اللام الأولى إذا فُتحت ، فمعنى الكلام : وقد كان مكرهم تزول منه الجبال، ولو كانت زالت لم تكن ثابتة، وفى ثبوتها على حالتها ما يُبين عن أنها لم تزل . وأخرى : إجماع الحجة من القرّاء على ذلك ، وفى ذلك كفاية عن الاستشهاد على صحتها ، وفساد غيرها بغيره .

فإن ظنّ ظانّ أن ذلك ليس بإجماع من الحجة، إذ كان من الصحابة والتابعين من قرأ ذلك كذلك، فإن الأمر بخلاف ماظنّ فى ذلك، وذلك أن الذين قرءوا ذلك بفتح اللام الأولى ورفع الثانية، قرءوا: « وَإِنْ كادَ مَكْرُهُمْ » بالدال، وهى إذا قرئت كذلك، فالصحيح من القراءة مع (وَإِنْ كادَ) فتح اللام الأولى، ورفع الثانية، على ماقرءوا، وغير جائز عندنا القراءة كذلك، لأن مصاحفنا بخلاف ذلك، وإنما خطّ مصاحفنا: « وإن كان »، بالنون لا بالدال، وإذ كانت كذلك، فغير جائز لأحد تغيير رسم مصاحف المسلمين، وإذا لم يجز ذلك، لم يكن الصّحاح من القراءة، إلا ماعليه قرّاء الأمصار، دون من شذّ بقراءته عنهم.

وبنحو ما قلنا معنى (وَإِنْ كانَ مَكْرُهُمْ) قال: جماعة من أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد، قال: ثنى أبى، قال: ثنى عمى، قال: ثنى أبى، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله (وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ، وَعِنْدَ اللهِ مَكْرُهُمْ، وَإِنْ كانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الجِبالُ) يقول: ما كان مكرهم لتزول منه الجبال.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، قال: قال الحسن، فى قوله (وَإِنْ كانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الجِبالُ) ما كان مكرهم لتزول منه الجبال.

حدثنى المثنى، قال: ثنا عمرو بن عون، قال: أخبرنا هشيم، عن عوف، عن الحسن، قال: ما كان مكرهم لتزول منه الجبال.

حدثنى الحرث، قال: ثنا القاسم، قال: ثنا حجاج، عن هارون، عن يونس وعمرو، عن الحسن (وَإِنْ كانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الجِبالُ) قالا: وكان الحسن يقول: وإن كان مكرهم لأوهن وأضعف من أن تزول منه الجبال.

قال: قال هارون: وأخبرنى يونس، عن الحسن قال: أربع فى القرآن (وَإِنْ كانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الجِبالُ): ما كان مكرهم لتزول منه الجبال، وقوله (لاتَّخَذْناهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فاعِلِينَ): ما كنا فاعلين وقوله، (إِنْ كانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأنا أوَّلُ العابِدِين): ما كان للرحمن ولد، وقوله (وَلَقَدْ مَكَنَّاهُمْ فِيما إِنْ مَكَّنَّاكُمْ): ما مكناكم فيه.

قال هارون: وحدثنى بهنّ عمرو بن أسباط، عن الحسن، وزاد فيهنّ واحدة (فَإِنْ كُنْتَ فِى شَكٍّ): ما كنت فى شكّ (مِمَّا أنْزَلْنا إِلَيْكَ).

⁂ فالأولى من القول بالصواب فى تأويل الآية، إذ كانت القراءة التى ذُكِرت هى الصواب، لما بينا من الدلالة فى قوله (وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ، وَعِنْدَ اللهِ مَكْرُهُمْ، وَإِنْ كانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الجِبالُ)، وقد أشرك الذين ظلموا أنفسهم بربهم، وافتروْا عليه فِرْيتهم عليه، وعند الله علم شركهم به، وافترائهم عليه، وهو معاقبهم على ذلك عقوبتهم التى هم أهلها، وما كان شركهم وفِرْيتهم على الله، لتزول منه الجبال، بل ماضرّوا بذلك إلا أنفسهم، ولا عادت بغية مكروهه إلا عليهم.

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا وكيع بن الجرّاح ، قال : ثنا الأعمش ، عن شِمر ، عن علىّ ، قال : الغدر : مكر ، والمكر : كفر .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ ، إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ (٤٧)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : (فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ) الذى وعدهم مَنْ كَذَّبهم ، وجحدَ ما أتَوْهم به من عنده . وإنما قاله تعالى ذكره لنبيه ، تثبيتا وتشديدا لعزيمته ، ومعرّفه أنه منزل من سُخْطِه بمن كذّبه ، وجحد نبوّته ، وردّ عليه ما أتاه به من عند الله ، مثال ما أنزل بمن سلكوا سبيلهم من الأمم الذين كانوا قبلهم على مثل مِنهاجهم ، من تكذيب رسلهم ، وجحود نبوّتهم ، ورد ماجاءُوهم به من عند الله عليهم .

وقوله (إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ) يعنى بقوله (إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ) : لايمتنع منه شىء أراد عقوبته ، قادر على كلّ من طلبه ، لايفوتُه بالهَرَب منه . (ذُو انْتِقَامٍ) ممن كفر برسله وكذّبهم ، وجَحَدَ نبوّتهم ، وأشرك به ، واتخذمعه إلها غيره ، وأضيف قوله (مُخْلِفَ) إلى الوعد ، وهو مصدر ، لأنه وقع موقع الاسم ، ونصب قوله (رُسُلَهُ) بالمعنى ، وذلك أن المعنى : فلا تحسبنّ الله مخلف رسله وعده ، فالوعد وإن كان مخفوضا بإضافة مخلف إليه ، ففى معنى النصب ، وذلك أن الإخلاف يقع على منصوبين مختلفين ، كقول القائل : كسوت عبدَ الله ثوبا ، وأدخلته دارا ؛ وإذا كان الفعل كذلك يقع على منصوبين مختلفين ، جاز تقديم أيّهما قُدّم ، وخفضُ ما وَلِىَ الفعل الذى هو فى صورة الأسماء ، ونصب الثانى ، فيقال : أنا مدخِلُ عبدِ الله الدار ، وأنامدخِلُ الدارِ عبدَ الله ، إن قدّمت الدار إلى المُدْخِل ، وأخرت عبدَ الله ، خفضت الدار ، إذ أضيف مُدْخل إليها ، ونُصِب عبد الله ، وإن قُدّم عبدُ الله إليه ، وأخّرت الدار ، خفض عبد الله بإضافة مُدْخلٍ إليه ، ونصب الدار ؛ وإنما فعل ذلك كذلك ، لأن الفعل ، أعنى مُدْخل ، يعمل فى كلّ واحد منهما نصبا ، نحو عمله فى الآخر ؛ ومنه قول الشاعر :

تَرَى الثَّوْرَ فيها مُدْخِلَ الظِّلِّ رأسَهُ وسائِرُهُ بادٍ إلى الشَّمْسِ أجْمَعُ[1]

أضاف مُدْخل إلى الظلّ ، ونصب الرأس ؛ وإنما معنى الكلام : مُدْخِلٌ رأسَه الظلَّ . ومنه قول الآخر :

فَرِشْنِى بِخَيْرٍ لا أكُونَ وَمِدْحَتِى كناحِتِ يَوْمٍ صَخْرَةً بعَسِيلِ[2]

---

(١) هذا البيت من شواهد الفراء فى معانى القرآن (الورقة ١٦٥) كما استشهد به المؤلف ، ولم ينسبه . قال : وقوله « فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله » أضفت مخلف إلى الوعد ، ونصبت الرسل على التأويل . وإذا كان الفعل يقع على شيئين مختلفين مثل : كسوتك الثوب ، وأدخلتك الدار ، فابدأ بإضافة الفعل إلى الرجل ، فتقول : هو كاسى عبد الله ثوبا ، ومدخله الدار ؛ ويجوز هو كاسى الثوب عبد الله ، ومدخل الدار زيدا . . . ومثله قول الشاعر : « ترى الثور ... البيت » ، فأضاف مدخل إلى الظل ، وكان الوجه أن يضيف مدخل إلى الرأس .

(٢) وهذا البيت أيضا من شواهد الفراء (الورقة ١٦٥) عطفه على آخر قبله ، وعطفهما على الأول . ومحل الشاهد فيه : أن الشاعر أضاف ناحت ، وهو وصف مشبه للفعل ، إلى يوم ، ونصب الصخرة ، والأولى إضافة الوصف إلى الصخرة ، ونصب يوما ، على ماقاله الفراء .

والعسيل : الريشة يُجمع بها الطيب . وإنما معنى الكلام : كناحتِ صخرةٍ يوما بعسيل . وكذلك قول الآخر :

رُبَّ ابْنِ عَمٍّ لِسُلَيْمَى مُشْمَعِلْ طَبَّاخِ ساعاتِ الكَرَى زَادَ الكَسِلْ[1]

وإنما معنى الكلام : طباخ زادِ الكَسل ساعاتِ الكَرَى .

فأما من قرأ ذلك (فَلا تَحْسَبَنَّ اللهَ مُخْلِفَ وَعْدَهُ رُسُلَهِ) فقد بيَّنا وجه بُعْدِه من الصحة فى كلام العرب، فى سورة الأنعام ، عند قوله (وكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلادِهِمْ شركاؤهم) ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .

القول فى تأويل قوله تعالى

يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ ، وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ (٤٨)

يقول تعالى ذكره : إن الله ذو انتقام (يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غيرَ الأَرْضِ والسَّمَوَاتُ) من مشركى قومك يامحمد من قريش ، وسائر من كفر بالله ، وجَحَد نبوّتك ونبوّة رسله من قبلك ، فيوم : من صلة الانتقام.

واختلف فى معنى قوله (يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غيرَ الأَرْضِ) فقال بعضهم : معنى ذلك : يوم تبدّل الأرض التى عليها الناس اليوم فى دار الدنيا ، غيرَ هذه الأرض ، فتصير أرضا بيضاء كالفضة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبى إسحاق ، قال : سمعت عمرو بن ميمون يحدّث ، عن عبد الله ، أنه قال فى هذه الآية (يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غيرَ الأَرْضِ والسَّمَوَاتُ) قال : أرض كالفضة نقية ، لم يَسفِل فيها دم ، ولم يُعْمَل فيها خطيئة ، يسمعهم الداعى ، وينفُذُهم البصر ، حُفاة عُراة قياما ، أحسب قال : كما خُلِقوا ، حتى يلجمهم العرق قياما وَحْدَه .

قال شعبة : ثم سمعته يقول : سمعت عمرو بن ميمون ، ولم يذكر عبد الله ، ثم عاودته فيه ، قال : حدثنيه هبيرة ، عن عبد الله .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا يحيى بن عباد ، قال : أخبرنا شعبة ، قال : أخبرنا أبو إسحاق ، قال : سمعت عمرو بن ميمون وربما قال : قال عبد الله : وربما لم يقل ، فقلت له : عن عبد الله ، قال : سمعت عمرو بن ميمون يقول : (يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غيرَ الأَرْضِ) قال : أرض كالفضة بيضاء نقية ، لم يسفل فيها دم ، ولم يعمل فيها خطيئة ، فينفُذُهم البصر ، ويسمعهم الداعى ، حُفاة عُراة كما خُلِقوا ، قال : أراه قال : قيا ما حتى يلجمهم العرق .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبى إسحاق ، عن عمرو بن ميمون ، عن ابن

(١) البيت من شواهد الفراء فى معانى القرآن (مصورة الجامعة ص ١٦٥) على أن طباخ كان حقه أن يضاف إلى « زاد الكسل » ، فأضافه الشاعر إلى الساعات . والمشمعل : الخفيف المضاء فى الأمر : المسرع . والكرى : النوم .

مسعود ، فى قوله (يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غيرَ الأَرْضِ والسَّمَوَاتُ) قال : تبدّل أرضا بيضاء نقية كأنها فضة ، لم يسفك فيها دم حرام ، ولم يُعمَل فيها خطيئة .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا مسلم بن إبراهيم ، قال : أخبرنا شعبة ، عن أبى إسحاق ، عن عمرو بن ميمون ، عن عبد الله ، فى قوله (يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غيرَ الأَرْضِ) قال : أرض الجنة بيضاء نقية ، لم يُعمل فيها خطيئة ، يسمعهم الداعى ، وينفُذُهم البصر ، حُفاة عُراة قياما ، يلجمهم العرق .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبى إسحاق ، عن عمرو بن ميمون (يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غيرَ الأَرْضِ) قال : أرض بيضاء كالفضة ، لم يُسْفك فيها دم حرام ، ولم يُعمل فيها خطيئة .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا يحيى بن عباد ، قال : ثنا حماد بن زيد ، قال : أخبرنا عاصم بن بَهْدلة ، عن زِرّ بن حُبيش ، عن عبد الله بن مسعود : أنه تلا هذه الآية (يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غيرَ الأرض والسَّمَوَاتُ ، وَبَرَزُوا للهِ الوَاحِدِ القَهَّارِ) قال : يجاء بأرض بيضاء كأنها سبيكة فضة ، لم يُسْفك فيها دم ، ولم يُعمل عليها خطيئة ، قال : فأوّل ما يحكم بين الناس فيه فى الدماء .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا معاوية بن هشام ، عن سِنان ، عن جابر الجُعفىّ ، عن أبى جبيرة ، عن زيد ، قال : أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليهود ، فقال : « هَلْ تَدْرُونَ لِمَ أرْسَلْت إلَيْهِمْ ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : فإنى أرْسَلْتُ إلَيْهِمْ أسألُهُمْ عَنْ قَوْلِ اللهِ (يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غيرَ الأَرْضِ) إنَّها تَكُونُ يَوْمَئِذٍ بَيْضَاءَ مِثْلَ الفِضَّةِ ، فلما جاءوا سألهم ، فقالوا : تكون بيضاء مثل النَّقِىّ[1] » .

حدثنا أبو إسماعيل الترمذىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى ابن لَهيعة ، عن يزيد بن أبى حبيب ، عن سنان بن سعد ، عن أنس بن مالك ، أنه تلا هذه الآية (يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غيرَ الأَرْضِ) قال : يبدّلها الله يوم القيامة بأرض من فضة ، لم يُعمل عليها الخطايا ، ينزلها الجبّار تبارك وتعالى .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غيرَ الأَرْضِ) قال : أرض كأنها الفضة ، زاد الحسن فى حديثه عن شبابة ، والسموات كذلك أيضا ، كأنها الفضة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غيرَ الأَرْضِ) قال : أرض كأنها الفضة ، والسموات كذلك أيضا .

حدثنا ابن البرقىّ ، قال : ثنا ابن أبى مَريم ، قال : أخبرنا محمد بن جعفر ، قال : ثنى أبو حازم ، قال سمعت سهل بن سعد يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ القِيامَةِ

(١) فى اللسان : وفى الحديث : « يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء ، كقرصة النقى » قال أبو عبيد : النقى الخبز الحوارى .

على أرْضٍ بَيْضَاءَ عَفْرَاءَ كَقُرْصَةِ النَّقِيِّ » ، قال سهل أو غيره : ليس فيها مَعْلَمٌ لغيره .

وقال آخرون : تبدّل نارا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن فُضَيل ، عن الأعمش ، عن المنهال بن عمرو ، عن قيس بن السَّكَن ، قال : قال عبد الله : الأرض كلها نار يوم القيامة ، والجنة من ورائها ترى ، أكوابها وكواعبها ، والذى نفس عبد الله بيده ، إن الرجل ليفيض عرقا ، حتى يرشَح فى الأرض قدمه ، ثم يرتفع حتى يبلغ أنفه ، وما مسه الحساب ، فقالوا : مم ذاك يا أبا عبد الرحمن ؟ قال : مما يرى الناس ويَلْقَون .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن الأعمش ، عن خيثمة ، قال : قال عبد الله : الأرض كلها يوم القيامة نار ، والجنة من ورائها ، تُرى كواعبها وأكوابها ، ويُلْجِمُ الناسَ العَرَق ، أو يبلغُ منهم العرق ، ولم يبلغوا الحساب .

وقال آخرون : بل تُبدَّل الأرض أرضا من فضة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، قال : سمعت المغيرة بن مالك يحدّث عن المجاشع أو المجاشعىّ ، شكّ أبو موسى ، عمن سمع عليا يقول فى هذه الآية : (يَوْمَ تُبَدَّلُ الأرْضُ غيرَ الأرْضِ) قال : الأرض من فضة ، والجنة من ذهب .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن شعبة ، عن المغيرة بن مالك ، قال : ثنى رجل من بنى مجاشع ، يقال له عبد الكريم ، أو ابن عبد الكريم ، قال : ثنى هذا الرجل أراه بسمرقند ، أنه سمع علىّ بن أبى طالب قرأ هذه الآية (يَوْمَ تُبَدَّلُ الأرْضُ غيرَ الأرْضِ) قال : الأرض من فضة ، والجنة من ذهب .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن شعبة ، عن مغيرة بن مالك ، عن رجل من بنى مجاشع ، يقال له عبد الكريم ، أو يكنى أباعبد الكريم ، قال : أقامنى على رجل بخراسان ، فقال : حدثنى هذا ، أنه سمع علىّ بن أبى طالب ، فذكر نحوه .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (يَوْمَ تُبَدَّلُ الأرْضُ غيرَ الأرْضِ) . . . الآية ، فزعم أنها تكون فضة .

حدثنا محمد بن إسماعيل ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى ابن لَهِيعة ، عن يزيد بن أبى حبيب ، عن سنان بن سعد ، عن أنس بن مالك قال : يبدّلها الله يوم القيامة بأرض من فضة .

وقال آخرون : يبدّلها خُبْزة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو سعد سعيد بن دلّ من صغانيان ، قال : ثنا الجارود بن معاذ الترمذىّ ،

قال : ثنا وكيع بن الجرّاح، عن عمر بن بشر الهَمْدانىّ ، عن سعيد بن جبير ، فى قوله (يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غيرَ الأَرْضِ) قال: تُبدّل خُبزة بيضاء ، يأكل المؤمن من تحت قدميه .

حدثنى المثنى ، قال: ثنا إسحاق ، قال : ثنا وكيع ، عن أبى معشر ، عن محمد بن كعب القُرَظِىّ، أو عن محمد بن قيس (يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غيرَ الأَرْضِ) قال : خُبْزَة يأكل منها المؤمنون من تحت أقدامهم .

وقال آخرون : تبدّل الأرض غير الأرض .

ذكر من قال ذلك

حدثنا علىّ بن سهل ، قال : ثنا حجاج بن محمد ، قال : ثنا أبو جعفر ، عن الربيع بن أنس ، عن كعب فى قوله (يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غيرَ الأَرْضِ والسَّمَوَاتُ) قال: تصير السموات جِنانا، ويصير مكان البحر النار ، قال : وتبدّل الأرض غيرها .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربىّ ، عن إسماعيل بن رافع المدنىّ ، عن يزيد ، عن رجل من الأنصار ، عن محمد بن كعب القُرَظِىّ ، عن رجل من الأنصار ، عن أبى هريرة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يُبَدّلُ اللهُ الأَرْضَ غيرَ الأَرْضِ والسَّمَوَات ، فَيَبْسِطُها ويَسْطَحُها وَيَمُدُّها مَدَّ الأَدِيمِ العُكاظِىّ ، لاتَرَى فِيها عِوَجاً وَلا أَمْتا ، ثُمَّ يَزْجُرُ اللهُ الخَلْقَ زَجْرَةً ، فإذَا هُمْ فِى هذهِ المُبَدَّلَةِ فِى مِثْلِ مَوَاضِعِهِمْ مِنَ الأُولى: ما كانَ فِى بَطْنِها فَفِى بَطْنِها ،وَما كانَ على ظَهْرِها كانَ على ظَهْرِها ، وَذلكَ حِينَ يَطْوِى السموَاتِ كَطَىّ السِّجِلّ لِلْكِتَابِ ، ثُمَّ يَدْحُو بِهِما ، ثُمَّ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غيرَ الأَرْضِ والسَّمَوَاتُ » .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا الحكم بن بشير ، قال : ثنا عمرو بن قيس ، عن أبى إسحاق ، عن عمرو ابن ميمون الأَودى ، قال: يجمع الناس يوم القيامة فى أرض بيضاء ، لم يُعمل فيها خطيئة، مقدار أربعين سنة ، يُلجمهم العرق .

وقالت عائشة فى ذلك : ما حدثنا ابن أبى الشوارب وحميد بن مسعدة وابن بَزِيع ، قالوا : ثنا يزيد بن زريع ، عن داود ، عن عامر ، عن عائشة ، قالت : قلت : يا رسول الله ، إذا بدّلت الأرض غير الأرض ، وبرزوا لله الواحد القهّار ، أين الناس يومئذ ؟ قال : « عَلى الصِّرَاط » .

حدثنا حميد بن مسعدة وابن بزيع ، قال : ثنا بشر بن المفضل ، قال : ثنا داود ، عن عامر ، عن عائشة عن النبىّ صلى الله عليه وسلم : نحوه .

حدثنى إسحاق بن شاهين ، قال : ثنا خالد ، عن داود ، عن عامر ، عن مسروق ، قال : قلت لعائشة : يا أمّ المؤمنين أرأيتِ قول الله: (يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غيرَ الأَرْضِ والسَّمَوَاتُ ، وَبَرَزُوا لِلهِ الوَاحِدِ القَهَّارِ): أين الناس يومئذ ؟ فقالت : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك، فقال: « عَلى الصِّرَاط » .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا الحسن بن عنبسة الورّاق ، قال : ثنا عبد الرحيم ، يعنى ابن سليمان الرازىّ ، عن داود بن أبى هند ، عن عامر ، عن مسروق ، عن عائشة ، قالت : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عن قول الله (يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غيرَ الأَرْضِ) قلت : يا رسول الله ، إذا بُدّلت الأرض غير الأرض ، أين يكون الناس ؟ قال : « عَلَى الصِّرَاط » .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عاصم بن علىّ ، قال : ثنا إسماعيل بن زكريا ، عن داود ، عن عامر ، عن مسروق ، عن عائشة ، بنحوه .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا داود ، عن عامر ، عن عائشة أمّ المؤمنين ، قالت : أنا أوّل الناس سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية ، ثم ذكر نحوه .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا ربْعِىّ بن إبراهيم الأسدى ، أخو إسماعيل بن إبراهيم ، عن داود بن أبى هند ، عن عامر ، قال : قالت عائشة : يا رسول الله ، أرأيت إذا بُدّلت الأرض غير الأرض ، أين الناس يومئذ ؟ قال : « عَلَى الصِّراط » .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا علىّ بن الجَعْد ، قال : أخبرنى القاسم ، قال : سمعت الحسن ، قال : قالت عائشة : يا رسول الله (يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غيرَ الأَرْضِ) ، فأين الناس يومئذ ؟ قال : « إنَّ هذَا الشَّىْءَ ما سألَنِى عَنْهُ أحَد ، قال : عَلَى الصِّرَاطِ يا عائِشَة » .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا عبد الرحمن بن إبراهيم ، قال : ثنى الوليد ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن حسان بن بلال المزنىّ ، عن عائشة أنها سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عن قول الله (يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غيرَ الأَرْضِ والسَّمَوَاتُ) قال : قالت : يا رسول الله ، فأين الناس يومئذ ؟ قال : « لَقَدْ سألَتْنِى عَنْ شَىْءٍ ما سألَنِى عَنْهُ أحَدٌ مِنْ أُمَّتِى ، ذَاكَ إذَا النَّاسُ على جَسرِ[1] جَهَنَّم »

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غيرَ الأَرْضِ والسَّمَوَاتُ) ذُكر لنا أن عائشة قالت : « يا رسول الله ، فأين الناس يومئذ ؟ فقال : لَقَدْ سألْتِ عَنْ شَىْءٍ ما سألَنِى عَنْه أحَدٌ مِنْ أُمَّتِى قَبْلَكِ ، قال : هُمْ يَوْمَئِذٍ على جِسْرِ جَهَنَّمَ » .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، أن عائشة سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكر نحوه ، إلا أنه قال : « عَلَى الصِّرَاط » .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن يحيى بن أبى كثير ، عن أسماء ، عن ثوبان ، قال : سأل حبرٌ من اليهود رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : أين الناس يوم تبدّل الأرض غير الأرض ؟ قال : « هُمْ فِى الظُّلْمَةِ دُونَ الجَسْرِ » .

حدثنى محمد بن عون ، قال : ثنا أبو المغيرة ، قال : ثنا ابن أبى مريم ، قال : ثنا سعيد بن ثَوْبان الكَلاعىّ ، عن أبى أيوب الأنصارىّ ، قال : أتى النبىّ صلى الله عليه وسلم حبرٌ من اليهود ، وقال : أرأيت

(١) فى تاج العروس : الجسر ، بالفتح : الذى يعبر عليه كالقنطرة ونحوها ، ويكسر ، لغتان .

إذ يقول الله فى كتابه (يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غيرَ الأَرْضِ والسَّمَوَاتُ) فأين الخلق عند ذلك ؟ قال : « أَضْيافُ اللهِ ، فَلَنْ يُعْجِزَهُمْ ما لَدَيْه » .

⁂ وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب : قول من قال : معناه : يوم تبدّل الأرض التى نحن عليها اليوم يوم القيامة غيرَها ، وكذلك السموات اليوم تبدّل غيرها ، كما قال جلّ ثناؤه ؛ وجائز أن تكون المبدلة أرضا أخرى من فضة ، وجائز أن تكون نارا ، وجائز أن تكون خُبزا ، وجائز أن تكون غير ذلك ، ولا خبر فى ذلك عندنا ، من الوجه الذى يجب التسليم له ، أىّ ذلك يكون ، فلا قول فى ذلك يصحّ ، إلا ما دلّ عليه ظاهر التنزيل .

وبنحو ما قلنا فى معنى قوله (والسَّمَوَاتُ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غيرَ الأَرْضِ) قال : أرضا كأنها الفضة (والسَّمَوَاتُ) كذلك أيضا .

وقوله (وَبَرَزُوا لِلهِ الوَاحِدِ القَهَّارِ) يقول : وظهروا لله المنفرد بالربوبية ، الذى يقهر كلّ شىء فيغلبه ، ويصرفه لما يشاء ، كيف يشاء ، فيحيى خلقه إذا شاء ، ويميتهم إذا شاء ، لا يغلبه شىء ولا يقهره ، من قبورهم أحياء ، لموقف القيامة .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ (٤٩) سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ، وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ (٥٠) لِيَجْزِىَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ ، إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ (٥١)

⁂ يقول تعالى ذكره : وتعاين الذين كفروا بالله ، فاجترموا فى الدنيا الشرك يومئذ ، يعنى : يوم تُبدّل الأرض غير الأرض والسموات (مُقَرَّنِينَ فِى الأَصْفَادِ) يقول : مقرنةً أيديهم وأرجلهم إلى رقابهم بالأصفاد ، وهى الوَثاق من غُلٍّ وسلسلة ، واحدها : صَفَد ، يقال منه : صَفَدْتُهُ فى الصَّفَد صَفْدا وصِفادا ، والصفاد : القيد ، ومنه قول عمرو بن كلثوم :

فَآبُوا بالنِّهابِ وبالسَّبايا وأُبْنا بالمُلُوكِ مُصَفَّدِينا[1]

ومن جعل الواحد من ذلك صِفادا ، جمعه : صُفُدا لا أصفادا . وأما من العطاء ، فإنه يقال منه : أصفدتُهُ إصفادا ، كما قال الأعشى :

(١) البيت لعمرو بن كلثوم فى معلقته : وآبوا : رجعوا . والنهاب : جمع نهب . والمصفدون : المغللون بالأصفاد ، الواحد : صفد ، وهو الغل . يقول : ظفرنا بهم ، فلم نلتفت إلى أسلابهم ، ولا أموالهم ، وعمدنا إلى ملوكهم ، فصفدناهم فى الحديد . وفى (اللسان : صفد) : الصفاد : حبل يوثق به أو غل . وهو الصفد ، والصفد (بتسكين الفاء وتحريكها) . والجمع : الأصفاد . قال ابن سيده : لانعلمه كسر على غير ذلك . وفى التنزيل « مقرنين فى الأصفاد » . قيل : هى الأغلال . وقيل : القيود . واحدها صفد . وانظر شرح المعلقات السبع للزوزنى ، وشرح القصائد العشر للتبريزى .

تَضَيَّفْتُهُ يَوْما فأكْرَمَ مَجْلِسِي وأصْفَدَنِي عِنْدَ الزَّمانَةِ قائِدَا[1]

وقد قيل فى العطاء أيضا : صَفَدَنى صَفْدا ، كما قال النابغة الذبيانىّ :

هَذَا الثَّناءُ فإنْ تَسْمَعْ لِقائِلِهِ فَمَا عَرَضْتُ أُبَيْتَ اللَّعْنَ بالصَّفَدِ[2]

وبنحو الذى قلنا فى معنى قوله (مُقَرَّنِينَ فِي الأصْفادِ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنى عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (مُقَرَّنِينَ فِي الأصْفادِ) يقول : فى وَثاق .

حدثنى محمد بن عيسى الدامغانى ، قال : ثنا ابن المبارك ، عن جويبر ، عن الضحاك ، قال : الأصفاد : السلاسل .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (مُقَرَّنِينَ فِي الأصْفادِ) قال : مقرّنين فى القيود والأغلال .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا علىّ بن هاشم بن البريد ، قال : سمعت الأعمش ، يقول : الصَّفَد : القيد .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (مُقَرَّنِينَ فِي الأصْفادِ) قال : صُفِدت فيها أيديهم وأرجلهم ورقابهم ، والأصفاد : الأغلال .

وقوله (سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ) يقول : قُمُصهم التى يلبسونها ، واحدها : سِرْبال ، كما قال امرؤ القيس :

لَعُوبٌ تُنَسِّينِي إذَا قُمْتُ سِرْبالِي[3]

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ) قال : السرابيل : القُمُص . وقوله (مِنْ قَطِرَانٍ) : يقول : من القطران الذى يُهْنأ به الإبل ، وفيه لغات

(١) البيت للأعشى (اللسان : صفد ، وديوان الأعشى طبع القاهرة ص ٦٥) من قصيدة يمدح بها هوذة بن على الحنفى ، ويذم الحارث بن وعلة بن مجالد الرقاشى . وتضيفته نزلت عنده ضيفا ، وأصفدنى : أعطانى ، من الصفد بمعنى العطية هنا . يقول : لما زرت هوذة فى «جو» أكرم وفادتى عليه ، وقربنى من مجلسه ، وأعطانى قائدا يقودنى ، لما رأى من آثار الضعف والكلال وسوء البصر . ورواية الديوان : « على » فى موضع « عند » .

(٢) هذا البيت للنابغة الذبيانى (مختار الشعر الجاهلى بشرح مصطفى السقا طبعة الحلبى ص ١٥٥) . والصفد هنا : بمعنى العطاء ، كالذى قبله . وفى الشطر الثانى منه : فلم أعرض ، فى مكان : فما عرضت .

(٣) هذا عجز بيت لامرئ القيس بن حجر ، من لاميته المطولة (٥٤ بيتا) ، وصدره « ومثلك بيضاء العوارض طفلة » . (انظر مختار الشعر الجاهلى ، بشرح مصطفى السقا طبعة الحلبى ص ٣٧) . وهذا البيت ساقط من نسخة الديوان بشرح الوزير أبى بكر عاصم ابن أيوب البطليوسى ، وثابت فى نسخة الأعلم الشنتمرى ، وفيما نقله البغدادى فى خزانة الأدب الكبرى من أبيات القصيدة (ج ١ : ١٩٧) أورده بعد قول امرئ القيس : « وأمنع عرسى أن يزن بها الخالى » . والواو فى البيت : واو رب . والخطاب لبسباسة . والعارض والعارضة : صفحة الخد ، وصفحة العنق ، وجانب الوجه ، وما يستقبلك من الشىء ، ومن الوجه ما يبدو عند الضحك . والطفلة (بالفتح) : الناعمة البدن . واللعوب : الحسنة الدل . والسربال : القميص . يريد : تذهب بفؤادى ، حتى أنسى قميصى . والشاهد فيه عند الطبرى : أن السربال : هو القميص عند العرب .

ثلاث : يقال : قَطِران، وقَطْران، بفتح القاف، وتسكين الطاء منه . وقيل : إن عيسى بن عمر كان يقرأ (مِنْ قِطْرَانٍ) بكسر القاف ، وتسكين الطاء ؛ ومنه قول أبى النجم :

جَوْنٌ كأنَّ العَرَقَ المَنْتُوحَا لَبَّسَهُ القِطْرَانَ والمُسُوحَا[1]

بكسر القاف ، وقال أيضا :

كأنَّ قِطْرَانا إذَا تَلاهَا تَرْمِى بِهِ الرِّيحُ إلى مَجْرَاهَا[2]

بالكسر .

وبنحو ما قلناه فى ذلك يقول من قرأ ذلك كذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عبد الوهاب ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن (مِنْ قَطِرانٍ) يعنى : الخَضْخَاض ، هناء الإبل .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الحسن (مِنْ قَطِرَانٍ) قال : قطران الإبل .

وقال بعضهم : القَطِران : النُّحاس .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قال : قَطِران : نحاس ، قال ابن جريج : قال ابن عباس (مِنْ قَطِرَانٍ) : نحاس .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبوسفيان، عن معمر ، عن قتادة (مِنْ قَطِرَانٍ) قال : هى نحاس ، وبهذه القراءة : أعنى بفتح القاف وكسر الطاء ، وتصيير ذلك كله كلمة واحدة ، قرأ ذلك جميع قرّاء الأمصار ، وبها نقرأ ، لإجماع الحجة من القرّاء عليه .

وقد رُوى عن بعض المتقدمين أنه كان يقرأ ذلك (مِنْ قَطْرٍآنٍ) بفتح القاف، وتسكين الطاء، وتنوين الراء، وتصيير « آن » من نعته ، وتوجيه معنى القَطْر ، إلى أنه النحاس ، ومعنى « الآن » ، إلى أنه الذى قد انتهى حرّه فى الشدّة .

وممن كان يقرأ ذلك كذلك ، فيما ذُكر لنا، عكرمة مولى ابن عباس، حدثنى بذلك أحمد بن يوسف، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا حُصَين عنه .

---

(١) البيت فى (لسان العرب : نتح) قال : النتح : خروج العرق من الجلد ، والدسم من النحى ، والندى من الثرى . نتح ينتح نتحا ونتوحا . وقال الجوهرى : النتح : الرشح . ومناتح العرق : مخارجه من الجلد . وأنشد : جون . . . الخ . والقطران (بالفتح وبالكسر وكظربان) : عصارة الأرز ، وهو الصنوبر ، يطبخ ،ثم تهنأ به الإبل ، وإنما جعلت سرابيلهم منه ، لأنه يبالغ فى اشتعال النار فى الجلود (عن تاج العروس) . والمسوح : جمع مسح ، بكسر الميم ، وهو الكساء من الشعر ، جمعه : أمساح ، ومسوح .

(٢) هذا الشاهد كالذى قبله ، على أن القطران ، بكسر القاف .

ذكر من تأوّل ذلك على هذه القراءة ، التأويل الذى ذكرت فيه

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد ، فى قوله (سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرٍ آنٍ) قال : قَطِرْ ، والآن : الذى قد انتهى حرّه .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا داود بن مهران ، عن يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد بن جبير نحوه .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا هشام ، قال : ثنا يعقوب القُمّى ، عن جعفر ، عن سعيد ، بنحوه .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرحمن بن أبى حماد ، قال : ثنا يعقوب القُمّىّ ، عن جعفر ، عن سعيد بن جبير : أنه كان يقرأ (سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطْرٍ آنٍ) .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عفان ، قال : ثنا المبارك بن فضالة ، قال : سمعت الحسن يقول : كانت العرب تقول للشىء إذا انتهى حرّه : قد أنى حرّ هذا : قد أوقدت عليه جهنم منذ خلقت ، فأنى حرّها .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرحمن بن سعيد ، قال : ثنا أبو جعفر ، عن الربيع ابن أنس فى قوله (سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرٍ آنٍ) قال : القَطِر : النُّحاس ، والآن : يقول : قد أنى حَرّه ، وذلك أنه يقول : حميمٌ آنٍ .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عفان بن مسلم ، قال : ثنا ثابت بن يزيد ، قال : ثنا هلال بن خباب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، فى هذه الآية (سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرٍ آنٍ) قال : من نحاس ، قال : آنٍ : أنى لهم أن يعذّبوا به .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن حصين ، عن عكرمة ، فى قوله (مِنْ قَطِرٍ آنٍ) قال : الآنى : الذى قد انتهى حرّه .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (مِنْ قَطِرٍ آنٍ) قال : هو النحاس المذاب .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عبد الوهاب بن عطاء ، عن سعيد ، عن قتادة (مِنْ قَطِرٍ آنٍ) يعنى : الصُّفْر المذاب .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن قتادة (سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرٍ آنٍ) قال : من نحاس .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا هشام ، قال : ثنا أبو حفص ، عن هارون ، عن قتادة أنه كان يقرأ (مِنْ قَطِرٍ آنٍ) قال : من صُفْرٍ قد انتهى حرّه .

وكان الحسن يقرؤها : (مِنْ قَطْرٍ آنٍ) .

وقوله (وتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ) يقول : وتلفحُ وجوههم النار ، فتحرقها (لِيَجْزِيَ اللهُ كُلَّ نَفْسٍ ما كَسَبَتْ) يقول : فعل الله ذلك بهم ، جزاء لهم بما كسبوا من الآثام فى الدنيا ، كما يثيب

كلّ نفس بما كسبت، من خير وشرّ، فيجزى المحسن بإحسانه، والمسىء بإساءته. (إنّ اللهَ سَرِيعُ الحِسابِ) يقول: إن الله عالم بعمل كلّ عامل، فلا يحتاج فى إحصاء أعمالهم إلى عَقْد كفّ ولا معاناة، وهو سريع حسابه لأعمالهم، قد أحاط بها علما، لا يعزُب عنه منها شىء، وهو مجازيهم على جميع ذلك: صغيره وكبيره.

القول فى تأويل قوله تعالى

هٰذَا بَلٰغٌ لِّلنَّاسِ، وَلِيُنْذَرُوا بِهِ، وَلِيَعْلَمُوٓا أَنَّمَا هُوَ إِلٰهٌ وَٰحِدٌ، وَلِيَذَّكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَٰبِ (٥٣).

⁂ يقول تعالى ذكره: هذا القرآن بلاغ للناس، أبلغ الله به إليهم، فى الحجة عليهم، وأعذر إليهم، بما أنزل فيه من مواعظه وعبره (وَلِيُنْذَرُوا بِهِ): يقول: ولينذَروا عقاب الله، ويحذَروا به نَقِماته، أنزله إلى نبيه صلى الله عليه وسلم. (وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلٰهٌ وَاحِدٌ) يقول: وليعلموا بما احتجّ به عليهم من الحجج فيه، أنما هو إله واحد، لا آلهة شتّى، كما يقوله المشركون بالله، وأن لا إله إلا هو، الذى له ما فى السموات وما فى الأرض، الذى سخر لهم الشمس والقمر، والليل والنهار، وأنزل من السماء ماء، فأخرج به من الثمرات رزقا لهم، وسخر لهم الفُلك لتجرىَ فى البحر بأمره، وسخر لهم الأنهار. (وَلِيَذَّكَّرَ أُولُوا الأَلْبابِ) يقول: وليتذكر فيتعظ بما احتجّ الله به عليه، من حججه التى فى هذا القرآن، فينزجر عن أن يجعل معه إلٰها غيره، ويُشْرِك فى عبادته شيئا سواه أهلُ الحجى والعقول، فإنهم أهلُ الإعتبار والادّكار، دون الذين لا عقول لهم ولا أفهام، فإنهم كالأنعام، بل هم أضلّ سبيلا.

وبنحو الذى قلنا فى ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، فى قوله (هَذَا بَلاغٌ لِلنَّاسِ): قال: القرآن. (وَلِيُنْذَرُوا بِهِ): قال: بالقرآن. (وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلٰهٌ واحِدٌ، وَلِيَذَّكَّرَ أُولُوا الأَلْبابِ).

آخر تفسير سورة إبراهيم، صلى الله عليه وآله وسلم، والحمد لله ربّ العالمين.

تمّ الجزء الثالث عشر من تفسير الإمام محمد بن جرير الطبرىّ

ويليه الجزءُ الرابعَ عَشَر

وأوله: القول فى تأويل قوله تعالى (الر. تلكَ آياتُ الكِتابِ وَقُرآنٍ مُبِينٍ)

جامع البيان

عن

تأويل آي القرآن

« كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد » .
قرآن كريم

« ما أعلم على أديم الأرض أعلم من ابن جرير » .
محمد بن إسحاق بن خزيمة

تأليف

أبي جعفر محمد بن جرير الطبري
المتوفى سنة ٣١٠ هـ

الجزء الرابع عشر

الطبعة الثانية

١٣٧٣ هـ = ١٩٥٤ م

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر

فهارس الجزء الرابع عشر

من

جامع البيان ، عن تأويل آى القرآن

لأبى جعفر محمد بن جرير الطبرى

الفهرس الأول : للآيات المفسرة .

الفهرس الثانى : للموضوعات .

الفهرس الثالث : للقوافى .

١ – فهرس الآيات

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
	سورة الحجر	
١	الرّ ، تلك آيات الكتاب . . .	١
٢	رُبَما يودّ الذين كفروا . . .	١
٣	ذَرْهم يأكلوا ويتمتّعوا . . .	٥
٤	وما أهلكنا من قرية . . .	٥
٥	ما تَسبِق من أمة أجلها . . .	٦
٦	وقالوا يأيها الذى نُزّل عليه الذكر . . .	٦
٧	لوما تأتينا بالملائكة . . .	٦
٨	ما ننزل الملائكة إلا بالحقّ . . .	٦
٩	إنا نحن نزّلنا الذكر . . .	٧
١٠	ولقد أرسلنا من قبلك . . .	٨
١١	وما يأتيهم من رسول . . .	٨
١٢	كذلك نَسْلُكه فى قلوب المجرمين . . .	٩
١٣	لايؤمنون به وقد خلت سنة الأوّلين . . .	٩
١٤	ولو فتحنا عليهم بابا من السماء . . .	١٠
١٥	لقالوا إنما سُكِّرَت أبْصَارُنا . . .	١٠
١٦	ولقد جعلنا فى السماء بروجا . . .	١٣
١٧	وحفظناها من كلّ شيطان رجيم . . .	١٤
١٨	إلا من استرق السمع . . .	١٤
١٩	والأرض مددناها وألقينا فيها رواسىَ . . .	١٥
٢٠	وجعلنا لكم فيها معايش . .	١٧
٢١	وإن من شىء إلا عندنا خزائنه . . .	١٨
٢٢	وأرسلنا الرياحَ لواقح . . .	١٩

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٢٣	وإنا لنحن نحيي ونميت . . .	٢٣
٢٤	ولقد علِمنا المستقدمين منكم . . .	٢٣
٢٥	وإن ربك هو يَحْشُرهم . . .	٢٣
٢٦	ولقد خلقنا الإنسان . . .	٢٧
٢٧	والجانّ خلقناه من قبل . . .	٣٠
٢٨	وإذ قال ربك للملائكة . . .	٣١
٢٩	فإذا سوّيته ونفخت فيه . . .	٣١
٣٠	فسجد الملائكة كلهم أجمعون . . .	٣١
٣١	إلا إبليس أبى . . .	٣١
٣٢	قال يا إبليس مالك . . .	٣١
٣٣	قال لم أكن أسجدُ لبشر . . .	٣٢
٣٤	قال فاخرجْ منها فإنك رجيم . . .	٣٢
٣٥	وإنّ عليك اللعنةَ إلى يوم الدين . . .	٣٢
٣٦	قال ربّ فأنظرنى إلى يوم يبعثون . . .	٣٢
٣٧	قال فإنك من المنظَرين . . .	٣٢
٣٨	إلى يوم الوقت المعلوم . . .	٣٢
٣٩	قال رب بما أغويتنى . . .	٣٢
٤٠	إلا عبادَك منهم المخلصين . . .	٣٢
٤١	قال هذا صراط علىّ مستقيم . . .	٣٣
٤٢	إن عبادى ليس لك عليهم سلطان . . .	٣٣
٤٣	وإن جهنم لموعدهم أجمعين . .	٣٥
٤٤	لها سبعة أبواب . . .	٣٥
٤٥	إنّ المتقين فى جنّات وعيون . . .	٣٦

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٤٦	أدخلوها بسلام آمنين . . .	٣٦
٤٧	ونزعنا ما فى صدورهم من غِلّ . . .	٣٦
٤٨	لايمسُّهم فيها نَصَب . . .	٣٨
٤٩	نبئ عبادى أنى أنا الغفور الرحيم . . .	٣٨
٥٠	وأنّ عذابى هو العذاب الأليم . . .	٣٨
٥١	ونبئهم عن ضيف إبراهيم . . .	٣٩
٥٢	إذ دخلوا عليه فقالوا . . .	٣٩
٥٣	قالوا لاتَوْجَل إنا نبشرك بغلام . . .	٣٩
٥٤	قال أبشَّرتمونى على أن مسنى . . .	٣٩
٥٥	قالوا بشرناك بالحقّ . . .	٤٠
٥٦	قال ومن يقْنَط من رحمة ربه . . .	٤٠
٥٧	قال فما خَطْبُكم أيها المرسلون . . .	٤١
٥٨	قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين . . .	٤١
٥٩	إلا آل لوط إنا لمنجُّوهم أجمعين . . .	٤١
٦٠	إلا امرأته قدرنا إنها لمن الغابرين . . .	٤١
٦١	فلما جاء آلَ لوط المرسلون . . .	٤١
٦٢	قال إنكم قوم منكرون . . .	٤١
٦٣	قالوا بل جئناك بما كانوا . . .	٤١
٦٤	وأتيناك بالحقّ وإنا لصادقون . . .	٤١
٦٥	فأسْرِ بأهلك بقِطْع من الليل . . .	٤١
٦٦	وقضينا إليه ذلك الأمر . . .	٤٢
٦٧	وجاء أهل المدينة يستبشرون . . .	٤٢
٦٨	قال إنّ هؤلاء ضيفى فلا تفضَحون . . .	٤٣
٦٩	واتقوا الله ولا تُخزون . . .	٤٣
٧٠	قالوا أو لم نَنْهَك عن العالمين . . .	٤٣
٧١	قال هؤلاء بناتى إن كنتم فاعلين . . .	٤٣
٧٢	لعمرُكَ إنهم لفى سَكْرتهم يَعْمَهُون . . .	٤٣

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٧٣	فأخذتهم الصيحة مُشْرِقين . . .	٤٣
٧٤	فجعلنا عالَيها سافلَها . . .	٤٥
٧٥	إن فى ذلك لآيات للمتوسّمين . . .	٤٥
٧٦	وإنها لبسبيل مُقيم . . .	٤٧
٧٧	إن فى ذلك لآيةً للمؤمنين . . .	٤٧
٧٨	وإن كان أصحاب الأَيْكة لظالمين . . .	٤٨
٧٩	فانتقمنا منهم وإنهما لبإمام مُبين . . .	٤٨
٨٠	ولقد كذّب أصحابُ الحِجْر المرسَلين . . .	٤٩
٨١	وآتيناهم آياتنا فكانوا عنها معرضين . . .	٤٩
٨٢	وكانوا يَنحِتُون من الجبال بيوتا . . .	٥٠
٨٣	فأخذتهُمُ الصيحةُ مُصْبِحين . . .	٥٠
٨٤	فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون . . .	٥٠
٨٥	وما خلقنا السموات والأرضَ . . .	٥٠
٨٦	إن ربك هو الخلاقُ العليم . . .	٥٠
٨٧	ولقد آتيناك سبعا من المثانى . . .	٥١
٨٨	لاتمدَّنّ عينيك إلى ما متَّعنا به . . .	٦٠
٨٩	وقل إنى أنا النذير المبين . . .	٦١
٩٠	كما أنزلنا على المقتسمين . . .	٦١
٩١	الذين جعلوا القرآن عِضِين . . .	٦١
٩٢	فوربك لنسئلنهم أجمعين . . .	٦٦
٩٣	عما كانوا يعملون . . .	٦٦
٩٤	فاصدَعْ بما تؤمر . . .	٦٦
٩٥	إنا كفيناك المستهزئين . . .	٦٩
٩٦	الذين يجعلون مع الله إلها آخر . . .	٦٩
٩٧	ولقد نعلم أنك يضيق صدرُك . . .	٧٣
٩٨	فسبِّحْ بحمد ربك . . .	٧٣
٩٩	واعبدْ ربك حتى يأتيك اليقين . . .	٧٣

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
	سورة النحل	
١	أتى أمر الله فلا تستعجلوه . . .	٧٥
٢	ينزل الملائكة بالروح من أمره . . .	٧٦
٣	خلق السموات والأرض بالحقّ . . .	٧٨
٤	خلق الإنسان من نُطْفة . . .	٧٨
٥	والأنعام خلقها لكم . . .	٧٨
٦	ولكم فيها جمالٌ حين تُرِيحون . . .	٧٩
٧	وتحملُ أثقالكم إلى بلَدٍ . . .	٧٩
٨	والخيلَ والبغالَ والحميرَ لتركبوها . . .	٨١
٩	وعلى الله قَصْدُ السَّبيل . . .	٨٣
١٠	هو الذى أنزل من السماء ماء . . .	٨٥
١١	ينبت لكم به الزرعَ والزيتون . . .	٨٧
١٢	وسخَّر لكم الليل والنهار . . .	٨٧
١٣	وما ذرَأ لكم فى الأرض . . .	٨٧
١٤	وهو الذى سَخَّر البحر . . .	٨٨
١٥	وألقى فى الأرض رواسىَ . . .	٨٩
١٦	وعلامات وبالنجم هم يَهتدون . . .	٩١
١٧	أفمن يخلُق كمن لايخلُق . . .	٩٢
١٨	وإن تعدّوا نعمة الله لا تُحْصُوها . . .	٩٢
١٩	والله يعلم ما تُسرّون وما تعلنون . . .	٩٣
٢٠	والذين تدعون من دون الله . . .	٩٣
٢١	أمواتٌ غير أحياء . . .	٩٣
٢٢	وإلهكم إله واحد . . .	٩٤
٢٣	لاجَرَمَ أنّ الله يعلم . . .	٩٤
٢٤	وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكُم . . .	٩٤
٢٥	ليحملوا أوزارهم كاملة . . .	٩٥
٢٦	قد مكر الذين من قبلهم . . .	٩٦
٢٧	ثم يوم القيامة يُخْزِيهم . . .	٩٨
٢٨	الذين تتوفّاهم الملائكة ظالمى . . .	٩٩
٢٩	فادخلوا أبواب جهنم خالدين . . .	٩٩
٣٠	وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم . . .	٩٩
٣١	جنّات عدن يدخلونها . . .	١٠٠
٣٢	الذين تتوفاهم الملائكة طيبين . . .	١٠١
٣٣	هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة . . .	١٠٢
٣٤	فأصابهم سيئات ما عملوا . . .	١٠٢
٣٥	وقال الذين أشركوا لوشاء الله . . .	١٠٢
٣٦	ولقد بعثنا فى كلّ أمة رسولا . . .	١٠٣
٣٧	إن تحرِص على هُداهم . . .	١٠٣
٣٨	وأقسموا بالله جَهْدَ أيمانهم . . .	١٠٤
٣٩	ليبينَ لهمُ الذى يختلفون فيه . . .	١٠٥
٤٠	إنما قولنا لشىء إذا أردناه . . .	١٠٦
٤١	والذين هاجروا فى الله . . .	١٠٦
٤٢	الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون . . .	١٠٨
٤٣	وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا . . .	١٠٨
٤٤	بالبيِّنات والزُّبُر . . .	١٠٩
٤٥	أفأمن الذين مكروا السَّيِّئات . . .	١١١
٤٦	أو يأخذَهم فى تقلّبهم . . .	١١٢
٤٧	أو يأخذهم على تَخَوّف . . .	١١٢
٤٨	أولم يروا إلى ما خلق الله . . .	١١٤
٤٩	ولله يسجد ما فى السموات . . .	١١٧
٥٠	يخافون ربهم من فوقهم . . .	١١٧
٥١	وقال الله لاتتخذوا إلهين اثنين . . .	١١٨
٥٢	وله ما فى السموات والأرض . . .	١١٨
٥٣	وما بكم من نعمة فمن الله . . .	١٢٠
٥٤	ثم إذا كشف الضُّرّ عنكم . . .	١٢١

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٥٥	ليكفروا بما آتيناهم . . .	١٢١
٥٦	ويجعلون لما لايعلمون نصيبا . . .	١٢٢
٥٧	ويجعلون لله البناتِ سبحانه . . .	١٢٣
٥٨	وإذا بُشِّر أحدهم بالأنثى . . .	١٢٣
٥٩	يتوارَى من القوم من سوء . . .	١٢٤
٦٠	للذين لايؤمنون بالآخرة . . .	١٢٥
٦١	ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم . . .	١٢٥
٦٢	ويجعلون لله ما يكرهون . . .	١٢٦
٦٣	تالله لقد أرسلنا إلى أمم من قبلك . . .	١٢٩
٦٤	وما أنزلنا عليك الكتاب . . .	١٣٠
٦٥	والله أنزل من السماء ماء . . .	١٣٠
٦٦	وإن لكم فى الأنعام لَعِبرة . . .	١٣٠
٦٧	ومن ثمرات النخيل والأعناب . . .	١٣٣
٦٨	وأوحى ربك إلى النحل . . .	١٣٩
٦٩	ثم كُلِى من كلّ الثمرات . . .	١٣٩
٧٠	والله خلقكم ثم يتوفّاكم . . .	١٤١
٧١	والله فضّل بعضكم على بعض . . .	١٤٢
٧٢	والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا . . .	١٤٣
٧٣	ويعبدون من دون الله . . .	١٤٧
٧٤	فلا تضربوا لله الأمثال . . .	١٤٧
٧٥	ضرب الله مثلا عبدا مملوكا . . .	١٤٨
٧٦	وضرب الله مثلا رجلين . . .	١٤٩
٧٧	ولله غيب السموات والأرض . . .	١٥١
٧٨	والله أخرجكم من بطون أمهاتكم . . .	١٥٢
٧٩	ألم يروا إلى الطير مُسَخَّرات . . .	١٥٢
٨٠	والله جعل لكم من بيوتكم سكنا . . .	١٥٣
٨١	والله جعل لكم مما خلق ظلالا . . .	١٥٥
٨٢	فإن تَوَلَّوا فإنما عليك البلاغ المبين . . .	١٥٧
٨٣	يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها . . .	١٥٧
٨٤	ويوم نبعث من كلّ أمة شهيدا . . .	١٥٨
٨٥	وإذا رأى الذين ظلموا العذاب . . .	١٥٩
٨٦	وإذا رأى الذين أشركوا . . .	١٥٩
٨٧	وألقَوْا إلى الله يومئذ السَّلَم . . .	١٥٩
٨٨	الذين كفروا وصدّوا عن سبيل الله . . .	١٦٠
٨٩	ويوم نبعث فى كل أمة شهيدا . . .	١٦١
٩٠	إن الله يأمر بالعدل والإحسان . . .	١٦٢
٩١	وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم . . .	١٦٣
٩٢	ولا تكونوا كالتى نقضَت غزلها . . .	١٦٥
٩٣	ولوشاء الله لجعلكم أمة واحدة . . .	١٦٨
٩٤	ولاتتخذوا أيمانكم دَخَلا بينكم . . .	١٦٨
٩٥	ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا . . .	١٦٩
٩٦	ماعندكم يَنفَدُ وماعند الله باق . . .	١٦٩
٩٧	من عمل صالحا من ذكر أوأنثى . . .	١٧٠
٩٨	فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله . . .	١٧٣
٩٩	إنه ليس له سلطان . . .	١٧٣
١٠٠	إنما سلطانه على الذين يتولونه . . .	١٧٣
١٠١	وإذا بدّلنا آية مكان آية . . .	١٧٦
١٠٢	قل نزّله روح القُدُس من ربك . . .	١٧٦
١٠٣	ولقد نعلم أنهم يقولون . . .	١٧٧
١٠٤	إن الذين لايؤمنون بآيات الله . . .	١٨٠
١٠٥	إنما يفترى الكذب . . .	١٨٠
١٠٦	من كفَر بالله من بعد إيمانه . . .	١٨٠
١٠٧	ذلك بأنهم استحبُّوا الحياة الدنيا . . .	١٨٢
١٠٨	أولئك الذين طَبَع الله على قلوبهم . . .	١٨٢
١٠٩	لاجَرَم أنهم فى الآخرة . . .	١٨٢
١١٠	ثم إن ربك للذين هاجروا . . .	١٨٣

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
١١١	يوم تأتى كل نفس تجادل . . .	١٨٥
١١٢	وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة . . .	١٨٥
١١٣	ولقد جاءهم رسول منهم . . .	١٨٧
١١٤	فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا . . .	١٨٧
١١٥	إنما حرّم عليكم الميتةَ والدم . . .	١٨٨
١١٦	ولا تقولوا لما تصفُ ألسنتكم . . .	١٨٨
١١٧	متاع قليل ولهم عذاب أليم . . .	١٨٨
١١٨	وعلى الذين هادوا حرّمنا . . .	١٨٩
١١٩	ثم إن ربك للذين عملوا السوء . . .	١٩٠
١٢٠	إن إبراهيم كان أمةً قانتا لله . . .	١٩٠
١٢١	شاكرا لأنعمه اجتباه . . .	١٩٠
١٢٢	وآتيناه فى الدنيا حسنة . . .	١٩٢
١٢٣	ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة . . .	١٩٣
١٢٤	إنما جُعِل السبت على الذين . . .	١٩٣
١٢٥	ادْعُ إلى سبيل ربك بالحكمة . . .	١٩٤
١٢٦	وإن عاقبتم فعاقبوا . . .	١٩٥
١٢٧	واصبرْ وما صبرك إلا بالله . . .	١٩٧
١٢٨	إن الله مع الذين اتّقوا . . .	١٩٨

٢ – فهرس الموضوعات

الصفحة

١ تفسير سورة الحجر

٢ تعيير الكفار لمن يدخل النار من المسلمين .

٧ تأويل قوله « إنا نحن نزّلنا الذكر » . . . الآية وبيان المحفوظ أهو النبىّ أم القرآن .

١٠ الآيات مهما بلغت فى الظهور لاتنفع عند إقفال الله القلوب .

١٤ تأويل قوله « ولقد جعلنا فى السماء بروجا » .

١٤ انقطاع الشياطين عن استراق السمع .

١٩ بيان أنه ليس عام أمطرُ من عام .

٢٣ تأويل قوله « ولقد علمنا المستقدمين » ... الآية

٢٧ كيفية خلق آدم .

٣٠ كيفية خلق الجانّ .

٣٦ تأويل قوله « إنّ المتّقين فى جنات وعيون » . . . الآية .

٣٩ دخول الملائكة على إبراهيم وبشارتهم له .

٤٧ مدينة سدوم كانت باقية يراها المجتاز بها .

٤٨ أصحاب الأيكة وما تمّ لهم .

٤٩ أصحاب الحِجْر هم ثمود .

٥٠ تأويل قوله « وما خلقنا السموات والأرض » . . . الآية .

٥١ الخلاف فى معنى السبع المَثَانى .

٦٠ ما نهى عنه النبىّ من التطلع لزينة الدنيا .

٦٣ الصواب فى المراد بالمقتسمين .

٦٩ المستهزئون بالنبىّ ، وكيف فعل بهم .

الصفحة

٧٥ تفسير سورة النحل

٧٧ بيان أن الملك لاينزل إلا ومعه روح .

٧٩ فوائد الأنعام .

٨٢ الدليل على تحريم لحم الخيل والبغال والحمير .

٨٨ الدليل على أن الحلىّ لاصدقة فيه .

٩٦ قصة نمرود .

١٠٤ تأويل قوله « وأقسموا بالله جهد أيمانهم » . . . الآية ، وبيان من أقسم .

١١٨ تأويل قوله « وله ما فى السموات والأرض » . . . الآية ، ومعنى الواصب .

١٢٣ ما كان يعتقده المشركون من أن الملائكة بناتُ الله مع كراهتهم للبنات .

١٢٦ تأويل قوله « ويجعلون لله مايكرهون » .

١٢٨ الشواهد على معنى الإفراط .

١٣١ تأويل قوله « وإن لكم فى الأنعام » ، والشواهد على ما فيها من المباحث اللغوية .

١٣٣ تأويل قوله « ومن ثمرات النخيل » . . . وبيان أنها نزلت قبل تحريم الخمر .

١٣٩ ما فى العسل والنحل من الآيات والعِبَر .

١٤٢ تأويل قوله « والله فضّل بعضكم » . . . الآية وبيان ما ردّ به على النصارى .

١٤٣ معنى البنين والحَفَدة .

١٥٢ تأويل قوله « ألم يروا إلى الطير » ، والشواهد على معنى الجَوّ .

الصفحة

١٥٣ يخاطب الله العرب بحسب ما تعرف .

١٦٤ تأويل قوله « وأوفوا بعهد الله » .

١٦٥ الصواب فى المراد منه .

١٦٥ خبر الحمْقاء التى كانت بمكة ، وضرب الله بفعلها المثل .

١٧٠ تأويل قوله « من عمل صالحا » . . . الآية ، وبيان الحياة الطيبة الموعود بها :

١٧٤ من استعاذ من الشيطان سَلِم من شرّه .

الصفحة

١٧٧ من كان يتردّد على النبىّ صلى الله عليه وسلم من العجم ، وادّعى المشركون أنه يعلم النبىّ .

١٨١ مافعله المشركون بعمار بن ياسر ، وفعله معهم .

١٨٣ ما حصل بين المشركين ، وبين من أراد الهجرة من المؤمنين .

١٨٥ تأويل قوله « وضرب الله مثلا قرية » . . . وبيان أن القرية مكة أو المدينة .

١٩١ ما ورد فى فضل مُعاذ بن جبل .

١٩٣ خلاف اليهود والنصارى فى أفضل الأيام .

٣ – فهرس القوافى

القافية	الصفحة
ا	
بالمُعَضَّى	٦٥
ب	
واصِبُ	١١٨
وأخاطبُهْ	٢٢
وملاعِبُهْ	٢٢
الكَواكِبِ	٢١
عَصِيبِ	٩
مَطْلُوبِ	١٥٢
ودُءُوبِ	٨١
واصِبًا	١١٨
المُتَعَيَّبا	١١٠
ث	
الأثاثِ	١٥٤
ح	
وفَسَحْ	١٩٨
الجَوانِحْ	٤٨
سارِحُ	٨٠
الطَّوائِحُ	٢١
الواضِحِ	١٣٢

القافية	الصفحة
د	
والكَتَدْ	١٣١
وبَرَدْ	١٣١
عَضُدُ	١١٠
حَفَدُوا	١٤٧
القاصِدِ	٨٣
المُلْحِدِ	١٧٩
لِوُرَّادِ	١٢٨
سَوَادِى	١٣٢
الشُّرَّدَا	٩
ر	
يَسْكُرُ	١٣
القُبُّرُ	١٣
تَظْهَرُ	١٣
تَسْكَرُ	١٣
تَسْكُرُ	١٣٨
الصَّفَرُ	١١٩
حافِرُه	١٢٤
المِهارُ	٢
جُحْرِ	١١٦
للصَّبْرِ	١٢٠

القافية	الصفحة
العَشْرِ	١٦٧
بالنَّارِ	١١٠
عَوَرِى	٦
فَغَيَّرَا	٦٥
سُكْرَا	١٣٨
صَوْرَا	٩٠
بَوْرَا	٩٠
وصَارَا	١٢١
جُؤَارَا	١٢١
س	
الجَوَامِيس	١١٧
ع	
ويَصْدَعُ	٦٧
ف	
مُساعِفُ	١٣٣
ق	
التَّوَّاقْ	١٩
المَساقُ	٨٥
المُخْرَقِ	١٨

القافية	الصفحة
شِقَّا	٨١
ل	
صَلِيلُ	١١٣
حواصِلُهْ	١٣٢
هِلالِ	١٣١
الأجْمالِ	٨٧
الأجْمالِ	١٤٤ ، ١٤٦
م	
فَيُعْجِمُهْ	١٠٦
الضَّراغِمِ	١١٧
بأَنْعُمِ	١٨٦
سُلَّمِ	١١
نادِمَا	٦٩
زَمْزَمَهْ	٦٥
ن	
السَّفَنُ	١١٣
يَلِينِي	١٥٧
المُتَوانِي	١٣٣
النَّعْلانِ	١٦٩
تَحِينَا	١٨٠
وتَنْتِجُونَهْ	١٣٢

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة الحجر

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى تأويل قوله تعالى

الٓر تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ وَقُرۡءَانٖ مُّبِينٖ (١)

⁂ أما قوله جلّ ثناؤه ، وتقدّست أسماؤه (الرٓ) ، فقد تقدم بيانها فيما مضى قبل . وأما قوله (تِلْكَ آياتُ الكِتابِ) فإنه يعنى : هذه الآيات ، آيات الكُتب التى كانت قبل القرآن ، كالتوراة والإنجيل . (وقُرآنٍ) يقول : وآيات قرآن (مُبِينٍ) يقول : يُبِين من تأمله وتدبّره رشدَه وهداه .

كما حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَقُرآنٍ مُبِينٍ) قال : تُبِين والله هداه ورشده وخيره .

حدثنا المثنى ، قال : ثنا أبو نعيم ، قال : ثنا سفيان ، عن مجاهد (الرٓ) فواتح يفتتح بها كلامه (تِلكَ آياتُ الكِتابِ) قال : التوراة والإنجيل .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا هشام ، عن عمرو ، عن سعيد ، عن قتادة ، فى قوله (الرٓ تلكَ آياتُ الكِتابِ) قال : الكتُب التى كانت قبل القرآن .

القول فى تأويل قوله تعالى

رُبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ (٢)

اختلفت القراء فى قراءة قوله (رُبَمَا) فقرأت ذلك عامة قرّاء أهل المدينة وبعض الكوفيين (رُبَمَا) بتخفيف الباء ، وقرأته عامة قرّاء الكوفة و البصرة بتشديدها .

⁂ والصواب من القول فى ذلك عندنا : أن يقال : إنهما قراءتان مشهورتان ، ولغتان معروفتان ، بمعنى واحد ، قد قرأ بكلّ واحدة منهما أئمة من القرّاء ، فبأيتهما قرأ القارئ فهو مصيب .

واختلف أهل العربية فى معنى « ما » التى مع « رُبَّ » ، فقال بعض نحويى البصرة : أدخل مع ربّ « ما » ليتكلم بالفعل بعدها ، وإن شئت جعلت « ما » بمنزلة شىء ، فكأنك قلت : ربّ شىء يودّ : أى ربّ ودّ يودّه الذين كفروا . وقد أنكر ذلك مِن قوله بعض نحوِيِّى الكوفة . وقال : المصدر لايحتاج إلى عائد ، والودّ قد وقع على «لو» ، ربما يودون لو كانوا : أن يكونوا ، قال : وإذا أضمر الهاء فى «لو» فليس بمفعول ، وهو موضع المفعول ، ولا ينبغى أن يترجم المصدر بشىء ، وقد ترجمه بشىء ، ثم جعله ودّا ، ثم أعاد عليه عائدا . فكان الكسائى والفرّاء يقولان : لاتكاد العرب توقع « ربّ » على مستقبل ، وإنما يوقعونها على الماضى من الفعل ، كقولهم : ربما فعلت كذا ، وربما جاءنى أخوك ، قالا : وجاء فى القرآن مع المستقبل : ربما يودّ ، وإنما جاز ذلك ، لأن ما كان فى القرآن من وعد ووعيد وما فيه فهو حقّ ، كأنه عيان ، فجرى الكلام فيما لم يكن بعد منه ، مجراه فيما كان ، كما قيل : (وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ) ، وقوله (وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ) كأنه ماض وهو منتظر لصدقه فى المعنى ، وأنه لامكذّب له ، وإن القائل ليقول إذا نهى أو أمر فعصاه المأمور يقول : أما والله لربّ ندامة لك تذكر قولى فيها ، لعلمه بأنه سيندم ، والله ووعده أصدق من قول المخلوقين . وقد يجوز أن يصحب ربما الدائم ، وإن كان فى لفظ يفعل ، يقال : ربما يموت الرجل فلا يوجد له كفن ، وإن أُوليت الأسماء ، كان معها ضمير كان ، كما قال أبو دُواد :

رُبَّمَا الجامِلُ المُؤَبَّلُ فِيهِمْ وعَنَاجِيجُ بَيْنَهُنَّ المِهَارُ [1]

فتأويل الكلام : ربما يودّ الذين كفروا بالله ، فجحدوا وحدانيته ، لو كانوا فى دار الدنيا مسلمين .

كما حدثنا علىّ بن سعيد بن مسروق الكندىّ ، قال : ثنا خالد بن نافع الأشعرىّ ، عن سعيد بن أبى بُردة ، عن أبى بردة ، عن أبى موسى ، قال : بلغنا أنه إذا كان يوم القيامة ، واجتمع أهل النار فى النار ، ومعهم من شاء الله من أهل القبلة ، قال الكفار لمن فى النار من أهل القبلة : ألستم مسلمين ؟ قالوا : بلى ، قالوا : فما أغنى عنكم إسلامكم ، وقد صرتم معنا فى النار ؟ قالوا : كانت لنا ذنوب ، فأُخذنا بها ، فسمع الله ماقالوا ، فأمر بكلّ من كان من أهل القبلة فى النار فأخرجوا ، فقال من فى النار من الكفار : يا ليتنا كنا مسلمين ، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم (الر تِلْكَ آيَاتُ الكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ ، رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ) .

---

(١) البيت لأبى دواد الإيادى (خزانة الأدب ٤ : ١٨٨) وهو شاهد على أن رب المكفوفة بما لاتدخل إلا على الفعل عند سيبويه ، وهذا البيت شاذ عنده ، لدخول رب المكفوفة فيه على الجملة الاسمية ، فإن الجامل مبتدأ ، والمؤبل صفة ، وفيهم هو الخبر . وتكون رب كما قال أبوحيان من حروف الابتداء ، تدخل على الجمل فعلية أو اسمية ، للقصد إلى تقليل النسبة المفهومة من الجملة ؛ فإذا قلت : ربما قام زيد فكأنك قللت النسبة المفهومة من قيام زيد . وكذلك إذا قلت ربما زيد شاعر ، قللت نسبة شعر زيد . وعن بعضهم أن رب المكفوفة نقلت من معنى التقليل إلى معنى التحقيق ، كما نقلت قد الداخلة على المضارع فى نحو قوله تعالى « قد يعلم ما أنتم عليه » من معنى التقليل إلى معنى التحقيق . ودخولها على الجملة الاسمية مذهب المبرد والزمخشرى وابن مالك . والجامل : الجماعة من الإبل ، لاواحد لها من لفظها . ويقال إبل مؤبلة : إذا كانت للقنية . والعناجيج : الخيل الطوال الأعناق . واحدها : عنجوج ، والمهار : جمع مهر ، وهو ولد الفرس ، والأنثى مهرة .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عمرو بن الهيثم أبو قَطَن القُطْعىّ ، ورَوح القيسىّ ، وعفان بن مسلم واللفظ لأبى قَطَن ، قالوا : ثنا القاسم بن الفضل بن عبد الله بن أبى جَرْوة ، قال : كان ابن عباس وأنس ابن مالك يتأوّلان هذه الآية (رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كانُوا مُسْلِمِينَ) قالا : ذلك يوم يجمع الله أهل الخطايا من المسلمين والمشركين فى النار . وقال عفان : حين يحبس أهل الخطايا من المسلمين والمشركين ، فيقول المشركون : ما أغنى عنكم ما كنتم تعبدون ، زاد أبو قَطَن : قد جُمِعنا وإياكم ؛ وقال أبو قَطَن وعفان : فيغضب الله لهم بفضل رحمته ، ولم يقله رَوح بن عُبادة ، وقالوا جميعا : فيخرجهم الله ، وذلك حين يقول الله (رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كانُوا مُسْلِمِينَ) .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا عفان ، قال : ثنا أبو عَوانة ، قال : ثنا عطاء بن السائب ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، فى قوله (رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كانُوا مُسْلِمِينَ) قال : يُدْخِل الجنة ويَرْحَم حتى يقول فى آخر : ذلك من كان مسلما فليدخل الجنة ، قال : فذلك قوله (رُبَمَا يَوَدُّ الذِينَ كَفَرُوا لَوْ كانُوا مُسْلِمِينَ) .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، فى قوله (رُبَمَا يَوَدُّ الذِينَ كَفَرُوا لَوْ كانُوا مُسْلِمِينَ) ذلك يوم القيامة ، يتمنى الذين كفروا لو كانوا موحدين .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان عن سلمة بن كُهَيل ، عن أبى الزعراء ، عن عبد الله ، فى قوله (رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كانُوا مُسْلِمِينَ) قال : هذا فى الجهنميين إذ رأوهم يخرجون من النار .

حدثنى المثنى ، قال : أخبرنا مسلم بن إبراهيم ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا ابن أبى فَرَوة العبدىّ ، أن ابن عباس وأنس بن مالك كانا يتأوّلان هذه الآية (رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كانُوا مُسْلِمِينَ) ، يتأوّلانها : يوم يَحبِس الله أهل الخطايا من المسلمين مع المشركين فى النار ، قال : فيقول لهم المشركون : ما أغنى عنكم ما كنتم تعبدون فى الدنيا ، قال : فيغضب الله لهم بفضل رحمته ، فيخرجهم ، فذلك حين يقول (رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كانُوا مُسْلِمِينَ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن عطاء بن السائب ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، قال : ما يزال الله يدخل الجنة ، ويرحم ويشفع ، حتى يقول : من كان من المسلمين ، فليدخل الجنة ، فذلك قوله (رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كانُوا مُسْلِمِينَ) .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا بن عُلَيَة ، عن هشام الدَّسْتوائى ، قال : ثنا حماد ، قال : سألت إبراهيم عن هذه الآية (رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كانُوا مُسْلِمِينَ) قال : حُدِّثت أن المشركين قالوا لمن دخل النار من المسلمين : ما أغنى عنكم ما كنتم تعبدون . قال : فيغضب الله لهم ، فيقول للملائكة والنبيين اشفعوا ، فيشفعون ، فيخرجون من النار ، حتى إن إبليس ليتطاول ، رجاء أن يخرج معهم ، قال : فعند ذلك يودّ الذين كفروا لو كانوا مسلمين .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا حجاج ، قال : ثنا حماد ، عن إبراهيم ، أنه قال فى قول الله عزّ وجلّ : (رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كانُوا مُسْلِمِينَ) قال : يقول من فى النار من المشركين للمسلمين : ما أغنت عنكم لاإله إلا الله . قال : فيغضب الله لهم ، فيقول : من كان مسلما فليخرج من النار ؛ قال : فعند ذلك (يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كانُوا مُسْلِمِينَ) .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن حماد ، عن إبراهيم فى قوله (رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كانُوا مُسْلِمِينَ) قال : إن أهل النار يقولون : كنا أهل شرك وكفر ، فما شأن هؤلاء الموحدين ؟ ما أغنى عنهم عبادتهم إياه . قال : فيخرج من النار من كان فيها من المسلمين ، قال : فعند ذلك (يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كانُوا مُسْلِمِينَ) .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثورىّ ، عن حماد ، عن إبراهيم ، عن خَصِيف ، عن مجاهد ، قال : يقول أهل النار للموحدين : ما أغنى عنكم إيمانكم . قال : فإذا قالوا ذلك ، قال : أخرجوا من كان فى قلبه مثقال ذرّة ، فعند ذلك (يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كانُوا مسلِمِينَ) .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا مسلم ، قال : ثنا هشام ، عن حماد ، قال : سألت إبراهيم ، عن قول الله عزّ وجلّ (رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كانُوا مُسْلِمِينَ) قال : الكفار يُعَيِّرون أهل التوحيد : ما أغنى عنكم لاإله إلا الله ، فيغضب الله لهم ، فيأمر النبيين والملائكة فيشفعون ، فيخرج أهل التوحيد ، حتى إن إبليس ليتطاول ، رجاء أن يخرج ، فذلك قوله (رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كانُوا مُسْلِمِينَ) .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا عبد السلام ، عن خَصِيف ، عن مجاهد ، قال : هذا فى الجهنميين إذا رأوهم يخرجون من النار : (يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كانُوا مُسْلِمِينَ) .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا الحجاج بن المنهال ، قال : ثنا حماد ، عن عطاء بن السائب ، عن مجاهد ، قال : إذا فرغ الله من القضاء بين خلقه ، قال : من كان مسلما فليدخل الجنة ، فعند ذلك (يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كانُوا مُسْلِمِينَ) .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثنى الحسن ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كانُوا مُسْلِمِينَ) قال : يوم القيامة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عبد الوهاب بن عطاء ، عن جويبر ، عن الضحاك فى قوله (رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كانُوا مُسْلِمِينَ) قال : فيها وجهان اثنان ، يقولون : إذا حضر الكافر الموت ودّ لو كان مسلما . ويقول آخرون : بل يعذّب الله ناسا من أهل التوحيد فى النار بذنوبهم ، فيعرفهم

المشركون ،فيقولون: ما أغنت عنكم عبادة ربكم ، وقد ألقاكم فى النار . فيغضب لهم ،فيخرجهم ، فيقول: (رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كانُوا مُسْلِمِينَ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن أبى جعفر ، عن الربيع ، عن أبى العالية ، فى قوله (رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كانُوا مُسْلِمِينَ) قال : نزلت فى الذين يخرجون من النار .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله(رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كانُوا مُسْلِمِينَ) وذلك والله يوم القيامة ، ودّوا لو كانوا فى الدنيا مسلمين .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (رُبَمَا يَوَدُّ الذِينَ كَفَرُوا لَوْ كانُوا مُسْلِمِينَ) [1] .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن عطاء ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، قال : مايزال الله يدخل الجنة ويشفع ،حتى يقول : من كان من المسلمين فليدخل الجنة ، فذلك حين يقول (رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كانُوا مُسْلِمِينَ) .

القول فى تأويل قوله تعالى

ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ، فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (٣)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ذر يا محمد هؤلاء المشركين يأكلوا فى هذه الدنيا ما هم آكلوه ، ويتمتعوا من لذاتها وشهواتهم فيها ،إلى أجلهم الذى أجلت لهم ، ويلههم الأمل عن الأخذ بحظهم من طاعة الله فيها ، وتزوّدهم لمعادهم منها ، بما يقربهم من ربهم ، فسوف يعلمون غدا إذا وردوا عليه وقد هلكوا على كفرهم بالله وشركهم ، حين يُعاينون عذاب الله ، أنهم كانوا من تمتعهم بما كانوا يتمتعون فيها من اللذّات والشهوات ، كانوا فى خسار وتباب .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ (٤)

يقول تعالى ذكره (وَما أهْلَكْنا) يا محمد (مِنْ) أهل (قَرْيَةٍ) من أهل القرى التى أهلكنا أهلها فيما مضى (إلاَّ وَلَهَا كِتابٌ مَعْلُومٌ) يقول : إلا ولها أجل مؤقّت ، ومدة معروفة ، لانهلكهم حتى يبلغوها ، فإذا بلغوها أهلكناهم عند ذلك ، فيقول لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، فكذلك أهل قريتك التى أنت منها وهى مكة ،لانهلك مشركى أهلها ، إلا بعد بلوغ كتابهم أجله ، لأن مِنْ قضائى ألا أهلك أهل قرية ، إلا بعد بلوغ كتابهم أجله .

---

(١) أى بمثل حديث بشر قبله ، لأن كلا الإسنادين ينتهى إلى قتادة .

القول فى تأويل قوله تعالى

مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا ، وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ (٥)

يقول تعالى ذكره : ما يتقدّم هلاك أمة قبل أجلها الذى جعله الله أجلا لهلاكها ، ولا يستأخر هلاكها عن الأجل الذى جعل لها أجلا .

كما حدثنى المثنى ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن الزهرىّ ، فى قوله (ما تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أجَلَهَا ،وَما يَسْتَأْخِرُونَ) قال : نرى أنه إذا حضر أجله ، فإنه لايؤخر ساعة ولا يقدّم . وأما ما لم يحضر أجله ، فإن الله يؤخر ماشاء ، ويقدّم ماشاء .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَقَالُوا : يَا أَيُّهَا الَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ (٦) لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٧)

يقول تعالى ذكره : وقال هؤلاء: المشركون لك من قومك يا محمد : (يا أيُّها الَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ) وهو القرآن الذى ذكر الله فيه مواعظ خلقه (إنَّكَ لَمَجْنُونٌ) فى دعائك إيانا إلى أن نتّبعك ، ونذر آلهتنا .(لَوْما تَأْتِينا بالمَلائِكَةِ) قالوا : هلا تأتينا بالملائكة شاهدة لك على صدق ما تقول؟(إنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ) يعنى : إن كنت صادقا فى أن الله تعالى بعثك إلينا رسولا ، وأنزل عليك كتابا ، فإن الربّ الذى فعل ماتقول بك ، لايتعذّر عليه إرسال ملك من ملائكته معك ،حجة لك علينا ، وآية لك على نبوّتك ، وصدق مقالتك ،والعرب تضع موضع لوما : لولا ، وموضع لولا : لوما ، من ذلك قول ابن مقبل :

لَوْما الحَياءُ وَلَوْما الدِّينُ عِبْتُكما بِبَعْضِ ما فِيكُما إذْ عِبْتُما عَوَرِى[1]

يريد : لولا الحياء .

وبنحو الذى قلنا فى معنى الذكر ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا أبو زهير ، عن جويبر ، عن الضحاك (نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرَ) قال : القرآن .

القول فى تأويل قوله تعالى

مَا نُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ ، وَمَا كَانُوا إِذًا مُّنْظَرِينَ (٨)

(١) البيت لابن مقبل من كلمة له ، من أولها أبيات فى الحماسة (٤ : ١١٣) وهو شاهد على أن (لوما) تستعمل بمعنى لولا : فى امتناع الشىء لوجود غيره ، وهى فى الآية : بمعنى التحضيض . قال أبوعبيدة فى معانى القرآن : « لوما » مجازها ومجاز « لولا » واحد . واستشهد ببيت ابن مقبل . وعنه أخذه المؤلف .

اختلفت القرّاء فى قراءة قوله (ما نُـنَـزِّلُ المَلائِـكَـةَ) ، فقرأ ذلك عامّة قرّاء المدينة والبصرة (ما تَـنَـزَّلُ المَلائِـكَـةُ) بالتاء من تنزل ، وفتحها ، ورفع الملائكة ، بمعنى : ما تَـنَـزَّلُ الملائكة ، على أن الفعل للملائكة . وقرأ ذلك عامّة قرّاء أهل الكوفة (ما نُـنَـزِّلُ المَلائِـكَـةَ) بالنون فى ننزل ، وتشديد الزاى ، ونصب الملائكة ، بمعنى : ماننزلها نحن ، والملائكة حينئذ : منصوب بوقوع ننزل عليها . وقرأه بعض قرّاء أهل الكوفة : (ما تُـنَـزَّلُ المَلائِـكَـةُ) برفع الملائكة ، والتاء فى تُـنَـزل ، وضمها ، على وجه ما لم يسمّ فاعله .

⁂ قال أبو جعفر : وكلّ هذه القرءات الثلاث متقاربات المعانى ، وذلك أن الملائكة إذا نَـزَّلها الله على رسول من رسله ، تَـنَـزَّلت إليه ، وإذا تنزّلت إليه ، فإنما تَـنَـزَّل بإنزال الله إياها إليه ، فبأىّ هذه القراءات الثلاث قرأ ذلك القارئ ، فمصيب الصواب فى ذلك ، وإن كنت أحبّ لقارئه أن لا يعدُوَ فى قراءته ، إحدى القراءتين اللتين ذكرت من قراءة أهل المدينة ، والأخرى التى عليها جمهور قرّاء الكوفيين ، لأن ذلك هو القراءة المعروفة فى العامّة ؛ والأخرى : أعنى قراءة من قرأ ذلك (ما تُـنَـزَّلُ) بضمّ التاء من تنزّل ورفع الملائكة ، شاذّة قليل من قرأ بها .

فتأويل الكلام : ما نُـنَـزِّل ملائكتنا إلا بالحقّ ، يعنى بالرسالة إلى رسلنا ، أو بالعذاب لمن أردنا تعذيبه ، ولو أرسلنا إلى هؤلاء المشركين على مايسألون إرسالهم معك آية ، فكفروا ، لم يُـنْـظروا فيؤخروا بالعذاب ، بل عُوجلوا به ، كما فعلنا ذلك بمن قبلهم من الأمم ، حين سألوا الآيات ، فكفروا حين أتتهم الآيات ، فعاجلناهم بالعقوبة .

وبنحو الذى قلنا فى تأويل قوله (ما نُـنَـزِّلُ المَلائِـكَـةَ إلاّ بالحَقّ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (ما نُـنَـزِّلُ المَلائِـكَـةَ إلاّ بالحَقّ) قال : بالرسالة والعذاب .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

القول فى تأويل قوله تعالى

إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (٩)

⁂ يقول تعالى ذكره (إنَّا نَحْنُ نَزَّلْنا الذّكْرَ) وهو القرآن (وَإنَّا لَهُ لَحافِظُونَ) قال : وإنا للقرآن لحافظون ، من أن يزاد فيه باطل ممّا ليس منه ، أو ينقص منه ماهو منه ، من أحكامه وحدوده وفرائضه ، والهاء فى قوله (لَهُ) من ذكر الذكر .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثنى الحسن ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (وَإِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ) قال : عندنا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ) قال فى آية أخرى (لا يَأْتِيهِ الباطِلُ) والباطل : إبليس (مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ) ، فأنزله الله ثم حفظه ، فلا يستطيع إبليس أن يزيد فيه باطلا ، ولا ينتقص منه حقا ، حفظه الله من ذلك .

حدثنى محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَإِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ) : قال : حفظه الله من أن يزيد فيه الشيطان باطلا ، أو ينْتَقِص منه حقا ، وقيل : الهاء فى قوله (وَإِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ) من ذكر محمد صلى الله عليه وسلم ، بمعنى : وإنا لمحمد حافظون ممن أراده بسوء من أعدائه .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَلَقَدْ أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ فِي شِيَعِ الْأَوَّلِينَ (١٠) وَما يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ (١١)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ولقد أرسلنا يا محمد مِنْ قبلك فى الأمم الأوّلين رسلا ، وترك ذكر الرسل اكتفاء بدلالة قوله (وَلَقَدْ أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ) عليه ، وَعَنَى بشِيعَ الأوّلين : أمم الأوّلين : واحدتها شِيعَة ، ويقال أيضا لأولياء الرجل : شِيعته .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس (وَلَقَدْ أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ فِي شِيَعِ الأَوَّلِينَ) يقول : أمم الأوّلين .

حدثنى المثنى ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا هشام ، عن عمرو ، عن سعيد ، عن قتادة ، فى قوله (وَلَقَدْ أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ فِي شِيَعِ الأَوَّلِينَ) قال : فى الأمم .

وقوله (وَما يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ) يقول : وما يأتى شِيعَ الأوّلين من رسول من الله ، يرسله إليهم بالدعاء إلى توحيده ، والإذعان بطاعته ، (إِلَّا كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ) : يقول : إلا كانوا يَسْخَرون بالرسول الذى يرسله الله إليهم ، عُتُوّا منهم ، وتمرّدا على ربهم .

القول فى تأويل قوله تعالى

كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ (١٢) لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ (١٣)

يقول تعالى ذكره: كما سلكنا الكفر فى قلوب شيع الأوّلين، بالاستهزاء بالرسل، كذلك نفعل ذلك فى قلوب مشركى قومك، الذين أجرموا بالكفر بالله، (لا يؤمنون به)، يقول: لا يصدّقون بالذكر الذى أنزل إليك، والهاء فى قوله (نَسْلُكُهُ) من ذكر الاستهزاء بالرسل والتكذيب بهم.

كما حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنى حجاج، عن ابن جريج (كذلك نَسْلُكُهُ فِى قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ) قال: التكذيب.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة (كذلك نَسْلُكُهُ فِى قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ، لا يُؤْمِنُون بِهِ)، قال: إذا كذبوا سلك الله فى قلوبهم ألّا يؤمنوا به.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا الثورىّ، عن حميد، عن الحسن، فى قوله (كذلك نَسْلُكُهُ فِى قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ) قال: الشرك.

حدثنى المثنى، قال: ثنا الحجاج بن المنهال، قال: ثنا حماد بن سلمة، عن حميد، قال: قرأت القرآن كله على الحسن فى بيت أبى خليفة، ففسره أجمع على الإثبات، فسألته عن قوله (كذلك نَسْلُكُهُ فِى قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ) قال: أعمال سيعملونها لم يعملوها.

حدثنى المثنى، قال: ثنا سويد، قال: أخبرنا ابن المبارك عن حماد بن سلمة، عن حميد الطويل، قال: قرأت القرآن كله على الحسن، فما كان يفسره إلا على الإثبات، قال: وقفته على (نسلكه)، قال: الشرك. قال ابن المبارك: سمعت سفيان يقول فى قوله (نَسْلُكُهُ) قال: نجعله.

حدثنى يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد فى قوله (كذلك نَسْلُكُهُ فِى قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ لا يُؤْمِنُون بِهِ) قال: هم كما قال الله، هو أضلّهم ومنعهم الإيمان، يقال منه: سَلَكَهُ يَسْلُكُهُ سَلْكا وسُلُوكا، وأَسْلَكه يُسْلِكه إسلاكا؛ ومن السلوك قول عدىّ بن زيد:

وكُنْتُ لِزَازَ خَصْمِكَ لَمْ أُعَرِّدْ ... وَقَدْ سَلَكُوكَ فِى يَوْمٍ عَصِيبِ[1]

ومن الإسلاك قول الآخر:

حتى إذَا أَسْلَكُوهُمْ فِى قُتَائِدَةٍ ... شَلًّا كَمَا تَطْرُدُ الْجَمَالَةُ الشُّرُدَا[2]

(١) البيت لعدى بن زيد العبادى، وقد تقدم استشهاد المؤلف به عند قوله تعالى فى سورة هود «وقال هذا يوم عصيب» فراجعه فى الجزء الثانى عشر صفحة ٨٢. والشاهد فيه هنا: أنه اشتق سلكوك من المصدر الثلاثى (السلك).

(٢) البيت لعبد مناف بن ربعى الهذلى (اللسان: جمل). استشهد به المؤلف على أن «أسلكوهم» بالهمزة فى أوله لغة مثل سلكوهم التى وردت فى البيت السابق من شعر عدى بن زيد. والبيت أيضا فى (خزانة الأدب للبغدادى ٣: ١٧٠) شاهد على أن جواب إذا عند الرضى شارح كافية ابن الحاجب محذوف، لتفخيم الأمر، والتقدير: بلغوا أملهم، أو أدركوا ما أحبوا، ونحو ذلك. وقيل فيه وجهان آخران. قال البغدادى وأسلك: لغة فى سلك، يقال أسلكت الشىء فى الشىء. مثل سلكته فيه، بمعنى أدخلته فيه. وقتائدة: ثنية، وقال البكرى: جبل بين المنصرف والروحاء. والشل: الطرد. والجمالة: فاعل تطرد، وهم أصحاب الجمال، كما يقال الحمارة لأصحاب الحمير. والشرد: جمع شرود، أى من الجمال.

وقوله (وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الأَوَّلِينَ) يقول تعالى ذكره : لايؤمن بهذا القرآن قومك الذين سلكت فى قلوبهم التكذيب (حتى يَرَوُا العَذَابَ الأَلِيمَ) أخذا منهم سنة أسلافهم، من المشركين قبلهم، من قوم عاد وثمود وضُرَبائهم من الأمم التى كذّبت رسلها، فلم تؤمن بما جاءها من عند الله، حتى حلّ بها سخط الله فهلكت .

وبنحو ما قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِى قُلُوبِ المُجْرِمِينَ لايُؤْمِنُونَ بِهِ ، وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الأَوَّلِينَ) : وقائع الله فيمن خلا قبلكم من الأمم .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِّنَ السَّمَآءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ (١٤) لَقَالُوٓا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا، بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ (١٥)

اختلف أهل التأويل فى المعنيين بقوله (فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ) فقال بعضهم : معنى الكلام : ولو فتحنا على هؤلاء القائلين لك يامحمد (لَوْما تَأْتِينا بالمَلائِكَةِ إنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ) بابا من السماء، فظلت الملائكة تعرُج فيه ، وهم يرونهم عيانا، لقالوا : (إنَّمَا سُكِّرَتْ أبْصَارُنا، بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ).

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس، قوله (وَلَوْ فَتَحْنا عَلَيْهِمْ بابا مِنَ السَّماءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ)يقول : لو فتحنا عليهم بابا من السماء ، فظلت الملائكة تعرُج فيه، لقال أهل الشرك: إنما أخذ أبصارنا، وشبّه علينا ، وإنما سَحرنا، فذلك قولهم : (لَوْما تَأْتِينا بالمَلائِكَةِ إنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن ابن عباس (فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ) فظلت الملائكة يعرجون فيه يراهم بنو آدم عيانا (لَقالُوا إنَّمَا سُكِّرَتْ أبْصَارُنا، بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ).

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (يا أيُّها الَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إنَّكَ لَمَجْنُونٌ . لَوْما تَأْتِينا بالمَلائِكَةِ إنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ) . قال : ما بين ذلك إلى قوله (وَلَوْ فَتَحْنا عَلَيْهِمْ بابا مِنَ السَّماءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ) قال : رجع إلى قوله (لَوْما تَأْتِينا بالمَلائِكَةِ) ما بين ذلك ، قال ابن جريج ، قال ابن عباس : فظلت الملائكة تعرُج ، فنظروا إليهم ، (لَقالُوا إنَّما سُكِّرَتْ أبْصَارُنا) قال : قريش تقوله .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَلَوْ فَتَحْنا عَلَيْهِمْ

بابا مِنَ السَّماءِ فَظَلُّوا فيهِ يَعْرُجُونَ) قال : قال ابن عباس : لو فتح الله عليهم من السماء بابا ، فظلت الملائكة تعرُج فيه ، يقول : يختلفون فيه جائين وذاهبين (لَقالُوا إنَّمَا سُكِّرَتْ أبْصَارُنا) .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (وَلَوْ فَتَحْنا عَلَيْهِمْ بابا مِنَ السَّماءِ فَظَلُّوا فيهِ يَعْرُجُونَ) يعنى : الملائكة : يقول : لو فتحت على المشركين بابا من السماء ، فنظروا إلى الملائكة تعرُج بين السماء والأرض ، لقال المشركون (نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ) : سُحِرنا ، وليس هذا بالحقّ ، ألا ترى أنهم قالوا قبل هذه الآية : (لَوْما تَأْتِينا بالمَلائِكَةِ إنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ) .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا هشام ، عن عمر ، عن نصر ، عن الضحاك ، فى قوله (وَلَوْ فَتَحْنا عَلَيْهِمْ بابا مِنَ السَّماءِ ، فَظَلُّوا فيهِ يَعْرُجُونَ) قال : لو أنى فتحت بابا من السماء تعرج فيه الملائكة بين السماء والأرض ، لقال المشركون (بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ) ؛ ألا ترى أنهم قالوا (لَوْما تَأْتِينا بالمَلائِكَةِ إنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ) .

وقال آخرون : إنما عُنِى بذلك : بنو آدم .

ومعنى الكلام عندهم : ولو فتحنا على هؤلاء المشركين من قومك يا محمد بابا من السماء ، فظلوا هم فيه يعرُجون (لَقالُوا إنَّمَا سُكِّرَتْ أبْصَارُنا) .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلَوْ فَتَحْنا عَلَيْهِمْ باباً مِنَ السَّماءِ فَظَلُّوا فيهِ يَعْرُجُونَ) قال قتادة ، كان الحسن يقول : لو فُعِل هذا ببنى آدم ، فظلوا فيه يعرُجون ، أى يختلفون ، (لَقالُوا إنَّمَا سُكِّرَتْ أبْصَارُنا ، بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ) .

وأما قوله (يَعْرُجُونَ) فإن معناه : يرقَوْن فيه ويَصْعَدون ، يقال منه : عَرَج يعرُج عُروجا : إذا رَقِى وصَعِد . وواحدة المعارج : مِعْرج ومِعْراج ؛ ومنه قول كُثير :

إلى حَسَبٍ عَوْدٍ بَنا المرْءَ قَبْلَهُ أبُوهُ لَهُ فيه مَعارِجَ سُلَّمِ [1]

وقد حُكى عَرَج يعرِج ، بكسر الراء فى الاستقبال . وقوله (لَقالُوا إنَّمَا سُكِّرَتْ أبْصَارُنا) يقول : لقال هؤلاء المشركون الذين وصف جلّ ثناؤه صفتهم : ما هذا بحقّ ، إنما سُكِّرت أبصارنا .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (سُكِّرَتْ) فقرأ أهل المدينة والعراق (سُكِّرَتْ) بتشديد الكاف ، بمعنى : غُشِّيَتْ وغُطِّيَت . هكذا كان يقول أبو عمرو بن العلاء ، فيما ذُكر لى عنه . وذُكر عن مجاهد أنه كان يقرأ (لَقالُوا إنَّمَا سُكِرَتْ) .

حدثنى بذلك الحارث ، قال : ثنا القاسم ، قال : سمعت الكسائىّ يحدّث عن حمزة ، عن شبل ، عن

(١) لم أجد البيت فى ديوان كثير طبع الجزائر . والحسب : الشرف الثابت فى الآباء . والعود : القديم . وبنا (بالألف) يبنو ، لأنه من بناء الشرف والمجد . والمعارج : جمع معرج (بكسر الميم وفتحها) وهو ما يعرج فيه ، أى يصعد .

مجاهد أنه قرأها (سُكِرَتْ أبْصَارُنا) خفيفة ، وذهب مجاهد فى قراءته ذلك كذلك إلى : حُبست أبصارنا عن الرؤية والنظر ، من سكور الريح ، وذلك سُكُونها وركودها ، يقال منه : سَكَرَت الريح : إذا سكنت وركدت . وقد حُكى عن أبى عمرو بن العلاء ، أنه كان يقول : هو مأخوذ من سُكْر الشراب ، وأن معناه : قد غَشِّى أبصارَنا السُّكْر .

وأما أهل التأويل ، فانهم اختلفوا فى تأويله ، فقال بعضهم : معنى (سُكِّرَتْ) : سُدّت .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ؛ قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حُذيفة ، قال : ثنا شبل ؛ وحدثنى المثنى ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (سُكِّرَتْ أبْصَارُنا) قال : سُدّت .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا حجاج ، يعنى ابن محمد ، عن ابن جريج ، قال : أخبرنى ابن كثير قال : سُدّت .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، فى قوله (سُكِّرَتْ أبْصَارُنا) يعنى : سُدّت ، فكأنّ مجاهدا ذهب فى قوله ، وتأويله ذلك بمعنى سدّت ، إلى أنه بمعنى : مُنِعَت النظر ، كما يُسْكَر الماء ، فيُمْنَع من الجرى ، بحبسه فى مكان ، بالسِّكر الذى يُسْكَر به .

وقال آخرون : معنى سُكِّرت : أخذت .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، عن ابن عباس : (لَقَالُوا إنَّمَا سُكِّرَتْ أبْصَارُنا) يقول : أُخذت أبصارنا .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، إنما أَخَذ أبصارنا ، وشَبَّه علينا ، وإنما سَحَرنا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة (لَقَالُوا إنَّمَا سُكِّرَتْ أبْصَارُنا) يقول : سُحِرَت أبصارنا : يقول : أُخِذت أبصارنا .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرحمن بن أبى حماد ، قال : ثنا شيبان ، عن قتادة ، قال : من قرأ (سُكِّرَتْ) مشددة : يعنى سُدَّت . ومن قرأ (سُكِرَتْ) مخففة ، فإنه يعنى سُحِرت ، وكأن هؤلاء وجَّهوا معنى قوله (سُكِّرَتْ) إلى أن أبصارهم سُحِرت ، فشُبِّه عليهم مايُبصرون ، فلا يميزون بين الصحيح مما يرون وغيره ، من قول العرب : سُكِّر على فلان رأيه : إذا اختلط عليه رأيه فيما يريد ، فلم يدر الصواب فيه من غيره ، فإذا عزم على الرأى ، قالوا : ذهب عنه التسكير .

وقال آخرون : هو مأخوذ من السّكْر ، ومعناه : غُشِّىَ على أبصارنا فلا نبصر ، كما يفعل السُّكْر بصاحبه ، فذلك إذا دِيرَ به وغُشِىَ بَصَرَه كالسَّماد ير ، فلم يبصر .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنا) قال : سُكِّرت ، السكران الذى لا يعقل .

وقال آخرون : معنى ذلك : عميت .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عبد الوهاب بن عطاء ، عن الكلبى (سُكِّرَتْ) قال : عميت .

⁂ وأولى هذه الأقوال بالصواب عندى : قول من قال : معنى ذلك : أُخِذت أبصارُنا وسُحِرت ، فلا تبصر الشىء على ما هو به ، وذهب حدّ إبصارها ، وانطفأ نوره ، كما يقال للشىء الحار إذا ذهبت فَوْرَته ، وسكن حَدّ حرّه ، قد سَكَرَ يَسْكُر . قال المثنى بن جندل الطُّهَوِىُّ :

جاءَ الشِّتاءُ واجْثَأَلَّ القُبَّرُ واستَخْفَتَ الأفْعَى وكانت تَظْهَرُ

وجَعَلَتْ عينُ الحَرُور تَسْكُرُ[1]

أى تسكُن وتذهب وتنطفئ ؛ وقال ذو الرّمّة :

قَبْلَ انْصِداعِ الفَجْرِ والتَّهَجُّر وخَوْضُهُنَّ اللَّيلَ حينَ يَسْكُرُ[2]

يعنى : حين تسكن فورته . وذُكر عن قيس أنها تقول : سَكَرَت الريحُ تَسْكُر سُكُورا ، بمعنى : سكنت ، وإن كان ذلك عنها صحيحا ، فان معنى سُكِرَت وسُكِّرَتْ بالتخفيف والتشديد متقاربان ، غير أن القراءة التى لا أستجيز غيرها فى القرآن : (سُكِّرَتْ) بالتشديد ، لإجماع الحجة من القرّاء عليها ، وغير جائز خلافها فيما جاءت به مجمعة عليه .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجا ، وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ (١٦)

(١) هذه ثلاثة أبيات لجندل بن المثنى الطهوى . واجثأل : اجتمع وتقبض ، والقبر كالقنبر : ضرب من الطير كالعصافير ، واحده : قبرة وقنبرة . والحرور : الحر . ويقال سكرت عينه تسكر : إذا تحيرت وسكنت عن النظر ، وسكر الحر يسكر : سكن وخبأ وقد استشهد بها أبو عبيدة فى مجاز القرآن (١ : ٣٣٧ ، ٣٣٨) عند قوله تعالى « سكرت أبصارنا » : قال : أى غشيت شمادير ، فذهبت وخبا نظرها . قال : جاء الشتاء . . . الخ وزاد فيها بيتا قبل الآخر ، وهو : « وطلعت شمس عليها مغفر » . وفسر البيت الأخير وهو الشاهد بقوله : أى يذهب حرها ويخبو . وقال أبو عمر بن العلاء : « سكرت أبصارنا » : مأخوذ من سكر الشراب ، كأن العين لحقها ما يلحق شارب المسكر إذا سكر . وقال الفراء : معناه : حبست ومنعت عن النظر .

(٢) البيت فى ديوان ذى الرمة (طبعة كيمبردج سنة ١٩١٩ ص ٢٠٢) وقبله :

أتَتْكَ بالقَوْمِ مَهارٍ ضُمَّرٌ خُوصٌ بَرَى أشْرافَها التَّبَكُّرُ

خوص : غائرات العيون . وأشرافها : أسنمتها . و التبكر : سير البكرة . والتهجر : سير الهاجرة ، ويسكر : يتسكر الأبصار بظلامه . وقوله : والتهجر ، بالرفع : معطوف على قوله التبكر ، فى البيت السابق عليه .

⁂ يقول تعالى ذكره : ولقد جعلنا فى السماء الدنيا منازل للشمس والقمر ، وهى كواكب ينزلها الشمس والقمر (وَزَيَّنَّاها للنَّاظِرِينَ) يقول : وزينا السماء بالكواكب لمن نظر إليها وأبصرها .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثنى المثنى ، قال : أخبرنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ؛ وحدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (وَلَقَدْ جَعَلْنا فِى السَّماءِ بُرُوجًا) قال : كواكب .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلَقَدْ جَعَلْنا فِى السَّماءِ بُرُوجًا) وبروجها : نجومها .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (بُرُوجًا) قال : الكواكب .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ (١٧) إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ ، فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُّبِينٌ (١٨)

⁂ يقول تعالى ذكره : وحفظنا السماء الدنيا من كل شيطان لعين ، قد رجمه الله ولعنه (إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ) يقول : لكن قد يسترق من الشياطين السمع ، مما يحدث فى السماء ، بعضها ، فيتبعه شهاب من النار مبين ، يبين أثره فيه ، إما بإخباله وإفساده ، أو بإحراقه .

وكان بعض نحوى أهل البصرة يقول فى قوله (إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ) : هو استثناء خارج ، كما كما قال : ما أشتكى إلا خيرا ، يريد لكن[1] : أذكر خيرا ، وكان ينكر ذلك من قيله بعضهم ، ويقول : إذا كانت إلا بمعنى « لكن » عملت عمل لكن ، ولا يحتاج إلى إضمار أذكر ، ويقول : لو احتاج والأمر كذلك إلى إضمار أذكر ، احتاج قول القائل : قام زيد لا عمرو إلى اضمار أذكر .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عفان بن مسلم ، قال : ثنا عبد الواحد بن زياد ، قال : ثنا الأعمش عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : تَصْعَدُ الشياطين أفواجا تسترق السمع ، قال : فينفرد المارد منها فيعلو ، فيُرْمَى بالشهاب ، فيصيب جبهته أو جنبه ، أو حيث شاء الله منه ، فيلتهب ، فيأتى أصحابه وهو يلتهب ، فيقول : إنه كان من الأمر كذا وكذا ، قال : فيذهب أولئك إلى إخوانهم من الكهنة ، فيزيدون عليه أضعافه من الكذب ، فيخبرونهم به ، فإذا رأوا شيئا مما قالوا ، قد كان صدّقوهم بما جاءوهم به من الكذب .

(١) لكن : ساقطة من الأصل ، ولكن السياق بعدها يقتضيها .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، فى قوله (وَحَفِظْنَاها مِنْ كُلِّ شَيْطانٍ رَجِيمٍ ، إلاَّ مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ) قال : أراد أن يخطف السمع ، وهو كقوله (إلاَّ مَنْ خَطِفَ الخَطْفَةَ) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إلاَّ مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ) وهو نحو قوله (إلاَّ مَنْ خَطِفَ الخَطْفَةَ ، فَأَتْبَعَهُ شِهابٌ ثاقِبٌ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (إلاَّ مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ) قال : خَطِفَ الخطْفة .

حُدِّثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، فى قوله (إلاَّ مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ) هو كقوله (إلاَّ مَنْ خَطِفَ الخَطْفَةَ ، فَأَتْبَعَهُ شِهابٌ ثاقِبٌ) كان ابن عباس يقول : إن الشُّهُب لاتقتل ،ولكن تُحْرِق وتُخَبِّل[1] وتجرح ، من غير أن تقتل .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج (مِنْ كُلِّ شَيْطانٍ رَجِيمٍ) قال : الرجيم : الملعون ، قال : وقال القاسم عن الكسائىّ : إنه قال : الرجم فى جميع القرآن : الشتم .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ ، وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ (١٩)

يعنى تعالى ذكره بقوله (والأَرْضَ مَدَدْناها) : والأرض دحوناها فبسطناها (وألْقَيْنا فِيها رَوَاسِيَ) يقول : وألقينا فى ظهورها رواسىَ ، يعنى جبالا ثابتة .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (والأَرْضَ مَدَدْناها).وقال فى آية أخرى (والأَرْضَ بَعْدَ ذلكَ دَحاها) . وذُكِر لنا أن أمّ القرى مكة ، منها دُحيت الأرض . قوله (وألْقَيْنا فِيها رَوَاسِيَ) رواسيها : جبالها . وقد بيّنا معنى الرسوّ فيما مضى ،بشواهده المغنية عن إعادته . وقوله (وأنْبَتْنا فِيها مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ) يقول : وأنبتنا فى الأرض من كلّ شىء : يقول : من كلّ شىء مقدّر ، وبحدّ معلوم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وأنْبَتْنا فِيها مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ) يقول : معلوم .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنا أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وأنْبَتْنا فيها مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ) يقول : معلوم .

(١) الخبل والتخبيل : إفساد الأعضاء ، حتى لايدرى كيف يمشى ، فهومتخبل خبل . (اللسان) .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا إسماعيل بن أبى خالد ، عن أبى صالح ، أو عن أبى مالك ، فى قوله (مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ) قال : بقدْر .

حدثنا المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن إسماعيل بن أبى خالد ، عن ابى صالح أو عن أبى مالك ، مثله .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا الحمّانى ، قال : ثنا شريك ، عن خَصِيف ، عن عكرمة (مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ) قال : بقدَر .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا علىّ ، يعنى ابن الجعد ، قال : أخبرنا شريك ، عن خَصِيف ، عن عكرمة (مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ) قال : بقدْر .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن خَصِيف ، عن عكرمة ، قال بقدْر .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن حصين ، عن سعيد بن جبير (مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ) قال : معلوم .

حدثنا مجاهد بن موسى ، قال : ثنا يزيد ، قال : أخبرنا عبد الله بن يونس ، قال : سمعت الحكم بن عتيبة وسأله أبو مخزوم ، عن قوله (مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ) قال : من كلّ شىء مقدور .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا يزيدُ بن هارون ، قال : أخبرنا عبد الله بن يونس ، قال : سمعت الحكم ، وسأله أبو عُروة ، عن قول الله عزّ وجلّ (مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ) قال : من كلّ شىء مقدور ، هكذا قال الحسن ، وسأله أبو عُروة .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثنا الحسن بن محمد ، قال ثنا شبابه ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ؛ وحدثنى المثنى ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ) قال : مقدور بقدْر .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ) قال : مقدور بقدْر .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا علىّ بن الهيثم ، قال : ثنا يحيى بن زكريا ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قال : مقدور بقدْر .

حدثنا المثنى ، قال : ثنا علىّ بن الهيثم ، قال : ثنا يحيى بن زكريا ، عن إسماعيل بن أبى خالد ، عن أبى صالح (مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ) قال : يقدْر .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وأنْبَتْنا فِيها مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ) يقول : معلوم .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، مثله .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ) يقول : معلوم .

وكان بعضهم يقول : معنى ذلك : وأنبتنا فى الجبال من كلّ شىء موزون : يعنى من الذهب والفضة والنحاس والرصاص ونحو ذلك من الأشياء التى توزن .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وأنْبَتْنا فِيها مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ) قال : الأشياء التى توزن .

⁂ وأولى القولين عندنا بالصواب : القول الأوّل ، لإجماع الحجة من أهل التأويل عليه .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ ، وَمَن لَّسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ (٢٠)

⁂ يقول تعالى ذكره : وجعلنا لكم أيها الناس فى الأرض معايش ، وهى جمع مَعِيشة (وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ) .

اختلف أهل التأويل فى المعنى فى قوله (وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ) ، فقال بعضهم عَنَى به الدوابّ والأنعام .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسين قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ؛ وحدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله جميعا ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ) الدوابّ والأنعام .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

وقال آخرون : عنى بذلك : الوحش خاصة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن منصور [1] فى هذه الآية (وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ) : قال الوحش ؛ فتأويل « مَنْ » فى : (وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ) على هذا التأويل : بمعنى « ما » ، وذلك قليل فى كلام العرب .

---

(١) منصور الذى يروى عنه شعبة بن الحجاج : هو منصور بن عبد الرحمن التميمى الغدانى (بضم الغين) عن الشعبى . وعنه شعبة وابن علية . وثقه ابن معين وأحمد وأبو داود . وقال أبو حاتم : ليس بالقوى ، يكتب حديثه ولا يحتج به . وقال النسائى : ليس بقوى . وفى كلام الفراء الذى نقلناه تحت الشاهد « هلا سألت » إشارة إلى روايته هنا ، بقوله « وقد جاء أنهم الوحوش . . . الخ » . (وانظر خلاصة الخزرجى) .

⁂ وأولى ذلك بالصواب ، وأحسن : أن يقال : عنى بقوله (وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ) من العبيد والإماء والدوابّ والأنعام . فمعنى ذلك : وجعلنا لكم فيها معايش ، والعبيدَ والإماءَ والدوابَّ والأنعامَ : وإذا كان ذلك كذلك ، حسن أن توضع حينئذ مكان العَبيد والإماء والدوابّ « مَنْ » ، وذلك أن العرب تفعل ذلك إذا أرادت الخبر عن البهائم معها بنو آدم . وهذا التأويل على ماقلناه ، وصرفنا إليه معنى الكلام ، إذا كانت « مَنْ » فى موضع نصب ، عطفا به على معايش ، بمعنى : جعلنا لكم فيها معايش ، وجعلنا لكم فيها من لستم له برازقين . وقيل : إنّ « من » فى موضع خفض عطفا به على الكاف والميم ، فى قوله (وَجَعَلْنَا لَكُمْ) بمعنى : وجعلنا لكم فيها معايش (وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ) وأحسب أن منصورا الى فى قوله هو الوحش ، قصد هذا المعنى ، وإياه أراد ، وذلك وإن كان له وجه فى كلام العرب ، فبعيد قليل ، لأنها لاتكاد تظاهر على معنى فى حال الخفض ، وربما جاء فى شعر بعضهم فى حال الضرورة ، كما قال بعضهم :

هَلاَّ سألْتَ بذِى الجَماجِمِ عنهُمُ ... وأبِى نَعِيمٍ ذى اللِّوَاءِ المُخْرَقِ [٢]

فردّ أبا نعيم على الهاء والميم فى عنهم . وقد بيّنت قبح ذلك فى كلامهم .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ عِندَنَا خَزَآئِنُهُ ، وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ (٢١)

⁂ يقول تعالى ذكره : وما من شىء من الأمطار إلاعندنا خزائنه ، وما ننزله الا بقدَر لكل أرض ، معلوم عندنا حدّه ومبلغه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : أخبرنا يزيد بن أبى زياد ، عن رجل ، عن عبد الله ، قال : ما من أرض أمطر من أرض ، ولكن الله يقدُره فى الأرض ، ثم قرأ (وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ ، وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن يزيد بن أبى زياد ، عن أبى جُحَيفة ، عن عبدالله ، قال :

---

(١) أنظر الكلام عليه فى هامش ص ١٧ .

(٢) البيت من شواهد الفراء فى معانى القرآن (ص١٦٧ من مصورة الجامعة) . قال : وقوله « وجعلنا لكم فيها معايش » : أراد الأرض . « ومن لستم له برازقين » : فمن فى موضع نصب . يقول جعلنا لكم فيها معايش والعبيد والإماء ، وقد جاء أنهم الوحوش والبهائم ؛ ومن ومن : لا يفرد بها البهائم ، ولا ما سوى الناس ، فإن يكن ذلك على ما روى ، فنرى أن أدخل فيهم المماليك ، على أنا ملكنا كم العبيد والإبل والغنم وما أشبه ذلك ، مجاز ذلك . وقد يقال إن « من » فى موضع خفض ، يراد جعلنا لكم فيها معايش ولمن . وما أقل ما ترد العرب لمخفوض قد كنى عنه ، وقد قال الشاعر :

نعلق فى مثل السوارى سيوفنا ... وما بينها والكعب غوط نفانف

فرد الكعب على بينها . وقال الآخر : هلا سألت . . . . البيت ، فرد « أبى نعيم » على الهاء فى عنهم .

قلت : وهذا الموضع الذى أشار إليه الفراء ، وهو عطف اسم مخفوض على ضمير ، هو قوله تعالى (واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام) من سورة النساء .

ما من عام بأمطرَ من عام، ولكن الله يصرفه عمن يشاء ، ثم قال (وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ عِنْدَنا خزائنهُ ، وَما نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ) .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا إبراهيم بن مهدى المَصِّيصِىَ ، قال : ثنا علىّ بن مُسْهِر ، عن يزيد ابن أبى زياد ، عن أبى جُحيفة ، عن عبد الله بن مسعود : ما من عام بأمطر من عام ، ولكن الله يقسمه حيث شاء ، عاما ههنا ، وعاما ههنا ، ثم قرأ (وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ عِنْدَنا خَزَائِنُهُ ، وَما نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جريج (وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ عِنْدَنا خَزَائِنُهُ) قال : المطر خاصة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا إسماعيل بن سالم ، عن الحكم بن عُتيبة ، فى قوله (وَما نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ) قال : ما من عام بأكثر مطرا من عام ولا أقلّ ، ولكنه يُمْطَر قوم ، ويُحرَم آخرون ، وربما كان فى البحر ، قال : وبلغنا أنه ينزل مع المطر من الملائكة أكثر من عدد ولد إبليس وولد آدم ، يحصون كلّ قطرة حيث تقع ، وما تنبت .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ ، فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ ، وَمَآ أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ (٢٢)

اختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامّة القرّاء (وأرْسَلْنا الرِّياحَ لَوَاقِحَ) ، وقرأه بعض قرّاء أهل الكوفة (وأرْسَلْنا الرِّيحَ لَوَاقِحَ) فوحّد الريح ، وهى موصوفة بالجمع : أعنى بقوله : لواقح . وينبغى أن يكون معنى ذلك : أن الريح وإن كان لفظها واحدا ، فمعناها الجمع ، لأنه يقال : جاءت الريح من كلّ وجه ، وهبّت من كلّ مكان ، فقيل : لواقح لذلك ، فيكون معنى جمعهم نعتها ، وهى فى اللفظ واحدة معنى قولهم : أرض سباسب ، وأرض أغفال ، وثوب أخلاق ، كما قال الشاعر :

جاءَ الشِّتاءُ وقَمِيصِى أخْلاقْ شَرَاذِمٌ يَضْحَكُ مِنْهُ التَّوَّاقْ[1]

وكذلك تفعل العرب فى كلّ شىء اتسع .

---

(١) هذا الرجز ، أورده الفراء فى معانى القرآن (ص ١٦٧) قال : وقوله « وأرسلنا الرياح لواقح » وقرئ الريح ، قرأ حمزة . فمن قال : « الريح لواقح » فجمع اللواقح والريح واحدة ، لأن الريح فى معنى جمع ، ألا ترى أنك تقول : جاءت الريح من كل مكان ، فقيل لواقح لذلك ، كما قيل : تركته فى أرض أغفال وسباسب ، ومهارق ، وثوب أخلاق ، ومنه قول الشاعر : جاء الشتاء . . . الخ البيت . وأما من قال : الرياح لواقح ، فهو بين . ولكن يقال : إنما الريح ملقحة ، تلقح الشجر ، فكيف قيل : لواقح ؟ فى ذلك معنيان : أحدهما أن تجعل الريح هى التى يمرورها على التراب والماء ، فيكون فيها اللقاح ، فيقال ريح لاقح ، كما يقال : ناقة لاقح ؛ ويشهد على ذلك أنه وصف ريح العذاب فقال : « عليهم الريح العقيم » ، فجعلها عقيما إذ لم تلقح . والوجه الآخر : أن يكون وصفها باللقح ، وإن كانت تلقح (بضم التاء) كما قيل : ليل نائم ، والنوم فيه ، وسر كاتم . =

واختلف أهل العربية فى وجه وصف الرياح باللقح، وإنما هى مُلْقِحة لا لاقحة، وذلك أنها تُلْقِح السحاب والشجر ، وإنما توصف باللَّقح الملقوحة لا الملقِح ، كما يقال : ناقة لاقح . وكان بعض نحويّ البصرة يقول : قيل : الرياح لواقح، فجعلها على لاقح، كأن الرياح لَقِحَت ، لأن فيها خيرا، فقد لَقِحَت بخير . قال : وقال بعضهم : الرياح تُلْقِح السحاب، فهذا يدلّ على ذلك المعنى ، لأنها إذا أنشأته وفيها خير وصل ذلك إليه . وكان بعض نحويّ الكوفة يقول : فى ذلك معنيان : أحدهما أن يجعل الريح هى التى تَلْقَح بمرورها على التراب والماء فيكون فيها اللقاح، فيقال: ريح لاقح ، كما يقال : ناقة لاقح ، قال : ويشهد على ذلك أنه وصف ريح العذاب، فقال (عليهم الرِّيح العقيم) ، فجعلها عقيما إذا لم تَلْقَح . قال: والوجه الآخر أن يكون وصفها باللقح ، وإن كانت تلقح ، كما قيل : ليل نائم والنوم فيه ، وسرّ كاتم . وكما قيل المبروز والمختوم ، فجعل مبروزا ، ولم يقل مبرزا بناه على غير فعله : أى أن ذلك من صفاته ، فجاز مفعول لمُفْعِل ، كما جاز فاعل لمفعول ، إذا لم يرد البناء على الفعل ، كما قيل : ماء دافق .

⁂ والصواب من القول فى ذلك عندى : أن الرياح لواقح كما وصفها به جلّ ثناؤه من صفتها ، وإن كانت قد تُلقِح السحاب والأشجار ، فهى لاقحة مُلْقِحة ، ولَقْحُها : حملها الماء ، وإلقاحُها السحاب والشجر : عملها فيه ، وذلك كما قال عبد الله بن مسعود .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا المحاربىّ ، عن الأعمش ، عن المنهال بن عمرو ، عن قيس بن سكن ، عن عبد الله بن مسعود ، فى قوله (وأرْسَلْنا الرِّياحَ لَوَاقِحَ) قال : يرسل الله الرياح ، فتحمل الماء ، فتُجرِى السحاب ، فتدُرُّ كما تدر اللِّقحة ثم تمطر .

حدثنى أبو السائب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن المنهال ، عن قيس بن سكن ، عن عبد الله (وأرْسَلْنا الرِّياحَ لَوَاقِحَ) قال : يبعث الله الريح فتلقِح السحاب ، ثم تمريه ، فتدرّ كما تدُرّ اللِّقحة ، ثم تمطر .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا أسباط بن محمد ، عن الأعمش ، عن المنهال بن عمرو ، عن قيس ابن السكن ، عن عبد الله بن مسعود ، فى قوله (وأرْسَلْنا الرِّياحَ لَوَاقِحَ) قال : يرسل الرياح ، فتحمل الماء من السماء ، ثم تمرى السحاب ، فتدُرّ كما تدُرّ اللقحة ، فقد بين عبد الله بقوله : يرسل الرياح ، فتحمل الماء ، أنها هى اللاقحة ، بحملها الماء ، وإن كانت ملقحة ، بإلقاحها السحاب والشجر .

وأما جماعة أُخَر من أهل التأويل ، فإنهم وجّهوا وصف الله تعالى ذكره إياها بأنها لواقح ، إلى أنه بمعنى ملقحة ، وأن اللواقح وُضعت موضع مَلاقِح ، كما قال نَهْشَل بن حَرِّىّ :

= وفى لسان العرب : (خلق) : وقد يقال : ثوب أخلاق ، يصفون به الواحد ، إذا كانت الخلوقة فيه كله ، كما قالوا برمة أعشار ، وثوب أكباش (ضرب من نسج اليمن) وحبل أرمام ، وأرض سباسب . وهذا النحو كثير ، وكذلك : ملاءة أخلاق وبرمة أخلاق (عن اللحيانى) أى نواحيها أخلاق . قال : وهو من الواحد الذى فرق ثم جمع . قال : وكذلك : حبل أخلاق وقربة أخلاق ، عن ابن الأعرابى . التهذيب : يقال ثوب أخلاق : يجمع بما حوله ، وقال الراجز : جاء الشتاء . . . . الخ . والنتواق ابنه . قلت : والرواية عند الفراء وفى اللسان « يضحك منه » وعند المؤلف : « يضحك منى » ، والمعنى قريب بعضه من بعض .

لِيَبْكِ يَزِيدُ بائِسٌ لِضَرَاعَةٍ وأشْعَثُ مِمَّنْ طَوَّحَتْهُ الطَّوَائِحُ[1]

يريد المَطاوح ؛ وكما قال النابغة :

كِلِينِي لِهَمٍّ يا أُمَيْمَةَ ناصِبِ ولَيْلٍ أُقاسِيهِ بَطِيءِ الكَوَاكِبِ[2]

بمعنى : مُنْصِب .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مهدىّ ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش، عن ابراهيم فى قوله (وأرْسَلْنا الرِّياحَ لَوَاقِحَ) قال : تلقح السحاب .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبونعيم ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، مثله .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبوأحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، مثله .

حدثنى يعقوب ، قال: ثنا ابن عُلَيَة، عن أبى رجاء ، عن الحسن ، قوله (وأرْسَلْنا الرِّياحَ لَوَاقِحَ) قال : لواقح للشجر ، قلت : أو للسحاب ، قال : وللسحاب ، تمريه حتى يمطر .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا إسحاق بن سليمان ، عن أبى سنان ، عن حبيب بن أبى ثابت عن عبيد بن عمير ، قال: يبعث الله المبشرة فتقُمّ الأرض قَمًّا ، ثم يبعث الله المُثيرة فتُثير السحاب ، ثم يبعث الله المؤلفة فتؤلِّف السحاب ، ثم يبعث الله اللواقح ، فتُلْقِح الشجر ، ثم تلا عبيد (وأرْسَلْنا الرِّياحَ لَوَاقِحَ) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وأرْسَلْنا الرِّياحَ لَوَاقِحَ) يقول : لواقح للسحاب ، وإن من الريح عذابا ، وإن منها رحمة .

---

(١) البيت لنشهل بن حرى على الأصح ، شاعر مخضرم ، وقد ينسب إلى غيره ، وصوب البغدادى نسبته إلى نهشل . وقد استشهد به أبو عبيدة بهذه الرواية نفسها عند تفسير قوله تعالى : « وأرسلنا الرياح لواقح » قال : مجازها مجاز : ملاقح ، لأن الريح ملقحة السحاب للعرب . وقد تفعل هذا ، فتلقى الميم ، لأنها تعيده إلى أصل الكلام ، كقول نهشل بن حرى يرثى أخاه « ليبك يزيد » . . . الخ البيت ، فحذف الميم ، لأنها المطاوح . وأورد البيت صاحب (اللسان : طيح) باختلاف فى بعض الألفاظ ، قال : وأنشد سيبويه :

لِيَبْكِ يَزِيدُ ضَارِعٌ لِخُصُومَةٍ وَمُخْتَبِطٌ مِمَّا تُطِيحُ الطَّوَائِحُ

وقال (سيبويه) : الطوائح : على حذف الزائد ، أو على النسب قال ابن جنى : أول البيت مبنى على اطراح ذكر الفاعل ، فإن آخره (كذا فى اللسان) قد عوود فيه الحديث على الفاعل ، لأن تقديره فيما بعد : ليبك مختبط مما تطيح الطوائح ، فدل قوله : ليبك (بالبناء للمفعول) على ما أراد من قوله« ليبك » (أى بالبناء للفاعل) . اهـ . والمختبط : الذى يسلك من يسلك من غير معرفة ولا وسيلة بيكمنا . وانظر خزانة الأدب للبغدادى (١ : ١٤٧ – ١٥٢) ففيها كلام كثير فى معنى البيت ، وروايته ، وقائله .

(٢) البيت للنابغة الذبيانى ، وهو مطلع قصيدة له يمدح بها عمرو بن الحارث الأعرج ، بن الحارث الأكبر ، بن أبى شمر ، حين هرب من النعمان بن المنذر . وقد مر شرحنا له فى غير هذا الموضع من التفسير . والشاهد هنا فى قوله « ناصب » أنه بمعنى المنصب . قال فى (اللسان : نصبت) : النصب : الإعياء من العناء . والفعل : نصب الرجل بالكسر : أعيا وتعب . وأنصبه هو ، وأنصبنى هذا الأمر ، وهم ناصب : منصب ، ذو نصب ، مثل تامر ولا بن ، وهو فاعل بمعنى مفعول ، لأنه ينصب فيه ويتعب . قال النابغة : « كلينى لهم يا أميمة ناصب » قال : ناصب : بمعنى منصوب . وقال الأصمعى : ناصب : ذى نصب ، مثل : ليل : نائم ذو نوم ينام فيه ، ورجل دارع : ذو درع . وقال سيبويه : هم ناصب : هو على النسب . وحكى أبو على الفارسى نصبه لهم ، فناصب إذن على الفعل . اهـ . قلت : أيريد بو على الفارسى : أنه اسم فاعل قياسى : جار على فعله ، فليس على النسب إذن ، ولا على التجوز فى الإسناد ، مثل ليل نائم .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (لَوَاقِحَ) قال : تُلْقِح الماء فى السحاب .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن ابن عباس (لَوَاقِحَ) قال : تُلْقِح الشجر وتَمْرِى السحاب .

حُدِّثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، فى قوله (وأَرْسَلْنا الرِّياحَ لَوَاقِحَ) الرياح يبعثها الله على السحاب فتلقحه ، فيمتلئ ماء .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا أحمد بن يونس ، قال : ثنا عبيس بن ميمون ، قال : ثنا أبو المهزّم ، عن أبى هريرة ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « الرِّيحُ الجَنُوبُ مِنَ الجَنَّة ، وَهِيَ الرِّيحُ اللَّوَاقِحُ ، وَهِيَ الَّتى ذَكَرَ اللهُ تَعالى فِى كِتابِهِ (وَفِيها مَنافِعُ لِلنَّاس) » .

حدثنى أبو الجماهر الحمصىّ أوالحضْرمى : محمد بن عبد الرحمن ، قال : ثنا عبد العزيز بن موسى ، قال : ثنا عُبيس بن ميمون أبو عبيدة ، عن أبى المهزّم ، عن أبى هريرة ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكر مثله سواء .

وقوله (فَأَنْزَلْنا مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَسْقَيْناكُمُوهُ) يقول تعالى ذكره : فأنزلنا من السماء مطرا فأسقيناكم ذلك المطر ، لشرب أرضكم ومواشيكم ، ولو كان معناه : أنزلناه لتشربوه ، لقيل : فسقيناكموه . وذلك أن العرب تقول إذا سقت الرجل ماء شربه ، أو لبنا ، أوغيره : سقيته بغير ألف ، إذا كان لسقيه ، وإذا جعلوا له ماء لشرب أرضه أو ماشيته ، قالوا : أسقيته وأسقيت أرضه وماشيته ، وكذلك إذا استسقت له ، قالوا : أسقيته ، واستسقيته . كما قال ذو الرُّمَّة :

وقَفْتُ على رَسْمٍ لِمَيَّةَ ناقَتِى ... فَما زِلْتُ أَبْكِى عِنْدَهُ وأُخاطِبُهْ

وأُسْقِيهِ حتى كادَ مِمَّا أُبُثُّهُ ... تُكَلِّمُنِى أَحْجارُهُ ومَلاعِبُهْ (١)

وكذلك إذا وهبت لرجل إهابا ليجعله سقاء ، قالت : أسقيته إياه .

وقوله (وَما أَنْتُمْ لَهُ بِخازِنِينَ) يقول : ولستم بخازنى الماء الذى أنزلنا من السماء فأسقيناكموه ، فتمنعوه من أسقيه ، لأن ذلك بيدى وإلىّ ، أسقيه من أشاء ، وأمنعه من أشاء .

كما حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال سفيان (وَما أَنْتُمْ لَهُ بِخازِنِينَ) قال : بمانعين .

---

(١) البيتان فى ديوان ذى الرمة (طبعة كيمبردج سنة ١٩١٩ ص ٣٨) وأسقيه : أدعو له بالسقيا ، أقول : سقاك الله . وأبثه : أشكو إليه . وقد استشهد بهذين البيتين أبو عبيدة فى مجاز القرآن (١ : ٣٥٠) على أن يقال : سقيت الرجل ماء ، وشرابا من لبن ، وغير ذلك ، وليس فيه إلا لغة واحدة ، بغير ألف ، إذا كان فى الشفة . وإذا جعلت له شربا (بكسر الشين ، أى ماء لشرب دوابه) فهو : أسقيته ، وأسقيت أرضه وإبله ، لايكون غير هذا ، وكذلك إذا استسقيت له ، كقول ذى الرمة . . . . البيتين ، وهو قريب من كلام المؤلف هنا .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ (٢٣) وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ، وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ (٢٤)

⁂ يقول تعالى ذكره : (وإنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي) من كان ميتا إذا أردنا (وَنُمِيتُ) من كان حيا إذا شئنا (وَنَحْنُ الوَارِثُونَ) يقول : ونحن نرث الأرض ومن عليها، بأن نُميت جميعهم، فلا يبقى حىّ سوانا، إذا جاء ذلك الأجل . وقوله (وَلَقَدْ عَلِمْنَا المُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ، وَلَقَدْ عَلِمْنَا المُسْتَأْخِرِينَ) . اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معنى ذلك : ولقد علمنا من مضى من الأمم ، فتقدّم هلاكهم ، ومن قد خُلِق وهو حىّ ، ومن لم يُخْلَق بعد ممن سيُخلَق .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن أبيه ، عن عكرمة (وَلَقَدْ عَلِمْنَا المُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ، وَلَقَدْ عَلِمْنَا المُسْتَأْخِرِينَ) قال : المستقدمون : من قد خُلِق ومن خلا من الأمم ؛ والمستأخرون : من لم يخلق .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا الحكم ، قال : ثنا عمرو بن قيس ، عن سعيد بن مسروق ، عن عكرمة ، فى قوله (وَلَقَدْ عَلِمْنَا المُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ، وَلَقَدْ عَلِمْنَا المُسْتَأْخِرِينَ) قال : هم خلق الله كلهم ، قد عَلِم من خَلَق منهم إلى اليوم ، وقد عَلِم من هو خالقه بعد اليوم .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن التيمىّ ، عن أبيه ، عن عكرمة ، قال : إن الله خلق الخلق ، ففرغ منهم، فالمستقدمون : من خَرَج من الخلق ، والمستأخرون : من بَقِى فى أصلاب الرجال لم يخرج .

حدثنى محمد بن أبى معشر ، قال : أخبرنى أبو معشر ، قال : سمعت عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، يذاكر محمد بن كعب، فى قول الله : (وَلَقَدْ عَلِمْنَا المُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ، وَلَقَدْ عَلِمْنَا المُسْتَأْخِرِينَ) فقال عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود : خير صفوف الرجال المقدّم ، وشرّ صفوف الرجال الموخَّر ، وخير صفوف النساء المؤخَّر ، وشرّ صفوف النساء المقدّم ؛ فقال محمد بن كعب : ليس هكذا ، ولقد علمنا المستقدمين منكم : الميت والمقتول ، والمستأخرين : من يلحق بهم من بعد ، وإن ربك هو يحشرهم ، إنه حكيم عليم ، فقال عون بن عبد الله : وفقك الله ، وجزاك خيرا !

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر ، عن أبيه ، قال : قال قتادة : المستقدمين : من مضى والمستأخرين : من بقى فى أصلاب الرجال .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا سعيد بن منصور ، قال : ثنا أبو الأحوص ، قال : ثنا سعيد بن

مسروق ، عن عكرمة وخصيف ، عن مجاهد ، فى قوله (وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ ، وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ) قالا : من مات ومن بقى .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ) قال : كان ابن عباس يقول : آدم صلى الله عليه وسلم ، ومن منى من ذرّيته (وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ) : من بقى فى أصلاب الرجال .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ ، وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ) قال : المستقدمون آدم ومن بعده ، حتى نزلت هذه الآية . والمستأخرون : قال : كلّ من كان من ذرّيته .

قال أبو جعفر : أظنه أنا قال : ما لم يُخلَق ، وما هو مخلوق .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن أبيه ، عن عكرمة ، قال : المستقدمون : ماخرج من أصلاب الرجال . والمستأخرون : ما لم يخرج . ثم قرأ (وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ ، إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ) .

وقال آخرون : عنى بالمستقدمين : الذين قد هلكوا ، والمستأخرين : الأحياء الذين لم يَهْلِكوا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ ، وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ) يعنى بالمستقدمين : من مات ، ويعنى بالمستأخرين : من هو حىّ لم يمت .

حُدّثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ) يعنى : الأموات منكم ، (وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ) : بقيتهم ، وهم الأحياء ، يقول : علمنا من مات ومن بقى .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ ، وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ) قال : المستقدمون منكم : الذين مضَوا فى أوّل الأمم ، والمستأخرون : الباقون .

وقال آخرون : بل معناه : ولقد علمنا المستقدمين فى أوّل الخلق ، والمستأخرين فى آخرهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا عبد الوهاب ، قال : ثنا داود ، عن عامر فى هذه الآية (وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ ، وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ) قال : قال : أوّل الخلق وآخره .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا ابن أبى عدىّ ، عن داود ، عن الشعبىّ ، فى قوله (وَلَقَدْ عَلِمْنَا

الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ ، وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ) : ما استقدم فى أوّل الخلق ، وما استأخر فى آخر الخلق .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا علىّ بن عاصم ، عن داود بن أبى هند ، عن عامر ، فى قوله : (وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ) قال : فى العصر ، والمستأخرين منكم فى أصلاب الرجال ، وأرحام النساء .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : ولقد علمنا المستقدمين من الأمم ، والمستأخرين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : أخبرنا ورقاء ؛ وحدثنى المثنى ، قال : أخبرنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : المستقدمين منكم ، قال : القرون الأوّل ، والمستأخرين : أمة محمد صلى الله عليه وسلم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا محمد بن عبيد ، قال : ثنى عبد الملك ، عن قيس ، عن مجاهد ، فى قوله (وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ ، وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ) قال : المستقدمون : ما مضى من الأمم ، والمستأخرون : أمة محمد صلى الله عليه وسلم .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن عبد الملك ، عن قيس ، عن مجاهد ، بنحوه .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثورىّ ، عن عبد الملك عن مجاهد بنحوه ، ولم يذكر قيسا .

وقال آخرون : بل معناه : ولقد علمنا المستقدمين منكم فى الخير ، والمستأخرين عنه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ ، وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ) قال : كان الحسن يقول : المستقدمون فى طاعة الله ، والمستأخرون فى معصية الله .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن عباد بن راشد ، عن الحسن ، قال : المستقدمين فى الخير ، والمستأخرين : يقول : المبطئين عنه .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : ولقد علمنا المستقدمين منكم فى الصفوف فى الصلاة ، والمستأخرين فيها ، بسبب النساء .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر بن سليمان ، عن أبيه ، عن رجل أخبرنا عن مروان بن الحكم ، أنه قال : كان أناس يستأخرون فى الصفوف من أجل النساء ، قال : فأنزل الله : (وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ ، وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ) .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا جعفر بن سليمان ، قال : أخبرنى عمرو بن مالك ، قال : سمعت أبا الجوزاء يقول فى قول الله (وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ ، وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ) قال : المستقدمين منكم فى الصفوف فى الصلاة والمستأخرين .

حدثنى محمد بن موسى الحرسى ، قال : ثنا نوح بن قيس ، قال : ثنا عمرو بن مالك ، عن أبى الجوزاء عن ابن عباس ، قال : كانت تصلى خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة ، قال ابن عباس : لا والله ما إن رأيت مثلها قطّ ، فكان بعض المسلمين إذا صلّوا استقدموا ، وبعض يستأخرون ، فإذا سجدوا نظروا إليها من تحت أيديهم ، فأنزل الله : (وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ ، وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ).

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عبيد الله بن موسى ، قال : أخبرنا نوح بن قيس ؛ وحدثنا أبو كريب ، قال ثنا مالك بن إسماعيل ، قال : ثنا نوح بن قيس ، عن عمرو بن مالك ، عن أبى الجوزاء ، عن ابن عباس قال : كانت تصلى خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة حسناء من أحسن الناس ، فكان بعض الناس يستقدم فى الصفّ الأوّل ، لئلا يراها ، ويستأخر بعضهم ، حتى يكون فى الصفّ المؤخر ، فإذا ركع نظر من تحت إبطيه فى الصفّ ، فأنزل الله فى شأنها (وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ) .

⁂ قال أبو جعفر : وأولى الأقوال عندى فى ذلك بالصحة : قول من قال : معنى ذلك : ولقد علمنا الأموات منكم يابنى آدم ، فتقدّم موته ، ولقد علمنا المستأخرين ، الذين استأخر موتهم ، ممن هو حىّ ، ومن هو حادث منكم ، ممن لم يحدث بعدُ ، لدلالة ماقبله من الكلام ، وهو قوله (وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ ، وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ) ، ومابعده ، وهو قوله (وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ) ، على أن ذلك كذلك ، إذ كان بين هذين الخبرين ، ولم يجر قبل ذلك من الكلام ما يدلّ على خلافه ، ولا جاء بعد ، وجائز أن تكون نزلت فى شأن المستقدمين فى الصفّ ، لشأن النساء ، والمستأخرين فيه لذلك ، ثم يكون الله عزّ وجلّ عمّ بالمعنى المراد منه جميع الخلق ، فقال جلّ ثناؤه لهم : قد علمنا ما مضى من الخلق وأحصيناهم ، وما كانوا يعملون ، ومن هو حىّ منكم ، ومن هو حادث بعدكم أيها الناس ، وأعمال جميعكم خيرها وشرّها ، وأحصينا جميع ذلك ، ونحن نحشر جميعهم ، فنجازى كلا بأعماله ، إن خيرا فخيرا ، وإن شرّا فشرّا ، فيكون ذلك تهديدا ووعيدا للمستأخرين فى الصفوف لشأن النساء ، ولكلّ من تعدّى حدّ الله ، وعمل بغير ما أذن له به ، ووعدا لمن تقدّم فى الصفوف لسبب النساء ، وسارع إلى محبة الله ورضوانه فى أفعاله كلها .

وقوله (وإنّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ) : يعنى بذلك جلّ ثناؤه : وإن ربك يامحمد هو يجمع جميع الأوّلين

والآخرين عنده يوم القيامة، أهل الطاعة منهم والمعصية، وكلّ أحد من خلقه: المستقدمين منهم والمستأخرين، وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال: ثنا سعيد ، عن قتادة: (وإنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ) قال: أى الأوّل والآخر .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا أبو خالد القرشىّ ، قال : ثنا سفيان ، عن أبيه ، عن عكرمة ، فى قوله (وَإنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ) قال : هذا من هاهنا ، وهذا من هاهنا .

حدثنا القاسم ، قال: ثنا الحسين ، قال: ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء الخراسانىّ ، عن ابن عباس (وَإنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ) قال : وكلهم ميت ، ثم يحشرهم ربهم .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا علىّ بن عاصم ، عن داود بن أبى هند ، عن عامر (وإنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ) قال : يجمعهم الله يوم القيامة جميعا ، قال الحسن: قال علىّ: قال داود: سمعت عامرا يفسر قوله (إنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ) يقول : إن ربك حكيم فى تدبيره خلقه فى إحيائهم إذا أحياهم ، وفى إماتتهم إذا أماتهم ، عليم بعددهم وأعمالهم ، وبالحىّ منهم والميت ، والمستقدم منهم والمستأخر .

كما حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال: ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : كلّ أولئك قد علمهم الله ، يعنى المستقدمين والمستأخرين .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ (٢٦)

يقول تعالى ذكره: ولقد خلقنا آدم وهو الإنسان من صلصال . واختلف أهل التأويل فى معنى الصلصال ، فقال بعضهم : هو الطين اليابس لم تصبه نار ، فإذا نقرتَه صَلّ ، فسمعت له صلصلة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى بن سعيد وعبد الرحمن بن مهدىّ ، قالا : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن مسلم البطين ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : خلق آدم من صلصال من حمأ ومن طين لازب ، وأما اللازب : فالجيد ، وأما الحَمأ: فالحمأة . وأما الصَّلصال : فالتراب المرقّق ، وإنما سمى إنسانا لأنه عهد إليه فنسى .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإنْسانَ مِنْ صَلْصَالٍ) قال : والصلصال : التراب اليابس ، الذى يسمع له صلصلة .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حمأٍ مَسْنُونٍ) قال : الصلصال : الطين اليابس ، يسمع له صلصلة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا حميد بن عبد الرحمن ، عن الحسن بن صالح ، عن مسلم ، عن مجاهد ، عن ابن عباس (مِنْ صَلْصَالٍ) قال : الصلصال : الماء يقع على الأرض الطيبة ، ثم يحسِرُ عنها ، فتشقق ، ثم تصير مثل الخزَف الرقاق .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن مسلم ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : خُلق الإنسان من ثلاثة : من طين لازب ، وصلصال ، وحمأ مسنون . والطين اللازب : اللازق الجيد ، والصلصال : المرقّق الذى يصنع منه الفخار ، والمسنون : الطين فيه الحَمْأة .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإنْسانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَأٍ مَسْنُونٍ) قال : هو التراب اليابس ، الذى يُبَلّ بعد يُبْسه .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن مسلم ، عن مجاهد ، قال : الصلصال : الذى يصلصل ، مثل الخزَف من الطين الطيب .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك ، يقول : الصلصال : طين صُلْب يخالطه الكثيب .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (مِنْ صَلْصَالٍ) قال : التراب اليابس .

وقال آخرون : الصلصال : المُنْتِن . وكأنهم وجّهوا ذلك إلى أنه من قولهم : صَلّ اللحم وأَصَلّ : إذا أنتن ، يقال ذلك باللغتين كلتيهما : بفَعَل ، وأَفْعَل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ؛ وحدثنى الحارث قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثنا الحسن ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثنى المثنى قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (مِنْ صَلْصَالٍ) الصلصال : المنتن .

⁂ والذى هو أولى بتأويل الآية : أن يكون الصّلصال فى هذا الموضع : الذى له صوت ، من الصلصلة ، وذلك أن الله تعالى وصفه فى موضع آخر ، فقال : (خَلَقَ الإنْسانَ مِنْ صَلْصَالٍ كالفَخّارِ) ، فشبهه تعالى ذكره بأنه كان كالفخّار فى يُبسه ، ولو كان معناه فى ذلك المُنتِن ، لم يشبهه بالفخار ، لأن الفخار ليس بمنتن ، فيشبّه به فى النّتْن غيره .

وأما قوله (مِنْ حَمَأٍ مَسْنُونٍ) فإن الحَمَأ : جمع حَمْأة ، وهو الطين المتغيِّر إلى السواد . وقوله (مَسْنُونٍ) يعنى : المتغير .

واختلف أهل العلم بكلام العرب فى معنى قوله (مَسْنُونٍ) ، فكان بعض نحوِيّى البصريين يقول : عنى

به : حمأ مصوّر تامّ . وذُكر عن العرب أنهم قالوا : سُنّ ، على مثال سُنَّة الوجه : أى صورته . قال : وكأن سُنة الشىء من ذلك : أى مثالُه الذى وُضع عليه . قال : وليس من الآسن المتغير ، لأنه من سَنَن مضاعف .

وقال آخر منهم : هو الحَمأ المصبوب . قال : والمصبوب : المسنون ، وهو من قولهم : سَنَنْت الماء على الوجه وغيره : إذا صببته .

وكان بعض أهل الكوفة يقول : هو المتغير ، قال : كأنه أخذ من سَنَنْت الحجرَ على الحجر ، وذلك أن يحكّ أحدهما بالآخر ، يقال منه : سننته أَسُنُه سَنًّا فهو مسنون . قال : ويقال للذى يخرج من بينهما : سَنِين ، ويكون ذلك مُنْتنا ، وقال منه : سُمِّى المِسَنّ ، لأن الحديد يُسَنّ عليه . وأما أهل التأويل ، فإنهم قالوا فى ذلك نحو ماقلنا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا عبيد الله بن يوسف الجُبَيْرِىّ ، قال : ثنا محمد بن كثير ، قال : ثنا مسلم ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، فى قوله (مِنْ حَمَأٍ مَسْنُونٍ) قال : الحَمأ : المنتنة .

حدثنى يحيى بن إبراهيم المسعودى ، قال : ثنا أبى ، عن أبيه ، عن جدّه ، عن الأعمش ، عن مسلم ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس (مِنْ حَمَأٍ مَسْنُونٍ) قال : الذى قد أنتن .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عثمان بن سعيد ، قال : ثنا بشر بن عُمارة ، عن أبى رَوق ، عن الضحاك عن ابن عباس (مِنْ حَمَأٍ مَسْنُونٍ) قال : مُنْتِن .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (مِنْ حَمَأٍ مَسْنُونٍ) قال : هو التراب المبتلّ المنتنُ ، فجعل صَلصالا كالفَخار .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثنا الحسن ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا شبل جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (مِنْ حَمَأٍ مَسْنُونٍ) قال : منتن .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (مِنْ حَمَأٍ مَسْنُونٍ) والحَمأ المسنون : الذى قد تغير وأنتن .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر (مِنْ حَمَأٍ مَسْنُونٍ) قال : قد أنتن ، قال : منتنة .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : ثنا هُشَيم ، عن جويبر ، عن الضحاك ، فى قوله (مِنْ حَمَأٍ مَسْنُونٍ) قال : من طين لازب ، وهو اللازق من الكثيب : وهو الرمل .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (مِنْ حَمَأٍ مَسْنُونٍ) قال : الحَمأ المنتن .

وقال آخرون منهم فى ذلك : هو الطين الرَّطْب .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (مِنْ حَمَأٍ مَسْنُونٍ) يقول : من طين رَطب .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَالْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِنْ قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ (٢٧)

⁂ يقول تعالى ذكره (والجانّ) وقد بيّنا فيما مضى معنى الجانّ ، ولم قيل له جانّ . وعنى بالجانّ ههنا : إبليس أبا الجنّ ، يقول تعالى ذكره : وإبليس خلقناه من قبل الإنسان من نار السموم .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (والجانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ) وهو إبليس خُلق قبل آدم ، وإنما خلق آدم آخر الخلق ، فحسده عدوّ الله إبليس ، على ما أعطاه الله من الكرامة ، فقال : أنا ناريّ ، وهذا طينىّ ، فكانت السجدة لآدم ، والطاعة لله تعالى ذكره ، فقال (اخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ) .

واختلف أهل التأويل فى معنى (نارِ السَّمُومِ) فقال بعضهم : هى السّموم الحارّة التى تقتل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن آدم ، عن شريك ، عن أبى إسحاق ، عن التميمىّ ، عن ابن عباس فى قوله (والجانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نارِ السَّمُومِ) ، قال : السموم : الحارّة التى تقتل .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا الحِمَّانِىّ ، قال : ثنا شريك ، عن أبى إسحاق التميمىّ ، عن ابن عباس (والجانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نارِ السَّمُومِ) قال : هى السموم التى تقتل ، فأصابها إعصار فيه نار فاحترقت ، قال : هى السموم التى تقتل .

وقال آخرون : يعنى بذلك من لهب النار .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مَغْرَاء ، عن جويبر ، عن الضحاك ، فى قوله (والجانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نارِ السَّمُومِ) قال : من لَهَب من نار السموم .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عثمان ، عن سعيد ، قال : ثنا بشر بن عُمارة ، عن أبى رَوق ، عن الضحاك عن ابن عباس ، قال : كان إبليس من حىّ من أحياء الملائكة ، يقال لهم الجنّ ، خُلقوا من نار السموم ، من بين الملائكة ، قال : وخُلقت الجنّ الذين ذُكروا فى القرآن من مارج من نار .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا أبو داود ، قال : ثنا شعبة ، عن أبى إسحاق ، قال : دخلت على عمرو بن الأصمّ أعوده ، فقال : ألا أحدّثك حديثا سمعته من عبد الله ؟ سمعت عبد الله يقول : هذه السّموم جزء من سبعين جزءا من السموم التى خرج منها الجانّ ، قال : وتلا (وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ

نارِ السَّمُومِ) . وكان بعض أهل العربية يقول : السموم بالليل والنهار . وقال بعضهم : الحَرُور : بالنهار ، والسموم : بالليل ، يقال : سَمَّ يومُنا يَسَمُّ سَمُوماً .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا محمد بن سهل بن عسكر ، قال : ثنا إسماعيل بن عبد الكريم ، قال : ثنى عبد الصمد بن معقل ، قال : سمعت وهب بن منبه ، وسئل عن الجنّ ماهم ، وهل يأكلون أو يشربون ، أو يموتون ، أو يتناكحون ؟ قال : هم أجناس ، فأما خالص الجنّ ، فهم ريح لايأكلون ولا يشربون ، ولا يموتون ولايتوالدون ؛ ومنهم أجناس يأكلون ويشربون ويتناكحون ويموتون ، وهى هذه التى منها السعالى والغُول وأشباه ذلك .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ، إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ (٢٨) فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى ، فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ (٢٩)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : واذكر يا محمد (إذْ قالَ رَبُّكَ للْمَلائِكَةِ إنّى خالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَأٍ مَسْنُونٍ ، فإذَا سَوَّيْتُهُ) يقول : فإذا صوّرته فعدّلت صورته (وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِى) فصار بشرا حيا (فَقَعُوا لَهُ ساجِدِينَ) سجود تحية وتكرمة ، لاسجود عبادة.

وقد حدثنى جعفر بن مكرم ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا شبيب بن بشر ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : لما خلق الله الملائكة قال : إنى خالق بشرا من طين ، فإذا أنا خلقته فاسجدوا له ، فقالوا : لانفعل ، فأرسل عليهم نارا فأحرقتهم ، وخلق ملائكة أخرى ، فقال : إنى خالق بشرا من طين ، فإذا أنا خلقته فاسجدوا له ، فأبَوا ؛ قال : فأرسل عليهم نارا فأحرقتهم ؛ ثم خلق ملائكة أخرى ، فقال : إنى خالق بشرا من طين ، فإذا أنا خلقته فاسجدوا له ، فأبَوا ، فأرسل عليهم نارا فأحرقتهم ؛ ثم خلق ملائكة ، فقال : إنى خالق بشرا من طين ، فإذا أنا خلقته فاسجدوا له ، فقالوا : سمعنا وأطعنا ، إلا إبليس كان من الكافرين الأوّلين .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَسَجَدَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (٣٠) إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ (٣١) ، قَالَ : يَـٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ (٣٢)

يقول تعالى ذكره : فلما خلق الله ذلك البشر ، ونفخ فيه الروح بعد أن سوّاه ، سجد الملائكة كلهم جميعا ، إلا إبليس ، فإنه أبى أن يكون مع الساجدين ، فى سجودهم لآدم حين سجدوا ، فلم يسجد له معهم تكبرا وحسدا

وبغيا ، فقال الله تعالى ذكره : يا إبليس مالك ألا تكون مع الساجدين : يقول : ما منعك من أن تكون مع الساجدين ؛ فأن فى قول بعض نحوى الكوفة خفض ، وفى قول بعض أهل البصرة نصب بفقد الخافض .

القول فى تأويل قوله تعالى

قَالَ : لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِن صَلْصَلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ (٣٣) قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ (٣٤) وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ (٣٥)

يقول تعالى ذكره (قالَ) إبليس (لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَأٍ مَسْنُونٍ) وهو من طين وأنا من نار ، والنار تأكل الطين . وقوله (فاخْرُجْ مِنْها) يقول الله تعالى ذكره لإبليس : (فاخْرُجْ مِنْها ، فإنَّكَ رَجِيمٌ)

والرجيم المرجوم ، صرف من مفعول إلى فعيل وهو المشتوم ، كذلك قال جماعة من أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فإنَّكَ رَجِيمٌ) والرجيم : الملعون .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (فاخْرُجْ مِنْها فإنَّكَ رَجِيمٌ) قال : ملعون . والرجم فى القرآن : الشتم .

وقوله (وَإنَّ عَلَيْكَ اللعْنَةَ إلى يَوْمِ الدينِ) يقول : وإن غضب الله عليك بإخراجه إياك من السموات ، وطردك عنها : إلى يوم المجازاة ، وذلك يوم القيامة . وقد بيَّنا معنى اللعنة فى غير موضع ، بما أغنى عن إعادته ههنا .

القول فى تأويل قوله تعالى

قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ (٣٦) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ (٣٧) إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ (٣٨)

يقول تعالى ذكره : قال إبليس : ربّ فإذ أخرجتنى من السموات ولعنتنى ، فأخِّرنى إلى يوم تبعث خلقك من قبورهم ، فتحشرهم لموقف القيامة ، قال الله له : فإنك ممن أُخِّر هلاكُه إلى يوم الوقت المعلوم لهلاك جميع خلقى ، وذلك حين لايبقى على الأرض من بنى آدم دَيَّار .

القول فى تأويل قوله تعالى

قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٣٩) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (٤٠)

* يقول تعالى ذكره : قال إبليس (رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي) بإغوائك (لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ) ، وكأن قوله (بِمَا أَغْوَيْتَنِي) خرّج مخرج القسم ، كما يقال : بالله ، أو بعزّة الله لأغوينهم . وعنى بقوله (لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ) : لأحسّنّ لهم معاصيك ، ولأحبّبنها إليهم فى الأرض (وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ يقول : (ولأضلّنهم) عن سبيل الرشاد (إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ) يقول : إلا من أخلصته بتوفيقك فهديته ، فإن ذلك ممن لاسلطان لى عليه ولا طاقة لى به . وقد قرئ (إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلِصِينَ) فمن قرأ ذلك كذلك ، فإنه يعنى به : إلا من أخلص طاعتك ، فإنه لاسبيل لى عليه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا أبو زهير ، عن جويبر ، عن الضحاك (إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلِصِينَ)يعنى : المؤمنين .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا هشام ، قال : ثنا عمرو ، عن سعيد ، عن قتادة (إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ) قال قتادة : هذه ثَنِيَّة الله تعالى ذكره .

القول فى تأويل قوله تعالى

قَالَ ، هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ (٤١) إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ (٤٢)

اختلفت القرّاء فى قراءة قوله (قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ) فقرأه عامّة قرّاء الحجاز والمدينة والكوفة والبصرة (هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ) بمعنى : هذا طريق إلىّ مستقيم .

فكان معنى الكلام : هذا طريق مرجعه إلىّ ، فأجازى كلاّ بأعمالهم ، كما قال الله تعالى ذكره (إن رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ)، وذلك نظير قول القائل لمن يتوعّده ويتهدّده : طريقك علىّ ، وأنا على طريقك ، فكذلك قوله : (هَذَا صِرَاطٌ) معناه : هذا طريق علىّ ، وهذا طريق إلىّ . وكذلك تأوّل من قرأ ذلك كذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثنى الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حُذيفة ، قال : ثنا شبل ؛ وحدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، جميعا عن ابن نجيح ، عن مجاهد ، قوله (هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ) قال : الحقّ يرجع إلى الله ، وعليه طريقه ، لايعرّج على شىء .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، بنحوه .

حدثنا أحمد بن يوسف ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا مَرْوان بن شجاع ، عن خَصِيف ، عن زياد بن أبي مريم ، وعبد الله بن كثير : أنهما قرآها (هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ) وقالا : عليّ : هي إليّ وبمنزلتها .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عبد الوهاب بن عطاء ، عن إسماعيل بن مسلم ، عن الحسن وسعيد عن قتادة ، عن الحسن (هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ) يقول : إليّ مستقيم . وقرأ ذلك قيس بن عباد وابن سيرين وقتادة فيما ذُكر عنهم : (هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ) برفع عليّ ، على أنه نعت للصراط ، بمعنى : رفيع .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبي حماد ، قال : ثني جعفر البصريّ ، عن ابن سيرين أنه كان يقرأ (هَذَا صِرَاطٌ عَلِيٌّ مُسْتَقِيمٌ) يعني : رفيع .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (هَذَا صِرَاطٌ عَلِيٌّ مُسْتَقِيمٌ) أي رفيع مستقيم ، قال بشر ، قال يزيد ، قال سعيد : هكذا نقرؤها نحن وقتادة .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عبد الوهاب ، عن هارون ، عن أبي العوّام ، عن قتادة ، عن قيس ابن عباد (هَذَا صِرَاطٌ عَلِيٌّ مُسْتَقِيمٌ) يقول : رَفيع

⁂ والصواب من القراءة في ذلك عندنا : قراءة من قرأ (هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ) على التأويل الذي ذكرناه عن مجاهد والحسن البصريّ ، ومن وافقهما عليه ، لإجماع الحجة من القرّاء عليها ، وشذوذ ماخالفها .

وقوله (إنَّ عِبادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطانٌ ، إلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الغاوِينَ) يقول تعالى ذكره : إن عبادي ليس لك عليهم حجة ، إلا من اتبعك على مادعوته إليه من الضلالة ، ممن غوى وهلك .

حدثني المثنى ، قال : ثنا سُويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن عبيد الله بن موهب ، قال ثنا يزيدُ بن قسيط ، قال : كانت الأنبياء لهم مساجد خارجة من قُراهم ، فإذا أراد النبيّ أن يستنبئ ربه عن شيء ، خرج إلى مسجده ، فصلّى ما كتب الله له ، ثم سأل ما بدا له ، فبينما نبيّ في مسجده ، إذ جاء عدوّ الله ، حتى جلس بينه وبين القبلة ، فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم : أعُوذُ بالله مِنَ الشَّيْطانِ الرَّجِيمِ ، فقال عدوّ الله أرأيت الذي تعَوَّذ منه فهو هو ، فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم : أعُوذُ بالله مِنَ الشَّيْطانِ الرَّجِيمِ ، فردّد ذلك ثلاث مرّات ، فقال عدوّ الله : أخبرني بأيّ شيء تنجو مني ، فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم : بَل أخْبِرْنِي بأيّ شَيْءٍ تَغْلِبُ ابْنَ آدَمَ ، مرّتين ، فأخذ كلّ واحد منهما على صاحبه ، فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم : إنَّ اللهَ تَعالى ذِكْرُهُ يَقُولُ (إنَّ عِبادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطانٌ ، إلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الغاوِينَ) قال عدوّ الله : قد سمعت هذا قبل أن تولَد ، قال النبيّ صلى الله عليه وسلم : ويقول الله تعالى ذِكْرُهُ : (وإمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطانِ نَزْغٌ فاسْتَعِذْ بالله ، إنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) ، وإنّي والله ما أحْسَسْتُ بِكَ قَطُّ إلاَّ اسْتَعَذْتُ بالله مِنْكَ ، فقال عدوّ الله : صدقت ، بهذا تنجو مني ، فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم : فأخْبِرْنِي بأيّ شَيْءٍ تَغْلِبُ ابْنَ آدَمَ ؟ قال : آخذه عند الغضب ، وعند الهوى

القول فى تأويل قوله تعالى

وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ (٤٣) لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ، لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ (٤٤)

يقول تعالى ذكره لإبليس : وإن جهنم لموعد من تبعك أجمعين (لها سبعةُ أبوابٍ) يقول : لجهنم سبعة أطباق ، لكلّ طَبَقٍ منهم : يعنى من أتباع إبليس جزء ، يعنى : قسما ونصيبا مقسوما .

وذُكر أن أبواب جهنم طبقات بعضها فوق بعض .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، قال : سمعت أبا هارون الغنوىّ ، قال : سمعت حِطان ، قال : سمعت عليا وهو يخطب ، قال : إن أبواب جهنم هكذا ، ووضع شُعبة إحدى يديه على الأخرى .

حدثنى يعقوب ، قال : نا ابن عُلَية ، عن أبى هارون الغَنوىّ ، عن حِطّان بن عبد الله ، قال : قال علىّ : تدرون كيف أبواب النار ؟ قلنا : نعم كنحو هذه الأبواب ، فقال : لا ، ولكنها هكذا ، فوصف أبو هارون أطباقا بعضها فوق بعض ، وفعل ذلك أبو بشر .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا إسماعيل بن إبراهيم ، عن أبى هارون الغَنوى ، عن حِطان بن عبد الله عن علىّ ، قال : هل تدرون كيف أبواب النار ؟ قالوا : كنحو هذه الأبواب ، قال : لا ، ولكن هكذا ووصف ، بعضها فوق بعض .

حدثنا هارون بن إسحاق ، قال : ثنا مصعب بن المِقْدام ، قال : أخبرنا إسرائيل ، قال : ثنا أبو إسحاق ، عن هُبيرة ، عن علىّ ، قال : أبواب جهنم سبعة بعضها فوق بعض ، فيمتلئ الأوّل ، ثم الثانى ، ثم الثالث ، ثم تمتلئ كلها .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبى إسحاق ، عن هبيرة ، عن علىّ قال : أبواب جهنم سبعة ، بعضها فوق بعض ، وأشار بأصابعه على الأوّل ، ثم الثانى ، ثم الثالث ، حتى تملأ كلها .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا يونس بن أبى إسحاق ، عن أبيه ، عن هبيرة ابن مَرْيم ، قال : سمعت عليا يقول : إن أبواب جهنم بعضها فوق بعض ، فيُملأ الأوّل ثم الذى يليه ، إلى آخرها .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا علىّ ، قال : أخبرنا محمد بن يزيد الواسطىّ ، عن جَهْضَم ، قال : سمعت عكرمة يقول فى قوله (لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ) قال : لها سبعة أطباق .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ) قال : أوّلها جهنم ، ثم لَظَى ، ثم الحُطَمة ، ثم السَّعير ، ثم سَقَر ، ثم الجحيم ، ثم الهاوية . والجحيم فيها أبو جهل .

حدثنا بشر، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة، قوله (لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ، لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ) وهى والله منازل بأعمالهم .

القول فى تأويل قوله تعالى

إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٤٥) ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ (٤٦) وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ (٤٧)

⁂ يقول تعالى ذكره : إن الذين اتقوا الله بطاعته وخافوه ، فتجنبوا معاصيه فى جنات وعيون ، يقال لهم : (ادْخُلُوها بِسَلامٍ آمِنِينَ) من عقاب الله، أو أن تُسلَبوا أنعمة نعمها الله عليكم ، وكرامة أكرمكم بها . قوله (وَنَزَعْنا ما فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ) يقول : وأخرجنا ما فى صدور هؤلاء المتقين الذين وصف صفتهم ، من حقد وضغينة ، بعضهم لبعض .

⁂ واختلف أهل التأويل فى الحال التى ينزع الله ذلك من صدورهم ، فقال بعضهم : ينزع ذلك بعد دخولهم الجنة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو غسان ، قال : ثنا إسرائيل ، عن بشر البصرىّ ، عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبى أُمامة ، قال : يدخل أهل الجنة الجنة، على ما فى صدورهم فى الدنيا من الشَّحْناء والضغائن حتى إذا توافَوا وتقابلوا، نزع الله ما فى صدورهم فى الدنيا من غِلٍّ ، ثم قرأ (وَنَزَعْنا ما فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ).

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو فضالة ، عن لقمان ، عن أبى أمامة ، قال : لايدخل مؤمن الجنة حتى ينزع الله ما فى صدورهم من غلّ ، ثم ينزع منه السبع الضارى .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا الحجاج بن المنهال ، قال : ثنا سفيان بن عيينة ، عن إسرائيل ، عن أبى موسى سمع الحسن البصرىّ يقول : قال علىّ : فينا والله أهلَ بدر نزلت الآية (وَنَزَعْنا ما فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَاناً على سُرُرٍ مُتَقابِلِينَ) .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن الزُّبير ، عن ابن عيينة (وَنَزَعْنا ما فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ) قال : من عداوة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا محمد بن يزيد الواسطىّ ، عن جويبر ، عن الضحاك (وَنَزَعْنا ما فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ) قال : العداوة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن فضيل ، عن عطاء بن السائب ، عن رجل ، عن علىّ (وَنَزَعْنا ما فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ) قال : العداوة .

حدثنا ابن وكيع ، قال ثنا أبى ، عن سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم ، قال : جاء ابن جُرْموز

قاتل الزبير يستأذن على علىّ ، فحجبه طويلا ، ثم أذن له فقال له : أما أهل البلاء فتجفوهم ، قال علىّ : بفيك التراب ؛ إنى لأرجو أن أكون أنا وطلحة والزبير ممن قال الله : (وَنَزَعْنا ما فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَاناً عَلى سُرُرٍ مُتَقابِلِينَ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن جعفر ، عن علىّ نحوه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن أبان بن عبد الله البجلى ، عن نعيم بن أبى هند ، عن رِبْعِىّ بن حِرَاش ، بنحوه . وزاد فيه : قال : فقام إلى علىّ رجل من هَمْدان ، فقال الله أعدل من ذلك يا أمير المؤمنين . قال : فصاح علىّ صيحة ظننت أن القصر تدهده لها ، ثم قال : إذا لم نكن نحن ، فمن هم ؟

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا أبو معاوية الضرير ، قال : ثنا أبو مالك الأشجعىّ ، عن أبى حبيبة مولى لطلحة ، قال : دخل عمران بن طلحة على علىّ بعد ما فرغ من أصحاب الجمل ، فرحّب به وقال : إنى لأرجو أن يجعلنى الله وأباك من الذين قال الله (إِخْوَاناً عَلى سُرُرٍ مُتَقابِلِينَ) ورجلان جالسان على ناحية البساط ، فقالا : الله أعدل من ذلك ، تقتلهم بالأمس ، وتكونون إخوانا ؟ فقال علىّ : قوما أبعدَ أرض وأسحقَها ، فمن هم إذن إن لم أكن أنا وطلحة ، وذكر لنا أبو معاوية الحديث بطوله .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عفان ، قال : ثنا عبد الواحد ، قال : ثنا أبو مالك ، قال : ثنا أبو حبيبة ، قال : قال علىّ لابن طلحة : إنى لأرجو أن يجعلنى الله وأباك من الذين نَزَعَ ما فى صدورهم من غلّ ، ويجعلنا إخوانا على سرر متقابلين .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا حماد بن خالد الخياط ، عن أبى الجُوَيرية ، قال : ثنا معاوية بن إسحاق ، عن عمران بن طلحة ، قال : لما نظرنى علىّ قال : مرحبا بابن أخى ، فذكر نحوه .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا يزيد بن هارون ، قال : أخبرنا هشام ، عن محمد ، قال : استأذن الأشتر على علىّ وعنده ابن لطلحة ، فحبسه ، ثم أذن له ، فلما دخل قال : إنى لأراك إنما حبستنى لهذا ، قال : أَجَل ، قال : إنى لأراه لو كان عندك ابن لعثمان لحبستنى ، قال : أَجَل ، إنى لأرجو أن أكون أنا وعثمان ممن قال الله (وَنَزَعْنا ما فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَاناً عَلى سُرُرٍ مُتَقابِلِينَ) .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا إسحاق الأزرق ، قال : أخبرنا عوف ، عن ابن سيرين ، بنحوه .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا يعقوب بن إسحاق الحضرمىّ ، قال : ثنا السكن بن المغيرة ، قال : ثنا معاوية ابن راشد ، قال : قال علىّ : إنى لأرجو أن أكون أنا وعثمان ممن قال الله (وَنَزَعْنا ما فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَاناً عَلى سُرُرٍ مُتَقابِلِينَ) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : ثنا ابن المتوكل الناجى : أن أباسعيد الخُدرىّ حدثهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يَخْلُصُ المُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ ، فَيُحْبَسُونَ على قَنْطَرَةٍ بينَ الجَنَّةِ والنَّارِ ، فَيُقْتَصُّ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ مَظالِمَ كانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيا ، حتى إذا هُذِّبُوا ، ونُقُّوا أُذِنَ لَهُمْ فى دُخُولِ الجَنَّةِ ، قالَ : فَوالَّذِى نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ ،

لأحدهم أهدى بمنزله فى الجنة ، منه بمنزله الذى كان فى الدنيا » . وقال بعضهم : ما يشبّه بهم إلا أهل جمعة انصرفوا من جمعتهم .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عفان بن مسلم ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، قال : ثنا سعيد بن أبى عروبة فى هذه الآية (ونزعنا ما فى صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين) قال : ثنا قتادة ، أن أبا المتوكل الناجى حدثهم ، أن أبا سعيد الخدرى حدثهم ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر نحوه ، إلى قوله « وأذن لهم فى دخول الجنة » ثم جعل سائر الكلام عن قتادة ، قال : وقال قتادة : فوالذى نفسى بيده لأحدهم أهدى بمنزله ، ثم ذكر باقى الحديث نحو حديث بشر ، غير أن الكلام إلى آخره عن قتادة ، سوى أنه قال فى حديثه : قال قتادة وقال بعضهم : ما يشبّه بهم إلا أهل الجمعة إذا انصرفوا من الجمعة .

حدثنى نصر بن عبد الرحمن الأودى ، قال : ثنا عمر بن زرعة ، عن محمد بن إسماعيل الزبيدى ، عن كثير النواء ، قال : سمعته يقول : دخلت على أبى جعفر محمد بن على ، فقلت : ولى وليكم ، وسلمى سلمكم ، وعدوى عدوكم ، وحربى حربكم ، إنى أسألك بالله ، أتبرأ من أبى بكر وعمر ، فقال : قد ضللت إذا وما أنا من المهتدين ، نولهما يا كثير ، فما أدركك فهو فى رقبتى ، ثم تلا هذه الآية (إخوانا على سرر متقابلين) يقول : إخوانا يقابل بعضهم وجه بعض ، لا يستدبره فينظر فى قفاه ، وكذلك تأوله أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، قال : ثنا حصين ، عن مجاهد ، فى قوله (على سرر متقابلين) قال : لا ينظر أحدهم فى قفا صاحبه .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى وعبد الرحمن ومؤمل ، قالوا : ثنا سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله . والسرر : جمع سرير ، كما الجدد : جمع جديد . وجمع سررا ، وأظهر التضعيف فيها ، والراءان متحركتان لخفة الأسماء ، ولا تفعل ذلك فى الأفعال لثقل الأفعال ، ولكنهم يدغمون فى الفعل ، ليسكن أحد الحرفين فيخفف ، فإذا دخل على الفعل ما يسكّن الثانى ، أظهروا حينئذ التضعيف .

القول فى تأويل قوله تعالى

لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ ، وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ (٤٨) ۞ نَبِّئْ عِبَادِى أَنِّى أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٤٩) وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ (٥٠)

۞ يقول تعالى ذكره : لا يمس هؤلاء المتقين الذين وصف صفتهم فى الجنات نصب ، يعنى تعب (وما هم منها بمخرجين) يقول : وما هم من الجنة ونعيمها وما أعطاهم الله فيها بمخرجين ، بل ذلك دائم أبدا . وقوله (نبئ عبادى أنى أنا الغفور الرحيم) : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم :

أخبر عبادي يا محمد ، أنى أنا الذى أستر على ذنوبهم إذا تابوا منها وأنابوا ، بترك فضيحتهم بها ، وعقوبتهم عليها ، الرحيم بهم ، أن أعذبهم بعد توبتهم منها عليها (وأنَّ عَذَابِى هُوَ العَذَابُ الأَلِيمُ) يقول : وأخبرهم أيضا أن عذابى لمن أصرّ على معاصىّ ، وأقام عليها ، ولم يتب منها ، هو العذاب الموجع ، الذى لا يشبهه عذاب ، هذا من الله تحذير لخلقه التقدمَ على معاصيه ، وأمر منه لهم بالإنابة والتوبة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (نَبِّئْ عِبادِى أنّى أنا الغَفُورُ الرَّحِيمُ ، وأنَّ عَذَابِى هُوَ العَذَابُ الأَلِيمُ) قال : بلغنا أن نبىّ الله صلى الله عليه وسلم قال : لو يعلم العبد قدر عفو الله ، لما تورّع من حرام ، ولو يعلم قدر عذابه لبخع نفسه .

حدثنى المثنى ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : أخبرنا ابن المكىّ ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، قال : أخبرنا مصعب بن ثابت ، قال : ثنا عاصم بن عبد الله ، عن ابن أبى رَبَاح ، عن رجل من أصحاب النبىّ صلى الله عليه وسلم قال : « طلع علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم من الباب الذى يدخل منه بنو شَيبة ، فقال : ألا أراكُمْ تَضْحَكُونَ ؟ ثم أدبر ، حتى إذا كان عند الحجر رجع إلينا القَهْقَرَى ، فقال : إنّى لمّا خَرَجْتُ جاءَ جَبْرَئِيلُ صلى اللهُ عليه وسلمَ ، فقالَ : يا مُحَمَّد إنَّ اللهَ يَقُول : لِمَ تُقَنِّطُ عبادِى؟ نَبِّئْ عِبادِى أنّى أنا الغَفُورُ الرَّحِيمُ ؛ وأنَّ عَذَابِى هُوَ العَذَابُ الأَلِيمُ » .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَنَبِّئْهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ (٥١) إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ ، فَقَالُوا۟ : سَلَٰمًا ، قَالَ : إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ (٥٢) قَالُوا۟ : لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ (٥٣)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : وأخبر عبادى يا محمد ، عن ضيف إبراهيم : يعنى الملائكة الذين دخلوا على إبراهيم خليل الرحمن ، حين أرسلهم ربهم إلى قوم لوط ليهلكوهم . (فَقالُوا سَلاما) : يقول : فقال الضيف لإبراهيم : سلاما (قال : إنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ) : يقول : قال إبراهيم : إنا منكم خائفون . وقد بيّنا وجه النصب فى قوله (سَلاما) ، وسبب وجل إبراهيم من ضيفه ، واختلاف المختلفين ، ودللنا على الصحيح من القول فيه ، فيما مضى قبل ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع . وأما قوله (قالُوا سَلاما) وهو يعنى به الضيف ، فجمع الخبر عنهم ، وهم فى لفظ واحد ، فإن الضيف اسم للواحد والاثنين والجمع ، مثل الوَزْن والقَطْر والعَدْل ، فلذلك جمع خبره ، وهو لفظ واحد . وقوله (قالوا لا تَوْجَلْ) : يقول : قال الضيف لإبراهيم : لا توجل : لا تَخَفْ (إنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ عَلِيمٍ) .

القول فى تأويل قوله تعالى

قَالَ : أَبَشَّرْتُمُونِى عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِىَ ٱلْكِبَرُ ؟ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ؟ (٥٤)

⁂ يقول تعالى ذكره : قال إبراهيم للملائكة الذين بشّروه بغلام عليم (أَبَشَّرْتُمُونِي على أنْ مَسَّنِيَ الكِبَرَ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ؟) يقول : فبأىّ شىء تبشرون ؟

وكان مجاهد يقول فى ذلك ما حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء وحدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (قالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أنْ مَسَّنِيَ الكِبَرَ ؟ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ؟) قال : عجب من كبره ، وكبر امرأته .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله ، وقال (على أنْ مَسَّنِيَ الكِبَرُ) ومعناه : لأن مسنى الكبر ، وبأن مسنى الكبر ، وهو نحو قوله (حَقِيقٌ على أنْ لاأقُولَ على اللهِ إلاَّ الحَقَّ) بمعنى : بأن لاأقول ، ويمثله فى الكلام : أتيتك أنك تعطى ، فلم أجدك تعطى .

القول فى تأويل قوله تعالى

قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ (٥٥) قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ (٥٦)

⁂ يقول تعالى ذكره : قال ضيف إبراهيم له : بشرناك بحقّ يقين ، وعلْم منّا بأن الله قد وهب لك غلاما عليما ، فلا تكن من الذين يَقْنَطون من فضل الله ، فييأسون منه ، ولكن أبشر بما بشرناك به ، واقبل البُشرى .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (مِنَ القانِطِينَ) فقرأته عامّة قراء الأمصار (مِنَ القانِطِينَ) بالألف ، وذُكِر عن يحيى بن وثّاب أنه كان يقرأ ذلك (القَنِطِينَ) .

⁂ والصواب من القراءه فى ذلك : ماعليه قرّاء الأمصار ، لإجماع الحجة على ذلك ، وشذوذ ماخالفه .

وقوله قال (وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إلاَّ الضَّالُّونَ) يقول تعالى ذكره : قال إبراهيم للضيف : ومن ييأس من رحمة الله إلا القوم الذين قد أخطئوا سبيل الصواب ، وتركوا قصد السبيل ، فى تركهم رجاء الله ، ولا يخيب من رجاه ، فضلوا بذلك عن دين الله .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (وَمَنْ يَقْنَطُ) فقرأ ذلك عامّة قرّاء المدينة والكوفة (وَمَنْ يَقْنَطُ) بفتح النون إلا الأعمش والكسائى ، فإنهما كسرا النون من (يَقْنَطُ) . فأما الذين فتحوا النون منه ، ممن ذكرنا ، فإنهم قرءوا : (من بعد ما قَنَطوا) ، بفتح القاف والنون . وأما الأعمش فكان يقرأ ذلك : من بعد ما قَنِطُوا ، بكسر النون . وكان الكسائىّ يقرؤه بفتح النون . وكان أبو عمرو بن العلاء يقرأ الحرفين جميعا ، على النحو الذى ذكرنا من قراءة الكسائى .

⁂ وأَوْلى القراءات فى ذلك بالصواب : قراءة من قرأه من بعد ما قَنَطوا ، بفتح النون (وَمَنْ يَقْنَطُ) بكسر النون ، لإجماع الحجة من القرّاء على فتحها فى قوله (مِنْ بعْدِ ما قَنَطُوا) فكسرها فى (وَمَنْ

يَقْنِطُ) أولى، إذ كان مجمعا على فتحها فى قَنَط ، لأن فَعَل إذا كانت عين الفعل منها مفتوحة ، ولم تكن من الحروف الستة ، التى هى حروف الحلق ، فإنها تكون فى يفْعِل مكسورة أو مضمومة . فأما الفتح فلا يُعرف ذلك فى كلام العرب .

القول فى تأويل قوله تعالى

قَالَ : فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ؟ (٥٧) قَالُوا : إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُجْرِمِينَ (٥٨) إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ (٥٩) إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ (٦٠)

يقول تعالى ذكره : قال إبراهيم للملائكة : فما شأنكم : ما أمرُكم أيُّها المرسلون ؟ قالت الملائكة له : إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين : يقول : إلى قوم قد اكتسبوا الكفر بالله ، إلا آلَ لوط : يقول : إلا تباع لوط على ماهو عليه من الدِّين ، فأنا لن نهلكهم ، بل ننجيهم من العذاب ،الذى أمرنا أن نعذّب به قوم لوط ، سوى امرأة لوط ،قدّرنا إنها من الغابرين : يقول : قضى الله فيها إنها لمن الباقين ، ثم هى مُهْلَكة بعدُ . وقد بيّنا الغابر فيما مضى بشواهده .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ (٦١) قَالَ : إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ (٦٢) قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ (٦٣)

يقول تعالى ذكره : فلما أتى رسلُ الله آل لوط ، أنكرهم لوط ،فلم يعرفهم ، وقال لهم : (إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ) : أى نُنْكركم لانعرفكم ، فقالت له الرسل : بل نحن رسل الله ،جئناك بما كان فيه قومك يشكون أنه نازل بهم من عذاب الله على كفرهم به .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثنى الحسن بن محمد، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء؛ وحدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ؛ وحدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ) قال : أنكرهم لوط . وقوله (بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ) قال : بعذاب قوم لوط .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ (٦٤) فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ ، وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ ، وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ ، وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ (٦٥)

⁂ يقول تعالى ذكره : قالت الرسل للوط : وجئناك بالحقّ اليقين من عند الله ، وذلك الحقّ هو العذاب الذى عذّب الله به قوم لوط . وقد ذكرت خبرهم وقصصهم فى سورة هود وغيرها ، حين بعث الله رسله ليعذّبهم به . وقولهم : (وَإِنَّا لَصَادِقُونَ) يقولون : إنا لصادقون فيما أخبرناك به يا لوط ، من أن الله مُهْلِك قومك . (فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ) يقول تعالى ذكره ، مخبرا عن رسله ، أنهم قالوا للوط ، فأسر بأهلك ببقية من الليل . واتبع يا لوط أدبار أهلك الذين تَسْرِى بهم ، كن من ورائهم ، وسِرْ خلفهم ، وهم أمامك ، ولا يلتفت منكم وراءه أحد ، وامضوا حيث يأمركم الله .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، عن ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ) : لايلتفت وراءه أحد ، ولا يُعَرِّج .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ) : لاينظر وراءه أحد .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ؛ وحدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ) قال : أُمِر أن يكون خلف أهله ، يتبع أدبارهم فى آخرهم إذا مشوا .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ) قال : بعض الليل (وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ) : أدبار أهله .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ (٦٦) وَجَآءَ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ (٦٧)

⁂ يقول تعالى ذكره : وفرغنا إلى لوط من ذلك الأمر ، وأوحينا أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين : يقول : إن آخر قومك وأولهم مجذوذ مستأصل صباح ليلتهم . « وأنّ » من قوله (أَنَّ دَابِرَ) فى موضع نصب ، ردّا على الأمر ، بوقوع القضاء عليها ، وقد يجوز أن تكون فى موضع نصب بفقد الخافض ، ويكون معناه : وقضينا إليه ذلك الأمر ، بأن دابر هؤلاء مقطوع مُصبحين . وذُكر أن ذلك فى قراءة عبد الله : وقلنا إن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين ، وعُنِى بقوله (مُصْبِحِينَ) : إذا أصبحوا ، أو حين يصبحون .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس ، قوله (أنَّ دَابِرَ هَؤُلاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ) يعنى : استئصال هلاكهم مصبحين .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَقَضَيْنا إلَيْهِ ذلكَ الأمْرَ) قال : أوحينا إليه .

وقوله (وجاءَ أهْلُ المَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ) يقول : وجاء أهل مدينة سَدُوم ، وهم قوم لوط ، لما سمعوا أن ضيفا قد ضاف لوطا ، مستبشرين بنزولهم مدينتهم ، طمعا منهم فى ركوب الفاحشة .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَجَاءَ أهْلُ المَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ) استبشروا بأضياف نبىّ الله صلى الله عليه وسلم لوط ، حين نزلوا لما أرادوا أن يأتوا إليهم من المنكر .

القول فى تأويل قوله تعالى

قَالَ : إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِى فَلَا تَفْضَحُونِ (٦٨) وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ (٦٩) قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ ٱلْعَـٰلَمِينَ (٧٠)

يقول تعالى ذكره : قال لوط لقومه : إن هؤلاء الذين جئتموهم تريدون منهم الفاحشة ، ضيفى ، وحقّ على الرجل إكرام ضيفه ، فلا تفضحون أيها القوم فى ضيفى ، وأكرمونى فى تركيكم التعرّض لهم بالمكروه . وقوله (وَاتَّقُوا اللهَ) يقول : وخافوا الله فىّ وفى أنفسكم ، أن يحلّ بكم عقابه . (وَلا تُخْزُونِ) يقول : ولا تذلّونى ، ولا تهينونى فيهم ، بالتعرّض لهم بالمكروه . (قالُوا أوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ العالَمِينَ) : يقول تعالى ذكره : قال للوط قومُه : أو لم ننهك أن تضيف أحدا من العالمين .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (أوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ العالَمِينَ) قال : ألم ننهك أن تضيف أحدا ؟

القول فى تأويل قوله تعالى

قَالَ هَـٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِىٓ إِن كُنتُمْ فَـٰعِلِينَ . (٧١) لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ (٧٢) فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ (٧٣)

يقول تعالى ذكره : قال لوط لقومه : تزوّجوا النساء فأتُوهنّ ، ولا تفعلوا ما قد حرّم الله عليكم من إتيان الرجال ، إن كنتم فاعلين ما آمركم به ، ومنتهين إلى أمرى .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (قالَ هَؤُلاءِ بَناتِي إنْ كُنْتُمْ فاعِلِينَ) : أمرهم نبيّ الله لوط أن يتزوّجوا النساء ، وأراد أن يَقِيَ أضيافه ببناته .

وقوله (لَعَمْرُكَ) يقول تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : وحياتك يا محمد ، إن قومك من قريش (لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ) يقول : لفى ضلالتهم وجهلهم يتردّدون .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا مسلم بن إبراهيم ، قال : ثنا سعيد بن زيد ، قال : ثنا عمرو بن مالك ، عن أبى الجوْزاء ، عن ابن عباس ، قال : ما خلق الله وما ذرأ وما برأ نفسا أكرم على الله من محمد صلى الله عليه وسلم ، وما سمعت الله أقسم بحياة أحد غيره ، قال الله تعالى ذكره (لَعَمْرُكَ إنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ) .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا يعقوب بن إسحاق الحضْرمىّ ، قال : ثنا الحسن بن أبى جعفر ، قال : ثنا عمرو بن مالك ، عن أبى الجوزاء ، عن ابن عباس ، فى قول الله (لَعَمْرُكَ إنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ) قال : ماحلف الله تعالى بحياة أحد إلا بحياة محمد صلى الله عليه وسلم ، قال : وحياتك يامحمد وعمرك وبقائك فى الدنيا : (إنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (لَعَمْرُكَ إنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ) . وهى كلمة من كلام العرب ؛ لفى سكرتهم : أى فى ضلالتهم . يعمهون : أى يلعبون .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، قال : سألت الأعمش ، عن قوله (لَعَمْرُكَ إنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ) قال : لفى غفلتهم يتردّدون .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (فِي سَكْرَتِهِمْ) قال : فى ضلالتهم يعمهون : قال : يلعبون .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، قال : قال مجاهد (يَعْمَهُونَ) قال : يتردّدون .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله : (لَعَمْرُكَ) يقول : لَعَيْشُكَ (إنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ) قال : يتمادَوْن .

حدثنى أبو السائب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، قال : كانوا يكرهون أن يقول الرجل : لعمرى ، يرونه كقوله : وَحَيَاتِى .

وقوله (فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ) يقول تعالى ذكره : فأخذتهم صاعقة العذاب ، وهى الصيحة . مشرقين : يقول : إذ أشرقوا . ومعناه : إذ أشرقت الشمس ، ونصب مشرقين ومصبحين على الحال ، بمعنى : إذ أصبحوا ، وإذ أشرقوا ، يقال منه : صيح بهم : إذا أهلكوا .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج (فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ) قال : حين أشرقت الشمس ، ذلك مشرقين .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَجَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا ، وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ (٧٤) إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ (٧٥)

⁂ يقول تعالى ذكره : فجعلنا عالىَ أرضهم سافلَها ، وأمطرنا عليهم حجارة من سِجِّيل [1] .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن عكرمة (وأمْطَرْنا عَلَيْهِمْ حِجارَةً مِنْ سِجِّيلٍ) : أى من طين .

وقوله (إنّ فى ذلكَ لَآياتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ) يقول : إن فى الذى فعلنا بقوم لوط من إهلاكهم ، وأحللنا بهم من العذاب ، لَعَلَامَاتٍ ودلالات للمتفرّسين ، المعتبرين بعلامات الله وعبره ، على عواقب أمور أهل معاصيه والكفر به . وإنما يعنى تعالى ذكره بذلك قوم نبىّ الله صلى الله عليه وسلم من قريش يقول : فلقومك يا محمد فى قوم لوط ، وما حلّ بهم من عذاب الله ، حين كذّبوا رسولهم ، وتمادَوْا فى غيهم ، وضلالهم ، مُعْتَبَر .

وبنحو الذى قلنا فى معنى قوله (لِلْمُتَوَسِّمِينَ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى عبد الأعلى بن واصل ، قال : ثنا يعلى بن عبيد ، قال : ثنا عبد الملك بن أبى سليمان ، عن قيس عن مجاهد ، فى قوله (إنّ فِى ذلكَ لَآياتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ) قال : للمتفرّسين .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن فضيل ، عن عبد الملك ، وحدثنا الحسن الزعفرانى ، قال : ثنى محمد ابن عبيد ، قال : ثنى عبد الملك ، عن قيس ، عن مجاهد (إنّ فِى ذلكَ لَآياتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ) قال : للمتفرّسين .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حُذيفة ، قال : ثنا شبل ؛ وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو أسامة ، قال : ثنا شبل جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

---

(١) لعل الأصل (من سجيل) : أى من طين ، كما يظهر بتأمل .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قال : المتوسمين : المتفرّسين . قال : توسّمت فيك الخير نافلة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن عبد الملك بن أبى سليمان ، عن قيس ، عن مجاهد (إنَّ فِى ذلكَ لآياتٍ للْمُتَوَسِّمِينَ) قال : المتفرّسين .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس (إنَّ فِى ذلكَ لآياتٍ للمُتَوَسِّمِينَ) يقول : للناظرين .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا محمد بن يزيد ، عن جويبر ، عن الضحاك (لِلْمُتَوَسِّمِينَ) قال للناظرين.

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (إنَّ فِى ذلكَ لآياتٍ للْمُتَوَسِّمِينَ) : أى للمعتبرين .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قوله (للمُتَوَسِّمِينَ) قال : للمعتبرين .

حدثنى محمد بن عُمارة ، قال : ثنى حسن بن مالك ، قال : ثنا محمد بن كثير ، عن عمرو بن قيس ، عن عطية ، عن أبى سعيد ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اتَّقُوا فِرَاسَةَ المُؤْمِنِ ، فإنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللهِ » ، ثم قال النبىّ صلى الله عليه وسلم : (إنَّ فِى ذلكَ لآياتٍ للْمُتَوَسِّمِينَ) .

حدثنا أحمد بن محمد الطُّوسىّ ، قال : ثنا محمد بن كثير ، مولى بنى هاشم ، قال : ثنا عمرو بن قيس المَلاَئى ، عن عطية ، عن أبى سعيد ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بمثله .

حدثنى أحمد بن محمد الطوسى ، قال : ثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا الفُرات بن السائب ، قال : ثنا ميمون بن مهران ، عن ابن عمر ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اتَّقُوا فِرَاسَةَ المُؤْمِنِ ؛ فإنَّ المُؤْمِنَ يَنْظُرُ بِنُورِ اللهِ » .

حدثنا عبد الأعلى بن واصل ، قال : ثنى سعيد بن محمد الجَرْمىّ ، قال : ثنا عبد الواحد بن واصل ، قال : ثنا أبو بشر المزلق ، عن ثابت البُنَانىّ ، عن أنس ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنَّ لِلهِ عِبادًا يَعْرِفُونَ النَّاسَ بالتَّوَسُّمِ » .

حدثنى يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (إنَّ فِى ذلكَ لآياتٍ للْمُتَوَسِّمِينَ) قال : المتفكرون والمعتبرون الذين يتوسَّمون الأشياء ، ويتفكرون فيها ويعتبرون .

حُدِّثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (للْمُتَوَسِّمِينَ) يقول : للناظرين .

حدثنى أبو شرحبيل الحِمْصِىّ ، قال : ثنا سليمان بن سلمة ، قال : ثنا المؤمل بن سعيد بن يوسف الرحبىّ ، قال : ثنا أبو المعالى أسد بن وداعة الطائىّ ، قال : ثنا وهب بن منبه ، عن طاوس بن كيسان ،

عن ثَوْبان، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم« احْذَرُوا فِرَاسَةَ المُؤْمِنِ ؛ فإنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللهِ، وَيَنْطِقُ بِتَوْفِيقِ اللهِ » .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ (٧٦) إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ (٧٧)

⁂ يقول تعالى ذكره : وإن هذه المدينة، مدينة سَدُوم، لبطريق واضح مقيم، يراها المجتاز بها، لاخفاء بها، ولا يبرح مكانها ، فيجهل ذو لبّ أمرها ، وغبّ معصية الله ، والكفر به .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال: ثنا ابن نُمَير ، عن ورقاء ؛ وحدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، وحدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، جميعاً عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَإِنَّها لَبِسَبِيلٍ مُقِيمٍ) قال : لبطريق مُعْلَم .

حدثنا القاسم ، قال ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وإنَّها لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ) يقول : بطريق واضح .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله (وإنَّها لَبِسَبِيلٍ مُقِيمٍ) قال : طريق ، السبيل : الطريق .

حُدِّثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (لَبِسَبِيلٍ مُقِيمٍ) يقول : بطريق مَعْلَم .

وقوله (إنَّ فِى ذلكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ) يقول تعالى ذكره : إن فى صنيعنا بقوم لوط ما صنعنا بهم، لعلامة ودلالة بينة لمن آمن بالله على انتقامه من أهل الكفر به ، وإنقاذه من عذابه ، إذا نزل بقوم أهل الإيمان به منهم .

كما حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن سماك ، عن سعيد بن جبير ، فى قوله (إنَّ فِى ذلكَ لَآيَةً) قال : هو كالرجل يقول لأهله : علامة ما بينى وبينكم أن أرسل إليكم خاتمى ، أو آية كذا وكذا .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن سفيان ، عن سماك ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس (إنَّ فِى ذلكَ لَآيَةً) قال : أما ترى الرجل يرسل بخاتمه إلى أهله فيقول : هاتوا خذى ، هاتوا خذى ، فإذا رأوه علموا أنه حقّ .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ (٧٨) فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ ، وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُبِينٍ (٧٩)

يقول تعالى ذكره : وقد كان أصحاب الغَيْضة ظالمين ، يقول : كانوا بالله كافرين ، والأيكة : الشجر الملتفّ المجتمع ، كما قال أمية :

كَبَكَا الحَمامِ عَلَى فُرُو عِ الأَيْكِ فِى الغُصُنِ الجَوَانِحْ [1]

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا إسحاق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد ، قال : ثنا عتاب بن بشير ، عن خصيف ، قال ، قوله (أَصْحَابُ الأَيْكَةِ) قال : الشجر ، وكانوا يأكلون فى الصيف الفاكهة الرطبة ، وفى الشتاء اليابسة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَإِنْ كانَ أَصْحَابُ الأَيْكَةِ لَظالِمِينَ) ذُكِر لنا أنهم كانوا أهل غيضة . وكان عامّة شجرهم هذا الدَّوْم ، وكان رسولهم فيما بلغنا شُعَيب صلى الله عليه وسلم ، أرسل إليهم وإلى أهل مدين ، أرسل إلى أمتين من الناس ، وعذّبتا بعذابين شتى ، أما أهل مدين ، فأخذتهم الصيحة ؛ وأما أصحاب الأيكة ، فكانوا أهل شجر مُتكاوِس ؛ ذُكر لنا أنه سُلِّط عليهم الحرّ سبعة أيام ، لا يظلهم منه ظلّ ، ولا يمنعهم منه شىء ، فبعث الله عليهم سحابة ، فحاشُوا تحتها يلتمسون الرّوح فيها ، فجعلها الله عليهم عذابا ، بعث عليهم نارا ، فاضطرمت عليهم ، فأكلتهم ، فذلك عذاب يوم الظلّة ، إنه كان عذاب يوم عظيم .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرحمن بن أبى حماد ، قال : ثنا عمرو بن ثابت ، عن أبيه عن سعيد بن جبير ، قال : أصحاب الأيكة : أصحاب غَيْضَة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جريج ، قوله (وَإِنْ كانَ أَصْحَابُ الأَيْكَةِ لَظالِمِينَ) قال : قوم شعيب . قال ابن عباس : الأيكة ذات آجام وشجر ، كانوا فيها .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، فى قوله (أَصْحَابُ الأَيْكَةِ) قال : هم قوم شعيب ، والأيكة : الغيضة .

---

(١) البيت لأمية بن أبى الصلت الثقفى ، ولم أجده فى ديوانه ، ووجدته فى سيرة ابن هشام (٣ : ٣١ طبعة الحلبى) من قصيدة له يرثى بها قتلى بدر وأولها :

أَلاَ بَكَيْتِ عَلَى الكِرَا مِ بَنِى الكِرَامِ أُولى المَمادِحْ

كبكا الحمام . . . البيت . والأيك : الشجر الملتف ، واحدته أيكة والجوانح : الموائل . يقول : جنح : إذا مال . وفى (اللسان أيك) : الأيكة : الشجر الكثير الملتف . وقيل : هى الغيضة تنبت السدر والأراك ونحوهما من ناعم الشجر ، وخص بعضهم به منبت الأثل ومجتمعه .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنا عمرو بن الحارث ، عن سعيد بن أبى هلال ، عن عمرو بن عبد الله ، عن قتادة ، أنه قال : إن أصحاب الأيكة ، والأيكة : الشجر الملتفّ .

وقوله (فَانْتَقَمْنا مِنْهُمْ وإنَّهُما لَبِإمامٍ مُبِينٍ) يقول تعالى ذكره : فانتقمنا من ظلمة أصحاب الأيكة . وقوله (وإنَّهُما لَبِإمامٍ مُبِينٍ) يقول : وإن مدينة أصحاب الأيكة ، ومدينة قوم لوط ، والهاء والميم فى قوله (وإنَّهُما) من ذكر المدينتين (لَبِإمامٍ) يقول : لبطريق يأتمون به فى سفرهم ، ويهتدون به (مُبِينٍ) يقول : يبين لمن ائتمّ به استقامته ، وإنما جعل الطريق إماما ، لأنه يُؤَمّ ويُتَّبع .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ بن أبى طلحة ، عن ابن عباس ، قوله (وإنَّهُما لَبِإمامٍ مُبِينٍ) يقول : على الطريق .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (فانْتَقَمْنا مِنْهُمْ وإنَّهُما لَبِإمامٍ مُبِينٍ) يقول : طريق ظاهر .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ؛ وحدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (وإنَّهُما لَبِإمامٍ مُبِينٍ) قال : بطريق معلَم .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وإنَّهُما لَبِإمامٍ مُبِينٍ) قال : طريق واضح .

حُدِّثت عن الحسين قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (لَبِإمامٍ مُبِينٍ) بطريقٍ مستبين .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ ٱلْحِجْرِ ٱلْمُرْسَلِينَ (٨٠) وَءَاتَيْنَٰهُمْ ءَايَٰتِنَا فَكَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ (٨١)

يقول تعالى ذكره : ولقد كذب سكان الحجْر ، وجعلوا لسكناهم فيها ومُقامهم بها ، أصحابها ، كما قال تعالى ذكره (وَنادَى أصْحابُ الجَنَّةِ أصْحابَ النّارِ : أنْ قَدْ وَجَدْنا ما وَعَدَنا رَبُّنا حَقًّا) ، فجعلهم أصحابها لسُكناهم فيها ، ومُقامهم بها . والحِجْر : مدينة ثمود .

وكان قتادة يقول فى معنى الحِجْر ، ما حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر عن قتادة : أصحاب الحِجْر : قال : أصحاب الوادى .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنى يونس ، عن ابن شهاب ، وهو يذكر الحِجْر

مساكن ثمود قال : قال سالم بن عبد الله : إن عبد الله بن عمر قال : « مررنا مع النبي صلى الله عليه وسلم على الحجر ، فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : لاتدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم ، إلا أن تكونوا باكين ، حذرا أن يصيبكم مثل ما أصابهم ، ثم زجر فأسرع حتى خلفها »

حدثنا زكريا بن يحيى بن أبان المصرى ، قال : ثنا أبو يوسف يعقوب بن إسحاق بن أبى عباد المكى ، قال : ثنا داود بن عبد الرحمن ، عن عبد الله بن عثمان بن خثيم ، عن ابن سابط ، عن جابر بن عبد الله : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وهو بالحجر : « هؤلاء قوم صالح أهلكهم الله إلا رجلا كان فى حرم الله ، منعه حرم الله ، من عذاب الله ، قيل : يا رسول الله من هو ؟ قال : أبو رغال » .

وقوله (وآتيناهم آياتنا ، فكانوا عنها معرضين) : يقول : وأريناهم أدلتنا وحججنا ، على حقيقة ما بعثنا به إليهم رسولنا صالحا ، فكانوا عن آياتنا التى آتيناهموها معرضين ، لايعتبرون بها ولا يتعظون .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ (٨٢) فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ (٨٣) فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٨٤)

يقول تعالى ذكره : وكان أصحاب الحجر : وهم ثمود قوم صالح ، (ينحتون من الجبال بيوتا آمنين) من عذاب الله ، وقيل : آمنين من الخراب : أن تخرب بيوتهم التى نحتوها من الجبال . وقيل : آمنين من الموت . وقوله (فأخذتهم الصيحة مصبحين) يقول : فأخذتهم صيحة الهلاك حين أصبحوا ، من اليوم الرابع من اليوم الذى وعدوا العذاب ، وقيل لهم . تمتعوا فى داركم ثلاثة أيام . وقوله (فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون) يقول : فما دفع عنهم عذاب الله ما كانوا يجترحون من الأعمال الخبيثة قبل ذلك .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَمَا خَلَقْنَا السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ ، وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ ، فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ (٨٥) إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّٰقُ الْعَلِيمُ (٨٦)

يقول تعالى ذكره : وما خلقنا الخلائق كلها ، سماءها وأرضها ، ما فيهما وما بينهما ، يعنى بقوله (وما بينهما) : مما فى أطباق ذلك . (إلا بالحق) يقول : إلا بالعدل والإنصاف ، لابالظلم والجور . وإنما يعنى تعالى ذكره بذلك : أنه لم يظلم أحدا من الأمم التى اقتص قصصها فى هذه السورة ، وقصص إهلاكه إياها ، بما فعل به من تعجيل النقمة له ، على كفره به ، فيعذبه ويهلكه بغير استحقاق ، لأنه لم يخلق السموات والأرض وما بينهما بالظلم والجور ، ولكنه خلق ذلك بالحق والعدل . وقوله (وإن الساعة لآتية

فاصْفَحِ الصَّفْحَ الجَمِيلَ) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : وإن الساعة ، وهى الساعة التى تقوم فيها القيامة ، لجائية ، فارض بها لمشركى قومك الذين كذّبوك ، وردّوا عليك ماجئتهم به من الحق . (فاصْفَحِ الصَّفْحَ الجَمِيلَ) يقول : فأعرض عنهم إعراضا جميلا ، واعف عنهم عفوًا حسناً . وقوله (إنَّ رَبَّكَ هُوَ الخَلاَّقُ العَلِيمُ) يقول تعالى ذكره : إن ربك هو الذى خلقهم وخلق كلّ شىء ، وهو عالم بهم وبتدبيرهم ، وما يأتون من الأفعال . وكان جماعة من أهل التأويل تقول : هذه الآية منسوخة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فاصْفَحِ الصَّفْحَ الجَمِيلَ) . ثم نسخ ذلك بعد ، فأمره الله تعالى ذكره بقتالهم ، حتى يشهدوا أن لاإلهَ إلا الله ، وأن محمدا عبده ورسوله ، لايقبل منهم غيره .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا سويد بن نصر ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن جُويبر ، عن الضحاك ، فى قوله (فاصْفَحِ الصَّفْحَ الجَمِيلَ) ، (فاصْفَحْ عَنْهُمْ ، وقُلْ سَلامٌ ، فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ - وأعْرِضْ عَنِ المُشْرِكِينَ) و (قُلْ للذين آمنوا يغفروا لِلَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ أَيَّامَ الله) وهذا النحوُ كله فى القرآن أمرَ الله به نبيه صلى الله عليه وسلم ، أن يكون ذلك منه ، حتى أمره بالقتال ، فنسخ ذلك كله . فقال (خُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ ، وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَد) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن مجاهد (فاصْفَحِ الصَّفْحَ الجَمِيلَ) : قال : هذا قبل القتال .

حدثنى المثنى ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن الزُّبير ، عن سفيان بن عيينة ، فى قوله (فاصْفَحِ الصَّفْحَ الجَمِيلَ) وقوله (وأعْرِضْ عَنِ المُشْرِكِينَ) قال : كان هذا قبل أن ينزل الجهاد ، فلما أمر بالجهاد قاتلهم ، فقال : « أنا نَبِىُّ الرَّحْمَة ، ونَبِىُّ المَلْحَمَة ، وبُعِثْتُ بالحَصَاد ، ولَمْ أُبْعَثْ بالزِّرَاعَة » .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ (٨٧)

اختلف أهل التأويل فى معنى السَّبْع الذى آتى الله نبيه صلى الله عليه وسلم من المثانى ، فقال بعضهم : عنى بالسبع : السبع السور من أوّل القرآن ، اللواتى يُعرَفن بالطول . وقائلو هذه المقالة مختلفون فى المثانى ، فكان بعضهم يقول : المثانى : هذه السبع ، وإنما سمين بذلك لأنهنّ ثُنِّىَ فيهنّ الأمثالُ والخبرُ والعِبَر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن يونس ، عن ابن سيرين ، عن ابن مسعود فى قوله (وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِنَ المَثَانِى) قال : السبع : الطُّوَل .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن سعيد الجريرىّ ، عن رجل ، عن ابن عمر ، قال : السبع : الطُّوَل .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، فى قوله (وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِنَ المَثَانِي) قال : السبع الطُّوَل .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، مثله

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن الحجاج ، عن الوليد بن العيزار عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : هنّ السبع الطُّوَل ، ولم يُعطَهن أحد إلا النبىّ صلى الله عليه وسلم ، وأُعطِىَ موسى منهن اثنتين .

حدثنا ابن وكيع ، وابن حميد ، قالا : ثنا جرير ، عن الأعمش ، عن مسلم البَطِين ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : أوتى النبىّ صلى الله عليه وسلم سبعاً من المثانى الطُّوَل ، وأوتى موسى ستا ، فلما ألقى الألواح رفعت اثنتان ، وبقيت أربع .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا علىّ بن عبد الله بن جعفر ، قال : ثنا جرير ، عن الأعمش ، عن مسلم البطين ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، مثله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن آدم ، عن إسرائيل ، عن أبى إسحاق ، عن مسلم البطين ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، فى قوله (سَبْعاً مِنَ المَثَانى) قال : البقرة ، وآل عمران ، والنساء ، والمائدة ، والأنعام ، والأعراف . قال إسرائيل : وذكر السابعة ، فنسيتها .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، عن أبى بشر ، عن سعيد بن جبير ، فى قوله (وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِنَ المَثَانِي) قال : هى الطُّوَل : البقرة ، وآل عمران ، والنساء ، والمائدة ، والأنعام ، والأعراف ، ويونس .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبى بشر ، عن سعيد بن جبير فى هذه الآية (وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِنَ المَثَانِي ، والقُرآنَ العَظِيمَ) قال : البقرة ، وآل عمران ، والنساء ، والمائدة ، والأنعام ، والأعراف ، ويونس ، فيهنّ الفرائض والحدود .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن شُعبة ، عن أبى بشر ، عن سعيد بن جُبير ، بنحوه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن ابن أبى خالد ، عن خوّات ، عن سعيد بن جبير ، قال : السبع الطُّوَل .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال أبو بشر : أخبرنا عن سعيد بن جبير ، قال : هنّ السبع الطُّوَل قال : وقال مجاهد : هن السبع الطُّوَل . قال : ويقال : هنّ القرآن العظيم .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا سعيد ، عن جعفر ، عن سعيد ، فى قوله (سَبْعاً

منَ المَثانِي) قال : البقرة وآل عمران ، والنساء ، والمائدة ، والأنعام ، والأعراف ، ويونس ، تُثْنِى فيها الأحكام والفرائض .

حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح ، قال : ثنا هشيم ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير ، قال : هن السبع الطُّوَل .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا سعيد بن منصور ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا أبو بشر ، عن سعيد بن جبير ، فى قوله (سَبْعاً منَ المَثانِى) قال : البقرة ، وآل عمران ، والنساء ، والمائدة ، والأنعام ، والأعراف . ويونس ، قال : قلت : ما المثانى ؟ قال : يُثْنَى فيهنّ القضاء والقَصَص .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن مسلم البطين ، عن سعيد بن جبير (وَلَقَدْ آتَيْناكَ سَبْعاً مِنَ المَثانِي والقُرآنَ العَظِيمَ) قال : البقرة وآل عمران ، والنساء ، والمائدة ، والأنعام ، والأعراف ، ويونس .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن عبد الله بن عثمان بن خثيم ، عن سعيد ابن جبير ، عن ابن عباس ، قال : السبع الطُّوَل .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا أبو خالد القرشى ، قال : ثنا سفيان ، عن عبد الله بن عثمان بن خثيم عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس مثله .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا أبو خالد ، عن سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، مثله .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن مسلم البطين ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، مثله .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : سمعت ليثا ، عن مجاهد ، قال : هى السبع الطُّوَل .

حدثنا الحسن بن محمد بن عبيد الله ، قال : ثنا عبد الملك ، عن قيس ، عن مجاهد ، فى قوله (وَلَقَدْ آتَيناكَ سَبْعاً مِنْ المَثانِي) قال : هى السبع الطُّوَل .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن قال : ثنا ورقاء جميعاً ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله تعالى (وَلَقَدْ آتَيْناكَ سَبْعاً مِنَ المَثانِي والقُرآنَ العَظِيمَ) قال : من القرآن السبع الطُّوَل ، السبع الأُوَل .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن فضيل وابن نمير ، عن عبد الملك ، عن قيس ، عن مجاهد ، قال : هنّ السبع الطُّوَل .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : السبع الطُّوَل .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن نمير ، عن سفيان ، عن عبد الله بن عثمان بن خُثَيم ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : هى الأمثال والخبر والعبر .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن نمير ، عن إسماعيل ، عن خوّات ، عن سعيد بن جبير ، قال : هى السبع الطُّوَل ، أعطِى موسى ستا ، وأُعطِى محمد صلى الله عليه وسلم سبعا .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ ، يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، فى قوله (سبعا مِنَ المَثانِى) ؟ يعنى السبع الطُّوَل .

وقال آخرون : عنى بذلك : سبع آيات وقالوا : هن آيات فاتحة الكتاب ، لأنهنّ سبع آيات ، وهم أيضا مختلفون فى معنى المثانى ، فقال بعضهم : إنما سُمِّين مَثَانِىَ ، لأنهن يُثْنين فى كلّ ركعة من الصلاة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : أخبرنا ابن عُلَيَة ، عن سعيد الجَرِيرىّ ، عن أبى نَضْرة ، قال : قال رجل منا يقال له : جابر أو جويبر : طلبت إلى عمر حاجة فى خلافته ، فقدِمت المدينة ليلا ، فَمَثَّلْتُ بين أن أتخذ منزلا وبين المسجد ، فاخترت المسجد منزلا ، فأرقت نَشْوا من آخر الليل ، فإذا إلى جنبى رجل يصلى ، يقرأ بأمّ الكتاب ، ثم يسبح قدر السورة ، ثم يركع ولا يقرأ ، فلم أعرفه حتى جَهَر ، فإذا هو عُمر ، فكانت فى نفسى ، فغدوت عليه ، فقلت : يا أمير المؤمنين حاجة مع حاجة ، قال : هات حاجتك ، قلت : إنى قدِمت ليلا ، فمَثَّلْت بين أن أتخذ منزلا وبين المسجد ، فاخترت المسجد ، فأرقت نَشْوا من آخر الليل ، فإذا إلى جنبى رجل يقرأ بأمّ الكتاب ، ثم يسبح قدر السورة ، ثم يركع ولا يقرأ ، فلم أعرفه حتى جَهَر ، فإذا هو أنت ، وليس كذلك نفعل فِيمَا بَيْنَنَا ، قال : وكيف تفعلون ؟ قال : يقرأ أحدنا أمّ الكتاب ، ثم يفتتح السورة ، فيقرؤها ، قال : ما لهم يعلَمُون ولا يعمَلُون ، ما لهم يعلَمون ولا يعمَلُون ، مالهم يعلَمُون ولا يعمَلُون ؟ وما تبغى عن السبع المثانى ، وعن التسبيح صلاة الخلق .

حدثنى طُلَيق بن محمد الواسطىّ ، قال : أخبرنا يزيد ، عن الجريرىّ ، عن أبى نَضْرة ، عن جابر أو جويبر ، عن عُمَر بنحوه ، إلا أنه قال : فقال يقرأ القرآن ما تيسر أحيانا ، ويسبح أحيانا ، مالهم رغبة عن فاتحة الكتاب ، وما يبتغى بعد المثانى ، وصلاة الخلق : التسبيح .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى ، قال : ثنا سفيان ، عن السدىّ ، عن عبد خير ، عن علىّ ، قال : السبع المثانى : فاتحة الكتاب .

حدثنا نصر بن عبد الرحمن ، قال : ثنا حفص بن عمر ، عن الحسن بن صالح ، وسفيان عن السدىّ ، عن عبد خير ، عن علىّ ، مثله .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يَمان ، عن سفيان ، عن السدىّ ، عن عبد خير ، عن علىّ مثله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ؛ وحدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد جميعا ، عن سفيان ، عن السدىّ ، عن عبد خير ، عن علىّ ، مثله .

حدثنا أبو كريب وابن وكيع ، قالا : ثنا ابن إدريس ، قال : ثنا هشام ، عن ابن سيرين ، قال : سئل ابن مسعود عن سبع من المثانى ، قال : فاتحة الكتاب .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيَة ، قال : أخبرنا يونس ، عن الحسن ، فى قوله (وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِنَ المثانِى) قال : فاتحة الكتاب ، قال : وقال ابن سيرين عن ابن مسعود : هى فاتحة الكتاب .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن يونس ، عن ابن سيرين ، عن ابن مسعود (سَبْعاً مِنَ المَثانِى) قال : فاتحة الكتاب .

حدثنى سعيد بن يحيى الأُمَوىّ ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنا ابن جريج ، قال : أخبرنا أبى ، عن سعيد ابن جبير ، عن ابن عباس ، أنه قال فى قول الله تعالى (وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعا مِنَ المَثانِى) قال : هى فاتحة الكتاب ، فقرأها علىّ ستا ، ثم قال : بسم الله الرحمن الرحيم الآية السابعة ، قال سعيد : وقرأها ابن عباس علىّ كما قرأها عليك ، ثم قال الآية السابعة : بسم الله الرحمن الرحيم ، فقال ابن عباس : قد أخرجها الله لكم ، وما أخرجها لأحد قبلكم .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنى ابن جريج ، أن أباه حدّثه ، عن سعيد بن جبير ، قال : قال لى ابن عباس : فاستفتح ببسم الله الرحمن الرحيم ، ثم قرأ فاتحة الكتاب ، ثم قال : تدرى ما هذا (وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِنَ المَثانِى) .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِنَ المَثانِى) يقول : السبع : الحمد لله ربّ العالمين ، والقرآن العظيم . ويقال : هنّ السبع الطول ، وهن المئون .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن جريج ، عن أبيه ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : فاتحة الكتاب .

حدثنى عمران بن موسى القزاز ، قال : ثنا عبد الوارث ، قال : ثنا إسحاق بن سويد ، عن يحيى بن يعمر ، وعن أبى فاختة فى هذه الآية : (وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِنَ المَثانِى والقُرآنَ العَظِيمَ) قالا : هى أمّ الكتاب .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا وهب بن جرير ، قال : ثنا شعبة ، عن السدىّ عمن سمع عليا يقول : الحمد لله ربّ العالمين ، هى السبع المثانى .

حدثنا أبو المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، قال : سمعت العلاء بن عبد الرحمن ، يحدّث عن أبيه ، عن أبىّ بن كعب ، أنه قال : السبع المثانى : الحمد لله ربّ العالمين .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن أبى جعفر الرازىّ ، عن الربيع ، عن أبى العالية ، فى قول الله تعالى (وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِنَ المَثانِى) قال : فاتحة الكتاب سبع آيات ، قلت للربيع : إنهم يقولون : السبع الطُّوَل ، فقال : لقد أنزلت هذه ، وما أنزل من الطُّوَل شىء .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبى جعفر الرازىّ ، عن الربيع بن أنس ، عن أبى العالية ، قال : فاتحة الكتاب . قال : وإنما سميت المثانى ، لأنه يثنى بها ، كلما قرأ القرآن قرأها ، فقيل لأبى العالية : إن الضحاك بن مزاحم يقول : هى السبع الطُّوَل ، فقال : لقد نزلت هذه السورة سبعا من المثانى وما أنزل شىء من الطُّوَل .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، قال : ثنا سفيان ، عن أبيه ، عن سعيد بن جبير ، قال : فاتحة الكتاب .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ؛ وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى جميعاً ، عن سفيان ، عن الحسن بن عبيد الله ، عن إبراهيم ، قال : فاتحة الكتاب .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن الحسن بن عبيد الله ، عن إبراهيم مثله .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ؛ وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ؛ وحدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد جميعا ، عن هارون بن أبى إبراهيم البربرىّ ، عن عبد الله بن عبيد بن عمير ، قال : السبع من المثانى : فاتحة الكتاب .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن ابن جريج ، عن أبى مليكة (وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِنَ المَثَانِي) قال : فاتحة الكتاب . قال : وذكر فاتحة الكتاب لنبيكم صلى الله عليه وسلم ، لم تذكر لنبىّ قبله .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن ليث ، عن شهر بن حَوْشَب ، فى قوله (وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِنَ المَثَانِي) قال : فاتحة الكتاب .

حدثنى محمد بن أبى خداش ، قال : ثنا محمد بن عبيد ، قال : ثنا هارون البربرى ، عن عبد الله بن عبيد بن عمير الليثى فى قول الله تعالى (وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِنَ المَثَانِي) قال : هى الحمد لله ربّ العالمين .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن أبى رجاء ، قال : سألت الحسن ، عن قوله تعالى (وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِنَ المَثَانِي والقُرْآنَ العَظِيمَ) قال : هى فاتحة الكتاب ، ثم سئل عنها وأنا أسمع ، فقرأها الحمد لله ربّ العالمين ، حتى أتى على آخرها ، فقال : تُثْنى فى كلّ قراءة .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا إسرائيل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قال : فاتحة الكتاب .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا شريك ، عن ليث ، عن مجاهد ، قال : فاتحة الكتاب .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِنَ المَثَانِي والقُرْآنَ العَظِيمَ) ذكر لنا أنهنّ فاتحة الكتاب ، وأنهن يُثْنين فى كلّ قراءة .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (سَبْعاً مِنَ المَثَانِي) قال : فاتحة الكتاب تُثْنى فى كلّ ركعة مكتوبة وتطوّع .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حماد بن زيد وحجاج ، عن ابن جريج ، قال : أخبرنى أبى

عن سعيد بن جبير ، أنه أخبره أنه سأل ابن عباس ، عن السبع المثانى ، فقال : أمّ القرآن ، قال سعيد : ثم قرأها ، وقرأ منها : (بسم الله الرحمن الرحيم) قال أبى : قرأها سعيد كما قرأها ابن عباس ، وقرأ فيها (بسم الله الرحمن الرحيم) . قال سعيد : قلت لابن عباس : فما المثانى ؟ قال : هى أمّ القرآن ، استثناها الله لمحمد صلى الله عليه وسلم ، فرفعها فى أمّ الكتاب ، فذخرها لهم ، حتى أخرجها لهم ، ولم يُعطها لأحد قبله . قال : قلت : لأبى : أخبرك سعيد أن ابن عباس قال له : بسم الله الرحمن الرحيم آية من القرآن ؟ قال : نعم . قال ابن جريج : قال عطاء : فاتحة الكتاب ، وهى سبع ببسم الله الرحمن الرحيم ، والمثانى : القرآن .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن عطاء ، أنه قال : السبع المثانى : أمّ القرآن .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا عبد الله العتكىّ ، عن خالد الحنفىّ قاضى مَرْو ، فى قوله (وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِى) قال : فاتحة الكتاب .

وقال آخرون : عنى بالسبع المثانى : معانى القرآن .

ذكر من قال ذلك

حدثنى إسحاق بن إبراهيم بن حبيب الشهيد الشهيدىّ ، قال : ثنا عتاب بن بشير ، عن خَصِيف ، عن زياد بن أبى مريم ، فى قوله (سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِى) قال : أعطيتك سبعة أجزاء : مُرْ ، وانْهَ ، وبَشِّرْ ، وأنذِرْ ، واضرب الأمثال ، واعدُدِ النعمَ ، وآتيتك نبأ القرآن .

وقال آخرون من الذين قالوا عُنِى بالسبع المثانى : فاتحة الكتاب ؛ المثانى : هو القرآن العظيم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمران بن عيينة ، عن حصين ، عن أبى مالك ، قال : القرآن كله مثانى .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن حصين ، عن أبى مالك ، قال : القرآن كُلُّه مثانى .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا عبيد أبو زيد ، عن حصين ، عن أبى مالك ، قال : القرآن مثانى ، وعدّ البقرة ، وآل عمران ، والنساء ، والمائدة ، والأنعام ، والأعراف ، وبراءة .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن ابن جُريج ، عن مجاهد ، وعن ابن طاوس ، عن أبيه ، قال : القرآن كله يُثْنَى .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال : المثانى : ما ثُنِى من القرآن ، ألم تسمع لقول الله تعالى ذكره : (اللهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِىَ) .

حُدِّثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول : المثانى : القرآن ، يذكر الله القصة الواحدة مرارا ، وهو قوله (نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِىَ) .

⁂ وأَولَى الأقوال فى ذلك بالصواب : قول من قال : عُنِى بالسبع المثانى : السبع اللواتى هنّ آيات

أم الكتاب، لصحة الخبر بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: الذى حدّثنيه يزيد بن مخلد بن خِدَاش الواسطىّ، قال: ثنا خالد بن عبد الله، عن عبد الرحمن بن إسحاق، عن العلاء، عن أبيه، عن أبى هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أُمُّ القُرآنِ السَّبْعُ المَثانِى الَّتِى أُعْطِيتُها».

حدثنى أحمد بن المقدام العجلى، قال: ثنا يزيد بن زريع، قال: ثنا روح بن القاسم، عن أبيه، عن أبى هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأُبَىّ: «إنّى أُحِبُّ أنْ أُعَلِّمَكَ سُورَةً لَمْ يَنْزِلْ فِى التَّوْرَاةِ، وَلا فِى الإنْجِيلِ، وَلا فِى الزَّبُورِ، وَلا فِى الفُرْقانِ مِثْلُها، قال: نعم يا رسول الله، قال: إنّى لَأَرْجُو أنْ لا تَخْرُجَ مِنْ هَذَا البابِ حتى تَعْلَمَها، ثم أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدى يحدثنى، فجعلت أتباطأ مخافة أن يبلغ البابَ قبل أن ينقضى الحديث؛ فلما دنوت قلت: يا رسول الله ما السورة التى وَعَدْتَنى؟ قالَ: ما تَقرأُ فِى الصَّلاةِ؟ فقرأت عليه أمّ القرآن، فقال: والَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ ما أُنْزِلَ فِى التَّوْرَاةِ، وَلا فِى الإنْجِيلِ، وَلا فِى الزَّبُورِ، وَلا فِى الفُرْقانِ مِثْلُها، إنَّها السَّبْعُ مِنَ المَثانِى والقُرآنِ العَظِيمِ الَّذِى أُعْطِيتُهُ».

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا زيد بن حُباب العُكْلىّ، قال: ثنا مالك بن أنس، قال: أخبرنى العلاء ابن عبد الرحمن بن يعقوب: مولى لعُروة، عن أبى سعيد مولىَ عامر بن فلان، أو ابن فلان، عن أُبَىّ بن كعب، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له: «إذَا افْتَتَحْتَ الصَّلاةَ بِمَ تَفْتَتِحُ؟ قال: الحمد لله ربّ العالمين، حتى ختمها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: هِىَ السَّبْعُ المَثانِى، والقُرآنُ العَظِيمُ الَّذِى أُعْطِيت».

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا أبو أسامة، عن عبد الحميد بن جعفر، عن العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب، عن أبيه، عن أبى هريرة، عن أبىّ، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ألا أُعَلِّمُكَ سُورَةً ما أُنْزِلَ فِى التَّوْرَاةِ، وَلا فِى الإنْجِيلِ، وَلا فِى الزَّبُورِ، وَلا فِى الفُرْقانِ، مِثْلُها؟ قلت: بلى، قال: إنّى لَأَرْجُو أنْ لا تَخْرُجَ من ذَلِكَ البابِ حتى تَعْلَمَها، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وقمت معه، فجعل يحدثنى ويده فى يدى، فجعلت أتباطأ، كراهية أن يخرج قبل أن يخبرنى بها؛ فلما قَرُب من الباب قلت: يارسول الله، السورة التى وعدتنى؟ قال: «كَيْفَ تَقْرَأُ إذَا افْتَتَحْتَ الصَّلاةَ؟ قال: فقرأ فاتحة الكتاب، قال: هِىَ هِىَ، وَهِىَ السَّبْعُ المَثانِى الَّتِى قالَ اللهُ تَعالى: (وَلَقَدْ آتَيْناكَ سَبْعاً مِنَ المَثانِى والقُرآنِ العَظِيمِ الَّذِى أُوتِيتُ)».

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا المحاربىّ، عن إبراهيم بن الفضل المدنىّ، عن سعيد المَقْبُرِىّ، عن أبى هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «الرَّكْعَتانِ اللَّتانِ لا يُقْرَأُ فِيهِما كالخِداجِ لَمْ يَتِمَّا، قال رجل: أرأيتَ إن لم يكن معى إلا أمّ القرآن؟ قال: هى حسبك، هِىَ أُمُّ القُرآنِ، هِىَ السَّبْعُ المَثانِى».

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن نمير، عن إبراهيم بن الفضل، عن المقبُرِىّ، عن أبى هريرة، قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الرَّكْعَةُ الَّتِى لايُقْرأُ فِيها كالحِدَاجِ » . قلت لأبى هريرة : فإن لم يكن معى إلا أمّ القرآن ؟ قال : هى حسبك ، هى أمّ الكتاب ، وأمّ القرآن ، والسبع المثانى .

حدثنى أبو كريب ، قال : ثنا خالد بن مخلد ، عن محمد بن جعفر ، عن العلاء بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن أبى هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «وَالَّذِى نَفْسِي بِيَدِهِ ، ما أنْزَلَ اللهُ فِى التَّوْرَاةِ ، وَلا فِى الإنْجِيلِ ، وَلا فِى الزَّبُورِ ، وَلا فِى الفُرْقانِ مِثْلَها ، يعنى أمّ القرآن ، وإنها لَهِيَ السَّبْعُ المَثانِي ، التى آتانِيَ اللهُ تَعالى » .

حدثنى يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنى بن أبى ذئب ، عن سعيد المقبُرِىّ ، عن أبى هريرة ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « هِيَ أُمُّ القُرْآنِ ، وَهِيَ فاتِحَةُ الكِتابِ ، وَهِيَ السَّبْعُ المَثانِي » .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا يزيد بن هارون وشبابة ، قالا : أخبرنا ابن أبى ذئب ، عن المقبرىّ ، عن أبى هريرة ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم فى فاتحة الكتاب قال : « هِيَ فاتِحَةُ الكِتابِ ، وَهِيَ السَّبْعُ المَثانِي ، والقُرآنُ العَظِيمُ » .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عفان ، قال : ثنا عبد الرحمن بن إبراهيم ، قال : ثنا العلاء ، عن أبيه ، عن أبى هريرة ، قال : مرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم على أُبَىّ بن كعب فقال : « أتُحِبُّ أنْ أُعَلِّمَكَ سُورَةً لَمْ يَنْزِلْ فِى التَّوْرَاةِ ، وَلا فِى الإنْجِيلِ ، وَلا فِى الزَّبُورِ ، وَلا فِى الفُرْقانِ مِثْلُها ؟ قلت : نعم يا رسول الله ، قال : فَكَيْفَ تَقْرأُ فِى الصَّلاةِ ؟ فقرأت عليه أمّ الكتاب ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وَالَّذِى نَفْسِي بِيَدِهِ ما أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فِى التَّوْرَاةِ ، وَلا فِى الإنْجِيلِ ، وَلا فِى الزَّبُورِ ، وَلا فِى الفُرْقانِ مِثْلُها ، وإنَّها السَّبْعُ المَثانِي والقُرآنُ العَظِيمُ » .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا وهب بن جرير ، قال : ثنا سعيد بن حبيب ، عن حفص بن عاصم ، عن أبى سعيد بن المعلى « أن النبىّ صلى الله عليه وسلم دعاه وهو يصلى ، فصلى ، ثم أتاه فقال : ما مَنَعَكَ أنْ تُجِيبَنِى ؟ قال : إنى كنت أصلى ، قال : أَلَمْ يَقُلِ اللهُ (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلهِ وَلِلرَّسُولِ إذَا دَعاكُمْ لِما يُحْيِيكُمْ) قال : ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لأُعَلِّمَنَّكَ أعْظَمَ سُورَةٍ فِى القُرآنِ فكأنه بَيَّنها أو نَسِى ، فقلت : يا رسولَ الله الذى قلت : قال : الحَمْدُ لِلهِ رَبِّ العالَمِينَ : هِيَ السَّبْعُ المَثانِي ، والقُرآنُ العَظِيمُ الَّذِى أُوتِيتُهُ » .

⁂ فإذ كان الصحيح من التأويل فى ذلك ماقلنا ، للذى به استشهدنا ، فالواجب أن تكون المثانى مرادا بها القرآن كله ، فيكون معنى الكلام : ولقد آتيناك سبع آيات ، مما يَثْنِى بعضُ آيه بعضا . وإذا كان ذلك كذلك كانت المثانى : جمع مَثْناة ، وتكون آى القرآن موصوفة بذلك ، لأن بعضها يَثْنِى بعضا ، وبعضها يتلو بعضا ، بفصول تفصل بينها ، فيعرف انقضاء الآية ، وابتداء التى تليها ، كما وصفها به تعالى ذكره ، فقال (اللهُ نَزَّلَ

أحْسَنَ الحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ، تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ). وقد يجوز أن يكون معناها، كما قال ابن عباس والضحاك ومن قال ذلك، أن القرآن إنما قيل له مَثَانى، لأن القَصَص والأخبار كرّرت فيه مرّة بعد أخرى . وقد ذكرنا قول الحسن البصرىّ أنها إنما سميت مَثانى، لأنها تُثْنَى فى كلّ قراءة . وقول ابن عباس : إنها إنما سميت مَثانى ، لأن الله تعالى ذكره استثناها لمحمد صلى الله عليه وسلم ، دون سائر الأنبياء غيره ، فادّخرها له .

وكان بعض أهل العربية، يزعم أنها سميت مَثَانِيَ، لأن فيها الرحمن الرحيم مرّتين ، وأنها تُثْنَى فى كلّ سورة ، يعنى : بسم الله الرحمن الرحيم .

وأما القول الذى اخترناه فى تأويل ذلك ، فهو أحد أقوال ابن عباس ، وهو قول طاوس ومجاهد وأبى مالك ، وقد ذكرنا ذلك قبل .

وأما قوله (والقُرآنَ العَظِيمَ) فإن القرآن معطوف على السبع ، بمعنى : ولقد آتيناك سبع آيات من القرآن ، وغير ذلك من سائر القرآن .

كما حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (والقُرآنَ العَظِيمَ) قال : سائره : يعنى سائر القرآن ، مع السبع من المثانى .

حُدِّثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله : (والقُرآنَ العَظِيمَ) يعنى : الكتاب كله .

القول فى تأويل قوله تعالى

لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ (٨٨)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : لا تتمنينّ يا محمد ما جعلنا من زينة هذه الدنيا متاعا للأغنياء من قومك، الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر ، يتمتعون فيها ، فإن مِنْ ورائهم عذاباً غليظاً . (وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ) يقول : ولا تحزن على ما مُتِّعوا به، فعجّل لهم، فإن لك فى الآخرة ما هو خير منه ، مع الذى قد عجّلنا لك فى الدنيا من الكرامة، بإعطائنا السبع المثانى، والقرآن العظيم . يقال منه : مَدَّ فلانٌ عينه إلى مال فلان : إذا اشتهاه وتمناه وأراده .

وذُكر عن ابن عُيينة أنه كان يتأوّل هذه الآية : قولَ النبىّ صلى الله عليه وسلم : « لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بالقُرآنِ » : أى من لم يستغن به ، ويقول : « ألا تَرَاهُ يَقُولُ » : (وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ المَثَانِى، والقُرآنَ العَظِيمَ . لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إلى ما مَتَّعْنا بِهِ أزْوَاجا مِنْهُمْ) : فأمره بالاستغناء بالقرآن عن المال . قال : ومنه قول الآخر : من أُوتِى القرآن، فرأى أن أحدا أُعطِى أفضل مما أُعطِى، فقد عظّم صغيرا ، وصغّر عظيما .

وبنحو الذى قلنا فى قوله (أزْوَاجاً) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (لاَ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إلى ما مَتَّعْنا بِهِ أزْوَاجاً مِنْهُمْ) : الأغنياء الأمثال الأشباه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله (لاَ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إلى ما مَتَّعْنا بِهِ أزْوَاجاً مِنْهُمْ) قال : نُهِىَ الرجلُ أن يتمنى مال صاحبه .

وقوله (وَاخْفِضْ جَناحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : وألِن لمن آمن بك ، واتبعك واتبع كلامك ، وقرّبهم منك ، ولا تَجْفُ بهم ، ولا تَغْلُظ عليهم : يأمره تعالى ذكره بالرفق بالمؤمنين . والجناحان من بنى آدم : جنباه ، والجناحان : الناحيتان ، ومنه قول الله تعالى ذكره : (وَاضْمُمْ يَدَكَ إلى جَناحِكَ) قيل : معناه : إلى ناحيتك وجنبك .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَقُلْ إِنِّيٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ (٨٩) كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ (٩٠) ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ (٩١)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : وقل يا محمد للمشركين : إنى أنا النذير الذى قد أبان إنذارَه لكم من البلاء والعقاب ، أن ينزل بكم من الله ، على تماديكم فى غيكم ، كما أنزلنا على المقتسمين : يقول : مثل الذى أنزل الله تعالى من البلاء والعقاب ، على الذين اقتسموا القرآن ، فجعلوه عِضِين .

ثم اختلف أهل التأويل فى الذين عُنُوا بقوله (المُقْتَسِمِينَ) ، فقال بعضهم : عُنِى به اليهود والنصارى ، وقال : كان اقتسامهم أنهم اقتسموا القرآن وعَضَّوه ، فآمنوا ببعضه ، وكفروا ببعضه .

ذكر من قال ذلك

حدثنى عيسى بن عثمان الرملى ، قال : ثنا يحيى بن عيسى ، عن الأعمش ، عن أبى ظَبْيان ، عن ابن عباس ، فى قول الله (كَمَا أنْزَلْنا على المُقْتَسِمِينَ ، الَّذِينَ جَعَلُوا القُرآنَ عِضِينَ) قال : هم اليهود والنصارى ، آمنوا ببعض ، وكفروا ببعض .

حدثنا أبو كريب ويعقوب بن إبراهيم ، قالا : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا أبو بشر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، فى قوله (كَمَا أنْزَلْنا على المُقْتَسِمِينَ ، الَّذِينَ جَعَلُوا القُرآنَ عِضِينَ) قال : هم أهل الكتاب ، جزّءوه ، فجعلوه أعضاء أعضاء ، فآمنوا ببعضه ، وكفروا ببعضه .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن أبي ظبيان ، عن ابن عباس ، في قوله (كَمَا أَنْزَلْنَا على المُقْتَسِمِينَ. الَّذِينَ جَعَلُوا القُرآنَ عِضِينَ) قال : الذين آمنوا ببعض ، وكفروا ببعض .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا ابن أبي عديّ ، عن شعبة ، عن سليمان ، عن أبي ظبيان ، عن ابن عباس ، قال : (المُقْتَسِمِينَ) أهل الكتاب (الَّذِينَ جَعَلُوا القُرآنَ عِضِينَ) قال : يؤمنون ببعض ، ويكفرون ببعض .

حدثني مطر بن محمد الضَّبّيّ ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا شعبة ، قال : ثنا أبو بشر ، عن سعيد ابن جبير ، أنه قال في قوله (كَمَا أَنْزَلْنَا على المُقْتَسِمِينَ) قال : هم أهل الكتاب .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير أنه قال في هذه الآية (كَمَا أَنْزَلْنَا على المُقْتَسِمِينَ، الَّذِينَ جَعَلُوا القُرآنَ عِضِينَ) قال: هم أهل الكتاب آمنوا ببعضه ، وكفروا ببعضه .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا أبو بشر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، في قوله (الَّذِينَ جَعَلُوا القُرآنَ عِضِينَ) قال : هم أهل الكتاب جزّءوه ، فجعلوه أعضاء ، فآمنوا ببعضه ، وكفروا ببعضه .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن جويبر ، عن الضحاك ، عن ابن عباس ، قال : جزّءوه ، فجعلوه أعضاء كأعضاء الجزور .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن منصور ، عن الحسن ، قال : هم أهل الكتاب .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (كَمَا أَنْزَلْنَا على المُقْتَسِمِينَ) قال : هم اليهود والنصارى من أهل الكتاب ، قسموا الكتاب ، فجعلوه أعضاء ، يقول : أحزابا ، فآمنوا ببعض ، وكفروا ببعض .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس : المقتسمين آمنوا ببعض ، وكفروا ببعض ، وفرّقوا الكتاب .

وقال آخرون (المُقْتَسِمُونَ) : أهل الكتاب ، ولكنهم سموا المقتسمين ، لأن بعضهم قال استهزاء بالقرآن : هذه السورة لي ، وقال بعضهم : هذه لي .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن سماك ، عن عكرمة : أنه قال في هذه الآية (الَّذِينَ جَعَلُوا القُرآنَ عِضِينَ) قال : كانوا يستهزئون ، يقول هذا : لي سورة البقرة ، ويقول هذا : لي سورة آل عمران .

وقال آخرون : هم أهل الكتاب ، ولكنهم قيل لهم : المقتسمون : لاقتسامهم كتبهم ، وتفريقهم ذلك بإيمان بعضهم ببعضها ، وكفره ببعض ، وكفر آخرين بما آمن به غيرهم ، وإيمانهم بما كفر به الآخرون .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن عبد الملك ، عن قيس ، عن مجاهد (كَمَا أَنْزَلْنَا على المُقْتَسِمِينَ الَّذِينَ جَعَلُوا القُرآنَ عِضِينَ) قال : هم اليهود والنصارى ، قسّموا كتابهم ، ففرّقوه ، وجعلوه أعضاء .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنى الحسن قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حُذيفة ، قال : ثنا شبل جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (كَمَا أَنْزَلْنَا على المُقْتَسِمِينَ) قال : أهل الكتاب ، فرقوه وبدّلوه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (كَمَا أَنْزَلْنَا على المُقْتَسِمِينَ) قال : أهل الكتاب .

وقال آخرون : عُنِى بذلك رهط من كفار قريش بأعيانهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (كَمَا أَنْزَلْنَا على المُقْتَسِمِينَ الَّذِينَ جَعَلُوا القُرآنَ عِضِينَ) رهط خمسة من قريش ، عَضَّهُوا كتابَ الله .

وقال آخرون : عنى بذلك رهط من قوم صالح ، الذين تقاسموا على تبييت صالح وأهله .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (كَمَا أَنْزَلْنَا على المُقْتَسِمِينَ) قال : الذين تقاسموا بصالح ، وقرأ قول الله تعالى (وكانَ فِي المَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ وَلا يُصْلِحُونَ) قال : تقاسموا بالله حتى بلغ الآية .

وقال بعضهم : هم قوم اقتسموا طرق مكة أيام قدوم الحاجّ عليهم ، كان أهلها بعثوهم فى عقابها ، وتقدموا إلى بعضهم ان يشيع فى الناحية التى توجه إليها لمن سأله عن نبىّ الله صلى الله عليه وسلم من القادمين عليهم ، أن يقول : هو مجنون ، وإلى آخر : إنه شاعر ، وإلى بعضهم : إنه ساحر .

☆ والصواب من القول فى ذلك عندى : أن يقال : إن الله تعالى أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يُعلم قومه الذين عَضَّوُا القرآن ففرقوه ، أنه نذير لهم من سخط الله تعالى وعقوبته ، أن يَحُلّ بهم على كفرهم ربهم ، وتكذيبهم نبيهم ، ما حلّ بالمقتسمين من قبلهم ومنهم . وجائز أن يكون عنى بالمقتسمين : أهل الكتابين : التوراة والإنجيل ، لأنهم اقتسموا كتاب الله ، فأقرّت اليهود ببعض التوراة ، وكذبت ببعضها ، وكذبت بالإنجيل والفرقان ، وأقرّت النصارى ببعض الإنجيل وكذّبت ببعضه وبالفرقان . وجائز أن يكون عُنِى بذلك المشركون من قريش ، لأنهم اقتسموا القرآن ، فسماه بعضهم شعرا ، وبعض كَهانة ، وبعض أساطير الأوّلين . وجائز أن يكون عُنِى به الفريقان ، وممكن أن يكون عُنِىَ به المقتسمون على صالح من قومه ،

فإذ لم يكن فى التنزيل دلالة على أنه عُنى به أحد الفرق الثلاثة ، دون الآخرين ، ولا فى خبر عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولا فى فِطْرة عقل ، وكان ظاهر الآية محتملا ما وصفت ، وجب أن يكون مقضيا بأن كلّ من اقتسم كتابا لله ، بتكذيب بعض ، وتصديق بعض ، واقتسم على معصية الله ، ممن حلّ به عاجل نقمة الله فى الدار الدنيا ، قبل نزول هذه الآية ، فداخل فى ذلك ، لأنهم لأشكالهم من أهل الكفر بالله ، كانوا عِبرة ، وللمتعظين بهم منهم عِظَة .

⁂ واختلف أهل التأويل فى معنى قوله (الَّذِينَ جَعَلُوا القُرآنَ عِضِينَ) فقال بعضهم : معناه : الذين جعلوا القرآن فِرَقا مفترقة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (الَّذِينَ جَعَلُوا القُرآنَ عِضِينَ) قال : فرقا .

حدثنا أبو كريب ويعقوب بن إبراهيم ، قالا : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا أبو بشر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : جزّءوه ، فجعلوه أعضاء ، فآمنوا ببعضه ، وكفروا ببعضه .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن جويبر ، عن الضحاك ، عن ابن عباس ، قال : جزّءوه فجعلوه أعضاء كأعضاء الجزور .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا طلحة ، عن عطاء (الَّذِينَ جَعَلُوا القُرآنَ عِضِينَ) قال : المشركون من قريش ، عَضَّوُا القرآن ، فجعلوه أجزاء ، فقال بعضهم : ساحر ، وقال بعضهم شاعر ، وقال بعضهم : مجنون ، فذلك العِضُون .

حُدِّثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، فى قوله (جَعَلُوا القُرآنَ عِضِينَ) : جعلوا كتابهم أعضاء كأعضاء الجزور ، وذلك أنهم تقطعوه زُبرا ، كل حزب بما لديهم فرحون ، وهو قوله (فَرَّقُوا دِينَهُمْ وكانُوا شِيَعًا) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (الَّذِينَ جَعَلُوا القُرآنَ عِضِينَ) : عَضَهُوا كتاب الله : زعم بعضهم أنه سِحْر ، وزعم بعضهم أنه شِعْر ، وزعم بعضهم أنه كاهن .

قال أبو جعفر : هكذا قال كاهن ، وإنما هو كهانة ، وزعم بعضهم أنه أساطير الأوّلين .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن الأعمش ، عن أبى ظبيان ، عن ابن عباس الذى جعلوا القرآن عضين ، قال : آمنوا ببعض ، وكفروا ببعض .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنى ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (الَّذِينَ جَعَلُوا القُرآنَ عِضِينَ) قال : جعلوه أعضاء ، كما تُعَضَّى الشاة . قال بعضهم : كَهانة . وقال بعضهم : هو سحر . وقال بعضهم : شِعْر . وقال بعضهم (أساطِيرُ الأوَّلِينَ اكْتَتَبَها) . . . الآية . جعلوه أعضاء كما تُعَضَّى الشاة

فوجه قائلو هذه المقالة قوله (عِضِينَ) إلى أن واحدها : عُضْو ، وأن عِضِينَ : جمعه ، وأنه مأخوذ من قولهم عَضَّيت الشيء تعضية : إذا فرقته ، كما قال رُؤْبة :

وليس دينُ اللهِ بالمُعَضَّى[1]

يعنى بالمفرّق ؛ وكما قال الآخر :

وعَضَّى بَنِى عَوْفٍ ، فأمَّا عَدُوُّهُمْ فأرْضَى وأمَّا العِزَّ منهُمُ فغَيَّرا[2]

يعنى بقوله : وعَضَّى : سَبَّاهُمْ وقَطَّعاهُمْ بألسنتهما[3] .

وقال آخرون : بل هى جمع عِضَة ، جمعت عِضِين ، كما جمعت البُرَة بُرِين ، والعِزَة عِزِين ، فإذًا وُجِّه ذلك إلى هذا التأويل ، كان أصل الكلام عِضَهَة ، ذهبت هاؤها الأصلية ، كما نقصوا الهاء من الشَّفَة ، وأصلها شَفَهَة ، ومن الشاة ، وأصلها شاهة ، يدلّ على أن ذلك الأصل تصغيرهم الشفة : شُفَيْهة ، والشاة : شُوَيْهة ، فيردّون الهاء التى تسقط فى غير حال التصغير ، إليها فى حال التصغير ، يقال منه : عَضَهْتُ الرجلَ أعْضَهُهُ عَضْهًا : إذا بَهَتَّه ، وقذفته بِبُهتان ؛ وكأن تأويل من تأوّل ذلك كذلك : الذين عَضَهوا القرآن ، فقالوا : هو سِحْر ، أو هو شعر ، نحو القول الذى ذكرناه عن قتادة .

وقد قال جماعة من أهل التأويل : إنه إنما عَنَى بالعَضْه فى هذا الموضع ، نسبتهم إياه إلى أنه سِحْر خاصة ، دون غيره من معانى الذمّ ، كما قال الشاعر :

للماءِ مِنْ عِضَاتِهِنَّ زَمْزَمَه[4]

يعنى : من سِحْرهنّ .

---

(١) البيت لرؤبة فى ديوانه (طبع ليبسج سنة ١٩٠٣ ص٨١) من أرجوزة له ، يمدح بها تميما وسعدا ونفسه ، مطلعها : «دايِنت أروى والديون تقضى » والبيت هوال ٥١ فيها . واستشهد به أبوعبيدة فى (مجاز القرآن ١ : ٣٥٥) عند قوله تعالى « الذين جعلوا القرآن عضين» ، أى عضوه أعضاء ، أى فرقوه فرقا . قال رؤبة : وليس . . . الخ و (فى اللسان : عضا) : عضيت الشاة والجزور تعضية : إذا جعلتها أعضاء وقسمتها . وعضى الشيء : وزعه وفرقه ، قال : وليس . . . . البيت . ثم قال : وفى التنزيل : « جعلوا القرآن عضين » : أى جزءوه أجزاء ، آمنوا ببعضه ، وكفروا ببعض ، وقال ابن الأعرابى : فرقوا فيه القول ، فقالوا : شعر ، وسحر ، وكهانة ، فقسموه هذه الأقسام ، وعضوه أعضاء .

(٢) البيت لم أقف على قائله . ولعله للمخبل السعدى وعضى بنى عوف ، أى سباهم وقسمهم ، فأرضى عدوهم بذلك ، ومن بنى عوف ، فغير حالهم ، من السيادة إلى المذلة . ولعل رواية الشطر الثانى : « فأرضى ، وأما العز منهم فغبرا » ، وغبر بالباء الموحدة ، كما فى بيت المخبل السعدى ، الذى أنشده صاحب اللسان فى غبر ، وهو :

فأنْزَلَهُمْ دارَ الضَّياعِ فأصْبَحُوا عَلى مَقْعَدٍ من مَوْطِنِ العزِّ أغْبَرا

يقال : عز أغبر : أى ذاهب دارس . يريد أنه سبى فريقا من بنى عوف ، وأذل فريقا منهم .

(٣) قوله : « سباهم وقطعاهم بألسنتهما » : كذا فى الأصل المخطوط (الورقة ٦٥ و ، جزء ١٤) ، ولعله سهو من المؤلف ، لأن الفعل « عضى » إذا كان من التعضية ، فهو مسند إلى واحد ، ولايظهر لى أى معنى لجعل المسند إليه مثنى فى كلام المؤلف .

(٤) البيت من مشطور الرجز ، ولم أقف على قائله . استشهد به المؤلف على أن « عضين » فى الآية جمع « عضة » ، ومعناها عند قوم من أهل التأويل : السحر . وقال الفراء (فى معانى القرآن : ١٦٩) « الذين جعلوا القرآن عضين » : فرقوه ، إذ جعلوه سحرا ، وكذبا ، وأساطير الأولين . والعضون فى كلام العرب : السحر بعينه . ويقال : عضوه : أى فرقوه ، كما تعضى الشاة والجزور . وواحد العضين عضة ، رفعها عضون ، ونصبها وخفضها عضين . وفى (اللسان : عضه) : وقال الفراء : العضون فى كلام العرب : السحر ، وذلك أنه من العضه . اهـ . والزمزمة : الكلام غير البين .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن عمرو ، عن عكرمة (الَّذِينَ جَعَلُوا القُرآنَ عِضِينَ) قال : سحرا .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (عِضِينَ) قال : عَضَهوه وبَهَتُوه .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : كان عكرمة يقول : العَضْه : السحر ، بلسان قريش ، تقول للساحرة : إنها العاضهة .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ؛ وحدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (جَعَلُوا القُرآنَ عِضِينَ) قال : سِحْرا ، أعضاء الكتب كلها ، وقريش فرقوا القرآن ، قالوا : هو سحر .

⁂ والصواب من القول فى ذلك : أن يقال : إن الله تعالى ذكره ، أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يُعْلِم قوما عَضَهُوا القرآن ، أنه لهم نذير من عقوبة تنزل بهم ، بِعَضْهِهِمْ إياه ، مثل ما أنزل بالمقتسمين ، وكان عَضْهُهُم إياه : قذفهموه بالباطل ، وقيلهم إنه شعر وسحر ، وما أشبه ذلك .

وإنما قلنا : إن ذلك أولى التأويلات به ، لدلالة ماقبله من ابتداء السورة وما بعده ، وذلك قوله (إنا كَفَيْنَاكَ المُسْتَهْزِئِينَ) على صحة ما قلنا ، وإنه إنما عُنِىَ بقوله (الَّذِينَ جَعَلُوا القُرآنَ عِضِينَ) : مشركى قومه . وإذ كان ذلك كذلك ، فمعلوم أنه لم يكن فى مشركى قومه من يؤمن ببعض القرآن ، ويكفر ببعض ، بل إنما كان قومه فى أمره على أحد معنيين : إما مؤمن بجميعه ، وإما كافر بجميعه . وإذ كان ذلك كذلك ، فالصحيح من القول فى معنى قوله (الَّذِينَ جَعَلُوا القُرآنَ عِضِينَ) : قول الذين زعموا أنهم عَضَهوه ؛ فقال بعضهم : هو سحر . وقال بعضهم : هو شعر ، وقال بعضهم : هو كهانة ، وما أشبه ذلك من القول ؛ أو عَضَّوْه ، ففرقوه بنحو ذلك من القول . وإذا كان ذلك معناه ، احتمل قوله « عِضِين » ، أن يكون جمع : عِضَة ، واحتمل أن يكون جمع عُضْو ، لأن معنى التعضية : التفريق ، كما تُعَضى الجَزُورُ والشاة ، فتفرق أعضاء . والعَضْه : البَهْت ، ورميه بالباطل من القول ، فهما متقاربان فى المعنى .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٩٢) عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩٣) فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ (٩٤)

⁂ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : فوربك يا محمد لنسألنّ هؤلاء الذين جعلوا القرآن

فى الدنيا عضين فى الآخرة عما كانوا يعملون فى الدنيا، فيما أمرناهم به ، وفيما بعثناك به إليهم، من آى كتابى الذى أنزلته إليهم ، وفيما دعوناهم إليه من الإقرار به ، ومن توحيدى والبراءة من الأنداد والأوثان .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب وأبو السائب ، قالا : ثنا ابن إدريس ، قال : سمعت ليثا ، عن بشير ، عن أنس، فى قوله (فَوَرَبِّكَ لَنَسْئَلَنَّهُمْ أجمَعِينَ) قال : عن شهادة أن لاإله إلا الله .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا شريك ، عن ليث ، عن بشير بن نهيك ، عن أنس ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم : (فَوَرَبِّكَ لَنَسْئَلَنَّهُمْ أجمَعِينَ) قال : عن لاإله إلا الله .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن ليث ، عن بشير ، عن أنس ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم نحوه

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرّزاق ، قال : أخبرنا الثورىّ ، عن ليث ، عن مجاهد ، فى قوله (فَوَرَبِّكَ لَنَسْئَلَنَّهُمْ أجمَعِينَ ، عَمَّا كانُوا يَعْمَلُونَ) قال : عن لاإله إلا الله .

حدثنا أحمد، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا شريك ، عن هلال ، عن عبد الله بن عُكَيْم ، قال : قال عبد الله : « والذى لاإله غيره ، مامنكم من أحد إلا سيخلو الله به يوم القيامة ، كما يخلو أحدكم بالقمر ليلة البدر ، فيقول : ابن آدم، ماذا غرّك منى بى؟ ابن آدم، ماذا عملت فيما علمت؟ ابن آدم، ماذا أجبت المرسلين»؟

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبى جعفر ، عن الربيع ، عن أبى العالية (فَوَرَبِّكَ لَنَسْئَلَنَّهُمْ أجمَعِينَ، عَمَّا كانُوا يَعْمَلُونَ) قال : يُسأل العباد كلهم عن خَلَّتين يوم القيامة : عما كانوا يعبدون ، وعما أجابوا المرسلين .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا الحسين الجعفى ، عن فضيل بن مرزوق ، عن عطية العوفىّ عن ابن عمر (لَنَسْئَلَنَّهُمْ أجمَعِينَ ، عَمَّا كانُوا يَعْمَلُونَ) قال : عن لاإله إلا الله .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (فَوَرَبِّكَ لَنَسْئَلَنَّهُمْ أجمَعِينَ عَمَّا كانُوا يَعْمَلُونَ) ، ثم قال (فَيَوْمَئِذٍ لايُسْئَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إنْسٌ وَلا جانٌّ) قال : لايسألهم : هل عملتم كذا وكذا ، لأنه أعلم بذلك منهم ، ولكن يقول لهم : لِمَ عملتم كذا وكذا ؟

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يونس بن بُكَير ، عن محمد بن إسحاق ، عن محمد بن أبى محمد ، مولى زيد بن ثابت ، عن سعيد بن جبير أوعكرمة ، عن ابن عباس ، قال : أنزل الله تعالى ذكره (فاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ) فإنه أمر من الله تعالى ذكره نبيه صلى الله عليه وسلم، بتبليغ رسالته قومه ، وجميع من أرسل إليه . ويعنى بقوله (فاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ) : فأمض وافرُق ، كما قال أبو ذُؤَيب :

وكأنَّهُنَّ رِبابَةٌ وكأنَّهُ يَسَرٌ يُفيضُ على القِداح ويَصْدَعُ[1]

(١) البيت فى شعر أبى ذؤيب من ديوان الهذليين، القسم الأول (طبعة دار الكتب المصرية سنة ١٩٤٥) . والربابة بكسر الراء: =

يعنى بقوله : يَصْدَع : يُفَرِّق بالقداح .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (فاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ) يقول : فأمضه .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (فاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ) يقول : افعل ما تؤمر .

حدثنا الحسين بن يزيد الطحان ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن ليث ، عن مجاهد ، فى قوله (فاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ) قال : بالقرآن .

حدثنى نصر بن عبد الرحمن الأَوْدِىّ ، قال : ثنا يحيى بن إبراهيم ، عن سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد (فاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ) قال : هو القرآن .

حدثنى أبو السائب ، قال : ثنا ابن فُضَيل ، عن ليث ، عن مجاهد ، فى قوله (فاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ) قال : بالقرآن .

حدثنى أبو السائب ، قال : ثنا ابن فُضَيل ، عن ليث ، عن مجاهد ، فى قوله (فاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ) قال : الجهر بالقرآن فى الصلاة .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا شريك ، عن ليث ، عن مجاهد (فاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ) قال : بالقرآن فى الصلاة .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (فاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ) قال : اجهر بالقرآن فى الصلاة .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا أبو أسامة ، قال : ثنا موسى بن عبيدة ، عن أخيه عبد الله ابن عبيدة ، قال : ما زال النبىّ صلى الله عليه وسلم مستخفيا حتى نزلت (فاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وأعْرِضْ عَنِ المُشْرِكِينَ) ، فخرج هو وأصحابه .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ) قال : بالقرآن الذى يوحى إليه أن يبلغهم إياه ، وقال تعالى ذكره (فاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ) ولم يقل : بما تؤمر به ، والأمر يقتضى الباء ، لأن معنى الكلام : فاصدع بأمرنا ، فقد أمرناك أن تدعو إلى مابعثناك به من الدين خلقى ، وأذنّا لك فى إظهاره .

= خرقة تغطى بها القداح . ويقال الربابة هنا : هى القداح . واليسر : الذى يضرب بالقداح ، وهو المفيض ، ويصدع : يفرق ويصيح ، ويفيض على القداح : أى يدفعها ، ويضرب بها ، ونابت « على » مناب « الباء » ، والضمير فى كأنهن راجع إلى الأتن المذكورة قبل البيت . وفى كأنه راجع إلى حمار الوحش ، الذى يطردها ، ويسوقها أمامه .

ومعنى « ما » التى فى قوله (بِمَا تُؤْمَرُ) معنى المصدر ، كما قال تعالى ذكره (يا أَبَتِ افْعَلْ ما تُؤْمَرُ) معناه : افعل الأمر الذى تَؤُمر به . وكان بعض نحويِّ أهل الكوفة يقول فى ذلك : حُذفت الباء التى يوصل بها تؤمر : من قوله (فاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ)، على لغة الذين يقولون : أمرتك أمرا . وكان يقول : للعرب فى ذلك لغتان : إحداهما أمرتك أمرا ، والأخرى أمرتك بأمر ، فكان يقول : إدخال الباء فى ذلك وإسقاطها سواء ، واستشهد لقوله ذلك بقول حُصين بن المنذر الرَّقاشىّ ، ليزيد بن المُهلَّب :

أمَرْتُكَ أمْرًا جازِماً فعَصَيْتَنِي فأصْبَحْتَ مَسْلُوبَ الإمارَةِ نادِما[1]

فقال : أمرتك أمرا ، ولم يقل : أمرتك بأمر ، وذلك كما قال تعالى ذكره (ألا إنَّ عادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ)، ولم يقل : بربهم ، وكما قالوا : مددت الزِّمام ، ومددت بالزِّمام ، وما أشبه ذلك من الكلام .

وأما قوله (وأعْرِضْ عَنِ المُشْرِكِينَ) يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم : بلغ قومك ما أرسلتَ به ، واكفف عن حرب المشركين بالله وقتالهم ، وذلك قبل أن يُفْرَض عليه جهادهم ، ثم نَسَخَ ذلك بقوله : (فاقْتُلُوا المُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ) .

كما حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وأعْرِضْ عَنِ المُشْرِكِينَ) وهو من المنسوخ .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن جويبر ، عن الضحاك ، فى قوله (وأعْرِضْ عَنِ المُشْرِكِينَ — وقُلْ للَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا للَّذِينَ لا يَرْجُونَ أيامَ اللهِ) وهذا النحو كله فى القرآن أمر الله تعالى ذكره نبيه صلى الله عليه وسلم ، أن يكون ذلك منه ، ثم أمره بالقتال ، فنَسَخَ ذلك كله ، فقال (خُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ) . . . الآية .

القول فى تأويل قوله تعالى

إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ (٩٥) ٱلَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (٩٦)

⁂ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : إنا كفيناك المستهزئين يامحمد ، الذين يستهزئون بك ، ويسخرون منك ، فاصدَعْ بأمر الله ، ولا تخَف شيئا سوى الله ، فإن الله كافيك مَنَ ناصبَك وآذاك ، كما كفاك المستهزئين ، وكان رؤساء المستهزئين قوما من قريش معروفين .

ذكر أسمائهم

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سَلَمة ، قال : ثنى محمد ، قال : كان عظماء المستهزئين ، كما حدثنى يزيدُ بن رُومان ، عن عروة بن الزُّبير : خمسة نَفَر من قومه ، وكانوا ذوى أسنان وشرف فى قومهم . من بنى أسد بن عبد العُزّى بن قَصَىّ : الأسود بن المطلب أبو زَمْعة ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما بلغنى ، قد دعا عليه ، لما كان يبلغه من أذاه واستهزائه ، فقال : اللهمّ أعم بصره ، وأثكله ولده . ومن بنى زُهرة : الأسود بن

(١) البيت : شاهد على أنه يقال : أمرتك أمرا ، وأمرتك بأمر ، فيجوز أن يتعدى الفعل بنفسه وبالباء .

عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف بن زُهرة . ومن بنى مخزوم : الوليدُ بن المغيرة بن عبد الله بن مخزوم . ومن بنى سَهْم بن عمرو بن هُصَيص بن كعب بن لؤىّ : العاص بن وائل بن هشام بن سُعَيد بن سعد بن سَهْم . ومن خُزاعة : الحارث بن الطُّلاطِلة بن عمرو بن الحارث بن عمرو بن مَلْكان ، فلما تمادَوْا فى الشرّ ، وأكثروا برسول الله صلى الله عليه وسلم الاستهزاء ، أنزل الله تعالى ذكره : (فاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ ، وأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ، إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ) . . . إلى قوله (فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ) : قال محمد بن إسحاق ، فحدثنى يزيدُ بن رُومان ، عن عروة بن الزبير ، أو غيره من العلماء : أن جبرئيل أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يطوفون بالبيت ، فقام وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جنبه ، فمرّ به الأسود ابن المطلب ، فرمى فى وجهه بورقة خضراء ، فعَمِى . ومرّ به الأسود بن عبد يغوث ، فأشار إلى بطنه ، فاسْتَسْقَى بطنه ، فمات منه حَبَنًا . ومرّ به الوليد بن المُغيرة ، فأشار إلى أثر جرح بأسفل كعب رجله ، كان أصابه قبل ذلك بسنتين ، وهو يجرّ سَبَلَه ، يعنى إزاره ، وذلك أنه مرّ برجل من خزاعة يَريش نبلا له ، فتعلق سهم من نبله بإزاره ، فخدش رجله ذلك الخدش ، وليس بشىء ، فانتقَضَ به ، فقتله ؛ ومرّ به العاص ابن وائل السَّهمىّ ، فأشار إلى أخمص رجله ، فخرج على حمار له يريد الطائف ، فوُقِصَ على شِبْرِقة ، فدخل فى أخمص رجله منها شوكة ، فقتلته .

قال أبو جعفر : الشِّبرقة : المعروف بالحسك . منه حَبَنَا [1] ، والحَبَن : الماء الأصفر ؛ ومرّ به الحارث ابن الطُّلاطلة ، فأشار إلى رأسه ، فامتخط قيحا فقتله .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن محمد بن أبى محمد القرشىّ ، عن رجل ، عن ابن عباس ، قال : كان رأسهم الوليد بن المُغيرة ، وهو الذى جمعهم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن زياد ، عن سعيد بن جبير ، فى قوله (إنا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ) قال : كان المستهزئين : الوليدُ بن المغيرة ، والعاصُ بن وائل ، وأبو زَمْعة والأسود بن عبد يغوث ، والحارث بن عَيْطلة ، فأتاه جبرئيل ، فأومأ بأصبعه إلى رأس الوليد ، فقال : ماصنعت شيئا ، قال : كُفيت ؛ وأومأ بيده إلى أخمص العاص ، فقال النبىّ صلى الله عليه وسلم : ماصَنَعْتَ شَيْئا ، فقال : كُفيت ؛ وأومأ بيده إلى عين أبى زمعة ، فقال النبىّ صلى الله عليه وسلم : ما صَنَعْتَ شَيْئا ، قال : كُفيت ؛ وأومأ بأصبعه إلى رأس الأسود ، فقال النبىّ صلى الله عليه وسلم : دَعْ لى خالى ، فقال : كُفيت ؛ وأومأ بإصبعه إلى بطن الحارث ، فقال النبىّ صلى الله عليه وسلم : ماصَنَعْتَ شَيْئا ، فقال كُفيت . قال : فمرّ الوليد على قَيْن لخزاعة وهو يجرّ ثيابه ، فتعلقت بثوبه بَرْوة أوشَرَرَة [2] ، وبين يديه نساء ، فجعل يستحيى أن يطأ مِنَ ينتزعُها ، وجعلت تضرب ساقه فخدشته ، فلم يزل مريضا حتى مات ؛ وركب العاص بن وائل بغلة له بيضاء ، إلى حاجة له بأسفل مكة ، فذهب ينزل ، فوضع أخمص قدمه على شِبْرقة ، فحكّت رجله ، فلم يزل يحكها حتى مات ؛ وعمى أبو زمعة ؛ وأخذت الأُكْلة فى رأس الأسود ؛ وأخذ الحارث الماء فى بطنه .

---

(١) كذا فى الأصل المخطوط رقم ١٠٠ تفسير بدار الكتب (الورقة ٦٩ و) ولعله قد سقط من العبارة بعضها . وأصلها : الشبرقة : واحدة الشبرق ، المعروف بالحسك . ويقال : مات منه حبنا . والحبن ... الخ . وانظر خبر كفاية الله نبيه المستهزئين فى سيرة ابن هشام (طبعة الحلبى ٢ : ٥٠ — ٥٢ من الطبعة الأولى) فقد نقله المؤلف هنا ، مع اختلاف يسير فى بعض الألفاظ .

(٢) البروة : لغة فى البرة ، وهى الحلقة من صفر ونحوه ، يريد بها ما يتطاير من الحديد عند الطرق بالمطارق . والشررة : واحدة الشرر ، وفى الأصل : شرة ، ولا معنى له هنا .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، عن أبى بشر ، عن سعيد بن جبير ، فى قوله (إنَّا كَفَيْنَاكَ المُسْتَهْزِئِينَ) قال : هم خمسة رهط من قريش : الوليدُ بن المغيرة ، والعاصُ بن وائل ، وأبو زمعة والحارث بن عيطلة ، والأسود بن قيس .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن أبى بشر ، عن سعيد بن جبير ، فى قوله (إنَّا كَفَيْنَاكَ المُسْتَهْزِئِينَ) قال : الوليد بن المغيرة ، والعاص بن وائل السَّهْمِىَ ، والأسود ابن عبد يغوث ، والأسود بن المطلب ، والحارث بن عيطلة .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرّزاق ، قال : أخبرنا ابن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن عكرمة ، فى قوله (إنَّا كَفَيْنَاكَ المُسْتَهْزِئِينَ) قال : هم خمسة كلهم هلك قبل بَدْر : العاص بن وائل ، والوليد بن المغيرة ، وأبو زمعة بن عبد الأسود ، والحارث بن قيس ، والأسود بن عبد يغوث .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن عيينة عن عمرو ، عن عكرمة (إنَّا كَفَيْنَاكَ المُسْتَهْزِئِينَ) قال : الوليد بن المغيرة ، والعاص بن وائل ، والأسود بن عبد يغوث ، والحارث بن عيطلة .

حدثنا المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن أبى بكر الهُذَلى ، قال : قلت : للزُّهرىّ : إن سعيد بن جبير وعكرمة اختلفا فى رجل من المستهزئين ، فقال سعيد : هو الحارث بن عيطلة ، وقال عكرمة : هو الحارث بن قيس ، فقال : صدقا ، كانت أمه تسمى عيطلة ، وأبوه قيس .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن حُصين ، عن الشعبىّ ، قال : المستهزئين سبعة ، وسَمَّى منهم أربعة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن عامر (إنَّا كَفَيْنَاكَ المُسْتَهْزِئِينَ) قال : كانوا من قريش خمسة نفر : العاص بن وائل السهمى ، كُفِى بصُداع أخذه فى رأسه ، فسال دماغه ، حتى كان يتكلم من أنفه ؛ والوليد بن المغيرة المخزومىّ ، كُفِى برجل من خزاعة أصلح سهما له ، فندرت منه شَظِية ، فوطئ عليها فمات ؛ وهَبَّار بن الأسود ، وعبد يغوث بن وهب ، والحارث بن عيطلة .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا إسرائيل ، عن جابر ، عن عامر (إنَّا كَفَيْنَاكَ المُسْتَهْزِئِينَ) قال : كلهم من قريش : العاص بن وائل ، فكُفِى بأنه أصابه صُداع فى رأسه ، فسال دماغه ، حتى لا يتكلم إلا من تحت أنفه ؛ والحارث بن عيطلة بصَفَر فى بطنه ؛ وابن الأسود فكُفِى بالجُدَرىّ ؛ والوليد بأن رجلا ذهب ليصلح سهما له ، فوقعت شَظِية ، فوطئ عليها ؛ وعبد يغوث فكُفِى بالعمى ، ذهب بصره .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، وعن مِقْسم (إنَّا كَفَيْنَاكَ المُسْتَهْزِئِينَ) قال : هُمُ الوليد بن المغيرة ، والعاص بن وائل ، وعدىّ بن قيس ، والأسود ابن عبد يغوث ، والأسود بن المطلب ، مَرُّوا رجلا رجلا على النبىّ صلى الله عليه وسلم ومعه جبرئيل ، فإذا مرّ به رجل منهم قال جبرئيل : كيف تجد هذا ؟ فيقول : بئس عدوّ الله ، فيقول جبرئيل : كفاكه ؛

فأما الوليد بن المغيرة ، فتردّى ، فتعلق سهم بردائه ، فذهب يجلس ، فقطع أكحله ، فنُزِف فمات ؛ وأما الأسود بن عبد يغوث ، فأُتِى بغصن فيه شوك ، فضرب به وجهه ، فسالت حدقتاه على وجهه ، فكان يقول : دعوت على محمد دعوة ، ودعا علىّ دعوة ، فاستجيب لى ، واستجيب له ؛ دعا علىّ أن أعمى ، فعميت ؛ ودعوت عليه أن يكون وحيدا فريدا فى أهل يثرب ، فكان كذلك . وأما العاص بن وائل ، فوطئ على شوكة فتساقط لحمه عن عظامه حتى هلك . وأما الأسود بن المطلب ، وعدىّ بن قيس ، فإن أحدهما قام من الليل وهو ظمآن ، فشرب ماء من جرّة ، فلم يزل يشرب حتى انفتق بطنه فمات . وأما الآخر فلدغته حية فمات .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرّزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة وعثمان ، عن مِقْسم مولى ابن عباس ، فى قوله (إنَّا كَفَيْنَاكَ المُسْتَهْزِئِين) ثم ذكر نحو حديث ابن عبد الأعلى ، عن ابن ثور .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (كَمَا أَنْزَلْنَا على المُقْتَسِمِينَ الَّذِينَ جَعَلُوا القُرآنَ عِضِينَ) هم رهط خمسة من قريش ، عَضَهُوا القرآن ، زعم بعضهم أنه سحر ، وزعم بعضهم أنه شعر ، وزعم بعضهم أنه أساطير الأوّلين : أما أحدهم فالأسود بن عبد يغوث ، أتى على نبىّ الله صلى الله عليه وسلم وهو عند البيت ، فقال له المَلَك : كيف تجد هذا ؟ قال : بِئْسَ عَبْدُ اللهِ على أنَّهُ خالى ، قال : كَفَيناك ؛ ثم أتى عليه الوليد بن المغيرة ، فقال له المَلَك : كيف تجد هذا ؟ قال : بِئْسَ عَبْدُ اللهِ قال : كَفَيناك ؛ ثم أتى عليه عدىّ بن قيس أخو بنى سهم ، فقال الملك : كيف تجد هذا ؟ قال : بِئْسَ عَبْدُ الله ، قال : كَفَيناك ؛ ثم أتى عليه الأسود بن المطلب ، فقال له الملك : كيف تجد هذا ؟ قال : بِئْسَ عَبْدُ اللهِ ، قال : كفيناك ؛ ثم أتى عليه العاص بن وائل ، فقال له الملك : كيف تجد هذا ؟ قال : بِئْسَ عَبْدُ اللهِ ، قال : كفيناك . فأما الأسود بن عبد يغوث ، فأُتِىَ بغصن من شوك ، فضرب به وجهه ، حتى سالت حَدَقتاه على وجهه ، فكان بعد ذلك يقول : دعا علىّ محمد بدعوة ، ودعوت عليه بأخرى ، فاستجاب الله له فىّ ، واستجاب الله لى فيه ، دعا علىّ أن أثْكَل وأن أعْمَى ، فكان كذلك ؛ ودعوت عليه أن يصير شَرِيدا طريدا ، فطردناه مع يهود يثرب وسُرّاق الحجيج ، وكان كذلك . وأما الوليد بن المغيرة ، فذهب يرتدى ، فتعلق بردائه سهم غَرْب[1] ، فأصاب أكحله أو أبجله ، فأتى فى كلّ ذلك ، فمات . وأما العاص بن وائل ، فوطئ على شوكة ، فأُتِى فى ذلك ، جعل يتساقط لحمه عضوا عضوا ، فمات وهو كذلك . وأما الأسود بن المطلب ، وعدىّ بن قيس ، فلا أدرى ما أصابهما . .

ذُكر لنا أن نبىّ الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر ، نهى أصحابه عن قتل أبى البَخْتَرِىّ ، وقال : خذوه أخذا ، فإنه قد كان له بلاء ، فقال له أصحاب النبىّ صلى الله عليه وسلم : يا أبا البَخْتَرِىّ ، إنا قد نُهينا عن قتلك ، فهلمّ إلى الأمنة والأمان ، فقال أبو البختَرِىّ : وابن أخى معى ، فقالوا : لم نؤمر إلا بك ، فراودوه ثلاث مرّات ، فأبى إلا وابن أخيه معه ، قال : فأغلظ للنبىّ صلى الله عليه وسلم الكلام ، فحمل عليه رجل من القوم فطعنه فقتله ، فجاء قاتله وكأنما على ظهره جبل أو ثِقْل ، مخافة أن يلومه النبىّ صلى الله عليه وسلم ؛

(١) سهم غرب ، بسكون الراء وفتحها : لايدرى من أين أتاه (اللسان) .

فلما أخبر بقوله ، قال النبىّ صلى الله عليه وسلم : أبْعَدَهُ اللهُ وأسْحَقَهُ . وهم المستهزئُونَ الَّذِينَ قال الله : (إنَّا كَفَيْنَاكَ المُسْتَهْزِئِينَ) . وهم الخمسة الذين قيل فيهم : (إنَّا كَفَيْنَاكَ المُسْتَهْزِئِينَ) : استهزءوا بكتاب الله ، ونبيه صلى الله عليه وسلم .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحُذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (إنَّا كَفَيْنَاكَ المُسْتَهْزِئِينَ) : هم من قريش .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، وزعم ابن أبى بَزَّة أنهم : العاص بن وائل السهمىّ ، والوليد بن المغيرة الوحيد ، والحارث بن عدىّ بن سهم بن العيطلة ، والأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العُزَّى بن قُصىّ ، وهو أبو زَمعة ، والأسود بن عبد يغوث ، وهو ابن خال رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حدثنى القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : أخبرنى عمرو بن دينار ، عن ابن عباس ، نحو حديث محمد بن عبد الأعلى ، عن محمد بن ثور ، غير أنه قال : كانوا ثمانية ، ثم عدّهم وقال : كلهم مات قبل بدر .

وقوله (الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللهِ إلَها آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ) : وعيد من الله تعالى ذكره ، وتهديد للمستهزئين ، الذين أخبر نبيه صلى الله عليه وسلم أنه قد كفاه أمرهم ، بقوله تعالى ذكره : إنا كفيناك يامحمد الساخرين منك ، الجاعلين مع الله شريكا فى عبادته ، فسوف يعلمون ما يلقون من عذاب الله عند مصيرهم إليه فى القيامة ، وما يُحِلّ بهم من البلاء .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ (٩٧) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ ، وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ (٩٨)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ولقد نعلم يامحمد أنك يضيق صدرك بما يقول هؤلاء المشركون من قومك ، من تكذيبهم إياك ، واستهزائهم بك ، وبما جئتهم به ، وأن ذلك يُحْرِجك . (فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ) يقول : فافزع فيما نابك من أمر تكرهه منهم إلى الشكر لله ، والثناء عليه والصلاة ، يكفك الله من ذلك ما أهمّك . وهذا نحو الخبر الذى رُوى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنه كان إذا حَزَبَه أمر فَزِع إلى الصلاة .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ (٩٩) .

⁂ يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم : واعبد ربك حتى يأتيك الموت ، الذى هو مُوقَن به . وقيل : يقين ، وهو موقَن به ، كما قيل : خمر عتيق ، وهى معتّقة .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، عن سفيان ، قال : ثنى طارق بن عبد الرحمن ، عن سالم بن عبد الله (وَاعْبُدْ رَبَّكَ حتى يَأْتِيَكَ اليَقِينُ) قال : الموت .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حُذيفة ، قال : ثنا شبل ؛ وحدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنى عباس بن محمد ، قال : ثنا حجاج ، قال : قال ابن جريج : أخبرنى ابن كثير ، أنه سمع مجاهدا يقول : (حتى يَأْتِيَكَ اليَقِينُ) قال : الموت .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَاعْبُدْ رَبَّكَ حتى يَأْتِيَكَ اليَقِينُ) قال : يعنى الموت .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (حتى يَأْتِيَكَ اليَقِين) قال : اليقين : الموت .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزّاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، مثله .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا سويد بن نصر ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن مبارك بن فضالة ، عن الحسن ، فى قوله (حَتَّى يَأْتِيَكَ اليَقِينُ) قال : الموت .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن طارق ، عن سالم ، مثله .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَاعْبُدْ رَبَّكَ حتى يَأْتِيَكَ اليَقِينُ) قال : الموت ، إذا جاءه الموت ، جاءه تصديق ماقال الله له ، وحدّثه من أمر الآخرة .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنى يونس بن يزيدَ ، عن ابن شهاب « أن خارجة بن زيد بن ثابت أخبره ، عن أمّ العلاء امرأة من الأنصار قد بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أخبرته أنهم اقتسموا المهاجرين قُرْعة ، قالت : وطار لنا عثمان بن مظعون ، فأنزلناه فى أبياتنا ، فوَجِع وجعه الذى مات فيه ؛ فلما تُوُفّى وغُسِّل وكُفِّن فى أثوابه ، دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت : ياعثمان بن مظعون ، رحمة الله عليك أبا السائب ، فشهادتى عليك ، لقد أكرمك الله . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وَما يُدْرِيكِ أنَّ اللهَ أكْرَمَهُ ؟ قالت : يا رسول الله فمن ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أمَّا هُوَ فَقَدْ جاءَهُ اليَقِينُ ، وَوَاللهِ إنّى لأَرْجُو لَهُ الخَيْرَ » .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا مالك بن إسماعيل ، قال : ثنا إسماعيل ، قال : ثنا إبراهيم بن سعد ، قال : ثنا ابن شهاب ، عن خارجة بن زيد ، عن أمّ العلاء امرأة من نسائهم ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم ، بنحوه.

حدثنى موسى بن عبد الرحمن المسروقى ، قال : ثنا جعفر بن عون ، قال : أخبرنا إبراهيم بن إسماعيل ، عن محمد بن شهاب ، أن خارجة بن زيد ، حدثه عن أمّ العلاء امرأة منهم ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم ، بنحوه ، إلا أنه قال فى حديثه : فقال النبىّ صلى الله عليه وسلم : « أمَّا هُوَ فَقَدْ عايَنَ اليَقِينَ » .

تفسير سورة النحل

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى تأويل قوله تعالى

أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ، سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ (١)

⁂ يقول تعالى ذكره : أتى أمر الله ، فقرُب منكم أيها الناس ودنا ، فلا تستعجلوا وقوعه .

ثم اختلف أهل التأويل فى الأمر الذى أعلم الله عباده مجيئه وقُربه منهم ما هو ؟ وأىّ شىء هو ؟ فقال بعضهم : هو فرائضه وأحكامه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا ابن المبارك ، عن جويبر ، عن الضحاك ، فى قوله (أَتَى أَمْرُ اللهِ فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ) قال : الأحكام والحدود والفرائض .

وقال آخرون : بل ذلك وعيد من الله لأهل الشرك به ، أخبرهم أن الساعة قد قَرُبت ، وأن عذابهم قد حضر أجله ، فدنا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : لما نزلت هذه الآية ، يعنى (أَتَى أَمْرُ اللهِ فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ) قال : رجال من المنافقين بعضهم لبعض : إن هذا يزعم أن أمر الله أتى ، فأمسكوا عن بعض ما كنتم تعملون ، حتى تنظروا ماهو كائن ؛ فلما رأوا أنه لاينزل شىء ، قالوا : مانراه نزل شىء ، فنزلت : (اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ) فقالوا : إن هذا يزعم مثلها أيضا ؛ فلما رأوا أنه لاينزل شىء ، قالوا : مانراه نزل شىء ، فنزلت : (وَلَئِنْ أَخَّرْنا عَنْهُمُ العَذَابَ إِلى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ لَيَقُولُنَّ ما يَحْبِسُهُ ، أَلا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفاً عَنْهُمْ ، وَحاقَ بِهِمْ ما كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ) .

حدثنا أبو هشام الرفاعىّ ، قال : ثنا يحيى بن يمان ، قال : ثنا سفيان ، عن إسماعيل ، عن أبى بكر بن حفص ، قال : لما نزلت (أَتَى أَمْرُ اللهِ) رفعوا رءوسهم ، فنزلت (فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا أبو بكر بن شعيب ، قال : سمعت أبا صادق يقرأ (يا عِبادِى ، أَتَى أمْرُ اللهِ فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ) .

❊ وأولى القولين فى ذلك عندى بالصواب : قول من قال : هو تهديد من الله أهل الكفر به وبرسوله ، وإعلام منه لهم قرب العذاب منهم والهلاك ، وذلك أنه عقب ذلك بقوله (سُبْحانَه وتَعالى عَمَّا يُشْرِكونَ) فدلّ بذلك على تقريعه المشركين ، ووعيده لهم . وبعدُ ، فإنه لم يبلغنا أن أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم استعجل فرائض قبل أن تُفرض عليهم ، فيقال لهم من أجل ذلك : قد جاءتكم فرائض الله فلا تستعجلوها . وأما مستعجلو العذاب من المشركين ، فقد كانوا كثيرا .

وقوله سبحانه وتعالى(عَمَّا يُشْرِكُونَ) يقول تعالى ذكره تنزيها لله ، وعلوّا له عن الشرك الذى كانت قريش ومن كان من العرب على مثل ماهم عليه ، يَدِين به .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله تعالى (عَمَّا يُشْرِكُونَ) فقرأ ذلك أهل المدينة وبعض البصريين والكوفيين : (عَمَّا يُشْرِكُونَ) بالياء على الخبر عن أهل الكفر بالله ، وتوجيه للخطاب بالاستعجال إلى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكذلك قرءوا الثانية بالياء . وقرأ ذلك عامّة قرّاء الكوفة بالتاء على توجيه الخطاب بقوله (فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ) إلى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبقوله تعالى (عَمَّا تُشْرِكُونَ) إلى المشركين . والقراءة بالتاء فى الحرفين جميعا على وجه الخطاب للمشركين : أولى بالصواب ، لما بيّنت من التأويل ، أن ذلك إنما هو وعيد من الله للمشركين ، ابتدأ أوّل الآية بتهديدهم ، وختم آخرها بنكير فعلهم ، واستعظام كفرهم ، على وجه الخطاب لهم .

القول فى تأويل قوله تعالى

يُنَزِّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوٓا۟ أَنَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا فَٱتَّقُونِ (٢)

اختلفت القرّاء فى قراءة قوله (يُنَزِّلُ المَلائكَةَ) فقرأ ذلك عامّة قرّاء المدينة والكوفة (يُنَزِّلُ المَلائِكَةَ) بالياء ، وتشديد الزاى ، ونصب الملائكة ، بمعنى : ينزّل الله الملائكة بالرُّوح . وقرأ ذلك بعض البصريين وبعض المكيين (يُنْزِلُ المَلائِكَةَ) بالياء ، وتخفيف الزاى ، ونصب الملائكة . وحُكى عن بعض الكوفيين أنه كان يقرؤه (تَنَزَّلُ المَلائِكَةُ) بالتاء ، وتشديد الزاى ، والملائكة بالرفع ، على اختلاف عنه فى ذلك . وقد رُوى عنه موافقة سائر قرّاء بلده .

❊ وأولى القراءات بالصواب فى ذلك عندى : قراءة من قرأ (يُنَزِّلُ المَلائِكَةَ) بمعنى : ينزّل الله ملائكة . وإنما اخترت ذلك ، لأن الله هو المنزّل ملائكته بوحيه إلى رسله ، فإضافة فعل ذلك إليه ، أولى وأحقّ . واخترت ينزّل بالتشديد على التخفيف ، لأنه تعالى ذكره كان ينزّل من الوحى على من نزّله ، شيئا بعد شىء ، والتشديد به ، إذ كان ذلك معناه ، أولى من التخفيف .

فتأويل الكلام : ينزّل الله ملائكته بما يحيا به الحقّ ، ويضمحلّ به الباطل . من أمره على من يشاء من عباده ، يعنى على من يشاء من رسله ، أن أنذروا ، فإن الأُولى فى موضع خفض ، ردّا على الروح ، والثانية فى موضع نصب بأنذروا . ومعنى الكلام : ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده ، بأن أنذروا عبادى سطوتى على كُفرهم بى ، وإشراكهم فى اتخاذهم معى الآلهة والأوثان ، فإنه لاإله إلا أنا ، يقول : لاتنبغى الأُلوهة إلا لى ، ولا يصلح أن يُعبد شىء سواى ، فاتقون : يقول : فاحذرونى بأداء فرائضى ، وإفراد العبادة ، وإخلاص الربوبية لى ، فإن ذلك نجاتُكم من الهلكة .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا المثنى ، قال : ثنا أبوصالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (يُنَزِّلُ المَلائِكَةَ بالرُّوحِ) يقول : بالوحى .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (يُنَزِّلُ المَلائِكَةَ بالرُّوحِ مِنْ أمْرِهِ ، على مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ) يقول : ينزل الملائكة . . . [1] .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحُذيفة ، قال : ثنا شبل ؛ وحدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (بالرُّوحِ مِنْ أمره) إنه لاينزل ملَك إلا ومعه رُوح .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جريج ، قال مجاهد ، قوله (يُنَزِّلُ المَلائِكَةَ بالرُّوحِ مِنْ أمْرِهِ) قال : لاينزل ملك إلا معه رُوح ، ينزّل الملائكة بالرُّوح من أمره (على مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ) قال : بالنبوّة ، قال ابن جريج : وسمعت أن الرُّوح : خلق من الملائكة ، نزل به الروح (وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ، قُلِ الرُّوحِ مِنْ أمْرِ رَبِّى) .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس ، فى قوله : (يُنَزِّلُ المَلائِكَةَ بالرُّوحِ مِنْ أمْرِهِ ، على مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ ، أنْ أنْذِرُوا أنَّهُ لاإلَهَ إلاَّ أنا فاتَّقُونِ) قال : كلُّ كَلِم تكلم به ربنا فهو رُوح منه (وكذلكَ أوْحَيْنا إلَيْكَ رُوحاً مِنْ أمْرِنا) . . . إلى قوله (ألا إلى اللهِ تَصِيرُ الأُمُورُ) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يُنَزِّلُ المَلائِكَةَ بالرُّوحِ مِنْ أمْرِهِ) يقول : ينزّل بالرحمة والوحى من أمره (على مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ) فيصطفى منهم رسلا .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (يُنَزِّلُ المَلائِكَةَ بالرُّوحِ مِنْ أمْرِهِ على مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ) قال : بالوحى والرحمة .

(١) أى بنحو ما قبله ، من حديث المثنى عن ابن عباس ، كما جرت به عادة المؤلف فى مواضع كثيرة .

وأما قوله (أنْ أنْذِروا أنَّهُ لاإلهَ إلاَّ أنا فاتَّقُونِ) فقد بيَّنا معناه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (أنْ أنْذِرُوا أنَّه لاإلهَ إلاَّ أنا فاتَّقُونِ) إنما بعث الله المرسلين أن يوحد الله وحده ، ويُطاع أمره ، ويُجتنب سخَطُه .

القول فى تأويل قوله تعالى

خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٣)

يقول تعالى ذكره معرّفا خلقه حجته عليهم فى توحيده ، وأنه لاتصلح الأُلوهة إلا له : خلق ربكم أيها الناس السموات والأرض بالعدل ، وهو الحقّ ، منفردا بخلقها ، لم يشركه فى إنشائها وإحداثها شريك ، ولم يعنه عليه معين ، فأنّى يكون له شريك (تعالى عمَّا يُشْرِكُونَ) . يقول جلّ ثناؤه : علا ربكم أيها القوم عن شرككم ودعواكم إلها دونه ، فارتفع عن أن يكون له مثل أو شريك أو ظهير ، لأنه لايكون إلها إلا من يخلق وينشئ بقدرته مثل السموات والأرض ، ويبتدع الأجسام ، فيحدثها من غير شىء ، وليس ذلك فى قُدرة أحد سوى الله الواحد القهّار ، الذى لاتنبغى العبادة إلا له ، ولا تصلح الألوهة لشىء سواه .

القول فى تأويل قوله تعالى

خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ ، فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ (٤)

يقول تعالى ذكره : ومن حججه عليكم أيضا أيها الناس ، أنه خلق الإنسان من نطفة ، فأحدث من ماء مهين خلقا عجيبا ، قلّبه تارات خلْقا بعد خلق ، فى ظُلُمات ثلاث ، ثم أخرجه إلى ضياء الدنيا ، بعد ما تمّ خلقه ، ونفخ فيه الروح ، فغذّاه ورزقه القوت ، ونماه ، حتى إذا استوى على سُوقِه ، كفر بنعمة ربه ، وجحد مدبره ، وعبد من لايضرّ ولا ينفع ، وخاصم إلهه ، فقال : (مَنْ يُحْيِى العِظامَ وَهِىَ رَمِيمٌ)؟ ونسِى الذى خلقه ، فسوّاه خلقا سَوِيّا من ماء مَهِين ، ويعنى بالمبين : أنه يبين عن خصومته بمنطقه ، ويجادل بلسانه ، فذلك إبانته ، وعُنِى بالإنسان : جميع الناس ، أخرج بلفظ الواحد ، وهو فى معنى الجميع .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ ، وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (٥)

يقول تعالى ذكره : ومن حججه عليكم أيها الناس ، ما خلق لكم من الأنعام ، فسخّرها لكم ، وجعل لكم من أصوافها وأوبارها وأشعارها ، ملابس تَدْفَئُون بها ، ومنافع من ألبانها ، وظهورها تركبونها (وَمِنْها تَأْكُلُونَ) يقول : ومن الأنعام ما تأكلون لحمه ؛ كالإبل والبقر والغنم ، وسائر ما يؤكل لحمه ، وحذفت « ما » من الكلام ، لدلالة مِنْ عليها .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى وعلىّ بن داود ، قال : المثنى أخبرنا ، وقال ابن داود : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (والأنْعامَ خَلَقَها لَكُمْ فِيها دِفْءٌ) يقول : الثياب .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (والأنْعامَ خَلَقَها لَكُمْ فِيها دِفْءٌ وَمَنافِعُ ،وَمِنْها تَأْكُلُونَ) يعنى بالدفء : الثياب ، والمنافع : ما ينتفعون به من الأطعمة والأشربة .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثنى المثنى ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ،عن مجاهد ، فى قول الله تعالى (لَكُمْ فِيها دِفْءٌ) قال : لباس يُنْسج ،ومنها مَرْكَب ولبن ولحم .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حُذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (لَكُمْ فِيها دِفْءٌ) لباس ينسج ، ومنافع : مَرْكَب ولحم ولبن .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قوله (لَكُمْ فِيها دِفْءٌ وَمَنافِعُ) قال : نَسْلُ كلّ دابة .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا إسرائيل بإسناده ، عن ابن عباس ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (والأنْعامَ خَلَقَها لَكُمْ ،فِيها دِفْءٌ وَمَنافِعُ) يقول : لكم فيها لباس ومنفعة وبُلْغة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، قال : قال ابن عباس (والأنْعامَ خَلَقَها لَكُمْ ، فِيها دِفْءٌ وَمَنافِعُ ، وَمِنْها تَأْكُلُونَ) قال : هو منافع ومآكل .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (والأنْعامَ خَلَقَها لَكُمْ فِيها دِفْءٌ وَمَنافِعُ) قال : دِفْء اللُّحُف[1] التى جعلها الله منها .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا محمد بن بكر ، عن ابن جريج ، قال : بلغنى عن مجاهد (والأنْعامَ خَلَقَها لَكُمْ ، فِيها دِفْءٌ وَمَنافِعُ) قال : نِتاجها ، وركوبها ، وألبانها ، ولحومها .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَلَكُمْ فِيها جَمالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ (٦) وَتَحْمِلُ أَثْقالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ ، إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ (٧)

يقول تعالى ذكره: ولكم فى هذه الأنعام والمواشى التى خلقها لكم (جَمالٌ حِينَ تُرِيحُونَ) : يعنى

(١) اللحف : جمع لحاف ، وهو كل ما يلتحف به الإنسان للدفء ، من عباءة ، وكساء ، ونحوهما .

تردّونها بالعشى من مسارحها إلى مُراحها ومنازلها التى تأوى إليها، ولذلك سمى المكان: المُراح، لأنها تُراح إليه عشيا، فتأوى إليه، يقال منه: أراح فلان ماشيته، فهو يريحها إراحة. وقوله (وَحِينَ تَسْرَحُونَ) يقول: وفى وقت إخراجكموها غُدْوة من مُراحها إلى مسارحها، يقال منه: سَرَّح فلان ماشيته يُسَرحُها تسريحا، إذا أخرجها للرعى غدوة، وسرَحَت الماشية: إذا خرجت للمرعى، تسْرَح سَرْحا وسُرُوحًا، فالسرح بالغداة، والإراحة بالعشىّ، ومنه قول الشاعر:

كأنَّ بقايا الأُتْنِ فَوْقَ مُتُونِهِ مَدَبُّ الدَّبَى فَوْقَ النَّقا وَهْوَ سارِحُ[1]

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيدُ، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (وَلَكُمْ فِيها جَمالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ) وذلك أعجب ما يكون إذا راحت عظاما ضروعُها، طوالا أسنمتها، وحين تسرحون: إذا سرحت لرعيها.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة (وَلَكُمْ فِيها جَمالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ) قال: إذا راحت كأعظم ما تكون أسنمة، وأحسن ماتكون ضروعا.

وقوله (وَتَحْمِلُ أثْقالَكُمْ إلى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بالِغِيهِ إلاَّ بِشِقِّ الأنْفُسِ) يقول: وتحمل هذه الأنعام أثقالكم إلى بلد آخر، لم تكونوا بالغيه إلا بجهد من أنفسكم شديد، ومشقة عظيمة.

كما حدثنا أحمد بن إسحاق قال: ثنا أبو أحمد، قال: ثنا شريك، عن جابر، عن عكرمة، وَتَحْمِلُ أثْقالَكُمْ إلى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بالِغِيهِ إلا بِشِقِّ الأنْفُسِ): قال: لو تُكُلِّفُونَهُ لم تبلغوه إلا بجهد شديد.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا يحيى بن آدم، عن شريك، عن سماك، عن عكرمة (إلى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بالِغِيهِ إلا بِشِقِّ الأنْفُسِ) قال: لو كُلِّفتموه لم تبلغوه إلا بشقّ الأنفس.

حدثنى المثنى، قال: ثنا الحمانى، قال: ثنا شريك، عن سماك، عن عكرمة (إلى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بالِغِيهِ إلاَّ بِشِقِّ الأنْفُسِ) قال: البلد: مكة.

حدثنى محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثنى الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء؛ وحدثنى المثنى، قال: أخبرنا أبو حُذيفة، قال: ثنا شبل؛ وحدثنى المثنى، قال: أخبرنا إسحاق، قال: ثنا عبد الله، عن ورقاء جميعا، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد، فى قول الله (إلاَّ بِشِقِّ الأنْفُسِ) قال: مشقة عليكم.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنى حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيدُ، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (وَتَحْمِلُ أثْقالَكُمْ إلى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بالِغِيهِ إلاَّ بِشِقِّ الأنْفُسِ) يقول: بجهد الأنفس.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة، بنحوه.

(١) لعل الشاعر يصف حمارا وحشيا. يقول: إن الأتن قد عضضنه، فتركن فوق متونه آثارا، كانت كأنها طريق للدبى، وهو صغار الجراد، فوق النقا، وهو الكثيب الأبيض من الرمل. ولم أعثر على البيت ولا قائله.

واختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامّة قرّاء الأمصار بكسر الشين (إلاَّ بِشِقّ الأنْفُسِ) سوى أبى جعفر القارئ ، فإن المثنى حدثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرحمن بن أبى حماد ، قال : ثنى أبو سعيد الرازىّ ، عن أبى جعفر قارئ المدينة ، أنه كان يقرأ (لَمْ تَكُونُوا بالِغِيهِ إلاَّ بِشَقّ الأَنْفُسِ) بفتح الشين ، وكان يقول : إنما الشقّ : شقّ النفس . وقال ابن أبى حماد : وكان معاذ الهرّاء يقول : هى لغة ، تقول العرب : بِشَقّ وبِشِقّ ، وبِرَق وبِرِق .

⁂ والصواب من القراءة فى ذلك عندنا : ما عليه قرّاء الأمصار ، وهى كسر الشين ، لإجماع الحجة من القرّاء عليه ، وشذوذ ما خالفه ، وقد يُنشَد هذا البيت بكسر الشين وفتحها ، وذلك قول الشاعر : .

وذِى إبِلٍ يَسْعَى وَيَحْسِبُها لَهُ أخِى نَصَبٍ مِنْ شَقِّها ودُءُوبِ[1]

ومن شِقها أيضا بالكسر والفتح ؛ وكذلك قول العجّاج :

أصبحَ مَسْحُولٌ يُوَازِى شَقَّا[2]

وشِقا بالفتح والكسر ، ويعنى بقوله « يوازى شَقَا » : يقاسى مشقة . وكان بعض أهل العربية يذهب بالفتح إلى المصدر من شَقَقْتُ عليه أَشُقّ شقًّا ، وبالكسر إلى الاسم . وقد يجوز أن يكون الذين قرءوا بالكسر ، أرادوا إلا بنقص من القوّة ، وذهاب شىء منها ، حتى لايبلغه إلا بعد نقصها ، فيكون معناه عند ذلك : لم تكونوا بالغيه إلا بشِقّ قُوَى أنفسكم ، وذهاب شِقها الآخر . ويُحكى عن العرب : خذ هذا الشِّقّ : لشِقة الشاة بالكسر . فأما فى شَقَقْتُ عليك شَقًّا فلم يُحْكَ فيه إلا النصب .

وقوله (إنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ) يقول تعالى ذكره : إن ربكم أيُّها الناس ذو رأفة بكم ورحمة ، ومن رحمته بكم خلق لكم الأنعام لمنافعكم ومصالحكم ، وخلق السموات والأرض أدلة لكم على وحدانية ربكم ، ومعرفة إلهكم ، لتشكروه على نعمه عليكم ، فيزيدكم من فضله .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ، وَيَخْلُقُ مَالاَ تَعْلَمُونَ (٨)

⁂ يقول تعالى ذكره : وخلق الخيل والبغال والحمير لكم أيضا ، لتركبوها وزينة : يقول ، وجعلها لكم زينة ، تتزينون بها ، مع المنافع التى فيها لكم ، للركوب وغير ذلك ؛ ونصب الخيل والبغال ، عطفا على الهاء والألف فى قوله (خَلَقَهَا) ، ونصب الزينة بفعل مضمر على ما بيّنت ، ولو لم يكن معها واو ، وكان الكلام لتركبوها زينة ، كانت منصوبة بالفعل الذى قبلها ، الذى هى به متصلة ، ولكن دخول الواو آذنت بأن معها ضمير فعل ، وبانقطاعها عن الفعل الذى قبلها .

---

(١) البيت للنمر بن تولب العكلى (اللسان : شقق) وقال أبو عبيدة فى معانى القرآن (١ : ٣٥٦) « إلا بشق الأنفس » بكسر أوله ، ويفتح ، ومعناه : بمشقة الأنفس . وفى اللسان : الشق : المشقة . قال ابن برى : شاهد الكسر قول النمر بن تولب : وذى إبل ... البيت .

(٢) البيت فى ديوان العجاج (طبع ليبسج سنة ١٩٠٣ ص ٤٤٠) وهو شاهد على أن الشق بالكسر : بمعنى المشقة . ومسحول : يعنى بعيره ، ويوازى : يقاسى .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (لِتَرْكَبُوها وَزِينَةً) قال : جعلها لتركبوها ، وجعلها زينة لكم . وكان بعض أهل العلم يرى أن فى هذه الآية دلالة على تحريم أكل لحوم الخيل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا أبو ضَمرة ، عن أبى إسحاق ، عن رجل ، عن ابن عباس ، قوله (والخَيْلَ والبِغالَ والحَمِيرَ لِتَرْكَبُوها) قال : هذه للركوب ، (والأَنْعامَ خَلَقَها لَكُمْ فِيها دِفْءٌ) قال : هذه للأكل .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيَّة ، قال : ثنا هشام الدَّسْتوائىّ ، قال : ثنا يحيى بن أبى كثير ، عن مولى نافع بن علقمة ، أن ابن عباس كان يكره لحوم الخيل والبغال والحمير ، وكان يقول : قال الله (والأَنْعامَ خَلَقَها لَكُمْ فِيها دِفْءٌ وَمَنافِعُ ، وَمِنْها تَأْكُلُونَ) ، فهذه للأكل ، (والخَيْلَ والبِغالَ والحَمِيرَ لِتَرْكَبُوها) ، فهذه للركوب .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن أبى ليلى ، عن المنهال ، عن سعيد ، عن ابن عباس ، أنه سئل عن لحوم الخيل ، فكرهها ، وتلا هذه الآية (والخَيْلَ والبِغالَ والحَمِيرَ لِتَرْكَبُوها) . . . الآية .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا قيس بن الربيع ، عن ابن أبى ليلى ، عن المنهال بن عمرو ، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه سئل عن لحوم الخيل ، فقال : اقرأ التى قبلها (والأَنْعامَ خَلَقَها لَكُمْ فِيها دِفْءٌ وَمَنافِعُ وَمِنْها تَأْكُلُونَ . والخَيْلَ والبِغالَ والحَمِيرَ لِتَرْكَبُوها وَزِينَةً) فجعل هذه للأكل ، وهذه للركوب .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن عبد الملك بن أبى غَنِيَّة ، عن أبيه ، عن الحكم (والأَنْعامَ خَلَقَها لَكُمْ فِيها دِفْءٌ وَمَنافِعُ وَمِنْها تَأْكُلُونَ) فجعل منه الأكل ، ثم قرأ حتى بلغ (والخَيْلَ والبِغالَ والحَمِيرَ لِتَرْكَبُوها) قال : لم يجعل لكم فيها أكلا ، قال : وكان الحكم يقول : والخيل والبغال والحمير : حرام فى كتاب الله .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا ابن أبى غَنِيَّة ، عن الحكم ، قال : لحوم الخيل حرام فى كتاب الله ، ثم قرأ (والأَنْعامَ خَلَقَها لَكُمْ فِيها دِفْءٌ وَمَنافِعُ) . . . إلى قوله (لِتَرْكَبُوها) .

وكان جماعة غيرهم من أهل العلم يخالفونهم فى هذا التأويل ، ويرون أن ذلك غير دالّ على تحريم شىء ، وأن الله جلّ ثناؤه إنما عرّف عباده بهذه الآية ، وسائر ما فى أوائل هذه السورة ، نعمه عليهم ، ونبههم به على حُجَجه عليهم ، وأدلته على وحدانيته ، وخَطَأ فعل من يشرك به من أهل الشرك .

ذكر بعض من كان لايرى بأسا بأكل لحم الفرَس

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن شعبة ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، عن الأسود ، أنه أكل لحم الفرَس .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن شعبة ، عن الحكم ، عن إبراهيم ، عن الأسود بنحوه .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم ، قال : نحر أصحابنا فرَسا فى النَّجْع ، وأكلوا منه ، ولم يروا به بأسا .

⁂ والصواب من القول فى ذلك عندنا ، ما قاله أهل القول الثانى ، وذلك أنه لو كان فى قوله تعالى ذكره (لِتَرْكَبُوها) دلالة على أنها لاتصلح (إذ كانت للركوب) للأكل ، لكان فى قوله (فِيها دِفْءٌ ومَنافِعُ وَمِنْها تَأْكُلُونَ) دلالة على أنها لاتصلح (إذ كانت للأكل والدفء) للركوب ، وفى إجماع الجميع على أن ركوب ما قال تعالى ذكره (وَمِنْها تَأْكُلُونَ) جائز حلال غير حرام ، دليل واضح على أن أكل ماقال (لِتَرْكَبُوها) : جائز حلال غير حرام ، إلا بما نُصَّ على تحريمه ، أووضع على تحريمه دلالة : من كتاب ، أو وحى إلى رسوله صلى الله عليه وسلم . فأما بهذه الآية ، فلا يحرم أكل شىء . وقد وضع الدلالة على تحريم لحوم الحُمُر الأهلية ، بوحيه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعلى البغال بما قد بيَّنا فى كتابنا ، كتاب الأطعمة ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع ، إذ لم يكن هذا الموضع من مواضع البيان عن تحريم ذلك ، وإنما ذكرنا ماذكرنا ، ليدلّ على أن لاوجه لقول من استدلّ بهذه الآية على تحريم لحم الفرَس .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا إسرائيل ، عن عبد الكريم ، عن عطاء ، عن جابر ، قال : كنا نأكل لحم الخيل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قلت : فالبغال ؟ قال : أما البغال فلا .

وقوله (وَيَخْلُقُ ما لاتَعْلَمُونَ) يقول تعالى ذكره : ويخلق ربكم مع خلقه هذه الأشياء التى ذكرها لكم ، مالاتعلمون ، مما أُعِدّ فى الجنة لأهلها ، وفى النار لأهلها ، مما لم تره عين ، ولا سمعته أذن ، ولا خطر على قلب بشر .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ ، وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ (٩)

⁂ يقول تعالى ذكره : وعلى الله أيها الناس بيان طريق الحقّ لكم ، فمن اهتدى فلنفسه ، ومن ضلّ فإنما يضلّ عليها . والسبيل : هى الطريق . والقصد من الطريق : المستقيم الذى لاأعوجاج فيه ، كما قال الراجز :

فَصَدَّ عَنْ نَهْجِ الطَّرِيقِ القاصِدِ [1]

(١) البيت شاهد على أن الطريق القاصد : معناه المستقيم . قال فى اللسان : القصد : استقامة الطريق ، قصد يقصد قصدا ، فهو قاصد ، وقوله تعالى : « وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر » : أى على الله تبيين الطريق المستقيم ، والدعاء بالحجج والبراهين الواضحة . « ومنها جائر » : أى ومنها طريق غير قاصد . وطريق قاصد : سهل مستقيم .

وقوله (وَمِنْها جائِرٌ) يعنى تعالى ذكره : ومن السبيل جائر عن الاستقامة معوجّ ، فالقاصد من السبُل : الإسلام، والجائر منها : اليهودية والنصرانية ، وغير ذلك من ملل الكفر ، كلها جائر عن سواء السبيل وقصدها ، سوى الحنيفية المسلمة . وقيل : ومنها جائر ، لأن السبيل يؤنث ويذكر ، فأنثت فى هذا الموضع . وقد كان بعضهم يقول : وإنما قيل : ومنها ، لأن السبيل وإن كان لفظها لفظ واحد ، فمعناها الجمع .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : أخبرنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَعلى اللهِ قَصْدُ السَّبِيلِ) يقول : البيان .

حدثنا محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَعلى اللهِ قَصْدُ السَّبِيلِ) يقول : على الله البيان : أن يبين الهدى والضلالة .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثنى المثنى ، قال : أخبرنا أبو حُذيفة ، قال : ثنا شبل ؛ وحدثنى المثنى ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : (وَعلى اللهِ قَصْدُ السَّبِيلِ) قال : طريق الحقّ على الله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَعلى اللهِ قَصْدُ السَّبِيلِ) : يقول : على الله البيان ، بيان حلاله وحرامه ، وطاعته ومعصيته .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَعلى اللهِ قَصْدُ السَّبِيلِ) : قال : السبيل : طريق الهدى .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن جُويبر ، عن الضحاك (وَعلى اللهِ قَصْدُ السَّبِيلِ) قال : إنارتها .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (وَعلى اللهِ قَصْدُ السَّبِيلِ) : يقول : على الله البيان ، يبين الهدى من الضلالة ، ويبين السبيل التى تفرّقت عن سبله ، ومنها جائر .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَمِنْها جائِرٌ) : أى من السُبل ، سُبل الشيطان . وفى قراءة عبد الله بن مسعود (وَمِنْكُمْ جائِرٌ ، وَلَوْ شاءَ اللهُ لَهَدَاكُمْ أجْمَعِينَ) .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَمِنْها جائِرٌ) قال : فى حرف ابن مسعود : (وَمِنْكُمْ جائِرٌ) .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، فى قوله (وَمِنْهَا جَائِرٌ) يعنى : السبل المتفرّقة .

حدثنى علىّ بن داود ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، فى قوله (وَمِنْهَا جَائِرٌ) يقول : الأهواء المختلفة .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (وَمِنْهَا جَائِرٌ) : يعنى : السبل التى تفرّقت عن سبيله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج (وَمِنْهَا جَائِرٌ) السبل المتفرقة عن سبيله .

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَمِنْهَا جَائِرٌ) قال : من السبل جائر عن الحقّ ؛ قال : قال الله (وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ) .

وقوله (وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ) يقول : ولو شاء الله للطف بجميعكم أيها الناس ، بتوفيقه ، فكنتم تهتدون ، وتلزمون قصد السبيل ، ولا تجورون عنه ، فتتفرّقون فى سبل عن الحقّ جائرة .

كما حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ) قال : لو شاء لهداكم أجمعين لقصد السبيل ، الذى هو الحقّ ، وقرأ (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا) . . . الآية ، وقرأ (وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا) . . . الآية .

القول فى تأويل قوله تعالى

هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ (١٠)

يقول تعالى ذكره : والذى أنعم عليكم هذه النعم ، وخلق لكم الأنعام والخيل وسائر البهائم لمنافعكم ومصالحكم ، هو الربّ الذى أنزل من السماء ماء ، يعنى : مطرا ، لكم من ذلك الماء شراب تشربونه ، ومنه شراب أشجاركم ، وحياة غروسكم ونباتها . (فِيهِ تُسِيمُونَ) يقول : فى الشجر الذى ينبت من الماء الذى أنزل من السماء تُسِيمون ، يعنى تُرْعُون ، يقال منه : أسام فلان إبله يُسيمها إسامة ، إذا أرعاها ، وسوّمها أيضا يُسوّمها ، وسامت هى : إذا رعت ، فهى تسوم ، وهى إبل سائمة . ومن ذلك قيل للمواشى المطلقة فى الفلاة وغيرها للرعى : سائمة . وقد وجّه بعضهم معنى السوم فى البيع ، إلى أنه من هذا ، وأنه ذهاب كلّ واحد من المتبايعين ، فيما ينبغى له من زيادة ثمن ونقصانه ، كما تذهب سوائم المواشى ، حيث شاءت من مراعيها ؛ ومنه قول الأعشى :

وَمَشَى القَوْمُ بالعِمادِ إلى المَرْ عَى وأعْيا المُسِيمَ أيْنَ المَساقُ[1]

(١) البيت لأعشى بنى ثعلبة : ميمون بن قيس (ديوانه طبع القاهرة بشرح الدكتور محمد حسين ص٢١٣) من قصيدة له قالها بنجران ، يتشوق إلى قومه مفتخرا بهم . والرواية فيه : « إلى الرزحى » بدل « إلى المرعى » : يقول : هزل الإبل الجوع ، فسقطت على الأرض =

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن النضْر بن عربىّ ، عن عكرمة (وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ) ، قال : تُرْعُون .

حدثنا أحمد بن سهيل الواسطى ، قال : ثنا قرة بن عيسى ، عن النضر بن عربىّ ، عن عكرمة ، فى قوله (فِيهِ تُسِيمُونَ) قال : تُرْعُون .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن خَصِيف ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : ترعون .

حدثنى علىّ بن داود ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، مثله .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ) يقول : شجر يُرْعُون فيه أنعامهم وشاءَهُم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس : (فِيهِ تُسِيمُونَ) قال : تُرْعُون .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو معاوية وأبو خالد ، عن جويبر ، عن الضحاك : فيه تُرْعُون .

حُدِّثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، عن الضحاك ، فى قوله (تُسِيمُونَ) يقول : تُرْعُون أنعامكم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن طلحة بن أبى طلحة القَنَّاد ، قال : سمعت عبد الله بن عبد الرحمن ابن أَبْزَى ، قال : فيه تُرْعُون .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ) يقول : تُرْعُون .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : تُرْعون .

حدثنا محمد بن سنان ، قال : ثنا سليمان ، قال : ثنا أبو هلال ، عن قتادة فى قول الله (شَجَرُ فِيهِ تُسِيمُون) قال : تُرْعُون .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ) قال : تُرْعون ؛ قال : الإسامة : الرِّعية ؛ وقال الشاعر :

= من الإعياء ، ومشى الناس إليها ، يضعون الأعمدة تحت بطونها ، ليعينوها على الوقوف ، وأعيا الراعى أن يجد المراعى ، لاستحكام الجدب . والزرحى : الإبل تهزل ، فلا تستطيع المشى ، فتسقط ، وهى جمع رازح ، يضعون العماد تحت بطونها ، ثم يرفعونها . والميم : اسم فاعل من أسام الماشية : أرعاها فى المرعى . وقال أبو عبيدة فى مجاز القرآن : (١ / ٣٥٧) يقال : أسمت إبلى ، وسامت هى : أى رعيتها .

مثلَ ابنِ بَزْعَةَ أو كآخرَ مِثْلِهِ أوْلى لَكَ ابنَ مُسِيمَةِ الأجْمالِ [1]

قال : يا بن راعية الأجمال .

القول فى تأويل قوله تعالى

يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ، إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (١١)

يقول تعالى ذكره : يُنبت لكم ربكم بالماء الذى أنزل لكم من السماء : زرعكم وزيتونكم ونخيلكم وأعنابكم ، ومن كلّ الثمرات : يعنى من كلّ الفواكه غير ذلك ، أرزاقا لكم وأقواتا وإداما وفاكهة ، نعمة منه عليكم بذلك وتفضّلا ، وحُجة على من كفر به منكم (إنَّ فِي ذلكَ لَآيَةً) يقول جلّ ثناؤه : إن فى إخراج الله بما ينزل من السماء من ماء ، ما وصف لكم ، لآيةً : يقول : لدلالة واضحة ، وعلامة بينة (لقوْم يَتَفَكَّرُونَ) . يقول : لقوم يعتبرون مواعظ الله ، ويتفكّرون فى حججه ، فيتذكرون ويُنيبون .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ، وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ ، إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (١٢)

يقول تعالى ذكره : ومن نعَمه عليكم أيها الناس ، مع التى ذكرها قبل : أن سخر لكم الليل والنهار يتعاقبان عليكم ، هذا لتصرّفكم فى معاشكم ، وهذا لسكنكم فيه ، والشمس والقمر لمعرفة أوقات أزمنتكم وشهوركم وسنينكم ، وصلاح معايشكم (والنُّجُومُ مُسَخَّراتٌ) لكم بأمر الله ، تجرى فى فلكها ، لتهتدوا بها فى ظلمات البرّ والبحر . (إنَّ فِي ذلكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) : يقول تعالى ذكره : إن فى تسخير الله ذلك على ماسخره ، لدلالات واضحات ، لقوم يعقلون حجج الله ، ويفهمون عنه تنبيهه إياهم .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ، إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ (١٣)

يعنى جلّ ثناؤه بقوله (وَما ذَرَأَ لَكُمْ) : وسخر لكم ما ذرأ : أى ماخلق لكم فى الأرض ، مختلفا ألوانه ، من الدوابّ والثمار .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَما ذَرَأَ لَكُمْ فِي الأرْضِ) يقول : وما خلق لكم مختلفا ألوانه من الدوابّ ، ومن الشجر والثمار ، نعَم من الله متظاهرة ، فاشكروها لله .

(١) البيت تقدم الاستشهاد به فى الجزء الثالث من هذا التفسير (ص ٢٠٤) فارجع إلى شرحنا له فى ذلك الموضع . وهو هنا شاهد على أن معنى « تسيمون » : ترعون ، أى تخرجونها إلى المرعى .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، قال : من الدوابّ والأشجار والثمار ، ونصب قوله مختلفا ، لأن قوله (وَما) : فى موضع نصب بالمعنى الذى وصفت . وإذا كان ذلك كذلك ، وجب أن يكون مختلفا ألوانه ، حالا من « ما » ، والخبر دونه تامّ ، ولو لم تكن « ما » فى موضع نصب ، وكان الكلام مبتدأ من قوله (وَما ذَرَأَ لَكُمْ) لم يكن فى مختلف إلا الرفع ، لأنه كان يصير مرافع « ما » حينئذ .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا ، وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ ، وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِ ، وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٤)

يقول تعالى ذكره : والذى فعل هذه الأفعال بكم ، وأنعم عليكم ، أيها الناس هذه النعم : الذى سخر لكم البحر ، وهو كلّ نهر ، ملحا كان ماؤه أو عذبا (لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا) وهو السمك الذى يُصطاد منه ، (وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا) ، وهو اللؤلؤ والمرْجان .

كما حدثنى المثنى ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : أخبرنا هشام ، عن عمرو ، عن سعيد ، عن قتادة ، فى قوله (وَهُوَ الَّذِى سَخَّرَ البَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا) قال : منهما جميعا ، وتستخرجوا منه حلية تلبسونها ، قال : هذا اللؤلؤ .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا) يعنى : حِيتان البحر .

حدثنى المثنى ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا حماد ، عن يحيى ، قال : ثنا إسماعيل بن عبد الملك ، قال : جاء رجل إلى أبى جعفر ، فقال : هل فى حِلْى النساء صدقة ؟ قال : لا ، هى كما قال الله تعالى (حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ، وَتَرَى الفُلْكَ) يعنى : السفن (مَوَاخِرَ فِيهِ) وهى جمع ماخرة .

وقد اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله (مَوَاخِرَ) فقال بعضهم : المواخر : المواقِر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا عمرو بن موسى القزاز ، قال : ثنا عبد الوارث ، قال : ثنا يونس ، عن الحسن ، فى قوله (وَتَرَى الفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ) قال : المواقر .

وقال آخرون فى ذلك : ما حدثنا به عبد الرحمن بن الأسود ، قال : ثنا محمد بن ربيعة ، عن أبى بكر الأصمّ ، عن عكرمة ، فى قوله (وَتَرَى الفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ) قال : ما أخذ عن يمين السفينة وعن يسارها من الماء ، فهو المواخر .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن أبى مكين ، عن عكرمة ، فى قوله (وَتَرَى الفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ) قال : هى السفينة تقول بالماء هكذا ، يعنى : تشقه .

وقال آخرون فيه ما حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن إسماعيل ، عن أبى صالح (وَتَرَى الفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ) قال : تجرى فيه متعرِّضة .

وقال آخرون فيه ، بما حدثنى به محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : (وَتَرَى الفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ) قال : تمخُر السفينةُ الرياح ، ولا تمخُر الريحُ من السفن ، إلا الفلكَ العظام .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثنى المثنى ، قال : أخبرنا أبو حُذيفة ، قال : ثنا شبل ؛ وحدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح عن مجاهد نحوه ، غير أن الحارث قال فى حديثه : ولا تمخُر الرياح من السفن .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، نحوه .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (مَوَاخِرَ) قال : تمخر الريحَ .

وقال آخرون فيه : ما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَتَرَى الفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ) تجرى بريح و احدة ، مُقبلة ومُدبرة .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : تجرى مقبلة ومدبرة ، بريح واحدة .

حدثنا المثنى ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، عن يزيد بن إبراهيم ، قال : سمعت الحسن (وتَرَى الفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ) قال : مقبلة ومدبرة بريح واحد . والمخْر فى كلام العرب : صوت هبوب الريح ، إذا اشتدّ هبوبها ، وهو فى هذا الموضع : صوت جَرْى السفينة بالريح إذا عصفت ، وشقها الماء حينئذ بصدرها ، يقال : منه : مَخَرت السفينة تمخُر مخْرًا ومخُورا ، وهى ماخرة ، ويقال : امتخَرْتُ الريحَ وتَمَخَّرتها : إذا نظرت من أين هبوبها ، وتسمَّعتَ صوتَ هبوبها . ومنه قول واصل مولى ابن عيينة : كان يقال : إذا أراد أحدكم البول فليتمخر الريح ، يريد بذلك : لينظر من أين مَجراها وهبوبُها ، ليستدبرها ، فلا ترجِعُ عليه البولْ ، وتردّه عليه .

وقوله (وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ) يقول تعالى ذكره : ولتتصرّفوا فى طلب معايشكم بالتجارة ، سَخَّر لكم .

كما حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ) قال : تجارة البرّ والبحر .

وقوله (وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) يقول : ولتشكروا ربكم على ما أنعم به عليكم من ذلك ، سخر لكم ما سخر من هذه الأشياء ، التى عدّدها فى هذه الآيات .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ ، وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٥)

⁂ يقول تعالى ذكره : ومن نعمه عليكم أيها الناس أيضا ، أن ألقى فى الأرض رواسى ، وهى جمع راسية ، وهى الثوابت فى الأرض من الجبال . وقوله (أنْ تَمِيدَ بِكُمْ) يعنى : أن لاتميد بكم ، وذلك كقوله (يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ أنْ تَضِلُّوا) ، والمعنى : أن لاتضلوا ، وذلك أنه جلّ ثناؤه أرسى الأرض بالجبال ، لئلا يميد خلقه الذى على ظهرها ، وقد كانت مائدة قبل أن تُرْسِيَ بها .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن ، عن قيس بن عباد أن الله تبارك وتعالى لما خلق الأرض جعلت تمور ، قالت الملائكة : ما هذه بمقرّة على ظهرها أحدا ، فأصبحت صبحا وفيها رواسيها .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا الحجاج بن المنهال ، قال : ثنا حماد ، عن عطاء بن السائب ، عن عبد الله بن حبيب ، عن علىّ بن أبى طالب ، قال : لما خلق الله الأرض قَمَصت ، وقالت : أى ربّ أتجعل علىّ بنى آدم ، يعملون علىّ الخطايا ، ويجعلون علىّ الخَبث ؟ قال : فأرسى الله عليها من الجبال ماترون ومالاترون ، فكان قرارها كاللحم يترجرج . والميد : هو الاضطراب والتكفر ، يقال : ما دَاتِ السفينة تَمِيدُ مَيْدا : إذا تكَفَّأَتْ بأهلها ، ومالت ، ومنه المَيْد الذى يعترى راكب البحر : وهو الدُّوَار .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حُذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (أنْ تَمِيدَ بِكُمْ) : أن تُكْفَأ بكم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، عن الحسن ، فى قوله (وألْقَى فِى الأرْضِ رَوَاسِيَ أنْ تَمِيدَ بِكُمْ) قال : الجبال أن تميد بكم . قال قتادة : سمعت الحسن يقول : لما خُلِقت الأرض كادت تميد ، فقالوا : ما هذه بمقرّة على ظهرها أحدا ، فأصبحوا وقد خُلقت الجبال ، فلم تدر الملائكة مم خُلقت الجبال ؟

وقوله (وأنهَارًا) يقول : وجعل فيها أنهارا ، فعطف بالأنهار على الرواسى ، وأعمل فيها ما أعمل فى الرواسى ، إذ كان مفهوما معنى الكلام والمراد منه ، وذلك نظير قول الراجز :

تَسْمَعُ فى أجْوَافِهِنَّ صَوْرَا وفى اليَدَيْن حَشَّةً وبَوْرَا (١)

(١) هذا من الرجز ، ولم أقف على قائله . والصور : الصوت (اللسان) ، أولعله محرف عن الضور بالضاد ، والمراد به : الصوت يشبه الأنين فى الجوف من شدة الجوع ، قال فى اللسان : الضور : شدة الجوع . والتضور ، التلوى والصياح ، من وجع الضرب أوالجوع . وتضور الذئب والكلب والأسد والثعلب : صاح عند الجوع . والحشة ، بتشديد الشين : اليبس . يقال حشت اليد وأحشت وهى محش : يبست . وأكثر ذلك فى الشلل . والبور بالفتح : مصدر بار ، بمعنى هلك وفسد . والبور أيضا : الهالك الفاسد ، ولعله يريد وصف ناقته بأنه أضر بها الجوع فصاحت ، وأن فى يديها يبسا أى شللا وفسادا . وقد بين الإمام الطبرى موضع الشاهد فى التفسير .

والحشّة : اليُبس ، فعطف بالحشّة على الصوت ، والحشّة لاتسمع ، إذ كان مفهوما المراد منه ، وأن معناه : وترى فى اليدين حشّة .

وقوله (وَسُبُلاً) وهى جمع سبيل ، كما الطرق : جمع طريق . ومعنى الكلام : وجعل لكم أيها الناس فى الأرض سُبلا وفجاجا تسلكونها ، وتسيرون فيها فى حوائجكم ، وطلب معايشكم رحمة بكم ، ونعمة منه بذلك عليكم ، ولو عمّاها عليكم ، لهلكتم ضلالا وحيرة .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (سُبُلاً) : أى طرقا .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (سُبُلاً) قال : طرقا .

وقوله (لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) يقول : لكى تهتدوا بهذه السبل التى جعلها لكم فى الأرض ، إلى الأماكن التى تقصدون ، والمواضع التى تريدون ، فلا تضلوا وتتحيروا .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَعَلَٰمَٰتٍ ، وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ (١٦)

اختلف أهل التأويل فى المعنىّ بالعلامات ، فقال بعضهم : عُنِىَ بها معالم الطرق بالنهار .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (وَعَلَامَاتٍ ، وبالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ) يعنى بالعلامات : معالم الطرق بالنهار ، وبالنجم هم يهتدون بالليل .

وقال آخرون : عُنِى بها النجوم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا يحيى ، عن سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم (وَعَلَامَاتٍ وبالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ) قال : منها ما يكون علامات ، ومنها ما يهتدون به .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (وَعَلَامَاتٍ وبالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ) قال : منها ما يكون علامة ، ومنها ما يهتدى به .

حدثنى المثنى ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنى المثنى ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا قَبيصة ، عن سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم ، مثله .

قال المثنى ، قال : ثنا إسحاق : خالف قَبيصة وكيعا فى الإسناد .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَعَلَامَاتٍ وبالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ) والعلامات : النجوم ، وإن الله تبارك وتعالى إنما خلق هذه النجوم لثلاث خصلات : جعلها

زينة للسماء ، وجعلها يهتدى بها ، وجعلها رجوما للشياطين ، فمن تعاطى فيها غير ذلك ، فقد رأيه ، وأخطأ حظه ، وأضاع نصيبه ، وتكلّف ما لاعلم له به .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَعَلاماتٍ) قال النجوم وقال آخرون : عُنِيَ بها الجبال :

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الكلبيّ : وعلامات ، قال : الجبال .

⁂ وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب : أن يقال : إن الله تعالى ذكره عدّد على عباده من نعمه ، إنعامه عليهم ، بما جعل لهم من العلامات التى يهتدون بها فى مسالكهم وطرقهم ، التى يسيرونها ، ولم يخصص بذلك بعض العلامات دون بعض ، فكل علامة استدلّ بها الناس على طرقهم ، وفجاج سُبلهم ، فداخل فى قوله (وَعَلاماتٍ) والطرق المسبولة : الموطوءة ، علامة للناحية المقصودة ، والجبال علامات يهتدى بهنّ إلى قصد السبيل ، وكذلك النجوم بالليل ، غير أن الذى هو أولى بتأويل الآية : أن تكون العلامات من أدلة النهار إذ كان الله قد فَصَل منها أدلة الليل بقوله (وبالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ) ؛ وإذ كان ذلك أشبه وأولى بتأويل الآية ، فالواجب أن يكون القول فى ذلك ماقاله ابن عباس فى الخبر الذى رويناه عن عطية عنه ، وهو أن العلامات معالم الطرق ، وأماراتها التى يُهتدى بها إلى المستقيم منها نهارا ، وأن يكون النجم الذى يهتدى به ليلا هو الجَدْى والفَرْقدان ، لأن بها اهتداء السفر ، دون غيرها من النجوم .

فتأويل الكلام إذن : وجعل لكم أيها الناس علامات تستدلون بها نهارا على طرقكم فى أسفاركم ، ونجوما تهتدون بها ليلا فى سُبلكم :

القول فى تأويل قوله تعالى

أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لاَّ يَخْلُقُ ، أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ (١٧) وَإِنْ تَعُدُّواْ نِعْمَةَ اللهِ لاَ تُحْصُوهَا ، إِنَّ اللهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٨)

⁂ يقول تعالى ذكره لعَبَدة الأوثان والأصنام : أفمن يخلق هذه الخلائق العجيبة ، التى عددناها عليكم ، وينعم عليكم هذه النعم العظيمة ، كمن لايخلق شيئا ، ولا ينعم عليكم نعمة صغيرة ولا كبيرة : يقول : أتشركون هذا فى عبادة هذا ؟ يعرّفهم بذلك عظم جهلهم ، وسوء نظرهم لأنفسهم ، وقلّة شكرهم لمن أنعم عليهم بالنعم التى عدّدها عليهم ، التى لايحصيها أحد غيره ، قال لهم جلّ ثناؤه موبخهم . (أفَلا تَذَكَّرُونَ) أيها الناس : يقول : أفلا تذكرون نعم الله عليكم ، وعظيم سُلطانه وقُدرته على ما شاء ، وعجز أوثانكم وضعفها ومَهانتها ، وأنها لاتجلُب إلى نفسها نفعا ، ولا تدفع عنها ضرّا ، فتعرفوا بذلك خطأ ما أنتم عليه مقيمون ، من عبادتكموها ، وإقراركم لها بالألوهة .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لا يَخْلُقُ أفَلا تَذَكَّرُونَ) والله هو الخالق الرازق ، وهذه الأوثان التى تُعْبَدَ من دون الله تُخْلَق ، ولا تُخْلَق شيئا ، ولا تملك لأهلها ضرّا ولا نفعا ، قال الله : (أفلا تذكّرون) . وقيل (كَمَنْ لا يَخْلُقُ) : هو الوثن والصنم ، و « مَنْ » : لذوي التمييز خاصة ، فجعل فى هذا الموضع لغيرهم للتمييز ، إذ وقع تفصيلا بين من يخلق ومن لايخلق . وَمحْكِيّ عن العرب : اشتبه علىّ الراكب وجمله ، فما أدرى من ذا ، ومن ذا ، حيث جمعا ، وأحدهما إنسان ، حسنت مَن فيهما جميعا . ومنه قول الله عزّ وجلّ (فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي على بَطْنِهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي على رِجْلَيْنِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي على أَرْبَعٍ) . وقوله (وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لا تُحْصُوها) لاتطيقوا أداء شكرها ، (إِنَّ اللهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ) يقول جلّ ثناؤه : إن الله لغفور لما كان منكم من تقصير فى شكر بعض ذلك ، إذا تبتم وأنبتم إلى طاعته ، واتباع مَرْضاته ، رحيم بكم أن يعذّبكم عليه ، بعد الإنابة إليه والتوبة .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَاللهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ (١٩) وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ لا يَخْلُقُونَ شَيْئًا، وَهُمْ يُخْلَقُونَ (٢٠)

يقول تعالى ذكره : والله الذى هو إلهكم أيها الناس ، يعلم ما تُسِرّون فى أنفسكم من ضمائركم ، فتخفونه عن غيركم ، فما تبدونه بألسنتكم وجوارحكم ، وما تعلنونه بألسنتكم وجوارحكم وأفعالكم ، وهو محصٍ ذلك كله عليكم ، حتى يجازيكم به يوم القيامة ، المحسن منكم بإحسانه ، والمسىء منكم بإساءته ، ومُسَائِلُكم عما كان منكم من الشكر فى الدنيا على نعمه التى أنعمها عليكم فيها ، التى أحصيتم ، والتى لم تحْصوا . وقوله (وَالَّذين تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ لا يَخْلُقُونَ شَيْئا وَهُمْ يُخْلَقُونَ) يقول تعالى ذكره : وأوثانكم الذين تدعون من دون الله أيها الناس آلهة ، لا تَخْلُق شيئا وهى تُخْلَق ، فكيف يكون إلهاما كان مصنوعا مُدَبَّرا ، لاتملك لأنفسها نفعا ولا ضرّا .

القول فى تأويل قوله تعالى

أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ ، وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ (٢١)

يقول تعالى ذكره لهؤلاء المشركين من قريش : والذين تدعون من دون الله أيها الناس (أَمْوَاتٌ غير أحْياءٍ) ، وجعلها جلّ ثناؤه أمواتا غير أحياء ، إذ كانت لا أرواح فيها .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (أَمْوَاتٌ غيرُ أحْياءٍ ، وَما يَشْعُرُونَ أيَّانَ يُبْعَثُونَ) وهى هذه الأوثان التى تُعبد من دون الله أموات لاأرواح فيها ، ولا تملك

لأهلها ضرًا ولا نفعا ، وفى رفع الأموات وجهان : أحدهما أن يكون خبرا للذين ، والآخر على الاستئناف وقوله (وَمَا يَشْعُرُونَ) يقول : وما تدرى أصنامكم التى تدعون من دون الله متى تبعث ؟ وقيل : إنما عُنِىَ بذلك الكفار ، أنهم لا يَدْرون متى يبعثون .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ فَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ (٢٢)

يقول تعالى ذكره : معبودكم الذى يستحقّ عليكم العبادة ، وإفراد الطاعة له دون سائر الأشياء: معبود واحد ، لأنه لا تصلح العبادة إلا له ، فأفردوا له الطاعة ، وأخلصوا له العبادة ، ولا تجعلوا معه شريكا سواه (فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكِرَةٌ) يقول تعالى ذكره : فالذين لا يصدّقون بوعد الله ووعيده ، ولا يُقِرّون بالمعاد إليه بعد الممات ، قلوبهم منكرة ، يقول تعالى ذكره : مستنكرة لما نقص عليهم من قدرة الله وعظمته ، وجميل نعمه عليهم ، وأن العبادة لا تصلُح إلا له ، والألوهة ليست لشىء غيره ؛ يقول : وهم مستكبرون عن إفراد الله بالألوهة ، والإقرار له بالوحدانية ، اتباعا منهم لما مضى عليه من الشرك بالله أسلافهم .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكِرَةٌ) لهذا الحديث الذى مضى ، وهم مستكبرون عنه .

القول فى تأويل قوله تعالى

لَا جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ (٢٣)

يعنى تعالى ذكره بقوله : لا جرم حقا أن الله يعلم ما يسرّ هؤلاء المشركون ، من إنكارهم ما ذكرنا من الأنباء فى هذه السورة ، واعتقادهم نكير قولنا لهم : إلهكم إله واحد ، واستكبارهم على الله ، وما يعلنون من كفرهم بالله وفِرْيتهم عليه (إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ) يقول : إن الله لا يحبّ المستكبرين عليه أن يوحدوه ، ويخلعوا ما دونه من الآلهة والأنداد .

كما حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا جعفر بن عون ، قال : ثنا مِسْعَر ، عن رجل ، أن الحسن بن علىّ كان يجلس إلى المساكين ، ثم يقول (إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ) .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۙ قَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ (٢٤)

يقول تعالى ذكره : وإذا قيل لهؤلاء الذين لا يؤمنون بالآخرة من المشركين : ماذا أنزل ربكم ؟ أىّ شىء أنزل ربكم ؟ قالوا : الذى أنزل ما سطّره الأوّلون من قبلنا من الأباطيل .

وكان ذلك كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (ماذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ ؟ قالُوا أساطِيرُ الأَوَّلِينَ) يقول : أحاديث الأوّلين وباطلهم ، قال ذلك قوم من مشركى العرب كانوا يقعدون بطريق من أتى نبىّ الله صلى الله عليه وسلم ، فإذا مرّ بهم أحد من المؤمنين ، يريد نبىّ الله صلى الله عليه وسلم ، قالوا لهم : أساطير الأوّلين ، يريد : أحاديث الأوّلين وباطلهم .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (أساطِيرُ الأَوَّلِينَ) يقول : أحاديث الأوّلين .

القول فى تأويل قوله تعالى

لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ ، أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ (٢٥)

يقول تعالى ذكره : يقول هؤلاء المشركون لمن سألهم : ماذا؟أنزل ربكم : الذى أنزل ربنا فيما يزعم محمد عليه : أساطير الأوّلين ، لتكون لهم ذنوبهم التى هم عليها مقيمون ، من تكذيبهم الله ، وكفرهم بما أنزل على رسوله صلى الله عليه وسلم ، ومن ذنوب الذين يصدّونهم عن الإيمان بالله ، يضلون : يفتنون منهم بغير علم . وقوله (ألا ساءَ ما يَزِرُونَ) يقول : ألا ساء الإثم الذى يأثمون ، والثقل الذى يتحملون .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كامِلَةً يَوْمَ القِيامَةِ) ومن أوزار من أضلوا احتملهم ذنوب أنفسهم ، وذنوب من أطاعهم ، ولا يخفف ذلك عمن أطاعهم من العذاب شيئا .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، نحوه ، إلا أنه قال : ومن أوزار الذين يضلونهم : حملهم ذنوب أنفسهم ، وسائر الحديث مثله .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ؛ وحدثنى المثنى ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كامِلَةً يَوْمَ القِيامَةِ ، وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ) قال : حملهم ذنوب أنفسهم وذنوب من أطاعهم ، ولا يخفف ذلك عمن أطاعهم من العذاب شيئا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، نحوه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كامِلَةً يَوْمَ القِيامَةِ) : أى ذنوبهم وذنوب الذين يُضلونهم بغير علم ، (ألا ساءَ ما يَزِرُونَ) .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله (لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ) يقول : يحملون ذنوبهم ، وذلك مثل قوله (وَأَثْقَالاً مَعَ أَثْقَالِهِمْ) يقول : يحملون مع ذنوبهم ذنوب الذين يُضِلُّونهم بغير علم .

حدثنى المثنى ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، (لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ ، أَلا سَاءَ مَا يَزِرُونَ) . قال : قال النبىّ صلى الله عليه وسلم : « أَيُّمَا دَاعٍ دَعَا إِلَى ضَلالَةٍ فَاتُّبِعَ ، فَإِنَّ عَلَيْهِ مِثْلَ أَوْزَارِ مَنِ اتَّبَعَهُ ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يُنْقِصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ ؛ وَأَيُّمَا دَاعٍ دَعَا إِلَى هُدًى فَاتُّبِعَ ، فَلَهُ مِثْلُ أُجُورِهِمْ ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يُنْقِصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ » .

حدثنى المثنى ، قال : أخبرنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن رجل ، قال : قال زيد بن أسلم : «إنه بلغه أنه يتمثل للكافر عمله فى صورة أقبح ماخلق الله وجها ، وأنتنه ريحاً ، فيجلس إلى جنبه كلما أفزعه شىء زاده فزعا ، وكلما تخوّف شيئا زاده خوفا ، فيقول : بئس الصاحب أنت ، ومن أنت ؟ فيقول : وما تعرفنى ؟ فيقول لا ، فيقول : أنا عملك كان قبيحا ، فلذلك ترانى قبيحا ، وكان منتنا ، فلذلك ترانى منتنا ، طأطئ إلىّ أركبك ، فطالما ركبتنى فى الدنيا ، فيركبه ، وهو قوله (لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ) .

القول فى تأويل قوله تعالى

قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ، فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ ، فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ ، وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لا يَشْعُرُونَ (٢٦)

⁂ يقول تعالى ذكره : قد مكر الذين من قبل هؤلاء المشركين ، الذين يصدّون عن سبيل الله ، من أراد اتباع دين الله ، فراموا مغالبة الله ببناء بَنَوه ، يريدون بزعمهم الارتفاع إلى السماء لحرب من فيها . وكان الذى رام ذلك فيما ذُكر لنا جبارا من جبابرة النَّبَط ، فقال بعضهم : هو نمرود بن كنعان . وقال بعضهم : هو بختنصر ، وقد ذكرت بعض أخبارهما فى سورة إبراهيم . وقيل : إن الذى ذُكر فى هذا الموضع هو الذى ذكره الله فى سورة إبراهيم .

ذكر من قال ذلك

حدثنى موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قال : أمر الذى حاجّ إبراهيم فى ربه بإبراهيم فأُخْرِج ، يعنى : من مدينته ، قال : فلقى لوطا على باب المدينة ، وهو ابن أخيه ، فدعاه ، فآمن به ، وقال : إنى مهاجر إلى ربى ، وحلف نمرود أن يطلب إله إبراهيم ، فأخذ أربعة أفراخ من فِراخ

النسور ، فرباهنّ باللحم والخبز ، حتى كبرن وغلظن واستعجلن ، فربطهنّ فى تابوت ، وقعد فى ذلك التابوت ، ثم رفع لهنّ رجلا من لحم ، فطرن ، حتى إذا ذهبن فى السماء ، أشرف ينظر إلى الأرض ، فرأى الجبال تدبّ كدبيب النمل ، ثم رفع لهنّ اللحم ، ثم نظر فرأى الأرض محيطا بها بحر ، كأنها فلكة فى ماء ، ثم رفع طويلا فوقع فى ظلمة ، فلم ير مافوقه وما تحته ، ففزع ، فألقى اللحم ، فاتبعته منقضّات ؛ فلما نظرت الجبال إليهنّ ، وقد أقبلن منقضات ، وسمعت حفيفهنّ ، فزعت الجبال ، وكادت أن تزول من أمكنتها ولم يفعلن ، وذلك قول الله تعالى (وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللهِ مَكْرُهُمْ ، وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الجِبالُ) ، وهى فى قراءة ابن مسعود (وَإِنْ كادَ مَكْرُهُمْ) فكان طَيْرُورتهن به من بيت المقدس ووقوعهن به فى جبل الدخان ؛ فلما رأى أنه لا يطيق شيئا ، أخذ فى بنيان الصرح ، فبنى حتى إذا شيده إلى السماء ارتقى فوقه ينظر ، يزعم إلى إله إبراهيم ، فأحدث ، ولم يكن يُحدث ، وأخذَ اللهُ بُنْيانَهُ مِنَ القَوَاعِدِ ، (فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ ، وأتاهُمُ العَذَابُ مِنْ حَيْثُ لا يَشْعُرُونَ) يقول : من مأمنهم ، وأخذهم من أساس الصَّرْح ، فتنقض بهم ، فسقط ، فتبلبلت ألسن الناس يومئذ من الفزع ، فتكلموا بثلاثة وسبعين لسانا ، فلذلك سميت بابل . وإنما كان لسان الناس من قبل ذلك بالسُّرْيانية .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ، فَأَتَى اللهُ بُنْيانَهُمْ مِنَ القَوَاعِدِ) قال : هو نمرود حين بنى الصرح .

حدثنى المثنى ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن زيد بن أسلم : إن أوّل جبار كان فى الأرض نمرود ، فبعث الله عليه بَعوضة ، فدخلت فى منخره ، فمكث أربع مئة سنة يُضْرب رأسه بالمطارق ، أرحم الناس به من جمع يديه ، فضرب رأسه بهما ، وكان جبارا أربع مئة سنة ، فعذّبه الله أربع مئة سنة كمُلكه ، ثم أماته الله ؛ وهو الذى كان بنى صَرْحا إلى السماء ، وهو الذى قال الله : (فَأَتَى اللهُ بُنْيانَهُمْ مِنَ القَوَاعِدِ ، فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ) . وأما قوله (فَأَتَى اللهُ بُنْيانَهُمْ مِنَ القَوَاعِدِ) فإن معناه : هدم الله بنيانهم من أصله . والقواعد : جمع قاعدة ، وهى الأساس . وكان بعضهم يقول : هذا مثل للاستئصال ، وإنما معناه : أن الله استأصلهم . وقال : العرب تقول ذلك إذا استؤصل الشىء .

وقوله (فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ) اختلف أهل التأويل فى معنى ذلك ، فقال بعضهم : معناه : فخرّ عليهم السقف من فوقهم : أعالى بيوتهم من فوقهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ، فَأَتَى اللهُ بُنْيانَهُمْ مِنَ القَوَاعِدِ) : إى والله ، لأتاها أمر الله من أصلها (فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ) والسقف : أعالى البيوت ، فَأَتَفَكت بهم بيوتهم ، فأهلكهم الله ودمرهم ، (وأتاهُمُ العَذابُ مِنْ حَيْثُ لا يَشْعُرُونَ) .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ) قال : أتى الله بنيانهم من أصوله ، فخرّ عليهم السقف .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثنى المثنى ، قال : أخبرنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ؛ وحدثنى المثنى ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (فَأَتَى اللهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ القَوَاعِدِ) قال : مكر نمرود بن كنعان الذى حاجّ إبراهيم فى ربه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

وقال آخرون : عنى بقوله (فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ) : أن العذاب أتاهم من السماء .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ) يقول : عذاب من السماء ، لما رأوه استسلموا وذلوا .

⁂ وأولى القولين بتأويل الآية : قول من قال : معنى ذلك : تساقطت عليهم سقوف بيوتهم ، إذ أتى أصولها وقواعدها أمر الله ، فأتفكت بهم منازلهم ، لأن ذلك هو الكلام المعروف من قواعد البنيان ، وخرّ السقف ، وتوجيه معانى كلام الله إلى الأشهر الأعرف منها : أولى من توجيهها إلى غير ذلك ، ما وُجِد إليه سبيل (وأتاهُمُ العَذَابُ مِنْ حَيْثُ لايَشْعُرُونَ) يقول تعالى ذكره : وأتى هؤلاء الذين مكروا من قَبْل مشركى قريش ، عذاب الله من حيث لايدرون أنه أتاهم منه .

القول فى تأويل قوله تعالى

ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُخْزِيهِمْ ، وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تُشَٰٓقُّونَ فِيهِمْ ؟ قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ : إِنَّ ٱلْخِزْىَ ٱلْيَوْمَ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ (٢٧)

⁂ يقول تعالى ذكره : فعل الله بهؤلاء الذين مكروا ، الذين وصف الله جلّ ثناؤه أمرهم ، ما فعل بهم فى الدنيا ، من تعجيل العذاب لهم ، والانتقام بكفرهم ، وجحودهم وحدانيته ، ثم هو مع ذلك يوم القيامة مخزيهم ، فمذلهم بعذاب أليم ، وقائل لهم عند ورودهم عليه (أَيْنَ شُرَكَائِىَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ؟) : أصله : من شاققت فلانا فهو يشاقّنى ، وذلك إذا فعل كلّ واحد منهما بصاحبه ما يشقّ عليه ؛ يقول تعالى ذكره يوم القيامة تقريعا للمشركين بعبادتهم الأصنام : أين شركائى ؟ يقول : أين الذين كنتم تزعمون فى الدنيا أنهم شركائى اليوم ، ما لهم لايحضرونكم ، فيدفعوا عنكم ما أنا مُحِلّ بكم من العذاب ، فقد كنتم تعبدونهم فى الدنيا ، وتتولونهم ، والولىّ ينصر وليه ، وكانت مشاقّتهم الله فى أوثانهم : مخالفتهم إياه فى عبادتهم .

كما حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس ، قوله (أَيْنَ شُرَكَائِىَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ ؟) يقول : تخالفونى .

وقوله (قالَ الَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ إنَّ الخِزْيَ اليَوْمَ والسُّوءَ على الكافِرِينَ) يعنى : الذلّة والهوان والسوء ، يعنى : عذاب الله على الكافرين .

القول فى تأويل قوله تعالى

الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ ، فَأَلْقَوُا السَّلَمَ ، مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ ، بَلَى ، إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٢٨)

يقول تعالى ذكره : قال الذين أوتوا العلم : إن الخزى اليوم والسوء على من كفر بالله ، فجحد وحدانيته . (الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ المَلائِكَةُ) يقول : الذين تقبض أرواحهم الملائكة (ظالِمِي أنْفُسِهِمْ) يعنى : وهم على كفرهم وشركهم بالله . وقيل : إنه عَنَى بذلك من قُتِل من قريش ببدر ، وقد أخرج إليها كرها .

حدثنى المثنى ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا يعقوب بن محمد الزُّهْرِىّ ، قال : ثنى سفيان بن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن عكرمة ، قال : كان ناس بمكة أقرّوا بالإسلام ولم يهاجروا ، فأُخرج بهم كرها إلى بدر ، فقتل بعضهم ، فأنزل الله فيهم (الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ المَلائِكَةُ ظالِمِي أنْفُسِهِمْ) .

وقوله (فَألْقَوُا السَّلَمَ) يقول : فاستسلموا لأمره ، وانقادوا له حين عاينوا الموت قد نزل بهم ، (ما كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ) ، وفى الكلام محذوف استغنى بفهم سامعيه مادلّ عليه الكلام عن ذكره ، وهو : قالوا ما كنا نعمل من سوء ، يخبر عنهم بذلك أنهم كذّبوا وقالوا : ما كنا نعصى الله اعتصاما منهم بالباطل ، رجاء أن ينجوا بذلك ، فكذّبهم الله ، فقال : بل كنتم تعملون السوء ، وتصدّون عن سبيل الله (إنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) يقول : إن الله ذو علم بما كنتم تعملون فى الدنيا من معاصيه ، وتأتون فيها ما يسخطه .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ، فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ (٢٩)

يقول تعالى ذكره : يقول لهؤلاء الظلمة أنفسهم حين يقولون لربهم : ما كنا نعمل من سوء : ادخلوا أبواب جهنم ، يعنى : طبقات جهنم (خالِدِينَ فِيها) يعنى : ماكثين فيها . (فَلَبِئْسَ مَثْوَى المُتَكَبِّرِينَ) يقول : فلبئس منزل من تكبر على الله ، ولم يقرّ بربوبيته ، ويصدّق بوحدانيته ، جهنم .

القول فى تأويل قوله تعالى

* وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ ، قَالُوا : خَيْرًا لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِى هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ ، وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ ، وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ (٣٠)

⁂ يقول تعالى ذكره : وقيل للفريق الآخر ، الذين هم أهل إيمان وتقوى لله (ماذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ ؟ قالُوا خَيْرًا) يقول : قالوا : أنزل خيرا . وكان بعض أهل العربية من الكوفيين يقول : إنما اختلف الإعراب فى قوله (قالُوا أساطِيرُ الأَوَّلِينَ) ، وقوله (خَيْرًا) ، والمسئلة قبل الجوابين كليهما واحدة ، وهى قوله (ماذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ) : لأن الكفار جحدوا التنزيل ، فقالوا حين سمعوه : أساطير الأوّلين : أى هذا الذى جئت به أساطير الأوّلين : ولم ينزل الله منه شيئا . وأما المؤمنون فصدقوا التنزيل ، فقالوا خيرا ، بمعنى أنه أنزل خيرا ، فانتصب بوقوع الفعل من الله على الخير ، فلهذا افترقا ، ثم ابتدأ الخبر ، فقال (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيا حَسَنَةٌ) . وقد بيّنا القول فى ذلك فيما مضى قبل ، بما أغنى عن إعادته .

وقوله (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدنيا حَسَنَةٌ) يقول تعالى ذكره : للذين آمنوا بالله فى هذه الدنيا ورسوله ، وأطاعوه فيها ، ودعوا عباد الله إلى الإيمان والعمل بما أمر الله به ، حسنة ، يقول : كرامة من الله (وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ) يقول : ولدار الآخرة خير لهم من دار الدُّنْيا ، وكرامة الله التى أعدّها لهم فيها أعظم من كرامته التى عجلها لهم فى الدنيا (وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ) يقول : ولنعم دار الذين خافوا الله فى الدنيا فاتقوا عقابه ، بأداء فرائضه ، وتجنب معاصيه دار الآخرة .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا ما ذاأَنْزَلَ رَبُّكُمْ ؟ قالُوا خَيْرًا لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هذِهِ الدُّنْيا حَسَنَةٌ) وهؤلاء مؤمنون ، فيقال لهم (ماذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ ؟ فَيَقُولُونَ : خَيْرًا لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هذه الدُّنْيا حَسَنَةٌ) : أى آمنوا بالله ، وأمروا بطاعة الله ، وحثّوا أهل طاعة الله على الخير ودعوهم إليه .

القول فى تأويل قوله تعالى

جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ، لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ ، كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ (٣١)

⁂ يعنى تعالى ذكره بقوله (جَنَّاتُ عَدْنٍ) بساتين للمقام . وقد بيّنا اختلاف أهل التأويل فى معنى عَدْن فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته (يَدْخُلُونَهَا) يقول : يدخلون جنات عدن ، وفى رفع جنات : أوجه ثلاثة : أحدها : أن يكون مرفوعا على الابتداء ، والآخر : بالعائد من الذكر فى قوله (يَدْخُلُونَهَا) . والثالث : على أن يكون خبر النعم ، فيكون المعنى : إذا جعلت خبرا لنعم : ولنعم دار المتقين (جنّات عدْنٍ) ويكون (يَدْخُلُونَهَا) فى موضع حال ، كما يقال : نعم الدار دار تسكنها أنت ، وقد يجوز أن يكون إذا كان الكلام بهذا التأويل : يدخلونها ، من صلة جنات عدن . وقوله (تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ)

يقول : تجرى من تحت أشجارها الأنهار . (لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ) يقول : للذين أحسنوا فى هذه الدنيا فى جنات عدن ما يشاءون، مما تشتهى أنفسهم ، وتلذّ أعينهم (كَذَلِكَ يَجْزِي اللهُ الْمُتَّقِينَ) يقول : كما يجزى الله هؤلاء الذين أحسنوا فى هذه الدنيا ، بما وصف لكم أيها الناس أنه جزاهم به فى الدنيا والآخرة ، كذلك يجزى الذين اتقوه ، بأداء فرائضه واجتناب معاصيه .

القول فى تأويل قوله تعالى

الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٣٢)

يقول تعالى ذكره: كذلك يجزى الله المتقين الذين تَقْبِض أرواحَهم ملائكةُ الله، وهم طيبون بتطييب الله إياهم بنظافة الإيمان ، وطهر الإسلام فى حال حياتهم وحال مماتهم .

كما حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ؛ وحدثنى الحارث ، قال :ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثنى المثنى ، قال : أخبرنا أبوحُذيفة ، قال : ثنا شبل ؛ وحدثنى المثنى ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ) قال : أحياء وأمواتا ، قدر الله ذلك لهم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

وقوله (يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ) يعنى جلّ ثناؤه أن الملائكة تقبض أرواح هؤلاء المتقين ،وهى تقول لهم : سلام عليكم ، صيروا إلى الجنة ، بشارة من الله تبشرهم بها الملائكة .

كما حدثنى يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنى أبوصخر ، أنه سمع محمد ابن كعب القُرَظىّ يقول : إذا استنقعت نفس العبد المؤمن، جاءه ملك فقال: السلام عليك ولىّ الله ، الله يقرأ عليك السلام ، ثم نزع بهذه الآية (الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ) . . . إلى آخر الآية .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء الخراسانىّ ، عن ابن عباس ، قوله (فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ) قال : الملائكة يأتونه بالسلام من قِبَل الله ، وتخبره أنه من أصحاب اليمين .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا الأشبُّ أبوعلىّ ، عن أبى رجاء ، عن محمد بن مالك ، عن البَرَاء ، قال : قوله (سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ) قال : يسلم عليه عند الموت .

وقوله (بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) يقول : بما كنتم تصيبون فى الدنيا أيام حياتكم فيها طاعة الله ، وطلب مرضاته .

القول فى تأويل قوله تعالى

هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ أَمْرُ رَبِّكَ ؟ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ، وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ ، وَلَـٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٣٣)

يقول تعالى ذكره : هل ينتظر هؤلاء المشركون إلا أن تأتيهم الملائكة لقبض أرواحهم ، أو يأتى أمر ربك بحشرهم لموقف القيامة (كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) يقول جلّ ثناؤه : كما يفعل هؤلاء من انتظارهم ملائكة الله لقبض أرواحهم ، أو إتيان أمر الله فعل أسلافهم من الكفرة بالله ، لأن ذلك فى كل مشرك بالله (وَمَا ظَلَمَهُمُ اللهُ) يقول جلّ ثناؤه وما ظلمهم الله بإحلال سُخْطه بهم (ولكِنْ كانُوا أنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) بمعصيتهم ربهم ، وكفرهم به ، حتى استحقوا عقابه ، فعجّل لهم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (هَلْ يَنْظُرُونَ إلاَّ أنْ تَأْتِيَهُمُ المَلائِكَةُ) قال : بالموت ، وقال فى آية أخرى (وَلَوْ تَرَى إذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا المَلائِكَةُ) وهو ملك الموت ، وله رسل ، قال الله تعالى (أوْ يَأْتِيَ أمْرُ رَبِّكَ) ذاكم يوم القيامة .

حدثنى المثنى ، قال : أخبرنا أبو حُذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (هَلْ يَنْظُرُونَ إلاَّ أنْ تَأْتِيَهُمُ المَلائِكَةُ) يقول : عند الموت حين تتوفاهم ، (أوْ يَأْتِيَ أمْرُ رَبِّكَ) : ذلك يوم القيامة .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟ ، وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ (٣٤)

يقول تعالى ذكره : فأصاب هؤلاء الذين فعلوا من الأمم الماضية فعل هؤلاء المشركين من قريش ، سيئات ما عملوا ، يعنى : عقوبات ذنوبهم ، ونقم معاصيه التى اكتسبوها . (وَحاقَ بِهِمْ ما كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ) يقول : وحلّ بهم من عذاب الله ما كانوا يستهزئون منه ، ويسخرون عند إنذارهم ذلك رسلُ الله ، ونزل ذلك بهم دون غيرهم من أهل الإيمان بالله .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا ، وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ، كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ، فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَـٰغُ ٱلْمُبِينُ (٣٥)

⁂ يقول تعالى ذكره : وقال الذين أشركوا بالله ، فعبدوا الأوثان والأصنام من دون الله : ما نعبد هذه الأصنام إلا لأن الله قد رضى عبادتنا هؤلاء ، ولا نحرِّم ماحرمنا من البحائر والسوائب ، إلا أن الله شاء منا ومن آبائنا تحريمناها ، ورضيه لولا ذلك ، لقد غير ذلك ببعض عقوباته أو بهدايته إيانا إلى غيره من الأفعال ، يقول تعالى ذكره : كذلك فعل الذين من قبلهم من الأمم المشركة الذين استنّ هؤلاء سنتهم ، فقالوا مثل قولهم ، وسلكوا سبيلهم فى تكذيب رسل الله ، واتباع أفعال آبائهم الضلال . وقوله (فَهَلْ على الرُّسُلِ إلاَّ البَلاغُ المُبِينُ ؟) يقول جلّ ثناؤه : فهل أيها القائلون : لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ، على رسلنا الذين نرسلهم بإنذاركم عقوبتنا على كفركم ، إلا البلاغ المبين : يقول : إلا أن تبلغكم ما أرسلنا إليكم من الرسالة . ويعنى بقوله (المُبِينُ) : الذى يبين عن معناه لمن أبلغه ، ويفهمه من أرسل إليه .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اُعْبُدُواْ اللَّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ ، فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ ، وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَـٰلَةُ فَسِيرُواْ فِى الْأَرْضِ ، فَانظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (٣٦)

⁂ يقول تعالى ذكره : ولقد بعثنا أيها الناس فى كلّ أمة سلفت قبلكم رسولا ، كما بعثنا فيكم ، بأن اعبدوا الله وحده لاشريك له ، وأفردوا له الطاعة ، وأخلصوا له العبادة (وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ) يقول : وابعدوا من الشيطان ، واحذروا أن يُغْوِيَكم ، ويصدّكم عن سبيل الله ، فتضلوا ، (فمنهم مَنْ هَدَى اللهُ) يقول : فممن بعثنا فيهم رسلنا من هدى الله ، فوفّقه لتصديق رسله ، والقبول منها ، و الإيمان بالله ، والعمل بطاعته ، ففاز وأفلح ، ونجا من عذاب الله (وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ) يقول : وممن بعثنا رسلنا إليه من الأمم ، آخرون حقّت عليهم الضلالة ، فجاروا عن قصد السبيل ، فكفروا بالله ، وكذّبوا رسله ، واتبعوا الطاغوت ، فأهلكهم الله بعقابه ، وأنزل عليهم بأسه الذى لايُرَدّ عن القوم المجرمين ، (فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فانْظُرُوا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ المُكَذِّبِينَ) يقول تعالى ذكره لمشركى قريش : إن كنتم أيها الناس غير مصدّقى رسولنا فيما يخبركم به عن هؤلاء الأمم ، الذين حلّ بهم ماحلّ من بأسنا ، بكفرهم بالله ، وتكذيبهم رسوله ، فسيروا فى الأرض التى كانوا يسكنونها ، والبلاد التى كانوا يَعْمُرُونها ، فانظروا إلى آثار الله فيهم ، وآثار سخطه النازل بهم ، كيف أعقبهم تكذيبهم رسل الله ما أعقبهم ، فإنكم ترون حقيقة ذلك ، وتعلمون به صحة الخبر الذى يخبركم به محمد صلى الله عليه وسلم .

القول فى تأويل قوله تعالى

إِن تَحْرِصْ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِى مَنْ يُضِلُّ ، وَمَا لَهُم مِّن نَّـٰصِرِينَ (٣٧)

⁂ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : إن تحرص يامحمد على هدى هؤلاء المشركين إلى الإيمان بالله واتباع الحقّ (فإنّ اللهَ لا يَهْدِى مَنْ يُضِلُّ) .

واختلفت القرّء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامّة قرّاء الكوفيين (فإنّ اللهَ لا يَهْدِى مَنْ يُضِلُّ) بفتح الياء من يهدى ، وضمها من يضلّ . وقد اختلف فى معنى ذلك قارئوه كذلك ، فكان بعض نحوى الكوفة يزعم أن معناه : فإن الله من أضله لايهتدى . وقال : العرب تقول : قد هدى الرجل : يريدون قد اهتدى ، وهدى واهتدى بمعنى واحد . وكان آخرون منهم يزعمون أن معناه : فإن الله لايهدى من أضله ، بمعنى : أن من أضله الله ، فإن الله لايهديه . وقرأ ذلك عامّة قرّاء المدينة والشام والبصرة (فإنّ اللهَ لا يُهْدَى) بضم الياء مِن يُهدى ومن يُضل ، وفتح الدال من يُهدَى بمعنى : من أضله الله فلا هادى له .

وهذه القراءة أولى القراءتين عندى بالصواب ، لأن يهدى : بمعنى يهتدى قليل فى كلام العرب غير مستفيض ، وأنه لافائدة فى قول قائل : من أضله الله فلا يهديه ، لأن ذلك مما لايجهله أحد . وإذ كان ذلك كذلك ، فالقراءة بما كان مستفيضا فى كلام العرب من اللغة بما فيه الفائدة العظيمة أولى وأحرى .

فتأويل الكلام : لو كان الأمر على ما وصفنا : إن تحرص يامحمد على هداهم ، فإن من أضله الله فلا هادى له ، فلا تجهد نفسك فى أمره ، وبلغه ما أرسلت به لتتمّ عليه الحجة (وَما لَهُمْ مِنْ ناصِرِينَ) يقول : وما لهم من ناصر ينصرهم من الله إذا أراد عقوبتهم ، فيحول بين الله وبين ما أراد من عقوبتهم .

وفى قوله (إنْ تَحْرِصْ) لغتان : فمن العرب من يقول : حرَص يحرَص بفتح الراء فى فعَل وكسرها فى يفعِل . وحرِص يحرَص بكسر الراء فى فعِل ، وفتحها فى يفعَل ، والقراءة على الفتح فى الماضى ، والكسر فى المستقبل ، وهى لغة أهل الحجاز .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٣٨)

⁂ يقول تعالى ذكره : وحلف هؤلاء المشركون من قريش (باللهِ جَهْدَ أيْمانِهِمْ) حلفهم ، (لا يَبْعَثُ اللهُ مَنْ يَمُوتُ) بعد مماته ، وكذبوا وأبطلوا فى أيمانهم التى حلفوا بها كذلك ، بل سيبعثه الله بعد مماته ، (وَعْدًا عَلَيْهِ) أن يبعثهم وعد عباده ، والله لايخلف الميعاد (وَلَكِنَّ أكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ) يقول : ولكن أكثر قريش لايعلمون وعد الله عباده ، أنه باعثهم يوم القيامة بعد مماتهم أحياء .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وأقْسَمُوا باللهِ جَهْدَ

أيمانِهِمْ لا يَبْعَثُ اللهُ مَنْ يَمُوتُ) تكذيبا بأمر الله أو بأمرنا، فإن الناس صاروا فى البعث فريقين : مكذّب ومصدّق . ذُكر لنا أن رجلا قال لابن عباس : إن ناسا بهذا العراق يزعمون أن عليا مبعوث قبل يوم القيامة ، ويتأوّلون هذه الآية، فقال ابن عباس : كذب أولئك ، إنما هذه الآية للناس عامّة ، ولعمرى لو كان علىٌّ مبعوثا قبل يوم القيامة ، ما أنكحنا نساءه ، ولا قسمنا ميراثه .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : قال ابن عباس: إن رجالا يقولون : إن عليا مبعوث قبل يوم القيامة ، ويتأوّلون (وأقْسَمُوا باللهِ جَهْدَ أيمَانِهِمْ لا يَبْعَثُ اللهُ مَنْ يَمُوتُ ، بَلَى وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا ، وَلَكِنَّ أكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ) قال : لو كنا نعلم أن عليا مبعوث ، ما تزوّجنا نساءه ، ولا قسمنا ميراثه ، ولكن هذه للناس عامة .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن أبيه ، عن الربيع ، فى قوله (وأقْسَمُوا باللهِ جَهْدَ أيمَانِهِمْ لا يَبْعَثُ اللهُ مَنْ يَمُوتُ) قال : حلف رجل من أصحاب النبىّ صلى الله عليه وسلم عند رجل من المكذّبين ، فقال : والذى يرسل الروح من بعد الموت ، فقال : وإنك لتزعم أنك مبعوث من بعد الموت ، وأقسم بالله جهد يمينه : لا يبعث الله من يموت .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبى جعفر ، عن الربيع ، عن أبى العالية ، قال : كان لرجل من المسلمين على رجل من المشركين دين ، فأتاه يتقاضاه ، فكان فيما تكلم به : والذى أرجوه بعد الموت إنه لكذا ، فقال المشرك : إنك تزعم أنك تُبعث بعد الموت ، فأقسم بالله جهد يمينه : لا يبعث الله من يموت ، فأنزل الله (وأقْسَمُوا باللهِ جَهْدَ أيمَانِهِمْ لا يَبْعَثُ اللهُ مَنْ يَمُوتُ ، بَلَى، وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا ، وَلَكِنَّ أكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن عطاء بن أبى رباح أنه أخبره أنه سمع أبا هريرة يقول : « قال الله: سبنى ابن آدم ، ولم يكن ينبغى له أن يسبنى ، وكذّبنى ولم يكن ينبغى له أن يكذّبنى ؛ فأما تكذيبه إياى ، فقال (وأقْسَمُوا باللهِ جَهْدَ أيمَانِهِمْ لا يَبْعَثُ اللهُ مَنْ يَمُوتُ) قال : قلت (بَلَى وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا) . وأما سَبُّه إياى ، فقال : (إنَّ اللهَ ثالِثُ ثَلاثَةٍ) ، وقلت : (قُلْ هُوَ اللهُ أحَدٌ ، اللهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أحَدٌ) . »

القول فى تأويل قوله تعالى

لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِى يَخْتَلِفُونَ فِيهِ ، وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ (٣٩)

يقول تعالى ذكره : بل ليبعثنّ الله من يموت ، وعدا عليه حقا ، ليبين لهؤلاء الذين يزعمون أن الله لا يبعث من يموت ، ولغيرهم الذى يختلفون فيه ، من إحياء الله خلقه بعد فنائهم ، وليعلم الذين جحدوا صحة ذلك ، وأنكروا حقيقته أنهم كانوا كاذبين فى قيلهم : لا يبعث الله من يموت .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ) قال : للناس عامّة .

القول فى تأويل قوله تعالى

إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٤٠) وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً ، وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (٤١)

⁂ يقول تعالى ذكره : إنا إذا أردنا أن نبعث من يموت ، فلا تعب علينا ولا نصب فى إحيائناهم ، ولا فى غير ذلك مما نخلق ونكوّن ونحدث ، لأنا إذا أردنا خلقه وإنشاءه ، فإنما نقول له : كن فيكون ، لامعاناة فيه ، ولا كُلفة علينا .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله : يكون ، فقرأه أكثر قرّاء الحجاز والعراق على الابتداء ، وعلى أن قوله (إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ) كلام تامّ مكتف بنفسه عما بعده ، ثم يبتدأ فيقال فيكون كما قال الشاعر :

يُرِيدُ أَنْ يُعْرِبَهُ فَيُعْجِمُهْ[1]

وقرأ ذلك بعض قراء أهل الشام ، وبعض المتأخرين من قرّاء الكوفيين (فَيَكُونَ) نصبا ، عطفا على قوله (أَنْ نَقُولَ لَهُ) . وكأن معنى الكلام على مذهبهم : ما قولنا لشىء إذا أردناه إلا أن نقول له : كُنْ ، فيكون . وقد حُكى عن العرب سماعا : أريد أن آتيك فيمنعَنى المطر ، عطفا بيمنعَنى على آتيك .

وقوله (وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً) يقول تعالى ذكره : والذين فارقوا قومهم ودورهم وأوطانهم ، عداوة لهم فى الله على كفرهم ، إلى آخرين غيرهم (مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا) يقول : من بعد ما نيل منهم فى أنفسهم بالمكاره فى ذات الله (لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً) يقول : لنسكننهم فى الدنيا مسكنا يَرضَوْنه صالحا .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

---

(١) هذا بيت من مشطور الرجز ، من شواهد الفراء فى معانى القرآن (ص ١٦١) والشاهد فى البيت : أن قوله فيعجمه بالرفع ، ليس معطوفا على أن يعربه ، وإنما هو كلام مستأنف ، أى فهو يعجمه ولا يعربه . ومثله قوله تعالى « أن نقول له كن » فيكون بالرفع ، وليس معطوفا على « أن نقول » . ومثله أيضا قوله تعالى « وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم ، فيضل » بالرفع ، وليس بالنصب على الجواب للنفى . ومثله قوله تعالى « لنبين لكم ، ونقر فى الأرحام » برفع نقر على الاستئناف ، وقوله تعالى فى براءة « قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم » ، ثم قال « ويتوب الله على من يشاء » . قال الفراء : فإذا رأيت الفعل منصوبا ، وبعده فعل قد نسق عليه بواو أو فاء أو ثم ، فإن كان يشاكل معنى الفعل الذى قبله ، نسقته عليه ، وإن رأيته غير مشاكل لمعناه ، استأنفته فرفعه . ومنه قوله :

والشِّعْرُ لا يَسْتَطِيعُهُ مَنْ يَظْلِمُهْ يُرِيدُ أَنْ يُعْرِبَهُ فَيُعْجِمُهْ

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَالَّذِينَ هاجَرُوا فِي اللهِ مِنْ بَعْدِ ما ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ) قال : هؤلاء أصحاب محمد، ظلمهم أهل مكة ، فأخرجوهم من ديارهم، حتى لحق طوائف منهم بالحبشة، ثم بوأهم الله المدينة بعد ذلك، فجعلها لهم دار هجرة ، وجعل لهم أنصارا من المؤمنين .

حُدثت عن القاسم بن سلام ، قال : ثنا هشيم ، عن داود بن أبى هند ، عن الشعبىّ (لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيا حَسَنَةً) قال : المدينة .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (والَّذِينَ هاجَرُوا فِي اللهِ مِنْ بَعْدِ ما ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيا حَسَنَةً) قال : هم قوم هاجروا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل مكة ، بعد ظلمهم ، وظلمهم المشركون .

وقال آخرون : عنى بقوله (لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيا حَسَنَةً) لنرزقنهم فى الدنيا رزقا حسنا .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثنى المثنى ، قال : أخبرنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (لَنُبَوِّئَنَّهُمْ) لنرزقنهم فى الدنيا رزقا حسنا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا القاسم، قال : ثنا هشيم ، عن العوامّ ، عمن حدثه أن عمر بن الخطاب كان إذا أعطى الرجل من المهاجرين عطاءه يقول : خذ بارك الله لك فيه ، هذا ما وعدك الله فى الدنيا ، وماذخره لك فى الآخرة أفضل ، ثم تلا هذه الآية (لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيا حَسَنَةً ، ولأَجْرُ الآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ) .

⁂ وأولى القولين فى ذلك بالصواب : قول من قال: معنى (لَنُبَوِّئَنَّهُمْ) : لَنُحِلنهم ولَنُسْكِنهم، لأن التبوؤ فى كلام العرب: الحلول بالمكان والنزول به . ومنه قول الله تعالى (وَلَقَدْ بَوَّأْنا بَنِي إسْرائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ) وقيل : إن هذه الآية نزلت فى أبى جَنْدل بن سُهَيل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرزاق ، قال : ثنا جعفر بن سليمان ، عن داود بن أبى هند، قال : نزلت (والَّذِينَ هاجَرُوا فِي اللهِ مِنْ بَعْدِ ما ظُلِمُوا) . . . إلى قوله (وَعَلى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) فى أبى جَنْدل بن سُهَيل . .

وقوله (وَلأَجْرُ الآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ) يقول : ولثواب الله إياهم على هجرتهم فيه ، فى الآخرة أكبر ، لأن ثوابه إياهم هنالك الجنة ، التى يدوم نعيمها ولايبيد .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : قال الله (وَلأَجْرُ الآخِرَةِ أَكْبَرُ) أى والله لما يثيبهم الله عليه من جنته أكبر (لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ) .

القول فى تأويل قوله تعالى

الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٤٢)

يقول تعالى ذكره : هؤلاء الذين وصفنا صفتهم ، وآتيناهم الثواب الذى ذكرناه ، الذين صبروا فى الله على ما نابهم فى الدنيا (وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) يقول : وبالله يثقون فى أمورهم ، وإليه يستندون فى نوائب الأمور التى تنوبهم .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ ؛ فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ (٤٣)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : وما أرسلنا من قبلك يا محمد إلى أمة من الأمم ، للدعاء إلى توحيدنا ، والانتهاء إلى أمرنا ونهينا ، إلا رجالا من بنى آدم ، نوحى إليهم وحينا ، لا ملائكة . يقول : فلم نرسل إلى قومك إلا مثل الذى كنا نرسل إلى من قبلهم من الأمم من جنسهم ، وعلى مناهجهم (فاسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ) يقول لمشركى قريش : وإن كنتم لا تعلمون أن الذين كنا نرسل إلى من قبلكم من الأمم رجال من بنى آدم مثل محمد صلى الله عليه وسلم ، وقلتم : هم ملائكة ، أى ظننتم أن الله كلمهم قبلا ، فاسئلوا أهل الذكر ، وهم الذين قد قرءوا الكتب من قبلهم : التوراة والإنجيل ، وغير ذلك من كتب الله التى أنزلها على عباده .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا المحاربى ، عن ليث ، عن مجاهد (فاسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ) قال : أهل التوراة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا المحاربى ، عن سفيان ، قال : سألت الأعمش ، عن قوله (فاسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ) قال : سمعنا أنه من أسلم من أهل التوراة والإنجيل .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله (وَما

أرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ إلاَّ رِجالاً نُوحِي إلَيْهِمْ ، فاسْئَلُوا أهْلَ الذِّكْرِ إنْ كُنْتُمْ لاتَعْلَمُونَ) قال : هم أهل الكتاب .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عبيد الله ، عن إسرائيل ، عن أبى يحيى ، عن مجاهد ، عن ابن عباس (فاسْئَلُوا أهْلَ الذِّكْرِ إنْ كُنْتُمْ لاتَعْلَمُونَ) قال : قال لمشركى قريش : إن محمدا فى التوراة والإنجيل .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عثمان بن سعيد ، قال : ثنا بشر بن عمارة ، عن أبى روق ، عن الضحاك عن ابن عباس ، قال : لما بعث الله محمدا رسولا ، أنكرت العرب ذلك ، أو من أنكر منهم ، وقالوا : الله أعظم من أن يكون رسوله بشرا مثل محمد ، قال : فأنزل الله (أكانَ للنَّاسِ عَجَبا أنْ أوْحَيْنا إلى رَجُلٍ مِنْهُمْ ؟) وقال : (وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحى إليهم ، فاسْئَلُوا أهْلَ الذِّكْرِ إنْ كُنْتُمْ لاتَعْلَمُونَ ، بالبينات والزبر) فاسئلوا أهل الذكر : يعنى أهل الكتب الماضية ، أبشرا كانت الرسل التى أتتكم أم ملائكة ؟ فإن كانوا ملائكة أنكرتم ، وإن كانوا بشرا فلا تنكروا أن يكون محمد رسولا ، قال : ثم قال : وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحى إليهم من أهل القُرَى : أى ليسوا من أهل السماء كما قلتم .

وقال آخرون فى ذلك ما حدثنا به ابن وكيع ، قال : ثنا ابن يمان ، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن أبى جعفر (فاسْئَلُوا أهْلَ الذِّكْرِ إنْ كُنْتُمْ لاتَعْلَمُونَ) قال : نحن أهل الذكر .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فاسْئَلُوا أهْلَ الذِّكْرِ إنْ كُنْتُمْ لاتَعْلَمُونَ) قال : الذكر : القرآن . وقرأ (إنَّا نَحْنُ نَزَّلْنا الذِّكْرَ ، وإنَّا لَه لَحافِظُونَ) . وقرأ (إنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بالذِّكْرِ لَمَّا جاءَهُمْ) . . . الآية .

القول فى تأويل قوله تعالى

بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ ، وَأَنْزَلْنَآ إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ، وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (٤٤)

يقول تعالى ذكره : أرسلنا بالبينات والزُّبُر رجالا نوحى إليهم .

فإن قال قائل : وكيف قيل بالبينات والزُّبُر ، وما الجالب لهذه الباء فى قوله (بالبَيِّناتِ)؟ فإن قلت : جالبها قوله (أرْسَلْنَا) وهى من صلته ، فهل يجوز أن تكون صلة « ما » قبل « إلا » بعدها ، وإن قلت : جالبها غير ذلك ، فما هو ، وأين الفعل الذى جلبها ؟ قيل : قد اختلف أهل العربية فى ذلك ، فقال بعضهم : الباء التى فى قوله (بالبَيِّناتِ) من صلة أرسلنا ، وقال : إلا فى هذا الموضع ، ومع الجحد والاستفهام فى كلّ موضع بمعنى «غير» ، وقال : معنى الكلام : وما أرسلنا من قبلك بالبينات والزبر غيرَ رجال نوحى إليهم ، ويقول على ذلك : ماضرب إلا أخوك زيدا ، وهل كلم إلا أخوك عمرا ، بمعنى : ماضرب زيدا غيرُ أخيك ، وهل كلم عمرا إلا أخوك ؟ ويحتجّ فى ذلك بقول أوْس بن حَجَر :

أبَنِى لُبَيْـنَى لَسْتُمُ بِيَـدٍ إلا يَدٍ لَيْسَتْ لَهَا عَضُـدُ[1]

ويقول : لو كانت « إلا » بغير معنى ، لفسد الكلام ، لأن الذى خفض الباءُ قبل إلا ، لا يقدر على إعادته بعد إلا ، لخفض اليد الثانية ، ولكن معنى إلا معنى غير ، ويستشهد أيضا بقول الله عزّ وجلّ (لَوْ كانَ فيهِما آلِهَةٌ إلاَّ اللهُ) ويقول : إلا بمعنى « غير » فى هذا الموضع . وكان غيره يقول : إنما هذا على كلامين : يريد : وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا ، أرسلنا بالبينات والزبر . قال : وكذلك قول القائل : ماضرب إلا أخوك زيدا ، معناه : ماضرب إلا أخوك ، ثم يبتدئ : ضرب زيدا ، وكذلك مامَرَّ إلا أخوك بزيد ، مامرّ إلا أخوك ، ثم يقول : مرّ بزيد ، ويستشهد على ذلك ببيت الأعشى :

ولَيْسَ مُجيرًا إنْ أَتَى الحَىَّ خائِفٌ وَلا قائِلاً إلاَّ هُوَ المُتَعَيَّبَا[2]

ويقول : لو كان ذلك على كلمة لكان خطأ ، لأن المُتَعَيَّبا من صلة القائل ، ولكن جاز ذلك على كلامين . وكذلك قول الآخر :

نُبِّئْتُهُمْ عَذَّبُوا بالنَّارِ جارَهُمُ وَهَلْ يُعَذِّبُ إلاَّ اللهُ بالنَّارِ[3]

---

(١) رواية هذا البيت فى الكتاب لسيبويه (١ : ٣٦٢) :

يا بْـنَىْ لُبَيْـنَى لَسْتُما بِيَدٍ إلا يَدًا لَيسَتْ لَهَا عَضُـدُ

بنصب يد التى بعد إلا على محل بيد التى قبلها . قال الشنتمرى فى الكلام على الشاهد : الشاهد فيه نصب ما بعد إلا ، على البدل من موضع الباء وما عملت فيه . والتقدير : لستما يدا إلا يدا لاعضد لها . ولا يجوز الجر على البدل من المجرور ، لأن ما بعد « إلا » مجرور ، والباء مؤكدة للنفى . ويروى : مخبولة العضد . والخبل : الفساد ، أى أنتما فى الضعف وقلة النفع ، كيد بطل عضدها . اه .

وقال الفراء فى معانى القرآن (١ : ١٧٢) : ورأيت الكسائى يجعل إلا مع الجحد والاستفهام بمنزلة غير . . . . وقال فى قوله تعالى : « لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا » لا أجد المعنى إلا : لو كان فيهما آلهة غير الله لفسدتا . واحتج بقول الشاعر :

أبنى لبينى لستم بيد إلا يد ليست لها عضد

فقال : لو كان المعنى إلا لكان الكلام فاسدا فى هذا ؛ لأنى لا أقدر فى هذا البيت على إعادة خافض بضمير ، وقد ذهب ههنا مذهبا . قلت وقد جوز الشيخ خالد فى يد التى بعد إلا النصب على الاستثناء ، وعلى البدلية ، كما مر فى كلام الأعلم الشنتمرى . وجوز وجها ثالثا تبعا للكسائى وأنشد بيته الشاهد ، وهذا الوجه : هو جره ، على الصفة ليد الأولى التصريح بمضمون التوضيح ١ : ٤٢٤ (طبعة الأميرية ، باب الاستثناء) .

وقال الشيخ يس العليمى الحمصى فى حاشيته على التصريح فى هذا الموضع : « ابنى لبينى : بصيغة المثنى ، بدليل قوله « لستما » أى فى رواية صاحب التصريح . وهو منادى حذف منه حرف النداء ، وليس فى قوله : « إلا يد » وصف الشىء بنفسه ، لأن المعتمد بالصفة ليد الأولى : صفة يد الثانية ، و « يد » الثانية صفة موطئة .

(٢) البيت لأعشى بنى ثعلبة ميمون بن قيس (ديوانه طبعة القاهرة ص ١١٣) يقول : إنه لا يملك أن يؤمن رجلا ، فيجعله فى جواره ، لأن الناس لا يحترمون هذا الجوار ، وإنما يحترمون جوار الأقوياء ، فلا يجرءون أن ينالوا جارهم بأذى ، والمتعيب : اسم مفعول من تعيبه إذا نسبه إلى العيب . أى ولا قائلا القول المعيب إلا هو . وقد بين المؤلف وجه استشهاد بعض النحويين (وهو الكسائى) بالبيت . وأن المتعيبا منصوب بقائلا المحذوف . والتقدير : ولا قائلا إلا هو « قائلا » المتعيبا . وهو معنى قوله ، ولكن جاز ذلك على كلامين . اه .

(٣) هذا البيت كسابقه : شاهد على أن قوله « بالنار » من صلة الفعل « يعذب » وما قبل إلا لا يعمل فيما بعدها ، فأخره ، ونوى كلامين فيكون « بالنار » من صلة « يعذب » المحذوف . والتقدير : وهل يعذب إلا الله ، يعذب بالنار . والبيت من شواهد الفراء فى معانى القرآن (١ : ١٧٢) .

فتأويل الكلام إذن : وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحى إليهم، أرسلناهم بالبينات والزبر، وأنزلنا إليك الذكر . والبينات : هى الأدلة والحجج التى أعطاها الله رسله، أدلة على نبوّتهم، شاهدة لهم على حقيقة ما أتوا به إليهم من عند الله . والزُّبُر : هى الكتب، وهى جمع زَبُور، من زَبَرْت الكتاب وذَبَرته : إذا كتبته.

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، (بالبَيِّناتِ والزُّبُرِ) قال : الزبر : الكتب .

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعا عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد (بالبَيِّناتِ والزُّبُرِ) قال : الآيات، والزُّبُر : الكتب.

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حُذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قال : الزُّبُر : الكُتُب .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (وَبالزُّبُرِ) يعنى : بالكُتب .

وقوله (وأنْزَلْنا إلَيْكَ الذِّكْرَ) يقول : وأنزلنا إليك يامحمد هذا القرآن، تذكيرا للناس، وعظة لهم، (لِتُبَيِّنَ للنَّاسِ) يقول : لتعرفهم ما أنزل إليهم من ذلك(وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) يقول : وليتذكروا فيه ، ويعتبروا به : أى بما أنزلنا إليك ؛ وقد حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرزاق ، قال : ثنا الثورىّ ، قال : قال مجاهد (وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) قال : يطيعون .

القول فى تأويل قوله تعالى

أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ؟ (٤٥)

يقول تعالى ذكره : أفأمن الذين ظلموا المؤمنين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فراموا أن يفتنوهم عن دينهم، من مشركى قريش الذين قالوا ، إذ قيل لهم : ما ذا أنزل ربكم : أساطير الأوّلين ، صدّا منهم لمن أراد الإيمان بالله عن قصد السبيل، أن يخسف الله بهم الأرض، على كفرهم وشركهم ، أو يأتيهم عذاب الله من مكان لايُشْعَر به، ولا يدرى من أين يأتيه ؟ وكان مجاهد يقول : عَنَى بذلك نمرود ابن كنعان .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء جميعا، عن ابن أبى نجيح،

عن مجاهد (أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللهُ بِهِمُ الأَرْضَ) . . . إلى قوله (أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ) قال : هو نمرود بن كنعان وقومه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

وإنما اخترنا القول الذى قلناه فى تأويل ذلك ، لأن ذلك تهديد من الله أهل الشرك به ، وهو عقيب قوله (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ ، فَاسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لاتَعْلَمُونَ) فكان تهديد من لم يقرّ بحجة الله ، الذى جرى الكلام بخطابه قبل ذلك ، أحرى من الخبر عمن انقطع ذكره عنه .

وكان قتادة يقول فى معنى السيئات فى هذا الموضع ، ماحدثنا به بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ) : أى الشرك .

القول فى تأويل قوله تعالى

أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ (٤٦) أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ ، فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ (٤٧)

يعنى تعالى ذكره بقوله (أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ) أو يُهلكهم فى تصرّفهم فى البلاد ، وتردّدهم فى أسفارهم ، فماهم بمعجزين : يقول جلّ ثناؤه : فإنهم لايعجزون الله من ذلك ، إن أراد أخذهم كذلك .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى وعلىّ بن داود ، قالا : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ) يقول : فى اختلافهم .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ) قال : إنْ شئت أخذته فى سفر .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ) فى أسفارهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، مثله .

وقال ابن جريج فى ذلك ما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج (أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ) قال : التقلب : أن يأخذهم بالليل والنهار .

وأما قوله (أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ) فإنه يعنى : أو يهلكهم بتخوّف ، وذلك بنقص من أطرافهم ونواحيهم ، الشىء بعد الشىء ، حتى يهلك جميعهم ، يقال منه : تخوّف مال فلان الإنفاقُ : إذا انتقصه ، ونحو تخوّفه من التخوّف : بمعنى التنقص ، قولُ الشاعر :

تَخَوَّفَ السَّيْرُ مِنْها تامِكا قَرِدًا كما تَخَوَّفَ عُودَ النَّبْعَةِ السَّفَنُ[1]

يعنى بقوله : تخوّف السير : تَنَقَّص سَنامها . وقد ذكرنا عن الهيثم بن عدىّ أنه كان يقول : هى لغة لأزد شَنوءة ، معروفة لهم ؛ ومنه قول الآخر :

تَخَوَّفَ عَدْوُهُمْ مالى وأهْدَى سَلاسِلَ فى الحُلُوقِ لَهَا صَلِيلُ[2]

وكان الفرّاء يقول : العرب تقول : تخوّفته : أى تنقصته ، تخوّفا : أى أخذته من حافاته وأطرافه ، قال : فهذا الذى سمعته ، وقد أتى التفسير بالحاء ، وهما بمعنى . قال : ومثله ماقرئ بوجهين قوله : إن لك فى النهار سَبْحاً وسَبْخاً .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن المسعودىّ ، عن إبراهيم بن عامر بن مسعود ، عن رجل ، عن عُمَر : أنه سألهم عن هذه الآية (أوْ يَأْخُذَهُمْ فِى تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ، أوْ يَأْخُذَهُمْ على تَخَوُّفٍ) فقالوا : ما نرى إلا أنه عند تنقص ما يردّده من الآيات . فقال عمر : ما أرى إلا أنه على ماتنتقصون من معاصى الله ، قال : فخرج رجل ممن كان عند عمر ، فلقى أعرابيا ، فقال : يافلان مافعل ربك ؟ قال : قد تَخَيفته ، يعنى تنقصته ، قال : فرجع إلى عمر فأخبره ، فقال ؛ قدّر الله ذلك .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (أوْ يَأْخُذَهُمْ على تَخَوُّفٍ) يقول : إن شئت أخذته على أثر موت صاحبه ، وتخوّف بذلك .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء الخراسانىّ ، عن ابن عباس (على تَخَوفٍ) قال : التنقص والتفزيع .

---

(١) البيت لابن مقبل (لسان العرب : خوف » قال : التخوف : التنصقن . وفى التنزيل : « أو يأخذهم على تخوف » . قال الفراء فى التفسير بأنه التنقص ، قال : والعرب تقول : تخوفته أى تنقصته من حافاته . قال : فهذا الذى سمعته . قال : وقد أتى التفسير بالحاء . قال الزجاج : ويجوز أن يكون معناه : أو يأخذ هم بعد أن يخيفهم ، بأن يهلك قرية ، فتخاف التى تليها . وقال ابن مقبل : تخوف ... الخ . والسفن : الحديدة التى تبرد بها القسى ، أى تنقص كما تأكل هذه الحديدة خشب القسى . وكذلك التخويف ، يقال : خوفه وخوف منه . قال ابن السكيت : يقال : هو يتحوف المال (بالمهملة) ويتخوفه ، أى يتنقصه ، ويأخذ من أطرافه . وقال ابن الأعرابى : تحوفته وتحيفته ، وتخوفته وتخيفته : إذا تنقصته . والتامك : السنام ، أو السنام المرتفع . والقرد : الذى تجمع شعره ، أو الذى تراكم لحمه من السمن . وفى « فتح القدير » للشوكانى : التخوف بالفاء : التنقص : لغة لأزد شنوءة ، والنبع : من شجر الجبال ، تتخذ منه القسى ، الواحدة نبعة .

(٢) البيت من شوهد أبى عبيدة فى مجاز القرآن (١ : ٣٦٠) قال : « على تخوف » مجازه : على التنقص ، وأنشد بيتين ثانيهما بيت الشاهد ، وأولهما :

أُلامُ على الهِجاءِ وكُلَّ يَوْمٍ يُلاقِينى مِنَ الجيرانِ غُولُ

أى تنقص غدرهم مالى . سلاسل : يريد القوافى تنشد ، فهو صليلها . وهو قلائد فى أعناقهم . وفى رواية أبى عبيدة والقرطبى : غدرهم ، فى مكان عدوهم . أى اعتداؤهم . قلت . وفى اللسان أيضا (خون) تخونه ، وخونه ، وخون منه : نقصه . يقال : تخوننى فلان حتى : إذا تنقصك .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (أوْ يَأْخُذَهُمْ على تَخَوفٍ) على تنقص .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثنى المثنى ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (على تَخَوُّفٍ) قال : تنقُّص .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حُذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (أوْ يَأْخُذَهُمْ على تَخُوُّفٍ) ، فيعاقب أو يتجاوز .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (أوْ يَأْخُذَهُمْ على تَخَوُّفٍ) قال : كان يقال : التخوّف : التنقُّص ، ينتقصهم من البلدان من الأطراف .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (أوْ يَأْخُذَهُمْ على تَخَوُّفٍ) يعنى : يأخذ العذابُ طائفة ، ويترك أخرى ، ويعذّب القرية ويهلكها ، ويترك أخرى إلى جنبها .

وقوله (فإنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوف رَحِيمٌ) يقول : فإن ربكم إن لم يأخذ هؤلاء الذين مكروا السيئات بعذاب معجَّل لهم ، وأخذهم بموت وتنقص بعضهم فى أثر بعض ، لرءوف بخلقه ، رحيم بهم ، ومن رأفته ورحمته بهم لم يخسف بهم الأرض ، ولم يعجِّل لهم العذاب ، ولكن يخوّفهم وينقِّصهم بموت .

القول فى تأويل قوله تعالى

أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ (٤٨)

اختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامّة قرّاء الحجاز والمدينة والبصرة (أوَلَمْ يَرَوْا) بالياء على الخبر عن الذين مكروا السيئات . وقرأ ذلك بعض قراء الكوفيين (أوَلَمْ تَرَوا) بالتاء على الخطاب .

⁂ وأولى القراءتين عندى بالصواب : قراءة من قرأ بالياء ، على وجه الخبر عن الذين مكروا السيئات ، لأن ذلك فى سياق قَصَصِهم ، والخبر عنهم ، ثم عقب ذلك الخبر عن ذهابهم عن حجة الله عليهم ، وتركهم النظر فى أدلته ، والاعتبار بها . فتأويل الكلام إذن : أولم ير هؤلاء الذين مكروا السيئات ، إلى ماخلق الله من جسم قائم ، شجر أو جبل أو غير ذلك ، يتفيأ ظلاله عن اليمين والشمائل ، يقول : يرجع من موضع إلى موضع ، فهو فى أوّل النهار على حال ، ثم يتقلّص ، ثم يعود إلى حال أخرى فى آخر النهار .

وكان جماعة من أهل التأويل يقولون فى اليمين والشمائل ما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد

عن قتادة ، قوله (أَوَلَمْ يَرَوْا إلى ما خَلَقَ اللهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلالُهُ عَنِ اليَمِينِ والشمائِلِ سُجَّدًا لِلهِ) أما اليمين : فأوّل النهار ؛ وأما الشِّمال : فآخر النهار .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، بنحوه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج (يَتَفَيَّأُ ظِلالَهُ عَنِ اليَمِينِ والشَّمائِلِ) قال : الغدوّ والآصال ، إذا فاءت الظِّلال ، ظلال كلّ شيء بالغدوّ ، سجدت لله ، وإذا فاءت بالعشىّ سجدت لله .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (يَتَفَيَّأُ ظِلالُهُ عَنِ اليَمِينِ والشَّمائِلِ) يعنى : بالغدوّ والآصال ، تسجد الظلال لله غدوة ، إلى أن يفىء الظلّ ، ثم تسجد لله إلى الليل ، يعنى : ظلّ كلّ شى .

وكان ابن عباس يقول فى قوله (يَتَفَيَّأُ ظِلالُهُ) ما حدثنا المثنى ، قال : أخبرنا أبو صالح ، قال ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (يَتَفَيَّأُ ظِلالُهُ) يقول : تتميَّل .

واختلف فى معنى قوله (سُجَّدًا لِلهِ) فقال بعضهم : ظلّ كلّ شيء سجوده .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (يَتَفَيَّأُ ظِلالُهُ) قال : ظلّ كلّ شيء : سجوده .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا إسحاق الرازىّ ، عن أبى سنان ، عن ثابت عن الضحاك (يَتَفَيَّأُ ظِلالُهُ) قال : سجد ظلّ المؤمن طوعا ، وظلّ الكافر كَرْها .

وقال آخرون : بل عنى بقوله (يَتَفَيَّأُ ظِلالُهُ) كلا عن اليمين والشمائل فى حال سجودها ، قالوا : وسجود الأشياء غير ظلالها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ؛ وحدثنى نصر بن عبد الرحمن الأَودىّ ، قالا : ثنا حَكّام ، عن أبى سنان ، عن ثابت عن الضحاك ، فى قول الله (أَوَلَمْ يَرَوْا إلى ماخَلَقَ اللهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلالُهُ) قال : إذا فاء الفىء توجه كلّ شيء ساجدا قِبَل القبلة ، من نبت أو شجر ، قال : فكانوا يستحبون الصلاة عند ذلك .

حدثنى المثنى ، قال : أخبرنا الحمّانىّ ، قال : ثنا يحيى بن يمان ، قال : ثنا شريك ، عن منصور ، عن مجاهد ، فى قول الله (يَتَفَيَّأُ ظِلالُهُ) قال : إذا زالت الشمس سجد كلّ شيء لله عزّ وجلّ .

وقال آخرون : بل الذى وصف الله بالسجود فى هذه الآية ظلال الأشياء ، فإنما يسجد ظلالها دون التى لها الظلال .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله (أَوَلَمْ

يَرَوْا إلى ما خَلَقَ اللهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلالُهُ) قال : هو سجود الظلال ، ظلال كلّ شيء ، ما فى السموات وما فى الأرض من دابة ، قال : سجود ظلال الدوابّ ، وظلال كلّ شيء .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (أَوَلَمْ يَرَوْا إلى ما خَلَقَ اللهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلالُهُ) ماخلق من كلّ شيء ، عن يمينه وشمائله ، فلفظ «ما» : لفظ عن اليمين والشمائل ، قال : ألم تر أنك إذا صليت الفجر ، كان ما بين مطلع الشمس إلى مغربها ظلا ، ثم بعث الله عليه الشمس دليلا ، وقبض الله الظلّ .

⁂ وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب : أن يقال : إن الله أخبر فى هذه الآية أن ظلال الأشياء هى التى تسجد ، وسجودها : مَيَلانها ودورانها من جانب إلى جانب ، وناحية إلى ناحية ، كما قال ابن عباس : يقال من ذلك : سجدت النخلة إذا مالت ، وسجد البعير ، وأُسْجِد : إذا أُمِيل للركوب . وقد بيّنا معنى السجود فى غير هذا الموضع : بما أغنى عن إعادته .

وقوله (وَهُمْ دَاخِرُونَ) يعنى : وهم صاغرون ، يقال منه : دَخَرَ فلان لله يَدْخَرُ دَخْرا ودخورا : إذا ذلّ له وخضع ؛ ومنه قول ذى الرُّمَّة :

فَلَمْ يَبْقَ إلاَّ داخِرٌ فِى مُخَيَّسٍ ... ومُنْجَحِرٌ فِى غيرِ أرْضِكَ فِى جُحْرِ[1]

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حُذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَهُمْ دَاخِرُونَ) : صاغرون .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَهُمْ داخِرُونَ) : أى صاغرون .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، مثله .

وأما توحيد اليمين فى قوله (عَنِ اليَمِينِ والشَّمائِلِ) فجمعها ، فإن ذلك إنما جاء كذلك ، لأن معنى الكلام : أو لم يروا إلى ما خلق الله من شىء يتفيأ ظلال ما خلق من شىء عن يمينه : أى ما خلق ، وشمائله ، فلفظ « ما » لفظ واحد ، ومعناه معنى الجمع ، فقال : عن اليمين بمعنى : عن يمين ماخلق ، ثم رجع إلى معناه فى الشمائل . وكان بعض أهل العربية يقول : إنما تفعل العرب ذلك ، لأن أكثر الكلام مواجهة الواحد الواحد ، فيقال للرجل : خذ عن يمينك ، قال : فكأنه إذا وحد ذهب إلى واحد من القوم ، وإذا جمع

(١) البيت شاهد على أن معنى الداخر : الصاغر . قال أبو عبيدة فى مجاز القرآن : وهم داخرون : أى صاغرون . يقال : فلان دخر لله : أى ذل وخضع . و (فى اللسان : دخر) : دخر الرجل بالفتح يدخر دخورا ، فهو داخر ، ودخر دخرا (كفرح) : ذل وصغر يصغر صغارا ، وهو الذى يفعل ما يؤمر به ، شاء أو أبى ، صاغرا قميئا . وفى (اللسان : خيس) : وكل سجن : مخيس ومخيس (بتشديد الياء مفتوحة ومكسورة) . وأنشد البيت ، ونسبه إلى الفرزدق . والمنجحر : الداخل فى الجحر ، يقال : أجحره فانجحر : أدخله الجحر ، فدخله . والجحر : كل شىء تحتفره الهوام والسباع لأنفسها . والجمع : أجحار وجحرة .

فهو الذى لامساءلة فيه ، واستشهد لفعل العرب ذلك بقول الشاعر :

بِنِى الشَّامتِينَ الصَّخْرُ إنْ كانَ هَدَّنِى رَزِيَّةُ شِبْلَىْ مُخْدِرٍ فى الضَّراغِمِ [1]

فقال : بنى الشامتين ، ولم يقل : بأفواه ؛ وقول الآخر :

الوَارِدُونَ وتَيْمٌ فِى ذَرَا سَبَإٍ قد عَضَّ أعْناقَهُمْ جِلْدُ الجَوَامِيسِ [2]

ولم يقل : جلود .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (٤٩)

يقول تعالى ذكره : ولله يخضع ويستسلم لأمره ، ما فى السموات وما فى الأرض من دابّة يدبّ عليها ، والملائكة التى فى السموات ، وهم لايستكبرون عن التذلل له بالطاعة ، والذين لايؤمنون بالآخرة ، قلوبهم منكرة وهم مستكبرون ، وظلالهم تتفيأ عن اليمين والشمائل سجدا لله وهم داخرون .

وكان بعض نحوّيى البصرة يقول : اجتُزِئ بذكر الواحد من الدوابّ عن ذكر الجميع . وإنما معنى الكلام : ولله يسجد ما فى السموات وما فى الأرض من الدوابّ والملائكة ، كما يقال : ما أتانى من رجل ، بمعنى : ما أتانى من الرجال .

وكان بعض نحوّيى الكوفة يقول : إنما قيل : من دابة ، لأن «ما» وإن كانت قد تكون على مذهب الذى ، فإنها غير مؤقتة ، فإذا أبهمت غير مؤقتة أشبهت الجزاء ، والجزاء يدخل « مِنْ » فيما جاء من اسم بعده من النكرة ، فيقال : مَنْ ضربه مِنْ رجل فاضْربوه ، ولا تسقط «مِن» مِن هذا الموضع ، كراهية أن تشبه أن تكون حالا لمن وما ، فجعلوه بمن ، ليدلّ على أنه تفسير لما ومَنْ ، لأنهما غير مؤقتتين ، فكان دخول مَنْ فيما بعدهما تفسيرا لمعناهما ، وكان دخول « مِنْ » أدلّ على ما لم يوقت مِنْ مَنْ وما ، فلذلك لم تلغيا .

القول فى تأويل قوله تعالى

يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ ، وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ (٥٠)

يقول تعالى ذكره : يخاف هؤلاء الملائكة التى فى السموات ، وما فى الأرض من دابة ، ربّهم من

---

(١) هذا البيت من شواهد الفراء فى (معانى القرآن ١ : ١٧٢) استشهد به عند قوله تعالى : (يتفيأ ظلاله عن اليمين والشمائل) قال : الظل يرجع على كل شىء من جوانبه ، فذلك تفيئوه ، ثم فسر فقال : عن اليمين والشمائل ، وكل ذلك جائز فى العربية ، قال الشاعر : « بنى الشامتين . . . الخ البيت . قال ولم يقل : بأفواه الشامتين . قلت : يريد : أن جمع الشمائل وإفراد اليمين ، جائز فى العربية ، واستشهد عليه بالبيت . وقد وجهه المؤلف فى التفسير توجيها حسنا .

(٢) وهذا البيت أيضا كالشاهد قبله من شواهد الفراء ، فى (معانى القرآن ، بعد سابقه ١ : ١٧٢) على أن الشاعر قال : جلد الجواميس بالإفراد ، ولم يقل : جلود الجواميس ، فى مقابلة أعناقهم . ولم نقف على البيت فى المراجع ، ولا على قائله .

فوقهم ، أن يعذّبهم إن عَصَوا أمره ، ويفعلون ما يُؤْمرون . يقول : ويفعلون ما أمرهم الله به ، فيؤدّون حقوقه ، ويجتنبون سُخْطه .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓا إِلَٰهَيْنِ اثْنَيْنِ ، إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ، فَإِيَّٰىَ فَارْهَبُونِ (٥١)

يقول تعالى ذكره : وقال الله لعباده : لاتتخذوا لى شريكا أيها الناس ، ولا تعبدوا معبودَين ، فإنكم إذا عبدتم معى غيرى ، جعلتم لى شريكا ، ولاشريك لى ، إنما هو إله واحد ، ومعبود واحد ، وأنا ذلك ، فإياى فارهبون : يقول : فإياى فاتقوا ، وخافوا عقابى بمعصيتكم إياى إن عصيتمونى ، وعبدتم غيرى ، أو أشركتم فى عبادتكم لى شريكا .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَلَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ، وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًا ، أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ (٥٢)

يقول تعالى ذكره : ولله ملك ما فى السموات والأرض من شىء ، لاشريك له فى شىء من ذلك ، هو الذى خلقهم ، وهو الذى يرزقهم ، وبيده حياتهم وموتهم . وقوله (وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبا) : يقول جلّ ثناؤه : وله الطاعة والإخلاص دائما ثابتا واجبا ، يقال منه : وَصَبَ الدِّينُ يَصِبُ وُصُوبا ووَصْبا ؛ كما قال الدِّيلىّ :

لا أبْتَغِى الحَمْدَ القَلِيلَ بَقاؤُهُ يَوْما بِذَمّ الدَّهْرِ أجمَعَ وَاصِبا[1]

ومنه قول الله (وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ) ؛ وقول حسان :

غَيَّرَتْهُ الرِّيحُ تَسْفِى بِهِ وهَزِيمٌ رَعْدُهُ وَاصِبُ[2]

فأما من الألم ، فإنما يقال : وَصِبَ الرجلُ يَوْصَبُ وَصَباً ، وذلك إذا أعيا وملّ ؛ ومنه قول الشاعر :

---

(١) البيت لأبى الأسود الدؤلى ، ويقال فيه الديلى أيضا ، استشهد به أبو عبيدة فى مجاز القرآن (١ : ٣٦١) على أن معنى «واصبا» : دائما . وروايته فيه كرواية المؤلف (الطبرى) . واستشهد به كذلك القرطبى فى الجامع لأحكام القرآن (١٠ : ١١٤) ورواه بروايتين : الأولى كرواية المؤلف ، وقال قبلها : أنشد الغزنوى والثعلبى وغيرهما . . . البيت . والأخرى باختلاف فى الشطر الثانى ، وهو : « بدم يكون الدهر أجمع واصبا » وظاهرأن هذه الرواية محرفة عن الأولى . وقال صاحب لسان العرب فى « وصب » : وفى التنزيل العزيز : « وله الدين واصبا » قال أبو إسحاق : قيل فى معناه : دائبا . أى طاعته دائمة واجبة أبدا . قال : ويجوز ، والله أعلم ، أن يكون « وله الدين واصبا » : أى له الدين والطاعة ، رضى العبد بما يؤمر به ، أولم يرض به ، سهل عليه ، أولم يسهل ، فله الدين وإن كان فيه الوصب ، والوصب : شدة التعب . وفيه : « بعذاب واصب » أى دائم ثابت . وقيل : موجع .

(٢) البيت لحسان بن ثابت (ديوانه طبع ليدن سنة ١٩١٠ ص ٦١ وقبله بيت وهو المطلع :

قَدْ تَعَفَّى بَعْدَنا عاذِبُ ما بِهِ بادٍ وَلا قارِب

وتسفى به : تحمل إليه التراب . والهزيم : السحاب المتشقق بالمطر . يقول : غير هذا المكان ما تسفيه الريح عليه من التراب ، وما يأتى به السحاب من مطر رعده دائم .

لا يغْمِزُ السَّاقَ مِنْ أيْنٍ ولا وَصَبٍ ولا يعَضُّ على شُرْسُوفِهِ الصَّفَرُ[1]

وقد اختلف أهل التأويل فى تأويل الواصب ، فقال بعضهم : معناه : ما قلنا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن آدم ، عن قيس ، عن الأغرّ بن الصباح ، عن خليفة بن حصين عن أبى نضرة ، عن ابن عباس (وَلَهُ الدّينُ وَاصِبا) قال : دائما .

حدثنى إسماعيل بن موسى ، قال : أخبرنا شريك ، عن أبى حصين ، عن عكرمة ، فى قوله (وَلَهُ الدّينُ وَاصِبا) قال : دائما .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن آدم ، عن قيس ، عن يعلى بن النعمان ، عن عكرمة ، قال دائما.

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحرث ، قال : ثنا الحسن قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثنى المثنى ، قال أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ؛ وحدثنى المثنى ، قال : أخبرنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، جميعا عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَلَهُ الدّينُ وَاصِبا) قال : دائما .

حدثنا القاسم قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (وَلَهُ الدّينُ وَاصِبا) قال : دائما .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبدة وأبومعاوية ، عن جويبر ، عن الضحاك (وَلَهُ الدّينُ وَاصِبا) قال : دائما .

حدثنى المثنى ، قال : أخبرنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هُشيم ، عن جويبر ، عن الضحاك ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَلَهُ الدّينُ وَاصِبا) : أى دائما ، فإن الله تبارك وتعالى لم يدع شيئا من خلقه إلا عبده ، طائعا أو كارها .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَاصِبا) قال : دائما ، ألا ترى أنه يقول (عَذَابٌ وَاصِبٌ) : أى دائم .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَلَهُ الدّينُ وَاصِبا) قال : دائما ، والواصب : الدائم .

---

(١) هذا البيت لأعشى بأهلة ، واسمه عامر بن الحارث (جمهرة أشعار العرب لمحمد بن أبى الخطاب القرشى (١٣٥ – ١٣٧) من قصيدة يقولها فى أخ له اسمه المنتشر ، قتله بنو الحارث بن كعب ، وقطعوه إربا إربا (عضوا عضوا) برجل منهم كان فعل معه مثل ذلك . ورواية البيت فيه وفى اللسان : (صفر) :

لا يتَأَسَّى لِمَا فِى القِدْرِ يَرْقُبُهُ ولا يعَضُّ على شُرْسُوفِهِ الصَّفْرُ

قال : والصفر دويبة تكون فى البطن ، تدعيها الأعراب ، ويكون منها الجوع . وخطأ رواية البيت الصاغانى ، وأورده كرواية المؤلف. (انظر هامش اللسان : أرى) . والغمز : العصر باليد . والشرسوف : جمعه شراسيف ، وهى أطراف أضلاع الصدر ، التى تشرف على البطن .

وقال آخرون : الواصب فى هذا الموضع : الواجب .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن عطية ، عن قيس ، عن يَعْلَى بن النعمان ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، فى قوله (وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبا) قال : واجبا .

وكان مجاهد يقول : معنى الدين فى هذا الموضع : الإخلاص . وقد ذكرنا معنى الدين فى غير هذا الموضع ، بما أغنى عن إعادته .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثنى المثنى ، قال : أخبرنا أبو حُذيفة ، قال : ثنا شبل ؛ وحدثنى المثنى ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبا) قال : الإخلاص .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قال : الدين : الإخلاص .

وقوله (أَفَغَيْرَ اللهِ تَتَّقُونَ) يقول تعالى ذكره : أفغير الله أيها الناس تتقون : أى تَرْهَبون وتَحْذَرون أن يسلبكم نعمة الله عليكم ، بإخلاصكم العبادة لربكم ، وإفرادكم الطاعة له ، ومالكم نافع سواه .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ ، ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْئَرُونَ (٥٣)

اختلف أهل العربية فى وجه دخول الفاء فى قوله (فَمِنَ اللهِ) فقال بعض البصريين : دخلت الفاء ، لأن « ما » بمنزلة « مَنْ » فجعل الخبر بالفاء . وقال بعض الكوفيين : « ما » فى معنى جزاء ، ولها فعل مضمر ، كأنك قلت : ما يكن بكم من نعمة فمن الله ، لأن الجزاء لابدّ له من فعل مجزوم ، إن ظهر فهو جزم ، وإن لم يظهر فهو مُضْمَر ؛ كما قال الشاعر :

إنِ العَقْلُ فى أموالِنا لا نَضِقْ بِهِ ذِرَاعا وَإنْ صَبْرًا فنَعْرِفُ للصَّبْرِ[1]

وقال : أراد : إن يكن العقل فأضمره ، قال : وإن جعلت ما بكم فى معنى الذى : جاز ، وجعلت صلته بكم

(١) البيت من شواهد الفراء فى معانى القرآن (١ : ١٧٣) عند قوله تعالى « وما بكم من نعمة فمن الله » قال : ما : فى معنى جزاء ، ولها فعل مضمر ، كأنك قلت : ما يكن بكم من نعمة فمن الله ؛ لأن الجزاء لابد له من فعل مجزوم ، إن ظهر فهو جزم ، وإن لم يظهر فهو مضمر ، كما قال الشاعر : « إن العقل . . . » البيت . أراد : إن يكن ، فأضمرها . ولو جعلت « ما بكم » فى معنى « الذى » : جاز ، وجعلت صلته « بكم » ، والذى حينئذ : فى موضع رفع ، بقوله « فمن الله » . وأدخل الفاء ، كما قال تعالى : « قل إن الموت الذى تفرون منه فإنه ملاقيكم » . وكل اسم وصل ، مثل من وما والذى ، فقد يجوز دخول الفاء فى خبره ؛ لأنه مضارع للجزاء ، والجزاء قد يجاب بالفاء ، ولا يجوز : أخوك فهو قائم ، لأنه اسم غير موصول .
والعقل فى البيت معناه : الدية .

و « ما » فى موضع رفع بقوله (فَمِنَ اللهِ) وأدخل الفاء ، كما قال (إنَّ المَوْتَ الَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فإنَّه مُلاقِيكُمْ) وكل اسم وُصِلَ مِثل مَنْ وما والذى ، فقد يجوز دخول الفاء فى خبره ، لأنه مضارع للجزاء ، والجزاء قد يجاب بالفاء ، ولا يجوز أخوك فهو قائم ، لأنه اسم غير موصول ، وكذلك تقول : مالك لى ، فإن قلت : مالك ، جاز أن تقول : مالُك فهو لى ، وإن ألقيت الفاء فصواب .

وتأويل الكلام : ما يكن بكم فى أبدانكم أيها الناس من عافية وصحة وسلامة ، وفى أموالكم من نماء ، فالله المنعم عليكم بذلك لاغيره ، لأن ذلك إليه وبيده (ثُمَّ إذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ) يقول : إذا أصابكم فى أبدانكم سَقَم ومرض ، وعلة عارضة ، وشدّة من عيش (فإلَيْهِ تَجْأَرُونَ) يقول : فإلى الله تصرخون بالدعاء ، وتستغيثون به ، ليكشف ذلك عنكم . وأصله : من جُؤَار الثور ، يقال منه : جأر الثور يجأر جُؤارا ، وذلك إذا رفع صوتا شديدا ، من جوع أو غيره ؛ ومنه قول الأعشى :

وَما أيْبُلِىٌّ عَلى هَيْكَلٍ بَناهُ وَصَلَّبَ فِيهِ وصَارَا
يُرَاوِحُ مِنْ صَلَوَاتِ المَلِيـ ـكِ طَوْرًا سُجُودًا وَطَوْرًا جُؤَارَا[1]

يعنى بالجُؤَار : الصياح : إما بالدعاء ، وإما بالقراءة .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحرث ، قال : ثنا الحسن قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثنى المثنى ، قال : أخبرنا أبوحُذيفة ، قال : ثنا شبل ؛ وحدثنى المثنى ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (فإلَيْهِ تَجْأَرُونَ) قال : تَضْرَعون دُعَاء .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنى المثنى ، قال : أخبرنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، رضى الله عنهما ، قال : الضُّرّ : السُّقْم .

القول فى تأويل قوله تعالى

ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ (٥٤) لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ ، فَتَمَتَّعُوا۟ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (٥٥)

(١) البيتان من شعر الأعشى ميمون بن قيس (ديوانه طبع القاهرة ص٥٣) من قصيدة له سبعون بيتا ، يمدح بها قيس بن معد يكرب . والأيبلى : الراهب صاحب الأيبل ، وهى العصا التى يدق بها الناقوس . والهيكل : موضع فى صدر الكنيسة ، يقرب فيه القربان . صلب : صور فيه الصليب . وفى اللسان صار : صور عن أبى على الفارسى . ويلوح لى أن المراد بصور فى البيت : هو ماقاله الأعشى فى بيت آخر وهو (قوله فى وصف الخمر : « وصلى على دنها وارتسم » . ومعنى ارتسم : أشار بيده على جبهته وقلبه وصدره ، يمنة ويسرة ، كما يفعل =

⁂ يقول تعالى ذكره : ثم إذا وهب لكم ربكم العافية ، ورفع عنكم ما أصابكم من المرض فى أبدانكم ، ومن الشدّة فى معاشكم ، وفرّج البلاء عنكم (إذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ) يقول : إذا جماعة منكم يجعلون لله شريكا فى عبادتهم ، فيعبدون الأوثان ، ويذبحون لها الذبائح ، شكرا لغير من أنعم عليهم بالفرج مما كانوا فيه من الضرّ (ليكفروا بِمَا آتَيْنَاهُمْ) يقول : ليجحدوا الله نعمته ، فيما آتاهم من كشف الضرّ عنهم (فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ) ، وهذا من الله وعيد لهؤلاء الذين وصف صفتهم فى هذه الآيات ، وتهديد لهم ، يقول لهم جلّ ثناؤه : تمتعوا فى هذه الحياة الدنيا ، إلى أن توافيكم آجالكم ، وتبلغوا الميقات الذى وقته لحياتكم ، وتمتعكم فيها ، فإنكم من ذلك ستصيرون إلى ربكم ، فتعلمون بلقائه وبال ما كسبت أيديكم ، وتعرفون سوء مَغَبّة أمركم ، وتندمون حين لاينفعكم الندم .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ ، تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ (٥٦)

⁂ يقول تعالى ذكره : ويجعل هؤلاء المشركون من عَبَدة الأوثان ، لما لايعلمون منه ضرا ولا نفعا ، نصيبا . يقول : حظا وجزاء مما رزقناهم من الأموال ، إشراكا منهم له بالذى يعلمون أنه خلقهم ، وهو الذى ينفعهم ويضرّهم دون غيره .

كالذى حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله (وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ) قال : يعلمون أن الله خلقهم ، ويضرّهم وينفعهم ، ثم يجعلون لما لايعلمون أنه يضرّهم ولا ينفعهم ، نصيبا مما رزقناهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ) وهم مشركو العرب ، جعلوا لأوثانهم نصيبا مما رزقناهم ، وجزءا من أموالهم يجعلونه لأوثانهم .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ) قال : جعلوا لآلهتهم التى ليس لها نصيب ولا شىء ، جعلوا لها نصيبا مما قال الله من الحرث والأنعام ، يسمون عليها أسماءها ، ويذبحون لها .

وقوله (تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ) يقول تعالى ذكره : والله أيها المشركون الجاعلون للآلهة والأنداد نصيبا فيما رزقناكم ، شركا بالله وكفرا ، ليسألنكم الله يوم القيامة عما كنتم فى الدنيا تفترون ، يعنى : تختلقون من الباطل والإفك على الله ، بدعواكم له شريكا ، وتصييركم لأوثانكم فيما رزقكم نصيبا ، ثم لَيعاقبنكم عقوبة تكون جزاء لكفرانكم نعمَه ، وافترائكم عليه .

= المسيحيون . وراوح بين العملين : تداول هذا مرة ، وهذا مرة . وجأر إلى الله جؤارا : تضرع إليه بالدعاء والاستغاثة . يقول : ليس الراهب المعتكف فى هيكله أمام صليبه ، دائبا على صلواته : سجودا وتضرعا إلى الله ، بأعظم منه تقى فى الحساب . (خبر ما فى البيت الذى بعد البيتين) .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ (٥٧) وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ (٥٨)

يقول تعالى ذكره : ومِنْ جَهْل هؤلاء المشركين وخُبث فعلهم ، وقبح فِرْيتهم على ربهم ، أنهم يجعلون لمن خلقهم ودبَّرهم وأنعم عليهم ، فاستوجب بنعمه عليهم الشكر ، واستحقّ عليهم الحمد : البنات . ولا ينبغى أن يكون لله ولد ذكر ولا أنثى . سبحانه ، نزّه جلّ جلاله بذلك نفسه ، عما أضافوا إليه ونسبوه ، من البنات ، فلم يرضَوْا بجهلهم إذ أضافوا إليه ما لاينبغى إضافته إليه ، ولا ينبغى أن يكون له من الولد ، أن يضيفوا إليه ما يشتهونه لأنفسهم ، ويحبونه لها ، ولكنهم أضافوا إليه مايكرهونه لأنفسهم ، ولا يرضونه لها من البنات ، ما يقتلونها إذا كانت لهم . وفى « ما » التى فى قوله (وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ) وجهان من العربية : النصب عطفا لها على البنات ، فيكون معنى الكلام ، إذا أريد ذلك : ويجعلون لله البنات ، ولهم البنين الذين يشتهون ، فتكون « ما » للبنين . والرفع ، على أن الكلام مبتدأ من قوله (وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ) ، فيكون معنى الكلام : ويجعلون لله البنات ، ولهم البنون .

وقوله (وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا) يقول : وإذا بشر أحد هؤلاء الذين جعلوا لله البنات ، بولادة مايضيفه إليه من ذلك له ، ظلّ وجهه مسودّا ، من كراهته له (وَهُوَ كَظِيمٌ) يقول قد كَظَمَ الحزنَ ، وامتلأ غما بولادته له ، فهو لايظهر ذلك .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ ، وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ) ، ثم قال (وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ) ... إلى آخر الآية ، يقول : يجعلون لله البنات ، تَرْضَونهنّ لى ، ولا ترضَوْنهنّ لأنفسكم ، وذلك أنهم كانوا فى الجاهلية إذا وُلد للرجل منهم جارية ، أمسكها على هُون ، أو دسَّها فى التراب وهى حية .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ) وهذا صنيع مشركى العرب ، أخبرهم الله تعالى ذكره بخبث صنيعهم ، فأما المؤمن فهو حقيق أن يرضى بما قسم الله له ، وقضاء الله خير من قضاء المرء لنفسه ، ولعمرى ما يدرى أنه خير ، لرُبّ جارية خير لأهلها من غلام . وإنما أخبركم الله بصنيعهم ، لتجتنبوه وتنتهوا عنه ، وكان أحدهم يغذو كلبه ، ويئد ابنته .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس (وَهُوَ كَظِيمٌ) قال : حزين .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن جويبر ، عن الضحاك ، فى قوله (وَهُوَ كَظِيمٌ) قال : الكظيم : الكميد . وقد بيّنا ذلك بشواهده ، فى غير هذا الموضع .

القول فى تأويل قوله تعالى

يَتَوَارَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ، أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ؟ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ (٥٩)

يقول تعالى ذكره : يتوارى هذا المبشَّر بولادة الأنثى من الولد له ، من القوم ، فيغيب عن أبصارهم . (مِنْ سُوءِ ما بُشِّرَ بِهِ) يعنى : من مساءته إياه ، مميِّلا بين أن يمسكه على هُون : أي على هوان ، وكذلك ذلك فى لغة قريش ، فيما ذُكر لى ، يقولون للهوان : الهُون ؛ ومنه قول الحطيئة :

فلمَّا خَشِيتُ الهُونَ والعَيْرُ مُمْسِكٌ على رَغْمِهِ ما أثبتَ الحبلَ حافِرُهْ [1]

وبعض بنى تميم جعل الهُون مصدرا للشىء الهين ، ذكر الكسائىّ أنه سمعهم يقولون : إن كنتَ لقليلَ هُون المؤنة منذ اليوم ؛ قال : وسمعت : الهَوان فى مثل هذا المعنى ، سمعت منهم قائلا يقول لبعير له : ما به بأس غير هَوَانه ، يعنى خفيف الثمن . فإذا قالوا : هو يمشى على هَوْنه ، لم يقولوه إلا بفتح الهاء ، كما قال تعالى (وَعِبادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ على الأرْضِ هَوْنا) . (أمْ يَدُسُّهُ فِى التُّرَابِ) يقول : يدفنه حيا فى التراب ، فيئده .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج (أيُمْسِكُهُ على هُونٍ أمْ يَدُسُّهُ فِى التُّرَابِ) : يئد ابنته .

وقوله (ألا ساءَ ما يَحْكُمُونَ) يقول : ألا ساء الحكم الذى يحكم هؤلاء المشركون ، وذلك أنْ جعلوا لله ما لا يرضَوْن لأنفسهم ، وجعلوا لما لا ينفعهم ولا يضرّهم شِرْكا فيما رزقهم الله ، وعبدوا غير من خلقهم ، وأنعم عليهم .

---

(١) البيت فى ديوان الحطيئة طبع التقدم بالقاهرة ص ١٠ قال شارحه : يقول : مادام الحمار مقيدا فهو ذليل ، معترف بالهوان . وهذا مقلوب ، أراد : ما أثبت الحبل حافره (الحبل فاعل أثبت ، والحافر مفعوله) فقلب ، فجعل الفاعل مفعولا ، والمفعول فاعلا ، ومثله :

أسلموها فى دمشق كما أسلمت وحشية وهقا

أراد : كما أسلم وحشية ودهق (والوهق : الحبل المغار فيه أنشوطة ، فتؤخذ فيه الدابة والإنسان ، جمعه أوهاق ..) : وقال عروة ابن الورد : .

فلو أنى شهدت أبا سعاد غداة غدا بمهجته يفوق
فديت بنفسه نفسى ومالى وما آلوه إلا ما أطيق

اى لا أترك جهدا ، أراد : فديت نفسه بنفسى ، فقلب .

القول فى تأويل قوله تعالى

لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ ، وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى ، وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٦٠)

وهذا خبر من الله جلّ ثناؤه أن قوله (وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ) ، والآيةَ التى بعدها : مثلٌ ضربه الله لهؤلاء المشركين ، الذين جعلوا لله البنات ، فبين بقوله (لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلَ السَّوْءِ) أنه مَثَل ، وعنى بقوله جل ثناؤه (لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ) : للذين لا يصدّقون بالمعاد والثواب والعقاب من المشركين (مَثَلُ السَّوْءِ) وهو القبيح من المثل ، وما يسوء من ضُرِب له ذلك المثل . (وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى) يقول : ولله المثل الأعلى ، وهو الأفضل والأطيب ، والأحسن ، والأجمل ، وذلك التوحيد والإذعان له ، بأنه لا إله غيره .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى) قال : شهادة أن لا إله إلا الله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ ، وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى) الإخلاص والتوحيد .

وقوله (وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) يقول تعالى ذكره : والله ذو العزّة التى لا يمتنع عليه معها عقوبة هؤلاء المشركين ، الذين وصف وصفتهم فى هذه الآيات ، ولا عقوبة من أراد عقوبته على معصيته إياه ، ولا يتعذّر عليه شىء أراده وشاءه ، لأن الخلق خلقه ، والأمر أمره ، الحكيم فى تدبيره ، فلا يدخل تدبيره خَلَل ، ولا خطأ .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ ، وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ، فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ (٦١)

يقول تعالى ذكره : (وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ) عصاة بنى آدم بمعاصيهم (مَا تَرَكَ عَلَيْهَا) يعنى : على الأرض (مِنْ دَابَّةٍ) تَدِبّ عليها (وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ) يقول : ولكن بحلمه يؤخر هؤلاء الظلمة ، فلا يُعاجلهم بالعقوبه (إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى) يقول : إلى وقتهم الذى وُقِّت لهم ، (فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ) يقول : فإذا جاء الوقت الذى وُقِّت لهلاكهم (لَا يَسْتَأْخِرُونَ) عن الهلاك ساعة فيمهلون ، (وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ) له حتى يستوفُوا آجالهم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبى إسحاق ، عن أبى الأحوص ، قال : كاد الجُعَل أن يعذّب بذنب بنى آدم، وقرأ (لَوْ يُؤَاخِذُ اللهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ ما تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ) .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا إسماعيل بن حكيم الخزاعىّ ، قال : ثنا محمد بن جابر الجُعْفِىّ ، عن يحيى بن أبى كثير ، عن أبى سلمة ، قال : سمع أبو هريرة رجلا وهو يقول : إن الظالم لايضرّ إلا نفسه ، قال : فالتفت إليه فقال : بلى ، والله إن الحُبارى لتموت فى وكرها هزالا بظلم الظالم .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا أبوعبيدة الحداد ، قال : ثنا قُرة بن خالد السّدوسىّ ، عن الزبير بن عدىّ ، قال : قال ابن مسعود : خطيئة ابن آدم قتلت الجُعَل .

حدثنا أبوالسائب ، قال : ثنا أبومعاوية ، عن الأعمش ، عن أبى إسحاق ، ، عن أبى عبيدة ، قال : قال عبد الله : كاد الجُعَل أن يهلك فى جُحْره بخطيئة ابن آدم .

حدثنى المثنى ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن الزهرىّ ، قال الله : (فإذَا جاءَ أجَلُهُمْ لايَسْتَأْخِرُونَ ساعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ) قال : نرى أنه إذا حضر أجله فلا يؤخر ساعة ، ولا يقدّم ، ما لم يحضر أجله ، فإن الله يؤخر ماشاء ، ويُقدّم ما شاء .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ ، وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ ، لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ (٦٢)

يقول تعالى ذكره : ويجعل هؤلاء المشركون لله ما يكرهونه لأنفسهم (وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الكَذِبَ) يقول : وتقول ألسنتهم الكذب وتفتريه ، أن لهم الحسنى ، فأنّ فى موضع نصب ، لأنها ترجمة عن الكذب . وتأويل الكلام : ويجعلون لله مايكرهونه لأنفسهم ، ويزعمون أن لهم الحسنى ، الذى يكرهونه لأنفسهم البنات يجعلونهن لله تعالى ، وزعموا أن الملائكة بناتُ الله . وأما الحُسنى التى جعلوها لأنفسهم : فالذكور من الأولاد ، وذلك أنهم كانوا يئدون الإناثَ من أولادهم ، ويستبقون الذكور منهم ، ويقولون : لنا الذكور ولله البنات ، وهو نحو قوله (وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ البَنَاتِ سُبْحَانَهُ ، وَلَهُمْ ما يَشْتَهُونَ) .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثنى المثنى ، قال : أخبرنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ؛ وحدثنى المثنى ، قال : أخبرنا

إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الحُسْنَى) قال : قول قريش : لنا البنون ، ولله البنات .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله ، إلا أنه قال : قول كفّار قُريش .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَيَجْعَلُونَ لِلهِ ما يَكْرَهُونَ . وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الكَذِبَ) : أى يتكلمون بأن لهم الحُسنى : أى الغلمان .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (أَنَّ لَهُمُ الحُسْنَى) قال : الغلمان .

وقوله (لاجَرَمَ أَن لَهُمُ النَّارَ ، وأَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ) يقول تعالى ذكره : حقا واجبا أن لهؤلاء القائلين لله البنات ، الجاعلين له مايكرهونه لأنفسهم ، ولأنفسهم الحسنى ، عند الله يوم القيامة النار .

وقد بيّنا تأويل قول الله (لاجَرَمَ) فى غير موضع من كتابنا هذا بشواهده ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .

ورُوى عن ابن عباس فى ذلك : ما حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (لاجَرَمَ) يقول : بلى .

وقوله (لاجَرَمَ) كان بعض أهل العربية يقول : لم تُنْصَب جرم بلا ، كما نصبت الميم من قول : لاغلامَ لك ؛ قال : ولكنها نُصبت لأنها فعل ماض ، مثل قول القائل : قَعَدَ فلان وجلس ، والكلام : لا ، ردّ لكلامهم ، أى ليس الأمر هكذا ، جَرَمَ : كَسَبَ ، مثل قوله : لاأقسم ، ونحو ذلك . وكان بعضهم يقول : نصب جَرَمَ بلا ، وإنما هو بمعنى : لابدّ ، ولا محالة ؛ ولكنها كثرت فى الكلام ، حتى صارت بمنزلة حقا .

وقوله (وأَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ) يقول تعالى ذكره : وأنهم مُخَلَّفون متروكون فى النار ، منسيون فيها .

واختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك ، فقال أكثرهم بنحو ما قلنا فى ذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار وابن وكيع ، قالا : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبى بشر ، عن سعيد بن جبير فى هذه الآية (لاجَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ ، وأَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ) قال : منسيون مُضَيَّعون .

حدثنى موسى بن عبد الرحمن المسروقى ، قال : ثنا زيد بن حباب ، قال : أخبرنا سعيد ، عن أبى بشر ، عن سعيد بن جبير ، مثله .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا بهز بن أسد ، عن شعبة ، قال : أخبرنى أبو بشر ، عن سعيد بن جبير ، مثله .

جدثنى يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا أبو بشر ، عن سعيد بن جبير ، فى قوله (لاجَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ ، وأَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ) قال : متروكون فى النار ، منسيون فيها .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : حصين ، أخبرنا ، عن سعيد بن جبير ، بمثله .

حدثنى المثنى ، قال : أخبرنا الحجاج بن المنهال ، قال : ثنا هشيم ، عن حصين ، عن سعيد بن جبير بمثله .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وأنهم مُفْرَطُونَ) قال : منسيون .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثنى المثنى ، قال : أخبرنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ؛ وحدثنى المثنى ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، جميعا عن ابن أبى نجيح ؛ عن مجاهد ، مثله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبدة وأبو معاوية وأبو خالد ، عن جويبر ، عن الضحاك (وأنهم مُفْرَطُونَ) قال : متروكون فى النار .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن القاسم ، عن مجاهد : (مُفْرَطُونَ) قال : مَنْسيون .

حدثنى عبد الوارث بن عبد الصمد ، قال : ثنى أبى ، عن الحسين ، عن قتادة (وأنهم مُفْرَطُونَ) يقول : مُضَاعُون .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا بدل ، قال : ثنا عباد بن راشد ، قال : سمعت داود بن أبى هند ، فى قول الله (وأنهم مُفْرِطُونَ) قال : منسيون فى النار .

وقال آخرون : معنى ذلك : أنهم مُعْجَلُون إلى النار ، مقدّمون إليها ، وذهبوا فى ذلك إلى قول العرب : أفرطنا فلانا فى طلب الماء : إذا قدّموه لإصلاح الدلاء والأرشية ، وتسوية مايحتاجون إليه عند ورودهم عليه ، فهو مُفْرَط . فأما المتقدّم نفسه فهو فارط ، يقال : قد فَرَط فلان أصحابَه يَفْرُطُهم فَرْطا وفُروطا : إذا تقدمهم . وجمع فارط ، فُرَّاط ؛ ومنه قول القُطامىّ :

واسْتَعْجَلُونا وكانُوا من صَحَابَتِنا ... كَمَا تَعَجَّلَ فُرَّاطٌ لِوُرَّادِ [1]

ومنه قول النبىّ صلى الله عليه وسلم « أنا فَرَطُكُمْ على الحَوْضِ » : أى متقدمكم إليه وسابقكم « حتى تَرِدُوهُ » .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وأنهم مُفْرَطُونَ) يقول : مُعْجَلُون إلى النار .

---

(١) البيت فى ديوان القطامى طبعة ليدن سنة ١٩٠٢) وفيه « فاستعجلونا » بالفاء . يقول : استعجلونا : أى أعجلونا ، يريد تقدمونا ، والفراط : الذين يتقدمون الواردة ، فيصلحون الأرشية ، حتى يأتى القوم بعدهم . وفى (اللسان : فرط) : وفرط القوم يفرطهم فرطا (من باب قتل) وفراطة : تقدمهم إلى الورد ، لإصلاح الأرشية والدلاء ، ومدر الحياض ، والسقى فيها ، فأنا فارط ، وهم الفراط ؛ قال القطامى : فاستعجلونا . . . الخ البيت . وفى الصحاح : كما تعجل فى موضع : كما تقدم .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وأنّهم مُفْرَطُونَ) قال : قد أُفْرِطوا فى النار : أى مُعْجَلُون .

وقال آخرون : معنى ذلك : مُبْعَدون فى النار .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن أشعث السَّمان ، عن الربيع ، عن أبى بشر ، عن سعيد (وأنّهم مُفْرَطُونَ) قال : مُخْسَئون مُبْعَدون .

⁂ وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب : القول الذى اخترناه ، وذلك أن الإفراط الذى هو بمعنى التقديم ، إنما يقال فيمن قدم مَقْدَما لإصلاح مايقدم إليه ، إلى وقت ورود مَنْ قَدَّمه عليه ، وليس بمُقَدَّم من قُدِّم إلى النار من أهلها ، لإصلاح شىء فيها ، لوارد يرد عليها فيها ، فيوافقه مصلحا ، وإنما تقدّم مَنْ قُدِّم إليها لعذاب يُعجَّل له . فإذا كان معنى ذلك الإفراط الذى هو تأويل التعجيل ، ففسد أن يكون له وجه فى الصحة ، صحّ المعنى الآخر ، وهو الإفراط الذى بمعنى التخليف والترك . وذلك أنه يُحكَى عن العرب : ما أفرطت ورائى أحدًا : أى ما خلّفته ؛ وما فرّطته : أى لم أخلفه .

واختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء المصرَين الكوفة والبصرة (وأنّهم مُفْرَطُونَ) بتخفيف الراء وفتحها ، على معنى ما لم يُسَمّ فاعله ، من أُفرِط فهو مُفْرَط . وقد بيّنت اختلاف قراءة ذلك كذلك فى التأويل . وقرأه أبو جعفر القارئ (وأنّهم مُفَرِّطُونَ) بكسر الراء وتشديدها ، بتأويل : أنهم مفرِّطون فى أداء الواجب كان لله عليهم فى الدنيا ، من طاعته وحقوقه ، مضيعو ذلك ، من قول الله تعالى (يا حَسْرَتا على ما فَرَّطْتُ فِى جَنْبِ اللهِ) . وقرأ نافع بن أبى نعيم (وأنّهم مُفْرِطُونَ) بكسر الراء وتخفيفها .

حدثنى بذلك يونس ، عن وَرْش ، عنه ، بتأويل : أنهم مُفْرِطون فى الذنوب والمعاصى ، مُسْرِفون على أنفسهم ، مكثرون منها ، من قولهم : أفرط فلان فى القول : إذا تجاوز حَدَّه ، وأسرف فيه .

⁂ والذى هو أولى القراءات فى ذلك بالصواب : قراءة الذين ذكرنا قراءتهم من أهل العراق ، لموافقتها تأويل أهل التأويل الذى ذكرنا قبل ، وخروج القراءات الأخرى عن تأويلهم .

القول فى تأويل قوله تعالى

تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٦٣)

⁂ يقول تعالى ذكره ، مقسما بنفسه عزّ وجلّ ، لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : والله يامحمد لقد أرسلنا رسلا من قبلك إلى أممها ، بمثل ما أرسلناك إلى أمتك ، من الدعاء إلى التوحيد لله ، وإخلاص العبادة له ، والإذعان له بالطاعة ، وخلع الأنداد والآلهة (فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطانُ أعْمالَهُمْ) يقول : فحسّن لهم الشيطان ما كانوا

عليه من الكفر بالله وعبادة الأوثان ، مقيمين ، حتى كذّبوا رسلهم، وردّوا عليهم ماجاءوهم به من عند ربهم (فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ) يقول : فالشيطان ناصرهم اليوم فى الدنيا ، وبئس الناصر (وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) فى الآخرة عند ورودهم على ربهم ، فلا ينفعهم حينئذ ولاية الشيطان ، ولا هى نفعتهم فى الدنيا ، بل ضرّتهم فيها ، وهى لهم فى الآخرة أضرّ .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِى اخْتَلَفُوا فِيهِ ، وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٦٤)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : وما أنزلنا يامحمد عليك كتابنا ، وبعثناك رسولا إلى خلقنا ، إلا لتبين لهم ما اختلفوا فيه من دين الله ، فتعرّفهم الصواب منه ، والحقّ من الباطل ، وتقيم عليهم بالصواب منه حجة الله ، الذى بعثك بها .

وقوله (وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) يقول : وهدى بيانا من الضلالة ، يعنى بذلك الكتاب ، ورحمة لقوم يؤمنون به ، فيصدّقون بما فيه ، ويقرّون بما تضمن من أمر الله ونهيه ، ويعملون به ، وعطف بالهدى على موضع ليبين ، لأن موضعها نصب . وإنما معنى الكلام : وما أنزلنا عليك الكتاب إلا بيانا للناس فيما احتلفوا فيه ، هدى ورحمة .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَاللَّهُ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ، إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ (٦٥)

يقول تعالى ذكره، منبهَ خلقه على حججه عليهم فى توحيده ، وأنه لاتنبغى الألوهة إلا له، ولا تصلح العبادة لشىء سواه : أيها الناس، معبودكم الذى له العبادة دون كلّ شىء (أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً) يعنى : مطرا، يقول : فأنبت بما أنزل من ذلك الماء من السماء، الأرضَ الميتة التى لازرع بها ولا عُشْبَ ولا نبت : (بَعْدَ مَوْتِهَا) بعد ما هى ميتة ، لاشىء فيها (إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً) يقول تعالى ذكره : إن فى إحيائنا الأرض بعد موتها ، بما أنزلنا من السماء من ماء، لدليلا واضحا ، وحجة قاطعة عذر من فكر فيه (لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ) يقول : لقوم يسمعون هذا القول ، فيتدبرونه ويعقلونه ، ويطيعون الله بما دلهم عليه .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَإِنَّ لَكُمْ فِى الْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ، نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهِ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ ، لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ (٦٦)

⁂ يقول تعالى ذكره : وإن لكم أيها الناس لعظة فى الأنعام التى نُسْقيكم مما فى بطونه .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (نُسْقِيكُمْ) ، فقرأته عامة أهل مكةّ والعراق والكوفة والبصرة ، سوى عاصم ؛ ومن أهل المدينة أبو جعفر : (نُسْقِيكُمْ) بضمّ النون ، بمعنى : أنه أسقاهم شرابا دائما . وكان الكسائىّ يقول : العرب تقول : أسقيناهم نَهْرا ، وأسقيناهم لبنا : إذا جعلته شِرْبا دائما ، فإذا أرادوا أنهم أعطوه شَرْبة قالوا : سقيناهم ، فنحن نَسْقِيهم ، بغير ألف . وقرأ ذلك عامة قرّاء أهل المدينة ، سوى أبى جعفر ؛ ومن أهل العراق عاصم (نَسْقِيكم) بفتح النون ، من سَقاه الله ، فهو يَسْقيه ، والعرب قد تدخل الألف فيما كان من السقى غير دائم ، وتنزعها فيما كان دائما ، وإن كان أشهر الكلامين عندها ما قال الكسائىّ ، يدلّ على ما قلنا من ذلك ، قول لَبيد فى صفة سحاب :

سَقَى قَوْمى بَنِى مَجْدٍ وأَسْقَى نُمَيْرًا والقَبائِلَ مِنْ هِلالِ [١]

فجمع اللغتين كلتيهما فى معنى واحد . فإذا كان ذلك كذلك ، فبأية القراءتين قرأ القارئ فمصيب ، غير أن أعجب القراءتين إلىّ ، قراءة ضمّ النون ، لما ذكرت من أن أكثر الكلامين عند العرب فيما كان دائما من السقى : أسقى بالألف ، فهو يُسْقِى ، وما أسقى الله عباده من بطون الأنعام ، فدائم لهم غير منقطع عنهم . وأما قوله (مِمَّا فِى بُطُونِهِ) وقد ذكر الأنعام قبل ذلك ، وهى جمع ، والهاء فى البطون موحدة ، فإن لأهل العربية فى ذلك أقوالا . فكان بعض نحوىّ الكوفة يقول : النَّعم والأنعام شىء واحد ، لأنهما جميعا جمعان ، فردّ الكلام فى قوله (مِمَّا فِى بُطُونِهِ) إلى التذكير ، مرادا به معنى النَّعم ، إذ كان يؤدى عن الأنعام ، ويستشهد لقوله ذلك برجز بعض الأعراب :

إذا رأيْتَ أنْجُماً مِنَ الأسَدْ جَبْهَتَهُ أوِ الخَرَاةِ والكَتَدْ
بال سُهَيْلٌ فى الفَضِيخِ فَفَسَدْ وطابَ أَلْبانُ اللِّقاحِ فَبَرَدْ [٢]

ويقول : رجع بقوله : « فبرد » إلى معنى اللبن ، لأن اللبن والألبان تكون فى معنى واحد ، وفى تذكير النَّعم قول الآخر :

---

(١) البيت للبيد (لسان العرب : سقى) قال : السقى : معروف ، والاسم : السقيا بالضم . وسقاه الله الغيث وأسقاه ، وقد جمعهما لبيد فى قوله : « سقى قومى » . وقال الفراء فى معانى القرآن : (١٧٤) العرب تقول : لكل ما كان من بطون الأنعام ، ومن السماء أو نهر يجرى لقوم : أسقيت . فإذا سقاك الرجل ماء لشفتك ، قالوا : سقاه ، ولم يقولوا : أسقاه ، كما قال الله عز وجل : « وسقاهم ربهم شرابا طهورا » . وقال : « الذى يطعمنى ويسقين » . وربما قالوا لما فى بطون الأنعام ولماء السماء : سقى وأسقى ، كما قال لبيد : « سقى قومى . . . » البيت . وقد اختلف القراء ، وقرأ بعضهم : نسقيكم ، وبعضهم : يسقيكم .

(٢) الأبيات الثلاثة الأولى فى (اللسان : جبه) قال : الأزهرى : الجبهة النجم الذى يقال له : جبهة الأسد ، وهى أربعة أنجم ينزلها القمر ، قال الشاعر : « إذا رأيت . . . وفى (اللسان : خرت) : والخراتان : نجمان من كواكب الأسد ، وهما كوكبان ، بينهما قدر سوط ، وهما كتفا الأسد ، واحدتهما خراة ، وأنشد الأبيات الأربعة . وفى (اللسان : كتد) : والكتد : نجم ، أنشد ثعلب : « إذا رأيت ... الخ الأبيات . وفى (اللسان : سهل) الأزهرى : سهيل كوكب لايرى بخراسان ، ويرى بالعراق ، وقال ابن كناسة ، سهيل يرى بالحجاز ، وفى جميع أرض العرب ، ولا يرى بأرض إرمينية . وقال الأزهرى : سهيل كوكب يمان . وفى (اللسان فضخ) الفضيخ : عصير العنب ، وهو أيضا شراب يتخذ من البسر المفضوخ وحده ، من غير أن تمسه النار ، وهو المشدوخ . =

أكُلَّ عامٍ نَعَمٌ تَحْوُونَهُ يُلْقِحُهُ قَوْمٌ وتَنْتِجُونَهُ [١]

فذكر النعم ؛ وكان غيره منهم يقول : إنما قال (مِمَّا فِي بُطُونِهِ) لأنه أراد : مما فى بطون ما ذكرنا ؛ وينشد فى ذلك رَجزا لبعضهم :

مِثْلُ الفِرَاخِ نُتِفَتْ حَوَاصِلُهُ [٢]

وقول الأسود بن يَعْفُر :

إنَّ المَنِيَّةَ والحُتُوفَ كِلاهُمَا يُوفِي المَخَارِمَ يَرْقُبَانِ سَوَادِي [٣]

فقال : كلاهما ، ولم يقل : كلتاهما ؛ وقول الصَّلَتان العَبْدِيّ :

إنَّ السَّمَاحَةَ والمُرُوءَةَ ضُمِّنَا قَبْرًا بِمَرْوَ على الطَّرِيقِ الوَاضِحِ [٤]

وقول الآخر :

= وفضخت البسر وافتضخته ، قال الراجز : « بال سهيل فى الفضيخ ففسد » يقول : لما طلع سهيل . ذهب زمن البسر وأرطب ، فكأنه بال فيه . وأصل هذه الشواهد من شواهد الفراء فى معانى القرآن ، قال : (ص ١٧٤) : وأما قوله « مما فى بطونه » ، ولم يقل « بطونها فإنه قيل — والله أعلم — إن النعم والأنعام شىء واحد ، وهما جمعان ، فرجع التذكير إلى معنى « النعم » ، إذ كان يؤدى عن الأنعام . أنشدنى بعضهم : إذا رأيت أنجما . . . الخ الأبيات الأربعة ، وهى من مشطور الرجز . فرجع (ضمير قوله فبرد) إلى اللبن ، والألبان يكون فى معنى واحد . قال : وقال الكسائى « نسقيكم مما فى بطونه » : بطون ما ذكرنا . وهو صواب . أنشدنى بعضهم : « مثل الفراخ نتفت حواصله »

(١) هذا الرجز لقيس بن الحصين بن يزيد الحارثى ، أنشده أبو عبيدة فى (مجاز القرآن ١ : ٣٦٢) وأنشد بعد بيتى الشاهد ، بيتا ثالثا وهو : « أربابه نوكى ولايحمونه » . والشاهد فيه أن الأنعام يذكر ويؤنث . قال : وقال آخرون : المعنى على النعم ، لأن النعم ، يذكر ويؤنث . وأنشده فى اللسان (نعم) قال : وقال آخر فى تذكير النعم :

فى كُلِّ عامٍ نعمٌ يَحْوُونَهُ يُلْقِحُهُ قَوْمٌ وتَنْتِجُونَهُ

وذكر الرجز البغدادى فى الخزانة (١ : ١٩٦ — ١٩٧) وزاد فيه أبياتا ، قال : وتنتجونه بتاء الخطاب : يقال نتج الناقة أهلها إذا استولدوها . وأنتجت الفرس بالهمزة : حان نتاجها . والنتاج بالكسر : اسم يشمل وضع البهائم من الغنم وغيرها . وإذا ولى الإنسان ناقة أو شاة ما خضا حتى تضع ، قيل نتجها نتجا من باب ضرب ، فالإنسان كالقابلة ، لأنه يتلقى الولد ويصلح من شأنه ، فهو ناتج ، والبهيمة منتوجة ، والولد : نتيجة .

يقول : يحملون الفحولة على النوق ، فإذا حملت أغرتم أنتم عليها . ورواية البيت فى الخزانة كرواية المؤلف . والأبيات قيلت فى يوم الكلاب الثانى ، وهو ماء لبنى تميم بين الكوفة والبصرة .

(٢) هو مثل الشاهد السابق على سابقه . أنشده الفراء فى معانى القرآن (ص ١٧٤) شاهدا ، على أن قوله نتفت حواصله ، أى حواصل ما ذكرنا ، كما فسره الكسائى . ونقله صاحب اللسان فى (نعم) مع أشباه له .

(٣) البيت للأسود بن يعفر النهشلى التميمى (المفضليات : ١٠١) والمنية : الموت . والحتوف : جمع حتف يريد أنواع الأخطار التى تؤدى إلى الموت . والمخارم : جمع مخرم : الطريق فى الغلظ ، عن السكرى ، وقيل : الطرق فى الجبال ، وأفواه الفجاج . وسواد الإنسان : شخصه . والشاهد فى البيت قوله « كلاهما » بالتذكير ، مع أن المنية والحتوف مؤنثان . وكان حقه أن يقول : كلتاهما ، لأن الشاعر لم يحفل بهذا التأنيث ، واعتبر المذكور أولا مذكرا ، بمعنى الشيئين .

(٤) الشاهد فى البيت أن السماحة والمروءة لفظتان مؤنثتان ولم يؤنث الفعل المتحمل ضميرهما ، فقال الشاعر : ضمنا ، ولم يقل ضمنتا ، لأنه اعتبر ما رجع إليه الضمير قبل الفعل شيئين مذكرين ، أو خلقين ، فلذلك لم يؤنث الفعل المسند إلى ضميرهما .

وعَفْرَاءُ أدْنَى النَّاس مِنِّى مَوَدَّةً وعَفْرَاءُ عَنِّى المُعْرِضُ المُتَوَانِى[1]

ولم يقل : المعرضة المتوانية ؛ وقول الآخر :

إذا النَّاسُ ناسٌ والبِلادُ بغِبْطَةٍ وَإذْ أُمُّ عَمَّارٍ صَدِيقٌ مُساعِفُ[2]

ويقول : كل ذلك على معنى هذا الشيء، وهذا الشخص، والسواد، وما أشبه ذلك، ويقول من ذلك قول الله تعالى ذكره (فَلَمَّا رأى الشَّمْسَ بازِغَةً قالَ هذا رَبِّى) بمعنى : هذا الشيء الطالع . وقوله (إنَّ هذِهِ تَذْكِرَةٌ ، فَمَنْ شاءَ ذَكَرَهُ) ولم يقل ذكرها ، لأن معناه : فمن شاء ذكر هذا الشيء . وقوله (وَإنِّى مُرْسِلَةٌ إلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَناظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ المُرْسَلُونَ . فَلَمَّا جاءَ سُلَيْمانَ) ، ولم يقل : جاءت .

وكان بعض البصريين يقول : قيل (مِمَّا فِى بُطُونِهِ) ، لأن المعنى : نسقيكم من أىّ الأنعام كان فى بطونه ، ويقول : فيه اللبن مضمر ، يعنى : أنه يسقى من أيها كان ذا لبن ، وذلك أنه ليس لكلها لبن ، وإنما يُسقى من ذوات اللبن . والقولان الأوّلان أصحّ مخرجا على كلام العرب ، من هذا القول الثالث .

وقوله (مِنْ بينِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنا خالِصًا) يقول : نسقيكم لبنا، نخرجه لكم من بين فرث ودم خالصا : يقول : خلص من مخالطة الدم والفَرْث ، فلم يختلطا به، (سائِغا للشَّارِبِينَ) يقول : يسوغ لمن شربه، فلا يَغَصّ به كما يَغَصّ الغاصّ ببعض مايأكله من الأطعمة . وقيل : إنه لم يَغَصّ أحد باللبن قَطُّ .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ، إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٦٧)

يقول تعالى ذكره : ولكم أيضا أيها الناسُ عِبرةٌ فيما نسقيكم من ثمرات النخيل والأعناب ، ما تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا ، مع ما نسقيكم من بطون الأنعام، من اللبن الخارج من بين الفرث والدم . وحذف من قوله (وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ والأعْنابِ) الاسم ، والمعنى ما وصفت ، وهو : ومن ثمرات النخيل والأعناب ماتتخذون منه، لدلالة « مِنْ » عليه ، لأن «مِنْ» تدخل فى الكلام مُبَعِّضة ، فاستغنى بدلالتها ومعرفة السامعين، بما يقتضى من ذكر الاسم معها . وكان بعض نحوِيِّى البصرة يقول فى معنى الكلام: ومن ثمرات النخيل والأعناب شىء تتخذون منه سكرا ، ويقول: إنما ذكرت الهاء فى قوله (تَتَّخِذُونَ مِنْهُ) لأنه أريد بها الشيء ، وهو عندنا عائد على المتروك ، وهو « ما » . وقوله (تَتَّخِذُونَ) : من صفة « ما » المتروكة .

---

(١) استشهد المؤلف بهذا البيت على أن المعرض وهو خبر لعفراء ، لم يطابق المبتدأ فى التأنيث ، وهو عفراء ، لأن الشاعر ذهب إلى معنى الحبيب أو الشخص ، مما هو مذكر فى المعنى .

(٢) وهذا الشاهد كسابقه ، لأن الشاعر ذهب إلى أن أم عمار شخص . فلذلك قال صديق على التأويل ، ولم يقل صديقة على المطابقة . والصديق المساعف : أى المواصل ، الذى يدنو من صديقه ، ويسعفه بحاجته .

واختلف أهل التأويل فى معنى قوله (تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقا حَسَنا) فقال بعضهم : عنى بالسَّكَر : الخمر ، وبالرزق الحسن : التمر والزبيب ، وقال : إنما نزلت هذه الآية قبل تحريم الخمر ، ثم حُرِّمت بعد .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عبيد المحاربىّ ، قال : ثنا أيوب بن جابر السُّحَيْمى ، عن الأسود ، عن عمرو بن سفيان ، عن ابن عباس ، قوله (تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقا حَسَنا) قال : السَّكَر : ما حُرِّم من شرابه ، والرزق الحسن : ما أحلّ من ثمرته .

حدثنا ابن وكيع وسعيد بن الربيع الرازىّ ، قالا : ثنا ابن عيينة ، عن الأسود بن قيس ، عن عمرو بن سفيان ، عن ابن عباس (تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقا حَسَنا) قال : الرزق الحسن : ما أحلّ من ثمرتها ، والسَّكَر : ما حرّم من ثمرتها .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن الأسود ، عن عمرو بن سفيان ، عن ابن عباس مثله .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثورىّ ، عن الأسود بن قيس ، عن عمرو بن سفيان ، عن ابن عباس ، بنحوه .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو نعيم الفضل بن دكين ، قال : ثنا سفيان ، عن الأسود بن قيس ، عن عمرو ابن سفيان ، عن ابن عباس بنحوه .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن الأسود بن قيس ، قال : سمعت رجلا يحدّث عن ابن عباس فى هذه الآية (تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقا حَسَنا) قال : السكر : ما حُرِّم من ثمرتهما ، والرزق الحسن : ما أحلّ من ثمرتيهما .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا الحسن بن صالح ، عن الأسود بن قيس ، عن عمرو بن سفيان ، عن ابن عباس ، بنحوه .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو غسان ، قال : ثنا زهير بن معاوية ، قال : ثنا الأسود بن قيس ، قال : ثنى عمرو بن سفيان ، قال : سمعت ابن عباس يقول : وذكرت عنده هذه الآية (وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ والأعْنابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقا حَسَنا) قال : السكر : ما حُرِّم منهما ، والرزق الحسن : ما أحلّ منهما .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا سفيان ، عن الأسود بن قيس ، عن عمرو بن سفيان البصرىّ ، قال : قال ابن عباس ، فى قوله (تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقا حَسَنا) قال : فأما الرزق الحسن : فما أحلّ من ثمرتهما ، وأما السكر : فما حرّم من ثمرتهما .

حدثنى المثنى ، قال : أخبرنا الحمّانى ، قال : ثنا شريك ، عن الأسود ، عن عمرو بن سفيان البصرىّ ، عن ابن عباس (تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقا حَسَنا) قال : السكر : حَرَامه ، والرزق الحسن : حَلَاله .

حدثنى المثنى ، قال : أخبرنا العباس بن أبى طالب ، قال : ثنا أبو عوانة ، عن الأسود ، عن عمرو بن سفيان ، عن ابن عباس قال : السَّكَر : ما حرّم من ثمرتهما ، والرزق الحسن : ما حلّ من ثمرتهما .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبى حصين ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : الرزق الحسن : الحلال : والسَّكَر : الحرام .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبى حصين ، عن سعيد بن جبير (تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقا حَسَنا) قال : ما حرّم من ثمرتهما ، وما أحلّ من ثمرتهما .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن أبى حصين ، عن سعيد بن جبير ، قال : السكر خمر والرزق الحسن الحلال .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن مسعر وسفيان ، عن أبى حصين ، عن سعيد بن جبير ، قال : الرزق الحسن : الحلال ، والسَّكَر : الحرام .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو نعيم ، قال : ثنا سفيان ، عن أبى حصين ، عن سعيد بن جبير ، بنحوه .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبى بشر ، عن سعيد بن جبير ، فى هذه الآية (تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقا حَسَنا) قال : السَّكَر : الحرام ، والرزق الحسن : الحلال .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن أبى رزين (تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقا حَسَنا) قال : نزل هذا وهم يشربون الخمر ، فكان هذا قبل أن ينزل تحريم الخمر .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مَهدىّ ، قال : ثنا شعبة ، عن المغيرة ، عن إبراهيم . والشعبىّ وأبى رزين ، قالوا : هى منسوخة فى هذه الآية (تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقا حَسَنا) .

حدثنا الحسن بن عَرَفة ، قال : ثنا أبو قَطَن ، عن سعيد ، عن المُغيرة ، عن إبراهيم والشعبىّ وأبى رزين بمثله .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، فى قوله (تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقا حَسَنا) قال : هى منسوخة ، نسخها تحريم الخمر .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا هَوْذة ، قال : ثنا عوف ، عن الحسن ، فى قوله (تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقا حَسَنا) قال : ذكر الله نعمته فى السَّكَر قبل تحريم الخمر .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن منصور وعوف ، عن الحسن ، قال السكر : ما حرّم الله منه ، والرزق : ما أحلّ الله منه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن أبى جعفر ، عن الربيع ، عن الحسن ، قال : الرزق الحسن : الحلال ، والسَّكَر : الحرام .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سلمة ، عن الضحاك ، قال : الرزق الحسن : الحلال ، والسَّكَر : الحرام .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن أبى كدينة يحيى بن المهلب ، عن ليث ، عن مجاهد ، قال : السكر : الخمر ، والرزق الحسن : الرُّطَب والأعناب .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا شريك ، عن ليث ، عن مجاهد (تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا) قال : هى الخمر قبل أن تحرّم .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا) قال : الخمر قبل تحريمها (وَرِزْقًا حَسَنًا) قال : طعاما .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد بنحوه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ والأعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا) أما السَّكَر : فخمور هذه الأعاجم ، وأما الرزق الحسن : فما تنتبذون ، وما تُخَلِّلون ، وما تأكلون ، ونزلت هذه الآية ولم تحرّم الخمر يومئذ ، وإنما جاء تحريمها بعد ذلك فى سورة المائدة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبدة بن سليمان ، قال : قرأت على ابن أبى عُذْرة ، قال : هكذا سمعت قتادة (تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا) ثم ذكر نحو حديث بشر .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (سَكَرًا) قال هى : خمور الأعاجم ، ونُسخت فى سورة المائدة ، والرزق الحسن : قال : ماتنتبذون وتخلِّلون وتأكلون .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، (وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ والأعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا) وذلك أن الناس كانوا يسمُّون الخمر سَكَرًا ، وكانوا يشربونها ، قال ابن عباس [1] : مرّ رجال بوادى السكران الذى كانت قريش تجتمع فيه ، إذا تَلَقَّوا مسافريهم ، إذا جاءوا من الشام ، وانطلقوا معهم يشيعونهم ، حتى يبلغوا وادى السكران ، ثم يرجعوا منه ، ثم سماها الله بعد ذلك الخمر حين حرمت ، وقد كان ابن عباس يزعم أنها الخمر ، وكان يزعم أن الحبشة يسمون الخلّ السَّكَر ، قوله (وَرِزْقًا حَسَنًا) يعنى بذلك : الحلال التمر والزبيب ، وما كان حلالا لا يسكر .

وقال آخرون : السَّكَر بمنزلة الخمر فى التحريم ، وليس بخمر ، وقالوا : هو نقيع التمر والزبيب : إذا اشتدّ وصار يسكر شاربه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا الحكم بن بشير ، قال : ثنا عمرو ، فى قوله (وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ

(١) قوله : قال ابن عباس إلى يرجعوا منه . كذا فى النسخ . وهو كالمقحم وسط الكلام ، وقد أسقطه السيوطى من الدر المنثور حين روى هذا الحديث .

والأعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا) قال ابن عباس: كان هذا قبل أن ينزل تحريم الخمر، والسكر حرام مثل الخمر؛ وأما الحلال منه، فالزبيب والتمر والخلّ ونحوه.

حدثنى المثنى، وعلى بن داود، قالا: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثنى معاوية، عن علىّ، عن ابن عباس، قوله (تتخذون منه سكرا) فحرّم الله بعد ذلك، يعنى بعد ما أنزل فى سورة البقرة من ذكر الخمر، والميسر والأنصاب والأزلام، السّكر مع تحريم الخمر، لأنه منه، قال (ورزقا حسنا) فهو الحلال من الخلّ والنبيذ، وأشباه ذلك، فأقرّه الله، وجعله حلالا للمسلمين.

حدثنا أحمد، قال: ثنا أبو أحمد، قال: ثنا إسرائيل، عن موسى، قال: سألت مرّة عن السّكر فقال: قال عبد الله: هو خمر.

حدثنا أحمد، قال: ثنا أبو أحمد، قال: ثنا إسرائيل، عن أبى فروة، عن أبى عبد الرحمن بن أبى ليلى، قال: السكر: خمر.

حدثنا أحمد، قال: ثنا أبو أحمد، قال: ثنا سفيان، عن أبى الهيثم، عن إبراهيم، قال: السكر: خمر.

حدثنا أحمد، قال: ثنا أبو أحمد، قال: ثنا حسن بن صالح، عن مغيرة، عن إبراهيم وأبى رزين، قالا: السكر: خمر.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول فى قوله (تتخذون منه سكرا) يعنى: ما أسكر من العنب والتمر (ورزقا حسنا) يعنى: ثمرتها.

حدثنى يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، فى قوله (تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا) قال: الحلال ما كان على وجه الحلال، حتى غيروها، فجعلوا منها سكرا.

وقال آخرون: السّكر: هو كلّ ما كان حلالا شربه، كالنبيذ الحلال، والخلّ، والرطب. والرزق الحسن: التمر والزبيب.

ذكر من قال ذلك

حدثنى داود الواسطىّ، قال: ثنا أبو أسامة، قال أبو رَوْق: ثنى قال: قلت للشعبىّ: أرأيت قوله تعالى (تتخذون منه سكرا) أهو هذا السّكر الذى تصنعه النّبّاط؟ قال: لا، هذا خمر، إنما السكر الذى قال الله تعالى ذكره: النبيذ، والخلّ؛ والرزق الحسن: التمر والزبيب.

حدثنى يحيى بن داود، قال: ثنا أبو أسامة، قال: وذكر مجالد، عن عامر، نحوه.

حدثنا أحمد بن إسحاق، قال: ثنا أبو أحمد، قال: ثنا مندل، عن ليث، عن مجاهد (تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا) قال: ما كانوا يتخذون من النخل: النّبيذ، والرزق الحسن: ما كانوا يصنعون من الزبيب والتمر.

حدثنا أحمد، قال: ثنا أبو أحمد، قال: ثنا مندل، عن أبى رَوْق، عن الشعبىّ، قال: قلت له:

ما تتخذون منه سَكَرًا ، قال : كانوا يصنعون من النبيذ والخلّ ؛ قلت : والرزق الحسن ، قال : كانوا يصنعون من التمر والزبيب .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو أسامة وأحمد بن بشير ، عن مجالد ، عن الشعبيّ ، قال : السَّكَر : النبيذ والرزق الحسن : التمر الذى كان يؤكل . وعلى هذا التأويل ، الآية غير منسوخة ، بل حكمها ثابت .

⁂ وهذا التأويل عندى : هو أولى الأقوال بتأويل هذه الآية ، وذلك أن السكر فى كلام العرب على أحد أوجه أربعة : أحدها : ما أسكر من الشراب . والثانى : ما طُعِم من الطعام ، كما قال الشاعر :

جَعَلْتُ عَيْبَ الأَكْرَمِينَ سَكَرَا [1]

أى طعما . والثالث : السُّكُون من قول الشاعر :

جَعَلَتْ عينُ الحَرُورِ تَسْكُرُ [2]

وقد بيَّنا ذلك فيما مضى . والرابع : المصدر من قولهم : سكر فلان يسكر سُكْرًا وسَكْرًا وسَكَرًا ، فإذا كان ذلك كذلك ، وكان ما يُسْكِر من الشراب حراما ، بما قد دللنا عليه فى كتابنا المسمى : « لطيف القول فى أحكام شرائع الإسلام » ، وكان غير جائز لنا أن نقول : هو منسوخ ، إذ كان المنسوخ : هو ما نفى حكمه الناسخ ، وما لا يجوز اجتماع الحكم به وناسخه ، ولم يكن فى حكم الله تعالى ذكره بتحريم الخمر ، دليل على أن السَّكَر الذى هو غير الخمر ، وغير مايسكر من الشراب ، حرام ، إذ كان السكر أحد معانيه عند العرب ، ومن نزل بلسانه القرآن : هو كلّ ما طعم ، ولم يكن مع ذلك ، إذ لم يكن فى نفس التنزيل دليل على أنه منسوخ ، أوورد بأنه منسوخ خبر من الرسول ، ولا أجمعت عليه الأمة ، فوجب القول بما قلنا ، من أن معنى السَّكَر فى هذا الموضع : هو كلّ ماحلّ شربه ، مما يتخذ من ثمر النخل والكَرْم ، وفسد أن يكون معناه الخمر ، أو ما يسكر من الشراب ، وخرج من أن يكون معناه السَّكَر نفسه ، إذ كان السَّكَر ليس مما يتخذ من النَّخْل والكَرْم ، ومن أن يكون بمعنى السُّكُون .

وقوله (إنَّ فِى ذلكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) يقول : فيما إن وصفنا لكم من نعمنا التى آتيناكم أيها

---

(١) تقدم الكلام على هذا الشاهد فى صفحة ١٣ من هذا الجزء ، وقال أبو عبيدة فى مجاز القرآن (١ : ٣٦٣) عند قوله تعالى « تتخذون منه سكرا » : أى طعما ، وهذا له سكر : أى طعم . وقال جندل « جعلت عيب الأكرمين سكرا » . قال : وله موضع آخر ، مجازه سكنا . ورواية البيت فى اللسان :

جَعَلَتْ أعْراضَ الكِرامِ سَكَرَا

أى جعلت ذمهم طعما لك .

(٢) تقدم الكلام على هذا الشاهد فى صفحة من هذا الجزء واستشهد به أبو عبيدة فى مجاز القرآن (١ : ٣٦٣) بعد الشاهد السابق ، وعطفه عليه بقوله : وقال :

جاء الشتاء واجثأل القنبر وجعلت عين الحرور تسكر

أى يسكن حرها ويخبو . ويقال : ليلة ساكرة : أى ساكنة . وقال :

تريد الليالى فى طولها وليست بطلق ولا ساكره

ويروى : تزيد ليالى فى طولها . اهـ . وفى (اللسان : سكر) : تزاد .

الناس من الأنعام والنخل والكرم ، لدلالة واضحة وآية بينة لقوم يعقلون عن الله حججه ، ويفهمون عنه مواعظه ، فيتعظون بها .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ: أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ، وَمِنَ ٱلشَّجَرِ ، وَمِمَّا يَعْرِشُونَ (٦٨)

يقول تعالى ذكره : وألهم ربك يا محمد النحل إيحاء إليها (أنِ اتَّخِذِى مِنَ الجِبالِ بُيُوتا وَمِنَ الشَّجَرِ وممَّا يَعْرِشُونَ) يعنى : مما يبنون من السقوف ، فرفعوها بالبناء .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا مروان ، عن إسحاق التيمى ، وهو ابن أبى الصباح ، عن رجل ، عن مجاهد (وأوْحَى رَبُّكَ إلى النَّحْلِ) قال : ألهمها إلهاما .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، قال : بلغنى ، فى قوله (وأوْحَى رَبُّكَ إلى النَّحْلِ) قال : قذف فى أنفسها .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى أبو سفيان ، عن معمر ، عن أصحابه ، قوله (وأوْحَى رَبُّكَ إلى النَّحْلِ) قال : قذف فى أنفسها : أن اتخذى من الجبال بيوتا .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه عن ابن عباس ، قوله (وأوْحَى رَبُّكَ إلى النَّحْلِ) . . . الآية ، قال : أمرها أن تأكل من الثمرات ، وأمرها أن تتبع سبل ربها ذللا .

وقد بيَّنا معنى الإيحاء ، واختلاف المختلفين فيه فيما مضى بشواهده ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع ، وكذلك معنى قوله (يَعْرِشُونَ) .

وكان ابن زيد يقول فى معنى يعرشون ، ما حدثنى به يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله (يَعْرِشُون) قال الكَرْم :

القول فى تأويل قوله تعالى

ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ، فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ، إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٦٩)

يقول تعالى ذكره : ثم كلى أيتها النحل من الثمرات (فاسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ) يقول : فاسلكى طرق ربك (ذُلُلًا) يقول : مُذَلَّلة لك ، والذُّلُل : جمع ذَلُول .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله تعالى (فاسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً) قال : لايتوعّر عليها مكان سلكته .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (فاسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً) قال : طُرُقا ذُلُلا ، قال : لايتوعّر عليها مكان سلكته . وعلى هذا التأويل الذى تأوّله مجاهد ، الذلل : من نعت السبل .

والتأويل على قوله (فاسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً) الذُّلُل لكِ : لايتوعّر عليكِ سبيل سلكتيه ، ثم أسقطت الألف واللام ، فنصب على الحال .

وقال آخرون فى ذلك بما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فاسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً) : أى مطيعة .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (ذُلُلاً) قال : مطيعة .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فاسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً) قال : الذلول : الذى يُقاد ويُذهب به حيث أراد صاحبه ، قال : فهم يخرجون بالنحل ينتجعون بها ويذهبون ، وهى تتبعهم . وقرأ (أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينا أَنْعاما ، فَهُمْ لَهَا مالِكُونَ ، وَذَلَّلْناها لَهُمْ) ... الآية ، فعلى هذا القول ، الذُّلُل : من نعت النحل ، وكلا القولين غير بعيد من الصواب فى الصحة ، وجهان مخرّجان ، غير أنا اخترنا أن يكون نعتا للسُّبل لأنها إليها أقرب .

وقوله (يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِها شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوانُهُ) يقول تعالى ذكره : يخرج من بطون النحل شراب ، وهو العسل ، مختلف ألوانه ، لأن فيه أبيض وأحمر وأسحر ، وغير ذلك من الألوان .

قال أبو جعفر : أسحر : ألوان مختلفة ، مثل أبيض يضرب إلى الحمرة .

وقوله (فِيهِ شِفاءٌ لِلنَّاسِ) اختلف أهل التأويل فيما عادت عليه الهاء التى فى قوله (فِيهِ) ، فقال بعضهم : عادت على القرآن ، وهو المراد بها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا نصر بن عبد الرحمن ، قال : ثنا المحاربىّ ، عن ليث ، عن مجاهد (فِيهِ شِفاءٌ لِلنَّاسِ) قال : فى القرآن شفاء .

وقال آخرون : بل أريد بها العسل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِها شَرَابٌ

مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ) ففيه شفاء ، كما قال الله تعالى ، من الأدواء ، وقد كان ينهى عن تفريق النحل ، وعن قتلها .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : « جاء رجل إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فذكر أن أخاه اشتكى بطنه ، فقال النبىّ صلى الله عليه وسلم : اذْهَبْ فاسْقِ أخاكَ عَسَلا ، ثم جاءه فقال : ما زاده إلا شدة ، فقال النبىّ صلى الله عليه وسلم : اذْهَبْ فاسْقِ أخاكَ عَسَلاً ، فَقَدْ صَدَقَ اللهُ وكَذَبَ بَطْنُ أخِيكَ ، فسقاه ، فكأنما نُشِط من عِقال » .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة (يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِها شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ) قال : جاء رجل إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فذكر نحوه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن أبى إسحاق ، عن أبى الأحوص ، عن عبد الله ، قال : « شفاءان : العسل شفاء من كلّ داء ، والقرآن شفاء لما فى الصدور » .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، (فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ) : العسل .

⁂ وهذا القول ، أعنى قول قتادة : أولى بتأويل الآية ، لأن قوله (فِيهِ) فى سياق الخبر عن العسل ، فأن تكون الهاء من ذكر العسل ، إذ كانت فى سياق الخبر عنه : أولى من غيره .

وقوله (إِنَّ فِى ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) يقول تعالى ذكره : إن فى إخراج الله من بطون هذه النحل : الشراب المختلف ، الذى هو شفاء للناس ، لدلالة وحجة واضحة على من سخّر النحل ، وهداها لأكل الثمرات التى تأكل ، واتخاذها البيوت التى تُنْحت من الجبال والشجر والعروش ، وأخرج من بطونها ما أخرج من الشفاء للناس : أنه الواحد الذى ليس كمثله شىء ، وأنه لاينبغى أن يكون له شريك ، ولا تصح الألوهة إلا له .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا ، إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ (٧٠)

⁂ يقول تعالى ذكره : والله خلقكم أيها الناس وأوجدكم ، ولم تكونوا شيئا ، لاالآلهة التى تعبدون من دونه ، فاعبدوا الذى خلقكم دون غيره . (ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ) يقول : ثم يقبضكم (وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إلى أَرْذَلِ العُمُرِ) يقول : ومنكم من يَهْرَم ، فيصير إلى أرذل العمر ، وهو أردؤه ، يقال منه : رَذُلَ الرجل وفَسُلَ ، يرذُل رَذَالة ورُذُولة ، ورَذَلْتُه أنا . وقيل : إنه يصير كذلك فى خمس وسبعين سنة .

حدثنى محمد بن إسماعيل الفزارىّ ، قال : أخبرنا محمد بن سَوّار ، قال : ثنا أسد بن عمران ، عن سعد بن

طريف ، عن الأصبغ بن نَباتة ، عن علىّ ، فى قوله (وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إلى أرْذَلِ العُمُرِ) قال : خمسٌ وسبعون سنة .

وقوله (لِكَيْ لا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا) يقول : إنما نردّه إلى أرذل العمر ، ليعود جاهلا كما كان فى حال طفولته وصباه . (بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا) : يقول : لئلا يعلم شيئا بعد علم كان يعلمه فى شبابه ، فذهب ذلك بالكِبَر ونسى ، فلا يعلم منه شيئا ، وانسلخ من عقله ، فصار من بعد عقل كان له ، لايعقل شيئا (إنَّ اللهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ) يقول : إن الله لاينسى ، ولا يتغير علمه ، عليم بكلّ ما كان ويكون ، قديرٌ على ماشاء ، لايجهل شيئا ، ولا يُعجزه شىء أراده .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِى الرِّزْقِ ، فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّى رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ ، أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ؟ (٧١)

يقول تعالى ذكره : والله أيها الناس فضّل بعضكم على بعض فى الرزق الذى رزقكم فى الدنيا ، فما الذين فضلهم الله على غيرهم بما رزقهم (بِرَادِّى رِزْقِهِمْ عَلَى ما مَلَكَتْ أيمَانُهُمْ) يقول : بمشركى مماليكهم فيما رزقهم من الأموال والأزواج (فَهُمْ فيهِ سَوَاءٌ) يقول : حتى يستووا هم فى ذلك وعبيدُهم ، يقول تعالى ذكره : فهم لايرضَون بأن يكونوا هم ومماليكهم فيما رزقتهم سواء ، وقد جعلوا عبيدى شركائى فى ملكى وسلطانى . وهذا مَثَل ضربه الله تعالى ذكره للمشركين بالله . وقيل : إنما عنى بذلك ، الذين قالوا : إن المسيح ابن الله من النصارى . وقوله (أفَبِنِعْمَةِ اللهِ يَجْحَدُونَ) : يقول تعالى ذكره : أفبنعمة الله التى أنعمها على هؤلاء المشركين ، من الرزق الذى رزقهم فى الدنيا ، يجحدون بإشراكهم غير الله من خلقه ، فى سلطانه ومُلكه ؟

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله : (وَاللهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ على بَعْضٍ فِى الرِّزْقِ ، فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا برَادِّى رِزْقِهِمْ عَلَى ما مَلَكَتْ أيمَانُهُمْ) يقول : لم يكونوا يُشْرِكون عبيدهم فى أموالهم ونسائهم ، فكيف يشركون عبيدى معى فى سلطانى ، فذلك قوله (أفَبِنِعْمَةِ اللهِ يَجْحَدُونَ) ؟

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس : هذه الآية فى شأن عيسى بن مريم ، يعنى بذلك نفسه ، إنما عيسى عبد ، فيقول الله : والله ماتشركون عبيدكم فى الذى لكم ، فتكونوا أنتم وهم سواء ، فكيف ترضَون لى بما لاترضون لأنفسكم .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ،

قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ، فى قوله (بِرَادِّى رِزْقِهِمْ عَلَى ما مَلَكَتْ أيمَانُهُمْ) قال : مثل آلهة الباطل مع الله تعالى ذكره .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَاللهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ ، فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا برَادِّى رِزْقِهِمْ عَلَى ما مَلَكَتْ أيمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ ، أفَبِنِعْمَةِ اللهِ يَجْحَدُونَ ؟) وهذا مثل ضربه الله ، فهل منكم من أحد شارك مملوكه فى زوجته وفى فراشه ، فتعدلون بالله خلقه وعباده ، فإن لم ترض لنفسك هذا ، فالله أحقّ أن ينزّه منه من نفسك ، ولا تعدل بالله أحدا من عباده وخلقه .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّى رِزْقِهِمْ على ما مَلَكَتْ أيمَانُهُمْ) قال : هذا الذي فُضِّل فى المال والولد ، لا يُشْرِك عبده فى ماله وزوجته ، يقول : قد رضيت بذلك لله ، ولم ترض به لنفسك ، فجعلت لله شريكا فى ملكه وخلقه .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَاللهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا ، وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً ، وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ، أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ؟ (٧٢)

يقول تعالى ذكره : (وَاللهُ) الذى (جَعَلَ لَكُمْ) أيها الناس (مِنْ أنْفُسِكُمْ أزْوَاجا) يعنى أنه خلق من آدم زوجته حوّاء ، وجعل لكم من أزواجكم بنين وحَفَدَة .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَاللهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أنْفُسِكُمْ أزْوَاجا) : أى والله خلق آدم ، ثم خلق زوجته منه (ثُمَّ جَعَلَ لَكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً) .

واختلف أهل التأويل فى المعنيِّين بالحَفَدة ، فقال بعضهم : هم الأختان ، أختان الرجل على بناته .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب وابن وكيع ، قالا : ثنا أبو معاوية ، قال : ثنا أبان بن تغلب ، عن المنهال بن عمرو ، عن ابن حبيش ، عن عبد الله (بَنِينَ وَحَفَدَةً) قال : الأختان .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا أبو بكر ، عن عاصم ، عن ورقاء سألت عبد الله : ماتقول فى الحَفَدَة ؟ هم حَشَم الرجل يا أبا عبد الرحمن ؟ قال : لا ، ولكنهم الأختان .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ؛ وحدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قالا جميعا : ثنا سفيان ، عن عاصم بن بَهْدَلة ، عن زِرّ بن حُبَيش ، عن عبد الله ، قال : الحَفَدة : الأختان .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان بإسناده عن عبد الله ، مثله .

حدثنا ابن بشار وأحمد بن الوليد القرشىّ وابن وكيع ، وسَوّار بن عبد الله العنبرىّ ، ومحمد بن خلف

ابن خِراش والحسن بن خلف الواسطيّ، قالوا: ثنا يحيى بن سعيد القطان، عن الأعمش، عن أبى الضحى، قال: الحَفَدة: الأختان.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا هشيم، عن المغيرة، عن إبراهيم، قال: الحَفَدة: الأختان.

حدثنا أحمد بن إسحاق، قال: ثنا أبو أحمد، قال: ثنا إسرائيل، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جُبير (بَنِينَ وَحَفَدَةً) قال: الحَفَدة: الأختان.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن مغيرة، عن إبراهيم، قال: الحَفَدَة: الخَتَن.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا ابن عيينة، عن عاصم، عن زِرّ، عن عبد الله، قال: الأختان.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا حفص، عن أشعث، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: الأختان.

وحدثنى المثنى، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثنى معاوية، عن علىّ عن ابن عباس، قوله (وحَفَدَةً) قال: الأصهار.

حدثنى المثنى، قال: ثنا الحجاج، قال: ثنا حماد، عن عاصم، عن زِرّ، عن ابن مسعود، قال: الحَفَدة: الأختان.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا ابن عيينة، عن عاصم بن أبى النَّجُود، عن زِرّ بن حُبَيش، قال: قال لى عبد الله بن مسعود: ما الحفَدة يا زِرّ؟ قال: قلت: هم أحفاد الرجل، من ولده وولد ولده، قال: لا، هم الأصهار.

وقال آخرون: هم أعوان الرجل وخدمه.

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن خالد بن خِدَاش، قال: ثنى سَلْم بن قُتيبة، عن وهب بن حبيب الأَسَدىّ، عن أبى حمزة، عن ابن عباس، سئل عن قوله (بَنِينَ وَحَفَدَةً) قال: من أعانك فقد حَفَدَك، أما سمعت قول الشاعر:

حَفَدَ الوَلائِدُ حَوْلَهُنَّ وأُسْلِمَتْ بِأكُفِّهِنَّ أزِمَّةُ الأجْمالِ[1]

حدثنا هَنَّاد، قال: ثنا أبو الأحوص، عن سِماك، عن عكرمة، فى قوله (بَنِينَ وَحَفَدَةً) قال: الحفدة: الخُدّام.

---

(١) استشهد بالبيت أبو عبيدة فى مجاز القرآن: (١: ٣٦٤) ونسبه لجميل بن عبد الله بن معمر العذرى. قال عند قوله تعالى «بنين وحفدة»: أعوانا وخداما، قال جميل: «حفد الولائد ... الخ. واحدهم حافد، خرج مخرج كامل. والجميع: كملة: وقال فى (اللسان: حفد) يحفد بالكسر حفدا، وحفدانا، واحتفد: خف فى العمل وأسرع، وحفد يحفد حفدا: خدم. الأزهرى: الحفد فى الخدمة والعمل: الخفة، وأنشد (حفد الولائد ...) البيت.

حدثني محمد بن خالد بن خِداش، قال: ثني سَلْم بن قُتيبة، عن حازم بن إبراهيم البَجَلي، عن سماك، عن عكرمة، قال: قال: الحَفَدة: الخُدّام.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا عمران بن عيينة، عن حصين، عن عكرمة، قال: هم الذين يُعينون الرجل، من ولده وخدمه.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن الحكَم بن أبان، عن عكرمة: (وَحَفَدَةً) قال: الحفدة: من خدمك مِنْ ولدك.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا يحيى بن آدم، عن سلام بن سليم، وقيس عن سِماك، عن عكرمة، قال: هم الخدم.

حدثنا أحمد، قال: ثنا أبو أحمد، قال: ثنا سلام أبو الأحوص، عن سماك، عن عكرمة، مثله.

حدثني محمد بن خالد، قال: ثني سلَمة، عن أبي هلال، عن الحسن، في قوله (بَنِينَ وَحَفَدَةً) قال: البنين وبني البنين، مَن أعانك من أهل وخادم فقد حفدك.

حدثني المثنى، قال: ثنا عمرو بن عون، قال: أخبرنا هشيم، عن منصور، عن الحسن، قال: هم الخَدَم.

حدثني محمد بن خالد وابن وكيع، ويعقوب بن إبراهيم، قالوا: ثنا إسماعيل بن عُلَيَة، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قال: الحَفَدة: الخَدَم.

حدثنا أحمد بن إسحاق، قال: ثنا أبو أحمد؛ وحدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي؛ وحدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، جميعا عن سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد (بَنِينَ وَحَفَدَةً) قال: ابنه وخادمه.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء؛ وحدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله تعالى (بَنِينَ وَحَفَدَةً) قال: أنصارا وأعوانا وخُدّاما.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا زمعة، عن ابن طاوس، عن أبيه، قال: الحفدة: الخدم.

حدثنا ابن بشار مرّة أخرى، قال: ابنه وخادمه.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قال: (وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً) مَهَنَة يَمْهنونك ويخدمونك من ولدك، كرامة أكرمكم الله بها.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا عبد الله، عن إسرائيل، عن السُّدّي، عن أبي مالك: الحَفَدة، قال: الأعوان.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن سفيان، عن حصين، عن عكرمة، قال: الذين يعينونه.

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا مَعْمر ، عن الحكَم بن أبان ، عن عكرمة ، فى قوله (بَنِينَ وَحَفَدَةً) قال : الحفدة : من خدمك من ولدك وولد ولدك .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن التيمىّ ، عن أبيه ، عن الحسن ، قال : الحَفَدة : الخَدَم .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو نعيم ، قال : ثنا سفيان ، عن حصين ، عن عكرمة (بَنِينَ وَحَفَدَةً) قال : ولده الذين يعينونه .

وقال آخرون : هم ولد الرجل وولد ولده .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا عبد الصمد ، قال : ثنا شعبة ، عن أبى بشر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس (وَحَفَدَةً) قال : هم الولد وولد الولد .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبى بشر ، عن مجاهد وسعيد بن جبير ، عن ابن عباس فى هذه الآية (بَنِينَ وَحَفَدَةً) قال : الحَفَدة : البنون .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا غُنْدَر ، عن شعبة ، عن أبى بشر ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبى بكر ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : بنوك حين يحفدونك ويرفدونك ويعينونك ، ويخدمونك ، قال حميد :

حُفَدَ الوَلائِدُ حَوْلَهُنَّ وأُسْلِمَتْ ... بِأَكُفِّهِنَّ أَزِمَّةَ الأَجْمالِ [1]

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً) قال : الحفدة : الخدم من ولد الرجل : هم ولده ، وهم يخدمونه ؛ قال : وليس تكون العبيد من الأزواج ، كيف يكون من زوجى عبد ؟ إنما الحفدة : ولد الرجل وخدمه .

حُدِّثت عن الحسين بن الفَرَج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول ، فى قوله (بَنِينَ وَحَفَدَةً) يعنى : ولد الرجل يحفِدونه ويخدُمونه ، وكانت العرب إنما تخدمهم أولادهم الذكور .

وقال آخرون : هم بنو امرأة الرجل من غيره .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً) يقول : بنو امرأة الرجل ليسوا منه ، ويقال : الحَفَدة : الرجل يعمل بين يدى الرجل ، يقول : فلان يحفد لنا ، ويزعم رجال أن الحفدة أُخْتان [2] الرجل .

☆ والصواب من القول فى ذلك عندى : أن يقال : إن الله تعالى أخبر عباده معرفَهم نعمه عليهم ، فيما جعل

(١) سبق الاستشهاد بالبيت قريبا فى صفحة ١٤٤ فراجعه ثمة .

(٢) الأختان : جمع خِتْن ، بسكون التاء ، وهو زوج بنت الرجل .

لهم من الأزواج والبنين ، فقال تعالى (وَاللهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا ، وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً) فأعلمهم أنه جعل لهم من أزواجهم بنين وحفدة ، والحفدة فى كلام العرب : جمع حافد ، كما الكذبة : جمع كاذب ، والفسقة : جمع فاسق . والحافد فى كلامهم : هو المتخفف فى الخدمة والعمل . والحفد : خفة العمل . يقال : مرّ البعير يحفد حفدانا : إذا مرّ يُسرع فى سيره . ومنه قولهم : إليك نسعى ونحفد : أى نسرع إلى العمل بطاعتك . يقال منه : حَفَدَ له يحفد حَفْدا وحُفودا وحَفَدانا ، ومنه قول الراعى :

كَلَّفْتُ مَجْهُولَهَا نُوقا يَمَانِيَةً ... إذا الحُدَاةُ على أكْسائها حَفَدُوا[1]

وإذ كان معنى الحفدة ماذكرنا ، من أنهم المسرعون فى خدمة الرجل ، المتخففون فيها ، وكان الله تعالى ذكره أخبرنا أن مما أنعم به علينا ، أن جعل لنا حَفَدة تحفد لنا ، وكان أولادنا وأزواجنا الذين يصلحون للخدمة منا ومن غيرنا ، وأختاننا الذين هم أزواج بناتنا من أزواجنا ، وخدمنا من مماليكنا ، إذا كانوا يحفدوننا ، فيستحقون اسم حَفَدة ، ولم يكن الله تعالى دلّ بظاهر تنزيله ، ولا على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم ، ولا بحجة عقل ، على أنه عنى بذلك نوعا من الحَفَدة ، دون نوع منهم ، وكان قد أنعم بكلّ ذلك علينا ، لم يكن لنا أن نوجه ذلك إلى خاصّ من الحفدة دون عام ، إلا ما اجتمعت الأمة عليه ، أنه غير داخل فيهم ؛ وإذا كان ذلك كذلك ، فلكلّ الأقوال التى ذكرنا عمن ذكرنا وجه فى الصحة ، ومَخْرج فى التأويل . وإن كان أولى بالصواب من القول : ما اخترنا ، لما بيّنا من الدليل .

وقوله (وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ) يقول : ورزقكم من حلال المعاش والأرزاق والأقوات . (أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ) يقول تعالى ذكره : يحرّم عليهم أولياء الشيطان ، من البحائر والسوائب والوصائل ، فيصدّق هؤلاء المشركون بالله . (وَبِنِعْمَةِ اللهِ هُمْ يَكْفُرُونَ) يقول : وبما أحلّ الله لهم من ذلك ، وأنعم عليهم بإحلاله . يكفرون . يقول : ينكرون تحليله ، ويجحدون أن يكون الله أحله .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ (٧٣) فَلَا تَضْرِبُوا لِلهِ الْأَمْثَالَ ، إِنَّ اللهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٧٤)

يقول تعالى ذكره : ويعبد هؤلاء المشركون بالله من دونه أوثانا ، لاتملك لهم رزقا من السموات ، لأنها لاتقدر على إنزال قطر منها لإحياء موتان الأرضين . والأرض : يقول : ولا تملك لهم أيضا رزقا من الأرض

(١) الأكساء : واحدها كسى ، يوزن قفل ، وهو مؤخر العجز ، أو مؤخر كل شىء ، والجمع أكساء (اللسان : كسا) . وقال فى (كسأ) : كسء كل شىء وكسوءه : مؤخره . وكسء الشهر وكسوءه : آخره ، قدر عشر بقين منه ... وأنشد أبو عبيدة :

كلفت مجهولها ... إذا الحداد ... حفدوا

ولعل « الحداد » فى رواية الأزهرى : محرفة عن الحداة .

لأنها لاتقدر على إخراج شيء من نباتها وثمارها لهم، ولا شيئا مما عدّد تعالى فى هذه الآية، أنه أنعم بها عليهم. (وَلا يَسْتَطِيعُونَ) يقول: ولا تملك أوثانهم شيئا من السموات والأرض، بل هى وجميع ما فى السموات والأرض لله ملك. ولا يستطيعون: يقول: ولا تقدر على شيء.

وقوله (فَلا تَضْرِبُوا لِلهِ الأَمْثالَ) يقول: فلا تمثلوا لله الأمثال، ولا تشبّهوا له الأشباه، فإنه لامِثْل له، ولا شِبْه.

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى، قال: ثنا أبو حُذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد: الأمثال الأشباه.

وحدثنى محمد بن سعد، قال: ثنى أبى، قال: ثنى عمى، قال: ثنى أبى، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله (فَلا تَضْرِبُوا لِلهِ الأَمْثالَ) يعنى اتخاذهم الأصنام، يقول: لاتجعلوا معى إلها غيرى، فإنه لاإله غيرى.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مالا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقا مِنَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ شَيْئا وَلا يَسْتَطِيعُونَ) قال: هذه الأوثان التى تُعْبد من دون الله، لاتملك لمن يعبدها رزقا، ولا ضرّا ولا نفعا، ولاحياة ولا نشورا. وقوله (فَلا تَضْرِبُوا لِلهِ الأَمْثالَ) فإنه أحَد صَمَد، لم يَلِد، ولم يُولَد، ولم يكن له كُفُوًا أحد. (إنَّ اللهَ يَعْلَمُ وأَنْتُمْ لاتَعْلَمون) يقول: والله أيها الناس يعلم خطأ ما تمثلون وتضربون من الأمثال، وصوابه، وغير ذلك من سائر الأشياء، وأنتم لاتعلمون صواب ذلك من خطئه.

واختلف أهل العربية فى الناصب قوله (شَيْئاً) فقال بعض البصريين: هو منصوب على البدل من الرزق، وهو فى معنى: لايملكون رزقا قليلا ولا كثيرا. وقال بعض الكوفيين: نصب شيئا بوقوع الرزق عليه، كما قال تعالى ذكره (أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ كِفاتاً أَحْياءً وأَمْوَاتاً): أى تَكْفِت الأحياء والأموات، ومثله قوله تعالى ذكره (أَوْ إطْعامٌ فِي يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ يَتِيما ذا مَقْرَبَةٍ، أَوْ مِسْكِينا ذا مَتْرَبَةٍ). قال: ولو كان الرزق مع الشيء لجاز خفضه، لايملك لكم رزق شيء من السموات، ومثله (فَجَزَاءٌ مِثْلُ ما قَتَلَ مِنَ النَّعَم).

القول فى تأويل قوله تعالى

ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً عَبْدًا مَّمْلُوكًا لاَّ يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ، وَمَن رَّزَقْنَـٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا، فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا، هَلْ يَسْتَوُونَ؟ اَلْحَمْدُ لِلهِ، بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ (٧٥)

يقول تعالى ذكره: وشبّه لكم شبّها أيها الناس، للكافر من عبيده، والمؤمن به منهم. فأما مثل الكافر:

فإنه لايعمل بطاعة الله ، ولا يأتى خيرا ، ولا ينفق فى شىء من سبيل الله ماله ، لغلبة خذلان الله عليه ، كالعبد المملوك ، الذى لايقدر على شىء فينفقه . وأما المؤمن بالله ، فإنه يعمل بطاعة الله ، وينفق فى سبيله ماله ، كالحرّ الذى آتاه الله مالا ، (فهوَ يُنْفق منه سِرّا وجَهْرا) ، يقول : بعلم من الناس وغير علم . (هَلْ يَسْتَوُونَ ؟) : يقول هل يستوى العبد الذى لايملك شيئا ولا يقدر عليه ، وهذا الحرّ الذى قد رزقه الله رزقا حسنا ، فهو ينفق كما وَصَف ؟ فكذلك لايستوى الكافر العامل بمعاصى الله ، المخالف أمره ، والمؤمن العامل بطاعته .

وبنحو ما قلنا فى ذلك كان بعض أهل العلم يقول .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً عَبْدًا مَمْلُوكا لايَقْدِرُ على شَيْءٍ) هذا مثل ضربه الله للكافر ، رزقه مالا ، فلم يقدّم فيه خيرا ، ولم يعمل فيه بطاعة الله ، قال الله تعالى ذكره (وَمَنْ رَزَقْناهُ مِنَّا رِزْقاً حَسَناً) ، فهذا المؤمن أعطاه الله مالا ، فعمل فيه بطاعة الله ، وأخذ بالشكر ، ومعرفة حقّ الله ، فأثابه الله على ما رزقه الرزق المقيم الدائم لأهله فى الجنة ، قال الله تعالى ذكره (هَلْ يَسْتَوِيانِ مَثَلاً) ؟ والله ما يستويان . (الحَمْدُ لِلهِ ، بَلْ أكْثَرُهُمْ لايَعْلَمُونَ) .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (عَبْدًا مَمْلُوكا لايَقْدِرُ عَلى شَيْءٍ) قال : هو الكافر لايعمل بطاعة الله ، ولا ينفق خيرا (وَمَنْ رَزَقْناهُ مِنَّا رِزْقاً حَسَناً) قال : المؤمن يطيع الله فى نفسه وماله .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً عَبْدًا مَمْلُوكا لايَقْدِرُ عَلى شَيْءٍ) يعنى : الكافر ، أنه لايستطيع أن ينفق نفقة فى سبيل الله . (وَمَنْ رَزَقْناهُ مِنَّا رِزْقاً حَسَناً ، فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرّا وَجَهْرًا) يعنى المؤمن ، وهذا المثل فى النفقة .

وقوله (الحَمْدُ لِلهِ) يقول : الحمد الكامل لله خالصا ، دون ماتَدْعُون أيها القوم من دونه من الأوثان ، فإياه فاحمدوا دونها . وقوله (بَلْ أكْثَرُهُمْ لايَعْلَمُونَ) يقول : ما الأمر كما تفعلون ، ولا القول كما تقولون ، ما للأوثان عندهم من يد ولا معروف ، فتحمد عليه ، إنما الحمد لله ، ولكن أكثر هؤلاء الكفرة الذين يعبدونها ، لايعلمون أن ذلك كذلك ، فهم بجهلهم بما يأتون ويَذَرون ، يجعلونها لله شركاء فى العبادة والحمد .

وكان مجاهد يقول : ضرب الله هذا المثل ، والمثل الآخرَ بعده لنفسه ، والآلهة التى تعبد من دونه .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ ، وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ ، هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ ، وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٧٦)

* وهذا مثل ضربه الله تعالى لنفسه ، والآلهة التى تُعبد من دونه ، فقال تعالى ذكره : (وَضَرَبَ اللهُ مَثَلاً رَجُلَيْنِ ، أحَدُهُما أبْكَمُ لا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ) يعنى بذلك الصنم ، أنه لا يسمع شيئا ، ولا ينطق ، لأنه إما خشب منحوت ، وإما نحاس مصنوع ، لا يقدر على نفع لمن خدمه ، ولا دفع ضرّ عنه ، وهو كَلّ على مولاه : يقول : وهو عيال على ابن عمه وحُلفائه وأهل ولايته ، فكذلك الصنمُ كَلّ على من يعبده ، يحتاج أن يحمله ، ويضعه ، ويخدمه ، كالأبكم من الناس ، الذى لا يقدر على شىء ، فهو كلّ على أوليائه من بنى أعمامه وغيرهم (أيْنَما يُوَجِّهْهُ لا يَأْتِ بِخَيْرٍ) يقول : حيثما يوجهه لا يأت بخير ، لأنه لا يفهم ما يُقال له ، ولا يقدر أن يعبر عن نفسه ما يريد ، فهو لا يفهم ، ولا يُفْهَم عنه ، فكذلك الصنم ، لا يعقل ما يقال له ، فيأتمر لأمر من أمره ، ولا ينطق فيأمر وينهى . يقول الله تعالى (هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بالعَدْلِ) يعنى : هل يستوى هذا الأبكم الكلّ على مولاه ، الذى لا يأتى بخير حيث توجه ، ومن هو ناطق متكلم ، يأمر بالحقّ ، ويدعو إليه ، وهو الله الواحد القهار ، الذى يدعو عباده إلى توحيده وطاعته ؛ يقول : لا يستوى هو تعالى ذكره ، والصنم الذى صفته ما وصف . وقوله (وهُوَ على صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ) يقول : وهو مع أمره بالعدل ، على طريق من الحقّ فى دعائه إلى العدل ، وأمره به مستقيم ، لا يَعْوجّ عن الحقّ ، ولا يزول عنه .

وقد اختلف أهل التأويل فى المضروب له هذا المثل ، فقال بعضهم فى ذلك بنحو الذى قلنا فيه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (لا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ) قال : هو الوثن (هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بالعَدْلِ) قال : الله يأمر بالعدل (وَهُوَ عَلَى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ) وكذلك كان مجاهد يقول : إلا أنه كان يقول : المثل الأوّل أيضا ضربه الله لنفسه وللوثن .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حُذيفة ، قال : ثنا شبل ، جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله تعالى ذكره (عَبْدًا مَمْلُوكا لا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ ، وَمَنْ رَزَقْناهُ مِنَّا رِزْقاً حَسَناً - وَرَجُلَيْنِ أحَدُهُما أبْكَمُ - وَمَنْ يَأْمُرُ بالعَدْلِ) قال : كل هذا مثل إله الحقّ ، وما يُدعَى من دونه من الباطل .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن جويبر ، عن الضحاك (وَضَرَبَ اللهُ مَثَلا رَجُلَيْنِ ، أحَدُهُما أبْكَمُ) قال : إنما هذا مثل ضربه الله .

وقال آخرون : بل كلا المثلين للمؤمن والكافر ، وذلك قول يُروَى عن ابن عباس ، وقد ذكرنا الرواية عنه فى المثل الأوّل فى موضعه .

وأما فى المثل الآخر ، فحدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن

أبيه ، عن ابن عباس (وَضَرَبَ اللهُ مَثَلاً رجُلَيْنِ أحَدُهُما أبْكَمُ لا يَقْدِرُ عَلى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ على مَوْلاهُ) . . . إلى آخر الآية ، يعنى بالأبكم : الذى هو كَلٌّ على مولاه : الكافر ، وبقوله (وَمَنْ يَأْمُرُ بالعَدْلِ) المؤمن . وهذا المثل فى الأعمال .

حدثنا الحسن بن الصباح البزار ، قال : ثنا يحيى بن إسحاق السيلحينى ، قال : ثنا حماد ، عن عبد الله بن عثمان بن خثيم ، عن إبراهيم ، عن عكرمة ، عن يَعْلَى بن أمية ، عن ابن عباس ، فى قوله (ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً عَبْدًا مَمْلُوكا) قال : نزلت فى رجل من قريش وعبده . وفى قوله (مَثَلاً رَجُلَيْنِ : أحَدُهُما أبْكَمُ لا يَقْدِرُ على شَيْءٍ) . . . إلى قوله (وَهُوَ عَلى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) قال : هو عثمان بن عفان . قال : والأبكم الذى أينما يُوَجِّهُهُ لا يأت بخير ، ذاك مولى عثمان بن عفان ، كان عثمان ينفق عليه ويكفله ، ويكفيه المئونة ، وكان الآخر يكره الإسلام ويأباه ، وينهاه عن الصدقة والمعروف ، فنزلت فيهما .

⁂ وإنما اخترنا القول الذى اخترناه فى المثل الأوّل ، لأنه تعالى ذكره ، مثّل مثل الكافر بالعبد الذى وصف صفته ، ومَثَّل مَثَلَ المؤمن بالذى رزقه رزقا حسنا ، فهو ينفق مما رزقه سرّا وجهرا ، فلم يجز أن يكون ذلك لله مثلا ، إذ كان الله إنما مثّل الكافر الذى لا يقدر على شىء ، بأنه لم يرزقه رزقا ينفق منه سرّا ؛ ومثّل المؤمن الذى وفّقه الله لطاعته فهداه لرشده ، فهو يعمل بما يرضاه الله ، كالحرّ الذى بسط له فى الرزق ، فهو ينفق منه سرّا وجهرا ، والله تعالى ذكره هو الرازق غير المرزوق ، فغير جائز أن يمثل إفضاله وجوده ، بإنفاق المرزوق الرزق الحسن . وأما المثل الثانى ، فإنه تمثيل منه تعالى ذكره مَنْ مثله الأبكم الذى لا يقدر على شىء ، والكفار لاشكّ أن منهم من له الأموال الكثيرة ، ومن يضرّ أحيانا الضرّ العظيم بفساده ، فغير كائن ما لا يقدر على شىء ، كما قال تعالى ذكره ، مثلا لمن يقدر على أشياء كثيرة . فإذا كان ذلك كذلك ، كان أولى المعانى به ، تمثيل ما لا يقدر على شىء ، كما قال تعالى ذكره ، بمثله ما لا يقدر على شىء ، وذلك الوثن الذى لا يقدر على شىء ، بالأبكم الكَلّ على مولاه ، الذى لا يقدر على شىء كما قال ووصف .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ ، وَمَآ أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ، إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٧٧)

⁂ يقول تعالى ذكره : ولله أيها الناس ملك ما غاب عن أبصاركم فى السموات والأرض ، دون آلهتكم التى تدعون من دونه ، ودون كلّ ما سواه ، لا يملك ذلك أحد سواه (وَما أمْرُ السَّاعَةِ إلاَّ كَلَمْحِ البَصَرِ) : يقول : وما أمر قيام القيامة والساعة التى تنشر فيها الخلق ، للوقوف فى موقف القيامة ، إلا كنظرة من البصر ، لأن ذلك إنما هو أن يقال له : كن ، فيكون .

كما حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (إلاَّ كَلَمْحِ البَصَرِ ، أوْ هُوَ أقْرَبُ) والساعة : كلمح البصر ، أو أقرب .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة (وَما أمْرُ السّاعَةِ إلاّ كَلَمْحِ البَصَرِ) قال : هو أن يقول : كن ، فهو كلمح البصر ، فأمر الساعة كلمح البصر أو أقرب ؛ يعنى يقول : أو هو أقرب من لمح البصر .

وقوله (إنّ اللهَ عَلَى كُلّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) يقول : إن الله على إقامة الساعة فى أقرب من لمح البصر قادر ، وعلى ما يشاء من الأشياء كلها ، لايمتنع عليه شىء أراده .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ، لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٧٨)

يقول تعالى ذكره : والله تعالى أعلمكم مالم تكونوا تعلمون من بعد ما أخرجكم ، من بطون أمهاتكم لاتعقلون شيئا ولا تعلمون ، فرزقكم عقولا تفقهون بها ، وتميزون بها الخير من الشرّ ، وبصّركم بها مالم تكونوا تبصرون ، وجعل لكم السمع الذى تسمعون به الأصوات ، فيفقه بعضكم عن بعض ماتتحاورون به بينكم ، والأبصار التى تبصرون بها الأشخاص ، فتتعارفون بها ، وتميزون بها بعضا من بعض . والأفئدة : يقول : والقلوب التى تعرفون بها الأشياء فتحفظونها ، وتفكرون فتفقهون بها . (لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) : يقول : فعلنا ذلك بكم ، فاشكروا الله على ما أنعم به عليكم من ذلك ، دون الآلهة والأنداد ، فجعلتم له شركاء فى الشكر ، ولم يكن له فيما أنعم به عليكم من نعمة ، شريك .

وقوله (وَاللهُ أخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمّهاتِكُمْ لاتَعْلَمُونَ شَيْئا) : كلام متناه ، ثم ابتدئ الخبر ، فقيل : وجعل الله لكم السمع والأبصار والأفئدة . وإنما قلنا ذلك كذلك ، لأن الله تعالى ذكره جعل العبادة والسمع والأبصار والأفئدة ، قبل أن يخرجهم من بطون أمهاتهم ، وإنما أعطاهم العلم والعقل بعد ما أخرجهم من بطون أمهاتهم .

القول فى تأويل قوله تعالى

أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ ، إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٧٩)

يقول تعالى ذكره لهؤلاء المشركين : ألم تروا أيها المشركون بالله ، إلى الطير مسخرات فى جوّ السماء ، يعنى : فى هواء السماء ، بينها وبين الأرض ، كما قال إبراهيم بن عمران الأنصارىّ :

وَيْلُ أمِّها مِنْ هَوَاءِ الجَوّ طالِبَةً ... وَلا كَهذا الّذِى فى الأرْضِ مَطْلُوبُ[1]

(١) البيت نسبه المؤلف إلى إبراهيم بن عمران الأنصارى . ونسبه البغدادى فى الخزانة (٢ : ١١٢) لامرئ القيس بن حجر الكندى =

يعنى : فى هواء السماء (ما يُمْسِكُهُنَّ إلاَّ اللهُ) يقول : ما طيرانها فى الجوّ إلا بالله ، وبستخيره إياها بذلك ، ولو سلبها ما أعطاها من الطيران، لم تقدر على النهوض ارتفاعا . وقوله (إنَّ فِى ذلكَ لآياتٍ لقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) يقول : إن فى تسخير الله الطير ، وتمكينه لها الطيران فى جوّ السماء ، لعلامات ودلالات، على أن لاإلهَ إلا اللهُ وحدَه لاشريك له، وأنه لاحظ للأصنام والأوثان فى الألوهة . (لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) يعنى : لقوم يقرّون بوجدان ما تعاينه أبصارهم ، وتحسه حواسهم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيدُ ، قال: ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (مُسَخَّرَاتٍ فِى جَوِّ السَّمَاءِ) : أى فى كبد السماء .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا، وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ ، وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ . (٨٠)

يقول تعالى ذكره (وَاللهُ جَعَلَ لَكُمْ) أيها الناس (مِنْ بُيُوتِكُمْ) التى هى من الحجر والمَدَر. (سَكَنا) تسكنون أيام مُقامكم فى دوركم وبلادكم . (وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ جُلُودِ الأَنْعامِ بُيُوتا) وهى البيوت من الأنطاع ، والفساطيط من الشعر والصوف والوبر (تَسْتَخِفُّونَها) يقول : تستخفون حملها ونقلها (يَوْمَ ظَعْنِكُمْ) من بلادكم وأمصاركم لأسفاركم (وَيَوْمَ إقامَتِكُمْ) فى بلادكم وأمصاركم . (وَمِنْ أصْوَافِها وأوْبارِها وأشْعارِها أثاثاً) .

وبنحو الذى قلنا فى معنى السكن ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث، قال : ثنا الحسن ،

= وعزى فى الكتاب لسيبويه مرة إلى امرئ القيس (١ : ٣٥٣) ومرة (٢ : ٢٧٢) إلى النعمان بن بشير الأنصارى . وذكر البغدادى المقطوعة التى منها البيت ، وهى عشرة أبيات ، ونسبها لامرئ القيس ، ومطلعها :

الخير ما طلعت شمس وما غربت مطلب بنواحى الخيل معصوب

وبيت الشاهد هو الثامن فى المقطوعة ، وأوله : « لاكالتى فى هواء » . . . الخ . وقال ابن رشيق فى العمدة : هذا البيت عند دعبل ، أشعر بيت قالته العرب ، وبه قدمه على الشعراء . وقوله : ويلمها : هذا فى صورة الدعاء على الشىء، والمراد به التعجب . والضمير المؤنث يراد به العقاب . والجو : مابين السماء والأرض ، وأراد بالمطلوب الذئب ، لأنه وصف عقابا تبعت ذئبا لتصيده ، فتعجب منها فى شدة طلبها ، وتعجب من الذئب أيضا فى سرعته ، وشدة هربه منها .

واستشهد المؤلف بالبيت عند تفسير قوله تعالى « ألم يروا إلى الطير مسخرات فى جو السماء » : أى فى هواء السماء، بينها وبين الأرض، كما استشهد أبو عبيدة من قبله فى مجاز القرآن (١ : ٣٦٥) على أن جو السماء : أى الهواء .

قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله تعالى (مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا) قال : تسكنون فيه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله . وأما الأشعار فجمع شَعْر ، تثقل عينه وتخفف ، وواحد الشَّعْر شَعْرة . وأما الأثاث فإنه متاع البيت ، لم يسمع له بواحد ، وهو فى أنه لا واحد له مثل المتاع . وقد حكى عن بعض النحويين أنه كان يقول : واحد الأثاث : أثاثة ، ولم أر أهل العلم بكلام العرب يعرفون ذلك ، ومن الدليل على أن الأثاث هو المتاع ، قول الشاعر :

أهاجَتْكَ الظَّعائِنُ يَوْمَ بانُوا بِذِى الرِّئْىِ الجَمِيلِ مِنَ الأثاثِ؟[1]

ويروى : بذى الزىّ ، وأنا أرى أصل الأثاث : اجتماع بعض المتاع إلى بعض ، حتى يكثر ، كالشعر الأثيث ، وهو الكثير الملتفّ ، يقال منه ، أثّ شعر فلان يئِثّ أثًّا : إذا كثر والتفّ واجتمع .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (أثاثا) يعنى بالأثاث : المال .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثنى المثنى ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، جميعا عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله تعالى (أثاثا) قال : متاعا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (أثاثا) قال : هو المال .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن حرب الرازىّ ، قال : أخبرنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن حميد بن عبد الرحمن ، فى قوله (أثاثا) قال : الثياب ،

وقوله (ومَتاعا إلى حِينٍ) فإنه يعنى : أنه جعل ذلك لهم بلاغا ، يتبلَّغون ويكتفون به إلى حين آجالهم للموت .

كما حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، (ومَتاعا إلى حِينٍ) فإنه يعنى : زينة : يقول : ينتفعون به إلى حين .

---

(١) البيت لمحمد بن نمير الثقفى ، وكان يشبب بزينب أخت الحجاج بن يوسف الثقفى ، فتوعده ، فهرب منه (خبره فى الكامل للمبرد ٢٨٩) والبيت من كلمة له (الكامل ٣٧٦) ، وفى (اللسان : رأى) قال : قال الفراء الرئى : المنظر وأهل المدينة يقرءون الآية (وريا) بغير همز . قال : وهو وجه جيد من رأيت ، لأنه من آيات لسن مهموزات الأواخر . وقال الجوهرى : من همزه جعله من المنظر من رأيت ، وهو : ما رأته العين من حال حسنة ، وكسوة ظاهرة . وأنشد أبو عبيد لمحمد بن نمير الثقفى :

أشاقتك الظعائن يوم بانوا بذى الرئى الجميل من الأثاث

ومن لم يهمزه : إما أن يكون على تخفيف الهمزة ، أو يكون من « رويت ألوانهم وجلودهم » : أى امتلأت وحسنت . وأثاثا : أى متاعا . قاله أبو عبيدة فى مجاز القرآن (١ : ٣٦٥) .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (ومتاعا إلى حين) قال : إلى الموت .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (ومتاعا إلى حين) إلى أجل وبلغة .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا ، وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا ، وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ ، وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ ، كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ (٨١)

يقول تعالى ذكره : ومن نعمة الله عليكم أيها الناس : أن جعل لكم مما خلق من الأشجار وغيرها ظلالا ، تستظلون بها من شدّة الحرّ وهى جمع ظلّ .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا الحكم بن بشير ، قال : ثنا عمرو ، عن قتادة ، فى قوله (مِمَّا خَلَقَ ظِلالاً) قال : الشجر .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلالاً) إىْ والله ، من الشجر ومن غيرها .

وقوله (وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانا) يقول : وجعل لكم من الجبال مواضع تسكنون فيها ، وهى جمع كنّ .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانا) يقول : غيرانا من الجبال يُسْكَنُ فيها (وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ) يعنى ثياب القطن والكتان والصوف وقُمُصَها .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ) من القطن والكتان والصوف .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ) قال : القطن والكتان .

وقوله (سَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ) يقول : ودروعا تقيكم بأسكم ، والبأس : هو الحرب ، والمعنى : تقيكم فى بأسكم السلاحَ أن يصلَ إليكم .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ) من هذا الحديد .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ) قال : هى سرابيل من حديد .

وقوله (كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ) يقول تعالى ذكره : كما أعطاكم ربكم هذه الأشياء التى وصفها فى هذه الآيات ، نعمة منه بذلك عليكم ، فكذا يُتمّ نعمته عليكم لعلكم تسلمون. يقول : لتخضعوا لله بالطاعة ، وتذلّ منكم بتوحيده النفوس ، وتخلصوا له العبادة . وقد رُوِى عن ابن عباس ، أنه كان يقرأ (لَعَلَّكُمْ تَسْلَمُونَ) بفتح التاء .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرحمن بن أبى حماد ، قال : ثنا ابن المبارك ، عن حنظلة ، عن شهر بن حَوْشب ، قال : كان ابن عباس يقول (لَعَلَّكُمْ تَسْلَمُونَ) قال : يعنى من الجراح .

حدثنا أحمد بن يوسف ، قال : ثنا القاسم بن سلام ، قال : ثنا عباد بن العوّام ، عن حنظلة السَّدوسىّ ، عن شهر بن حَوْشب ، عن ابن عباس ، أنه قرأها (لَعَلَّكُمْ تَسْلَمُونَ) من الجراحات . قال أحمد بن يوسف : قال أبو عبيد : يعنى بفتح التاء واللام .

فتأويل الكلام على قراءة ابن عباس هذه : كذلك يتمّ نعمته عليكم ، بما جعل لكم من السرابيل التى تقيكم بأسكم ، لتسلموا من السلاح ، فى حروبكم . والقراءة التى لا أستجيز القراءة بخلافها : بضم التاء من قوله : (لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ) وكسر اللام من أسلمت تُسْلِم ياهذا ، لإجماع الحجة من قرّاء الأمصار عليها .

فإن قال لنا قائل : وكيف قيل جعل لكم سرابيل تقيكم الحرّ ، فخصّ بالذكر الحرّ دون البرد ، وهى تقى الحرّ والبرد ، أم كيف قيل (وجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الجِبالِ أكْنانا) ، وترك ذكر ما جعل لهم من السهل ؟ قيل له : قد اختُلف فى السبب الذى من أجله جاء التنزيل كذلك ، وسنذكر ما قيل فى ذلك ، ثم ندلّ على أولى الأقوال فى ذلك بالصواب .

فرُوِى عن عطاء الخراسانىّ فى ذلك ، ماحدثنى الحارث ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا محمد بن كثير ، عن عثمان بن عطاء ، عن أبيه ، قال : إنما نزل القرآن على قدر معرفتهم ، ألا ترى إلى قول الله تعالى ذكره (وَاللهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلالاً ، وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الجِبالِ أكْنانا) وما جعل لهم من السهول أعظم وأكثر ، ولكنهم كانوا أصحاب جبال ، ألا ترى إلى قوله (ومِنْ أصْوافِها وأوْبارِها وأشْعارِها أثاثا وَمَتاعا إلى حِينٍ) وما جعل لهم من غير ذلك أعظم منه وأكثر ، ولكنهم كانوا أصحاب وَبَر وشَعَر ، ألا ترى إلى قوله (ويُنَزِّلُ مِنَ السَّماءِ مِنْ جِبالٍ فِيها مِنْ بَرَدٍ) ! يعجّبهم من ذلك ، وما أنزل من الثلج أعظم وأكثر ، ولكنهم كانوا لا يعرفون به ، ألا ترى إلى قوله (سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الحَرَّ) وما تَقِى من البرد أكثر وأعظم ، ولكنهم كانوا أصحاب حرّ ، فالسبب الذى من أجله خصّ الله تعالى ذكرُه السرابيلَ بأنها تقى الحرّ دون البرد ، على هذا القول : هو أن المخاطبين بذلك كانوا أصحاب حرّ ، فذكر الله تعالى ذكره نعمته عليهم ، بما يقيهم مكروه ما به عَرفوا مكروهه ، دون ما لم يعرفوا مبلغ مكروهه ، وكذلك ذلك فى سائر الأحرف الأُخَر .

وقال آخرون : ذكر ذلك خاصة اكتفاء بذكر أحدهما من ذكر الآخر ، إذ كان معلوما عند المخاطبين

به معناه : وأن السرابيل التى تقى الحرّ تقى أيضا البرد . وقالوا : ذلك موجود فى كلام العرب مستعمل ، واستشهدوا لقولهم بقول الشاعر :

وَما أدْرِى إذا يَمَّمْتُ وَجْهَا أُرِيدُ الخَيْرَ أيُّهُما يَلِينِى[1]

فقال : أيهما يلينى : يريد الخير أو الشرّ ، وإنما ذكر الخير ، لأنه إذا أراد الخير ، فهو يتقى الشرّ .

⁂ وأولى القولين فى ذلك بالصواب : قول من قال : إن القوم خوطبوا على قدر معرفتهم ، وإن كان فى ذكر بعض ذلك ، دلالةٌ على ماترك ذكره ، لمن عرف المذكور والمتروك ، وذلك أن الله تعالى ذكره ، إنما عدّد نعمه التى أنعمها على الذين قُصِدوا بالذكر فى هذه السورة دون غيرهم ، فذكر أياديَه عندهم .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَٰغُ الْمُبِينُ (٨٢) يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا ، وَأَكْثَرُهُمُ الْكَٰفِرُونَ (٨٣)

⁂ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : فإن أدبر هؤلاء المشركون يامحمد عما أرسلتك به إليهم من الحقّ ، فلم يستجيبوا لك ، وأعرضوا عنه ، فما عليك من لوم ولا عَذْل ، لأنك قد أدّيت ما عليك فى ذلك ؛ إنه ليس عليك إلا بلاغهم ما أرسلت به . ويعنى بقوله (المُبِينُ) الذى يَبين لمن سمعه حتى يفهمه .

وأما قوله (يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا) فإن أهل التأويل اختلفوا فى المعنىّ بالنعمة ، التى أخبر الله تعالى ذكره عن هؤلاء المشركين أنهم ينكرونها ، مع معرفتهم بها ، فقال بعضهم : هو النبىّ صلى الله عليه وسلم ، عرفوا نبوّته ، ثم جحدوها وكذبوه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن السدىّ (يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا) قال : محمد صلى الله عليه وسلم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن السُّدِّىّ ، مثله .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : أنهم يعرفون أن ماعدّد الله تعالى ذكره فى هذه السورة من النعم من عند الله ، وأن الله هو المنعم بذلك عليهم ، ولكنهم يُنكرون ذلك ، فيزعمون أنهم وَرِثوه عن آبائهم .

---

(١) البيت من شواهد الفراء فى معانى القرآن (ص ١٧٦) قال : وقوله « سرابيل تقيكم الحر » ، ولم يقل (والبرد) ، فترك ، لأن معناه معلوم ، والله أعلم ، كقول الشاعر : « وما أدرى . . . الخ البيت . يريد أن الخير والشر يلينى ، لأنه إذا أراد الخير ، فهو يتقى الشر . اهـ . وقد أفصح الشاعر فى البيت الذى بعده عن مراده ، وهو موافق لما قالوا :

أَأَلْخَيرُ الَّذِى أنا أبْتَغِيهِ أمِ الشَّرُّ الَّذِى هُوَ يَبْتَغِينِى ؟

والبيتان : لسحيم بن وثيل الرياحى ، من قصيدة مطلعها :

أفاطِمَ قَبلَ بَيْنِكِ مَتِّعِينِى ومَنْعُكِ ما سألتِ كأن تَبِينِى

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنا المثنى ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ؛ وحدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَها) قال : هى المساكن والأنعام ، ومايُرْزقون منها ، والسرابيلُ من الحديد والثياب ، تعرف هذا كفار قريش ، ثم تنكره ، بأن تقول : هذا كان لآبائنا ، فورّثونا[1] إياه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، بنحوه ، إلا أنه قال : فورّثونا إياها ، وزاد فى الحديث عن ابن جريج ، قال ابن جريج : قال عبد الله بن كثير : يعلمون أن الله خلقهم ، وأعطاهم ما أعطاهم ، فهو معرفتهم نعمته ، ثم إنكارهم إياها كفرهم بعد .

وقال آخرون فى ذلك ، ما حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا معاوية ، عن عمرو ، عن أبى إسحاق الفَزَارىّ ، عن ليث ، عن عون بن عبد الله بن عتبة (يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللهِ ثُمَّ يُنْكِرُونها) قال : إنكارهم إياها أن يقول الرجل : لولا فلان ما كان كذا وكذا ، ولولا فلان ما أصبت كذا وكذا .

وقال آخرون : معنى ذلك أن الكفار إذا قيل لهم : مَن رَزَقكم ؟ أقرّوا بأن الله هو الذى رزقهم ، ثم يُنكرون ذلك بقولهم : رزقنا ذلك بشفاعة آلهتنا .

☆☆ وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب ، وأشبهها بتأويل الآية : قول من قال : عُنِىَ بالنعمة التى ذكرها الله فى قوله (يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللهِ) النعمةُ عليهم بإرسال محمد صلى الله عليه وسلم إليهم ، داعيا إلى مابعثه بدعائهم إليه ، وذلك أن هذه الآية بين آيتين ، كلتاهما خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعما بُعث به ، فأولى ما بينهما أن يكون فى معنى ما قبله وما بعده ، إذ لم يكن معنى يدلّ على انصرافه عما قبله وعما بعده ، فالذى قبل هذه الآية قوله (فإنْ تَوَلَّوْا فإنَّمَا عَلَيْكَ البَلاغُ المُبِينُ ، يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَها) وما بعده (وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا) وهو رسولها . فإذا كان ذلك كذلك ، فمعنى الآية : يعرف هؤلاء المشركون بالله ، نعمة الله عليهم يامحمدُ بك ، ثم ينكرونك ، ويجحدون نبوّتك . (وأكْثَرُهُمُ الكافِرُونَ) يقول : وأكثر قومك الجاحدون نبوّتك ، لا المقرّون بها .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ، ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ، وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ (٨٤)

☆☆ يقول تعالى ذكره : يعرفون نعمة الله ثم يُنكرونها اليوم ، ويستنكرون (يَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا) وهو الشاهد عليها بما أجابت داعىَ الله ، وهو رسولهم الذى أرسل إليهم (ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا) يقول : ثم لايؤذن للذين كفروا فى الاعتذار ، فيعتذروا مما كانوا بالله وبرسوله يكفرون (وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ) فيتركوا الرجوعَ إلى الدنيا ، فينيبوا ويتوبوا ، وذلك كما قال تعالى (هَذَا يَوْمُ لَا يَنْطِقُونَ ، وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ) .

(١) قال فى اللسان : فى حديث أم زرع : وأراح على نعما ثريا : أى أعطانى . قال : والترويح : كالإراحة .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا) وشاهدها نبيها ، على أنه قد بلّغ رسالات ربه ، قال الله تعالى (وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ) .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ ، وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ (٨٥)

يقول تعالى ذكره : وإذا عاين الذين كذّبوك يامحمد ، وجحدوا نُبوّتك ، والأمم الذين كانوا على منهاج مشركى قومك ، عذابَ الله ، فلا ينجيهم من عذاب الله شىء ، لأنهم لايؤذن لهم ، فيعتذرون ، فيخفَّفُ عنهم العذاب ، بالعذر الذى يدَّعونه (وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ) يقول : ولا يُرْجَئُون للعقاب ، لأن وقت التوبة والإنابة قد فات ، فليس ذلك وقتا لهما ، وإنما هو وقت للجزاء على الأعمال ، فلا ينظر بالعتاب ليعتب بالتوبة .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ شُرَكَآءَهُمْ ، قَالُوا۟ : رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا۟ مِن دُونِكَ ، فَأَلْقَوْا۟ إِلَيْهِمُ ٱلْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَٰذِبُونَ (٨٦)

يقول تعالى ذكره : وإذا رأى المشركون بالله يوم القيامة ما كانوا يعبدون من دون الله ، من الآلهة والأوثان وغير ذلك ، قالوا : ربنا هؤلاء شركاؤنا فى الكفر بك ، والشركاء الذين كنا ندعوهم آلهة من دونك ، قال الله تعالى ذكره (فَأَلْقَوْا) يعنى : شركاءهم الذين كانوا يعبدونهم من دون الله . القول : يقول : قالوا لهم : إنكم لكاذبون أيها المشركون ، ما كنا ندعوكم إلى عبادتنا .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ) قال : حدّثوهم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَأَلْقَوْا۟ إِلَى ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ ٱلسَّلَمَ ، وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ (٨٧)

⁂ يقول تعالى ذكره : وألقى المشركون إلى الله يومئذ السَّلَم : يقول : استسلموا يومئذ، وذَلُّوا لحكمه فيهم، ولم تغن عنهم آلهتهم التى كانوا يدعون فى الدنيا من دون الله، وتبرأت منهم، ولا قومهم، ولا عشائرهم الذين كانوا فى الدنيا يدافعون عنهم ، والعرب تقول : ألقيت إليه كذا، تعنى بذلك: قلت له . وقوله (وَضَلَّ عَنْهُمْ ما كانُوا يَفْتَرُونَ) يقول : وأخطأهم من آلهتهم ما كانوا يأملون من الشفاعة عند الله، بالنجاة .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد ، قال: ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وألْقَوْا إلى اللهِ يَوْمَئِذِ السَّلَمَ) ، يقول : ذلوا واستسلموا يومئذ : (وَضَلَّ عَنْهُمْ ما كانُوا يَفْتَرُونَ) .

القول فى تأويل قوله تعالى

الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ (٨٨)

⁂ يقول تعالى ذكره : الذين جحدوا يامحمد نبوّتك، وكذّبوك فيما جئتهم به من عند ربك ، وصَدُّوا عن الإيمان بالله وبرسوله، ومن أراده، زدناهم عذابا يوم القيامة فى جهنم، فوق العذاب الذى هم فيه قبل أن يزادوه. وقيل : تلك الزيادة التى وعدهم الله أن يزيدهموها : عقارب وحيات.

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن عبد الله بن مرّة عن مسروق ، عن عبد الله (زِدْناهُمْ عَذَابا فَوْقَ العَذَابِ) قال : عقارب لها أنياب كالنخل .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن عبد الله بن مرّة ، عن مسروق ، عن عبد الله مثله .

حدثنا ابن وكيع ، قال: ثنا أبومعاوية وابن عيينة، عن الأعمش ، عن عبد الله بن مرّة ، عن مسروق، عن عبد الله (زِدْناهُمْ عَذَابا فَوْقَ العَذَابِ) قال : زيدوا عقارب لها أنياب كالنخل الطوال .

حدثنا إبراهيم بن يعقوب الجوزجانى ، قال : ثنا جعفر بن عون ، قال : أخبرنا الأعمش ، عن عبد الله ابن مرّة ، عن مسروق ، عن عبد الله ، مثله .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا ابن أبى عدىّ ، عن سعيد ، عن سليمان ، عن عبد الله بن مرّة ، عن مسروق ، عن عبد الله ، نحوه .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا إسرائيل ، عن السدىّ ، عن مرّة ، عن عبد الله قال (زِدْناهُمْ عَذَاباً فَوْقَ العَذَابِ) قال : أفاعِىَ .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبد الله ، عن إسرائيل ، عن السدىّ ، عن مرّة ، عن عبد الله ، قال : أفاعىَ فى النار .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن رجل ، عن مُرّة ، عن عبد الله ، مثله .

حدثنا مجاهد بن موسى والفضل بن الصباح ، قالا : ثنا جعفر بن عون ، قال : أخبرنا الأعمش ، عن مجاهد ، عن عبيد بن عمير ، قال : إن لجهنم جبابا فيها حيات أمثال البُخْت[1] ، وعقارب أمثال البغال الدُّهْم ، يستغيث أهل النار إلى تلك الجباب أو الساحل ، فتثب إليهم ، فتأخذ بشِفاههم وشِفارهم إلى أقدامهم ، فيستغيثون منها إلى النار ، فيقولون : النارَ النارَ ، فتتبعهم حتى تجد حرّها فترجع ، قال : وهى فى أسراب .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنى حُيَيّ بن عبد الله ، عن أبى عبد الرحمن الحُبُلِىّ عن عبد الله بن عمرو ، قال : إن لجهنم سواحل فيها حيات وعقارب ، أعناقها كأعناق البُخْت .

وقوله (بِمَا كانُوا يُفْسِدُونَ) يقول : زدناهم ذلك العذاب على ما بهم من العذاب ، بما كانوا يفسدون ، بما كانوا فى الدنيا يعصُون الله ، ويأمرون عباده بمعصيته ، فذلك كان إفسادهم ، اللهمّ إنا نسألك العافية ، يا مالك الدنيا والآخرة الباقية .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنفُسِهِمْ ، وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ ، وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ ، وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ (٨٩)

يقول تعالى ذكره (وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ) يقول : نسأل نبيهم الذى بعثناه إليهم ، للدعاء إلى طاعتنا ، وقال (مِنْ أَنْفُسِهِمْ) لأنه تعالى ذكره ، كان يبعث إلى أمم أنبياءها منها ، ماذا أجابوكم ، وما ردّوا عليكم ؟ (وَجِئْنا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هؤُلاءِ) يقول لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : وجئنا بك يا محمد شاهدا على قومك وأمتك الذين أرسلتك إليهم ، بِمَ أجابوك ؟ وماذا عملوا فيما أرسلتك به إليهم ؟ وقوله (وَنَزَّلْنا عَلَيْكَ الكِتابَ تِبْيانا لِكُلّ شَيْءٍ) يقول : نزل عليك يا محمد هذا القرآن بيانا لكلّ ما بالناس إليه الحاجة ، من معرفة الحلال والحرام ، والثواب والعقاب (وَهُدًى) من الضلالة (وَرَحْمَةً) لمن صدق به ، وعمل بما فيه من حدود الله ، وأمره ونهيه ، فأحلّ حلاله ، وحرّم حرامه . (وبُشْرَى للمسلمين) يقول : وبشارة لمن أطاع الله ، وخضع له بالتوحيد ، وأذعن له بالطاعة ، يبشره بجزيل ثوابه فى الآخرة ، وعظيم كرامته .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن الزبير ، عن ابن عيينة ، قال : ثنا أبان بن تغلب ، عن الحكم ، عن مجاهد (تِبْيانا لِكُلّ شَيْءٍ) قال : مما أحلّ وحرّم .

---

(١) البخت : هى الإبل الخراسانية ، وهى جمال طوال الأعناق . الواحد : بختى . (اللسان) .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، عن ابن عيينة ، عن أبان بن تغلب ، عن مجاهد ، فى قوله (تبيانا لكل شىء) مما أحلّ لهم وحرّم عليهم .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن مجاهد ، قوله (تبيانا لكل شىء) قال : ما أمر به ، وما نهى عنه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، فى قوله (ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شىء) قال : ما أمروا به ، ونهوا عنه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا محمد بن فضيل ، عن أشعث ، عن رجل ، قال : قال ابن مسعود : أنزل فى هذا القرآن كل علم ، وكل شىء قد بين لنا فى القرآن ، ثم تلا هذه الآية .

القول فى تأويل قوله تعالى

* إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَآءِ ذِى الْقُرْبَىٰ ، وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَآءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْىِ ، يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٩٠)

يقول تعالى ذكره : إن الله يأمر فى هذا الكتاب الذى أنزله إليك يا محمد بالعدل ، وهو الإنصاف ، ومن الإنصاف : الإقرار بمن أنعم علينا بنعمته ، والشكر له على أفضاله ، وتولى الحمد أهله . وإذا كان ذلك هو العدل ، ولم يكن للأوثان والأصنام عندنا يدٌ تستحقّ الحمد عليها ، كان جهلا بنا حمدها وعبادتها ، وهى لاتنعم فتُشكر ، ولا تنفع فتعبد ، فلزمنا أن نشهد أن لاإله إلا الله وحده لاشريك له ، ولذلك قال من قال : العدل فى هذا الموضع : شهادة أن لاإله إلا الله .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، وعلىّ بن داود ، قالا : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (إن الله يأمر بالعدل والإحسان) قال : شهادة أن لاإله إلا الله . وقوله والإحسان ، فإن الإحسان الذى أمر به تعالى ذكره ، مع العدل الذى وصفنا صفته : الصبر لله على طاعته فيما أمر ونهى ، فى الشدّة والرخاء ، والمكْرَه والمنْشَط ، وذلك هو أداء فرائضه .

كما حدثنى المثنى ، وعلىّ بن داود ، قالا : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس : والإحسان : يقول : أداء الفرائض .

وقوله (وإيتاء ذى القُرْبى) يقول : وإعطاء ذى القربى الحقّ الذى أوجبه الله عليك ، بسبب القرابة والرحم .

كما حدثنى المثنى وعلىّ ، قالا : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس (وإيتاء ذى القُرْبى) يقول : الأرحام .

وقوله (وينهى عن الفحشاء) قال : الفحشاء فى هذا الموضع : الزنا .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، وعلىّ بن داود ، قالا : ثنا عبد الله بن صالح ، عن علىّ ، عن ابن عباس (وَيَنْهَى عَنِ الفَحْشَاءِ) يقول : الزنا . وقد بيّنا معنى الفحشاء بشواهده فيما مضى قبل .

وقوله (والبَغْيِ) قيل : عُنِىَ بالبغى فى هذا الموضع : الكبر والظلم .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، وعلىّ بن داود ، قالا : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس (والبَغْيِ) يقول : الكبر والظلم . وأصل البغى : التعدّى ، ومجاوزة القدر والحدّ من كلّ شىء . وقد بيّنا ذلك فيما مضى قبل .

وقوله (يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) يقول : يذكركم أيها الناس ربكم ، لتذكروا فتُنيبوا إلى أمره ونهيه ، وتعرفوا الحقّ لأهله .

كما حدثنى المثنى ، وعلىّ بن داود ، قالا : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس (يَعِظُكُمْ) يقول : يوصيكم (لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) . وقد ذُكِر عن ابن عيينة أنه كان يقول فى تأويل ذلك : إن معنى العدل فى هذا الموضع : استواء السريرة والعلانية ، من كلّ عامل لله عملا . وإن معنى الإحسان : أن تكون سريرته أحسن من علانيته . وإن الفحشاء والمنكر : أن تكون علانيته أحسن من سريرته .

وذُكر عن عبد الله بن مسعود ، أنه كان يقول فى هذه الآية ، ما حدثنى المثنى ، قال : ثنا الحجاج ، قال : ثنا معتمر بن سليمان ، قال : سمعت منصور بن النعمان ، عن عامر ، عن شُتَير بن شَكَل ، قال : سمعت عبد الله يقول : إن أجمع آية فى القرآن فى سورة النحل (إنَّ اللهَ يَأْمُرُ بالعَدْلِ والإحْسانِ وَإيتاءِ ذِى القُرْبَى) . . . إلى آخر الآية .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن الشعبى ، عن شُتَيْر بن شَكَل ، قال : سمعت عبد الله يقول : إن أجمع آية فى القرآن لخير أو لشرّ ، آية فى سورة النحل (إنَّ اللهَ يَأْمُرُ بالعَدْلِ والإحْسانِ) . . . الآية .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إنَّ اللهَ يَأْمُرُ بالعَدْلِ والإحْسانِ وَإيتاءِ ذِى القُرْبَى) . . . الآية ، إنه ليس من خُلق حسن كان أهل الجاهلية يعملون به ويستحسنونه ، إلا أمر الله به ، وليس من خُلق سيّئ كانوا يتعايرونه بينهم ، إلا نهى الله عنه ، وقدّم فيه . وإنما نهى عن سفاسف الأخلاق ومَذامّها .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ ، وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ، إِنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ (٩١)

* يقول تعالى ذكره : وأوفوا بميثاق الله إذا واثقتموه ، وعقده إذا عاقدتموه ، فأوجبتم به على أنفسكم حقا لمن عاقدتموه به، وواثقتموه عليه (وَلا تَنْقُضُوا الأيمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِها) يقول : ولاتخالفوا الأمر الذى تعاقدتم فيه الأيمان ، يعنى بعد ما شددتم الأيمان على أنفسكم ، فتحنثوا فى أيمانكم، وتكذبوا فيها، وتنقضوها بعد إبرامها، يقال منه: وكّد فلان يمينه يُوَكدها توكيدا: إذا شدّدها، وهى لغة أهل الحجاز، وأما أهل نجد ، فإنهم يقولون : أكدتها أؤكدها تأكيدا . وقوله (وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلا) يقول: وقد جعلتم الله بالوفاء بما تعاقدتم عليه على أنفسكم راعيا، يرعى الموفّىَ منكم بعهد الله الذى عاهد على الوفاء به والناقض .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل، على اختلاف بينهم فيمن عُنِىَ بهذه الآية ، وفيما أنزلت ، فقال بعضهم : عُنِى بها الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الإسلام ، وفيهم أنزلت .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عُمارة الأسدىّ ، قال : ثنا عبد الله بن موسى ، قال : أخبرنا أبو ليلى ، عن بُرَيدة ، قوله (وأوْفُوا بِعَهْدِ اللهِ إذَا عاهَدْتُمْ) قال : أنزلت هذه الآية فى بيعة النبىّ صلى الله عليه وسلم، كان من أسلم بايع على الإسلام ، فقالوا (وأوْفُوا بِعَهْدِ اللهِ إذا عاهدتم) هذه البَيعة التى بايعتم على الإسلام . (وَلا تَنْقُضُوا الأيمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِها) : البَيعة، فلا يحملكم قلة محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وكثرة المشركين ، أن تنقضوا البيعة التى بايعتم على الإسلام وإن كان فيهم قلة ، والمشركين فيهم كثرة .

وقال آخرون : نزلت فى الحِلْف الذى كان أهل الشرك تحالفوا فى الجاهلية ، فأمرهم الله عزّ وجلّ فى الإسلام أن يوفُّوا به ، ولا ينقضوه .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله تعالى (وَلا تَنْقُضُوا الأيمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِها) قال : تغليظها فى الحلف .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ؛ وحدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلا تَنْقُضُوا الأيمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِها) يقول : بعد تشديدها وتغليظها .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : هؤلاء قوم كانوا حلفاء لقوم تحالفوا ، وأعطى بعضهم العهد، فجاءهم قوم ، فقالوا: نحن أكثر وأعزّ وأمنع ، فانقُضُوا عهد هؤلاء، وارجعوا إلينا ، ففعلوا ، فذلك قول الله تعالى (وَلا تَنْقُضُوا الأيمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِها وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللهَ عَلَيْكُمْ

كَفِيلاً) أن تكون أمة هى أربى من أمة، هى أربَى : أكثر، من أجل أن كان هؤلاء أكثر من أولئك، نقضتم العهد فيما بينكم وبين هؤلاء ، فكان هذا فى هذا .

حدثنى ابن البرقى ، قال : ثنا ابن أبى مريم ، قال : أخبرنا نافع بن يزيد ، قال : سألت يحيى بن سعيد ، عن قول الله (وَلا تَنْقُضُوا الأيمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِها) قال : العهود .

⁂ والصواب من القول فى ذلك : أن يقال : إن الله تعالى أمر فى هذه الآية عباده بالوفاء بعهوده، التى يجعلونها على أنفسهم ، ونهاهم عن نقض الأيمان بعد توكيدها على أنفسهم لآخرين ، بعقود تكون بينهم بحق ، مما لايكرهه الله . وجائز أن تكون نزلت فى الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بنهيهم عن نقض بيعتهم ، حذرا من قلة عدد المسلمين ، وكثرة عدد المشركين ، وأن تكون نزلت فى الذين أرادوا الانتقال بحلفهم عن حلفائهم، لقلة عددهم، فى آخرين لكثرة عددهم . وجائز أن تكون فى غير ذلك، ولا خبر تَثْبُت به الحجة أنها نزلت فى شىء من ذلك دون شىء؛ ولا دلالة فى كتاب ولا حجة عقل أىُّ ذلك عُنِىَ بها ، ولا قول فى ذلك أولى بالحق مما قلنا ، لدلالة ظاهره عليه ، وأن الآية كانت قد نزلت لسبب من الأسباب ، ويكون الحكم بها عامًّا فى كل ما كان بمعنى السبب الذى نزلت فيه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً) قال : وكيلا . .

وقوله (إنَّ اللهَ يَعْلَمُ ما تَفْعَلُونَ) يقول تعالى ذكره : إن الله أيُّها الناس يعلم ما تفعلون فى العهود التى تعاهدون الله من الوفاء بها ، والأحلاف والأيمان التى تؤكدونها على أنفسكم ، أتبرّون فيها أم تنقضونها، وغير ذلك من أفعالكم ، محصٍ ذلك كله عليكم ، وهو مسائلكم عنها ، وعما عملتم فيها ؛ يقول : فاحذروا الله أن تلقَوه ، وقد خالفتم فيها أمره ونهيه ، فتستوجبوا بذلك منه ما لاقِبَل لكم به من أليم عقابه .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا ، تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلاَ بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللهُ بِهِ ، وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (٩٢)

⁂ يقول تعالى ذكره ناهيا عباده عن نقض الأيمان بعد توكيدها ، وآمرا بوفاء العهود ، وممثلا ناقض ذلك بناقضة غزلها من بعد إبرامه ، وناكثته من بعد إحكامه ؛ ولا تكونوا أيها الناس فى نقضكم أيمانكم بعد توكيدها، وإعطائكم الله بالوفاء بذلك العهود والمواثيق (كالَّتِى نقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ) يعنى : من بعد إبرام . وكان بعض أهل العربية يقول : القوّة : ماغُزِل على طاقة واحدة ولم يُثَنّ . وقيل : إن التى كانت تفعل ذلك امرأة حمقاء معروفة بمكة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : أخبرنى عبد الله بن كثير (كالَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ) قال : خَرْقاء كانت بمكة ، تنقضه بعد ما تُبْرِمه .

حدثنا المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن الزبير ، عن ابن عيينة ، عن صدقة ، عن السدىّ (وَلا تَكُونُوا كالَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أنْكاثا ، تَتَّخِذُونَ أيمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ) قال : هى خَرْقَاءُ ، بمكة كانت إذا أبرمت غزلها نقضته .

وقال آخرون : إنما هذا مثل ضربه الله لمن نقض العهد ، فشبهه بامرأة تفعل هذا الفعل ، وقالوا : فى معنى نقضت غزلها من بعد قوّة ، نحوا مما قلنا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلا تَكُونُوا كالَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أنْكاثا) فلو سمعتم بامرأة نقضت غزلها من بعد إبرامه لقلتم : ما أحمق هذه ! وهذا مثل ضربه الله لمن نكث عهده .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد (وَلا تَكُونُوا كالَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ) قال : غزلها : حبلها تنقضه ، بعد إبرامها إياه ، ولا تنتفع به بعد .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (كالَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ) قال : نقضت حبلها من بعد إبرام قوّة .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَلا تَكُونُوا كالَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أنْكاثا) قال : هذا مثل ضربه الله لمن نقض العهد الذى يعطيه ، ضرب الله هذا له مثلا بمثل التى غزلت ثم نقضت غزلها ، فقد أعطاهم ثم رجع ، فنكث العهد الذى أعطاهم . وقوله (أنكاثا) يعنى : أنقاضا ، وكلّ شىء نُقِض بعد الفتل فهو أنكاث ، واحدها : نِكْث ، حبلا كان ذلك أو غزلا ، يقال منه : نَكَثَ فلان هذا الحبل فهو ينكُثُه نكثا ، والحبل منتكِث : إذا انتقضت قُواه . وإنما عُنِى به فى هذا الموضع نكث العهد والعقد . وقوله (تَتَّخِذُونَ أيمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ أنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أرْبَى مِنْ أُمَّةٍ) يقول تعالى ذكره : تجعلون أيمانكم التى تحلفون بها على أنكم مُوفُون بالعهد لمن عاقدتموه (دَخَلاً بَيْنَكُمْ) يقول : خديعة وغرورا ، ليطمئنوا إليكم ، وأنتم مضمرون لهم الغدر ، وترك الوفاء بالعهد ، والنُّقلة عنهم إلى غيرهم من أجل أن غيرهم أكثر عددا منهم . والدَّخَل فى كلام العرب : كلّ أمر لم يكن صحيحا ، يقال منه : أنا أعلم دَخَل فلان ودُخْلَلَهُ ودُخْلَلَهُ ، وداخله أمره ودخلته ودخيلته .

وأما قوله (أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ) فإن قوله أربَى : أفعل، من الربا ، يقال : هذا أربى من هذا ، وأربأ منه ، إذا كان أكثر منه ؛ ومنه قول الشاعر :

وأَسْمَرَ خَطِّيٍّ كأنَّ كُعُوبَهُ نَوَى القَسْبِ قد أَرْبَى ذِرَاعًا على العَشْرِ[1]

وإنما يقال : أربى فلان من هذا وذلك ، للزيادة التى يزيدها على غريمه ، على رأس ماله .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى وعلىّ بن داود ، قالا : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ) يقول : أكثر .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ) يقول : ناس أكثر من ناس .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ) قال : كانوا يحالفون الحلفاء، فيجدون أكثر منهم وأعزّ ، فينقضون حِلْف هؤلاء ، ويحالفون هؤلاء الذين هم أعزّ منهم، فنهُوا عن ذلك .

حدثنا ابن المثنى ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله، عن ورقاء، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد.[2]

وحدثنى القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ) يقول : خيانة وغدرا بينكم (أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ) أن يكون قوم أعز وأكثر من قوم .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا أبو ثور ، عن معمر ، عن قتادة (دَخَلًا بَيْنَكُمْ) قال : خيانة بينكم .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ) يَغُرّ بها ، يعطيه العهد يؤمنه ، وينزله من مأمنه ، فتزلّ قدمه ، وهو فى مأمن ، ثم يعود يريد الغدر قال : فأزّل بدوّ هذا[3] قوم كانوا حُلَفاء لقوم تحالفوا ، وأعطى بعضهم بعضا العهد ، فجاءهم قوم قالوا : نحن أكثر وأعزّ وأمنع ، فانقضوا عهد هؤلاء ، وارجعوا إلينا ، ففعلوا ، وذلك قول

(١) (البيت فى اللسان : قسب) قال : القسب : التمر اليابس يتفتت فى الفم ، صلب النواة . قال الشاعر . يصف رمحا : « وأسمر خطيا . . . الى آخر البيت . قال ابن برى : هذا البيت يذكر أنه لحاتم الطائى . ولم أجده فى شعره . وأربى وأرمى : لغتان . ونوى القسب أصلب النوى . والخطى نسبة إلى الخط : بلد عند البحرين ، مشهور بصنع الرماح . واستشهد المؤلف هنا بالبيت على أن معنى أربى : أكثر . وكذلك قال أبو عبيدة فى مجاز القرآن (١ : ٣٦٧) .

(٢) أى مثله ، وكثيرا ما يأتى بالسند ويترك المتن إذا تقدم ، ولا يأتى بلفظ نحوه أو مثله . وقد تقدمت الإشارة إلى بعض ذلك فى مواضعه .

(٣) فى الأصل : هو ، ولعله تحريف من الناسخ .

الله تعالى (وَلا تَنْقُضُوا الأيمانَ بَعْدَ تَوْكِيدِها وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً ، أنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أرْبَى مِنْ أُمَّةٍ) هى أربى : أكثر . من أجل أن كانوا هؤلاء أكثر من أولئك نقضتم العهد فيما بينكم وبين هؤلاء ، فكان هذا فى هذا ، وكان الأمر الآخر فى الذى يعاهده ، فينزله من حِصْنه ، ثم ينكث عليه . الآية الأولى فى هؤلاء القوم ، وهى مبدؤه ، والأخرى فى هذا .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، فى قوله (أنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أرْبَى مِنْ أُمَّةٍ) يقول : أكثر ، يقول : فعليكم بوفاء العهد .

وقوله (إنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللهُ بِهِ) يقول تعالى ذكره : إنما يختبركم الله بأمره إياكم بالوفاء بعهد الله إذا عاهدتم ، ليتبين المطيع منكم المنتهى إلى أمره ونهيه ، من العاصى المخالف أمره ونهيه (وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ القِيامَةِ ما كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ) يقول تعالى ذكره : وليبيين لكم أيها الناس ربكم يوم القيامة إذا وردتم عليه ، بمجازاة كلّ فريق منكم على عمله فى الدنيا ، المحسن منكم بإحسانه ، والمسىء بإساءته ، ما كنتم فيه تختلفون . والذى كانوا فيه يختلفون فى الدنيا : أن المؤمن بالله كان يقرّ بوحدانية الله ونبوّة نبيه . ويصدق بما ابتعث به أنبياءه ، وكان يكذّب بذلك كله الكافر ، فذلك كان اختلافهم فى الدنيا الذى وعد الله تعالى ذكره عباده أن يبينه لهم عند ورودهم عليه ، بما وصفنا من البيان .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ، وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَآءُ ، وَيَهْدِى مَنْ يَشَآءُ ، وَلَتُسْئَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٩٣)

⁂ يقول تعالى ذكره : ولو شاء ربكم أيها الناس للطف بكم بتوفيق من عنده ، فصرتم جميعا جماعة واحدة ، وأهل ملة واحدة ، لاتختلفون ولا تفترقون ، ولكنه تعالى ذكره خالف بينكم ، فجعلكم أهل ملل شتى ، بأن وفّق هؤلاء للإيمان به ، والعمل بطاعته ، فكانوا مؤمنين ، وخذل هؤلاء ، فحرمهم توفيقه ، فكانوا كافرين ، وليسألنكم الله جميعا يوم القيامة عما كنتم تعملون فى الدنيا ، فيما أمركم ونهاكم ، ثم ليجازينكم جزاء المطيع منكم بطاعته ، والعاصى له بمعصيته .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَلا تَتَّخِذُوا أيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا ، وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللهِ ، وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٩٤)

⁂ يقول تعالى ذكره : ولا تتخذوا أيمانكم بينكم دَخَلا وخديعة بينكم ، تغرّون بها الناس (فَتَزِلَّ قَدَمٌ

بَعْدَ ثُبُوتِها) يقول : فتهلكوا بعد أن كنتم من الهلاك آمنين . وإنما هذا مثل لكلّ مبتلًى بعد عافية ، أو ساقطٍ فى ورطة بعد سلامة ، وما أشبه ذلك : « زلّت قدمه » ، كما قال الشاعر :

سيَمْنَعُ منكَ السَّبْقُ إنْ كُنْتَ سابِقا وتُلْطَعُ إنْ زَلَّتْ بكَ النَّعْلانِ [1]

وقوله (وَتَذُوقُوا السُّوءَ) يقول : وتذوقوا أنتم السوء : وذلك السوء هو عذاب الله الذى يعذّب به أهل معاصيه فى الدنيا ، وذلك بعض ما عُذّب به أهل الكفر (بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللهِ) يقول : بما فتنتم من أراد الإيمان بالله ورسوله عن الإيمان (وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) فى الآخرة ، وذلك نار جهنم ، وهذه الآية تدلّ على أن تأويل بريدة الذى ذكرنا عنه ، فى قوله (وأَوْفُوا بِعَهْدِ اللهِ إذَا عاهَدْتُمْ) والآيات التى بعدها ، أنه عُنِى بذلك : الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الإسلام ، عن [2] مفارقة الإسلام لقلة أهله ، وكثرة أهل الشرك ، هو الصواب ، دون الذى قال مجاهد : أنهم عُنُوا به ، لأنه ليس فى انتقال قوم تحالفوا عن حلفائهم إلى آخرين غيرهم ، صدّ عن سبيل الله ، ولا ضلال عن الهدى ، وقد وصف تعالى ذكره فى هذه الآية فاعلى ذلك ، أنهم باتخاذهم الأيمان دَخَلا بينهم ، ونقضهم الأيمان بعد توكيدها ، صادّون عن سبيل الله ، وأنهم أهل ضلال فى التى قبلها ، وهذه صفة أهل الكفر بالله ، لا صفة أهل النُّقْلة بالحلف عن قوم إلى قوم .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَلاَ تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللهِ ثَمَنًا قَلِيلاً ، إِنَّمَا عِندَ اللهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٩٥) مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللهِ بَاقٍ ، وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩٦)

يقول تعالى ذكره : ولا تنقضوا عهودكم أيها الناس ، وعقودكم التى عاقدتموها من عاقدتم ، مؤكّديها بأيمانكم ، تطلبون بنقضكم ذلك عَرَضا من الدنيا قليلا ، ولكن أوفوا بعهد الله الذى أمركم بالوفاء به ، يثبكم الله على الوفاء به ، فإن ما عند الله من الثواب لكم على الوفاء بذلك ، هو خير لكم إن كنتم تعلمون ، فضل ما بين العِوَضين اللذين أحدهما الثمن القليل ، الذى تشترون بنقض عهد الله فى الدنيا ؛ والآخر الثواب الجزيل فى الآخرة على الوفاء به . ثم بين تعالى ذكره ، فَرْق ما بين العِوَضين ، وفضل ما بين الثوابين ، فقال : ما عندكم أيها الناس مما تتملكونه فى الدنيا ، وإن كَثُر فنافدٌ فانٍ ، وما عند الله لمن أوفى بعهده وأطاعه من الخيرات ، باق غير فان ، فلما عنده فاعملوا ، وعلى الباقى الذى لا يفنى فاحرِصوا . وقوله (وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ ما كانُوا يَعْمَلُونَ) يقول تعالى ذكره : وليثيبنّ الله الذين صبروا على

(١) فى (اللسان : لطع) : اللطع أن تضرب مؤخر الإنسان برجلك . تقول : لطعته (بالكسر) ألطعه لطعا . وقوله تعالى : « فتزل قدم بعد ثبوتها » قال أبو عبيدة فى مجاز القرآن (١ : ٣٦٧) : مثل يقال لكل مبتلى بعد عافية ، أو ساقط فى ورطة بعد سلامة ، ونحو ذلك : زلت قدمه .

(٢) « عن » هنا : للتعليل ، أى بسبب مفارقة الإسلام ، مثلها فى قوله تعالى (وما نحن بتاركى آلهتنا عن قولك) : أى لأجله .

طاعتهم إياه فى السرّاء والضرّاء ، ثوابهم يوم القيامة على صبرهم عليها ، ومسارعتهم فى رضاه ، بأحسن ما كانوا يعملُون من الأعمال دون أسوئها ، وليغفرنّ الله لهم سيئها بفضله .

القول فى تأويل قوله تعالى

مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ، وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ (٩٧)

⁂ يقول تعالى ذكره : من عمل بطاعة الله ، وأوفى بعهود الله إذا عاهد ، من ذكر أو أنثى من بنى آدم ، وهو مؤمن . يقول : وهو مصدّق بثواب الله الذى وعد أهل طاعته على الطاعة ، وبوعيد أهل معصيته على المعصية (فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً) .

⁂ واختلف أهل التأويل فى الذى عنَى الله بالحياة الطيبة ، التى وعد هؤلاء القوم أن يُحْيِيهموها ، فقال بعضهم : عنى أنه يحييهم فى الدنيا ما عاشوا فيها بالرزق الحلال .

ذكر من قال ذلك

حدثنى أبو السائب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن إسماعيل بن سَمِيع ، عن أبى مالك ، عن ابن عباس (فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً) قال : الحياة الطيبة : الرزق الحلال فى الدنيا .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن إسماعيل بن سَمِيع ، عن أبى مالك وأبى الربيع ، عن ابن عباس ، بنحوه .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن إسماعيل بن سَمِيع ، عن أبى الربيع ، عن ابن عباس ، فى قوله (مَنْ عَمِلَ صَالِحا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً) قال : الرزق الحسن فى الدنيا .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن إسماعيل بن سَمِيع ، عن أبى الربيع ، عن ابن عباس (فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً) قال : الرزق الطيب فى الدنيا .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا الفضل بن دكين ، قال : ثنا سفيان ، عن إسماعيل بن سَمِيع[1] ، عن أبى الربيع ، عن ابن عباس (فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً) قال : الرزق الطيب فى الدنيا .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (مَنْ عَمِلَ صَالِحا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً) يعنى فى الدنيا .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن مطرف ، عن الضحاك (فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً) . قال : الرزق الطيب الحلال .

حدثنى عبد الأعلى بن واصل ، قال : ثنا عون بن سلام القرشىّ ، قال : أخبرنا بشر بن عُمارة ، عن

(١) إسماعيل بن سميع ، بالسين مفتوحة ، الحنفى ، أبو محمد ، وثقه جماعة . وكان خارجيا .

أبى رَوْق ، عن الضحاك ، فى قوله (فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً) قال : يأكل حلالا ، ويلبس حلالا .

وقال آخرون (فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً) بأن نرزقه القناعة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن يمان ، عن المنهال بن خليفة ، عن أبى خزيمة سليمان التمّار ، عمن ذكره ، عن علىّ (فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً) قال : القنوع .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو عصام ، عن أبى سعيد ، عن الحسن البصرىّ ، قال : الحياة الطيبة : القناعة .

وقال آخرون : بل يعنى بالحياة الطيبة : الحياة مؤمنا بالله ، عاملا بطاعته .

ذكر من قال ذلك

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً) يقول : من عمل عملا صالحا وهو مؤمن فى فاقة أو ميسرة ، فحياته طيبة ، ومن أعرض عن ذكر الله ، فلم يؤمن ولم يعمل صالحا ، عيشته ضنكة لاخير فيها .

وقال آخرون : الحياة الطيبة : السعادة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، وعلىّ بن داود ، قالا : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً) قال : السعادة .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : الحياة فى الجنة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا هَوْذة ، عن عوف ، عن الحسن (فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً) قال : لاتطيب لأحد حياة دون الجنة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن عوف ، عن الحسن (فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً) قال : ماتطيب الحياة لأحد إلا فى الجنة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (مَنْ عَمِلَ صَالِحا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً) فإن الله لايشاء عملا إلا فى إخلاص ، ويوجب من عمل ذلك فى إيمان ، قال الله تعالى (فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً) ، وهى الجنة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً) قال : الآخرة ، يحييهم حياة طيبة فى الآخرة .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (مَنْ عَمِلَ صَالِحا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً) قال : الحياة الطيبة فى الآخرة : هى الجنة ،

تلك الحياة الطيبة ، قال (وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ ما كانُوا يَعْمَلُونَ) وقال : ألا تراه يقول : (يا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَياتِي) قال : هذه آخرته . وقرأ أيضا (وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الحَيَوَانُ) قال : الآخرة دار حياة لأهل النار وأهل الجنة ، ليس فيها موت لأحد من الفريقين .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، فى قوله (مَنْ عَمِلَ صَالِحا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ) قال : الإيمان : الإخلاص لله وحده ، فبين أنه لا يقبل عملا إلا بالإخلاص له .

⁂ وأولى الأقوال بالصواب : قول من قال : تأويل ذلك : فلنحيينه حياة طيبة بالقناعة ، وذلك أن من قنعه الله بما قسم له من رزق ، لم يكثر للدنيا تعبه ، ولم يعظم فيها نَصَبه ، ولم يتكدّر فيها عيشه ، باتباعه بغية مافاته منها ، وحرصه على ما لعله لا يدركه فيها .

وإنما قلت : ذلك أولى التأويلات فى ذلك بالآية ، لأن الله تعالى ذكره أوعد قوما قبلها على معصيتهم إياه إن عصوه أذاقهم السوء فى الدنيا ، والعذاب فى الآخرة ، فقال تعالى (وَلا تَتَّخِذُوا أَيْمانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ ، فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِها ، وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِما صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللهِ) فهذا لهم فى الدنيا ، ولهم فى الآخرة عذاب عظيم ، فهذا لهم فى الآخرة . ثم أتبع ذلك ما لمَن أوفى بعهد الله وأطاعه ، فقال تعالى : ماعندكم فى الدنيا ينفَد ، وماعند الله باق ، فالذى [1] هذه السيئة بحكمته ، أن [1] يُعْقِبَ ذلك الوعدَ لأهل طاعته بالإحسان فى الدنيا ، والغفران فى الآخرة ، وكذلك فَعَلَ تعالى ذكره .

وأما القول الذى رُوِى عن ابن عباس أنه الرزق الحلال ، فهو محتمَل أن يكون معناه الذى قلنا فى ذلك ، من أنه تعالى يقنعه فى الدنيا بالذى يرزقه من الحلال ، وإن قلّ ، فلا تدعوه نفسه إلى الكثير منه من غير حله ، لأنه يرزقه الكثير من الحلال ، وذلك أن أكثر العاملين لله تعالى بما يرضاه من الأعمال ، لم نرهم رُزِقوا الرزق الكثير من الحلال فى الدنيا ، ووجدنا ضيق العيش عليهم أغلب من السعة .

وقوله (وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ ما كانُوا يَعْمَلُونَ) فذلك لاشكّ أنه فى الآخرة ، وكذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى أبو السائب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن إسماعيل بن سميع ، عن أبى مالك ، عن ابن عباس : (وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ ما كانُوا يَعْمَلُونَ) قال : إذا صاروا إلى الله جزاهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن إسماعيل بن سُمَيع ، عن أبى مالك ، وأبى الربيع ، عن ابن عباس ، مثله .

(١-١) هذه العبارة قد سقطت منها كلمات . ولعل الأصل : فالذى أوعد أهل المعاصى بإذاقتهم هذه السيئة بحكمته ، أراد أن يعقب الخ .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن إسماعيل بن سُمَيع ، عن أبى الربيع ، عن ابن عباس (وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ) قال : فى الآخرة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن إسماعيل بن سُمَيع ، عن أبى الربيع ، عن ابن عباس ، مثله .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، (وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ ما كانُوا يَعْمَلُونَ) يقول : يجزيهم أجرهم فى الآخرة بأحسن ما كانوا يعملون

وقيل : إن هذه الآية نزلت بسبب قوم من أهل مِلَل شتى تفاخروا ، فقال أهل كلّ ملة منها : نحن أفضل ، فبين الله لهم أفضل أهل الملل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يعلى بن عبيد ، عن إسماعيل ، عن أبى صالح ، قال : جلس ناس من أهل الأوثان وأهل التوراة وأهل الإنجيل ، فقال هؤلاء ، نحن أفضل ، وقال هؤلاء : نحن أفضل ، فأنزل الله تعالى (مَنْ عَمِلَ صَالِحا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ، وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ ما كانُوا يَعْمَلُونَ) .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْءَانَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (٩٨) إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٩٩) إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ (١٠٠)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : وإذا كنت يامحمد قارئا القرآن ، فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم . وكان بعض أهل العربية يزعم أنه من المؤخر الذى معناه التقديم . وكأنّ معنى الكلام عنده : وإذا استعذت بالله من الشيطان الرجيم . فاقرأ القرآن ، ولا وجه لما قال من ذلك ، لأن ذلك لو كان كذلك لكان متى استعاذ مستعيذ من الشيطان الرجيم ، لزمه أن يقرأ القرآن ، ولكن معناه ما وصفناه ، وليس قوله (فاسْتَعِذْ بالله مِنَ الشَّيْطانِ الرَّجِيمِ) بالأمر اللازم . وإنما هو إعلام وندب . وذلك أنه لاخلاف بين الجميع ، أن من قرأ القرآن ولم يستعذ بالله من الشيطان الرّجيم ، قبل قراءته أو بعدها ، أنه لم يضيع فرضا واجبا . وكان ابن زيد يقول فى ذلك نحو الذى قلنا .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فإذَا قَرأتَ القُرآنَ فاسْتَعِذْ بالله مِنَ الشَّيْطانِ الرَّجِيمِ) قال : فهذا دليل من الله تعالى دلّ عباده عليه .

وأما قوله (إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) فإنه يعنى بذلك : إن الشيطان ليست له حجة على الذين آمنوا بالله ورسوله ، وعملوا بما أمر الله به ، وانتهوا عما نهاهم الله عنه (وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) يقول : وعلى ربهم يتوكلون ، فيما نابهم من مهمات أمورهم . إنما سلطانه على الذين يتولونه ، يقول : إنما حجته على الذين يعبدونه (وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ) يقول : والذين هم بالله مشركون .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (إِنَّمَا سُلْطَانُهُ) قال : حجته .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله (إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ) قال : يطيعونه .

واختلف أهل التأويل فى المعنى الذى من أجله لم يسلط فيه الشيطان على المؤمن .

فقال بعضهم بما حُدِّثت عن واقد بن سليمان ، عن سفيان ، فى قوله (إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) قال : ليس له سلطان على أن يحملهم على ذنب لايغفر .

وقال آخرون : هو الاستعاذة ، فإنه إذا استعاذ بالله منع منه ، ولم يسلط عليه ، واستشهد لصحة قوله ذلك بقول الله تعالى (وإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ ، إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) وقد ذكرنا الرواية بذلك فى سورة الحجر .

وقال آخرون فى ذلك ، بما حدثنى به المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، فى قوله (إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) إلى قوله (وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ) يقال : إن عدوّ الله إبليس قال (لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ، إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ) فهؤلاء الذين لم يجعل للشيطان عليهم سبيل ، وإنما سلطانه على قوم اتخذوه وليا ، وأشركوه فى أعمالهم .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) يقول : السلطان على من تولى الشيطان وعمل بمعصية الله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ) يقول : الذين يطيعونه ويعبدونه .

⁂ وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب : قول من قال : معناه : إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا ،

فاستعاذوا بالله منه ، بما ندب الله تعالى ذكره من الاستعاذة ، وعلى ربهم يتوكلون على ماعرض لهم من خطراته ووساوسه .

وإنما قلنا : ذلك أولى التأويلات بالآية ، لأن الله تعالى ذكره أتبع هذا القول (فإذَا قَرأتَ القُرآنَ فاسْتَعِذْ باللهِ مِنَ الشَّيْطانِ الرَّجِيمِ) وقال فى موضع آخر : (وَإمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطانِ نَزْغٌ فاسْتَعِذْ باللهِ إنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) فكان بينا بذلك أنه إنما ندب عباده إلى الاستعاذة منه فى هذه الأحوال ، ليُعيذهم من سلطانه .

وأما قوله (وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ) فإن أهل التأويل اختلفوا فى تأويله ، فقال بعضهم فيه بما قلنا : إن معناه : والذين هم بالله مشركون .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ؛ وحدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ) قال : يعدلون بربّ العالمين .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ) قال : يعدلون بالله .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ) عدلوا إبليس بربهم ، فإنهم بالله مشركون .

وقال آخرون : معنى ذلك : والذين هم به مشركون ، أشركوا الشيطان فى أعمالهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع (وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ) أشركوه فى أعمالهم .

☆ والقول الأوّل ، أعنى قول مجاهد : أولى القولين فى ذلك بالصواب ، وذلك أن الذين يتولون الشيطان إنما يشركونه بالله فى عبادتهم وذبائحهم ومطاعمهم ومشاربهم ، لأنهم يشركون بالشيطان . ولو كان معنى الكلام ما قاله الربيع ، لكان التنزيل : الذين هم مشركوه ، ولم يكن فى الكلام به . فكان يكون لو كان التنزيل كذلك ، والذين هم مشركوه فى أعمالهم ، إلا أن يوجه موجه معنى الكلام ، إلى أن القوم كانوا يدينون بألوهة الشيطان ، ويشركون الله به فى عبادتهم إياه ، فيصحّ حينئذ معنى الكلام ، ويخرج عما جاء التنزيل به فى سائر القرآن ، وذلك أن الله تعالى وصف المشركين فى سائر سور القرآن أنهم أشركوا بالله ، ما لم ينزل به عليهم سلطانا ، وقال فى كل موضع تقدّم إليهم بالزجر عن ذلك ، لاتشركوا بالله شيئا ، ولم نجد فى شىء من التنزيل : لاتشركوا الله بشىء ، ولا فى شىء من القرآن ، خبرا من الله عنهم أنهم أشركوا الله بشىء ،

فيجوز لنا توجيه معنى قوله (وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ) إلى والذين هم بالشيطان مشركو الله، فبين إذن إذ كان ذلك كذلك، أن الهاء فى قوله (وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ) عائدة على الربّ فى قوله (وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ ، قَالُوٓا : إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (١٠١)

⁂ يقول تعالى ذكره : وإذا نسخنا حكم آية ، فأبدلنا مكانه حكم أخرى ، والله أعلم بما ينزّل : يقول : والله أعلم بالذى هو أصلح لخلقه ، فيما يبدّل ويغير من أحكامه ، قالوا : إنما أنت مفتر : يقول . قال المشركون بالله، المكذبو رسوله لرسوله : إنما أنت يا محمد مفتر : أى مُكْذِب ، تخرُص بتقوّل الباطل على الله . يقول الله تعالى : بل أكثر هؤلاء القائلين لك يا محمد : إنما أنت مفتر جهال ، بأن الذى تأتيهم به من عند الله ناسخه و منسوخه ، لا يعلمون حقيقة صحته .

وبنحو الذى قلنا فى تأويل قوله (وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ) ، قال اهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ؛ وحدثنى المثنى ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ) رفعناها فأنزلنا غيرها .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ) قال : نسخناها ، بدّلناها ، رفعناها ، وأثبتنا غيرها .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ) هو كقوله (مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا) .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ) قالوا : إنما أنت مفتر ، تأتى بشىء وتنقضه ، فتأتى بغيره . قال : وهذا التبديل ناسخ ، ولا نبدّل آية مكان آية إلا بنسخ .

القول فى تأويل قوله تعالى

قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ ، لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ ءَامَنُوا ، وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ (١٠٢)

⁂ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد للقائلين لك : إنما أنت مفتر فيما تتلو عليهم من آى كتابنا ، أنزله روح القُدُس : يقول : قل جاء به جبرئيل من عند ربى بالحقّ . وقد بيّنت فى غير هذا الموضع معنى : روح القُدُس ، بما أغنى عن إعادته .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى عبد الأعلى بن واصل ، قال : ثنا جعفر بن عون العمرىّ ، عن موسى بن عبيدة الرَّبَذىّ ، عن محمد بن كعب ، قال : روح القُدُس : جبرئيل .

وقوله (لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا) يقول تعالى ذكره : قل نزل هذا القرآن ناسخه ومنسوخه روح القدس علىّ من ربى ، تثبيتا للمؤمنين ، وتقوية لإيمانهم ، ليزدادوا بتصديقهم لناسخه ومنسوخه إيمانا لإيمانهم ، وهدى لهم من الضلالة ، وبُشرى للمسلمين الذين استسلموا لأمر الله ، وانقادوا لأمره ونهيه ، وما أنزله فى آى كتابه ، فأقرّوا بكلّ ذلك ، وصدّقوا به قولا وعملا .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ ، لِسَانُ الَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ ، وَهٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُبِينٌ (١٠٣)

⁂ يقول تعالى ذكره : ولقد نعلم أن هؤلاء المشركين يقولون جهلا منهم : إنما يعلم محمدا هذا الذى يتلوه بشر ، من بنى آدم ، وما هو من عند الله ، يقول الله تعالى ذكره مكذّبهم فى قيلهم ، وذلك ألا تعلمون كذبَ ما تقولون ، إن لسان الذى تلحدون إليه : يقول : تميلون إليه بأنه يعلم محمدا ، أعجمىّ ، وذلك أنهم فيما ذُكر كانوا يزعمون أن الذى يعلّم محمدا هذا القرآن عبد رومىّ ، فلذلك ، قال تعالى (لِسانُ الَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ ، وَهٰذَا لِسانٌ عَرَبِىٌّ مُبِينٌ) يقول : وهذا القرآن لسان عربىّ مبين .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل على اختلاف منهم فى اسم الذى كان المشركون يزعمون أنه يعلّم محمدا صلى الله عليه وسلم هذا القرآن من البشر ، فقال بعضهم : كان اسمه بَلْعام ، وكان قَينا بمكة نصرانيا

ذكر من قال ذلك

حدثنى أحمد بن محمد الطُّوسىّ ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا إبراهيم بن طَهْمان ، عن مسلم بن عبد الله المَلائى ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلّم قينا بمكة ، وكان أعجمىّ اللسان ، وكان اسمه بَلْعام ، فكان المشركون يَرَوْن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين يدخل عليه ، وحين يخرج من عنده ، فقالوا : إنما يعلّمه بَلْعام ، فأنزل الله تعالى ذكره (وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ ، لِسانُ الَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ ، وَهَذَا لِسانٌ عَرَبِىٌّ مُبِينٌ) .

وقال آخرون : اسمه يعيش .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن حبيب ، عن عكرمة ، قال : كان النبىّ صلى الله عليه وسلم يقرئ غلاما لبنى المغيرة أعجميا ، قال سفيان : أراه يقال له : يَعِيش ، قال: فذلك قوله (لِسانُ الَّذِى يُلْحِدُونَ إلَيْهِ أعْجَمِىٌّ ، وَهَذَا لِسانٌ عَرَبِىّ مُبِينٌ) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلَقَدْ نَعْلَمُ أنَّهُم يَقُولُونَ إنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ) وقد قالت قريش : إنما يعلمه بشر ، عبد لبنى الحَضْرَمِىّ يقال له يعيش ، قال الله تعالى (لِسانُ الَّذِى يُلْحِدُونَ إلَيْهِ أعْجَمِىٌّ ، وَهَذَا لِسانٌ عَرَبِىٌّ مُبِينٌ) وكان يعيش يقرأ الكُتُب.

وقال آخرون : بل كان اسمه جَبْر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغنى كثيرا مايجلس عند المَرْوَة إلى غلام نصرانى يقال له جَبْر ، عبد لبنى بياضة الحَضْرَمِىّ ، فكانوا يقولون : والله مايعلّم محمدا كثيرا مما يأتى به إلا جَبْرٌ النصرانىّ غلام الحضرمىّ، فأنزل الله تعالى فى قولهم (وَلَقَدْ نَعْلَمُ أنَّهُمْ يَقُولُونَ إنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ ،لِسانُ الَّذِى يُلْحِدُونَ إلَيْهِ أعْجَمِىٌّ ، وَهَذَا لِسانٌ عَرَبِىٌّ مُبِينٌ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال عبد الله بن كثير : كانوا يقولون: إنما يعلمه نصرانىّ على المَرْوة، ويعلم محمدا رُومىّ يقولون اسمه جَبْر ،وكان صاحب كُتُب، عبد لابن الحضرمىّ ، قال الله تعالى (لِسانُ الَّذِى يُلْحِدُونَ إلَيْهِ أعْجَمِىٌّ) قال : وهذا قول قريش: إنما يعلمه بشر ، قال الله تعالى (لِسانُ الَّذِى يُلْحِدُونَ إلَيْهِ أعْجَمِىّ ، وَهَذَا لِسانٌ عَرَبِىٌّ مُبِينٌ)

وقال آخرون : بل كانا غلامين : اسم أحدهما يسار ، والآخر جَبْر .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن حُصَين ، عن عبد الله بن مسلم الحضرمىّ: أنه كان لهم عبدان من أهل عير اليمن ، وكانا طفلين ، وكان يُقال لأحدهما يسار ، والآخر جبر ، فكانا يقرأان التوراة ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ربما جلس إليهما ، فقال كفار قريش : إنما يجلس إليهما يتعلم منهما ، فأنزل الله تعالى (لِسانُ الَّذِى يُلْحِدُونَ إلَيْهِ أعْجَمِىٌّ ، وَهَذَا لِسانٌ عَرَبِىّ مُبِينٌ) .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا معن بن أسد ، قال : ثنا خالد بن عبد الله ، عن حصين ، عن عبد الله بن مسلم الحضرمىّ ، نحوه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن فضيل ، عن حصين ، عن عبد الله بن مسلم ، قال : كان لنا غلامان

فكانا يقرأان كتابا لهما بلسانهما ، فكان النبىّ صلى الله عليه وسلم يمرّ عليهما ، فيقوم يستمع منهما ، فقال المشركون : يتعلم منهما ، فأنزل الله تعالى ما كذّبهم به ، فقال (لِسانُ الَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ ، وَهَذَا لِسانٌ عَرَبِىٌّ مُبِينٌ) .

وقال آخرون : بل كان ذلك سَلْمان الفارسىّ .

ذكر من قال ذلك

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (لِسانُ الَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ) كانوا يقولون : إنما يعلّمه سَلْمان الفارسىّ .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ؛ وحدثنى المثنى ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ) قال : قول كفار قريش : إنما يعلّم محمدا عبد ابن الحضرمىّ ، وهو صاحب كتاب ، يقول الله (لِسانُ الَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ ، وَهَذَا لِسانٌ عَرَبِىٌّ مُبِينٌ) .

وقيل : إن الذى قال ذلك : رجل كاتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ارتدّ عن الإسلام .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنى يونس ، عن ابن شهاب ، قال : أخبرنى سعيد بن المسيب أن الذى ذكر الله إنما يعلمه بشر ، إنما افتتن ، إنه كان يكتب الوحى ، فكان يملى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم : سميع عليم ، أو عزيز حكيم ، وغير ذلك من خواتم الآى ، ثم يشتغل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على الوحى ، فيستفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيقول : أعزيز حكيم ، أو سميع عليم ، أو عزيز عليم ، فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : أىّ ذلك كتبت فهو كذلك ، ففتنه ذلك ، فقال : إن محمدا يكل ذلك إلىّ ، فأكتب ما شئت ، وهو الذى ذكر لى سعيد بن المسيب من الحروف السبعة .

واختلف القرّاء فى قراءة قوله (يُلْحِدُونَ) ، فقرأته عامّة قرّاء المدينة والبصرة (لِسانُ الَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ) بضم الياء ، من ألحد يلحد إلحادا ، بمعنى يعترضون ، ويعدلون إليه ، ويُعَرِّجون إليه من قول الشاعر :

قَدْنِىَ مِنْ نَصْرِ الْخُبَيْبَيْنِ قَدِى لَيْسَ أَمِيرِى بِالشَّحِيحِ الْمُلْحِدِ [١]

---

(١) قدنى : اسم فعل بمعنى كفى . والخبيبين : مثنى مصغر . وهما عبد الله بن الزبير وأخوه مصعب ، أو هما خبيب بن عبد الله بن الزبير وأحد إخوته من بنى عبد الله بن الزبير ، وهم حمزة وثابت وعباد وقيس وعامر وموسى . وقيل إن لفظ الخبيبين جمع خبيب ، يريد خبيبا ومن معه . أو يريد أنصار عبد الله بن الزبير ، وكان يلقب أبا خبيب . والملحد : قال صاحب المصباح : من الحد فى الحرم بالألف : إذا استحل حرمته وانتهكها . وألحد إلحادا : جادل وماری . ولحد (بلا ألف) بمعنى : جار وظلم . وقال أبو عبيدة فى مجاز القرآن (١ : ٣٦٨) « لسان الذى يلحدون إليه أعجمى » أى يعدلون إليه . ويقال : ألحد فلان : أى جار . وأعجمى : أضيف إلى أعجم اللسان . والبيتان من مشطور الرجز ، وهما لحميد الأرقط (انظر خزانة البغدادى ٢ : ٤٥٣) .

وقرأ ذلك عامّة قرّاء أهل الكوفة (لِسانُ الَّذِى يَلْحِدُونَ إلَيهِ) بفتح الياء، يعنى: يميلون إليه من لحد فلان إلى هذا الأمر، يَلْحِد لحدا ولحودا، وهما عندى لغتان بمعنى واحد، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب فيهما الصواب. وقيل (وَهَذَا لِسانٌ عَرَبِىٌّ مُبِينٌ) يعنى: القرآن كما تقول العرب لقصيدة من الشعر يعرضها الشاعر: هذا لسان فلان: تريد قصيدته؛ كما قال الشاعر:

لِسانُ السُّوءِ تُهْدِيها إلَيْنا وحِنْتَ وَما حَسِبْتُكَ أنْ تَحِينا[1]

يعنى باللسان: القصيدة والكلمة.

القول فى تأويل قوله تعالى

إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ ٱللَّهُ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٠٤) إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ، وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ (١٠٥)

⁂ يقول تعالى: إن الذين لايؤمنون بحجج الله وأدلته، فيصدّقون بما دلّت عليه (لا يَهْدِيهِمُ اللهُ) يقول: لايوفقهم الله لإصابة الحقّ، ولا يهديهم لسبيل الرشد فى الدنيا (وَلَهُمْ فِى الآخِرَةِ) وعند الله إذا وردوا عليه يوم القيامة عذاب مؤلم موجع. ثم أخبر تعالى ذكره المشركين الذين قالوا للنبىّ صلى الله عليه وسلم: إنما أنت مفتر، أنهم هم أهل الفِرْية والكذب، لانبىّ الله صلى الله عليه وسلم، والمؤمنون به، وبرّأ من ذلك نبيه صلى الله عليه وسلم وأصحابه، فقال: إنما يتخرّص الكذب، ويتقوّل الباطل، الذين لايصدّقون بحجج الله وإعلامه، لأنهم لايرجون على الصدق ثوابا، ولا يخافون على الكذب عقابا، فهم أهل الإفك وافتراء الكذب، لامن كان راجيا من الله على الصدق الثواب الجزيل، وخائفا على الكذب العقاب الأليم. وقوله (وأُولَئِكَ هُمُ الكاذِبُونَ) يقول: والذين لايؤمنون بآيات الله هم أهل الكذب، لاالمؤمنون.

القول فى تأويل قوله تعالى

مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ، وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ، وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٠٦)

⁂ اختلف أهل العربية فى العامل فى «مَن» من قوله (مَنْ كَفَرَ بالله)، ومن قوله (وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بالكُفْرِ صَدْرًا) فقال بعض نحوىّ البصرة: صار قوله (فَعَلَيْهِمْ) خبرا لقوله (وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بالكُفْرِ صَدْرًا)، وقوله (مَنْ كَفَرَ بالله مِنْ بَعْدِ إيمانِهِ) فأخبر لهم بخبر واحد، وكان ذلك

(١) فى (اللسان: لسن): اللسان: جارحة الكلام، وقد يكنى بها عن الكلمة، فيؤنث حينئذ، قال أعشى باهلة: إنى أتتنى لسان لا أسر بها». قال ابن برى: اللسان هنا: الرسالة والمقالة. وقد يذكر، على معنى الكلام، قال الخطيئة: «ندمت على لسان فات منى». وحان يحين حينا: هلك. وشاهد المؤلف فى البيت: أن اللسان قد يحيى مؤنثا، بمعنى الكلمة والقصيدة.

يدلّ على المعنى . وقال بعض نحوّيي الكوفة : إنما هذان جزاءان اجتمعا ، أحدهما منعقد بالآخر ، فجوابهما واحد، كقول القائل: من يأتنا، فمن يحسن نكرمْه، بمعنى : من يحسن ممن يأتنا نكرمه . قال: وكذلك كلّ جزاءين اجتمعا الثانى منعقد بالأوّل ، فالجواب لهما واحد . وقال آخر من أهل البصرة : بل قوله (مَنْ كَفَرَ باللهِ) مرفوع بالردّ على الذين فى قوله (إنَّمَا يَفْتَرِى الكَذِبَ الَّذِينَ لايُؤْمِنُونَ بآياتِ اللهِ) ؛ ومعنى الكلام عنده : إنما يفترى الكذب من كفر بالله من بعد إيمانه ، إلا من أكره من هؤلاء ، وقلبه مطمئنّ بالإيمان . وهذا قول لاوجه له ؛ وذلك أن معنى الكلام لو كان كما قال قائل هذا القول ، لكان الله تعالى ذكره قد أخرج ممن افترى الكذب فى هذه الآية، الذين وُلدوا على الكفر، وأقاموا عليه، ولم يؤمنوا قطّ، وخصّ به الذين قد كانوا آمنوا فى حال، ثم راجعوا الكفر بعد الإيمان ، والتنزيل يدلّ على أنه لم يخصص بذلك هؤلاء دون سائر المشركين ، الذين كانوا على الشرك مقيمين ، وذلك أنه تعالى أخبر خبر قوم منهم أضافوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم افتراء الكذب ، فقال (وَإذَا بَدَّلْنا آيَةً مَكانَ آيَةٍ ، وَاللهُ أعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ ، قالُوا إنَّمَا أنْتَ مُفْتَرٍ ، بَلْ أكْثَرُهُمْ لايَعْلَمُونَ) وكذّب جميع المشركين بافترائهم على الله ، وأخبر أنهم أحقّ بهذه الصفة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : (إنمايَفْتَرِي الكَذِبَ الَّذِينَ لايُؤْمِنُونَ بآياتِ اللهِ ، وأُولَئِكَ هُمُ الكاذِبُونَ) . ولو كان الذين عُنُوا بهذه الآية هم الذين كفروا بالله من بعد إيمانهم ، وجب أن يكون القائلون لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، إنما أنت مفتر حين بدّل الله آية مكان آية ، كانوا هم الذين كفروا بالله بعد الإيمان خاصة ، دون غيرهم من سائر المشركين ، لأن هذه فى سياق الخبر عنهم ، وذلك قول إن قاله قائل ، فبين فساده ، مع خروجه عن تأويل جميع أهل العلم بالتأويل .

⁂ والصواب من القول فى ذلك عندى : أن الرافع لمن الأولى والثانية ، قوله (فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللهِ) والعرب تفعل ذلك فى حروف الجزاء ، إذا استأنفت أحدهما على الآخر .

وذُكِر أن هذه الآية نزلت فى عمار بن ياسر ، وقوم كانوا أسلموا ، ففتنهم المشركون عن دينهم ، فثبت على الإسلام بعضهم ، وافتتن بعض .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (مَنْ كَفَرَ باللهِ مِنْ بَعْدِ إيمَانِهِ إلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بالإيمَانِ) . . . إلى آخر الآية ، وذلك أن المشركين أصابوا عمار بن ياسر فعذّبوه ، ثم تركوه ، فرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فحدّثه بالذى لَقِىَ من قريش ، والذى قال : فأنزل الله تعالى ذكره عُذْره: (مَنْ كَفَرَ باللهِ مِنْ بَعْدِ إيمَانِهِ) . . . إلى قوله (وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (مَنْ كَفَرَ باللهِ مِنْ بَعْدِ إيمَانِهِ إلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بالإيمَانِ) قال: ذُكر لنا أنها نزلت فى عمّار بن ياسر ، أخذه بنو المغيرة ، فغطّوه فى بئر ميمون ، وقالوا : اكفر بمحمد ، فتابعهم على ذلك وقلبه كاره ، فأنزل الله تعالى ذكره

(إلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بالإيمَانِ ، وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بالكُفْرِ صَدْرًا) : أى من أتى الكفر على اختيار واستحباب (فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللهِ ، وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن عبد الكريم الجَزَرِىّ ، عن أبى عبيدة ابن محمد بن عمار بن ياسر ، قال : «أخذ المشركون عمار بن ياسر ، فعذّبوه حتى باراهم فى بعض ما أرادوا ، فشكا ذلك إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فقال النبىّ صلى الله عليه وسلم : كَيْفَ تَجِدُ قَلْبَكَ ؟ قال : مطمئنا بالإيمان ، قال النبىّ صلى الله عليه وسلم : فإنْ عادُوا فَعُدْ » .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، عن حصين ، عن أبى مالك ، فى قوله (إلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بالإيمَانِ) قال : نزلت فى عمار بن ياسر .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن الشعبى ، قال : لما عذّب الأعبد أعطوهم ما سألوا إلا خَبَّابَ بن لأرتّ ، كانوا يضجعونه على الرَّضْف ، فلم يستقلوا منه شيئا .

فتأويل الكلام إذن : من كفر بالله من بعد إيمانه ، إلا من أكره على الكفر ، فنطق بكلمة الكفر بلسانه وقلبه مطمئنّ بالإيمان ، موقن بحقيقته ، صحيح عليه عزمه ، غير مفسوح الصدر بالكفر ، لكن من شرح بالكفر صدرا ، فاختاره وآثره على الإيمان ، وباح به طائعا ، فعليهم غضب من الله ، ولهم عذاب عظيم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ورد الخبر ، عن ابن عباس .

حدثنى علىّ بن داود ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (إلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بالإيمَانِ) فأخبر الله سبحانه أنه من كفر من بعد إيمانه ، فعليه غضب من الله ، وله عذاب عظيم . فأما من أكره ، فتكلم به لسانه ، وخالفه قلبه بالإيمان ، لينجو بذلك من عدوّه ، فلا حرج عليه ، لأن الله سبحانه إنما يأخذ العباد بما عُقِدت عليه قلوبهم .

القول فى تأويل قوله تعالى

ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ ، وَأَنَّ اللهَ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الْكَٰفِرِينَ (١٠٧)

⁂ يقول تعالى ذكره : حلّ بهؤلاء المشركين غضب الله ، ووجب لهم العذاب العظيم ، من أجل أنهم اختاروا زينة الحياة الدنيا على نعيم الآخرة ، ولأن الله لا يوفق القوم الذين يجحدون آياته مع إصرارهم على جحودها .

القول فى تأويل قوله تعالى

أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ، وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْغَٰفِلُونَ (١٠٨) لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى الْآخِرَةِ هُمُ الْخَٰسِرُونَ (١٠٩)

⁂ يقول تعالى ذكره : هؤلاء المشركون الذين وصفت لكم صفتهم فى هذه الآيات أيها الناس ، هم القوم

الذين طبع الله على قلوبهم ، فختم عليها بطابعه ، فلا يؤمنون ، ولا يهتدون ، وأصمّ أسماعهم ، فلا يسمعون داعى الله إلى الهدى ، وأعمى أبصارهم ، فلا يبصرون بها حجج الله إبصار معتبر ومتعظ (وأُولَئِكَ هُمُ الغافِلُونَ) يقول : وهؤلاء الذين جعل الله فيهم هذه الأفعال هم الساهون ، عما أعدّ الله لأمثالهم من أهل الكفر ، وعما يراد بهم .

وقوله (لاجَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الآخِرَةِ هُمُ الخاسِرُونَ) الهالكون ، الذين غبَنوا أنفسهم حظوظها من كرامة الله تعالى .

القول فى تأويل قوله تعالى

ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِن بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ (١١٠)

⁂ يقول تعالى ذكره : ثم إن ربك يا محمد للذين هاجروا من ديارهم ومساكنهم وعشائرهم من المشركين ، وانتقلوا عنهم إلى ديار أهل الإسلام ومساكنهم ، وأهل ولايتهم ، من بعد مافتنهم المشركون الذين كانوا بين أظهرهم ، قبل هجرتهم عن دينهم ، ثم جاهدوا المشركين بعد ذلك بأيديهم بالسيف ، وبألسنتهم بالبراءة منهم ، ومما يعبدون من دون الله ، وصبروا على جهادهم (إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِها لَغَفُورٌ رَحِيمٌ) يقول : إن ربك من بعد فعلتهم هذه لهم لغفور ، يقول : لذو ستر على ماكان منهم من إعطاء المشركين ما أرادوا منهم ، من كلمة الكفر بألسنتهم ، وهم لغيرها مضمرون ، وللإيمان معتقدون ، رحيم بهم أن يعاقبهم عليها مع إنابتهم إلى الله وتوبتهم .

وذُكر عن بعض أهل التأويل أن هذه الآية نزلت فى قوم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كانوا تخلّفوا بمكة بعد هجرة النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فاشتدّ المشركون عليهم ، حتى فتنوهم عن دينهم ، فأيسوا من التوبة ، فأنزل الله فيهم هذه الآية ، فهاجروا ولحقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (مَنْ كَفَرَ بِاللهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ) قال : ناس من أهل مكة آمنوا ، فكتب إليهم بعض أصحاب النبىّ صلى الله عليه وسلم بالمدينة : أن هاجروا ، فإنا لانراكم منا ، حتى تهاجروا إلينا ، فخرجوا يريدون المدينة ، فأدركتهم قريش بالطريق ، ففتنوهم ، وكفروا مكرهين ، ففيهم نزلت هذه الآية .

حدثنى القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، بنحوه .

قال ابن جريج : قال الله تعالى ذكره (مَنْ كَفَرَ بِاللهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ) ثم نسخ واستثنى ، فقال

(ثُمَّ إنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هاجَرُوا مِنْ بَعْدِ ما فُتِنُوا ثُمَّ جاهَدُوا وَصَبَرُوا إنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِها لَغَفُورٌ رَحِيمٌ) :

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (ثُمَّ إنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هاجَرُوا مِنْ بَعْدِ ما فُتِنُوا ثُمَّ جاهَدُوا وَصَبَرُوا إنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِها لَغَفُورٌ رَحِيمٌ) : ذُكِر لنا أنه لما أنزل الله أن أهل مكة لا يُقبل منهم إسلام حتى يهاجروا ، كتب بها أهل المدينة إلى أصحابهم من أهل مكة ؛ فلما جاءهم ذلك تبايعوا بينهم على أن يخرجوا ، فإن لحق بهم المشركون من أهل مكة ، قاتلوهم حتى ينجُوا أو يلحقوا بالله ، فخرجوا فأدركهم المشركون ، فقاتلوهم ، فمنهم من قُتل ، ومنهم من نجا ، فأنزل الله تعالى (ثُمَّ إنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هاجَرُوا مِنْ بَعْدِ ما فُتِنُوا) . . . الآية .

حدثنا أحمد بن منصور ، قال : ثنا أبو أحمد الزبيرىّ ، قال ثنا محمد بن شريك ، عن عمرو بن دينار ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : كان قوم من أهل مكة أسلموا ، وكانوا يَسْتَخْفُون بالإسلام ، فأخرجهم المشركون يوم بدر معهم ، فأصيب بعضهم ، وقُتل بعض ، فقال المسلمون : كان أصحابنا هؤلاء مسلمين ، وأكرهوا فاستغفروا لهم ، فنزلت (إنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ المَلائِكَةُ ظالِمِى أنْفُسِهِمْ) . . . إلى آخر الآية ؛ قال : وكتب إلى من بقى بمكة من المسلمين هذه الآية لا عذر لهم ، قال : فخرجوا فلحقهم المشركون ، فأعطوهم الفتنة ، فنزلت هذه الآية (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بالله ، فإذا أُوذِىَ فِى اللهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللهِ) . . . إلى آخر الآية ، فكتب المسلمون إليهم بذلك ، فخرجوا وأيسوا من كل خير ، ثم نزلت فيهم (ثُمَّ إنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هاجَرُوا مِنْ بَعْدِ ما فُتِنُوا ثُمَّ جاهَدُوا وَصَبَرُوا إنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِها لَغَفُورٌ رَحِيمٌ) فكتبوا إليهم بذلك : إن الله قد جعل لكم مَخْرَجا ، فخرجوا ، فأدركهم المشركون فقاتلوهم ، ثم نجا من نجا ، وقُتل من قُتل .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال نزلت هذه الآية فى عمّار بن ياسر ، وعياش ابن أبى ربيعة ، والوليد بن الوليد (ثُمَّ إنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هاجَرُوا مِنْ بَعْدِ ما فُتِنُوا ثُمَّ جاهَدُوا وَصَبَرُوا) .

وقال آخرون : بل نزلت هذه الآية فى شأن ابن أبى سرح .

ذكر من قال ذلك

حدثنى ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، عن الحسين ، عن يزيد ، عن عكرمة والحسن البصرىّ ، قالا فى سورة النحل (مَنْ كَفَرَ بالله مِنْ بَعْدِ إيمانِهِ إلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بالإيمانِ ، ولكِنْ مَنْ شَرَحَ بالكُفْرِ صَدْرًا ، فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللهِ وَلَهُمْ عَذابٌ عَظِيمٌ) ثم نسخ واستثنى من ذلك ، فقال (ثُمَّ إنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هاجَرُوا مِنْ بَعْدِ ما فُتِنُوا ثُمَّ جاهَدُوا وَصَبَرُوا إنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِها لَغَفُورٌ رَحِيمٌ) وهو عبد الله بن أبى سَرْح ، الذى كان يكتب لرسول الله صلى الله

عليه وسلم ، فأزلّه الشيطان ، فلحق بالكفار ، فأمر به النبىّ صلى الله عليه وسلم أن يُقتل يوم فتح مكة ، فاستجار له أبو عمرو [١] ، فأجاره النبىّ صلى الله عليه وسلم .

القول فى تأويل قوله تعالى

* يَوْمَ تَأْتِى كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (١١١)

يقول تعالى ذكره : إن ربك من بعدها لغفور رحيم ، (يَوْمَ تَأْتِى كُلُّ نَفْسٍ) تخاصم عن نفسها ، وتحتجّ عنها ، بما أسلفت فى الدنيا من خير أو شرّ ، أو إيمان أو كفر ، (وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ ما عَمِلَتْ) فى الدنيا من طاعة ومعصية ، (وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ) : يقول : وهم لا يفعل بهم إلا ما يستحقونه ويستوجبونه بما قدّموه من خير أو شرّ ، فلا يجزى المحسن إلا بالإحسان ، ولا المسىء إلا بالذى أسلف من الإساءة ، لا يعاقب محسن ، ولا يبخس جزاء إحسانه ، ولا يثاب مسىء إلا ثواب عمله .

واختلف أهل العربية فى السبب الذى من أجله قيل تجادل ، فأنّث الكلّ ، فقال بعض نحوىّ البصرة : قيل ذلك لأن معنى كلّ نفس : كل إنسان ، وأنث لأن النفس تذكر وتؤنث ، يقال : ما جاءنى نفس واحد وواحدة . وكان بعض أهل العربية يرى هذا القول من قائله غلطا ، ويقول : كلّ إذا أضيفت إلى نكرة واحدة خرج الفعل على قدر النكرة : كلّ امرأة قائمة ، وكلّ رجل قائم ، وكل امرأتين قائمتان ، وكلّ رجلين قائمان ، وكل نساء قائمات ، وكل رجال قائمون ، فيخرّج على عدد النكرة وتأنيثها وتذكيرها ، ولا حاجة به إلى تأنيث النفس وتذكيرها .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ ، فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ (١١٢)

يقول الله تعالى ذكره : ومثّل الله مثلا لمكة التى سكانها أهل الشرك بالله ، هى القرية التى كانت آمنة مطمئنة ، وكان أمنها أن العرب كانت تتعادى ، ويقتل بعضها بعضا ، ويَسْبِى بعضها بعضا ، وأهل مكة لا يغار عليهم ، ولا يحاربون فى بلدهم ، فذلك كان أمنها . وقوله (مُطْمَئِنَّةً) يعنى : قارّة بأهلها ، لا يحتاج أهلها إلى النُّجْع ، كما كان سكان البوادى يحتاجون إليها (يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا) يقول : يأتى أهلها معايشهم واسعة كثيرة . وقوله (مِنْ كُلِّ مَكَانٍ) يعنى : من كلّ فجّ من فِجاج هذه القرية ، ومن كل ناحية فيها .

وبنحو الذى قلنا فى أن القرية التى ذُكرت فى هذا الموضع أريد بها مكة قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،

(١) أبو عمرو : يريد عثمان بن عفان رحمه الله ، وكان أخا عبد الله بن سعد من الرضاعة . قاله ابن إسحاق فى السيرة .

قوله (وضَرب اللهُ مَثَلاً قَرْيَةً كانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يأْتِيها رِزْقُها رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكانٍ) يعنى : مكة .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (قَرْيَةً كانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً) قال : مكة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وضَرب اللهُ مَثَلا قَرْيَةً كانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً) قال : ذُكر لنا أنها مكة .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (قَرْيَةً كانَتْ آمِنَةً) قال : هى مكة .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وضَرب اللهُ مَثَلاً قَرْيَةً كانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً) . . . إلى آخر الآية ، قال : هذه مكة .

وقال آخرون : بل القرية التى ذكر الله فى هذا الموضع : مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم .

ذكر من قال ذلك

حدثنى ابن عبد الرحيم البرقىّ ، قال : ثنا ابن أبى مريم ، قال : أخبرنا نافع بن يزيد ، قال : ثنى عبد الرحمن بن شريح ، أن عبد الكريم بن الحارث الحضرمىّ ، حدث أنه سمع مِشْرَحَ بن عاهانَ ، يقول : سمعت سليم بن نمير يقول : صدرنا من الحجّ مع حفصة زوج النبىّ صلى الله عليه وسلم ، وعثمان محصور بالمدينة ، فكانت تسأل عنه ما فعل ، حتى رأت راكبين ، فأرسلت إليهما تسألهما ، فقالا : قتل ، فقالت حفصة : والذى نفسى بيده إنها القرية ، تعنى المدينة ، التى قال الله تعالى (وضَربَ اللهُ مَثَلاً قَرْيَةً كانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيها رِزْقُها رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكانٍ ، فَكَفَرَتْ بأنْعُمِ اللهِ) قرأها ، قال أبو شريح وأخبرنى عبد الله بن المغيرة عمن حدثه ، أنه كان يقول : إنها المدينة ، وقوله : (فَكَفَرَتْ بأنْعُمِ اللهِ) بقول : فكفر أهل هذه القرية بأنعم الله التى أنعم عليها .

واختلف أهل العربية فى واحد الأنعم ، فقال بعض نحوىّ البصرة : جمع النعمة على أنعم ، كما قال الله (حَتَّى إذَا بَلَغَ أشُدَّهُ) فزعم أنه جمع الشِّدّة . وقال آخر منهم : الواحد نُعْم ، وقال : يقال : أيام طُعْم ونُعْم : أى نعيم ، قال : فيجوز أن يكون معناها : فكفرت بنعيم الله لها . واستشهد على ذلك بقول الشاعر :

وعندى قُرُوضُ الخَيْرِ والشَّرّ كلِّه فبُؤْسٌ لذى بُؤْسٍ ونُعْمٌ بأنْعُمِ [1]

---

(١) فى مجاز القرآن لأبى عبيدة (١ : ٣٦٩) عند الآية : واحدها « نعم » بضم النون وسكون العين ، ومعناه : نعمة ، وهما واحد . قالوا : نادى منادى النبى صلى الله عليه وسلم بمنى « إنها أيام طعم ونعم ، فلا تصوموا » . وفى (اللسان : نعم) : وجمع النعمة : نعم ، وأنعم . كشدة وأشد ، حكاه سيبويه . وقال النابغة :

فَلَنْ أذْكُرَ النُّعْمانَ إلاَّ بصَالِحٍ فإنّ له عِنْدِى يُدِيًّا وأنْعُما

والنعم : خلاف البؤس ، ويقال : يوم نعم ، ويوم بؤس . والجمع : أنعم ، وأبؤس .

وكان بعض أهل الكوفة يقول : أنعم : جمع نعماء ، مثل بأساء وأبؤس ، وضرّاء وأضر ؛ فأما الأشدّ فإنه زعم أنه جمع شَدّ .

وقوله (فأذاقَها اللهُ لِباسَ الجُوعِ والخَوْفِ) يقول تعالى ذكره : فأذاق الله أهل هذه القرية لباس الجوع ، وذلك جوع خالط أذاه أجسامهم ، فجعل الله تعالى ذكره ذلك لمخالطته أجسامهم ، بمنزلة اللباس لها ، وذلك أنهم سلط عليهم الجوع سنين متوالية ، بدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى أكلوا العِلْهِز والجِيَف . قال أبو جعفر : والعلهز : الوبر يعجن بالدم والقُراد يأكلونه ؛ وأما الخوف فإن ذلك كان خوفهم من سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم التى كانت تطيف بهم . وقوله (بِمَا كانُوا يَصْنَعُونَ) : يقول : بما كانوا يصنعون من الكفر بأنعم الله ، ويجحدون آياته ، ويكذّبون رسوله ، وقال : بما كانوا يصنعون ، وقد جرى الكلام من ابتداء الآية إلى هذا الموضع على وجه الخبر عن القرية ، لأن الخبر وإن كان جرى فى الكلام عن القرية ، استغناء بذكرها عن ذكر أهلها ، لمعرفة السامعين بالمراد منها ، فإن المراد أهلها ، فلذلك قيل (بِمَا كانُوا يَصْنَعُونَ) فردّ الخبر إلى أهل القرية ، وذلك نظير قوله (فجاءَها بأْسُنا بَيَاتا أوْ هُمْ قائِلُونَ) ولم يقل قائلة ، وقد قال قبله (فَجاءَها بأْسُنا) ، لأنه رجع بالخبر إلى الإخبار عن أهل القرية ؛ ونظائر ذلك فى القرآن كثيرة .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ ، فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ (١١٣)

يقول تعالى ذكره : ولقد جاء أهل هذه القرية التى وصف الله صفتها فى هذه الآية التى قبل هذه الآية (رَسُولٌ مِنْهُمْ) يقول : رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم . يقول : من أنفسهم يعرفونه ، ويعرفون نسبه وصدق لهجته ، يدعوهم إلى الحقّ ، وإلى طريق مستقيم (فَكَذَّبُوهُ) ولم يقبلوا منه ما جاءهم به من عند الله (فَأخَذَهُمُ العَذَابُ) وذلك لباس الجوع والخوف ، مكان الأمن والطمأنينة والرزق الواسع الذى كان قبل ذلك يرزقونه ، وقتل بالسيف (وَهُمْ ظالِمونَ) يقول : وهم مشركون ، وذلك أنه قُتِل عظماؤهم يوم بدر بالسيف على الشرك .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَلَقَدْ جاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ) إى والله ، يعرفون نسبه وأمره ، (فَكَذَّبُوه ، فَأَخَذَهُمُ العَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُون) ، فأخذهم الله بالجوع والخوف والقتل .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا ، وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (١١٤)

⁂ يقول تعالى ذكره: فكلوا أيها الناس مما رزقكم الله من بهائم الأنعام التى أحلها لكم حلالا طيبا مُذَكَّاة غير محرّمة عليكم (وَاشْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ) يقول : واشكروا الله على نعمه التى أنعم بها عليكم فى تحليله ما أحلّ لكم من ذلك ، وعلى غير ذلك من نعمه (إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ) يقول : إن كنتم تعبدون الله، فتطيعونه فيما يأمركم وينهاكم . وكان بعضهم يقول: إنما عُنِى بقوله (فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ حَلَالاً طَيِّبًا) طعاما كان بعث به رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المشركين من قومه فى سِنِى الجدب والقحط رقة عليهم ، فقال الله تعالى للمشركين : فكلوا مما رزقكم الله من هذا الذى بعث به إليكم حلالا طيبا ، وذلك تأويل بعيد ، مما يدلّ عليه ظاهر التنزيل ، وذلك أن الله تعالى قد أتبع ذلك بقوله (إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ والدَّمَ) . . . الآية والتى بعدها ، فبين بذلك أن قوله (فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ حَلَالاً طَيِّبًا) إعلام من الله عباده ، أن ما كان المشركون يحرّمونه من البحائر والسوائب والوصائل وغير ذلك، مما قد بيّنا قبل فيما مضى ،لامعنى له ،إذ كان ذلك من خطوات الشيطان، فإن كلّ ذلك حلال ،لم يحرّم الله منه شيئا.

القول فى تأويل قوله تعالى

إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ، فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ، فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١١٥)

⁂ يقول تعالى ذكره مكذّبا المشركين الذين كانوا يحرّمون ما ذكرنا من البحائر وغير ذلك ما حرّم الله عليكم أيها الناس إلا الميتة والدم ولحم الخنزير ، وما ذبح للأنصاب ، فسُمِّى عليه غير الله ، لأن ذلك من ذبائح من لايحلّ أكل ذبيحته ، فمن اضطرّ إلى ذلك ،أو إلى شىء منه ،لمجاعة حلّت ،فأكله (غيرَ باغٍ وَلا عادٍ ، فإنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) يقول: ذو ستر عليه أن يؤاخذه بأكله ذلك فى حال الضرورة، رحيم به أن يعاقبه عليه .

وقد بيّنا اختلاف المختلفين فى قوله (غيرَ باغٍ وَلا عادٍ)،والصواب عندنا من القول فى ذلك، بشواهده فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ والدَّمَ) . . . الآية ؛ قال : وإن الإسلام دين مطهره الله من كلّ سوء ، وجعل لك فيه يا بن آدم سعة إذا اضطررت إلى شىء من ذلك . قوله (فَمَنِ اضْطُرَّ غيرَ باغٍ وَلا عادٍ) غير باغ فى أكله ولا عاد أن يتعدّى حلالا إلى حرام ، وهو يجد عنه مندوحة .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَلاَ تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلاَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ، لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللهِ الْكَذِبَ، إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ لاَ يُفْلِحُونَ (١١٦) مَتَاعٌ قَلِيلٌ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١١٧)

اختلفت القرّاء فى قراءة ذلك، فقرأته عامّة قرّاء الحجاز والعراق (وَلا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الكَذِبَ) فتكون تصف الكذب، بمعنى: ولا تقولوا لوصف ألسنتكم الكذب، فتكون «ما» بمعنى المصدر. وذُكر عن الحسن البصرىّ أنه قرأ (وَلا تُقَولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الكَذِبِ هذا) بخفض الكذب، بمعنى: ولا تقولوا للكذب الذى تصفه ألسنتكم (هَذَا حَلالٌ وهذَا حَرَامٌ) فيجعل الكذب ترجمة عن «ما» التى فى لما، فتخفضه بما تخفض به «ما». وقد حُكى عن بعضهم (لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الكُذُبُ) برفع الكُذُب، فيجعل الكُذُب من صفة الألسنة، ويخرج على فُعُل، على أنه جمع كُذُوب وكذب، مثل شَكُور وشُكُر.

⁂ والصواب عندى من القراءة فى ذلك: نصب الكَذِب، لإجماع الحجة من القرّاء عليه، فتأويل الكلام، إذ كان ذلك كذلك لما ذكرنا: ولا تقولوا لوصف ألسنتكم الكذبَ فيما رزق الله عباده من المطاعم: هذا حلال، وهذا حرام، كى تفتروا على الله بقيلكم ذلك الكذبَ، فإن الله لم يحرم من ذلك ما تحرِّمون، ولا أحلّ كثيرا مما تُحلّون، ثم تقدّم إليهم بالوعيد على كذبهم عليه، فقال (إنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ على اللهِ الكَذِبَ) يقول: إن الذين يتخرّصون على الله الكذب ويختلقونه، لايخلَّدون فى الدنيا، ولا يَبقَون فيها، إنما يتمتعون فيها قليلا. وقال (مَتَاعٌ قَلِيلٌ) فرفع، لأن المعنى الذى هم فيه من هذه الدنيا متاع قليل، أو لهم متاع قليل فى الدنيا. وقوله (وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) يقول: ثم إلينا مرجعهم ومعادهم، ولهم على كذبهم وافترائهم على الله بما كانوا يفترون، عذاب عند مصيرهم إليه أليم.

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى: وحدثنى الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد، فى قول الله تعالى (لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الكَذِبَ هذَا حَلالٌ وهذَا حَرَامٌ) فى البحيرة والسائبة.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنى حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، قال: البحائر والسوائب.

القول فى تأويل قوله تعالى

وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ، وَلَكِن كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (١١٨)

⁂ يقول تعالى ذكره: وحرّمنا من قبلك يا محمد على اليهود ما أنبأناك به من قبل فى سورة الأنعام، وذاك كل ذى ظفر، ومن البقر والغنم، حرّمنا عليهم شُحومهما، إلا ما حملت ظُهورهما أو الحوايا، أو ما اختلط

بعظم (وَما ظَلَمْناهُمْ) بتحريمنا ذلك عليهم (ولكِنْ كانُوا أنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) فجزيناهم ذلك ببغيهم على ربهم ، وظلمهم أنفسهم بمعصية الله ، فأورثهم ذلك عقوبة الله .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيَة ، عن أبى رجاء ، عن الحسن ، فى قوله (وَعلى الَّذِينَ هادُوا حَرَّمْنا ما قَصَصْنا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ) قال : فى سورة الأنعام .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن أيوب ، عن عكرمة ، فى قوله (وَعَلى الَّذِينَ هادُوا حَرَّمْنا ما قَصَصْنا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ) قال : فِى سورة الأنعام .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَعلى الَّذِينَ هادُوا حَرَّمْنا ما قَصَصْنا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ) قال : ما قصّ الله تعالى فى سورة الأنعام حيث يقول : (وعلى الذين هادوا حرّمنا كلّ ذى ظُفُر) . . . الآية .

القول فى تأويل قوله تعالى

ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ، ثُمَّ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا ، إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ (١١٩)

يقول تعالى ذكره : إن ربك للذين عصوا الله ، فجهلوا بركوبهم ماركبوا من معصية الله ، وسَفَهُوا بذلك ، ثم راجعوا طاعة الله والندم عليها ، والاستغفار والتوبة منها ، من بعد ما سلف منهم ما سلف من ركوب المعصية ، وأصلح فعمل بما يحبّ الله ويرضاه (إن رَبَّكَ مِنْ بَعْدِها) يقول : إن ربك يا محمد من بعد توبتهم له (لَغَفُورٌ رَحِيمٌ) .

القول فى تأويل قوله تعالى

إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا ، وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٢٠) شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ، اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (١٢١)

يقول تعالى ذكره : إن إبراهيم خليل الله كان مُعَلِّم خَيْر ، يأتمّ به أهل الهدى قانتا ، يقول : مطيعا لله حنيفا : يقول : مستقيما على دين الإسلام (وَلَمْ يَكُ مِنَ المُشْرِكِينَ) يقول : ولم يك يُشرك بالله شيئا ، فيكون من أولياء أهل الشرك به ، وهذا إعلام من الله تعالى أهل الشرك به من قريش ، أن إبراهيم منهم برىء ، وأنهم منه بُرآء (شاكِرًا لأَنْعُمِهِ) يقول : كان يخلص الشكر لله فيما أنعم عليه ، ولا يجعل معه فى شكره فى نعمه عليه ، شريكا من الآلهة والأنداد وغير ذلك ، كما يفعل مشركو قريش . (اجْتَباهُ) يقول : اصطفاه

واختاره لخُلته، وهداه (إلى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) يقول: وأرشده إلى الطريق المستقيم، وذلك دين الإسلام، لا اليهودية ولا النصرانية.

وبنحو الذى قلنا فى معنى (أُمَّةً قانِتاً) قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنى زكريا بن يحيى، قال: ثنا ابن إدريس، عن الأعمش، عن الحكم، عن يحيى بن الجزار، عن أبى العُبَيدين، أنه جاء إلى عبد الله، فقال: من نسأل إذا لم نسألك؟ فكأنّ ابن مسعود رقّ له، فقال: أخبرنى عن الأُمَّة، قال: الذى يعلم الناس الخير.

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا أبو أحمد، قال: ثنا سفيان، عن سلمة بن كُهَيل، عن مسلم البطين، عن أبى العُبَيدين أنه سأل عبد الله بن مسعود، عن الأُمَّة القانت: قال: الأُمَّة: معلم الخير، والقانت: المطيع لله ورسوله.

حدثنى يعقوب، قال: ثنا ابن علية، عن منصور، يعنى ابن عبد الرحمن، عن الشعبى، قال: ثنى فروة بن نوفل الأشجعى، قال: قال ابن مسعود: إن معاذا كان أُمَّة قانتا لله حنيفا. فقلت فى نفسى: غلط أبو عبد الرحمن، إنما قال الله تعالى (إنَّ إبْرَاهِيمَ كانَ أُمَّةً قانِتاً لِلّهِ) فقال: تدرى ما الأُمَّة، وما القانت؟ قلت: الله أعلم، قال: الأُمَّة: الذى يعلِّم الخير، والقانت: المطيع لله ولرسوله، وكذلك كان مُعاذ بن جَبَل يعلِّم الخير، وكان مطيعا لله ولرسوله.

حدثنا محمد بن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، قال: سمعت فراسا يحدّث، عن الشعبىّ، عن مسروق، عن عبد الله بن مسعود، أنه قال: إن مُعاذا كان أُمَّة قانتاً لله، قال: فقال رجل من أشجع يقال له فَرْوة بن نوفل: نسِىَ إنما ذاك إبراهيم، قال: فقال عبد الله: مَنْ نسِىَ؟ إنما كنا نشبهه بإبراهيم، قال: وسئل عبد الله عن الأُمَّة، فقال: معلِّم الخير، والقانت: المطيع لله ورسوله.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن فراس، عن الشعبىّ، عن مسروق قال: قرأت عند عبد الله هذه الآية (إنَّ إبْرَاهِيمَ كانَ أُمَّةً قانِتاً لِلّهِ) فقال: كان معاذ أُمَّة قانتا، قال: هل تدرى ما الأمة؟ الأُمَّة الذى يعلم الناس الخير، والقانت: الذى يطيع الله ورسوله.

حدثنا أبو هشام الرفاعىّ، قال: ثنا ابن فضيل، قال: ثنا بيان بن بشر البَجَلى، عن الشعبىّ، قال: قال عبد الله: إن معاذا كان أمَّة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين، فقال له رجل: نسيت، قال: لا ولكنه شبيه إبراهيم، والأُمَّة: معلِّم الخير، والقانت: المطيع.

حدثنى علىّ بن سعيد الكندىّ، قال: ثنا عبد الله بن المبارك، عن ابن عون، عن الشعبىّ، فى قوله (إنَّ إبْرَاهِيمَ كانَ أُمَّةً قانِتاً لِلّهِ حَنِيفا) قال: مطيعا.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا أبو بكر، قال: قال عبد الله: إن معاذا كان أُمَّة قانتا معلِّم الخير.

وذكر فى الأُمَّة أشياء مختلف فيها، قال (وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ) يعنى: بعد حين (وأُمَّةً وَسَطا)

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن سعيد بن سابق ، عن ليث ، عن شَهْر بن حَوْشَب ، قال : لم تبق الأرض إلا وفيها أربعة عشر يدفع الله بهم عن أهل الأرض ، وتخرج بركتها ، إلا زمن إبراهيم ، فإنه كان وحده .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : أخبرنا هشيم ، قال : أخبرنا سيار ، عن الشعبيّ . قال : وأخبرنا زكريا ومجالد ، عن الشعبيّ ، عن مسروق ، عن ابن مسعود ، نحو حديث يعقوب ، عن ابن عُلَيَّة وزاد فيه : الأُمَّة : الذى يعلم الخير ، ويُؤتمّ به ، ويُقتدَى به ؛ والقانت : المطيع لله وللرسول ، قال له أبو فَرْوة الكِندىّ : إنك وَهِمْت .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (إنَّ إبْرَاهِيمَ كانَ أُمَّةً) على حدة (قانِتا لِلّهِ) قال : مطيعا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله ، إلا أنه قال : مطيعا لله فى الدنيا .

قال ابن جريج : وأخبرنى عويمر ، عن سعيد بن جبير ، أنه قال : قانتا : مطيعا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إنَّ إبْرَاهِيمَ كانَ أُمَّةً قانِتاً لِلّهِ) قال : كان إمام هُدًى مطيعا ، تُتَّبع سُنَّته ومِلَّته .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، أن ابن مسعود قال : إن مُعاذ بن جَبَل كان أمة قانتا ، قال غير قتادة : قال ابن مسعود : هل تدرون ما الأُمَّة : الذى يعلم الخير .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثورىّ ، عن فراس ، عن الشعبيّ ، عن مسروق ، قال : قرأت عند عبد الله بن مسعود (إنَّ إبْرَاهِيمَ كانَ أُمَّةً قانِتا) فقال : إن معاذا كان أُمَّةً قانتا ، قال : فأعادوا ، فأعاد عليهم ، ثم قال : أتدرون ما الأُمَّة ؟ الذى يعلم الناس الخير ، والقانت الذى يطيع الله .

وقد بيَّنا معنى الأمة ووجوهها ، ومعنى القانت باختلاف المختلفين فيه ، فى غير هذا الموضع من كتابنا بشواهده ، فأغنى بذلك عن إعادته فى هذا الموضع .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ، وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ (١٢٢)

يقول تعالى ذكره : وآتينا إبراهيم على قنوته لله ، وشكره له على نعمه ، وإخلاصه العبادة ، له فى هذه الدنيا ذكرا حسنا ، وثناء جميلا باقيا على الأيام (وَإنَّهُ فِى الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ) يقول : وإنه فى الدار الآخرة يوم القيامة لممن صَلَح أمره وشأنه عند الله ، وحسُنت فيها منزلته وكرامته .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وآتَيْناه فِى الدُّنْيا حَسَنَةً) قال : لسان صدق .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وآتَيْناهُ فِى الدُّنْيا حَسَنَةً) ، فليس من أهل دين إلا يتولاه ويرضاه .

القول فى تأويل قوله تعالى

ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ (١٢٣) إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ ، وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (١٢٤)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ثم أوحينا إليك يا محمد ، وقلنا لك : اتبع ملة إبراهيم الحنيفية المسلمة . حنيفا : يقول : مسلما على الدين الذى كان عليه إبراهيم ، بريئاً من الأوثان والأنداد التى يعبدها قومك ، كما كان إبراهيم تبرأ منها .

وقوله (إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ على الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ) يقول تعالى ذكره : مافرض الله أيها الناس تعظيم يوم السبت إلاّ على الذين اختلفوا فيه ، فقال بعضهم : هو أعظم الأيام ، لأن الله تعالى فرغ من خلق الأشياء يوم الجمعة ، ثم سَبَتَ يوم السبت .

وقال آخرون : بل أعظم الأيام يوم الأحد ، لأنه اليوم الذى ابتدأ فيه خلق الأشياء ، فاختاروه وتركوا تعظيم يوم الجمعة ، الذى فَرَض الله عليهم تعظيمه ، واستحلوه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ على الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ) : اتبعوه وتركوا الجمعة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ) قال : أرادوا الجمعة فأخطئوا ، فأخذوا السبت مكانه .

حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد، قال : ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ) استحله بعضهم، وحرّمه بعضهم .

حدثنا أبو كريب، قال : ثنا ابن يمان، قال : ثنا سفيان، عن السدىّ، عن أبى مالك وسعيد بن جبير (إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ) قال : باستحلالهم يوم السبت .

حدثنى يونس، قال : أخبرنا ابن وهب، قال : قال ابن زيد، فى قوله (إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ) قال : كانوا يطلبون يوم الجمعة فأخطئوه، وأخذوا يوم السبت، فجعله عليهم .

وقوله (وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ القِيامَةِ فِيما كانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) يقول تعالى ذكره : إن ربك يا محمد ليحكم بين هؤلاء المختلفين بينهم فى استحلال السبت وتحريمه، عند مصيرهم إليه يوم القيامة، فيقضى بينهم فى ذلك وفى غيره، مما كانوا فيه يختلفون فى الدنيا بالحقّ، ويفصل بالعدل، بمجازاة المصيب فيه جزاءه، والمخطئ فيه منهم ما هو أهله .

القول فى تأويل قوله تعالى

ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (١٢٥)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : (ادْعُ) يا محمد من أرسلك إليه ربك بالدعاء إلى طاعته (إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ) يقول : إلى شريعة ربك التى شرعها لخلقه، وهو الإسلام . (بِالْحِكْمَةِ) يقول بوحى الله الذى يوحيه إليك، وكتابه الذى ينزله عليك (وَالْمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ) يقول : وبالعبر الجميلة التى جعلها الله حجة عليهم فى كتابه، وذكرهم بها فى تنزيله، كالتى عدّد عليهم فى هذه السورة من حججه، وذكرهم فيها ما ذكرهم من آلائه (وَجادِلْهُمْ بالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) يقول : وخاصمهم بالخصومة التى هى أحسن من غيرها، أن تصفح عما نالوا به عرضك من الأذى، ولا تعصه فى القيام بالواجب عليك من تبليغهم رسالة ربك .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو، قال : ثنا أبو عاصم، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث، قال : ثنا الحسن، قال : ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد، فى قول الله (وَجادِلْهُمْ بالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) أعرض عن أذاهم إياك .

حدثنا القاسم، قال : ثنا الحسين، قال : ثنى حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله .

وقوله (إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله

عليه وسلم : إن ربك يامحمد هو أعلم بمن جار عن قصد السبيل ، من المختلفين فى السبت وغيره من خلقه ، وحادّ الله ، وهو أعلم بمن كان منهم سالكا قصد السبيل ، ومَحَجة الحقّ ، وهو مُجازٍ جميعهم جزاءهم عند ورودهم عليه .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ ، وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ (١٢٦)

يقول تعالى ذكره للمؤمنين : وإن عاقبتم أيها المؤمنون من ظلمكم واعتدى عليكم ، فعاقبوه بمثل الذى نالكم به ظالمكم من العقوبة ، ولئن صبرتم عن عقوبته ، واحتسبتم عند الله ما نالكم به من الظلم ، ووكلتم أمره إليه ، حتى يكون هو المتولى عقوبته (لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ) يقول : للصبر عن عقوبته بذلك ، خير لأهل الصبر احتسابا ، وابتغاء ثواب الله ، لأن الله يعوّضه مِنَ الذى أراد أن يناله ، بانتقامه من ظالمه على ظلمه إياه ، من لذّة الانتصار ، وهو من قوله (لَهُوَ) كناية عن الصبر ، وحسن ذلك ، وإن لم يكن ذكر قبل ذلك الصبر ، لدلالة قوله (وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ) عليه .

وقد اختلف أهل التأويل فى السبب الذى من أجله نزلت هذه الآية . وقيل : هى منسوخة أو محكمة ، فقال بعضهم : نزلت من أجل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه أقسموا حين فعل المُشركون يوم أُحد مافعلوا بقتلى المسلمين ، من التمثيل بهم ، أن يجاوزوا فعلهم فى المُثْلة بهم ، إن رزقوا الظفر عليهم يوما ، فنهاهم الله عن ذلك بهذه الآية ، وأمرهم أن يقتصروا فى التمثيل بهم ، إن هم ظفروا على مثل الذى كان منهم ، ثم أمرهم بعد ذلك بترك التمثيل ، وإيثار الصبر عنه بقوله (وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللهِ) فنسخ بذلك عندهم ما كان أذن لهم فيه من المُثلة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر ، قال : سمعت داود ، عن عامر : أن المسلمين قالوا : لما فعل المشركون بقتلاهم يوم أُحد : لئن ظهرنا عليهم لنفعلنّ ولنفعلنّ ، فأنزل الله تعالى (وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ ، وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ) قالوا : بل نصبر .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا عبد الوهاب ، قال : ثنا داود ، عن عامر ، قال : لما رأى المسلمون ما فعل المشركون بقتلاهم يوم أُحُد ، من تبقير البطون ، وقطع المذاكير ، والمُثْلة السيئة ، قالوا : لئن أظفرنا الله بهم ، لنفعلنّ ولنفعلنّ ، فأنزل الله فيهم (وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ . وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللهِ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن بعض أصحابه ، عن عطاء بن يسار ، قال نزلت سورة النحل كلها بمكة ، وهى مكية ، إلا ثلاث آيات فى آخرها ، نزلت فى المدينة بعد أُحد ، حيث

قُتل حمزة ومثِّل به، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « لَئِنْ ظَهَرْنا عَلَيْهِمْ، لَنُمَثِّلَنَّ بِثَلاثِينَ رَجُلاً مِنْهُمْ » . فلما سمع المسلمون بذلك، قالوا : والله لئن ظهرنا عليهم لنمثلنّ بهم مُثْلة لم يمثلها أحد من العرب بأحد قطُّ ، فأنزل الله (وَإِن عاقَبْتُمْ فعاقِبُوا بِمِثْلِ ما عُوقِبْتُمْ بِهِ ، وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ) . . . إلى آخر السورة .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَإِنْ عاقَبْتُمْ فَعاقِبُوا بِمِثْلِ ما عُوقِبْتُمْ بِهِ) قال المسلمون يوم أُحد [1] فقال (وَإِنْ عاقَبْتُمْ فَعاقِبُوا بِمِثْلِ ما عُوقِبْتُمْ بِهِ) . . . إلى قوله (لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ) ، ثم قال بعد (وَاصْبِر وَما صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللهِ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : لما أصيب فى أهل أُحد المُثْل ، فقال المسلمون : لئن أصبناهم لنمثلنّ بهم ، فقال الله (وَإِنْ عاقَبْتُمْ فعاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ ، وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ) ثم عزم وأخبر فلا يمثل ، فنهى عن المُثْل، قال مثَّل الكفار بقتلى أُحد ، إلا حنظلة بن الراهب ، كان الراهب أبو عامر مع أبى سفيان ، فتركوا حنظلة لذلك

وقال آخرون : نسخ ذلك بقوله فى براءة (اقْتُلُوا المُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ) قالوا : وإنما قال (وَإِنْ عاقَبْتُمْ فَعاقِبُوا بِمِثْلِ ما عُوقِبْتُمْ بِهِ) خبرا من الله للمؤمنين ، أَلَّا يبدءوهم بقتال حتى يبدءوهم به ، فقال (وقاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يُقاتِلُونَكُمْ ، وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ المُعْتَدِينَ) .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَإِنْ عاقَبْتُمْ فَعاقِبُوا بِمِثْلِ ماعُوقِبْتُمْ بِهِ) قال : هذا خبر من الله نبيه، أن يُقاتل من قاتله . قال : ثم نزلت براءة ، وانسلاخ الأشهر الحرم ، قال : فهذا من المنسوخ .

وقال آخرون: بل عَنَى الله تعالى بقوله (وَاصْبِرْ وَماصَبْرُكَ إِلاَّ بِاللهِ) نبىّ الله خاصة، دون سائر أصحابه ، فكان الأمر بالصبر له عزيمة من الله دونهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله (وَإِنْ عاقَبْتُمْ فَعاقِبُوا بِمِثْلِ ما عُوقِبْتُمْ بِهِ) قال : أمرهم الله أن يعفوا عن المشركين ، فأسلم رجال لهم منعة ، فقالوا : يا رسول الله ، لو أُذن الله لنا لانتصرنا من هؤلاء الكلاب ، فنزل القرآن (وَإِنْ عاقَبْتُمْ فعاقِبُوا بِمِثْلِ ما عُوقِبْتُمْ بِهِ ، وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ) واصبر أنت يا محمد ، ولا تكن فى ضيق ممن ينتصر ، وما صبرك إلا بالله ، ثم نسخ هذا ، وأمره بجهادهم . فهذا كله منسوخ .

---

(١) أى مقالهم السابق : لئن ظهرنا . . . الخ .

وقال آخرون: لم يُعْنَ بهاتين الآيتين شيء مما ذكر هؤلاء، وإنما عُنِي بهما : أن من ظُلِم بظُلامة ، فلا يحلّ له أن ينال ممن ظلمه أكثر مما نال الظالم منه ، وقالوا : الآية محكمة غير منسوخة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثورىّ، عن خالد ، عن ابن سيرين (وَإِنْ عاقَبْتُمْ فَعاقِبُوا بِمِثْلِ ما عُوقِبْتُمْ بِهِ) يقول : إن أخذ منك رجل شيئا ، فخذ منه مثله .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثورىّ ، عن منصور ، عن إبراهيم ، قال : إن أخذ منك شيئا فخذ منه مثله ؛ قال الحسن: قال عبد الرزاق : قال سفيان : ويقولون : إن أخذ منك دينارا ، فلا تأخذ منه إلا دينارا ، وإن أخذ منك شيئا ، فلا تأخذ منه إلا مثل ذلك الشيء .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَإِنْ عاقَبْتُمْ فَعاقِبُوا بِمِثْلِ ما عُوقِبْتُمْ بِهِ) لاتعتدوا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

⁂ والصواب من القول فى ذلك: أن يقال : إن الله تعالى ذكره ، أمر من عُوقب من المؤمنين بعقوبة، أن يعاقب من عاقبه بمثل الذى عوقب به ، إن اختار عقوبته ، وأعلمه أن الصبر على ترك عقوبته ، على ما كان منه إليه خير ،وعزم على نبيه صلى الله عليه وسلم أن يصبر ، وذلك أن ذلك هو ظاهر التنزيل ، والتأويلات التى ذكرناها عمن ذكروها عنه ، محتملتها الآية كلها . فإذا كان ذلك كذلك ، ولم يكن فى الآية دلالة على أىّ ذلك عُنِي بها من خبر ولا عقل، كان الواجب علينا(١) الحكم بها إلى ناطق لادلالة عليه ؛ وأن يقال : هى آية محكمة، أمر الله تعالى ذكره عباده أن لايتجاوزوا فيما وجب لهم قِبَلَ غيرهم من حقّ، من مال أو نفس ، الحقّ الذى جعله الله لهم إلى غيره ، وأنها غير منسوخة ، إذ كان لادلالة على نسخها ، وأن للقول بأنها محكمة ، وجها صحيحا مفهوما .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللَّهِ ، وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ ، وَلاَ تَكُ فِى ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ (١٢٧)

⁂ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : واصبر يا محمد على ماأصابك من أذى فى الله ، (وما صَبْرُكَ إلاَّ باللهِ) يقول : وما صبرك إن صبرت إلا بمعونة الله ، وتوفيقه إياك لذلك (وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ) يقول : ولا تحزن على هؤلاء المشركين الذين يكذّبونك ، وينكرون ماجئتهم به فى آن ولوا عنك، وأعرضوا عما أتيتهم به من النصيحة (وَلا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ) يقول : ولا يضق صدرك

(١) لعله كان الواجب علينا تعميم الحكم بها ، لاتأويلها إلى خاص لادلالة عليه ... الخ .

بما يقولون من الجهل ، ونسبتهم ما جئتهم به إلى أنه سحر أو شعر أو كهانة . مما يمكرون : مما يحتالون بالخدع فى الصدّ عن سبيل الله ، من أراد الإيمان بك ، والتصديق بما أنزل الله إليك .

واختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامّة قرّاء العراق (وَلا تَكُ فِي ضَيَقٍ) بفتح الضّاد فى الضّيق ، على المعنى الذى وصفت من تأويله . وقرأه بعض قرّاء أهل المدينة (وَلا تَكُ فِي ضِيقٍ) بكسر الضاد .

⁂ وأولى القراءتين بالصواب فى ذلك عندنا : قراءة من قرأه فى ضَيْقٍ ، بفتح الضاد ، لأن الله تعالى إنما نهى نبيه صلى الله عليه وسلم أن يَضيق صدره مما يلقى من أذى المشركين ، على تبليغه إياهم وحى الله وتنزيله ، فقال له (فَلاَ يَكُنْ فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِتُنْذِرَ بِهِ) وقال (فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ ، أَنْ يَقُولُوا لَوْلا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ ، أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ) ، وإذ كان ذلك هو الذى نهاه تعالى ذكره ، ففتح الضاد هو الكلام المعروف من كلام العرب فى ذلك المعنى ، تقول العرب : فى صدرى من هذا الأمر ضيق ، وإنما تكسر الضاد فى الشىء المعاش ، وضيق المسكن ، ونحو ذلك ؛ فإن وقع الضَّيق بفتح الضاد فى موضع الضِّيق بالكسر ، كان على الذى بتسع أحيانا ، ويضيق من قلة أحد وجهين ، إما على جمع الضيقة ، كما قال أعشى بنى ثعلبة :

فَلَئِنْ رَبُّكَ مِنْ رَحْمَتِهِ كَشَفَ الضَّيْقَةَ عَنَّا وَفَسَحْ[1]

والآخر على تخفيف الشىء الضَّيِّق ، كما يخفف الهينِّ اللَّينِّ ، فيقال : هو هَيْن لَيْن .

القول فى تأويل قوله تعالى

إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ (١٢٨) .

⁂ يقول تعالى ذكره (إِنَّ اللهَ) يامحمد (مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا) الله فى محارمه فاجتنبوها ، وخافوا عقابه عليها ، فأحجموا عن التقدّم عليها (وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ) يقول : وهو مع الذين يحسنون رعاية فرائضه ، والقيام بحقوقه ، ولزوم طاعته فيما أمرهم به ، ونهاهم عنه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن سفيان ، عن رجل ، عن الحسن (إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ) قال : اتّقوا الله فيما حرّم عليهم ، وأحسنوا فيما افترض عليهم .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن رجل ، عن الحسن ، مثله .

---

(١) البيت فى ديوان أعشى بنى ثعلبة ميمون بن قيس (طبع القاهرة ص ٢٣٧) من قصيدة يمدح بها إياس بن قبيصة الطائى ، وهو الرابع فى القصيدة . وفى (اللسان : ضيق) : الضيق : الشك يكون فى القلب من قوله تعالى : « ولا تك فى ضيق مما يمكرون » : وقال الفراء : الضيق ما ضاق عنه صدرك . والضيق (بالكسر) ما يكون فى الذى يتسع ويضيق ، مثل الدار والثوب . وإذا رأيت الضيق (بالفتح) قد وقع فى موضع الضيق (بالكسر) كان على أحد أمرين : أحدهما أن يكون جمعا للضيقة كما قال الأعشى . فلئن ربك . . الخ البيت . والوجه الآخر : أن يراد به شىء ضيق ، فيكون ضيق مخففا ، وأصله التشديد ، ومثله : هين ولين .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : ذكر لنا أن هَرِم بن حَيّان العَبْدىّ لما حضره الموت ، قيل له : أوص ، قال : ما أدرى ما أُوصى ، ولكن بيعوا درعى ، فاقضوا عنى دينى ، فإن لم تف ، فبيعوا فرسى ، فإن لم يف فبيعوا غلامى ، وأوصيكم بخواتيم سورة النحل : (ادْعُ إلى سَبِيلِ رَبِّكَ بالْحِكْمَةِ والْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجادِلْهُمْ بالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ، إنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ، وَهُوَ أَعْلَمُ بالْمُهْتَدِينَ ، وَإنْ عاقَبْتُمْ فَعاقِبُوا بِمِثْلِ ما عُوقِبْتُمْ بِهِ ، وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ للصَّابِرِينَ) ذُكر لنا أن نبىّ الله صلى الله عليه وسلم لما نزلت هذه الآية قال بَلْ نَصْبِرُ » .

آخر تفسير سورة النحل

تمّ الجزء الرابع عشر من تفسير الإمام محمد بن جرير الطبرىّ

ويليه الجزء الخامس عشر

وأوله : القول فى تأويل قوله تعالى (سُبْحانَ الَّذِى أسْرَى بعَبْدِهِ)

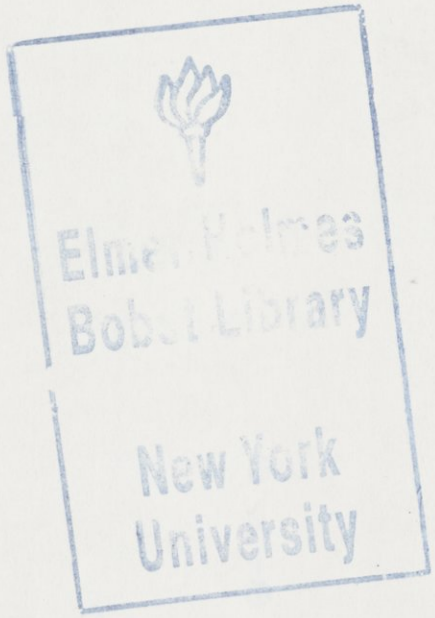
Elmer Holmes
Bobst Library
New York
University